

بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد السادس
١١-١٢
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان



بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

١١ - ١٢



تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الحادي عشر

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - طريق المطار - قرب ستتر زعرور
هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١
صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.
Beirut Airport Road
Tel:01/450426 Fax:01/450427
P.O.Box.7120
E-mail:alaalami@yahoo.com
http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الّذي اصطفى من عباده رسلاً فبعثهم مبشّرين ومنذرين، واختار منهم خيرةً من خلقه محمّداً فجعله سيّد المرسلين وخاتم النبيّين، فصلوات الله عليه وعلى أهل بيته المنتجبين، وعلى كلّ من ابتعثه لإقامة شرائع الدين.

أما بعد: فهذا هو المجلّد الخامس من كتاب بحار الأنوار تأليف الخاطىء الخاسر القاصر عن نيل المفاخر والمآثر محمّد المدعوّ بباقر ابن الشيخ العالم الزاهد البارع الرضيّ محمّد الملقّب بالتقيّ غفر الله لهما وحشرهما مع مواليهما.



١ - باب معنى النبوّة وعلة بعثة الأنبياء وبيان عددهم وأصنافهم وجمل أحوالهم وجوامعها صلوات الله عليهم أجمعين

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ «١٤٠» وقال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ «٢١٣».

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ۚ وَآتَيْنَا

عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ «٢٥٣».

آل عمران «٣»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤)﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ «٨٤» وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ (٨١) فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ (٨٢)﴾.

النساء «٤»: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا (١٦٤) رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٦٥)﴾.

الأنعام «٦»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ (٨٦) وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ (٨٨) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (٨٩) أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ (٩٠)﴾.

التوبة «٩»: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ «٧٠».

يوسف «١٢»: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ «١١٠».

الرعد «١٣»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ «٣٨».

إبراهيم «١٤»: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ «٤» وقال تعالى: ﴿ألم يأتكم نبؤا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب (٩) قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين (١٠) قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١١) وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون (١٢) وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين (١٣) ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد (١٥)﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم (٤) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٥)﴾ وقال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين (١٠) وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (١١)﴾.

النحل «١٦»: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٤٣) بالبينات والزبر (٤٤)﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ «٥٥».

الكهف «١٨»: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾ «٥٦».

مريم «١٩»: ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا (٥٨) فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا (٥٩)﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم يؤمنون (٦) وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحي إليهم فاسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (٧) وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين (٨) ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين (٩)﴾.

الحج «٢٢»: ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود (٤٢) وقوم إبراهيم وقوم لوط (٤٣) وأصحاب مدين وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير (٤٤) فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد (٤٥)﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم (٥١) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (٥٢) فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون (٥٣)﴾.

الفرقان «٢٥»: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ «٢٠» وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٣٩) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا (٤٠)﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ «١٨» وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٨) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٣٩) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾.

الروم «٣٠»: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٩) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ «٤٧».

الأحزاب «٣٣»: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ «٧».

فاطر «٣٥»: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ «٤» وقال تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)﴾.

يس «٣٦»: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣)﴾ وقال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ «١٨١».

ص «٣٨»: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ «٣» وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٢) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٣) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٤)﴾.

المؤمن [غافر] «٤٠»: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ «٥» وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٢١) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٢)﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ «٥١» وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ «٧٨» وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٣) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (٨٥)﴾.

حمعسق [الشورى] «٤٢»: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ «١٣» وقال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾.

ق «٥٠»: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٢) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٣) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾.

النجم «٥٣»: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥٠) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (٥١) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٢) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٣) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٤)﴾.

الحديد «٥٧»: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ «٢٥» وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ (٢٧)﴾.

المجادلة «٥٨»: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ «٢١».

الحاقة «٦٩»: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾.

الجن «٧٢»: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨)﴾.

البروج «٨٥»: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٧) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٨)﴾.

الفجر «٨٩»: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ

﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا﴾: أي قالت اليهود كونوا هوداً، وقالت النصارى كونوا نصارى ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي بل نتّبع دين إبراهيم ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾ أي يوسف وإخوته بنو يعقوب، وولد كلّ واحد منهم أمّة من النّاس، فسمّوا بالأسباط، وذكروا أسماء الاثني عشر: يوسف، وابن يامين، وروبيل ويهودا، وشمعون، ولاوي، ودان، وقهاب، ويشجر، ونفتالي، وجاد، وأسر.

قال كثيرٌ من المفسّرين: إنّهم كانوا أنبياء، والّذي يقتضي مذهبنا أنّهم لم يكونوا أنبياء بأجمعهم لعدم عصمتهم لما فعلوا بيوسف. وقوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ لا يدلّ على أنّهم كانوا أنبياء، لأنّ الإنزال يجوز أن يكون على بعضهم، ويحتمل أن يكون مثل قوله: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ وإن كان المنزل على النبيّ صلى الله عليه وآله خاصّة، لكنّ المسلمين لمّا كانوا مأمورين بما فيه أضيف الإنزال إليهم.

وقد روى العياشيّ عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أوكان ولد يعقوب أنبياء؟ قال: لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يكونوا فارقوا الدنيا إلاّ سعداء، تابوا وتذكّروا ما صنعوا ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ أي بأن نؤمن ببعضهم ونكفر ببعض، كما فعله اليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ أي لما تقدّم ذكره أو لله ﴿مُسْلِمُونَ﴾ خاضعون بالطاعة، مذعنون بالعبوديّة ﴿فِي شِقَاقٍ﴾ أي في خلاف، وقريب منه ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: في كفر؛ وقيل: في منازعة ومحاربة ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ وعد بالنصر وهو من معجزات نبيّنا صلى الله عليه وآله[1].

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي ذوي أمّة واحدة، أي أهل ملّة واحدة، واختلف في أنّهم على أيّ دين كانوا، فقيل: إنّهم كانوا على الكفر، فقال الحسن: كانوا كفّاراً بين آدم ونوح، وقيل: بعد نوح إلى أن بعث الله إبراهيم والنبيّين بعده، وقيل: قبل مبعث كلّ نبيّ، وهذا غير صحيح.

فإن قيل: كيف يجوز أن يكون الناس كلّهم كفّاراً ولا يجوز أن يخلو الأرض من حجّة؟ قلنا: يجوز أن يكون الحقّ هناك في واحد أو جماعة قليلة لم يمكنهم إظهار الدّين خوفاً وتقيّة فلم يعتدّ بهم، وقال آخرون: إنّهم كانوا على الحقّ، فقال ابن عبّاس كانوا بين آدم ونوح على شريعة من الحقّ فاختلفوا بعد ذلك، وقيل: هم أهل سفينة نوح عليه السلام، فالتقدير حينئذ: كانوا أمّةً واحدةً فاختلفوا وبعث الله النبيّين، وقال المجاهد: المراد به آدم كان على الحقّ إماماً لذرّيته فبعث الله النبيّين في ولده، وروى أصحابنا عن الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّه كانوا قبل نوح

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٤٠٣ و٤٠٥.

أمّة واحدة على فطرة الله لا مهتدين ولا ضلاّلاً فبعث الله النبيّين، وعلى هذا فالمعنى أنّهم كانوا متعبّدين بما في عقولهم غير مهتدين إلى نبوّة ولا شريعة.

﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ بالشرائع لما علم أنّ مصالحهم فيها ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ لمن أطاعهم بالجنّة ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ لمن عصاهم بالنار ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ أي مع بعضهم ﴿لِيَحْكُمَ﴾ أي الربّ تعالى، أو الكتاب ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي أعطوا العلم بالكتاب ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي الحجج الواضحة، وقيل: التوراة والإنجيل، وقيل: معجزات محمّد ﷺ ﴿بَغْيًا﴾ أي ظلماً وحسداً ﴿لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي للحقّ الّذي اختلف فيه من اختلف ﴿بِإِذْنِهِ﴾ أي بعلمه أو بلطفه[1].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ﴾ وهو موسى عليه السلام أو موسى ومحمّد ﷺ ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ قال مجاهد: أراد به محمّد ﷺ فإنّه فضّله على أنبيائه بأن بعثه إلى جميع المكلّفين من الجنّ والإنس بأن أعطاه جميع الآيات الّتي أعطاها من قبله من الأنبياء، وبأن خصّه بالقرآن وهو المعجزة القائمة إلى يوم القيامة، وبأن جعله خاتم النبيّين ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ أي المعجزات ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم﴾ أي من بعد الرُّسل، بأن كان يلجئهم إلى الإيمان، لكنّه ينافي التكليف؛ وقيل: معناه: لو شاء الله ما أمرهم بالقتال ﴿مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من بعد وضوح الحجّة، فإنّ المقصود من بعثة الرسل قد حصل بإيمان من آمن قبل القتال ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ كرّر تأكيداً؛ وقيل: الأوّل مشيّة الإكراه، والثاني الأمر للمؤمنين بالكفّ عن قتالهم ﴿مَا يُرِيدُ﴾ أي ما تقتضيه المصلحة[2].

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ﴾ أي اختار واجتبى ﴿آدَمَ وَنُوحًا﴾ لنبوّته ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ أي على عالمي زمانهم، بأن جعل الأنبياء منهم؛ وقيل: اختار دينهم؛ وقيل: اختارهم بالتفضيل على غيرهم بالنبوّة وغيرها من الأمور الجليلة لمصالح الخلق. وقوله: ﴿وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ﴾ قيل: أراد نفسهما، وقيل: آل إبراهيم أولاده، وفيهم من فيهم من الأنبياء، وفيهم نبيّنا ﷺ، وقيل: هم المتمسّكون بدينه، وأمّا آل عمران فقيل: هم من آل إبراهيم أيضاً، فهم موسى وهارون ابنا عمران، وهو عمران بن يصهر بن ماهث بن لاوي ابن يعقوب؛ وقيل يعني بآل عمران مريم وعيسى وهو عمران بن أشهم بن أمون من ولد سليمان عليه السلام، وهو أبو مريم، وفي قراءة أهل البيت عليهم السلام: «وآل محمد على العالمين» وقالوا أيضاً: إنّ آل إبراهيم هم آل محمّد الّذين هم أهله، ويجب أن يكون الّذين اصطفاهم الله مطهّرين معصومين عن القبائح، لأنّه سبحانه لا يختار ولا يصطفي إلاّ من كان كذلك، ويكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة والعصمة، فعلى هذا يختصّ الاصطفاء بمن كان معصوماً من آل إبراهيم وآل عمران سواء كان نبيّاً أو إماماً، ويقال: الاصطفاء على وجهين:

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٦٥.

(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٥٤.

أحدهما أنّه اصطفاه لنفسه، أي جعله خالصاً له يختصّ به، والثاني أنّه اصطفاه على غيره، أي اختصّه بالتفضيل على غيره، وعلى هذا الوجه معنى الآية، وفيها دلالة على تفضيل الأنبياءِ على الملائكة ﴿ذُرِّيَّةً﴾ أي أولاداً وأعقاباً ﴿بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ﴾ أي في التناصر في الدين، أو في التناسل والتوالد، والأخير هو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام لأنّه قال: الّذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض[1].

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أي لا يجوز ولا يحلُّ له ﴿أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ﴾ أي يعطيه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ أي العلم والرسالة إلى الخلق ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي اعبدوني من دونه، واعبدوني معه، ﴿رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ أي حكماء أتقياء، أو معلّمين الناس من علمكم؛ وقيل: الربّانيّ: العالم بالحلال والحرام والأمر والنّهي وما كان وما يكون[2].

﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ قال البيضاويّ: أي بسبب كونكم معلّمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له، فإنّ فائدة التعليم والتعلّم معرفة الحقّ والخير للاعتقاد والعمل[3].

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال الطبرسيّ: روي عن أمير المؤمنين وابن عبّاس وقتادة أنّ الله تعالى أخذ الميثاق على الأنبياءِ قبل نبيّنا صلى الله عليه وآله أن يخبروا أممهم بمبعثه ونعته، ويبشّروهم به، ويأمروهم بتصديقه. وقال طاوس: أخذ الله الميثاق على الأنبياءِ على الأوّل والآخر، فأخذ ميثاق الأوّل لتؤمننّ بما جاء به الآخر، وقال الصادق عليه السلام: تقديره: وإذ أخذ الله ميثاق أمم النبيّين بتصديق نبيّها والعمل بما جاءهم به، وأنّهم خالفوه بعدما جاؤوا وما وفوا به، وتركوا كثيراً من شريعته، وحرّفوا كثيراً منها ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ أي بالتصديق والحجّة، أو أنّ الميثاق أخذ على الأنبياءِ ليأخذوه على أممهم بتصديق محمّد إذا بعث، ويأمرهم بنصره على أعدائه إن أدركوه، وهو المرويّ عن عليّ عليه السلام[4].

أقول: سيأتي عن أئمّتنا عليهم السلام أنّ النصرة في الرّجعة.

وقال في قوله: ﴿وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾: أي قبلتم على ذلك عهدي، وقيل: معناه: وأخذتم العهد بذلك على أممكم ﴿قَالُوٓا۟﴾ أي قال أممهم. قال الله: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ بذلك على أممكم ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ عليكم وعلى أممكم، عن عليّ عليه السلام، وقيل: ﴿فَٱشْهَدُوا۟﴾ أي فاعلموا ذلك ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم﴾ أعلم؛ وقيل: معناه: ليشهد بعضكم على بعض؛ وقيل: قال الله للملائكة: اشهدوا عليهم، وقد روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: لم يبعث الله نبيّاً آدم ومن بعده إلا أخذ عليه العهد على أن بعث الله محمّداً وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنّه، وأمره بأن يأخذ العهد بذلك على قومه[5].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٢٧٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٦٧.
(٤) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣٤.
(٥) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٣٥.

﴿كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ﴾ قدّم نوحاً لأنّه أبو البشر، وقيل: لأنّه كان أطول الأنبياءِ عمراً وكانت معجزته في نفسه، لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لم يسقط له سنّ، ولم تنقص قوته، ولم يشب شعره؛ وقيل: لأنّه لم يبالغ أحد منهم في الدعوة مثل ما بالغ فيها، ولم يقاس أحد من قومه ما قاساه، وهو أوّل من عذّبت أمّته بسبب أن ردّت دعوته[١].

﴿وَرُسُلٗا﴾ أي قصصنا رسلاً، أو أرسلنا رسلاً ﴿قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ﴾ بالوحي في غير القرآن، أو في القرآن ﴿وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ﴾ هذا يدلّ على أنّ لله رسلاً كثيراً لم يذكرهم في القرآن[٢].

﴿حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ بأن يقولوا: لو أرسلت إلينا رسولاً آمنّا بك ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا﴾ أي مقتدراً على الانتقام ممّن يعصيه ﴿حَكِيمٗا﴾ فيما أمر به عباده[٣].

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ قال البيضاويّ: الضمير لإبراهيم، وقيل: لنوح لأنّه أقرب، ولأنّ يونس ولوطاً ليسا من ذرّيّة إبراهيم، فلو كان لإبراهيم اختصّ البيان بالمعدودين في تلك الآية والّتي بعدها، والمذكورن في الآية الثالثة عطف على ﴿نُوحًا﴾ ومن آبائهم عطف على كلّاً أو نوحاً، ومن للتبعيض، فإنّ منهم من لم يكن نبيّاً ولا مهديّاً ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى ما دانوا به ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ﴾ أي هؤلاءِ الأنبياء مع علوّ شأنهم فكيف غيرهم. ﴿وَٱلۡحُكۡمَ﴾: الحكمة، أو فصل الأمر على ما يقتضيه الحقّ ﴿فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا﴾ أي بهذه الثلاثة ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني قريشاً ﴿فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا﴾ أي بمراعاتها ﴿قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ وهم الأنبياء المذكورون ومتابعوهم، وقيل: هم الأنصار، أو أصحاب النبيّ ﷺ أو كلّ من آمن به، أو الفُرس، وقيل: الملائكة. ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ أي ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدّين[٤].

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ﴾ قال الطبرسيّ: أي المنقلبات، وهي ثلاثة قرى كان فيها قوم لوط ﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ أي بالبراهين والمعجزات[٥].

﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ﴾ أي نساءً وأولاداً أكثر من نسائك وأولادك، وكان لسليمان ثلاث مائة امرأة مهيرة وسبعمائة سريّة، ولداود مائة امرأة، عن ابن عبّاس، أي فلا ينبغي أن يستنكر منك أن تتزوّج ويولد لك، وروي أنّ أبا عبد الله عليه السلام قرأ هذه الآية ثمّ أومأ إلى صدره وقال: نحن والله ذرّيّة رسول الله ﷺ. ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ﴾ أي دلالة ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾ أي إلاّ بعد أن يأذن الله في ذلك ويطلق له فيه[٦].

﴿إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ أي لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلاّ بلغة قومه حتّى إذا بيّن

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٤١.
(٢) - (٣) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٤٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣١.
(٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٨٦.
(٦) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٨.

لهم فهموا عنه ولا يحتاجون إلى مترجم، وقد أرسل الله نبيّنا ﷺ إلى الخلق كافّة بلسان قومه، قال الحسن: امتنّ الله على نبيّه ﷺ أنّه لم يبعث رسولاً إلاّ إلى قومه، وبعثه خاصّة إلى جميع الخلق؛ إنّ معناه: كما أرسلناك إلى العرب بلغتهم لتبيّن لهم الدين ثمّ إنّهم يبيّنونه للناس كذلك أرسلنا كلّ رسول بلغة قومه ليظهر لهم الدّين[1].

﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي لا يعلم تفاصيل أحوالهم وعددهم وما فعلوه وفعل بهم من العقوبات إلاّ الله، قال ابن الأنباريّ: إنّ الله أهلك أمماً من العرب وغيرها فانقطعت أخبارهم وعفت آثارهم، فليس يعرفهم أحدٌ إلاّ الله. وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال: كذب النسّابون؛ فعلى هذا يكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ مبتدءً وخبراً ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي عضّوا على أصابعهم من شدّة الغيظ، أو جعلوا أيديهم في أفواه الأنبياءِ تكذيباً لهم، أي أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتاً لهم، أو وضعوا أيديهم على أفواههم مومئين بذلك إلى الرسل: أن اسكتوا، أو الضميران كلاهما للرسل، أي أخذوا أيدي الرّسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوا فسكتوا عنهم لمّا يئسوا منهم، هذا كلّه إذا حمل معنى الأيدي والأفواه على الحقيقة، ومن حملهما على المجاز فقيل: المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج، أي فردّوا حججهم في حيث جاءت، لأنّها تخرج من الافواه. أو مثله من الوجوه.

﴿مُرِيبٍ﴾ أي يوقعنا في الرّيب بكم أنّكم تطلبون الرئاسة وتفترون الكذب. ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ أي بعضها، لأنّه لا يغفر الشرك؛ وقيل: وضع البعض موضع الجميع توسّعاً ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي إلى الوقت الّذي ضربه الله لكم أن يميتكم فيه، ولا يؤاخذكم بعاجل العقاب ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ أي بحجّة واضحة، وإنّما قالوا ذلك لأنّهم اعتقدوا أنّ ما جاءت به الرّسل من المعجزات ليست بمعجزة ولا دلالة؛ وقيل: إنّهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم.

﴿وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ﴾ أي ينعم عليهم بالنبوّة والمعجزات ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ أي عرّفنا طريق التوكّل، أو هدانا إلى معرفته وتوجيه العبادة إليه ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ﴾ أي ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب بين يديّ ﴿وَخَافَ وَعِيدِ﴾ أي عقابي، وإنّما قالوا: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ وهم لم يكونوا على ملّتهم قطّ؟ إمّا لأنّهم توهّموا على غير حقيقة أنّهم كانوا على ملّتهم، وإمّا لأنّهم ظنّوا بالنشوء بينهم أنّهم كانوا عليها.

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ أي طلب الرسل الفتح والنصر من الله؛ وقيل: هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم وبين أممهم، لأنّ الفتح الحكم؛ وقيل: معناه: واستفتح الكفّار العذاب ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي خسر كلّ متكبر معاند مجانب للحقّ دافع له.

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٥٨.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا﴾ أي لم نهلك أهل قرية فيما مضى على وجه العقوبة إلاّ وكان لهم أجلٌ معلومٌ مكتوب لا بدّ أن سيبلغونه، فلا يغرّنّ هؤلاءِ الكفّار إمهالي إيّاهم ﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ أي لم تكن أمّة فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك، ولا تتأخّر عن أجلها ﴿فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾ الشيع: الفرق والأمم[1].

﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم﴾ وذلك أنّ كفّار قريش كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشرٌ مثلهم، فبيّن سبحانه أنّه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلاّ من يشاهدونه ويخاطبونه ويفهمون عنه، وأنّه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ أي أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم، أو أهل الكتاب، أو أهل القرآن، لأنّ الذكر القرآن، يقرب منه مارواه جابر ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: نحن أهل الذكر. وقد سمّى الله رسوله ذكراً في قوله: ﴿ذِكْرًا ۝ رَّسُولًا﴾ على أحد الوجهين. وقوله: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ﴾ العامل فيه قوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ والتقدير: وما أرسلنا بالبيّنات والزبر أي البراهين والكتب إلاّ رجالاً، وقيل: في الكلام إضمار، والتقدير: أرسلناهم بالبيّنات[2].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ أي الّذين تقدّم ذكرهم ﴿ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ بالنبوّة وغيرها ﴿مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ﴾ إنّما فرّق سبحانه ذكر نسبهم مع أنّ كلّهم كانوا من ذرّيّة آدم لتبيان مراتبهم في شرف النسب، فكان لإدريس شرف القرب من آدم، وكان إبراهيم من ذرّيّة من حمل مع نوح، وكان إسماعيل وإسحاق ويعقوب من ذرّيّة إبراهيم لمّا تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم، وكان موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من ذرّيّة إسرائيل ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا﴾ قيل: إنّه تمّ الكلام عند قوله: ﴿وَإِسْرَٰٓءِيلَ﴾ ثم ابتدأ وقال: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ من الأمم قوم ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ وروي عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: نحن عنينا بها. وقيل: بل المراد به الأنبياء الّذين تقدّم ذكرهم ﴿خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾ لله ﴿وَبُكِيًّا﴾ أي باكين ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ الخلف: البدل السيّئ، أي بقي بعد النبيّين المذكورين قومٌ سوءٌ من اليهود ومن تبعهم ﴿أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ أي تركوها أو أخّروها عن مواقيتها وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ فيما حرّم عليهم ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ أي مجازاة الغيّ، وقيل: أي شرّاً وخيبة[3].

﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم﴾ أي لم يؤمن قبل هؤلاءِ الكفّار ﴿مِّن﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ﴾ جاءتهم الآيات الّتي طلبوها فأهلكناهم مصرّين على الكفر ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ عند مجيئها، هذا إخبار عن حالهم وأنّ سبيلهم سبيل من تقدّم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها وأهلكوا، فهؤلاءِ أيضاً لو أتاهم ما اقترحوا لم يؤمنوا واستحقّوا عذاب الاستئصال، وقد حكم الله في هذه

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٦٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٥٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٣١.

الأمّة أن لا يعذّبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم في ذلك؛ وقيل: ما حكم الله سبحانه بهلاك قرية إلاّ وفي المعلوم أنّهم لا يؤمنون، فلذلك لم يأت هؤلاءِ بالآيات المقترحة.

﴿وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا﴾ الجسد: المجسّد الّذي فيه الروّح ويأكل يشرب؛ وقيل ما لا يأكل ولا يشرب ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ﴾ أي أنجزنا ما وعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الأعداءِ، وما وعدناهم به من الثواب ﴿فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ﴾ أي من المؤمنين بهم ﴿وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ على أنفسهم بتكذيبهم الأنبياء[١].

﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ أي أخّرت عقوبتهم وأمهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ أي بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ استفهام للتقرير، أي فكيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب، فأبدلتهم بالنعمة نقمةً، وبالحياة هلاكاً؟ ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي وكم من قرى ﴿أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ﴾ أي وأهلها ظالمون بالتكذيب والكفر ﴿فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ أي خاليةٌ من أهلها، ساقطةٌ على سقوفها ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ أي وكم من بئر باد أهلها وغار ماؤها، وتعطّلت من دلائها ﴿وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ أي وكم من قصر رفيع مجصّص تداعى للخراب بهلاك أهله، واصحاب الآبار ملوك البدو، وأصحاب القصور ملوك الحضر، وفي تفسير أهل البيت عليهم السلام: كم من بئر معطّلة أي عالم لا يرجع إليه ولا ينتفع بعلمه[٢].

﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ خطاب للرسل كلّهم أمرهم أن يأكلوا من الحلال ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي دينكم دينٌ واحدٌ؛ وقيل: هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدةٌ كلّكم عباد الله ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ أي تفرّقوا في دينهم وجعلوه كتباً دانوا بها وكفروا بما سواها، كاليهود كفروا بالإنجيل والقرآن، والنصارى بالقرآن، وقيل: أحدثوا كتباً يحتجّون بها لمذاهبهم ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أي كلّ فريق بما عندهم من الدين راضون يرون أنّهم على الحقّ[٣].

﴿وَزِيرًا﴾: أي معيناً على تبليغ الرسالة ﴿فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أي أهلكناهم إهلاكاً بأمر فيه أعجوبة ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ﴾ أي بيّنّا لهم أنّ العذاب نازلٌ بهم إن لم يؤمنوا؛ وقيل: بيّنّا لهم الأحكام في الدّين والدنيا ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ أي أهلكنا إهلاكاً على تكذيبهم ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ﴾ يعني قوم لوط أمطروا بالحجارة ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا﴾ في أسفارهم إذا مرّوا بهم فيعتبروا ﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ أي بل رأوها، وإنّما لم يعتبروا لأنّهم لا يخافون البعث[٤].

﴿وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ أي كانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحقّ والباطل بالنظر أو يحسبون

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٧٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٥٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٩٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٢٩٦.

أنّهم على هدى. ﴿وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ أي فائتين الله كما يفوت السابق ﴿حَاصِبًا﴾ أي حجارة؛ وقيل: ريحاً فيها حصباء وهم قوم لوط؛ وقيل: هم عاد ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾ وهم قوم شعيب ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا﴾ وهم قوم قارون. ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه[١].

﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ أي قلبوها وحرثوها لعمارتها ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾ إلى نفوسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أي الخلّة الّتي تسوء صاحبها إذا أدركها وهي عذاب النار ﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ أي لتكذيبهم ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي دفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين، وكان واجباً علينا نصرهم بإعلاءِ الحجّة ودفع الأعداءِ عنهم[٢].

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا﴾ أي واذكر يا محمّد حين أخذ الله الميثاق ﴿مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ خصوصاً بأن يصدّق بعضهم بعضاً ويتّبع بعضهم بعضاً؛ وقيل: أخذ ﴿مِيثَٰقَهُمْ﴾ على أن يعبدوا الله، ويدعوا إلى عبادة الله، أن يصدّق بعضهم بعضاً؛ وأن ينصحوا لقومهم ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ خصّ هؤلاءِ بالذكر لأنّهم أصحاب الشرائع ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي عهداً شديداً على الوفاءِ بما حملوا من أعباءِ الرّسالة؛ وقيل: على أن يعلنوا أنّ محمّداً رسول الله ﷺ ويعلن محمّد ﷺ أن لا نبيّ بعده[٣].

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فيجازي من كذّب رسله، وينصر من كُذّب من رسله[٤]. ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾ أي وما من أمّة من الأمم الماضية ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ أي إلاّ مضى فيها مخوّف يخوّفهم، وفي هذا دلالة على أنّه لا أحد من المكلّفين إلاّ وقد بعث إليه الرسول وأنّه سبحانه أقام الحجّة على جميع الأمم بالبيّنات[٥]. قال البيضاويّ: بالمعجزات الشاهدة على نبوّتهم ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ كالتوراة والإنجيل على إرادة التفصيل دون الجمع، ويجوز أن يراد بهما واحد والعطف لتغاير الوصفين ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي إنكاري بالعقوبة[٦].

﴿يَٰحَسْرَةً﴾ قال الطبرسيّ: أي يا ندامةً ﴿عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ أي ألم يروا أنّ القرون الّتي أهلكناهم لا يرجعون إلى الدّنيا[٧].

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ أي سبق الوعد منّا ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ في الدنيا والآخرة على الأعداءِ بالقهر والغلبة وبالحجّة الظاهرة؛ وقيل: معناه: سبقت كلمتنا لهم بالسعادة، ثمّ ابتدأ فقال: ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي إنّ المرسلين ﴿لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ﴾ وقيل: عنى بالكلمة قوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٦.

(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٧.

(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٢٣.

(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٣٢.

(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٤٠.

(٦) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٢٣.

(٧) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٧٠.

وَرُسُلِىٓ﴾[1] قال الحسن: المراد بالآية نصرتهم في الحرب فإنّه لم يقتل نبيٌّ قطُّ في الحرب، وإن مات نبيّ أو قتل قبل النصرة فقد أجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه من بعده، فيكون في نصرة قومه نصرة له. وقال السدّيّ: المراد النصرة بالحجّة ﴿وَإِنَّ جُندَنَا﴾ أي المؤمنين، أو المرسلين ﴿لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ بالقهر أو بالحجّة ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي سلامٌ وأمانٌ لهم من أن ينصر عليهم أعداؤهم؛ وقيل: هو خبر ومعناه أمر، أي سلّموا عليهم كلّهم لا تفرّقوا بينهم[2].

﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ قال البيضاويّ: أي ليس الحين حين مناص، زيدت عليها تاء التّأنيث للتأكيد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾ يعني المتحزّبين على الرّسل الّذين جعل الجند المهزوم منهم ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ أي فوجب عليهم عقابي[3].

﴿وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ والّذين تحزّبوا على الرّسل وناصبوهم بعد قوم نوح ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من هؤلاءِ ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ ليتمكّنوا من إصابته بما أرادوا من تعذيب وقتل من الأخذ بمعنى الأسر ﴿لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ ليزيلوه به ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ فإنّكم تمرّون على ديارهم، وهو تقرير فيه تعجيب[4].

﴿وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: بعث الله نبيّاً أسود لم يقصّ علينا قصّته. واختلف الأخبار في عدد الأنبياءِ فروي في بعضها أنّ عددهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وفي بعضها أنّ عددهم ثمانية آلاف نبيّ: أربعة آلاف من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من غيرهم ﴿بِـَٔايَةٍ﴾ أي بمعجزة ودلالة[5].

﴿فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ قال البيضاويّ: أي بالعذاب في الدنيا والآخرة ﴿قُضِىَ بِٱلْحَقِّ﴾ بإنجاءِ المحقّ وتعذيب المبطل[6].

﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم﴾ واستحقروا علم الرسل، والمراد بالعلم عقائدهم الزائغة وشبههم الداحضة أو علم الأنبياءِ، وفرحهم به ضحكهم منه واستهزاؤهم به، ويؤيّده ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وقيل: الفرح أيضاً للرّسل شكراً لله على ما أُوتوا من العلم ﴿بَأْسَنَا﴾ أي شدّة عذابنا ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ﴾ لامتناع قبوله حينئذ ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾ أي سنّ الله ذلك سنّة ماضية في العباد. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ﴾ أي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمّد صلى الله عليه وآله ومن بينهما من أرباب الشّرائع، وهو الأصل المشترك فيما بينهما المفسّر بقوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ وهو الإيمان بما يجب تصديقه، والطاعة في أحكام الله ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ ولا تختلفوا في هذا الأصل، أمّا فروع الشرائع فمختلفة[7] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ وما صحّ له ﴿أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢١.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٣٨.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٤٩.
(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٥٨.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦٧.
(٧) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦٧.

كلاماً خفيّاً يدركه بسرعة، لأنّه تمثل، ليس في ذاته مركّباً من حروف مقطّعة تتوقّف على تموّجات متعاقبة، وهو ما يعمّ المشافه به كما روي في حديث المعراج، والمهتف به كما اتّفق لموسى في طوى والطور، لكن عطف قوله: ﴿أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ عليه يخصّه بالأوّل؛ وقيل: المراد به الإلهام والإلقاء في الرّوع، والوحي المنزل به إلى الرّسل، فيكون المراد بقوله: ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ﴾ أو يرسل إليه نبيّاً فيبلغ إليه وحيه كما أمره، وعلى الأوّل المراد بالرسول الملك الموحي إلى الرسول[١].

﴿وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ﴾ أي قومه، لأنّهم كانوا أصهاره ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ فوجب وحلّ عليه وعيدي[٢] ﴿عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ القدماء لأنّهم أولى الأمم هلاكاً بعد نوح؛ وقيل: عاد الأولى قوم هود، وعاد الأخرى إرم ﴿فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ الفريقين ﴿أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ أي من الفريقين لأنّهم كانوا يؤذونه وينفرون عنه ويضربونه حتّى لا يكون به حراك ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ﴾ قرى قوم لوط ﴿أَهْوَىٰ﴾ بعد أن رفعها فقلبها ﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ فيه تهويلٌ وتعميمٌ لما أصابهم[٣].

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي الملائكة إلى الأنبياء، أو الأنبياء إلى الأمم ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ بالحجج ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ ليبيّن الحقّ ويميّز صواب العمل ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ ليسوّى به الحقوق ويقام به العدل، كما قال: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ إنزاله إنزال أسبابه والأمر بإعداده؛ وقيل: أنزل الميزان إلى نوح، ويجوز أن يراد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به الأعداء. ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتاب؛ وقيل: المراد بالكتاب الخطّ ﴿فَمِنْهُم﴾ أي من الذرّيّة أو من المرسل إليهم[٤].

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ في اللّوح ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾ أي بالحجّة[٥].

﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ أي الخطاء، أو بالفعلة، أو الأفعال ذات الخطاء ﴿أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾ زائدة في الشدّة زيادة أعمالهم في القبح[٦].

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾ قال الطبرسيّ: أي لا يطلع على الغيب أحداً من عباده ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ يعني الرّسل، فإنّه يستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب ليكون آية معجزة لهم، ومعناه: إلاّ من ارتضاه واختاره للنبوّة والرسالة، فإنّه يطلعه على ما شاء من غيبه ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ والرّصد: الطريق، أو جمع راصد بمعنى الحافظ، أي يجعل له إلى علم من كان قبله من الأنبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقاً، أو يحفظ الّذي يطّلع عليه الرّسول فيجعل بين يديه وخلفه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٩٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٧٧.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢١٠.
(٤) - (٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٤٨-٢٥٨.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣١٤.

تسترقه الشياطين فتلقيه إلى الكهنة؛ وقيل: رصداً من بين يدي الرسول ومن خلفه، وهم الحفظة من الملائكة يحرسونه عن شرّ الأعداءِ وكيدهم؛ وقيل: المراد به جبرئيل عليه السلام، أي يجعل من بين يديه ومن خلفه رصداً كالحجاب تعظيماً لما تحمّله من الرسالة، كما جرت عادة الملوك بأن يضمّوا إلى الرّسول جماعةً من خواصّهم تشريفاً له، وهذا كما روي أنّ سورة الأنعام نزلت ومعها سبعون ألف ملك ﴿لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ﴾ يعني الملائكة، قال سعيد ابن جبير: ما نزل جبرئيل بشيءٍ من الوحي إلاّ ومعه أربعةٌ من الملائكة حفظة فيعلم الرسول أن قد أبلغ الرّسالة على الوجه الّذي قد أُمر به؛ وقيل: ليعلم من كذّب الرسل أنّ الرّسل قد أبلغوا رسالات الله؛ وقيل: ليعلم محمّد أنّ الرّسل قبله قد أبلغوا رسالات ربّهم كما أبلغ هو إذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله وقيل: ليعلم الله أن قد أبلغوا، ومعناه: ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالماً به؛ وقيل أراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم إبلاغهم توسّعاً، كما يقول الإنسان: ما علم الله ذلك منّي أي ما كان ذلك أصلاً، لأنّه لو كان لعلمَ الله ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ أي أحاط الله علماً بما لدى الأنبياءِ والخلائق ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ أي أحصى ما خلق الله وعرف عددهم، لم يفته علم شيء حتّى مثاقيل الذرّ والخردل[1].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ أي هل بلغك أخبار الجنود الّذين تجنّدوا على أنبياءِ الله؟ وقيل: أراد قد أتاك[2].

﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أي فجعل سوطه الّذي ضربهم به العذاب، أو قسط عذاب كالعذاب بالسوط الّذي يعرف مقدار ما عذّبوا به، وقيل: أجرى على العذاب اسم السوط مجازاً، شبّه الله العذاب الّذي أحلّه بهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب[3].

١ - **فس**: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ قال: قبل نوح على مذهب واحد فاختلفوا فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين[4].

٢ - **فس**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ الآية، لفظ الآية عامّ ومعناه خاصّ وإنّما فضّلهم على عالمي زمانهم. وقال العالم عليه السلام: نزل: «وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين» فأسقطوا آل محمّد من الكتاب[5].

٣ - **فس**: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى﴾ أي أنّ عيسى عليه السلام لم يقل للناس: إنّي خلقتكم فكونوا عباداً لي من دون الله ﴿وَلَٰكِن﴾ قال لهم: ﴿كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ أي علماء. قوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ قال: كان قوم يعبدون الملائكة وقوم من النصارى زعموا أنّ عيسى ربّ، واليهود قالوا: عزير ابن الله، فقال الله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا﴾[6].

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٥٥.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣١٩.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٥١.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٧٩.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ١٠٨.
(٦) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٤.

٤ - **فس:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ﴾ الآية، فإنّ الله أخذ ميثاق نبيّه ﷺ على الأنبياءِ أن يؤمنوا به وينصروه، ويخبروا أممهم بخبره، حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً من لدن آدم فهلمّ جرّاً إلاّ ويرجع إلى الدّنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ يعني برسول الله ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ أمير المؤمنين عليه السلام، ثمّ قال لهم في الذرّ: ﴿ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ أي عهدي ﴿قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ﴾ الله للملائكة ﴿فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ وهذه مع الآية الّتي في سورة الأحزاب في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ والآية الّتي في سورة الأعراف قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ قد كتب هذه الثلاث آيات في ثلاث سور(١).

٥ - **فس:** ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ﴾ يعني الأنبياء الّذين قد تقدّم ذكرهم ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني أصحابه وقريشاً والّذين أنكروا بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ يعني شيعة أمير المؤمنين(٢).

٦ - **فس:** ﴿فَرَدُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني في أفواه الأنبياءِ، وحدّثني أبي رفعه إلى النبيّ ﷺ قال: من آذى جاره طمعاً في مسكنه ورّثه الله داره. وهو قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ قوله: ﴿وَٱسْتَفْتَحُواْ﴾ أي دعوا ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أي خسر، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: العنيد: المعرض عن الحقّ(٣).

٧ - **فس:** ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ أي أجلٌ مكتوب(٤).

٨ - **فس:** ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ وهو الرديء، والدليل على ذلك قوله: ﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾(٥).

٩ - **فس:** ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي كيف يؤمنون ولم يؤمن من كان قبلهم بالآيات حتّى هلكوا؟ ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ﴾ قال: آل محمّد(٦).

١٠ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن جعفر، عن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ يعني كسّرنا تكسيراً، قال: هي بالقبطيّة(٧).

١١ - **فس:** ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ وهم قوم لوط ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ﴾

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٤.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢١٦.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٩.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٥.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٦.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٠.

وهم قوم شعيب وصالح ﴿وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ وهم قوم هود ﴿وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ فرعون وأصحابه، ثمّ قال عزّ وجلّ تأكيداً ورداً على المجبّرة ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1].

١٢ - فس: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ﴾ قال: هذه الواو زيادة في قوله: ﴿وَمِنكَ﴾ وإنّما هو «منك ومن نوح» فأخذ الله الميثاق لنفسه على الأنبياء، ثمّ أخذ لنبيّه على الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ثمّ أخذ للانبياء على رسول الله صلى الله عليه وآله[2].

١٣ - فس: ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ أي ليس هو وقت مفرّ[3].

١٤ - فس: ﴿وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ﴾ هم أصحاب الأنبياء الّذين تحزّبوا ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾ يعني يقتلوه ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ﴾ أي خاصموا ﴿لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ أي يبطلوه ويدفعوه[4]. قوله: ﴿مِن وَاقٍ﴾ أي من دافع[5].

١٥ - فس: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو في الرجعة إذا رجع رسول الله والأئمّة عليهم السلام؛ أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن عمر بن عبد العزيز، عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ قال: ذاك والله في الرجعة، أما علمت أنّ أنبياء كثيرة لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، والأئمّة من بعدهم قتلوا ولم ينصروا في الدّنيا، وذلك في الرجعة، وقال عليّ بن إبراهيم: الأشهاد: الأئمّة[6].

قوله: ﴿وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ يقول: أعمالاً في الأرض[7].

١٦ - فس: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ﴾ مخاطبة لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أي تعلّموا الدّين يعني التوحيد، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحجّ البيت، والسنن والأحكام الّتي في الكتب، والإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ أي لا تختلفوا فيه[8].

قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ قال: وحي مشافهة ووحي إلهام، وهو الّذي يقع في القلب ﴿أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ كما كلّم الله نبيّه صلى الله عليه وآله، وكما كلّم الله موسى من النار ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ قال: وحي مشافهة، يعني إلى الناس[9].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٧.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٥٢.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٠٢.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٩.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٠.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٢.
(٨) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٥.
(٩) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٢.

بيان: يمكن إرجاع ما ذكره إلى بعض ما مرّ في كلام المفسّرين بأن يكون قوله: ووحي إلهام عطف تفسير لقوله: وحي مشافهة، وقوله آخراً: وحي مشافهة المراد به وحي الملك، فإنّ النبيّ يشافه الملك، أو وحي الله إلى الملك، فيكون المشافهة بالمعنى الأوّل أو المراد وحي النبيّ إلى النّاس فإنّ سماع الناس الوحي إنّما يكون مشافهة من النبيّ، ويؤيّده قوله: يعني إلى الناس، فعلى هذا يحتمل أن يكون المراد بوحي المشافهة في الأوّل وحي الملك مشافهةً إلى النبيّ، ولعلّ هذا أظهر المحتملات، وإرجاع الضمير المستتر في قوله ﴿فَيُوحِيَ﴾ على التقادير غير خفيّ على المتأمّل.

١٧ - **فس:** ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ قال: المؤتفكة: البصرة، والدليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: يا أهل البصرة ويا أهل المؤتفكة - إلى قوله عليه السلام -: ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة وتمام الثالثة في الرّجعة[1].

١٨ - **فس:** ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ قال: الميزان: الإمام[2].

عد: اعتقادنا في عدد الأنبياءِ أنّهم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ ومائة ألف وصيّ وأربعة وعشرون ألف وصيّ، لكلّ نبيّ منهم وصيّ، أوصى إليه بأمر الله تعالى، ونعتقد فيهم أنّهم جاؤوا بالحقّ من عند الحقّ، وأنّ قولهم قول الله تعالى، وأمرهم أمر الله تعالى، وطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله، وأنّهم عليهم السلام لم ينطقوا إلاّ عن الله تعالى عن وحيه؛ وأنّ سادة الأنبياءِ خمسة الّذين عليهم دارت الرحى، وهم أصحاب الشرائع من أتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدّمه، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى وعيسى، ومحمّد؛ وهم أُولو العزم صلوات الله عليهم، إنّ محمّداً سيّدهم وأفضلهم، جاء بالحقّ وصدّق المرسلين[3].

أقول: سيأتي الكلام في تفضيلهم على الملائكة في كتاب السماءِ والعالم.

١٩ - **مع:** ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن أحمد بن فضلان عن سليمان بن جعفر المروزيّ، عن ثابت بن أبي صفيّة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: قال أعرابيّ لرسول الله صلى الله عليه وآله: السلام عليك يا نبيء الله، قال: لست نبيء الله، ولكنّي نبيّ الله.

النبوّة لفظ مأخوذ من النبوة، وهو ما ارتفع من الأرض، فمعنى النبوّة الرفعة، ومعنى النبيّ الرفيع، سمعت ذلك من أبي بشر اللّغويّ بمدينة السلام[4].

بيان: قال الجزريّ: فيه: أنّ رجلاً قال له: يا نبيء الله، فقال لا تنبر اسمي فإنّما أنا نبيّ الله. النبيّ فعيل بمعنى فاعل للمبالغة من النبأ: الخبر، لأنّه أنبأ عن الله أي أخبر، ويجوز فيه

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٦.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٧.
(٣) اعتقادات الصدوق، ص ٩٦.
(٤) معاني الأخبار، ص ١١٣.

تحقيق الهمزة وتخفيفه، يقال: نبأ ونبّأ وأنبأ، قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلاّ ويقول: تنبّأ مسيلمة - بالهمز - غير أنّهم تركوا الهمز في النبيّ كما تركوه في الذرّيّة والبريّة والخابية إلاّ أهل مكّة فإنّهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك.

قال الجوهريّ: يقال: نبأت على القوم: إذا طلعت عليهم، ونبأت من أرض إلى أرض إذا خرجت من هذه إلى هذه، قال: وهذا المعنى أراد الأعرابيّ بقوله: يا نبيء الله، لأنّه خرج من مكّة إلى المدينة، فأنكر عليه الهمز لأنّه ليس من لغة قريش، وقيل: إنّ النبيّ مشتقّ من النباوة وهي الشيء المرتفع.

وقال الجزريّ في النبر بالراءِ المهملة: فيه: قيل له: يا نبيء الله، فقال: إنّا معشر قريش لا ننبر، وفي رواية: لا تنبر باسمي، النبر: همز الحروف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها.

٢٠ - يد: الدقّاق، عن أبي القاسم العلويّ، عن البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القميّ، عن الفقيميّ، عن هشام بن الحكم قال: سأل الزّنديق الّذي أتى أبا عبد الله عليه السلام فقال: من أين أثبتُّ أنبياء ورسلاً؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّا لمّا أثبتنا أنّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجز أن يشاهده خلقه ولا يلامسوه، ولا يباشرهم ولا يباشروه، ويحاجّهم ويحاجّوه، فثبت أنّ له سفراء في خلقه يدلّونهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم، فثبت الآمرون والنّاهون عن الحكيم العليم في خلقه، وثبت عند ذلك أنّه له معبّرين وهم الأنبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدّبين بالحكمة، مبعوثين بها، غير مشاركين للناس في أحوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيّدين من عند الحكيم العليم بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من إحياء الموتى وإبراءِ الأكمه والأبرص، فلا تخلو أرض الله من حجّة يكون معه علمٌ يدلّ على صدق مقال الرسول ووجوب عدالته[1].

ع: حمزة بن محمّد العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن العبّاس بن عمر الفقيميّ مثله[2]

ج: مرسلاً مثله «ص ٣٧٧».

٢١ - ل، لي: بالإسناد إلى دارم، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: خلق الله عزّ وجلّ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ أنا أكرمهم على الله ولا فخر، وخلق الله عزّ وجلّ مائة ألف وصيّ وأربعة وعشرين ألف وصيّ فعلي أكرمهم على الله وأفضلهم.

قال دارم: وحدّثني بذلك عبد الله بن محمّد بن سليمان بن عبد الله بن الحسن، عن أبيه، عن جدّه، عن زيد بن عليّ، عن أبيه عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام[3].

---

(١) التوحيد للصدوق، ص ٢٤٩ باب ٣٦ ح ١. (٢) علل الشرائع ج ١ ص ١٢١ باب ٩٩ ح ٣.
(٣) الخصال، ص ٦٤١ باب ما بعد الألف ح ١٨ وأمالي الصدوق، ص ١٩٦ مجلس ٤١ ح ١١.

٢٢ - ما: ابن بسران، عن عثمان بن أحمد بن الدقّاق، عن الحسن بن سلام السوّاق، عن زكريّا بن عديّ، عن مسلم بن خالد، عن زياد بن سعد، عن محمّد بن المنكدر، عن صفوان ابن سليم، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: بعثت على أثر ثمانية آلاف نبيّ، منهم أربعة آلاف من بني إسرائيل[١].

بيان: لعلّ المراد هنا عظماء الأنبياء عليهم السلام لئلاّ ينافي الخبر السابق واللاّحق.

٢٣ - شي: عن عبد الله بن سنان قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ قال: كانوا أمّة واحدةً فبعث الله النبيّين ليتخذ عليهم الحجّة[٢].

بيان: ذكر المفسّرون أنّ المراد بجعلهم أمّةً واحدةً جبرهم على الإسلام ليكونوا جميعاً مسلمين، وقوله عليه السلام: «كانوا أمة واحدة» لعلّه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية، وظاهره أنّ المراد أنّهم كانوا جميعاً على الشرك والضلالة، ولو شاء لتركهم كذلك ولكن بعث الله النبيّين ليتّخذ عليهم الحجّة، فأسلم بعضهم فلذا صاروا مختلفين، وإن احتمل أن يكون المراد أنّهم كانوا في زمن آدم عليه السلام في بدء التكليف كلّهم مؤمنين.

ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن النضر، عن ابن سنان مثله[٣].

٢٤ - مع، ل: عليّ بن عبد الله الأسواريّ، عن أحمد بن محمّد بن قيس، عن عمرو بن حفص عن عبد الله بن محمّد بن أسد، عن الحسين بن إبراهيم، عن يحيى بن سعيد البصريّ، عن ابن جريح، عن عطاء، عن عتبة اللّيثيّ، عن أبي ذرّ رحمه الله قال: قلت: يا رسول الله كم النبيّون؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبيّ، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال: ثلاث مائة وثلاثة عشر جمّاً غفيراً، قلت: من كان أوّل الأنبياء؟ قال: آدم، قلت: وكان من الأنبياء مرسلاً؟ قال: نعم، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه. ثمّ قال: يا أباذرّ أربعة من الأنبياء سريانيّون: آدم، وشيث، وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح. وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيّك محمّد ﷺ. وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى، وستّمائة نبيّ. قلت: يا رسول الله كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب: أنزل الله تعالى على شيث عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان؛ الخبر[٤].

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٣٩٧ مجلس ١٤ ح ٨٨٠.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٠ ح ٨١ من سورة هود.
(٣) علل الشرائع ج ١ ص ١٢١ باب ٩٩ ح ٢.
(٤) معاني الأخبار، ص ٣٣٣ والخصال ص ٥٢٤ باب العشرون ح ١٣.

بيان: قال الجزريّ: في حديث أبي ذرّ قلت: يا رسول الله كم الرسل؟ قال: ثلاث مائه وخمسة عشر، وفي رواية: ثلاث عشر جمّ الغفير، هكذا جاءت الرّواية، قالوا: والصواب جمّاً غفيراً، والجماء الغفير وجمّاء غفيراً أي مجتمعين كثيرين، ثمّ قال: وأصل الكلمة من الجموم والجمّة، وهو الاجتماع والكثرة. والغفير من الغفر وهو التغطية والستر، فجعلت الكلمتان في موضع الشمول والإحاطة.

وقوله ﷺ: (وستمائة نبيّ) يحتمل أن يكون معطوفاً على عيسى أي ستّمائة نبيّ بعد عيسى، ويمكن أن يكون المراد إنّه كان غير موسى وعيسى من أنبياء بني إسرائيل ستّمائة نبيّ، فالمراد عظماؤهم لئلاّ ينافي الخبر السابق.

٢٥ - **مل:** أبي وجماعة مشايخي، عن سعد، عن الحسن بن عليّ الزيتونيّ وغيره، عن أحمد بن هلال، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، والحسن بن محبوب، عن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قالا: من أحبّ أنّ يصافحه مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن عليّ عليه السلام في النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيّين عليهم السلام يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، منهم خمسة أولو العزم من الرسل؛ قلنا: من هم؟ قال: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ، قلنا له: ما معنى أولو العزم؟ قال: بعثوا إلى شرق الأرض وغربها، جنّها وإنسها[1].

بيان: يدلّ على أنّ موسى وعيسى عليهما السلام كانا مبعوثين إلى كافّة الخلق، وينافيه بعض الأخبار.

٢٦ - **ل:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن البزنطيّ، عن أبان، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أولو العزم من الرسل خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد صلّى الله عليهم أجمعين[2].

٢٧ - البرسيّ في مشارق الأنوار، عن عليّ بن عاصم الكوفيّ قال: دخلت على أبي محمّد العسكريّ عليه السلام فقال لي: يا عليّ انظر إلى ما تحت قدميك فإنّك على بساط قد جلس عليه كثير من النبيّين والمرسلين والأئمّة الرّاشدين، ثمّ قال: ادن منّي فدنوت منه، فمسح يده على وجهي فصرت بصيراً، قال: فرأيت في البساط أقداماً وصوراً، فقال: هذا أثر قدم آدم عليه السلام وموضع جلوسه، وهذا أثر هابيل، وهذا أثر شيث، وهذا أثر نوح، وهذا أثر قيدار، وهذا أثر مهلائيل، وهذا أثر يارة، وهذا أثر خنوح وهذا أثر إدريس، وهذا أثر متوشلخ وهذا أثر سام، وهذا أثر أرفخشد، وهذا أثر هود، وهذا أثر صالح، وهذا أثر

(١) كامل الزيارات، ص ٣٣٣ باب ٧٢ ح ٢. (٢) الخصال، ص ٣٠٠ باب الخمسة ح ٧٣.

لقمان، وهذا أثر إبراهيم، وهذا أثر لوط، وهذا أثر إسماعيل وهذا أثر إلياس، وهذا أثر إسحاق، وهذا أثر يعقوب، وهذا أثر يوسف، وهذا أثر شعيب وهذا أثر موسى، وهذا أثر يوشع بن نون، وهذا أثر طالوت، وهذا أثر داود، وهذا أثر سليمان، وهذا أثر الخضر، وهذا أثر دانيال، وهذا أثر اليسع، وهذا أثر ذي القرنين الإسكندر، وهذا أثر شابور بن أردشير، وهذا أثر لوي، وهذا أثر كلاب، وهذا أثر قصيّ وهذا أثر عدنان، وهذا أثر عبد مناف، وهذا أثر عبد المطّلب، وهذا أثر عبد الله وهذا أثر سيّدنا رسول الله ﷺ وهذا أثر أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا أثر الأوصياء من بعده إلى المهديّ عليه السلام لأنّه قد وطئ وجلس عليه، ثمّ قال: انظر إلى الآثار، واعلم أنّها آثار دين الله، وأنّ الشاكّ فيهم كالشّاكّ في الله، ومن جحد فيهم كمن جحد الله ثمّ قال: اخفض طرفك يا عليّ، فرجعت محجوباً كما كنت[1].

٢٨ - ن: الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: إنّما سمّي أولو العزم أولي العزم لأنّهم كانوا أصحاب العزائم والشرائع، وذلك أنّ كلّ نبيّ كان بعد نوح عليه السلام كان على شريعته ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن إبراهيم الخليل، وكلّ نبيّ كان في أيّام إبراهيم وبعده كان على شريعة إبراهيم ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى زمن موسى، وكلّ نبيّ كان في زمن موسى وبعده كان على شريعة موسى ومنهاجه وتابعاً لكتابه إلى أيّام عيسى وكل نبيّ كان في أيّام عيسى وبعده كان على منهاج عيسى وشريعته وتابعاً لكتابه إلى زمن نبيّنا محمّد ﷺ فهؤلاء الخمسة أولو العزم وهم أفضل الأنبياء والرّسل عليهم السلام، وشريعة محمّد لا تنسخ إلى يوم القيامة، ولا نبيّ بعده إلى يوم القيامة، فمن ادّعى بعده نبوّة أو أتى بعد القرآن بكتاب فدمه مباحٌ لكلّ من سمع ذلك منه[2].

٢٩ - ص: في رواية سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ قال: هم أصحاب الكتب، إنّ نوحاً جاء بشريعة؛ وذكر مثل ما مرّ[3].

بيان: كون هؤلاء الخمسة عليهم السلام أولي العزم هو المرويّ في أخبارنا المستفيضة، وروى المخالفون أيضاً عن ابن عبّاس وقتادة؛ وذهب بعضهم إلى أنّهم ستّة: نوح، وإبراهيم وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيّوب، وقيل: هم الّذين أمروا بالجهاد والقتال، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا في الدّين؛ وقيل: هم أربعة: إبراهيم، ونوح، وهود ورابعهم محمّد ﷺ ولا عبرة بأقوالهم بعد ورود النصوص المعتبرة عن أهل البيت عليهم السلام.

٣٠ - فس: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى بن مريم عليهم السلام، ومعنى ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ أنّهم سبقوا الأنبياء إلى الإقرار بالله وأقرّوا بكلّ

---

(١) مشارق أنوار اليقين، ص ١٠٠.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٦ باب ٢٢ ح ١٣.

(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٧٧.

نبيّ كان قبلهم وبعدهم، وعزموا على الصبر مع التكذيب لهم والأذى[1].

٣١ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن المفضّل بن صالح، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ قال: عهد إليه في محمّد والأئمّة من بعده فترك، ولم يكن له عزم فيهم أنّهم هكذا، وإنّما سمّي أولو العزم لأنّهم عهد إليهم في محمّد والأوصياء من بعده والمهديّ وسيرته فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به[2].

فس: أبي، عن ابن عيسى مثله[3].

بيان: لعلّ المراد عدم الاهتمام والعزم التامّ الّذي كان مندوباً إليه في مثل ذلك.

٣٢ - ل، ن، ع: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن خمسة من الأنبياء تكلّموا بالعربيّة، فقال: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمّد صلى الله عليه وآله. وسأله مَن ولد من الأنبياء مختوناً؟ فقال: خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله. وسأله عن ستّة لم يركضوا في رحم، فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم وطار بإذن الله عزّ وجلّ. وسأله عن ستّة من الأنبياء لهم اسمان فقال: يوشع بن نون وهو ذو الكفل، ويعقوب وهو إسرائيل، والخضر وهو تاليا، ويونس وهو ذو النون، وعيسى وهو المسيح، ومحمّد وهو أحمد صلى الله عليه وآله[4].

بيان: كون ذي الكفل هو يوشع عليه السلام خلاف المشهور، ولكنّه أحد الأقوال فيه، وسيأتي في باب ذكر أحواله عليه السلام تحقيق ذلك، قال الرّازيّ في تفسير الكبير: قيل: إنّ ذا الكفل زكريّا، وقيل: يوشع، وقيل: إلياس، ثمّ قالوا: خمسة من الأنبياء عليهم السلام سمّاهم الله باسمين: إسرائيل ويعقوب، إلياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمّد وأحمد عليهم السلام انتهى.

وقال بعض المؤرّخين: إنّه حزقيل، وقيل: إنّه وصيّ اليسع بن اخطوب.

٣٣ - ل: ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليشكريّ، عن محمّد بن زياد الأزديّ عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن سفيان بن أبي ليلى، عن الحسن بن عليّ عليه السلام في حديث طويل إنّ ملك الرّوم سأله عن سبعة أشياء خلقها الله عزّ وجلّ لم تخرج من رحم، فقال:

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٥.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٨ باب ١٠١ ح ١.

(٣) تفسير القمي ح ٢ ص ٣٩.

(٤) الخصال، ص ٣١٩ باب الخمسة ح ١٠٣ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١. وعلل الشرائع، ص ٣١٧ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وناقة صالح وحيّة الجنّة والغراب الّذي بعثه الله عزّوجلّ يبحث في الأرض وإبليس لعنه الله[١].

فس: الحسين بن عبد الله السكينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه صلوات الله عليهم مثله[٢].

٣٤ - **مص:** قال الصادق عليه السلام: إنّ الله عزّوجلّ مكّن أنبياءه من خزائن لطفه وكرمه ورحمته، وعلّمهم من مخزون علمه، وأفردهم من جميع الخلائق لنفسه، فلا يشبه أخلاقهم وأحوالهم أحد من الخلائق أجمعين، إذ جعلهم وسائل سائر الخلق إليه، وجعل حبّهم وطاعتهم سبب رضاه، وخلافهم وإنكارهم سبب سخطه، وأمر كلّ قوم باتّباع ملّة رسولهم، ثمّ أبى أن يقبل طاعة أحد إلاّ بطاعتهم ومعرفة حقّهم وحرمتهم ووقارهم وتعظيمهم وجاههم عند الله؛ فعظّم جميع أنبياءِ الله، ولا تنزلهم بمنزلة أحد من دونهم، ولا تتصرّف بعقلك في مقاماتهم وأحوالهم وأخلاقهم إلاّ ببيان محكم من عند الله وإجماع أهل البصائر بدلائل تتحقّق بها فضائلهم ومراتبهم، وأنّى بالوصول إلى حقيقة ما لهم عند الله؟ وإن قابلت أقوالهم وأفعالهم بمن دونهم من الناس أجمعين فقد أسأت صحبتهم، وأنكرت معرفتهم، وجهلت خصوصيّتهم بالله، وسقطت عن درجة حقيقة الإيمان والمعرفة، فإيّاك ثمّ إيّاك[٣].

٣٥ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن الحسين بن عليّ، عن عمرو بن أبي المقدام، عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام له يقول فيه: الحمد لله المحتجب بالنور دون خلقه في الأفق الطامح، والعزّ الشامخ، والملك الباذخ، فوق كلّ شيء علا، ومن كلّ شيء دنا، فتجلّى لخلقه من غير أن يكون يُرى، وهو يَرى وهو بالمنظر الأعلى، فأحبّ الاختصاص بالتوحيد إذ احتجب بنوره، وسما في علوّه، واستتر عن خلقه، لتكون له الحجّة البالغة، وابتعث فيهم النبيّين مبشّرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيى من حيّ عن بيّنة، وليعقل العباد عن ربّهم ما جهلوا، وعرفوه بربوبيّته بعدما أنكروا، ويوحّدوه بالإلهيّة بعدما أضدوه[٤].

بيان: المحتجب بالنور أي بكونه نوراً، أي مجرّداً لا تدركه الحواسّ والعقول فليس حجابه إلاّ تقدّسه وكماله. والطامح والشامخ: المرتفع. والباذخ: العالي، والفقرات الثلاث كنايات عن أنّه تعالى أرفع من أن يدرك بالحواسّ والأوهام والعقول.

فوق كلّ شيء علا أي قدرة وشرفاً. ومن كلّ شيء دنا أي لطفاً وجوداً ورحمةً وتربيةً. فتجلّى أي ظهر لخلقه بإظهار جوده وقدرته وعلمه في كلّ شيء. والمنظر: الموضع المرتفع

---

(١) الخصال، ص ٣٥٣ باب السبعة ح ٣٤.
(٢) تفسير القمي ج ١ ص ٢٤٤.
(٣) مصباح الشريعة، ص ٦١ باب ٢٧.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٥ باب ٩٩ ح ١.

الّذي ينظر إليه، أي هو بمحلّ من الرّفعة والعلوّ هو أعلى من أنّ يدركه أبصار العقول، فأحبّ واقتضى حكمته البالغة أن يعرفه خلقه بالتوحيد ويخصّوه به، ولم يكن ذلك ممكناً إلاّ بإرسال الرّسل لما قد تمهّد من كمال علوّه ونهاية سموّه وانحطاط درجة المكلّفين وجهلهم وعجزهم، فلذا جعل بينه وبين خلقه سفراء يفيض عليهم من جهة كمالهم، ويفيضوا على الخلق من جهة بشريّتهم ومجانستهم لهم. وقد أوردنا تحقيق ذلك على وجه أبسط في الفوائد الطريفة.

٣٦ - شي: عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان ما بين نوح من الأتقياء مستخفين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن، فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء وهو قول الله: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ يعني لم أسمّ المستخفين كما سمّيت المستعلنين من الأنبياء[١].

٣٧ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن عمّه النوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأله رجل فقال: لأيّ شيء بعث الله الأنبياء والرسل إلى الناس؟ فقال: لئلاّ يكون للناس على الله حجّة من بعد الرّسل، ولئلاّ يقولوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير، ولتكون حجّة الله عليهم، ألا تسمع الله عزّ وجلّ يقول حكايةً عن خزنة جهنّم واحتجاجهم على أهل النار بالأنبياء والرّسل: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾[٢].

٣٨ - يه: عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن حميد، عن ابن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ اسم النبيّ صلى الله عليه وآله في صحف إبراهيم الماحي، وفي توراة موسى الحادّ، وفي إنجيل عيسى أحمد، وفي الفرقان محمّد؛ قيل: فما تأويل الماحي؟ فقال: الماحي صورة الأصنام، وماحي الأوثان والأزلام وكلّ معبود دون الرّحمن؛ قيل: فما تأويل الحادّ؟ قال: يحادُّ من حادَّ الله ودينه قريباً كان أو بعيداً؛ قيل: فما تأويل أحمد؟ قال: حسن ثناء الله عليه في الكتب بما حمد من أفعاله؛ قيل: فما تأويل محمّد؟ قال: إنّ الله وملائكته وجميع أنبيائه ورسله وجميع أممهم يحمدونه ويصلون عليه، وإنّ اسمه المكتوب على العرش محمّد رسول الله. الحديث[٣].

٣٩ - ع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن غير واحد، عن الحسين بن نعيم الصحّاف: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيكون الرّجل مؤمناً قد ثبت له الإيمان ثمّ ينقله الله بعد الإيمان إلى الكفر؟ قال: إنّ الله هو العدل، وإنّما بعث الرسل ليدعوا الناس إلى الإيمان بالله، ولا يدعوا أحداً إلى الكفر، قلت: فيكون الرجل كافراً قد ثبت له الكفر عند الله فينقله الله بعد ذلك من الكفر إلى الإيمان؟ قال: الله عزّ وجلّ خلق الناس على الفطرة الّتي فطرهم الله

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣١١ ح ٣٠٥ من سورة النساء.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٧ باب ٩٩ ح ٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه، ص ٧٠٥ كتاب الوصية ح ٥٤٠٥.

عليها، لا يعرفون إيماناً بشريعة، ولا كفراً بجحود، ثمّ ابتعث الله الرسل إليهم يدعونهم إلى الإيمان بالله حجّةً لله عليهم، فمنهم من هداه الله ومنهم من لم يهده[١].

٤٠ - ع، ن: في علل الفضل، عن الرضا عليه السلام فإن قال: فلمَ وجب عليهم معرفة الرّسل والإقرار بهم والإذعان لهم بالطاعة؟ قيل: لأنّه لمّا لم يكن في خلقهم وقواهم ما يكملوا لمصالحهم وكان الصانع متعالياً عن أن يُرى وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهراً لم يكن بدٌّ من رسول بينه وبينهم معصوم يؤدّي إليهم أمره ونهيه وأدبه ويقفهم على ما يكون به إحراز منافعهم ودفع مضارّهم إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارّهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجيء الرّسول منفعةٌ ولا سدّ حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثاً لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الّذي أتقن كلّ شيء[٢].

٤١ - كا: عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن البزنطيّ، عن ثعلبة، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ما الرّسول وما النبيّ؟ قال: النبيّ الّذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الّذي يسمع الصوت ويرى المنام ويعاين الملك، قلت: الإمام ما منزلته؟ قال: يسمع الصوت ولا يرى ولا يعاين الملك، ثمّ تلا هذه الآية: «وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدَّث»[٣].

٤٢ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مرار قال: كتب الحسن بن العبّاس المعروفيّ إلى الرضا عليه السلام: جعلت فداك أخبرني ما الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام؟ قال: فكتب أو قال: الفرق بين الرسول والنبيّ والإمام أنّ الرسول الّذي ينزل عليه جبرئيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحي، وربّما رأى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، والنبيّ ربّما يسمع الكلام وربّما رأى الشخص ولم يسمع، والإمام هو الّذي يسمع الكلام ولا يرى الشخص[٤].

٤٣ - ير: أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن عبد الرّحمن بن بكير الهجريّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل وصيّ كان على وجه الأرض هبة الله بن آدم، وما من نبيّ مضى إلاّ وله وصيّ، كان عدد جميع الأنبياءِ مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ، خمسة منهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وإنّ عليّ بن

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٧ باب ٩٩ ح ٥.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٩٥ باب ١٨٢ ح ٩ وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٠٧ باب ٣٤ ح ١.
(٣) أصول الكافي، ج ١ ص ٩٩ كتاب الحجة باب الفرق بين الرسول والنبي ح ١.
(٤) المصدر السابق، ح ٢.

أبي طالب كان هبة الله لمحمّد، ورث علم الأوصياءِ وعلم من كان قبله، أما إنّ محمّداً ورث علم من كان قبله من الأنبياءِ والمرسلين[١].

بيان: أي كان بمنزلة هبة الله بالنسبة إلى محمّد صلى الله عليه وآله، أو كان عليه السلام هبةً وعطيّةً وهبه الله له.

٤٤ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عمّن ذكره، عن العلاءِ، عن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لم يبعث الله عزّوجلّ من العرب إلاّ خمسة أنبياء: هوداً، وصالحاً، وإسماعيل، وشعيباً، ومحمّداً خاتم النبيّين صلى الله عليه وآله[٢].

بيان: هذا الخبر وخبر الشاميّ يدلاّن على كون إسماعيل من العرب، ويظهر من خبر أبي ذرّ أنّه ليس منهم، وهذان أقوى سنداً منه لكون أكثر رجاله من العامّة لكن سيأتي خبر آخر عن الفضيل على وفق خبر أبي ذرّ، ويمكن الجمع بينهما بأن يكون إسماعيل قد يتكلّم بغير العربيّة أيضاً، أو يكون علّم قومه العربيّة، ولم يكونوا قبل ذلك عارفين بها. والله تعالى يعلم.

٤٥ - **ك:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق بن جرير، عن ابن أبي الديلم قال: قال الصادق عليه السلام: يا عبد الحميد إنّ لله رسلاً مستعلنين، ورسلاً مستخفين، فإذا سألته بحقّ المستعلنين فسله بحقّ المستخفين[٣].

ك: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن عيسى، وعليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن عمرو بن سعيد، عن الجريريّ، عن ابن أبي الديلم مثله.

٤٦ - **ص:** الصدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن جماعة، عن العلاءِ، عن الفضيل عن الصادق عليه السلام قال: لم يبعث الله من العرب إلاّ أربعة: هوداً، وصالحاً، وشعيباً، ومحمّداً صلوات الله عليهم[٤].

٤٧ - وروي أنّهم خمسة وإسماعيل بن إبراهيم منهم، وقال: إنّ الوحي ينزل من عند الله عزّوجلّ بالعربية، فإذا أتى نبيّاً من الأنبياءِ أتاه بلسان قومه[٥].

٤٨ - **ختص:** روي عن ابن عبّاس أنّه قال: أوّل المرسلين آدم، وآخرهم محمّد صلى الله عليه وآله وعليهم وكانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيّ، الرّسل منهم ثلاث مائة، وخمسة منهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليهم؛ وخمسة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمّد صلّى الله عليهم. وخمسة سريانيّون: آدم، وشيث وإدريس، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام

---

(١) بصائر الدرجات، ص ١٢٦ ج ٣ باب ٣ ح ١ من نوادر الباب.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٤٥. (٣) كمال الدين، ص ٣٢.

(٤) - (٥) قصص الأنبياء، ص ٢٧٨.

وأوّل أنبياءِ بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. والكتب الّتي أُنزلت على الأنبياءِ عليهم السلام مائة كتاب وأربعة كتب، منها على آدم خمسون صحيفة، وعلى إدريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشرون، وعلى موسى التوراة، وعلى داود الزّبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمّد الفرقان؛ صلّى الله عليهم[1].

٤٩ - ك: الطالقانيّ، عن أحمد بن محمّد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال عن أبيه، عن محمّد بن الفضيل، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ عهد إلى آدم عليه السلام أن لا يقرب الشجرة، فلمّا بلغ الوقت الّذي كان في علم الله تبارك وتعالى أن يأكل منها نسي فأكل منها، وهو قول الله تبارك تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾[2] فلمّا أكل آدم من الشجرة أُهبط إلى الأرض فولد له هابيل وأخته توأم، وولد له قابيل وأخته توأم، ثمّ إنّ آدم أمر هابيل وقابيل أن يقرّبا قرباناً، وكان هابيل صاحب غنم، وكان قابيل صاحب زرع، فقرّب هابيل كبشاً وقرب قابيل من زرعه ما لم ينق، وكان كبش هابيل من أفضل غنمه وكان زرع قابيل غير منقّى، فتقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربان قابيل، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ الآية[3]، وكان القربان إذا قبل تأكله النار، فعمد قابيل فبنى لها بيتاً، وكان أوّل من بنى للنار البيوت، وقال: لأعبدنّ هذه النّار حتّى تقبل قرباني، ثمّ إنّ عدوّ الله إبليس قال لقابيل: إنّه تقبّل قربان هابيل ولم يتقبّل قربانك، وإن تركته يكون له عقبٌ يفتخرون على عقبك، فقتله قابيل، فلمّا رجع إلى آدم قال له: يا قابيل أين هابيل؟ فقال: ما أدري وما بعثتني له راعياً! فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولاً فقال: لعنت من أرض كما قبلت دم هابيل، فبكى آدم على هابيل أربعين ليلة.

ثمّ إنّ آدم سأل ربّه عزّ وجلّ أن يهب له ولداً فولد له غلامٌ فسمّاه هبة الله، لأنّ الله عزّ وجلّ وهبه له، فأحبّه آدم حبّاً شديداً، فلمّا انقضت نبوّة آدم عليه السلام واستكمل أيّامه أوحى الله تبارك وتعالى إليه أن يا آدم إنّه قد انقضت نبوّتك، واستكملت أيّامك فاجعل العلم الّذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوّة في العقب من ذرّيّتك عند ابنك هبة الله، فإنّي لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار النبوّة من العقب من ذرّيّتك إلى يوم القيامة، ولن أدع الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف به ديني وتعرف به طاعتي، فيكون نجاةً لمن يولد فيما بينك وبين نوح، وذكر آدم نوحاً وقال: إنّ الله تبارك وتعالى باعث نبيّاً اسمه نوح وإنّه يدعو إلى الله فيكذّبونه فيقتلهم الله بالطوفان، وكان بين آدم ونوح عشرة آباء كلّهم أنبياء الله، وأوصى آدم إلى هبة الله: أن من أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعه وليصدّق به فإنّه ينجو من الغرق.

---

(١) الاختصاص، ص ٢٦٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

ثمّ إنّ آدم مرض المرضة الّتي قبض فيها فأرسل إلى هبة الله فقال له: إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكة فاقرئه السلام وقل له: إنّ أبي يستهديك من ثمار الجنّة، ففعل، فقال له جبرئيل: يا هبة الله إنّ أباك قد قبض، وما نزلت إلاّ للصلاة عليه فارجع، فرجع فوجد أباه قد قبض، فأراه جبرئيل كيف يغسّله فغسّله حتّى إذا بلغ الصلاة عليه قال هبة الله: يا جبرئيل تقدّم فصلّ على آدم، فقال له جبرئيل: يا هبة الله إنّ الله تبارك وتعالى أمرنا أن نسجد لأبيك في الجنّة، وليس لنا أن نؤمّ أحداً من ولده، فتقدّم هبة الله فصلّى على آدم وجبرئيل عليه السلام خلفه وحزب من الملائكة وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة، فأمر جبرئيل فرفع من ذلك خمس وعشرون تكبيرة، فالسنّة اليوم فينا خمس تكبيرات، وقد كان يكبّر على أهل بدر سبعاً وتسعاً.

ثمّ إنّ هبة الله لمّا دفن آدم أتاه قابيل فقال له: يا هبة الله إنّي قد رأيت آدم أبي قد خصّك من العلم بما لم أخصّ به، وهو العلم الّذي دعا به أخوك هابيل فتقبّل قربانه وإنّما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبي فيقولون: نحن أبناء الّذي تقبّل قربانه، وأنتم أبناء الّذي لم يتقبّل قربانه، وإنّك إن أظهرت من العلم الّذي اختصّك به أبوك شيئاً قتلتك كما قتلت أخاك هابيل، فلبث هبة الله والعقب منه مستخفين بما عندهم من العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة حتّى بعث نوح عليه السلام وظهرت وصيّة هبة الله حين نظروا في وصيّة آدم فوجدوا نوحاً قد بشّر به أبوهم آدم عليه السلام فآمنوا به واتّبعوه وصدّقوه، وقد كان آدم أوصى هبة الله أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة فيكون يوم عيد لهم، فيتعاهدون بعث نوح في زمانه الّذي بعث فيه، وكذلك جرى في وصيّة كلّ نبيّ حتّى بعث الله تبارك وتعالى محمّداً صلى الله عليه وآله وإنّما عرفوا نوحاً بالعلم الّذي عندهم وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ (١) إلى آخر الآية، وكان ما بين آدم ونوح من الأنبياء مستخفين ومستعلنين، ولذلك خفي ذكرهم في القرآن فلم يسمّوا كما سمّي من استعلن من الأنبياء، وهو قول الله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ (٢) يعني من لم يسمّهم من المستخفين كما سمّى المستعلنين من الأنبياء. فمكث نوح في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، لم يشاركه في نبوّته أحدٌ، ولكنّه قدم على قوم مكذّبين للأنبياء الّذين كانوا بينه وبين آدم، وذلك قوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٣) يعني من كان بينه وبين آدم إلى أن انتهى إلى قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

ثمّ إنّ نوحاً لمّا انقضت نبوّته واستكملت أيّامه أوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا نوح قد انقضت نبوّتك واستكملت أيّامك، فاجعل العلم الّذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة في العقب من ذرّيّتك عند سام، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الّذين بينك

---

(١) سورة هود، الآية: ٢٥. (٢) سورة النساء، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ١٠٥.

وبين آدم، ولن أدع الأرض إلاّ وعليها عالمٌ يعرف به ديني، وتعرف به طاعتي، ويكون نجاةً لمن يولد فيما بين قبض النبيّ إلى خروج النبيّ الآخر، وليس بعد سام إلاّ هود، فكان بين نوح وهود من الأنبياءِ مستخفين ومستعلنين.

وقال نوح: إنّ الله تبارك وتعالى باعث نبيّاً يقال له هود، وإنّه يدعو قومه إلى الله تبارك وتعالى فيكذّبونه، وإنّ الله عزّ وجلّ مهلكهم، فمن أدركه منكم فليؤمن به وليتّبعه، فإنّ الله عزّ ذكره ينجيه من عذاب الرّيح، وأمر نوح ابنه ساماً (سام خ) أن يتعاهد هذه الوصيّة عند رأس كلّ سنة، ويكون يوم عيد لهم فيتعاهدون فيه بعث هود وزمانه الّذي يخرج فيه، فلمّا بعث الله تبارك وتعالى هوداً نظروا فيما عندهم من العلم والإيمان وميراث العلم والاسم الأكبر وآثار علم النبوّة فوجدوا هوداً نبيّاً قد بشّرهم به أبوهم نوح، فآمنوا به وصدّقوه واتّبعوه، فنجوا من عذاب الرّيح وهو قول الله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾[1] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[2] وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾[3] وقوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ لنجعلها في أهل بيته ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾[4] لنجعلها في أهل بيته، فآمن العقب من ذرّيّة الأنبياءِ من كان قبل إبراهيم لإبراهيم، وكان بين هود وإبراهيم من الأنبياءِ عشرة أنبياء وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾[5] وقوله: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ﴾[6] سيهدين وقوله تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[7] فجرى بين كلّ نبيّ ونبيّ عشرة آباء وتسعة آباء، وثمانية آباء كلّهم أنبياء، وجرى لكلّ نبيّ ما جرى لنوح، وكما جرى لآدم وهود وصالح وشعيب وإبراهيم صلوات الله عليهم حتّى انتهى إلى يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ثمّ صارت بعد يوسف في الأسباط إخوته حتّى انتهت إلى موسى بن عمران وكان بين يوسف وموسى بن عمران عشرة من الأنبياءِ، فأرسل الله عزّ وجلّ موسى وهارون إلى فرعون وهامان وقارون، ثمّ أرسل الله الرّسل تترى ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾[8] فكانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم نبيّين وثلاثة وأربعة، حتّى أنّه كان يقتل في اليوم الواحد سبعون نبيّاً، ويقوم سوق بقلهم في آخر النهار فلمّا أُنزلت التوراة على موسى بن عمران تبشّر بمحمّد صلى الله عليه وآله وكان بين يوسف وموسى من الأنبياءِ عشرة، وكان وصيّ موسى بن عمران يوشع بن نون، وهو فتاه الّذي قال فيه عزّ وجلّ، فلم تزل الأنبياء تبشّر بمحمّد صلى الله عليه وآله وذلك قوله: ﴿يَجِدُونَهُ﴾ يعني اليهود والنصارى، يعني صفة محمّد واسمه ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.
(٢) سورة الشعراء، الآيتان: ١٢٣-١٢٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٧.
(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٤.
(٥) سورة هود، الآية: ٨٩.
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٢٦.
(٧) سورة العنكبوت، الآية: ١٦.
(٨) سورة المؤمنون، الآية: ٤٤.

فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1] وهو قول الله تعالى يحكي عن عيسى بن مريم: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2] فبشّر موسى وعيسى بمحمّد صلّى الله عليهم أجمعين كما بشّرت الأنبياء بعضهم بعضاً حتّى بلغت محمّداً ﷺ، فلمّا قضى محمّد ﷺ نبوّته واستكمل أيّامه أوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن يا محمّد قد قضيت نبوّتك، واستكملت أيّامك، فاجعل العلم الّذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة عند عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنّي لن أقطع العلم والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة من العقب من ذرّيّتك، كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء الّذين كانوا بينك وبين أبيك آدم، وذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٣٤﴾[3] فإنّ الله تبارك وتعالى لم يجعل العلم جهلاً، ولم يكل أمره إلى ملك مقرّب، ولا إلى نبيّ مرسل، ولكنّه أرسل رسولاً من ملائكته إلى نبيّه فقال له كذا وكذا، فأمره بما يحبّ ونهاه عمّا ينكر، فقصّ عليه ما قبله وما بعده بعلم فعلّم ذلك العلم أنبياؤه وأصفياؤه من الآباءِ والإخوان بالذرّيّة الّتي بعضها من بعض، فذلك قوله: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[4] فأمّا الكتاب فالنبوّة، وأمّا الحكمة فهم الحكماء من الأنبياءِ والأصفياءِ من الصفوة، وكلّ هؤلاءِ من الذرّيّة الّتي بعضها من بعض، الّذين جعل الله تبارك وتعالى فيهم النبوّة وفيهم العاقبة وحفظ الميثاق حتّى ينقضي الدنيا، فهم العلماء، وولاة الأمر وأهل استنباط العلم والهداة، فهذا بيان الفضل في الرّسل والأنبياءِ والحكماءِ وأئمّة الهدى والخلفاءِ الّذين هم ولاة أمر الله، وأهل استنباط علم الله، وأهل آثار علم الله عزّ وجلّ من الذرّيّة الّتي بعضها من بعض من الصفوة بعد الأنبياءِ من الآل والإخوان والذرّيّة من بيوتات الأنبياءِ، فمن عمل بعلمهم انتهى إلى إبراهيم فجاه بنصرهم، ومن وضع ولاية الله وأهل استنباط علمه في غير أهل الصفوة من بيوتات الأنبياءِ فقد خالف أمر الله، وجعل الجهّال ولاة أمر الله والمتكلّفين بغير هدى، وزعموا أنّهم أهل استنباط علم الله، فقد كذبوا على الله وزاغوا عن وصيّة الله وطاعته، فلم يضعوا فضل الله حيث وضعه الله تبارك وتعالى فضلّوا وأضلّوا أتباعهم، ولم يكن لهم يوم القيامة حجّة، إنّما الحجّة في آل إبراهيم لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ فالحجّة الأنبياءِ وأهل بيوتات الأنبياء حتّى تقوم الساعة، لأنّ كتاب الله عزّ وجلّ ينطق بذلك، ووصيّة الله خبّرت بذلك في العقب من البيوت الّتي رفعها الله تبارك وتعالى على الناس فقال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[5] وهي بيوت الأنبياءِ والرّسل الحكماءِ وأئمّة الهدى، فهذا بيان عروة الإيمان الّتي

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة الصف، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٣٣ و٣٤.
(٤) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٥) سورة النور، الآية: ٣٦.

نجا بها من نجا قبلكم، وبها ينجو من اتّبع الهدى وقد قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾[1] فإنّه وكلّ بالفضل من أهل بيته من الأنبياء والإخوان والذرّيّة، وهو قول الله عزّوجلّ في كتابه: فإن يكفر بها أمّتك يقول: فقد وكّلنا أهل بيتك بالإيمان الّذي أرسلتك به فلا يكفرون بها أبداً، ولا أضيع الإيمان الّذي أرسلتك به، وجعلت أهل بيتك بعدك علماً عنك وولاة من بعدك، وأهل استنباط علمي الّذي ليس فيه كذبٌ ولا إثمٌ ولا وزرٌ ولا بطرٌ ولا رئاء، هذا تبيان ما بيّنه الله عزّوجلّ من أمر هذه الأمّة بعد نبيّها، إنّ الله تبارك وتعالى طهّر أهل بيت نبيّه، وجعل لهم أجر المودّة، وأجرى لهم الولاية، وجعلهم أوصياءه وأحبّاءه وأئمته في أمّته من بعده، فاعتبروا أيّها الناس وتفكّروا فيما قلت حيث وضع الله عزّوجلّ ولايته وطاعته ومودّته واستنباط علمه وحجّته فإيّاه فتعلّموا، وبه فاستمسكوا تنجوا، ويكون لكم به حجّة يوم القيامة والفوز، فإنّهم صلةٌ بينكم وبين ربّكم، ولا تصل الولاية إلى الله عزّوجلّ إلاّ بهم، فمن فعل ذلك كان حقّاً على الله أن يكرمه ولا يعذّبه، ومن يأت بغير ما أمره كان حقّاً على الله أن يذلّه ويعذّبه.

وإنّ الأنبياء بعثوا خاصّةً وعامّةً، فأمّا نوح فإنّه أرسل إلى من في الأرض بنبوة عامّة ورسالة عامّة، وأمّا هود فإنّه أرسل إلى عاد بنبوّة خاصّة، وأمّا صالح فإنّه أرسل إلى ثمود قرية واحدة وهي لا تكمل أربعين بيتاً على ساحل البحر صغيرة وأمّا شعيب فإنّه أرسل إلى مدين وهي لا تكمل أربعين بيتاً، وأمّا إبراهيم فنبوّته بكوثى ربا، وهي قرية من قرى السواد فيها مبدأ أوّل أمره، ثمّ هاجر منها، وليست بهجرة قتال، وذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ فكانت هجرة إبراهيم عليه‌السلام بغير قتال.

وأمّا إسحاق فكانت نبوّته بعد إبراهيم، وأمّا يعقوب فكانت نبوّته في أرض كنعان ثمّ هبط إلى أرض مصر فتوفّي فيها، ثمّ حمل بعد ذلك جسده حتّى دفن بأرض كنعان، والرؤيا الّتي رأى يوسف الأحد عشر كوكباً والشمس والقمر له ساجدين، فكانت نبوّته في أرض مصر بدؤها، ثمّ كانت الأسباط اثني عشر بعد يوسف، ثمّ موسى وهارون إلى فرعون وملئه إلى مصر وحدها، ثمّ إنّ الله تعالى أرسل يوشع بن نون إلى بني إسرائيل من بعد موسى، فنبوّته بدؤها في البريّة الّتي تاه فيها بنو إسرائيل.

(١) سورة الأنعام، الآيات: ٨٤-٨٩.

ثمّ كانت أنبياء كثيرون: منهم من قصّه الله عزّ وجلّ على محمّد صلّى الله عليه وآله، ومنهم من لم يقصّه عليه.

ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ أرسل عيسى بن مريم إلى بني إسرائيل خاصّة فكانت نبوّته ببيت المقدّس، وكان من بعده الحواريّون اثني عشر، فلم يزل الإيمان يستسرُّ في بقيّة أهله منذ رفع الله عيسى عليه السلام، وأرسل الله تبارك وتعالى محمّداً صلّى الله عليه وآله إلى الجنّ والإنس عامّة، وكان خاتم الأنبياءِ، وكان من بعده الاثني عشر الأوصياء، منهم من أدركنا ومنهم من سبقنا، ومنهم من بقي، فهذا أمر النبوّة والرسالة، وكلّ نبيّ أرسل إلى بني إسرائيل خاصّ أو عامّ له وصيّ جرت به السنّة، وكان الأوصياء الّذين بعد محمّد صلّى الله عليه وآله على سنّة أوصياءِ عيسى، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على سنّة المسيح، وهذا تبيان السنّة وأمثال الأوصياءِ بعد الأنبياءِ[1].

شي: عن الثماليّ بعض الخبر مع اختصار[2]، ورواه في الكافي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمّد بن فضيل، عن الثماليّ[3].

بيان: قوله: (والاسم الأكبر) أي الاسم الأعظم أو كتب الأنبياءِ وعلومهم كما فسّر به في خبر أورده في الكافي. قوله عليه السلام: (وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ﴾) لعلّ المراد الإشارة إلى الآيات الدالّة على بعثة إبراهيم عليه السلام ومن آمن به من الأنبياءِ، لأنّ لوطاً عليه السلام كان بعثته بعد بعثة إبراهيم عليه السلام وكان معاصراً له لا متقدّماً عليه. قوله عليه السلام: (وجرى لكلّ نبيّ ما جرى لنوح) أي الوصيّة والأمر بتعاهدها وكتمانها.

قوله عليه السلام: (تترى) أي متواترين واحداً بعد واحد من الوتر وهو الفرد، والتاء بدل من الواو، والألف للتأنيث، لأنّ الرّسل جماعة ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا﴾ أي في الإهلاك ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ أي لم يبق منهم إلاّ حكايات يسمر بها.

قوله عليه السلام: (ويقوم سوق بقلهم) أي كانوا لا يبالون بذلك بحيث كان يقوم بعد قتل سبعين نبيّاً جميع أسواقهم حتّى سوق بقلهم إلى آخر النهار. قوله عليه السلام: (حتّى بلغت) أي سلسلة الأنبياءِ أو النبوّة أو البشارة.

قوله عليه السلام: (قد قضيت) على بناءِ الخطاب المعلوم، أو الغيبة المجهول. قوله عليه السلام: (وذلك قوله تعالى) أي آل إبراهيم هم آل محمّد صلّى الله عليه وآله، وهم الذرّيّة الّتي بعضها من بعض قوله عليه السلام: (لم يجعل العلم جهلاً) أي لم يجعل العلم مبنيّاً على الجهل، بأن يكون أمر الحجّة مجهولاً، أو لم يجعل العلم مخلوطاً بالجهل، بل لا بدّ أن يكون العالم عالماً بجميع ما يحتاج إليه الخلق.

---

(١) كمال الدين، ص ٢٠٤ باب ٢٢ ح ٢. (٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٣٨ ح ٧٨.

(٣) روضة الكافي ح ٩٢.

قوله عليه السلام (وفيهم العاقبة) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ قوله عليه السلام: (فهذا بيان الفضل) وفي الكافي: شأن الفضل، فيمكن أن يقرأ بضمّ الفاءِ وتشديد الضاد المفتوحة جمع فاضل.

قوله عليه السلام: (والمتكلّفين) عطف على الجهّال. قوله عليه السلام: (وزاغوا) أي مالوا وانحرفوا. قوله عليه السلام: (فإنّه وكل بالفضل) يمكن أن يقرأ (وكل) بالتخفيف، ويكون الباء بمعنى (إلى) والفضل على صيغة الجمع، أي وكل الإيمان والعلم إلى الأفضل من أهل بيته، وبالتشديد على سبيل القلب، أو بتخفيف الفضل فيكون قوله: من أهل بيته مفعولاً لقوله: وكل، أي وكل جماعة من أهل بيته بالفضل وهو العلم والإيمان. قوله عليه السلام: (على سنّة المسيح) أي بسبب افتراق الأمّة فيه ثلاث فرق.

٥٠ - **ير:** ابن يزيد، عن محمّد بن الحسين، عن حمّاد، عن حريز، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأنبياء على خمسة أنواع: منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة فيعلم ما عني به، ومنهم من يُنبَّأ في منامه مثل يوسف وإبراهيم عليهما السلام، ومنهم من يعاين، ومنهم من ينكت في قلبه ويوقر في أذنه[1].

شي: عن زرارة مثله.

بيان: لعلّه كان مكان خمسة أربعة، أو النقر في الأذن هو الخامس.

٥١ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن الحسن بن محبوب، عن الأحول قال: سمعت زرارة يسأل أبا جعفر عليه السلام قال: أخبرني عن الرّسول والنبيّ والمحدَّث: فقال أبو جعفر عليه السلام الرسول الّذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه فهذا الرسول، وأمّا النبيّ فإنّه يرى في منامه على نحو ما رأى إبراهيم، ونحو ما كان رأى رسول الله من أسباب النبوّة قبل الوحي حتّى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة، وكان محمّد صلى الله عليه وآله حين جمع له النبوّة وجاءته الرسالة من عند الله يجيئه بها جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً؛ ومن الأنبياءِ من جمع له النبوّة ويرى في منامه، يأتيه الرّوح فيكلّمه ويحدّثه من غير أن يكون رآه في اليقظة، وأمّا المحدَّث فهو الّذي يحدَّث فيسمع ولا يعاين ولا يرى في منامه[2].

بيان: اعلم أنّ العلماء اختلفوا في الفرق بين الرّسول والنبيّ فمنهم من قال: لا فرق بينهما، وأمّا من قال بالفرق فمنهم من قال: إنّ الرّسول من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه، والنبيّ غير الرّسول من لم ينزل عليه كتابٌ وإنّما يدعو إلى كتاب من قبله؛ ومنهم من قال: إنّ من كان صاحب المعجز وصاحب الكتاب ونسخ شرع من قبله فهو الرّسول، ومن لم يكن مستجمعاً لهذه الخصال فهو النبيّ غير الرّسول، ومنهم من قال: إنّ من جاءه الملك

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٤٦ ج ٨ باب ١ ح ٦.

(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٤٧ ج ٨ باب ١ ح ٩.

ظاهراً وأمره بدعوة الخلق فهو الرّسول، ومن لم يكن كذلك بل رأى في النوم فهو النبيّ، كذا ذكره الرّازيّ وغيره وقد ظهرلك من الأخبار فساد ما سوى القول الأخير لما قد ورد من عدد المرسلين والكتب، وكون من نسخ شرعه ليس إلاّ خمسة، فالمعوّل على هذا الخبر المؤيّد بأخبار كثيرة مذكورة في الكافي.

٥٢ - ير: محمّد بن هارون، عن أبي يحيى الواسطيّ، عن هشام بن سالم، ودرست بن أبي منصور الواسطيّ عنهما عليهما السلام قالا: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبيّ منبّأ في نفسه لا يعدو غيرها، ونبيّ يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاين في اليقظة ولم يبعث إلى أحد وعليه إمام، مثل ما كان إبراهيم على لوط، ونبيّ يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك وقد أرسل إلى طائفة قلّوا أو كثروا، كما قال الله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾(١) قال: يزيدون ثلاثين ألفاً، ونبيّ يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم، وقد كان إبراهيم عليه السلام نبيّاً وليس بإمام حتّى قال: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾(٢) بأنه يكون في ولده كلّهم ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى الظَّٰلِمِينَ﴾ أي من عبد صنماً أو وثناً(٣).

بيان: لعلّ التشبيه بلوط عليه السلام في محض كون الإمام عليه، فإنّه عليه السلام قد عاين الملك وبعث إلى قومه. قوله عليه السلام: (في ولده كلّهم) أي في كلّ صنف وقبيلة منهم، ويحتمل كون ﴿مِن﴾ في الآية ابتدائيّة.

٥٣ - ير: الحسن بن عليّ بن النعمان، عن يحيى بن عمر، عن أبان الأحمر، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّا معاشر الأنبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا، ونرى من خلفنا كما نرى بين أيدينا(٤).

٥٤ - سن: محمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن عبيد الله بن عبد الله الدّهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ إلاّ عاقلاً وبعض النبيّين أرجح من بعض، وما استخلف داود سليمان حتّى اختبر عقله، واستخلف داود سليمان وهو ابن ثلاثة عشر سنة، ومكث في ملكه أربعين سنة، وملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر، ومكث في ملكه ثلاثين سنة(٥).

٥٥ - سن: عثمان بن عيسى، عن سماعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ فقال: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلوات

---

(١) سورة الصافات، الآية: ١٤٧. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٤.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٣٤٩ ج ٨ باب ١ ح ٢٠.
(٤) بصائر الدرجات، ص ٣٩١ ج ٩ باب ١ ح ٨. (٥) المحاسن للبرقي، ص ١٩٣.

الله عليهم وعلى جميع أنبياءِ الله ورسله، قلت: كيف صاروا أولي العزم؟ قال: لأنّ نوحاً بعث بكتاب وشريعة، فكلّ من جاء بعد نوح أخذ بكتاب نوح وشريعته ومنهاجه حتّى جاء إبراهيم عليه السلام بالصحف وبعزيمة ترك كتاب نوح لا كفراً به، فكلّ نبيّ جاء بعد إبراهيم جاء بشريعته ومنهاجه وبالصحف حتّى جاء موسى بالتوراة وبعزيمة ترك الصحف، فكلّ نبيّ جاء بعد موسى أخذ بالتوراة وشريعته ومنهاجه حتّى جاء المسيح بالإنجيل وبعزيمة ترك شريعة موسى ومنهاجه، فكلّ نبيّ جاء بعد المسيح أخذ بشريعته ومنهاجه حتّى جاء محمّد صلى الله عليه وآله فجاء بالقرآن وشريعته ومنهاجه، فحلاله حلالٌ إلى يوم القيامة، وحرامه حرامٌ إلى يوم القيامة فهؤلاءِ أولو العزم من الرّسل(١).

٥٦ - سن: أبي، عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: كيف علمت الرسل أنّها رسلٌ؟ قال: كشف عنها الغطاء؛ الخبر(٢).

٥٧ - ختص: محمّد بن جعفر المؤدّب، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن عمر بن أبان، عن بعضهم قال: كان خمسة من الأنبياءِ سريانيّون: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم، وكان لسان آدم العربيّة، وهو لسان أهل الجنّة(٣)، فلمّا عصى ربّه أبدله بالجنّة ونعيمها الأرض والحرث، وبلسان العربيّة السريانيّة، قال: وكان خمسة عبرانيون: إسحاق ويعقوب وموسى وداود وعيسى، وخمسة من العرب: هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمّد صلى الله عليه وآله، وخمسة بعثوا في زمن واحد: إبراهيم وإسحاق ويعقوب ولوط، بعث الله إبراهيم وإسحاق إلى الأرض المقدّسة، وبعث يعقوب إلى أرض مصر، وإسماعيل إلى أرض جرهم وكانت جرهم حول الكعبة سكنت بعد عماليق، وسمّوا عماليق لأنّ أباهم كان عملاق بن لود بن سام بن نوح عليه السلام، وبعث لوط إلى أربع مدائن: سدوم وعامور وصنما وداروما؛ وثلاثة من الأنبياءِ ملوك: يوسف وداود وسليمان، وملك الدنيا مؤمنان وكافران: فالمؤمنان: ذو القرنين وسليمان عليه السلام، وأمّا الكافران فنمرود بن كوش بن كنعان وبخت نصّر(٤).

٥٨ - كا: العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن أبي داود، عن عبد الله بن أبان قال: دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام فسألنا: أفيكم أحد عنده علم عمّي زيد بن عليّ؟ فقال رجل من القوم: أنا عندي علم من علم عمّك: كنّا عنده ذات ليلة في دار معاوية بن إسحاق الأنصاريّ إذ قال: انطلقوا بنا نصلّي في مسجد السهلة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وفعل؟ فقال: لا، جاءه أمرٌ فشغله عن الذهاب، فقال: أما والله لو أعاذ الله به (له خ ل) حولاً لأعاذه، أما

(١) المحاسن، ص ٢٦٩.
(٢) المحاسن، ص ٣٢٨.
(٣) ويدل على ذلك تفسير قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ فإنه قال القمي: أي يتكلمون بالعربية [النمازي].
(٤) الاختصاص، ص ٢٦٤.

علمت أنّه موضع بيت إدريس النبيّ الّذي كان يخيط فيه، ومنه سار إبراهيم عليه السلام إلى اليمن بالعمالقة[١]، ومنه سار داود إلى جالوت، وإنّ فيه لصخرةً خضراء فيها مثال كلّ نبيّ، ومن تحت تلك الصخرة أُخذت طينة كلّ نبي، وإنّه لمناخ الرّاكب؟ قيل: من الراكب؟ قال: الخضر عليه السلام[٢].

٥٩ - يب: أحمد بن محمّد، عن يعقوب بن عبدالله، عن إسماعيل بن زيد، عن الكاهليّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: مسجد الكوفة صلّى فيه سبعون نبيّاً وسبعون وصيّاً أنا أحدهم[٣].

٦٠ - يب: عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير، عن أبي عبد الرحمن الحذّاء، عن أبي أسامة، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد كوفان صلّى فيه ألف نبيّ وسبعون نبيّاً، وفيه عصا موسى، وشجرة يقطين، وخاتم سليمان ومنه فار التنّور، ونجرت السفينة، وهي سرّة بابل، ومجمع الأنبياء[٤].

٦١ - قل: بالإسناد إلى محمّد بن داود القميّ بإسناده إلى الحسن بن محبوب، عن الثماليّ قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: من أحبّ أن يصافحه مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ فليزر الحسين عليه السلام ليلة النصف من شعبان، فإنّ أرواح النبيّين يستأذنون الله في زيارته فيأذن لهم، فطوبى لمن صافحهم وصافحوه! ومنهم خمسة أولو العزم من المرسلين: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمّد صلّى الله عليه وعليهم أجمعين، قلت: ولمَ سموا أولي العزم؟ قال: لأنّهم بعثوا إلى شرقها وغربها وجنّها وإنسها[٥].

٦٢ - فر: جعفر بن محمّد بن سعيد معنعناً عن أبي مريم قال: سمعت أبان بن تغلب قال: سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ قال: الرزق الحلال[٦].

٦٣ - ما: ابن عبدون، عن ابن الزّبير، عن عليّ بن فضّال، عن العبّاس بن عامر، عن عليّ ابن معمّر، عن رجل من جعفى قال: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل: اللّهمّ إنّي أسألك رزقاً طيّباً، قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: هيهات هيهات هذا قوت الأنبياء، ولكن سل ربّك

---

(١) في المجمع: والعمالقة من ولد عمليق (كقنديل) ابن لاوز بن ارم بن سام بن نوح وهم أمم تفرقوا في البلاد. وفي الفقيه: العمالقة الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم نوح وعاد. وفي دعاء السمات دعا يرشع عليهم حين حاربوه فأصبحوا موتى [النمازي].

(٢) الكافي، ج ٣ ص ٢٥٧ باب ٢٧٤ ح ١.

(٣) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٥٧٥ باب ٢٥ ح ٩ وللحديث صدر وذيل.

(٤) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٥٧٥ باب ٢٥ ح ١١.

(٥) اقبال الأعمال، ص ٢٢٥.

(٦) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٧٧ ح ٣٧٥.

رزقاً لا يعذّبك عليه يوم القيامة، هيهات إنّ الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾(١).

٦٤ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمّد، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: نزلت التوراة في ستّ مضت من شهر رمضان، ونزل الإنجيل في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر رمضان، ونزل الزبور في ليلة ثماني عشرة مضت من شهر رمضان، ونزل القرآن في ليلة القدر(٢).

٦٥ - **أقول:** في المصباح والإقبال في دعاءِ أمّ داود: اللّهمّ صلّ على هابيل وشيث وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط ولوط وشعيب وأيّوب وموسى وهارون ويوشع وميشا والخضر وذي القرنين ويونس وإلياس واليسع وذي الكفل وطالوت وداود وسليمان وزكريّا وشعيا ويحيى وتورخ ومتّى وأرميا وحيقوق ودانيال وعزير وعيسى وشمعون وجرجيس والحواريّين والأتباع وخالد وحنظلة ولقمان(٣).

٦٦ - **ختص:** محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن سعد، عن الحسن بن موسى، عن إسماعيل ابن مهران، عن عليّ بن عثمان، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: إنّ الأنبياء وأولاد الأنبياءِ وأتباع الأنبياءِ خصّوا بثلاث خصال: السقم في الأبدان، وخوف السلطان، والفقر(٤).

٦٧ - **ختص:** جماعة من أصحابنا، عن محمّد بن جعفر المؤدّب، عن عدّة من أصحابه عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن الحسن بن زياد، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا صفوان هل تدري كم بعث الله من نبي؟ قال: قلت: ما أدري قال: بعث الله مائة ألف نبيّ وأربعة وأربعين ألف نبيّ ومثلهم أوصياء بصدق الحديث وأداءِ الأمانة والزّهد في الدنيا، وما بعث الله نبيّاً خيراً من محمّد صلى الله عليه وآله، ولا وصيّاً خيراً من وصيّه(٥).

٦٨ - **ختص:** أحمد بن محمّد بن يحيى، عن أبيه، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عليّ بن مطهّر، عن الحسن بن الميثميّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أبو ذرّ: يا رسول الله كم بعث الله من نبيّ؟ فقال: ثلاث مائة ألف نبيّ وعشرين ألف نبيّ، قال: يا رسول الله فكم المرسلون؟ فقال: ثلاث مائة وبضعة عشر، قال: يا رسول الله فكم أنزل الله من كتاب؟ فقال: مائة كتاب وأربعة وعشرين كتاباً: أنزل على إدريس خمسين صحيفة، وهو أخنوخ، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأنزل على نوح وأنزل على إبراهيم عشراً، وأنزل التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمّد صلى الله عليه وآله(٦).

---

(١) الأمالي للطوسي، ص ٦٧٨ مجلس ٣٧ ح ١٤٣٨.

(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٧ باب ١١٣ ح ٥.

(٣) مصباح المتهجد، ص ٥٦٠ واقبال الأعمال ص ١٦٣.

(٤) الاختصاص، ص ٣١٢.

(٥) الاختصاص، ص ٢٦٣.

(٦) الاختصاص، ص ٢٦٤.

٦٩ -**ختص:** ابن عيسى، عن ابن معروف، عن ابن المغيرة، عن أبي حفص العبديّ عن أبي هارون العبديّ، عن أبي سعيد الخدريّ قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعته يقول يا عليّ ما بعث الله نبيّاً إلاّ وقد دعاه إلى ولايتك طائعاً أو كارهاً[1].

٧٠ -**نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة طويلة يذكر فيها آدم عليه السلام: فأهبطه إلى دار البلية، وتناسل الذرّيّة، واصطفى سبحانه من ولده أنبياء، أخذ على الوحي ميثاقهم وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه واتّخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة، رسل لا يقصّر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم، من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدّهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء إلى أن بعث الله سبحانه محمّداً لإنجاز عدته، وتمام نبوّته، إلى آخر الخطبة[2].

بيان: على الوحي أي على أدائه. واجتالتهم أي أدارتهم تارةً هكذا وتارةً هكذا. وواتر إليهم أي أرسلهم وتراً بعد وتر. والإضافة في دفائن العقول بتقدير (في) أي العلوم الكامنة في العقول، أو بيانيّة أي العقول المغمورة في الجهالات. والأوصاب: الأمراض. والأحداث: المصائب. على ذلك نسلت أي درجت ومضت.

٢ - باب نقش خواتيمهم وأشغالهم وأمزجتهم وأحوالهم في حياتهم وبعد موتهم صلوات الله عليهم

١ -**ن، لي:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن الحسن بن أبي العقبة عن الحسين بن خالد الصيرفيّ قال: قلت لأبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام، الرجل يستنجي وخاتمه في إصبعه، ونقشه: «لا إله إلاّ الله» فقال: أكره ذلك له، فقلت: جعلت فداك أوليس كان رسول الله صلى الله عليه وآله وكلّ واحد من آبائك عليهم السلام يفعل ذلك وخاتمة في إصبعه؟ قال: بلى، ولكن أُولئك كانوا يتختّمون في اليد اليمنى، فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم، قلت: ما كان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: ولمَ لا تسألني عمّن كان قبله؟ قلت: فإنّي أسألك، قال: كان نقش خاتم آدم: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله» هبط به معه.

وإنّ نوحاً لمّا ركب السفينة أوحى الله عزّ وجلّ إليه، يا نوح إن خفت الغرق فهلّلني ألفاً ثمّ

---

(١) الاختصاص، ص ٣٤٣.

(٢) نهج البلاغة، ص ٤٢ الخطبة الأولى.

سلني النجاة أنجك من الغرق ومن آمن معك، قال: فلمّا استوى نوح ومن معه في السفينة ورفع القلس عصفت الرّيح عليهم، فلم يأمن نوح الغرق فأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلّل ألف مرّة، فقال بالسريانيّة: «هلوليا ألفاً ألفاً يا ماريّا أتقن» قال: فاستوى القلس، واستمرّت السفينة، فقال نوح عليه السلام: إنّ كلاماً نجّاني الله به من الغرق لحقيقٌ أن لا يفارقني، قال: فنقش في خاتمه لا إله إلاّ الله ألف مرّة يا ربّ أصلحني.

قال: وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا وضع في كفّة المنجنيق غضب جبرئيل عليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ما يغضبك يا جبرئيل؟ قال: يا ربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره سلّطت عليه عدوّك وعدوّه؛ فأوحى الله إليه عزّ وجلّ: اسكت، إنّما يعجل العبد الّذي يخاف الفوت مثلك، فأمّا أنا فإنّه عبدي آخذه إذا شئت، قال: فطابت نفس جبرئيل عليه السلام فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك من حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا فأهبط الله عزّ وجلّ عندها خاتماً فيه ستّة أحرف، «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، لا حول ولا قوّة إلا بالله، فوّضت أمري إلى الله أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله» فأوحى الله جلّ جلاله إليه أن تختّم بهذا الخاتم فإنّي أجعل النّار عليك برداً وسلاماً.

قال: وكان نقش خاتم موسى عليه السلام حرفين اشتقّهما من التوراة: «اصبر تؤجر اصدق تنج» قال: وكان نقش خاتم سليمان عليه السلام: «سبحان من ألجم الجن بكلماته» وكان نقش خاتم عيسى عليه السلام حرفين اشتقّهما من الإنجيل: «طوبى لعبد ذكر الله من أجله وويل لعبد نسي الله من أجله» وكان نقش خاتم محمّد صلى الله عليه وآله: «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» وكان نقش خاتم أمير المؤمنين عليه السلام: «الملك لله» وكان نقش خاتم الحسن عليه السلام «العزّة لله» وكان نقش خاتم الحسين عليه السلام «إنّ الله بالغ أمره» وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يتختّم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام، وكان محمّد بن عليّ عليه السلام يتختّم بخاتم الحسين عليه السلام، وكان نقش خاتم جعفر بن محمّد عليه السلام «الله وليّي وعصمتي من خلقه» وكان نقش خاتم أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام «حسبي الله» قال الحسين بن خالد: وبسط أبو الحسن الرضا عليه السلام كفّه وخاتم أبيه عليه السلام في إصبعه حتّى أراني النقش[1].

٢ - ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن عبد الله بن أحمد، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: ما كان نقش خاتم آدم عليه السلام؟ فقال: لا إله إلا الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله، هبط به آدم معه من الجنّة. وساق الحديث إلى قوله: برداً وسلاماً[2].

---

(١) عيون اخبار الرضا، ج ٢ ص ٥٩ باب ٣٨ ح ٢٠٦، وأمالي الصدوق، ص ٣٦٩ مجلس ٧٠ ح ٥.
(٢) الخصال، ص ٣٣٥ باب الستة ح ٣٦.

بيان: قال الفيروزآباديّ: القلس: حبلٌ ضخم من ليف أو خوص أو غيرهما من قلوس سفن البحر. وما خرج من الحلق ملء الفم أو دونه. وغثيان النفس. وقذف الكأس والبحر امتلاءً، انتهى.

أقول: الظّاهر أنّ المراد هنا هو الأوّل، أي تسوية شراع السفينة، وإن احتمل الأخير على بعد. وضمير من أجله في الموضعين راجع إلى العبد، ويحتمل إرجاعه في الأوّل إلى الله إن قرئ على بناءِ المعلوم، ولا يخفى بعده.

٣ - **فس:** ياسر، عن أبي الحسن عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً إلاّ صاحب مرّة سوداء صافية[1].

بيان: لمّا كان صاحب هذه المرّة في غاية الحذق والفطانة والحفظ لكن قد يجامعها الخيالات الفاسدة والجبن والغضب والطيش فلذا وصفها عليه السلام بالصافية، أي صافية عن هذه الأمور الّتي تكون في غالب من استولى عليه هذه المرّة من الأخلاق الرديئة.

٤ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد الحسنيّ، عن جعفر بن محمّد بن عيسى، عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: رؤيا الأنبياء وحي[2].

٥ - **مع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عمّن ذكره، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ قال: يعني كسّرنا تكسيراً، قال: وهي بالنبطيّة[3].

٦ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن عطيّة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ لأنبيائه عليهم السلام من الأعمال الحرث والرعي، لئلاّ يكرهوا شيئاً من قطر السّماءِ[4].

٧ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن فضّال، عن مروان بن مسلم، عن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً قطّ حتّى يسترعيه الغنم يعلّمه بذلك رعيه الناس[5].

٨ - **ع:** بالإسناد إلى وهب في قصّة زكريّا عليه السلام: ثمّ بعث الله الملائكة فغسّلوا زكريّا وصلّوا عليه ثلاثة أيّام من قبل أن يدفن، وكذلك الأنبياء لا يتغيّرون ولا يأكلهم التراب، ويصلّى عليهم ثلاثة أيّام ثمّ يدفنون[6].

٩ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١١.
(٢) أمالي الطوسي، ص ٣٣٨ مجلس ١٢ ح ٦٨٩.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٢٠.
(٤) - (٥) علل الشرائع، ص ٤٦ ح ١ باب ٢٩ ح ١ و٢.
(٦) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠١ باب ٧١ ح ١.

كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ الآيات ﴿وَٱلزُّبُرِ﴾ هو كتب الأنبياء بالنبوّة ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ الحلال والحرام(١).

١٠ - **ك**: أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار معاً، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جدّه عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة، وعاش نوح ألفي سنة وأربع مائة سنة وخمسين سنة، وعاش إبراهيم عليه السلام مائة وخمساً وسبعين سنة، وعاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق بن إبراهيم عليه السلام مائة وثمانين سنة، وعاش يعقوب مائة سنة وعشرين سنة، وعاش يوسف مائة وعشرين سنة، وعاش موسى عليه السلام مائة وستّ وعشرين سنة، وعاش هارون مائة وثلاثين سنة، وعاش داود عليه السلام مائة سنة منها أربعون سنة ملكه، وعاش سليمان بن داود سبعمائة سنة واثني عشر سنة(٢).

١١ - **جا**: محمّد بن محمّد بن طاهرالموسويّ، عن ابن عقدة، عن يحيى بن زكريّا، عن محمّد بن سنان، عن أحمد بن سليمان القمّيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالجوع حتّى يموت جوعاً، وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالعطش حتّى يموت عطشاً، وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالعراءِ حتّى يموت عرياناً، وإن كان النبيّ من الأنبياءِ ليبتلى بالسّقم والأمراض حتّى تتلفه، وإن كان النبيّ ليأتي قومه فيقوم فيهم يأمرهم بطاعة الله ويدعوهم إلى توحيد الله، وما معه مبيت ليلة فما يتركونه يفرغ من كلامه ولا يستمعون إليه حتّى يقتلوه، وإنّما يبتلي الله تبارك وتعالى عباده على قدر منازلهم عنده(٣).

١٢ - **كا**: عدّةٌ من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن موسى بن عمر الصيقل، عن محمّد ابن عيسى، عن السكونيّ، عن عليّ بن إسماعيل الميثميّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله عزّ وجلّ نبيّاً إلاّ حسن الصوت(٤).

١٣ - **كا**: عدّةٌ من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه أو غيره، عن سعد ابن سعد، عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن عليه السلام قال: من أخلاق الأنبياءِ التنظّف والتطيّب وحلق الشعر وكثرة الطروقة(٥).

١٤ - **كا**: عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن ابن راشد، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: عشاء الأنبياءِ بعد العتمة(٦).

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٣٥. (٢) كمال الدين، ص ٤٧٤.
(٣) أمالي المفيد، ص ٣٩.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤١ باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن، ح ١٠.
(٥) الكافي، ج ٥ ص ٨٩٣ باب النوادر ح ٥٠. (٦) الكافي، ج ٦ ص ١٠٤٩ باب ٢١٤ ح ١.

١٥ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: ما من نبيّ إلاّ وقد دعا لأكل الشعير وبارك عليه، وما دخل جوفاً إلاّ وأخرج كلّ داءٍ فيه، وهو قوت الأنبياءِ وطعام الأبرار، أبى الله تعالى أن يجعل قوت أنبيائه إلاّ شعيراً(١).

١٦ - كا: عليّ بن محمّد بن بندار، عن أحمد بن عبدالله، عن عثمان بن عيسى، عن خالد ابن نجيح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السويق طعام المرسلين، أو قال: النبيّين(٢).

١٧ - كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اللّحم باللّبن مرق الأنبياءِ عليهم السلام(٣).

١٨ - كا: عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أحبّ الأصباغ إلى رسول الله الخلّ والزيت، وقال: هو طعام الأنبياء(٤).

١٩ - وبهذا الإسناد قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما افتقر أهل بيت يأتدمون بالخلّ والزيت وذلك أدم الأنبياء(٥).

٢٠ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد والحسين ابن سعيد جميعاً، عن القاسم بن عروة، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السواك من سنن المرسلين(٦).

٢١ - كا: محمّد، عن أحمد، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلاءِ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لم يبعث نبيّاً إلاّ بصدق الحديث وأداءِ الأمانة إلى البرّ والفاجر(٧).

٢٢ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن زياد بن أبي الحلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيّام حتّى يرفع روحه وعظمه ولحمه إلى السماء، وإنّما يؤتى مواضع آثارهم، ويبلّغونهم من بعيد السلام، ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب(٨).

٢٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن معمّر وعليّ بن محمّد بن بندار، عن البرقيّ عن محمّد بن عيسى، عن معمّر بن خلاّد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى رجل وهو يقول: اللّهمّ إني أسألك من رزقك الحلال، فقال أبو

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٥٩ باب ٢٢٢ ح ١. (٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٥٩ باب ٢٢٤ ح ٤.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٥ باب ٢٣٧ ح ١.
(٤) - (٥) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٣ باب ٢٤٨ ح ٦ و٧.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٦ باب ٣٨٣ ح ٢.
(٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٣٨٨ باب الصدق وأداء الأمانة ح ١.
(٨) الكافي، ج ٤ ص ٥٨١ باب ٣٥٣ ح ١.

جعفر عليه السلام سألت قوت النبيّين؛ قل: اللّهمّ إني أسألك رزقاً واسعاً طيّباً من رزقك[١].

٢٤ - كا: عليّ بن محمّد، عن سهل رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله جعل أرزاق أنبيائه في الزّرع والضرع لئلّا يكرهوا شيئاً من قطر السماءِ[٢].

٢٥ - ير: أحمد بن محمّد، عن أبي عبد الله البرقيّ يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل اسمه الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، فأعطى آدم منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى نوحاً منها خمسة وعشرين حرفاً، وأعطى منها إبراهيم عليه السلام ثمانية أحرف، وأعطى موسى منها أربعة أحرف، وأعطى عيسى منها حرفين، وكان يحيي بهما الموتى، ويبرئ بهما الأكمه والأبرص، وأعطى محمّداً اثنين وسبعين حرفاً، واحتجب حرفاً لئلاّ يُعلم ما في نفسه ويَعلم ما في نفس العباد[٣].

٢٦ - ير: محمّد بن عبد الجبّار، عن أبي عبد الله البرقيّ، عن فضالة، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما، وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستّة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية، وجمع ذلك كلّه لرسول الله صلى الله عليه وآله، إنّ اسم الله ثلاثة وسبعون حرفاً، وحجب عنه واحد[٤].

٢٧ - ص: بإسناده عن ابن فضّال، عن الرّضا عليه السلام قال: لمّا أشرف نوح على الغرق دعا الله بحقّنا فدفع الله عنه الغرق، ولمّا رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقّنا فجعل الله النار عليه برداً وسلاماً، وإنّ موسى عليه السلام لمّا ضرب طريقاً في البحر دعا الله بحقّنا فجعله يبساً، وإنّ عيسى عليه السلام لمّا أراد اليهود قتله دعا الله بحقّنا فنجاه من القتل ورفعه إليه[٥].

٢٨ - ني: عن أبان بن تغلب، عن أبي عبد الله عليه السلام في وصف القائم عليه السلام قال: فإذا نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله هبط لها تسعة آلاف ملك وثلاثمائة وثلاثة عشر ملكاً وهم الّذين كانوا مع نوح في السفينة، والّذين كانوا مع إبراهيم حين أُلقي في النار، وهم الّذين كانوا مع موسى لمّا فلق البحر، والّذين كانوا مع عيسى لمّا رفعه الله إليه. الخبر[٦].

وفي آخر عنه عليه السلام مثله، وفيه: ثلاثة عشر ألفاً وثلاث مائة وثلاثة عشر ملكاً[٧].

٢٩ - ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسين بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٠٧ باب الدعاء للرزق ح ٨.

(٢) الكافي، ج ٥ باب ١٥٦ ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات، ج ٤ ص ٢٠٤ باب ١٢ ح ٣.

(٤) بصائر الدرجات، ص ٢٠٤ ج ٤ باب ١٢ ح ٤.

(٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٠٦.

(٦) - (٧) الغيبة للنعماني، ص ٢١٠.

أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أشدّ الناس بلاء الأنبياء صلوات الله عليهم ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الأمثل فالأمثل(١).

٣ - باب علة المعجزة وأنه لم خص الله كلّ نبي بمعجزة خاصة

١ - ع، ن: ابن مسرور، عن ابن عامر، عن أبي عبد الله السيّاريّ، عن أبي يعقوب البغداديّ قال: قال ابن السكّيت لأبي الحسن الرّضا عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران بيده البيضاء والعصا وآلة السحر؟ وبعث عيسى بالطبّ؟ وبعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالكلام والخطب؟.

فقال له أبو الحسن عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى لمّا بعث موسى عليه السلام كان الأغلب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عندالله عزّ وجلّ بما لم يكن في وسع القوم مثله، وبما أبطل به سحرهم وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى في وقت ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلى الطبّ، فأتاهم من عند الله عزّ وجلّ بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم، وإنّ الله تبارك وتعالى بعث محمّداً في وقت كان الأغلب على أهل عصره الخطب والكلام - وأظنّه قال: والشعر - فأتاهم من كتاب الله عزّ وجلّ ومواعظه وأحكامه بما أبطل به قولهم وأثبت الحجّة عليهم، فقال ابن السكّيت: تالله ما رأيت مثل اليوم قطّ، فما الحجّة على الخلق اليوم؟ فقال عليه السلام: العقل تعرف به الصادق على الله فتصدّقه، والكاذب على الله فتكذّبه، فقال ابن السكّيت: هذا والله الجواب(٢).

ج: مرسلاً مثله(٣).

٢ - ع: عليّ بن أحمد، عن محمّد بن أبي عبدالله، عن موسى بن عمران، عن عمّه، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ علّة أعطى الله عزّ وجلّ أنبياءه ورسله وأعطاكم المعجزة؟ فقال: ليكون دليلاً على صدق من أتى به، والمعجزة علامة لله لا يعطيها إلاّ أنبياءه ورسله وحججه ليعرف به صدق الصادق من كذب الكاذب(٤).

٤ - باب عصمة الأنبياء عليهم السلام، وتأويل ما يوهم خطأهم وسهوهم

عد: اعتقادنا في الأنبياء والرسل والأئمّة والملائكة صلوات الله عليهم أنّهم معصومون مطهّرون من كلّ دنس، وأنّهم لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً، ولا يعصون الله ما أمرهم

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٥٩ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٣.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٧ باب ٩٩ ح ٦، عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٥ باب ٣٢ ح ١٢.
(٣) الاحتجاج ص ٤٣٢.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤٨ باب ١٠٠ ح ١.

ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم فقد جهلهم، واعتقادنا فيهم أنّهم موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها، لا يوصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا جهل(١).

١ - لي، الهمدانيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن القاسم بن محمّد البرمكيّ، عن أبي الصلت الهرويّ قال: لمّا جمع المأمون لعليّ بن موسى الرضا عليه السلام أهل المقالات من أهل الإسلام والديانات من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين وسائر أهل المقالات فلم يقم أحد إلاّ وقد ألزم حجّته كأنّه قد ألقم حجراً، فقام إليه عليّ بن محمّد بن الجهم فقال له: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قال: بلى، قال: فما تعمل في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾(٢) وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾(٣) وقوله في يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ وقوله عزّ وجلّ في داود: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ وقوله في نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُ﴾؟(٤).

فقال مولانا الرّضا عليه السلام: ويحك يا عليّ اتّق الله ولا تنسب إلى أنبياء الله الفواحش ولا تتأوّل كتاب الله برأيك، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾(٥) أما قوله عزّ وجلّ في آدم عليه السلام: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجّة في أرضه، وخليفته في بلاده، لم يخلقه للجنة، وكانت المعصية من آدم في الجنّة لا في الأرض لتتمّ مقادير أمر الله عزّ وجلّ، فلمّا أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عزّ وجلّ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وأمّا قوله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ إنّما ظنّ أنّ الله عزّ وجلّ لا يضيق عليه رزقه ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾؟ أي ضيّق عليه، ولو ظنّ أنّ الله لا يقدر عليه لكان قد كفر.

وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنّها همّت بالمعصية، وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله، فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَ﴾ يعني الزّنا.

وأمّا داود فما يقول من قبلكم فيه؟ فقال عليّ بن الجهم: يقولون: إنّ داود كان في محرابه يصلّي إذ تصوّر له إبليس على صورة طير أحسن ما يكون من الطيور، فقطع صلاته وقام ليأخذ الطّير فخرج إلى الدار، فخرج في أثره فطار الطير إلى السّطح، فصعد في طلبه فسقط الطّير في دار أوريا بن حنّان، فاطّلع داود في أثر الطّير فإذا بامرأة أوريا تغتسل، فلمّا نظر إليها هواها،

---

(١) اعتقادات الصدوق، ص ٩٩.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٧.

وكان أوريا قد أخرجه في بعض غزواته، فكتب إلى صاحبه أن قدّم أوريا أمام الحرب، فقدّم فظفر أوريا بالمشركين، فصعب ذلك على داود، فكتب الثّانية أن قدّمه أمام التّابوت، فقتل أوريا رحمه الله، وتزوّج داود بامرأته، فضرب الرّضا عليه السلام بيده على جبهته وقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لقد نسبتم نبيّاً من أنبياءِ الله إلى التّهاون بصلاته حتّى خرج في أثر الطّير، ثمّ بالفاحشة، ثمّ بالقتل! فقال: يا بن رسول الله فما كانت خطيئته؟ فقال: ويحك إنّ داود إنّما ظنّ أنّ ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً هو أعلم منه، فبعث الله عزّ وجلّ إليه الملكين فتسوّرا المحراب فقالا: ﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾ [1] فعجّل داود عليه السلام على المدّعى عليه فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾ [2] فلم يسأل المدّعي البيّنة على ذلك، ولم يقبل على المدّعى عليه فيقول: ما تقول؟ فكان هذا خطيئة حكمه، لا ما ذهبتم إليه، ألا تسمع قول الله عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [3] إلى آخر الآية، فقلت: يا بن رسول الله فما قصّته مع أوريا؟ فقال الرّضا عليه السلام: إنّ المرأة في أيّام داود كانت إذا مات بعلها أو قتل لا تتزوّج بعده أبداً، وأوّل من أباح الله عزّ وجلّ له أن يتزوّج بامرأة قتل بعلها داود، فذلك الّذي شقّ على أوريا.

وأمّا محمّد نبيّه صلى الله عليه وآله وقول الله عزّ وجلّ له: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ [4] فإنّ الله عزّ وجلّ عرّف نبيّه أسماء أزواجه في دار الدّنيا، وأسماء أزواجه في الآخرة، وأنّهنّ أمّهات المؤمنين، وأحد من سمّى له زينب بنت جحش وهي يومئذ تحت زيد بن حارثة، فأخفى صلى الله عليه وآله اسمها في نفسه ولم يبد له لكيلا يقول أحد من المنافقين، إنّه قال في امرأة في بيت رجل: إنّها أحد أزواجه من أمّهات المؤمنين، وخشي قول المنافقين، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾ في نفسك، وإنّ الله عزّ وجلّ ما تولّى تزويج أحد من خلقه إلّا تزويج حوّاء من آدم، وزينب من رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة من عليّ عليه السلام، قال: فبكى عليّ بن الجهم وقال: يا بن رسول الله أنا تائب إلى الله عزّ وجلّ أن أنطق في أنبياءِ الله عزّ وجلّ بعد يومي هذا إلّا بما ذكرته [5].

ن: الهمدانيّ والمكتّب والورّاق جميعاً عن عليّ بن إبراهيم إلى آخر الخبر [6].

بيان: قوله عليه السلام: (وكانت المعصية من آدم في الجنّة) ظاهره يوهم تجويز الخطيئة عليه على بعض الجهات، إمّا لأنّها كانت في الجنّة وإنّما تجب عصمتهم في الدّنيا، أو لأنّها كانت قبل البعثة وإنّما تجب عصمتهم بعد النبوّة، وكلاهما خلاف ما أجمعت عليه الإماميّة رضوان

---

(١) - (٣) سورة ص، الآيات: ٢٢-٢٦. (٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٥) أمالي الصدوق، ص ٨٢ مجلس ٢٠ ح ٣. (٦) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٧٠ باب ١٤ ح ١

الله عليهم من وجوب عصمتهم على جميع الأحوال، ودلّت عليه الأخبار المستفيضة على ما سيأتي في هذا الكتاب وكتاب الإمامة وغيرهما، فيمكن أن يحمل كلامه عليه السلام على أنّ المراد بالخطيئة ارتكاب المكروه ويكونون بعد البعثة معصومين عن مثلها أيضاً، ويكون ذكر الجنّة لبيان كون النهي تنزيهيّاً وإرشاديّاً إذ لم تكن دار تكليف حتّى يتصوّر فيها النهي التحريميّ.

ويحتمل أن يكون إيراد الكلام على هذا النحو لنوع من التقيّة مماشاةً مع العامّة لموافقة بعض أقوالهم كما سنشير إليه، أو على سبيل التنزّل والاستظهار ردّاً على من جوّز الذّنب مطلقاً عليهم صلوات الله عليهم. وفي تنزيه يونس عليه السلام في العيون زيادة وهي قوله: (إنّما ظنّ بمعنى استيقن أنّ الله لن يضيق عليه رزقه) ففي تفسير الظنّ باليقين فائدتان: إحداهما أنّه لو لم يستيقن ذلك لما خرج من بين القوم وإن كان مغاضباً لهم، الثانية أنّ لا يتوهّم فيه نسبة خطأ ومنقصة على هذا التفسير أيضاً بأنّه لم يستيقن رزّاقيّته تعالى لا سيّما بالنسبة إلى أوليائه.
وأمّا ظنّ داود عليه السلام فيحتمل أن يكون عليه السلام ظنّ أنّه أعلم أهل زمانه، وهذا وإن كان صادقاً إلاّ أنّه لمّا كان مصادفاً لنوع من العجب نبّهه الله تعالى بإرسل الملكين، وعلى تقدير أن يكون المراد ظنّ أنّه أعلم من السابقين أيضاً فيحتمل أن يكون المراد التجويز والاحتمال بأن يقال: لم يكن ظهر عليه بعد أعلميّتهم بالنّسبة إليه، أو يخصّ بعلم المحاكمة، أو يكون ذلك الظنّ كنايةً عن نهاية الإعجاب بعلمه، وأمّا تعجيله عليه السلام في حال الترافع فليس المراد أنّه حكم بظلم المدّعى عليه قبل البيّنة، إذ المراد بقوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾ أنّه لو كان كما تقول فقد ظلمك، بل كان الأصوب والأولى أن لا يقول ذلك أيضاً إلاّ بعد وضوح الحكم.

٢ - ل: أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار معاً، عن الأشعريّ رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث لم يعر منها نبيّ فمن دونه: الطّيرة، والحسد، والتفكّر في الوسوسة في الخلق.

قال الصدوق رحمه الله: معنى الطّيرة في هذا الموضع هو أن يتطيّر منهم قومهم، فأمّا هم عليهم السلام فلا يتطيّرون، وذلك كما قال الله عزّ وجلّ عن قوم صالح: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ [(١)] وكما قال آخرون لأنبيائهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ [(٢)] الآية، وأمّا الحسد في هذا الموضع هو أن يحسَدوا، لا أنّهم يحسدون غيرهم، وذلك كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [(٣)] وأمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك، وذلك كما حكى الله عن الوليد بن المغيرة المخزوميّ: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾ [(٤)]

---

(١) سورة النمل، الآية: ٤٧.
(٢) سورة يس، الآية: ١٨.
(٣) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٤) سورة المدثر، الآيتان: ١٨-١٩.

يعني قال للقرآن: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾[1].

بيان: ما ذكره رحمه الله توجيهٌ وجيهٌ، لكن في الكافي وغيره ورد فيه تتمّة تأبى عنه، وهي: لكنّ المؤمن لا يظهر الحسد. ويمكن أن يكون المراد بالحسد أعمّ من الغبطة، أو يقال: القليل منه مع عدم إظهاره ليس بمعصية. والطّيرة: هي التشؤّم بالشيء وانفعال النفس بما يراه أو يسمعه مما يتشاءم به، ولا دليل على أنّه لا يجوز ذلك على الأنبياء، والمراد بالتفكّر في الوسوسة في الخلق التفكّر فيما يحصل في نفس الإنسان من الوساوس في خالق الأشياء، وكيفيّة خلقها وخلق أعمال العباد، والتفكّر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم من غير استقرار في النفس وحصول شكّ بسببها، ويحتمل أن يكون المراد بالخلق المخلوقات وبالتفكّر في الوساوس التفكّر وحديث النفس بعيوبهم وتفتيش أحوالهم، ويؤيّد كلّاً من الوجهين بعض الأخبار، كما سيأتي في أبواب المكارم، وبعض أفراد هذا الأخير أيضاً على الوجهين لا يستبعد عروضها لهم عليهم السلام.

٣ - **ن:** فيما كتب الرّضا عليه السلام للمأمون من دين الإماميّة: لا يفرض الله طاعة من يعلم أنّه يضلّهم ويغويهم، ولا يختار لرسالته ولا يصطفي من عباده من يعلم أنّه يكفر به وبعبادته ويعبد الشيطان دونه[2].

٤ - **مع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن هاشم، عن صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ في قصّة إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾[3] قال: ما فعله كبيرهم، وما كذب إبراهيم عليه السلام، فقلت: وكيف ذاك؟ قال: إنّما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ إن نطقوا فكبيرهم فعل، وإن لم ينطقوا فلم يفعل كبيرهم شيئاً، فما نطقوا وما كذب إبراهيم عليه السلام. فقلت قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ قال: إنّهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنّه قال لهم حين قال: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ ولم يقل سرقتم صواع الملك، إنّما عنى سرقتم يوسف من أبيه، فقلت قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾؟ قال: ما كان إبراهيم سقيماً وما كذب، إنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً. وقد روي أنّه عنى بقوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ أي سأسقم، وكلّ ميّت سقيم، وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ أي ستموت. وقد روي أنّه عنى: إنّي سقيم بما يفعل بالحسين بن عليّ عليه السلام[4].

ج: مرسلاً مثله إلى قوله: مرتاداً[5].

---

(١) الخصال، ص ٨٩ باب الثلاثة ح ٢٧.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٣٢ باب ٣٥ ح ١.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.
(٤) معاني الأخبار، ص ٢١٠.
(٥) الاحتجاج ص ٣٥٤.

بيان: قوله: (وكلّ ميّت سقيم) لعلّ المراد أنّه عند الإشراف على الموت يعرض السقم لا محالة بوجه إمّا بمرض أو بجرح.

٥ - **فس:** سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم: «هذا ربّي» لغير الله، هل أشرك في قوله: «هذا ربّي» فقال: من قال هذا اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم شركٌ، وإنّما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شرك[1].

٦ - **فس:** ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ قال إبراهيم لأبيه: إن لم تعبدالأصنام استغفرت لك، فلمّا لم يدع الأصنام تبرّأ منه[2].

٧ - **فس:** ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً.

٨ - **ن:** تميم القرشيّ، عن أبيه عن حمدان بن سليمان، عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليّ بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يابن رسول الله أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾؟ فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾[3] وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشجرة، ولا ممّا كان من جنسها، فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وإنّما نهاكما أن تقربا غيرها، ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ۝٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١﴾ ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[4] فأكلا منها ثقةً بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النّار، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلمّا اجتباه الله وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرة، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۝١٢٢﴾ وقال عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فقال له المأمون: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾[5]؟ فقال الرضا عليه السلام: إنّ حوّاء ولدت لآدم خمسمائة بطن، في كلّ بطن ذكراً وأنثى، وإنّ آدم وحوّاء عاهدا الله عزّ وجلّ ودعواه، وقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ فلما آتاهما صالحاً من النسل خلقاً سويّاً بريّاً من الزّمانة والعاهة كان ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراناً

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢١٤.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٠٦.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢١.
(٤) سورة الأعراف، الآيات: ٢٠-٢٢.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٠.

وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ وجلّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

فقال المأمون: أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ في إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾(١) فقال الرّضا عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام وقع إلى ثلاثة أصناف: صنف يعبد الزّهرة، وصنف يعبد القمر، وصنف يعبد الشّمس، وذلك حين خرج من السرب الّذي أخفي فيه، فلمّا جنّ عليه اللّيل فرأى الزّهرة فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ الكوكب ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ لأنّ الأفول من صفات الحدث لا من صفات القدم ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ على الإنكار والاستخبار ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يقول: لو لم يهدني ربّي لكنت من القوم الضالّين ﴿فَلَمَّآ﴾ أصبح و ﴿رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ﴾ من الزّهرة والقمر على الإنكار والاستخبار لا على الإخبار والإقرار ﴿فَلَمَّآ أَفَلَتۡ﴾ قال للأصناف الثلاثة من عبدة الزّهرة والقمر والشمس: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩﴾ وإنّما أراد إبراهيم بما قال أن يبيّن لهم بطلان دينهم، ويثبت عندهم أنّ العبادة لا تحقّ لما كان بصفة الزّهرة والقمر والشّمس، وإنّما تحقّ العبادة لخالقها وخالق السماوات والأرض، وكان ما احتجّ به على قومه بما ألهمه الله عزّ وجلّ وآتاه، كما قال عزّ وجلّ: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾.

فقال المأمون: لله درّك يابن رسول الله، فأخبرني عن قول إبراهيم: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾(٢) قال الرّضا عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته؛ فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ على الخلّة: ﴿قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ فأخذ إبراهيم عليه السلام نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً، فقطّعهنّ وخلطهنّ ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال الّتي حوله - وكانت عشرة - منهنّ جزءً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ ووضع عنده حبّاً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان، وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ، فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ، وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت وهو على كلّ شيء قدير.

---

(١) الآية وما بعدها من سورة الأنعام، ٧٦-٨٣.
(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

قال المأمون: بارك الله فيك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ قال الرّضا عليه السلام: إنّ موسى عليه السلام دخل مدينةً من مدائن فرعون على حين غفلة من أهلها وذلك بين المغرب والعشاء ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فقضى موسى عليه السلام على العدوّ بحكم الله تعالى ذكره ﴿فَوَكَزَهُۥ﴾ فمات ﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ يعني الاقتتال الّذي كان وقع بين الرجلين، لا ما فعله موسى عليه السلام من قتله ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني الشيطان ﴿عَدُوٌّ مُّضِلٌّ﴾ قال المأمون: فما معنى قول موسى: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى﴾؟ قال: يقول: إنّي وضعت نفسي غير موضعها بدخولي هذه المدينة ﴿فَٱغْفِرْ لِى﴾ أي استرني من أعدائك لئلا يظفروا بي فيقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ﴾ من القوّة حتّى قتلت رجلاً بوكزة ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ بل أجاهد في سبيلك بهذه القوّة حتّى ترضى ﴿فَأَصْبَحَ﴾ موسى ﴿فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ على آخر ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ﴾ قاتلت رجلاً بالأمس وتقاتل هذا اليوم لأؤدّبنّك، وأراد أن يبطش به ﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾ وهو من شيعته ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾.

قال المأمون: جزاك الله خيراً يا أبا الحسن، فما معنى قول موسى لفرعون: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال الرّضا عليه السلام: إنّ فرعون قال لموسى لمّا أتاه: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ لي، قال موسى: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ عن الطريق بوقوعي إلى مدينة من مدائنك ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه محمّد صلى الله عليه وآله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ يقول: ألم يجدك وحيداً فآوى إليك النّاس؟ ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ يعني عند قومك ﴿فَهَدَىٰ﴾ أي هداهم إلى معرفتك؟ ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ يقول: أغناك بأن جعل دعاءك مستجاباً.

قال المأمون: بارك الله فيك يابن رسول الله، فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ (١) الآية، كيف يجوز أن يكون كليم الله موسى بن عمران لا يعلم أنّ الله تعالى ذكره لا تجوز عليه الرؤية حتّى يسأله هذا السؤال؟ فقال الرّضا عليه السلام: إنّ كليم الله موسى بن عمران عليه السلام علم أنّ الله تعالى أعزّ من أن يُرى بالأبصار، ولكنّه لمّا كلّمه الله عزّ وجلّ وقرّبه نجيّاً رجع إلى قومه فأخبرهم أنّ الله عزّ وجلّ كلّمه وقرّبه وناجاه فقالوا: لن نؤمن لك حتّى نسمع كلامه كما سمعت، وكان القوم سبعمائة ألف رجل، فاختار منهم سبعين ألفاً، ثمّ اختار منهم سبعة آلاف، ثمّ اختار منهم سبعمائة، ثمّ اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربّه، فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٤٣.

وصعد موسى عليه السلام إلى الطور، وسأل الله تبارك وتعالى أن يكلّمه ويسمعهم كلامه، فكلّمه الله تعالى ذكره وسمعوا كلامه من فوق وأسفل ويمين وشمال ووراء وأمام، لأنّ الله عزّ وجلّ أحدثه في الشجرة وجعله منبعثاً منها حتّى سمعوه من جميع الوجوه، فقالوا: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ﴾ بأنّ هذا الّذي سمعناه كلام الله ﴿حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ فلمّا قالوا هذا القول العظيم واستكبروا وعتوا بعث الله عزّ وجلّ عليهم صاعقة فأخذتهم بظلمهم فماتوا، فقال موسى: يا ربّ ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم وقالوا: إنّك ذهبت بهم فقتلتهم لأنّك لم تكن صادقاً فيما ادّعيت من مناجاة الله إيّاك؟ فأحياهم الله وبعثهم معه، فقالوا: إنّك لو سألت الله أن يريك تنظر إليه لأجابك، وكنت تخبرنا كيف هو نعرفه حقّ معرفته، فقال موسى عليه السلام: يا قوم إنّ الله لا يرى بالأبصار ولا كيفيّة له، وإنّما يعرف بآياته ويعلم بأعلامه، فقالوا: لن نؤمن لك حتّى تسأله، فقال موسى عليه السلام: يا ربّ إنّك قد سمعت مقالة بني إسرائيل وأنت أعلم بصلاحهم، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا موسى سلني ما سألوك فلن أؤاخذك بجهلهم. فعند ذلك قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ وهو يهوي ﴿فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ بآية من آياته ﴿جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول: رجعت إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنّك لا ترى.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾(١) فقال الرّضا عليه السلام: لقد همّت به ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنّه كان معصوماً، والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدّثني أبي عن أبيه الصّادق عليه السلام أنّه قال: همّت بأن تفعل، وهمّ بأن لا يفعل.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ قال الرضا عليه السلام: ذاك يونس بن متى عليه السلام ﴿ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ بمعنى استيقن ﴿أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ أن لن نضيّق عليه رزقه، ومنه قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾ أي ضيّق وقتر ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ظلمة اللّيل وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة الّتي قد فرّغتني لها في بطن الحوت، فاستجاب الله له وقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾(٢).

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾(٣) قال الرّضا عليه السلام: يقول عزّ وجلّ: حتّى إذا

(١) سورة يوسف، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الصافات، الآيتان: ١٤٣ و١٤٤.
(٣) سورة يوسف، الآية: ١١٠.

استيأس الرّسل من قومهم وظنّ قومهم أنّ الرّسل قد كذبوا جاء الرّسل نصرنا.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾(١) قال الرّضا عليه السلام: لم يكن أحدٌ عند مشركي أهل مكّة أعظم ذنباً من رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستّين صنماً، فلمّا جاءهم صلى الله عليه وآله بالدّعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝﴾(٢) فلمّا فتح الله عزّ وجلّ على نبيّه مكّة قال له: يا محمّد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكّة ﴿فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكّة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدّم وما تأخّر لأنّ مشركي مكّة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكّة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا النّاس إليه، فصار ذنبه عندهم في ذلك مغفوراً بظهوره عليهم.

فقال المأمون: لله درّك يا أبا الحسن، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾(٣) قال الرّضا عليه السلام: هذا ممّا نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزّ وجلّ بذلك نبيّه صلى الله عليه وآله وأراد به أمّته، فكذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ قال: صدقت يابن رسول الله، فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾(٤) قال الرّضا عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبيّ في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الّذي خلقك، وإنّما أراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول من زعم أنّ الملائكة بنات الله. فقال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾(٥) فقال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا رآها تغتسل: سبحان الّذي خلقك أن يتّخذ ولداً يحتاج إلى هذا التّطهير والاغتسال، فلمّا عاد زيد إلى منزله أخبرته امرأته بمجيء رسول الله صلى الله عليه وآله وقوله لها: سبحان الّذي خلقك، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك، وظنّ أنّه قال ذلك لما أعجبه من حسنها، فجاء إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال له: يا رسول الله إنّ امرأتي في خلقها سوءٌ وإنّي أريد طلاقها، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله: «أمسك عليك زوجك واتّق الله» وقد كان الله عزّ وجلّ عرّفه عدد أزواجه، وأنّ تلك المرأة منهنّ، فأخفى ذلك في نفسه ولم يبده لزيد، وخشي النّاس أن يقولوا: إنّ محمّداً يقول لمولاه: إنّ امرأتك ستكون

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.
(٢) سورة ص، الآيات: ٥-٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ٤٣.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٤٠.

لي زوجة فيعيبون بذلك فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ يعني بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعني بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ ثمّ إنّ زيد بن حارثة طلّقها واعتدّت منه، فزوّجها الله عزّ وجلّ من نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قرآناً فقال عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ ثمّ علم عزّ وجلّ أنّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها فأنزل: ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾.

فقال المأمون: لقد شفيت صدري يابن رسول الله وأوضحت لي ما كان ملتبساً عليّ، فجزاك الله عن أنبيائه وعن الإسلام خيراً.

قال عليّ بن محمّد بن الجهم: فقام المأمون إلى الصّلاة، وأخذ بيد محمّد بن جعفر بن محمّد وكان حاضر المجلس وتبعتهما، فقال له المأمون: كيف رأيت ابن أخيك؟ فقال: عالم ولم نره يختلف إلى أحد من أهل العلم.

فقال المأمون: إنّ ابن أخيك من أهل بيت النبيّ الّذين قال صلى الله عليه وآله فيهم: (ألا إنّ أبرار عترتي وأطايب أرومتي أحلم النّاس صغاراً، وأعلم الناس كباراً، لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم، لا يخرجونكم من باب هدى، ولا يدخلونكم في باب ضلال) وانصرف الرّضا عليه السلام إلى منزله، فلمّا كان من الغد غدوت عليه وأعلمته ما كان من قول المأمون وجواب عمّه محمّد بن جعفر له، فضحك عليه السلام ثمّ قال: يا بن الجهم لا يغرّنّك ما سمعته منه فإنّه سيغتالني والله ينتقم لي منه.

قال الصّدوق رحمه الله هذا الحديث عجيب من طريق عليّ بن محمّد بن الجهم مع نصبه وبغضه وعداوته لأهل البيت عليهم السلام[1].

ج: مرسلاً مثله[2].

بيان: أقول ما ذكره في خطيئة آدم عليه السلام قريب ممّا ذكره بعض العامّة من أنّه تعالى أشار لهما حين نهاهما إلى شجرة واحدة، وكان المراد نوع تلك الشجرة، فوسوس إليهما الشّيطان أنّ المراد كان ذلك الشّخص من الشّجرة فقبلا ذلك منه، وهذا مثل ماورد في الخبر السّابق في مخالفة الأصول، والتّوجيه مشترك، ولعلّ ذكر هذا الوجه لبيان علّة ارتكاب ترك الأولى، لا أن يكون جواباً مستقلاً، والضّمير في قوله: (عن الاكل منها) راجع إلى غيرها، ويحتمل أن يكون راجعاً إلى هذه الشّجرة بأن يكون الاستثناء منقطعاً، أي ليست هذه الشّجرة منهيّة، بل هي سبب لكونكما ملكين أو خالدين إذا أكلتما منها، وقال الجوهريّ: يقال في المدح: لله درّه أي عمله. وقال الشّيخ الرضيّ رحمه الله: الدرّ في الأصل ما يدرّ، أي ينزل من الضّرع من

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٤ باب ١٥ ح ١. (٢) الاحتجاج ص ٤٢٦.

اللّبن، ومن الغيم من المطر، وهو ههنا كناية عن فعل الممدوح الصّادر عنه، وإنّما نسب فعله إليه تعالى قصداً للتّعجّب، وأنّ الله منشئ العجائب، فكلّ شيء عظيم يريدون التّعجّب منه ينسبونه إليه تعالى نحو قولهم: لله أنت، ولله أبوك، فمعنى لله درّه، ما أعجب فعله.

قوله تعالى: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ قال الشيخ أمين الدّين الطبرسيّ: قرأ أهل الكوفة وأبو جعفر ﴿كُذِبُوا۟﴾ بالتخفيف وهي قراءة عليّ وزين العابدين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام وزيد بن عليّ وابن عبّاس وابن مسعود وسعيد بن جبير وعكرمة والضحّاك والأعمش، وقرأ الباقون (كُذِّبوا) بالتشديد وهي قراءة عائشة والحسن وعطاء والزهريّ وقتادة، ثمّ قال: والمعنى: إنّا أخّرنا العقاب عن الأمم السّالفة المكذّبة لرسلنا كما أخّرناه عن أمّتك يا محمّد حتّى إذا بلغوا إلى حالة يأس الرّسل عن إيمانهم، وتحقّق يأسهم بإخبار الله تعالى إيّاهم «وظنّوا أنّهم قد كُذّبوا» أي تيقّن الرّسل أنّ قومهم قد كذّبوهم تكذيباً عامّاً حتّى أنّه لا يصلح واحدٌ منهم، عن عائشة والحسن وقتادة وأبي عليّ الجبائيّ. ومن خفّف فمعناه: ظنّ الأمم أنّ الرسل كذبوهم فيما أخبروهم به من نصر الله تعالى إيّاهم، وإهلاك أعدائهم، عن ابن عبّاس وابن مسعود وابن جبير ومجاهد وابن زيد والضحّاك وأبي مسلم. وقيل: يجوز أن يكون الضّمير في ﴿ظَنُّوٓا۟﴾ راجعاً إلى الرّسل أيضاً، ويكون معناه: وعلم الرّسل أنّ الّذين وعدوهم الإيمان من قومهم أخلفوهم، أو كذبوا فيما أظهروه من الإيمان، وروي أنّ سعيد ابن جبير والضّحّاك اجتمعا في دعوة، فسئل سعيد بن جبير عن هذه الآية كيف تقرؤها؟ فقال: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ بالتخفيف بمعنى: وظنّ المرسل إليهم أنّ الرّسل كذبوهم، فقال الضحّاك ما رأيت كاليوم قطّ، لو رحلت في هذه إلى اليمن كان قليلاً.

وروى ابن مليكة، عن ابن عبّاس قال: كانوا بشراً فضعفوا ويئسوا وظنّوا أنّهم أخلفوا، ثمّ أخلفوا، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ الآية، وهذا باطل لا يجوز أن ينسب مثله إلى الأنبياء عليهم السلام انتهى[1].

أقول: ما ذكره عليه السلام غير تلك الوجوه وتوجيهه واضحٌ، ويمكن إرجاعه إلى أوّل وجهي التخفيف كما روي عن ابن عبّاس، بأن يقرأ «كَذَبوا» على المعلوم، فيكون بياناً لحاصل المعنى، لكنّه بعيدٌ.

وأمّا ما ذكره عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فالظاهر أنّ الغفر فيه بمعنى الستر كما هو معناه في أصل اللّغة، وسيأتي الكلام فيه وفي غيره في مواضعها مفصّلاً إن شاء الله تعالى، وسيجيء بعض أخبار هذا الباب في ذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام، وسيجيء خبر آدم وأنّه وهب عمره لداود في خبر الثّمالي، ويدلّ على جواز السّهو على بعض الأنبياء عليهم السلام وسنتكلّم عليه.

٩ - **فس:** قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ فإنّه

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٦٥.

حدّثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وكلهم الله إلى أنفسهم فظنّوا أنّ الشيطان قد تمثّل لهم في صورة الملائكة[١].

بيان: لعلّ هذا الخبر محمول على التقيّة كما عرفت، أو المراد بالظنّ محض خطور البال، أو المراد أنّ النّصر تأخّر عنهم حتّى كان مظنّة أن يتوهّموا ذلك، وإرجاع الضمير المنصوب في (وكلهم) والمرفوع في (فظنّوا) إلى الأمم بعيدٌ جدّاً.

١٠ - **شي:** عن محمّد بن مسلم، عن أحدهما عليهما السلام قال في إبراهيم عليه السلام إذ رأى كوكباً قال: إنّما كان طالباً لربّه ولم يبلغ كفراً وإنّه من فكّر من النّاس في مثل ذلك فإنّه بمنزلته[٢].

١١ - **شي:** عن أبان بن عثمان، عمّن ذكره عنهم أنّه كان من حديث إبراهيم عليه السلام أنّه ولدَ ولدٌ في زمان نمرود بن كنعان، وكان قد ملك الأرض أربعة: مؤمنان وكافران: سليمان بن داود وذو القرنين، ونمرود بن كنعان وبخت نصّر، وإنّه قيل لنمرود: إنّه يولد العام غلامٌ يكون هلاكك وهلاك دينك وهلاك أصنامك على يديه، وإنّه وضع القوابل على النّساءِ وأمر أن لا يولد هذه السنّة ذكرٌ إلا قتلوه، وإنّ إبراهيم عليه السلام حملته أمّه في ظهرها ولم تحمله في بطنها، وإنّه لمّا وضعته أدخلته سرباً ووضعت عليه غطاءً، وإنّه كان يشبّ شبّاً لا يشبه الصّبيان وكانت تعاهده، فخرج إبراهيم عليه السلام من السّرب فرأى الزّهرة فلم ير كوكباً أحسن منها، فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فلم يلبث أن طلع القمر فلمّا رآه قال: هذا أعظم ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ فلمّا رأى النّهار وطلعت الشّمس ﴿قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ ممّا رأيت ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[٣].

١٢ - **شي:** عن حجر قال: أرسل العلاء بن سيّابة يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: «هذا ربّي» وقال: إنّه من قال هذا اليوم فهو عندنا مشرك، قال عليه السلام: لم يكن من إبراهيم شركٌ إنّما كان في طلب ربّه، وهو من غيره شركٌ[٤].

١٣ - **شي:** عن محمّد بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله فيما أخبر عن إبراهيم ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ قال: لم يبلغ به شيئاً أراد غير الّذي قال[٥].

بيان: (لم يبلغ به شيئاً) أي كفراً ولا فسقاً، بل أراد غير الّذي كان ظاهر كلامه إمّا بأنّه كان في مقام النّظر والتفكّر، وإنّما قال ذلك على سبيل الفرض ليتفكّر في أنّه هل يصلح لذلك أم لا، أو قال ذلك على سبيل الإنكار، أو على سبيل الاستفهام وسيأتي تمام القول فيه.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٩.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩٤ ح ٣٨ من سورة الأنعام.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩٥ ح ٤٠-٤٢ من سورة الأنعام.

١٤ - **شي:** عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن بعض أصحابه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما يقول النّاس في قول الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ قلت: يقولون: إبراهيم وعد أباه ليستغفر له، قال: ليس هو هكذا، وإنّ إبراهيم وعده أن يسلم، فاستغفر له، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه[١].

١٥ - **شي:** عن أبي إسحاق الهمدانيّ، عن رجل قال: صلّى رجلٌ إلى جنبي فاستغفر لأبويه وكانا ماتا في الجاهليّة، فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا في الجاهليّة؟ فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه، فلم أدر ما أردّ عليه، فذكرت ذلك للنبيّ صلى الله عليه وآله، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ قال: لمّا مات تبيّن أنّه عدوّ لله فلم يستغفر له[٢].

بيان: قال الشّيخ الطّبرسيّ رحمه الله: أي لم يكن استغفاره له إلاّ صادراً عن موعدة وعدها إيّاه، واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم أو أبوه، فقيل: إنّ الموعدة كانت من الأب وعد إبراهيم أنّه يؤمن إن يستغفر له فاستغفر له لذلك، فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله ولا يفي بما وعد تبرّأ منه وترك الدّعاء له، وهو المرويّ عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة إلاّ أنّهم قالوا: إنّما تبيّن عداوته لمّا مات على كفره. وقيل: إنّ الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه: إنّي لأستغفر لك ما دمت حيّاً، وكان يستغفر له مقيّداً بشرط الإيمان، فلمّا أيس من إيمانه تبرّأ منه، وهذا يوافق قراءة الحسن «إلاّ عن موعدة وعدها أباه» بالباء، ويقوّيه قوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[٣].

١٦ - **شي:** عن سلمان بن عبد الله الطّلحي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حال بني يعقوب فهل خرجوا من الإيمان؟ قال: نعم، قلت له: فما تقول في آدم؟ قال: دع آدم[٤].

بيان: أقول: لمّا أوردنا بعض الأخبار الدالّة على عصمة الأنبياءِ المتضمّنة لتأويل ما يوهم صدور الذّنب والخطاء عنهم فلنتكلّم عليها جملة إذ تفصيل القول في ذلك يوجب الإطناب ويكثر حجم الكتاب:

اعلم أنّ الاختلاف الواقع في هذا الباب بين علماءِ الفريقين يرجع إلى أقسام أربعة: أحدها ما يقع في باب العقائد وثانيها ما يقع في التّبليغ وثالثها ما يقع في الأحكام والفتيا، ورابعها في أفعالهم وسيرهم عليهم السلام. وأمّا الكفر والضّلال في الاعتقاد فقد أجمعت الأمّة على عصمتهم عنهما قبل النّبوّة وبعدها، غير أنّ الأزارقة من الخوارج جوّزوا عليهم الذّنب، وكلّ ذنب عندهم كفر، فلزمهم تجويز الكفر عليهم، بل يحكى عنهم أنّهم قالوا: يجوز أن يبعث الله نبيّاً علم أنّه يكفر بعد نبوّته!.

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٠ ح ١٤٦ و١٤٨ من سورة التوبة.

(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٣٢.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧٥ من سورة يوسف.

وأمّا النّوع الثّاني وهو ما يتعلّق بالتّبليغ فقد اتّفقت الأمّة بل جميع أرباب الملل والشّرائع على وجوب عصمتهم عن الكذب والتّحريف فيما يتعلّق بالتّبليغ عمداً وسهواً إلاّ القاضي أبو بكر فإنّه جوّز ما كان من ذلك على سبيل النّسيان وفلتات اللّسان. أمّا النوع الثّالث وهو ما يتعلّق بالفتيا فأجمعوا على أنّه لا يجوز خطاؤهم فيه عمداً وسهواً إلاّ شرذمة قليلة من العامّة. وأمّا النوع الرابع وهو الّذي يقع في أفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال:

الأوّل: مذهب أصحابنا الإماميّة وهو أنّه لا يصدر عنهم الذّنب لا صغيرةً ولا كبيرةً ولا عمداً ولا نسياناً ولا لخطاءٍ في التأويل ولا للإسهاءِ من الله سبحانه، ولم يخالف فيه إلاّ الصّدوق وشيخه محمّد بن الحسن بن الوليد رحمهما الله، فإنّهما جوّزا الإسهاء لا السّهو الّذي يكون من الشّيطان، وكذا القول في الأئمّة الطّاهرين عليهم السلام.

الثاني: أنّه لا يجوز عليهم الكبائر ويجوز عليهم الصّغائر إلاّ الصغائر الخسيسة المنفّرة، كسرقة حبّة أو لقمة، وكلّ ما ينسب فاعله إلى الدّناءة والضّعة، وهذا قول أكثر المعتزلة.

الثالث: أنّه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة على جهة العمد، لكن يجوز على جهة التّأويل أو السّهو، وهو قول أبي عليّ الجبائيّ.

الرابع: أنّه لا يقع منهم الذنب إلاّ على جهة السّهو والخطأ، لكنّهم مأخوذون بما يقع منهم سهواً وإن كان موضوعاً عن أممهم لقوّة معرفتهم وعلوّ رتبتهم وكثرة دلائلهم وإنّهم يقدرون من التّحفّظ على ما لا يقدر عليه غيرهم، وهو قول النّظام وجعفر بن مبشّر ومن تبعهما.

الخامس: أنّه يجوز عليهم الكبائر والصّغائر عمداً وسهواً وخطأً، وهو قول الحشويّة وكثير من أصحاب الحديث من العامّة.

ثمّ اختلفوا في وقت العصمة على ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنّه من وقت ولادتهم إلى أن يلقوا الله سبحانه، وهو مذهب أصحابنا الإماميّة.

الثاني: أنّه من حين بلوغهم، ولا يجوز عليهم الكفر والكبيرة قبل النبوّة، وهو مذهب كثير من المعتزلة.

الثّالث: أنّه وقت النّبوّة، وأمّا قبله فيجوز صدور المعصية عنهم، وهو قول أكثر الأشاعرة ومنهم الفخر الرازيّ وبه قال أبو هذيل وأبو عليّ الجبائيّ من المعتزلة.

إذا عرفت فاعلم أنّ العمدة فيما اختاره أصحابنا من تنزيه الأنبياءِ والأئمّة عليهم السلام من كلّ ذنب ودناءة ومنقصة قبل النّبوّة وبعدها قول أئمّتنا سلام الله عليهم بذلك المعلوم لنا قطعاً بإجماع أصحابنا رضوان الله عليهم، مع تأيّده بالنّصوص المتظافرة حتّى صار ذلك من قبيل الضّروريّات في مذهب الإماميّة.

وقد استدلّ عليه أصحابنا بالدّلائل العقليّة، وقد أوردنا بعضها في شرح كتاب الحجّة، ومن أراد تفصيل القول في ذلك فليرجع إلى كتاب الشّافي وتنزيه الأنبياءِ وغيرهما من كتب

أصحابنا، والجواب مجملاً عمّا استدلّ به المخطّئون من إطلاق لفظ العصيان والذنب فيما صدر عن آدم عليه السلام هو أنّه لمّا قام الدّليل على عصمتهم نحمل هذه الألفاظ على ترك المستحبّ والأولى، أو فعل المكروه مجازاً، والنكتة فيه كون ترك الأولى ومخالفة الأمر الندبيّ وارتكاب النّهي التنزيهيّ منهم ممّا يعظم موقعه لعلوّ درجتهم وارتفاع شأنهم، ولنذكر بعض ما احتجّ به المنزّهون من الفريقين على سبيل الإجمال، ولهم في ذلك مسالك:

الأوّل: ما أورده السيّد المرتضى قدّس الله سرّه في كتاب تنزيه الأنبياء حيث قال: اعلم أنّ جميع ما ننزّه الأنبياء عليهم السلام عنه ونمنع من وقوعه منهم يستند إلى دلالة العلم المعجز إمّا بنفسه أو بواسطة، وتفسير هذه الجملة أنّ العلم المعجز إذا كان واقعاً موقع التّصديق لمدّعي النّبوّة والرّسالة وجارياً مجرى قوله تعالى له: صدقت في أنّك رسولي ومؤدّ عنّي فلا بدّ من أن يكون هذا المعجز مانعاً من كذبه على الله تعالى فيما يؤدّيه، لأنّه تعالى لا يجوز أن يصدّق الكذّاب، لأنّ تصديق الكذّاب قبيحٌ كما أنّ الكذب قبيح، فأمّا الكذب في غير ما يؤدّيه وسائر الكبائر فإنّما دل المعجز على نفيها من حيث كان دالاً على وجوب اتّباع الرّسول وتصديقه فيما يؤدّيه وقبوله منه لأنّ الغرض في بعثة الأنبياء عليهم السلام وتصديقهم بالأعلام المعجزة هو أن يمتثل بما يأتون به، فما قدح في الامتثال والقبول وأثّر فيهما يجب أن يمنع المعجز منه، فلهذا قلنا: إنّه يدلّ على نفي الكذب والكبائر عنهم في غيرما يؤدّونه بواسطة، وفي الأوّل يدلّ بنفسه.

فإن قيل: لم يبق إلاّ أن يدلّوا على أنّ تجويز الكبائر يقدح فيما هو الغرض بالبعثة من القبول والامتثال قلنا: لا شبهة في أنّ من نجوّز عليه كبائر المعاصي ولا نأمن منه الإقدام على الذّنوب لا تكون أنفسنا ساكنةً إلى قبول قوله واستماع وعظه سكونها إلى من نجوّز عليه شيئاً من ذلك، وهذا هو معنى قولنا: إنّ وقوع الكبائر ينفّر عن القبول والمرجع فيما ينفّر ولا ينفّر إلى العادات واعتبار ما يقتضيه، وليس ذلك ممّا يستخرج بالأدلّة والمقاييس، ومن رجع إلى العادة علم ماذكرناه، وأنّه من أقوى ما ينفّر عن قبول القول، وأنّ حظّ الكبائر في هذا الباب إن لم يزد عن حظّ السّخف والمجون والخلاعة لم ينقص منه.

فإن قيل: أليس قد جوّز كثيرٌ من النّاس على الأنبياء عليهم السلام الكبائر مع أنّهم لم ينفّروا عن قبول أقوالهم والعمل بما شرّعوه من الشّرائع، وهذا ينقض قولكم: إنّ الكبائر منفّرة؟ قلنا: هذا سؤال من لم يفهم ما أوردناه، لأنّا لم نرد بالتّنفير ارتفاع التّصديق وأن لا يقع امتثال الأمر جملةً، وإنّما أردنا ما فسّرناه من أنّ سكون النّفس إلى قبول قول من يجوّز ذلك عليه لا يكون على حدّ سكونها إلى من لا نجوّز ذلك عليه، وإنّا مع تجويز الكبائر نكون أبعد من قبول القول، كما أنّا مع الأمان من الكبائر نكون أقرب إلى القبول، وقد يقرب من الشّيء ما لا يحصل الشّيء عنده، كما يبعد عنه ما لا يرتفع عنده.

ألا ترى أنّ عبوس الدّاعي للنّاس إلى طعامه وتضجّره وتبرّمه منفّر في العادة عن حضور

دعوته وتناول طعامه، وقد يقع مع ما ذكرناه الحضور والتناول، ولا يخرجه من أن يكون منفّراً، وكذلك طلاقة وجهه واستبشاره وتبسّمه يقرب من حضور دعوته وتناول طعامه وقد يرتفع الحضور مع ما ذكرناه، ولا يخرجه من أن يكون مقرّباً، فدلّ على أنّ المعتبر في باب المنفّر والمقرّب ما ذكرناه، دون وقوع الفعل المنفّر عنه أو ارتفاعه.

فإن قيل: فهذا يقتضي أنّ الكبائر لا تقع منهم في حال النبوّة، فمن أين أنّها لا تقع منهم قبل النبوّة وقد زال حكمها بالنبوّة المسقطة للعقاب والذمّ، ولم يبق وجه يقتضي التنفير؟ قلنا: الطريقة في الأمرين واحدة، لأنّا نعلم أنّ من نجوّز عليه الكفر والكبائر في حال من الأحوال وإن تاب منه وخرج من استحقاق العقاب به لا نسكن إلى قبول قوله مثل سكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه في حال من الأحوال ولا على وجه من الوجوه، ولهذا لا يكون حال الواعظ لنا الدّاعي إلى الله تعالى ونحن نعرفه مقارفاً للكبائر مرتكباً لعظيم الذّنوب وإن كان قد فارق جميع ذلك وتاب منه عندنا وفي نفوسنا كحال من لم يعهد منه إلاّ النزاهة والطّهارة، ومعلوم ضرورة الفرق بين هذين الرجلين فيما يقتضي السّكون والنّفور، ولهذا كثيراً ما يعيّر النّاس من يعهدون منه القبائح المتقدّمة بها وإن وقعت التّوبة منها، ويجعلون ذلك عيباً ونقصاً وقادحاً ومؤثّراً، وليس إذا كان تجويز الكبائر قبل النبوّة منخفضاً عن تجويزها في حال النبوّة وناقصاً عن رتبته في باب التنفير وجب أن لا يكون فيه شيء من التنفير، لأنّ الشّيئين قد يشتركان في التنفير وإن كان أحدهما أقوى من صاحبه، ألا ترى أنّ كثير السخف والمجون والاستمرار عليه والانهماك فيه منفّر لا محالة، وإنّ القليل من السخف الّذي لا يقع إلاّ في الأحيان والأوقات المتباعدة منفّر أيضاً، وإن فارق الأوّل في قوّة التنفير ولم يخرجه نقصانه في هذا الباب عن الأوّل من أن يكون منفّراً في نفسه.

فإن قيل: فمن أين أنّ الصغائر لا تجوز على الأنبياء عليهم السلام في حال النبوّة وقبلها؟ قلنا: الطريقة في نفي الصغائر في الحالين هي الطّريقة في نفي الكبائر في الحالين عند التأمّل لأنّا كما نعلم أنّ من نجوّز كونه فاعلاً لكبيرة متقدّمة قد تاب منها وأقلع عنها ولم يبق معه شيء من استحقاق عقابها وذمّها لا يكون سكوننا إليه سكوننا إلى من لا نجوّز ذلك عليه، فكذلك أنّ من نجوّز عليه من الأنبياء عليهم السلام أن يكون مقدماً على القبائح مرتكباً للمعاصي في حال نبوّته أو قبلها وإن وقعت مكفّرة لا يكون سكوننا إليه سكوننا إلى من نأمن منه كلّ القبائح ولا نجوّز عليه فعل شيء منها. انتهى ما أردنا إيراده من كلامه قدّس الله روحه[1].

أقول: لا يخفى عليك أنّ من جوّز صدور الصّغائر عن الأنبياء ولو نفى صدور الخسيسة منها يلزمه تجويز أكثر الذّنوب وعظائمها عليهم، بل لا فرق كثيراً بينه وبين من يجوّز جميعها، إذ الكبائر على ماروره عن النبيّ صلى الله عليه وآله سبعٌ، ورووا عن ابن عمر أنّه زاد فيها اثنتين، وعن ابن

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٥.

مسعود أنّه زاد على قول ابن عمر ثلاثة، ولا شكّ أنّ كثيراً من عظائم الذّنوب الّتي سوى ما ذكروه ليست من الصغائر الخسيسة كسرقة درهم، والتطفيف بحبّة، فيلزمهم تجويز ما لم يكن من الصنفين المذكورين كالاشتغال بأنواع المعازف والملاهي وترك الصلاة وأصناف المعاصي الّتي تقارفها ملوك الجور على رؤوس الأشهاد وفي الخلوات، فهؤلاءِ أيضاً مخطّئون للأنبياء ولكن في لباس التنزيه، ولا يرتاب عاقل في أنّ من هذا شأنه لا يصلح لرئاسة الدّين والدّنيا، وأنّ النفوس تتنفّر عنه، بل لا يجوّز أحد أن يكون مثله صالحاً لأن يكون واعظاً وهادياً للخلق في أدنى قرية، فكيف يجوّز أن يكون ممّن قال تعالى فيهم: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾(١) وإذا ثبت بطلان هذا النوع من التنزيه أمكن التمسّك في إثبات ما ذهب إليه أصحابنا من تنزّههم صلوات الله عليهم عن كلّ منقصة ولو على سبيل السّهو والنسيان من حين الولادة إلى الوفاة بالإجماع المركّب، ولا يضرّ خروج شاذّ من المعروفين من أصحابنا بعد تحقيق الإجماع.

الثاني: أنّه لو صدر عن النبيّ ذنبٌ لزم اجتماع الضدّين وهما وجوب متابعته ومخالفته، أمّا الأوّل فللإجماع ولقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢) وإذا ثبت في حقّ نبيّنا ﷺ ثبت في حقّ باقي الأنبياءِ ﷺ، لعدم القائل بالفرق، أمّا الثاني فلأنّ متابعة المذنب حرامٌ.

الثالث: أنّه لو صدر عنه ذنبٌ لوجب منعه وزجره والإنكار عليه لعموم أدلّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولكنّه حرامٌ لاستلزام إيذائه المحرّم بالإجماع، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٣).

الرابع: أنّه لو أقدم على الفسق لزم أن يكون مردود الشهادة لقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾(٤) وللإجماع على عدم قبول شهادة الفاسق، فيلزم أن يكون أدون حالاً من آحاد الأمّة، مع أنّ شهادته تقبل في الدّين القويم، وهو شاهدٌ على الكلّ يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٥).

الخامس: أنّه يلزم أن يكونوا أقلّ درجة من عصاة الأمّة، فإنّ درجاتهم في غاية الرّفعة والجلالة، ونعم الله سبحانه بالاصطفاءِ على النّاس وجعلهم أمناءَ على وحيه وخلفاء في عباده وبلاده وغير ذلك عليهم أتمّ وأبلغ، فارتكابهم المعاصي والإعراض عن أوامر ربّهم ونواهيه للذّة فانية أفحش وأشنع من عصيان هؤلاءِ، ولا يلتزمه عاقل.

السادس: أنّه يلزم استحقاقه العذاب واللّعن واستيجابه التوبيخ واللّوم لعموم قوله تعالى:

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٧.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وهو باطلٌ بالضرورة والإجماع.

السابع: أنّهم كانوا يأمرون النّاس بطاعة الله، فهم لو لم يطيعوا لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[2] واللاّزم باطلٌ بالإجماع، ولكونه من أعظم المنفّرات، فإنّ كلّ واعظ لم يعمل بما يعظ النّاس به لا يرغب النّاس في الاستماع منه وحضور مجلسه ولا يعبؤون بقوله.

الثامن: أنّه تعالى حكى عن إبليس قوله: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾[3] فلو عصى نبيّ لكان ممّن أغواه الشيطان ولم يكن من المخلصين، مع أنّ الأنبياءِ من المخلصين للإجماع ولأنّه تعالى قال: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾[4] وإذا ثبت وجوب العصمة في البعض ثبت في الكلّ لعدم القائل بالفرق.

التاسع: أنّه يلزم أن يكون من حزب الشيطان وقال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[5] ولا يقول به إلاّ الخاسرون.

العاشر: أنّ الرّسول أفضل من الملك لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[6] وأفضليّة البعض يدلّ على أفضليّة الكلّ للإجماع المركّب، ولو صدرت المعصية عنه لامتنع كونه أفضل لقوله تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

الحادي عشر: النبيّ لو كان عاصياً لكان من الظّالمين، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

قال الرّازيّ في تفسيره: المراد بهذا العهد إمّا عهد النبوّة، أو عهد الإمامة، فإن كان المراد عهد النبوّة ثبت المطلوب، وإن كان المراد عهد الإمامة فكذلك، لأنّ كلّ نبيّ لا بدّ أن يكون إماماً يؤتمّ به ويقتدى به، فالآية على جميع التقديرات تدلّ على أنّ النبيّ لا يكون مذنباً.

الثاني عشر: أنّه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[7] والأنبياء من ذلك الفريق بالاتّفاق. وقد ذكروا وجوهاً أُخر وفيما ذكرناه كفايةٌ لمن كان له قلبٌ أو ألقى السّمع وهو شهيدٌ. وأمّا الجواب عن حجج المخطّئة فسنذكر في كلّ باب ما يناسبه إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٣) سورة ص، الآيتان: ٨٢-٨٣.
(٤) سورة ص، الآيات: ٤٥-٤٧.
(٥) سورة المجادلة، الآية: ١٩.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٣٣.
(٧) سورة سبأ، الآية: ٢٠.

أبواب قصص آدم وحواء وأولادهما صلوات الله عليهما

١ - باب فضل آدم وحواء وعلل تسميتهما، وبعض أحوالهما وبدء خلقهما وسؤال الملائكة في ذلك

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ «١».

الرحمن «٥٥»: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ «١٤».

تفسير: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قال البيضاويّ: الخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والتاء للمبالغة ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ تعجّبٌ من أن يستخلف لعمارة الأرض وإصلاحها ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ أو يستخلف مكان أهل الطّاعة أهل المعصية، واستكشاف عمّا خفي عليهم من الحكمة الّتي بهرت تلك المفاسد، واستخبار عمّا يرشدهم ويزيح شبهتهم، وليس باعتراض على الله ولا طعن في بني آدم على وجه الغيبة، فإنّهم أعلى من أن يظنّ بهم ذلك، وإنّما عرفوا ذلك بإخبار من الله أو تلقّ من اللّوح المحفوظ، أو استنباط عمّا ركز في عقولهم أنّ العصمة من خواصّهم، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ حال مقرّرة لجهة الإشكال، وكأنّهم علموا أنّ المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره: شهويّةٌ وغضبيّة تؤدّيان به إلى الفساد وسفك الدّماء، وعقليّةٌ تدعوه إلى المعرفة والطّاعة، ونظروا إليها مفردةً وقالوا: ما الحكمة في استخلافه وهو باعتبار تينك القوّتين لا تقتضي الحكمة إيجاده فضلاً عن استخلافه؟ وأمّا باعتبار القوّة العقليّة فنحن نقيم بما يتوقّع منها سليماً عن معارضة تلك المفاسد، وغفلوا عن فضيلة كلّ واحدة من القوّتين إذا صارت مهذّبةً مطواعة للعقل متمرّنةً على الخير كالعفّة والشّجاعة ومجاهدة الهوى والإنصاف، ولم يعلموا أنّ التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيّات، واستنباط الصّناعات، واستخراج منافع الكائنات من القوّة إلى الفعل الّذي هو المقصود من الاستخلاف، وإليه أشار تعالى إجمالاً بقوله: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ والتسبيح تبعيد الله عن السّوء، وكذلك التقديس، و ﴿بِحَمْدِكَ﴾ في موضع الحال، أي متلبّسين بحمدك على ما ألهمتنا معرفتك ووفّقتنا لتسبيحك ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ إمّا بخلق علم ضروريّ بها فيه، أو إلقاء في روحه، ولا يفتقر إلى سابقة اصطلاح ليتسلسل، والاسم: ما يكون علامة للشيء ودليلاً يرفعه

إلى الذّهن من الألفاظ والصّفات والأفعال، واستعماله عرفاً في اللّفظ الموضوع لمعنى، سواء كان مركّباً أو مفرداً مخبراً عنه أو خبراً أو رابطةً بينهما، واصطلاحاً في المعنى المعروف؛ والمراد في الآية إمّا الأوّل أو الثاني وهو يستلزم الأوّل، لأنّ العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقّف على العلم بالمعاني، والمعنى أنّه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة، وقوى متباينة، مستعدّاً لإدراك أنواع المدركات من المعقولات والمحسوسات والمتخيّلات والموهوبات، وألهمه معرفة ذوات الأشياء وخواصّها وأسمائها وأصول العلم وقوانين الصناعات وكيفيّة آلاتها ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ الضّمير للمسمّيات المدلول عليها ضمناً ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ تبكيتٌ لهم وتنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فإنّ التصرّف والتدبير وإقامة المعدلة قبل تحقّق المعرفة والوقوف على مراتب الاستعدادات وقدر الحقوق محال، وليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في زعمكم أنّكم أحقّاء بالخلافة لعصمتكم، أو أنّ خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعترافٌ بالعجز والقصور، وإشعار بأنّ سؤالهم كان استفساراً ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ استحضارٌ لقوله: ﴿أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ لكنّه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجّة عليه، فإنّه تعالى لمّا علم ما خفي عليهم من أمور السماوات والأرض وما ظهر لهم من الأحوال الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون، وفيه تعريضٌ بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقّفوا مترصّدين لأن يبيّن لهم. وقيل: ﴿مَا تُبْدُونَ﴾ قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ و﴿مَا تَكْتُمُونَ﴾ استبطانهم أنّهم أحقّاء بالخلافة وأنّه تعالى لا يخلق خلقاً أفضل منهم. وقيل: ما أظهروا من الطّاعة وأسرّ منهم إبليس من المعصية[1].

أقول: سيأتي تمام الكلام في تفسير تلك الآيات وسائر الآيات الواردة في ذلك ودفع الشّبه الواردة عليها في كتاب السّماء والعالم.

قوله: ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ قال الطّبرسيّ ﷺ: المراد بالنّفس هنا آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ذهب أكثر المفسّرين إلى أنّها خلقت من ضلع من أضلاع آدم، ورووا عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «خلقت المرأة من ضلع إن أقمتها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها» وروي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: أنّ الله خلق حوّاء من فضل الطّينة الّتي خلق منها آدم. وفي تفسير عليّ بن إبراهيم: أنّها خلقت من أسفل أضلاعه[2].

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ قال البيضاويّ: الصّلصال الطّين اليابس الّذي له صلصلة، والفخّار: الخزف، وقد خلق الله آدم من تراب جعله طيناً ثمّ حمأ مسنوناً ثمّ صلصالاً فلا يخالف ذلك قوله: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ونحوه[3].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٨١. (٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٨.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٢٢.

١ - فس: فقال الله ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ فأقبل آدم يخبرهم، فقال الله: ﴿أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ﴾ الآية فجعل آدم حجّة عليهم[١].

٢ - فس: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾ يعني آدم ﴿وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ يعني حوّاء برأها من أسفل أضلاعه[٢].

٣ - ج: عن أبي بصير قال: سأل طاوس اليمانيّ أبا جعفر عليه السلام: لمَ سمّي آدم آدم؟ قال: لأنّه رفعت طينته من أديم الأرض السّفلى، قال: فلمَ سمّيت حوّاء حوّاء؟ قال: لأنّها خلقت من ضلع حيّ، يعني ضلع آدم[٣].

٤ - ع: أبي عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض.

قال الصدوق رحمه الله: اسم الأرض الرابعة أديم، وخلق آدم منها فلذلك قيل: خلق من أديم الأرض[٤].

٥ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النّوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّيت حوّاء حوّاء لأنّها خلقت من حيّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾[٥].

بيان: اختلف في اشتقاق اسم آدم فقيل: اسم أعجميّ لا اشتقاق له كآزر، وقيل: اشتقّ من الأدمة بمعنى السّمرة لأنّه عليه السلام كان أسمر اللّون، وقيل: من الأدمة بالفتح بمعنى الأسوة، وقيل: من أديم الأرض أي وجهها، وقد روي هذا في أخبار العامّة أيضاً، وقيل: من الإدام بمعنى ما يؤتدم به، وقيل: من الأدم بمعنى الألفة والاتّفاق، وما ورد في الخبر هو المتّبع. وأمّا ما ذكره الصّدوق رحمه الله من كون الأديم اسماً للأرض الرّابعة فلم نجد له أثراً في كتب اللّغة، ولعلّه وصل إليه بذلك خبر.

وأمّا اشتقاق حوّاء من الحيّ أو الحيوان لكون الأولى واويّاً والأخريان من اليائيّ يخالف القياس، ويمكن أن يكون مبنيّاً على قياس لغة آدم عليه السلام، أو يكون مشتقّاً من لفظ يكون في لغتهم بمعنى الحياة، مع أنّه كثيراً ما يرد الاشتقاق في لغة العرب على خلاف قياسهم فيسمّونه سماعيّاً وشاذّاً فليكن هذا منها.

٦ - ع: في خبر ابن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن آدم لمَ سميّ آدم؟ قال: لأنّه خلق من طين الأرض وأديمها، قال: فآدم خلق من الطّين كلّه أو من طين واحد؟ قال: بل من الطّين

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٦.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٣٨.

(٣) الاحتجاج ص ٣٢٨.

(٤) علل الشرائع، ص ٢٦ ج ١ باب ١٠.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨ باب ١٤.

كلّه، ولو خلق من طين واحد لما عرف النّاس بعضهم بعضاً، وكانوا على صورة واحدة، قال: فلهم في الدنيا مثل؟ قال: التراب فيه أبيض وفيه أخضر وفيه أشقر وفيه أغبر وفيه أحمر وفيه أزرق وفيه عذب وفيه ملح وفيه خشن وفيه ليّن وفيه أصهب، فلذلك صار النّاس فيهم ليّن وفيهم خشن وفيهم أبيض وفيهم أصفر وأحمر وأصهب وأسود على ألوان التراب.

قال: فأخبرني عن آدم خلق من حوّاء أو خلقت حوّاء من آدم؟ قال: بل حوّاء خلقت من آدم، ولو كان آدم خلق من حوّاء لكان الطّلاق بيد النساءِ، ولم يكن بيد الرجال.

قال: فمن كلّه خلقت أم من بعضه؟ قال: بل من بعضه، ولو خلقت من كلّه لجاز القصاص في النّساء كما يجوز في الرّجال.

قال: فمن ظاهره أو باطنه؟ قال: بل من باطنه، ولو خلقت من ظاهره لا نكشفن النساء كما ينكشف الرّجال، فلذلك صار النّساء مستترات.

قال: فمن يمينه أو من شماله؟ قال: بل من شماله، ولو خلقت من يمينه لكان للأنثى كحظّ الذكر من الميراث، فلذلك صار للأنثى سهمٌ وللذّكر سهمان، وشهادة امرأتين مثل شهادة رجل واحد.

قال: فمن أين خلقت؟ قال: من الطينة الّتي فضلت من ضلعه الأيسر[1].

بيان: الأشقر: الشديد الحمرة. وقال الفيروزآباديّ: الصّهب محرّكة: حمرة أو شقرة في الشعر كالصّهبة. والأصهب: بعير ليس بشديد البياض، والصيهب كصيقل: الصخرة الصّلبة، والموضع الشديد، والأرض المستوية، والحجارة.

٧ - **ع:** الدقّاق، عن الكلينيّ، عن علاّن رفعه قال: أتى أمير المؤمنين يهوديّ فقال: لمَ سمّي آدم آدم، وحوّاء حوّاء؟ قال: إنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض، وذلك أنّ الله تبارك وتعالى بعث جبرئيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات: طينة بيضاء، وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحزنها، ثمّ أمره أن يأتيه بأربع مياه: ماء عذب، وماء ملح، وماء مرّ، وماء منتن، ثمّ أمره أن يفرغ الماء في الطّين، وأدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطّين يحتاج إلى الماء، ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطّين، فجعل الماء العذب في حلقه، وجعل الماء المالح في عينيه، وجعل الماء المرّ في أذنيه، وجعل الماء المنتن في أنفه، وإنّما سمّيت حوّاء حوّاء لأنّها خلقت من الحيوان. الخبر[2].

بيان: قال الجوهريّ: الأدم: الألفة والاتّفاق، يقال: أدم الله بينهما، أي أصلح وألّف، وكذلك آدم الله بينهما، فعل وأفعل بمعنى؛ انتهى. واليد هنا بمعنى القدرة.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٢ باب ٢٢٢ ح ٣٣ والحديث طويل.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢ باب ١ ح ١ وللحديث صدر وذيل.

٨ - **ختص**: المعلّى بن محمّد، عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ أوّل من قاس إبليس، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه، ثمّ قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور، وخلق الجانّ من النّار، وخلق الجنّ صنفاً من الجانّ من الرّيح، وخلق الجنّ صنفاً من الجنّ من الماء، وخلق آدم من صفحة الطّين، ثمّ أجرى في آدم النّور والنّار والرّيح والماء، فبالنّور أبصر وعقل وفهم، وبالنّار أكل وشرب، ولولا أنّ النّار في المعدة لم يطحن المعدة الطّعام، ولولا أنّ الرّيح في جوف ابن آدم تلهب النّار المعدة لم تلتهب، ولولا أنّ الماء في جوف ابن آدم يطفئ حرّ نار المعدة لأحرقت النّار جوف ابن آدم، فجمع الله ذلك في آدم الخمس خصال، وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها[1].

٩ - **ع**: أبي، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن البزنطيّ، عن أبان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ القبضة الّتي قبضها الله عزّ وجلّ من الطّين الّذي خلق منه آدم عليه السلام أرسل إليها جبرئيل عليه السلام أن يقبضها، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع إلى ربّه فقال: يا ربّ تعوّذت بك منّي، فأرسل إليها إسرافيل فقالت مثل ذلك، فأرسل إليها ميكائيل فقالت مثل ذلك، فأرسل إليها ملك الموت فتعوّذت بالله أن يأخذ منها شيئاً، فقال ملك الموت: وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى أقبض منك، قال، وإنّما سمّي آدم آدم لأنّه خلق من أديم الأرض[2].

١٠ - **فس**: أبي، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن ثابت الحذّاء، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر الباقر، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعدما مضى الجنّ والنّسناس في الأرض سبعة آلاف سنة، وكان من شأنه خلق آدم كشط عن أطباق السّماوات وقال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجنّ والنّسناس، فلمّا رأوا ما يعملون من المعاصي وسفك الدّماء والفساد في الأرض بغير الحقّ عظم ذلك عليهم وغضبوا لله وتأسّفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم فقالوا: ربّنا أنت العزيز القادر الجبّار القاهر العظيم الشّأن، وهذا خلقك الضّعيف الذّليل يتقلّبون في قبضتك ويعيشون برزقك ويستمتعون بعافيتك وهم يعصونك بمثل هذه الذّنوب العظام لا تأسف عليهم، ولا تغضب، ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك، قال: فلمّا سمع ذلك من الملائكة قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يكون حجّة في أرضي على خلقي، فقالت الملائكة سبحانك: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ كما أفسد بنو الجانّ ويسفكون الدّماء كما سفكت بنو الجانّ، ويتحاسدون ويتباغضون، فاجعل ذلك الخليفة منّا فإنّا لا نتحاسد ولا نتباغض ولا نسفك الدّماء ﴿نُسَبِّحُ

---

(١) الاختصاص، ص ١٠٩.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٣ باب ٣٨٥ ح ٩.

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فقال جلّ وعزّ: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي، وأجعل من ذرّيّته أنبياء ومرسلين، وعباداً صالحين، وأئمّة مهتدين، أجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم سبيلي، وأجعلهم لي حجّة عليهم وعذراً ونذراً، وأبين النّسناس عن أرضي وأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجنّ العصاة عن بريّتي وخلقي وخيرتي، وأسكنهم في الهواءِ وفي أقطار الأرض فلا يجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجنّ وبين خلقي حجاباً فلا يرى نسل خلقي الجنّ ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم، فمن عصاني من نسل خلقي الّذين اصطفيتهم أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم مواردهم ولا أبالي. قال: فقالت الملائكة: يا ربّنا افعل ما شئت ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال: فباعدهم الله من العرش مسيرة خمسمائة عام، قال: فلاذوا بالعرش فأشاروا بالأصابع، فنظر الرّبّ جلّ جلاله إليهم ونزلت الرّحمة فوضع لهم البيت المعمور فقال: طوفوا به، ودعوا العرش فإنّه لي رضا. فطافوا به وهو البيت الّذي يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، فوضع الله البيت المعمور توبةً لأهل السّماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال: وكان ذلك من الله تقدمة في آدم قبل أن يخلقه واحتجاجاً منه عليهم، قال: فاغترف ربّنا تبارك وتعالى غرفة بيمينه من الماء العذب الفرات - وكلتا يديه يمين - فصلصلها في كفّه حتّى جمدت، فقال لها: منك أخلق النّبيّين والمرسلين وعبادي الصّالحين والأئمّة المهتدين والدّعاة إلى الجنّة وأتباعهم إلى يوم القيامة ولا أبالي. ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون، ثمّ اغترف غرفة أخرى من الماءِ المالح الأجاج فصلصلها في كفّه فجمدت ثمّ قال لها: منك أخلق الجبّارين والفراعنة والعتاة وإخوان الشّياطين والدّعاة إلى النّار إلى يوم القيامة وأشياعهم ولا أبالي ولا أسأل عمّا أفعل وهم يسألون، قال: وشرط في ذلك البداء فيهم، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء، ثمّ خلط المائين جميعاً في كفّه فصلصلهما ثمّ كفأهما قدّام عرشه وهما سلالة من طين، ثمّ أمر الملائكة الأربعة: الشّمال والجنوب والصّبا والدّبور أن يجولوا على هذه السلالة من الطّين فأبدوها وأنشؤوها ثمّ أبروها وجزّوها وفصّلوها وأجروا فيها الطّبائع الأربعة: الرّيح والدّم والمرّة والبلغم، فجالت الملائكة عليها وهي الشّمال والجنوب والصّبا والدّبور وأجروا فيها الطّبائع الأربعة فالريح في الطبائع الأربعة من البدن من ناحية الشّمال، والبلغم في الطّبائع الأربعة من ناحية الصّبا، والمرّة في الطّبائع الأربعة من ناحية الدبور، والدم في الطبائع الأربعة من ناحية الجنوب، قال: فاستقلّت النّسمة وكمل البدن، فلزمه من ناحية الرّيح حبّ النّساءِ وطول الأمل والحرص، ولزمه من ناحية البلغم حبّ الطّعام والشّراب والبرّ والحلم والرّفق، ولزمه من ناحية المرّة

الغضب والسفه والشيطنة والتجبّر والتمرُّد والعجلة، ولزمه من ناحية الدم حبُّ النساءِ واللّذات وركوب المحارم والشهوات؛ قال أبو جعفر عليه السلام: وجدنا هذا في كتاب أمير المؤمنين عليه السلام [(١)].

ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر مثله[(٢)]. وقد أوردناه بلفظه في باب قوام بدن الإنسان.

١١ - فس: ذكر بعد الخبر المتقدّم: فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، وكان يمرّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خلقت؛ فقال العالم عليه السلام فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا لعصيته، قال: ثمّ نفخ فيه فلمّا بلغت فيه الرّوح إلى دماغه عطس فقال: الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله، قال الصّادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرّحمة[(٣)].

بيان: سيأتي تمام الخبر في الباب الآتي. ويقال: كشطت الغطاء عن الشيء: أي كشفته عنه. والنّسناس: حيوان شبيه بالإنسان يقال: إنّه يوجد في بعض بلاد الهند وقال الجوهريّ: جنس من الخلق يثب أحدهم على رجل واحدة. وأسف: غضب وزناً ومعنى. والصّلصال قيل: إنّه المتغيّر وقيل: الطين الحرّ خلط بالرمل، وقيل: الطين اليابس، يصلصل أي يصوت إذا نقر، أو لأنّه كانت الرّيح إذا مرّت به سمعت له صلصلة وصوت. والحمأ: الطين الأسود. والمسنون: المتغيّر المتن.

قوله عليه السلام: (وكلتا يديه يمين) قال الجزريّ: أي أنّ يديه تبارك وتعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما، لأنّ الشّمال تنقص عن اليمين، وإطلاق هذه الأسماء إنّما هو على سبيل المجاز والاستعارة، والله منزّه عن التشبّه والتّجسّم انتهى.

أقول: يمكن توجيهه بوجوه ثلاثة:

الأوّل: أن يكون المراد باليد القدرة، واليمين كنايةٌ عن قدرته على اللّطف والاحسان والرّحمة، والشّمال كنايةٌ عن قدرته على القهر والبلايا والنّقمات، والمراد بكون كلّ منها يميناً كون قهره ونقمته وبلائه أيضاً لطفاً وخيراً ورحمةً.

والثاني: أن يكون المراد على هذا التأويل أيضاً أنّ كلاً منهما كامل في ذاته لا نقص في شيء منهما.

والثالث: أن يكون المراد بيمينه يمين الملك الّذي أمره بذلك، ويكون كلتا يديه يميناً مساواة قوّة يديه وكمالهما.

وسلالة الشيء: ما انسلّ منه واستخرج بجذب ونزع. قوله عليه السلام: (فأبروها) يمكن أن

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٩.

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢٩ باب ٩٦ ح ١.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٢.

يكون مهموزاً من براه الله أي خلقه، وجاء غير المهموز أيضاً بهذا المعنى فيكون مجازاً، أي اجعلوها مستعدّةً للخلق كما في قوله: انشؤوها، ويحتمل أن يكون من البري بمعنى النحت كناية عن التّفريق، أو من التأبير من قولهم: أبّر النخل أي أصلحه، والمراد بالرّيح السّوداء، وبالمرّة الصفراء أو بالعكس، أو المراد بالرّيح الرّوح الحيوانيّ وبالمرّة الصفراء والسّوداء معاً، إذ تطلق عليهما، وتكرار حبّ النّساءِ لمدخليّتهما معاً فيه، وليس في بعض النّسخ الأخير، وفي بعضها «حبّ الفساد» وهو أصوب، وقد مرّ بيان الطينة ومعناها في كتاب العدل، وسيأتي توضيح سائر ما يستشكل منه عن قريب إن شاء الله تعالى.

١٢ - ع، ن: سأل الشّاميّ أمير المؤمنين عليه السلام : لمَ سمّي آدم آدم؟ قال: لأنّه خلق من أديم الأرض[١].

١٣ - ن، لي: قد مرّ في خبر الحسين بن خالد، عن الرّضا عليه السلام قال: كان نقش خاتم آدم عليه السلام «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» هبط به معه من الجنّة[٢].

١٤ - نوادر الرّاونديّ: بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أهل الجنّة ليست لهم كنى إلاّ آدم عليه السلام فإنّه يكنّى بأبي محمّد توقيراً وتعظيماً[٣].

١٥ - ب: هارون، عن ابن زياد، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام إنّ روح آدم عليه السلام لمّا أُمرت أن تدخل فيه فكرهته فأمرها أن تدخل كرهاً وتخرج كرهاً[٤].

١٦ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النّخعيّ، عن النّوفليّ، عن عليّ بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لأيّ علّة خلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام من غير أب وأمّ، وخلق عيسى من غير أب؟ وخلق سائر النّاس من الآباءِ والأمّهات فقال: ليعلم النّاس تمام قدرته وكمالها، ويعلموا أنّه قادر على أن يخلق خلقاً من أنثى من غير ذكر، كما هو قادرٌ على أن يخلقه من غير ذكر ولا أنثى، وأنّه عزّ وجلّ فعل ذلك ليعلم أنّه على كلّ شيء قدير[٥].

١٧ - ع: عليّ بن حبشيّ بن قونيّ، عن حميد بن زياد، عن القاسم بن إسماعيل، عن محمّد بن سلمة، عن يحيى بن أبي العلاء الرازيّ أنّ رجلاً دخل على أبي عبد الله عليه السلام فقال: جعلت فداك أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾﴾ وأخبرني عن هذا البيت كيف صار فريضةً على الخلق أن يأتوه؟ قال: فالتفت أبو عبد الله عليه السلام إليه وقال: ما

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٨ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٠ باب ٣١ ح ٢٠٦ وأمالي الصدوق، ص ٣٧٠ مجلس ٧٠ ح ٥.
(٣) نوادر الراوندي، ص ١٠٥ ح ٧٦.
(٤) قرب الإسناد، ص ٧٩ ح ٢٥٧.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٦ باب ١٢ ح ١.

سألني عن مسألتك أحد قط قبلك، إنّ الله عزّوجلّ لمّا قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ضجّت الملائكة من ذلك وقالوا: يا ربّ إن كنت لا بدّ جاعلاً في أرضك خليفة فاجعله منّا ممن يعمل في خلقك بطاعتك، فردّ عليهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فظنّت الملائكة أنّ ذلك سخط من الله عزّوجلّ عليهم، فلاذوا بالعرش يطوفون به، فأمر الله عزّوجلّ لهم ببيت من مرمر سقفه ياقوتة حمراء، وأساطينه الزّبرجد، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يدخلونه بعد ذلك إلى يوم الوقت المعلوم، قال: ويوم الوقت المعلوم يوم ينفخ في الصّور نفخة واحدة، فيموت إبليس ما بين النّفخة الأولى والثّانية. وأمّا (نون) فكان نهراً في الجنّة أشدّ بياضاً من الثّلج وأحلى من العسل، قال الله عزّوجلّ له: كن مداداً، فكان مداداً، ثمّ أخذ شجرةً فغرسها بيده - ثمّ قال: واليد: القوّة، وليس بحيث تذهب إليه المشبّهة - ثمّ قال لها: كوني قلماً، ثمّ قال له: اكتب، فقال: يا ربّ وما أكتب؟ قال: ما هو كائن إلى يوم القيامة، ففعل ذلك، ثمّ ختم عليه وقال: لا تنطقنّ إلى يوم الوقت المعلوم[١].

١٨ - **فس:** ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ قال: لمّا أجرى الله الرّوح من قدميه فبلغت إلى ركبتيه أراد أن يقوم فلم يقدر، فقال الله عزّوجلّ: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾[٢].

١٩ - **ع:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن النّخعيّ، عن عمّه النّوفليّ، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّيت المرأة مرأة لأنّها خلقت من المرء، يعني خلقت حوّاء من آدم[٣].

٢٠ - **ع:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل قال: سمّي النّساء نساءً لأنّه لم يكن لآدم أنس غير حوّاء[٤].

بيان: كأنّه مبنيّ على القلب أو على الاشتقاق الكبير.

٢١ - **ل:** عن أبي لبابة، عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال: خلق الله آدم في يوم الجمعة[٥].

أقول: سيجيء الخبر بتمامه في فضائل الجمعة.

٢٢ - **ع:** الدقّاق، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: كتبت إلى أبي جعفر الثّاني عليه السلام أسأله عن علّة الغائط ونتنه، قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق آدم عليه السلام وكان جسده طيّباً، وبقي أربعين سنة ملقىً تمرّ به الملائكة فتقول: لأمر ما خلقت وكان إبليس يدخل في فيه، ويخرج من دبره، فلذلك صار ما في جوف آدم عليه السلام منتناً خبيثاً غير طيّب[٦].

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٥ باب ١٤٢ ح ٢. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٥.
(٣) - (٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٨ باب ١٥ و١٦.
(٥) الخصال، ص ٣١٦، باب الخمسة ح ٩٧.
(٦) علل الشرائع، ج ١ ص ٣١٩ باب ١٨٣ ح ٢.

٢٣ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عن علي بن حديد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما عليه‌السلام أنّه سئل عن ابتداءِ الطواف، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد خلق آدم عليه‌السلام قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فقال ملكان من الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فوقعت الحجب فيما بينهما وبين الله عزّ وجلّ، وكان تبارك وتعالى نوره ظاهراً للملائكة، فلمّا وقعت الحجب بينه وبينهما علما أنّه سخط قولهما، فقالا للملائكة: ما حيلتنا؟ وما وجه توبتنا؟ فقالوا: ما نعرف لكما من التوبة إلاّ أن تلوذا بالعرش، قال: فلاذا بالعرش حتّى أنزل الله عزّ وجلّ توبتهما ورفعت الحجب فيما بينه وبينهما، وأحبّ الله تبارك وتعالى أن يعبد بتلك العبادة فخلق الله البيت في الأرض وجعل على العباد الطواف حوله، وخلق البيت المعمور في السماءِ يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[1].

بيان: المراد بنوره تعالى إمّا الأنوار المخلوقة في عرشه، أو أنوار الأئمّة صلوات الله عليهم، أو أنوار معرفته وفيضه، فالمراد بالحجب على الأخير الحجب المعنويّة.

٢٤ - ع، ن: في علل محمّد بن سنان قال: كتب الرّضا عليه‌السلام إليه: علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرّابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى الضراح، ثمّ وضع في السماء الدّنيا بيتاً يسمّى المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثمّ أمر آدم عليه‌السلام فطاف به، فتاب الله عليه وجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة[2].

٢٥ - ع: عليّ بن حاتم، عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن حنّان بن سدير، عن الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه‌السلام قال: قلت لأبي: لمَ صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى: و﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ قال الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره، فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام، فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الّذي في السماءِ الرّابعة فجعله مثابة وأمناً ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على العباد لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً[3].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٦ باب ١٤٢ ح ٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٩ باب ١٤٢ ح ٧، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٩٨ باب ٣٣ ح ١.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١١٠ باب ١٤٣ ح ١.

بيان: مثابةً أي مرجعاً، أو محلاً لحصول الثواب.

أقول: سيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب قوام بدن الإنسان، وقد مرّ معنى قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ وقول النبيّ ﷺ: «خلق الله آدم على صورته» في كتاب التوحيد لأنّها كانت أنسب بتلك الأبواب، وكذا أوردنا بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب العوالم وما خلق الله قبل آدم عليه السلام.

٢٦ - **ل:** ابن الوليد عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل، عن الحسن ابن ظريف، عن أبي عبد الرحمن، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الآباء ثلاثة: آدم ولد مؤمناً، والجانّ ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس فيهم نتاج، إنّما يبيض ويفرخ، وولده ذكورٌ ليس فيهم إناث[1].

٢٧ - **ل:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسن ابن زياد، عن داود الرقّيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصرد كان دليل آدم عليه السلام من بلاد سرانديب إلى بلاد جدّة شهراً. الخبر[2].

٢٨ - **ع:** بإسناد العلويّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ ﷺ سئل كيف صارت الأشجار بعضها مع أحمال وبعضها بغير أحمال؟ فقال: كلّما سبّح الله آدم تسبيحةً صارت له في الدنيا شجرة مع حمل، وكلّما سبّحت حوّاء تسبيحة صارت في الدنيا شجرة من غير حمل[3].

٢٩ - وسئل ممّا خلق الله الشعير؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى أمر آدم عليه السلام أن ازرع ممّا اخترت لنفسك، وجاءه جبرئيل بقبضة من الحنطة، فقبض آدم على قبضة وقبضت حوّاء على أخرى، فقال آدم لحوّاء: لا تزرعي أنت، فلم تقبل أمر آدم فكلّ ما زرع آدم جاء حنطة، وكلّ ما زرعت حوّاء جاء شعيراً[4].

٣٠ - **فس:** أبي، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن المفضّل بن صالح، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ قال: عهد إليه في محمّد ﷺ والأئمّة من بعده فترك ولم يكن له عزمٌ فيهم أنّهم هكذا، وإنّما سمّوا أولو العزم لأنّه عهد إليهم في محمّد ﷺ وأوصيائه عليهم السلام من بعده والقائم عليه السلام وسيرته، فأجمع عزمهم أنّ ذلك كذلك والإقرار به[5].

ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم مثله «ج ١ باب ١٠١ ح ١».

٣١ - **فس:** أبي، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن بريد العجليّ، عن أبي عبد

---

(١) الخصال، ص ١٥٢ باب الثلاثة ح ٨٦. (٢) الخصال، ص ٣٢٧ باب الستة ح ١٨.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٦ باب ٣٧٤ ح ٢.
(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٨ باب ٣٧٦ ح ٢. (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩.

الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه، فبرأها من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضلع بينهما سبب نسب، ثمّ زوّجها إيّاه فجرى بسبب ذلك بينهما صهر، فذلك قولك: ﴿نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ فالنسب يا أخا بني عجل ما كان من نسب الرجال، والصهر ما كان من سبب النساء(١).

٣٢ - ص: الصدوق، عن ابن المتوكّل وماجيلويه معاً عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمرو بن عثمان، عن العبقريّ، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن حبّة العرنيّ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّ الله تعالى خلق آدم عليه السلام من أديم الأرض فمنه السباخ والمالح والطيّب، ومن ذرّيّته الصالح والطالح وقال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم ونفخ فيه من روحه نهض ليقوم فقال الله: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾.

وهذا علامة للملائكة أنّ من أولاد آدم عليه السلام يكون من يصير بفعله صالحاً، ومنهم من يكون طالحاً بفعله، لا أنّ من خلق من الطيّب لا يقدر على القبيح، ولا أنّ من خلق من السبخة لا يقدر على الفعل الحسن(٢).

بيان: قوله: (وهذا علامة) كلام الرّاونديّ ذكره لتأويل الخبر.

٣٣ - ص: بالإسناد، عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت الملائكة تمرّ بآدم عليه السلام - أي بصورته - وهو ملقى في الجنّة من طين - فتقول: لأمر ما خلقت(٣).

٣٤ - ص: بالإسناد، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ القبضة الّتي قبضها الله تعالى من الطين الّذي خلق آدم عليه السلام منه أرسل الله إليها جبرئيل أن يأخذ منها إن شاء، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تأخذ منّي شيئاً، فرجع فقال: يا ربّ تعوّذت بك، فأرسل الله تعالى إليها إسرافيل وخيّره فقالت مثل ذلك فرجع، فأرسل الله إليها ميكائيل وخيّره أيضاً فقالت مثل ذلك فرجع، فأرسل الله إليها ملك الموت فأمره على الحتم، فتعوّذت بالله أن يأخذ منها فقال ملك الموت: وأنا أعوذ بالله أن أرجع إليه حتّى آخذ منك قبضة، وإنّما سمّي آدم لأنّه أخذ من أديم الأرض(٤).

٣٥ - وقال: إنّ الله تعالى خلق آدم من الطين، وخلق حوّاء من آدم، فهمّة الرجال الأرض، وهمّة النساء الرجال، وقيل: أديم الأرض: أدنى الأرض الرابعة إلى اعتدال لأنّه خلق وسط بين الملائكة والبهائم(٥).

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩١.

(١) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤١-٥٠.

٣٦ - ص: بالإسناد عن الصدوق بإسناده عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: لمّا بكى آدم عليه السلام على الجنّة وكان رأسه في باب من أبواب السماء وكان يتأذّى بالشمس فحطّ من قامته[١].

٣٧ - وقال: إنّ آدم عليه السلام لمّا أُهبط من الجنّة وأكل من الطعام وجد في بطنه ثقلاً، فشكا ذلك إلى جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم فتنحّ فتنحّاه فأحدث وخرج منه الثقل[٢].

٣٨ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج، عن القاسم بن محمّد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أتى آدم هذا البيت ألف أتية على قدمين منها سبعمائة حجّة وثلاثمائة عمرة[٣].

٣٩ - ص: المرتضى بن الدّاعي، عن جعفر الدّوريستيّ، عن أبيه، عن الصدوق، عن الحسين بن محمّد بن سعيد، عن فرات بن إبراهيم، عن الحسن بن الحسين، عن إبراهيم بن الفضل، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن سهل بن سنان، عن أبي جعفر بن محمّد الطائفيّ عن محمّد بن عبدالله، عن محمّد بن إسحاق، عن الواقديّ، عن الهذيل، عن مكحول، عن طاوس عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أن خلق الله تعالى آدم وقّفه بين يديه فعطس فألهمه الله أن حمده، فقال: يا آدم أحمدتني، فوعزّتي وجلالي لولا عبدان أريد أن أخلقهما في آخر الزمان ما خلقتك، قال آدم: يا ربّ بقدرهم عندك ما اسمهما؟ فقال تعالى: يا آدم انظر نحو العرش، فإذا بسطرين من نور أوّل السطر: «لا إله إلا الله محمّد نبيّ الرحمة وعليّ مفتاح الجنّة» والسطر الثاني: «آليت على نفسي أن أرحم من والاهما وأُعذّب من عاداهما»[٤].

٤٠ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الفزاريّ، عن محمّد ابن عمران، عن اللّؤلئيّ، عن ابن بزيع، عن ابن ظبيان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: اجتمع ولد آدم في بيت فتشاجروا، فقال بعضهم: خير خلق الله أبونا آدم، وقال بعضهم: الملائكة المقرّبون وقال بعضهم: حملة العرش، إذ دخل عليهم هبة الله فقال بعضهم: لقد جاءكم من يفرّج عنكم فسلّم ثمّ جلس فقال: في أيّ شيء كنتم؟ فقالوا: كنّا نفكّر في خير خلق الله فأخبروه، فقال: اصبروا لي قليلاً حتّى أرجع إليكم، فأتى أباه فقال: يا أبت إنّي دخلت على إخوتي وهم يتشاجرون في خير خلق الله فسألوني فلم يكن عندي ما أخبرهم، فقلت: اصبروا حتّى أرجع إليكم فقال آدم عليه السلام: يا بنيّ وقفت بين يدي الله جلّ جلاله فنظرت إلى سطر على وجه العرش مكتوب: بسم الله الرّحمن الرّحيم محمّد وآل محمّد خير من برأ الله[٥].

---

(١) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤١-٥٠.

(٤) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٢.

٤١ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق عن عليّ بن عبد الله الأسواريّ، عن عليّ بن أحمد عن محمّد، عن محمّد بن ميمون، عن الحسن، عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أباكم كان طوّالاً كالنّخلة السحوق ستّين ذراعاً[1].

بيان: قال الجوهريّ: الطوال بالضمّ الطويل، فإذا أفرط في الطول قيل: طوّال بالتشديد. وقال: السحوق من النخل: الطويلة. انتهى.

أقول: هذا الخبر عاميّ، وعلى تقدير صحّته يمكن الجمع بينه وبين ما سيأتي باختلاف الأذرع، وسيظهر لك عند إيراد ذلك الخبر بعض الوجوه، وأمّا ما قيل: إنّ ستّين ذراعاً صفة للنّخلة والتشبيه في أصل الطول لا في مقداره فلا يخفى بعده.

٤٢ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: إنّ الله تعالى خلق حوّاء من فضل طينة آدم على صورته، وكان ألقى عليه النعاس وأراه ذلك في منامه، وهي أوّل رؤيا كانت في الأرض فانتبه وهي جالسة عند رأسه فقال عزّ وجلّ: يا آدم ما هذه الجالسة؟ قال: الرؤيا الّتي أريتني في منامي، فأنس وحمد الله، فأوحى الله تعالى إلى آدم: إنّي أجمع لك العلم كلّه في أربع كلمات: واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك، وواحدةٌ فيما بيني وبينك، وواحدةٌ فيما بينك وبين النّاس، فأمّا الّتي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأمّا الّتي فيما بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة، وأمّا الّتي فيما بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك[2].

٤٣ - **شي:** عن محمّد بن عيسى العلويّ، عن أبيه، عن جدّه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: خلقت حوّاء من قصيرا جنب آدم - والقصيرا هو الضلع الأصغر - وأبدل الله مكانه لحماً[3].

٤٤ - وبإسناده عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام، قال: خلقت حوّاء من جنب آدم وهو راقد[4].

٤٥ - **شي:** عن أبي عليّ الواسطيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله خلق آدم من الماء والطين، فهمّة آدم في الماء والطين، وإنّ الله خلق حوّاء من آدم فهمّة النساءِ في الرجال، فحصّنوهنّ في البيوت[5].

٤٦ - **شي:** عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: من أيّ شيء خلق الله حوّاء؟ فقال: أيّ شيء يقول هذا الخلق؟ قلت: يقولون: إنّ الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم، فقال: كذبوا، أكان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه؟ فقلت: جعلت فداك يابن رسول الله من أيّ شيء خلقها؟ فقال: أخبرني أبي، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله: إنّ

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٩.

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٤١ ح ٢ و٤ من سورة النساء.

الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين فخلطها بيمينه - وكلتا يديه يمين - فخلق منها آدم، وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حوّاء(١).

بيان: فالأخبار السابقة إمّا محمولةٌ على التقيّة أو على أنّها خلقت من طينة ضلع من أضلاعه وقال بعض أصحاب الأرثماطيق: إنّ عدد التسعة بمنزلة آدم، فإنّ للآحاد نسبة الأبوّة إلى سائر الأعداد، والخمسة بمنزله حوّاء، فإنّها الّتي يتولّد منها، فإنّ كلّ عدد فيه خمسة إذا ضرب فيما فيه الخمسة فلا بد من وجود الخمسة بنفسها في حال الضرب البتّة وقالوا في قوله تعالى: ﴿طه﴾: إشارة إلى آدم وحوّاء، وكلّ من هذين العددين إذا جمع من الواحد إليه على النظم الطبيعيّ اجتمع ما يساوي عدد الاسم المختصّ له فإذا جمعنا من الواحد إلى التسعة كان خمسة وأربعين وهو عدد آدم، وإذا جمعنا من الواحد إلى الخمسة كان خمسة عشر وهي عدد حوّاء، وقد تقرّر في الحساب أنّه إذا ضرب عدد في عدد يقال لكلّ من المضروبين ضلعاً وللحاصل مربّعاً، وإذا ضربنا الخمسة والتسعة حصل خمسة وأربعون، وهي عدد آدم وضلعاه الخمسة والتسعة، قالوا: وماورد في لسان الشارع عليه السلام من قوله: خلقت من الضلع الأيسر لآدم إنّما ينكشف سرّه بما ذكرناه، فإنّ الخمسة هي الضلع الأيسر للخمسة والأربعين والتسعة الضلع الأكبر، والأيسر من اليسر وهو القليل لا من اليسار.

٤٧ - **شي:** عن هشام بن سالم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام وما علم الملائكة بقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ لولا أنّهم قد كانوا رأوا من يفسد فيها ويسفك الدّماء(٢).

٤٨ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ قال الإمام: لمّا قيل لهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ الآية، قالوا: متى كان هذا؟ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ ابتدائي هذا الخلق أي ما في الأرض جميعاً لكم حين قال ربّك للملائكة الّذين كانوا في الأرض مع إبليس وقد طردوا عنها الجنّ بني الجانّ وخفّت العبادة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ بدلاً منكم، ورافعكم منها، فاشتدّ ذلك عليهم لأنّ العبادة عند رجوعهم إلى السماءِ تكون أثقل عليهم فقالوا ربّنا ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ كما فعلته الجنّ بنو الجانّ الّذين قد طردناهم عن هذه الأرض ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٤١ ح ٧ من سورة النساء.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٤٧ ح ٤ من سورة البقرة.

بِحَمْدِكَ﴾ ننزّهك عمّا لا يليق بك من الصّفات ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ نطهّر أرضك ممّن يعصيك، قال الله تعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنّي أعلم من الصّلاح الكائن فيمن أجعلهم بدلاً منكم ما لا تعلمون، وأعلم أيضاً أنّ فيكم من هو كافر في باطنه ما لا تعلمونه وهو إبليس - لعنه الله - ثمّ قال: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أسماء أنبياءِ الله وأسماء محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهما، وأسماء رجال من خيار شيعتهم وعصاة أعدائهم ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ عرض محمّداً وعليّاً والأئمّة ﴿عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي عرض أشباحهم وهم أنوار في الأظلّة ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنّ جميعكم تسبّحون وتقدّسون، وأنّ ترككم ههنا أصلح من إيراد من بعدكم، أي فكما لم تعرفوا غيب من في خلالكم فبالحريّ أن لا تعرفوا الغيب الّذي لم يكن كما لا تعرفون أسماء أشخاص ترونها، قالت الملائكة: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ العليم بكلّ شيء، الحكيم المصيب في كلّ فعل، فقال الله تعالى: ﴿يَا آدَمُ﴾ أنبئ هؤلاءِ الملائكة ﴿بِأَسْمَائِهِمْ﴾ أسماء الأنبياءِ والأئمّة عليهم السلام: ﴿فَلَمَّا أَنبَأَهُم﴾ فعرفوها أخذ عليهم العهد والميثاق بالإيمان بهم والتفضيل لهم، قال الله تعالى عند ذلك: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ سرّهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ما كان يعتقده إبليس من الإباءِ على آدم إن أمر بطاعته وإهلاكه إن سلّط عليه، ومن اعتقادكم أنّه لا أحد يأتي بعدكم إلّا وأنتم أفضل منه، بل محمّد وآله الطيّبون أفضل منكم الّذين أنبأكم آدم بأسمائهم[1].

بيان: قوله عليه السلام: (ابتدائي هذا الخلق) يدلّ على أنّ هذا غير ما خلقه الله في بدءِ الخلق عند خلق السماءِ والأرض، وينافيه ظاهراً قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ وتوجيهه أنّه يمكن أن يكون على هذا المراد بتسوية السّماوات تعميرها وتدبيرها وإسكان الملائكة فيها بعد رفعهم عن الأرض وبه يظهر وجه لرفع ما يتوهّم من التّنافي بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا﴾ وسيأتي تحقيقه في كتاب السماءِ والعالم.

٤٩ - **شي:** عن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: إنّ الله لمّا خلق آدم فكان أوّل ما خلق عيناه، فجعل ينظر إلى جسده كيف يخلق، فلمّا حانت أن يتبالغ الخلق في رجليه أراد القيام فلم يقدر، وهو قول الله: «خلق الإنسان عجولاً» وإنّ الله لمّا خلق آدم ونفخ فيه لم يلبث أن تناول عنقوداً فأكله[2].

٥٠ - **شي:** عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا خلق الله آدم نفخ فيه من روحه وثب ليقوم قبل أن يستتمّ خلقه فسقط، فقال الله عزّ وجلّ: «خلق الإنسان عجولاً»[3].

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ١٧٦ ح ١٠٠.
(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٦ ح ٢٦ و ٢٧ من سورة الأنبياء والآية هي: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾.

ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن علي الزّعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام مثله إلاّ أنّ فيه: قبل أن تستتمّ فيه الرّوح[١].

٥١ -**شي:** عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن إبليس أكان من الملائكة؟ وهل كان يلي من أمر السماء شيئاً؟ قال: لم يكن من الملائكة، ولم يكن يلي من أمر السّماء شيئاً، كان من الجنّ وكان مع الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أُمر بالسجود كان منه الّذي كان[٢].

٥٢ -**شي:** عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمر الله إبليس بالسجود لآدم مشافهةً، فقال: وعزّتك لئن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادةً ما عبدها خلقٌ من خلقك[٣].

٥٣ - وفي رواية أخرى عن هشام عنه عليه السلام: ولمّا خلق الله آدم قبل أن ينفخ فيه الرّوح كان إبليس يمرُّ به فيضربه برجله فيدبّ فيقول إبليس: لأمر ما خلقت[٤].

٥٤ -**كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن أبي عبّاد عمران بن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا أبي عليه السلام وأنا في الطّواف إذ أقبل رجل سرحب من الرّجال - فقلت: وما السّرحب أصلحك الله؟ فقال: الطويل - فقال: السلام عليكم وأدخل رأسه بيني وبين أبي، قال: فالتفت إليه أبي وأنا فرددنا عليه السلام ثمّ قال: أسألك رحمك الله؟ فقال له أبي: نقضي طوافنا ثمّ تسألني، فلمّا قضى أبي الطواف دخلنا الحجر فصلّينا الرّكعات ثمّ التفت فقال: أين الرّجل يا بنيّ؟ فإذا هو وراءه قد صلّى، فقال: ممّن الرّجل؟ فقال: من أهل الشام، فقال: ومن أيّ أهل الشام؟ فقال ممّن يسكن بيت المقدس، فقال: قرأت الكتابين، قال: نعم، قال: سل عمّا بدا لك، فقال: أسألك عن بدء هذا البيت، وعن قوله: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وعن قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾[٥] فقال: يا أخا أهل الشام اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فإنّ من كذب علينا في شيء فإنّه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن كذب على رسول الله فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذّبه الله عزّ وجلّ، أمّا بدء هذا البيت فإنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ فردّت الملائكة على الله عزّ وجلّ، فقالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فأعرض عنها فرأت أنّ ذلك من سخطه فلاذت بعرشه، فأمر الله

(١) الأمالي للطوسي، ص ٦٥٩ مجلس ٣٥ ح ١٣٦١.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٢ ح ١٦ من سورة البقرة.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٥٤ ح ٣٧ و٣٨ من سورة الكهف.

(٥) سورة المعارج، الآيتان: ٢٤ و٢٥.

ملكاً من الملائكة أن يجعل له بيتاً في السّماءِ السادسة يسمّى الضّراح بإزاءِ عرشه فصيّره لأهل السّماءِ يطوفون به، يطوف به سبعون ألف ملك في كلّ يوم لا يعودون ويستغفرون، فلمّا أن هبط آدم إلى الدّنيا أمره بمرمّة هذا البيت وهو بإزاءِ ذلك، فصيّره لآدم وذرّيّته كما صيّر ذلك لأهل السّماءِ، قال: صدقت يابن رسول الله[١].

٥٥ - **أقول**: قال السيّد ابن طاوس في كتاب سعد السعود: من صحائف إدريس النبيّ عليه السلام قال في صفة خلق آدم: إنّ الأرض عرّفها الله جلّ جلاله أنّه يخلق منها خلقاً، فمنهم من يطيعه ومن يعصيه، فاقشعرّت الأرض واستعطفت الله، وسألته أن لا يأخذ منها من يعصيه ويدخل النّار، وإنّ جبرئيل أتاها ليأخذ منها طينة آدم عليه السلام فسألته بعزّة الله أن لا يأخذ منها شيئاً حتّى تتضرّع إلى الله تعالى وتضرّعت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها، فأمر الله ميكائيل فاقشعرّت وتضرّعت وسألت فأمره الله تعالى بالانصراف عنها، فأمر الله إسرافيل بذلك فاقشعرّت وسألت وتضرّعت فأمره الله بالانصراف عنها، فأمر عزرائيل فاقشعرّت وتضرّعت فقال: قد أمرني ربّي بأمر أنا ماض له، سرّك ذاك أم ساءك، فقبض منها كما أمر الله، ثمّ صعدبها إلى موقفه فقال الله له: كما وليت قبضها من الأرض وهي كارهة كذلك تلي قبض أرواح كلّ من عليها وكلّ ما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامة، فلمّا كان صباح يوم الأحد الثاني اليوم الثامن من خلق الدّنيا فأمر الله ملكاً فعجن طينة آدم فخلط بعضها ببعض، ثمّ خمّرها أربعين سنة، ثمّ جعلها لازباً، ثمّ جعلها حمأً مسنوناً أربعين سنة، ثمّ جعلها صلصالاً كالفخّار أربعين سنة، ثمّ قال للملائكة بعد عشرين ومائة سنة مذ خمّر طينة آدم: ﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فقالوا: نعم، فقال في الصّحف ما هذا لفظه: فخلق الله آدم على صورته الّتي صوّرها في اللّوح المحفوظ.

يقول عليّ بن طاوس: فأسقط بعض المسلمين بعض هذا الكلام وقال: (إن الله خلق آدم على صورته) فاعتقد الجسم، فاحتاج المسلمون إلى تأويلات الحديث.

وقال في الصّحف: ثمّ جعلها جسداً ملقى على طريق الملائكة الّتي (الّذي خ ل) تصعد فيه إلى السّماء أربعين سنة. ثمّ ذكر تناسل الجنّ وفسادهم، وهرب إبليس منهم إلى الله وسؤاله أن يكون مع الملائكة وإجابة سؤاله، وما وقع من الجنّ حتّى أمر الله إبليس أن ينزل مع الملائكة لطرد الجنّ فنزل وطردهم عن الأرض الّتي أفسدوا فيها، وشرح كيفيّة خلق الرّوح في أعضاءِ آدم واستوائه جالساً، وأمر الله الملائكة بالسجود فسجدوا له إلاّ إبليس كان من الجنّ فلم يسجد له. فعطس آدم فقال الله: يا آدم قل: الحمد لله ربّ العالمين فقال: الحمد لله ربّ العالمين، قال الله: رحمك الله، لهذا خلقتك لتوحّدني وتعبدني وتحمدني وتؤمن بي، ولا تكفر بي ولا تشرك بي شيئاً[٢].

---

(١) الكافي، ج ٤ ص ٣٩٣ باب ١٢٩ ح ١. (٢) سعد السعود، ص ٧١.

أقول: تمامه في كتاب السّماء والعالم.

٥٦ - **نهج:** في صفة خلق آدم[1]: ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها وعذبها وسبخها تربةً سنّها بالماءِ حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول وأعضاء وفصول، أجمدها حتّى استمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت، لوقت معدود، وأجل معلوم، ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدوات يقلّبها، ومعرفة يفرّق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشامّ والألوان والأجناس معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود والمساءة والسّرور، واستأدى الله سبحانه وتعالى الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيّته إليهم في الإذعان بالسجود له، والخنوع لتكرمته، فقال سبحانه وتعالى: اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس وقبيله اعترتهم الحميّة، وغلبت عليهم الشقوة، وتعزّزوا بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال، فأعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ۝٣٨﴾[2] ثمّ أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه وآمن فيها محلته، وحذّره إبليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسةً عليه بدار المقام، ومرافقة الأبرار، فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلاً، وبالاغترار ندماً، ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المردّ إلى جنّته، فأهبطه إلى دار البليّة، وتناسل الذرّيّة. إلى آخر الخطبة[3].

بيان: الحزن بالفتح: المكان الغليظ الخشن. والسّهل ضدّه. وسنّ الماء صبّه من غير تفريق. وخلصت أي صارت طينةً خالصةً، وفي بعض النّسخ (خضلت) بالخاء المعجمة والضاد المعجمة المكسورة أي ابتلّت. ولاطها بالبلّة أي جعلها ملتصقاً بعضها ببعض بسبب البلّة. ولزبت بالفتح أي لصقت كما قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ وجبل بالفتح أي خلق. والأحناء: الأطراف جمع حنو بالكسر. والوصول هي الفصول، والاعتبار مختلف. وأجمدها أي جعلها جامدة. وأصلدها أي صيّرها صلبة. وصلصلت أي صارت صلصالاً. واللاّم في قوله عليه السلام: (لوقت) إمّا متعلّق بجبل، أي خلقها لوقت نفخ الصّور، أو ليوم القيامة أو بمحذوف أي كائنة لوقت فينفخ حينئذ روحه فيه، ويحتمل أن يكون الوقت مدّة الحياة، والأجل منتهاها، أو يوم القيامة، ومثلت بضمّ الثّاء وفتحها أي قامت منتصباً وإنساناً منصوب بالحاليّة. ويختدمها أي يستخدمها. وقوله عليه السلام: (معجوناً) صفة لقوله:

---

(١) روى البحراني في البرهان في تفسيره لسورة الحجر رواية شريفة مفصلة في خلقة آدم عن كتاب تحفة الإخوان للسيد ابن طاووس لم يذكرها العلامة المجلسي في البحار [النمازي].

(٢) سورة ص، الآيتان: ٨٠-٨١.

(٣) نهج البلاغة، ص ٤٠ خطبة رقم ١.

(إنساناً) أو حال عنه. وطينة الإنسان خلقته وجبلّته، ولعلّ المراد بالألوان الأنواع. واستأدى وديعته، أي طلب أداءها. والخنوع: الذّلّ والخضوع.

والمراد بقوله عليه السلام: «وقبيله» إمّا ذرّيّته بأن يكون له في السّماء نسل وذرّيّةٌ وهو خلاف ظواهر الأثر، أو طائفةٌ خلقها الله في السّماء غير الملائكة، أو يكون الإسناد إلى القبيل مجازيّاً لرضاهم بعد ذلك بفعله. واعترتهم أي غشيتهم. والشّقوة بالكسر: نقيض السّعادة. والتعزّز التكبّر. والنظرة بكسر الظاء: التأخير والإمهال. والبليّة: الابتلاء. وإنجاز عدته: إعطاؤه ما وعده من الثّواب على عبادته، وقيل: قد وعده الله الإبقاء. وأرغد عيشته أي جعلها رغداً، والرغد من العيش: الواسع الطيّب. والمحلّة: مصدر قولك حلّ بالمكان والإسناد مجازيّ. واغترّه أي طلب غفلته وأتاه على غرّة وغفلة منه. ونفست عليه الشيء وبالشيء - بالكسر - نفاسة إذا لم تره له أهلاً. ونفست به - بالكسر أيضاً - أي بخلت به. والمقام بالضمّ: الإقامة. وقيل في بيع اليقين بالشّكّ وجوه:

الأوّل: أنّ معيشة آدم في الجنّة كانت على حال يعلمها يقيناً، وما كان يعلم كيف يكون معاشه بعد مفارقتها.

الثاني: أنّ ما أخبره الله من عداوة إبليس بقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ كان يقيناً فباعه بالشّكّ في نصح إبليس إذ قال: ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

الثالث: أنّ هذا مثل قديم للعرب لمن عمل عملاً لا ينفعه وترك ما ينبغي له أن يفعله.

الرابع: أنّ كونه في الجنّة كان يقيناً فباعه بأن أكل من الشّجرة فأهبط إلى دار التّكليف الّتي من شأنها الشّكّ في أنّ المصير منها إلى الجنّة أو إلى النّار.

وجذل كفرح لفظاً ومعنى، وسيتّضح لك ما تضمّنته الخطبة في الأبواب الآتية.

بسط مقال لرفع شبهة وإشكال

اعلم أنّه أجمعت الفرقة المحقّة وأكثر المخالفين على عصمة الملائكة صلوات الله عليهم أجمعين من صغائر الذّنوب وكبائرها، وسيأتي الكلام في ذلك في كتاب السماء والعالم، وطعن فيهم بعض الحشويّة بأنّهم قالوا: (أتجعل) والاعتراض على الله من أعظم الذّنوب وأيضاً نسبوا بني آدم إلى القتل والفساد وهذا غيبة وهي من الكبائر، ومدحوا أنفسهم بقولهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ وهو عجب، وأيضاً قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ اعتذارٌ والعذر دليل الذنب، وأيضاً قوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ دلّ على أنّهم كانوا كاذبين فيما قالوه، وأيضاً قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ﴾ يدلّ على أنّهم كانوا مرتابين في علمه تعالى بكلّ المعلومات، وأيضاً علمهم بالإفساد وسفك الدّماء إمّا بالوحي وهو بعيدٌ وإلاّ لم يكن لإعادة الكلام فائدة، وإمّا بالاستنباط والظنّ وهو منهيّ عنه.

وأجيب عن اعتراضهم على الله بأنّ غرضهم من ذلك السّؤال لم يكن هو الإنكار ولا تنبيه الله على شيء لا يعلمه، وإنّما المقصود من ذلك أمور:

منها: أنّ الإنسان إذا كان قاطعاً بحكمة غيره ثمّ رآه يفعل فعلاً لا يهتدي ذلك الإنسان إلى وجه الحكمة فيه استفهم عن ذلك متعجّباً، فكأنّهم قالوا: إعطاء هذا النّعم العظام من يفسد ويسفك لا تفعله إلاّ لوجه دقيق وسرّ غامض، فما أبلغ حكمتك!.

ومنها: أنّ إبداء الإشكال طلباً للجواب غير محظور، فكأنّه قيل: إلهنا أنت الحكيم الّذي لا تفعل السّفه البتّة، وتمكين السّفيه من السّفه قبيحٌ من الحكيم، فكيف يمكن الجمع بين الأمرين؟ أو أنّ الخيرات في هذا العالم غالبةٌ على شرورها، وترك الخير الكثير لأجل الشّرّ القليل شرٌّ كثيرٌ، فالملائكة نظروا إلى الشّرور، فأجابهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي من الخيرات الكثيرة الّتي لا يتركها الحكيم لأجل الشّرور القليلة.

ومنها: أنّ سؤالهم كان على وجه المبالغة في إعظام الله تعالى، فإنّ العبد المخلص لشدّة حبّه لمولاه يكره أن يكون له عبدٌ يعصيه.

ومنها: أنّ قولهم: «أتجعل» مسألة منهم أن يجعل الأرض أو بعضها لهم إن كان ذلك صلاحاً، ونحو قول موسى: ﴿أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ﴾ أي لا تهلك، فقال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ من صلاحكم وصلاح هؤلاء، فبيّن أنّه اختار لهم السّماء ولهؤلاءِ الأرض ليرضى كلّ فريق بما اختار الله له.

ومنها: أنّ هذا الاستفهام خارج مخرج الإيجاب كقول جرير: (ألستم خير من ركب المطايا) أي أنتم كذلك وإلاّ لم يكن مدحاً. فكأنّهم قالوا: إنّك تفعل ذلك ونحن مع هذا نسبّح بحمدك، لأنّا نعلم في الجملة أنّك لا تفعل إلاّ الصّواب والحكمة، فقال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فأنتم علمتم ظاهرهم وهو الفساد والقتل، وأنا أعلم ظاهرهم ومافي باطنهم من الأسرار الخفيّة الّتي يقتضي اتّخاذهم.

والجواب عن الغيبة أنّ من أراد إيراد السؤال وجب أن يتعرّض لمحلّ الإشكال، فلذلك ذكروا الفساد والسّفك، مع أنّ المراد أنّ مثل تلك الأفعال يصدر عن بعضهم، ومثل هذا لا يعدّ غيبةً، ولو سلّم فلا نسلّم ذلك في حقّ من لم يوجد بعد، ولو سلّم فيكون غيبة للفسّاق وهي مجوّزةٌ، ولو سلّم فلا نسلّم أنّ ذكر مثل ذلك لعلاّم الغيوب يكون محرماً، لا سيّما من الملائكة الّذين جماعة منهم مأمورون بتفتيش أحوال الخلائق وإثباتها في الصحف وعرضها على الباري جلّ اسمه.

وعن العجب بأنّ مدح النفس غير ممنوع منه مطلقاً، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ على أنّهم إنّما ذكروه لتتمّة تقرير الشّبهة.

وعن الاعتذار بأنّه لا يستلزم الذّنب بل قد يكون لترك الأولى.

ثمّ إنّ العلماء ذكروا في إخبار الملائكة عن الفساد والسّفك وجوهاً:

منها: أنّهم قالوا ذلك ظنّاً لما رأوا من حال الجنّ الّذين كانوا قبل آدم عليه السلام في الأرض،

وهو المرويّ عن ابن عبّاس والكلبيّ، ويؤيّده ما رويناه عن تفسير الإمام عليه السلام سابقاً، أو أنّهم عرفوا خلقته وعلموا أنّه مركّب من الأركان المتخالفة والأخلاط المتنافية الموجبة للشّهوة الّتي منها الفساد والغضب الّذي منه سفك الدّماء.

ومنها أنّهم قالوا ذلك على اليقين، لما يروى عن ابن مسعود وغيره أنّه تعالى لمّا قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قالوا: ربّنا وما يكون الخليفة؟ قال: تكون له ذرّيّة يفسدون في الأرض، ويتحاسدون، ويقتل بعضهم بعضاً، فعند ذلك قالوا: ربّنا أتجعل فيها؛ أو أنّه تعالى كان قد أعلم الملائكة أنّه إذا كان في الأرض خلق عظيمٌ أفسدوا فيها، ويسفك الدماء؛ أو أنّه لمّا كتب القلم في اللّوح ما هو كائن إلى يوم القيامة فلعلّهم طالعوا اللّوح فعرفوا ذلك؛ أو لأنّ معنى الخليفة إذا كان النّائب عن الله في الحكم والقضاء، والاحتياج إنّما يكون عند التّنازع والتظالم، كأنّ الإخبار عن وجود الخليفة إخبارٌ عن وقوع الفساد والشّرّ بطريق الالتزام، وقيل: لمّا خلق الله النّار خافت الملائكة خوفاً شديداً فقالوا: لم خلقت هذه النّار؟ قال: لمن عصاني من خلقي، ولم يكن يومئذ لله خلق إلاّ الملائكة، فلمّا قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ عرفوا أنّ المعصية منهم، وجملة القول في ذلك أنّه لمّا ثبت بالنّصوص وإجماع الفرقة المحقّة عصمة الملائكة لا بدّ من تأويل ما يوهم صدور المعصية منهم على نحو ما مرّ في عصمة الأنبياء عليهم السلام.

٥٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: كم كان طول آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام حين هبط به إلى الأرض وكم كان طول حوّاء؟ قال: وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ الله عزّ وجلّ لمّا أهبط آدم وزوجته حوّاء على الأرض كانت رجلاه على ثنيّة الصفا، ورأسه دون أفق السّماء وأنّه شكا إلى الله ما يصيبه من حرّ الشمس فصيّر طوله سبعين ذارعاً بذراعه، وجعل طول حوّاء خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها[(١)].

كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب مثله إلى قوله: من حرّ الشمس، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل عليه السلام: إنّ آدم قد شكا ما يصيبه من حرّ الشمس، فاغمزه غمزة وصيّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه، واغمز حوّاء غمزةً فصير طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها[(٢)].

إيضاح: اعلم أنّ هذا الخبر من مشكلات الأخبار ومعضلات الآثار، والإعضال فيه من وجهين:

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٠.

(٢) الروضة من الكافي الموجود مع الاصول ص ٧٨٢ ح ٣٠٨.

أحدهما: أنّ طول القامة كيف يصير سبباً للتأذّي بحرّ الشمس؟ والثاني أنّ كونه عليه السلام سبعين ذراعاً بذراعه يستلزم عدم استواءِ خلقته على نبيّنا وآله وعليه السلام، وأن يتعسّر بل يتعذّر عليه كثيرٌ من الأعمال الضروريّة.

والجواب عن الأوّل بوجهين: **الأوّل**: أنّه يمكن أن يكون للشمس حرارة من غير جهة الانعكاس أيضاً، ويكون قامته طويلةً جدّاً بحيث تتجاوز الطّبقة الزّمهريريّة ويتأذّى من تلك الحرارة، ويؤيّده ما اشتهر من قصّة عوج بن عناق أنّه كان يرفع السمّك إلى عين الشمس ليشويه بحرارتها.

والثاني: أنّه لطول قامته كان لا يمكنه الاستظلال ببناء ولا جبل ولا شجر، فكان يتأذّى من حرارة الشمس لذلك.

وأمّا الثاني فقد أُجيب عنه بوجوه: **الأوّل**: ما ذكره بعض الأفاضل أنّ استواء الخلقة ليس منحصراً فيما هو معهود الآن، فإنّ الله تعالى قادر على خلق الإنسان على هيئات أُخر كلّ منها فيه استواء الخلقة، وذراع آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام يمكن أن يكون قصيراً مع طول العضد، وجعله ذا مفاصل، أو ليّناً بحيث يحصل الارتفاق به والحركة كيف شاء.

الثاني: ما ذكره أيضاً وهو أن يكون المراد بالسبعين سبعين قدماً أو شبراً، وترك ذكرهما لشيوعهما، والمراد الأقدام والأشبار المعهودة في ذلك الزمان، فيكون قوله: ذراعاً بدلاً من السبعين، بمعنى أنّ طوله الآن وهو السبعون بقدر ذراعه قبل ذلك، وفائدته معرفة طوله أوّلاً فيصير أشدّ مطابقةً للسؤال كما لا يخفى. وأمّا ما ورد في حوّاء عليها السلام فالمعنى أنّه جعل طولها خمسة وثلاثين قدماً بالأقدام المعهودة، وهي ذراع بذراعها الأوّل، فيظهر أنّها كانت على النّصف من آدم.

الثالث: ما ذكره أيضاً وهو أن يكون سبعين بضمّ السين تثنية سبع أي صيّر طوله بحيث صار سبعي الطول الأوّل، والسّبعان ذراع، فيكون الذراع بدلاً أو مفعولاً بتقدير أعني، وكذا في حوّاء جعل طولها خمسه بضمّ الخاءِ، أي خمس ذلك الطول، وثلثين تثنية ثلث، أي ثلثي الخمس، فصارت خمساً وثلثي خمس، وحينئذ التفاوت بينهما قليلٌ إن كان الطّولان الأوّلان متساويين، وإلاّ فقد لا يحصل تفاوتٌ، ويحتمل بعيداً عود ضمير خمسه وثلثيه إلى آدم، والمعنى أنّها صارت خمس آدم الأوّل وثلثيه، فتكون أطول منه، أو بعد القصر فتكون أقصر، وفيه أنّ الخمس وثلثي الخمس يرجع إلى الثلث، ونسبة التّعبير عن الثلث بتلك العبارة إلى أفصح الفصحاءِ بعيد عن العلماءِ.

الرابع: ما يروى عن شيخنا البهائيّ قدّس الله روحه من أنّ في الكلام استخداماً بأن يكون المراد بآدم حين إرجاع الضمير إليه آدم ذلك الزّمان من أولاده، ولا يخفى بعده عن استعمالات العرب ومحاوراتهم، مع أنّه لا يجري في حوّاء إلاّ بتكلّف ركيك، ولعلّ الرواية غير صحيحة.

الخامس: ما خطر بالبال بأن تكون إضافة الذّراع إليهما على التوسعة والمجاز، بأن نسب ذراع صنف آدم عليه السلام إليه، وصنف حوّاء إليها، أو يكون الضميران راجعين إلى الرّجل والمرأة بقرينة المقام.

السادس: ما حلّ ببالي أيضاً وهو أن يكون المراد الذّراع الّذي وضعه عليه السلام لمساحة الأشياء وهذا يحتمل وجهين: أحدهما: أن يكون الذراع الّذي عمله آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام للرجال غير الّذي وضعته حوّاء للنّساء. وثانيهما: أن يكون الذّراع واحداً، لكن نسب في بيان طول كلّ منهما إليه لقرب المرجع.

السابع: ما سمحت به قريحتي أيضاً وإن أتت ببعيد عن الأفهام، وهو أن يكون المعنى: اجعل طول قامته بحيث يكون بعد تناسب الأعضاء طوله الأوّل سبعين ذراعاً بالذراع الّذي حصل له بعد الغمز، فيكون المراد بطوله الأوّل ونسبة التسيير إليه باعتبار أنّ كونه سبعين ذراعاً إنّما يكون بعد حصول ذلك الذراع، فيكون في الكلام شبه قلب، أي اجعل ذراعه بحيث يصير جزءاً من سبعين جزء من قامته قبل الغمز، ومثل هذا قد يكون في المحاورات وليس تكلّفه أكثر من بعض الوجوه الّتي تقدّم ذكرها، وبه تظهر النّسبة بين القامتين، إذ طول قامة مستوي الخلقة ثلاثة أذرع ونصف تقريباً، فإذا كان طول قامته الأولى سبعين بذلك الذّراع تكون النّسبة بينهما نصف العشر، وينطبق الجواب على السؤال، إذ الظّاهر منه أنّ غرض السائل استعلام قامته الأولى، فلعلّه كان يعرف طول القامة الثّانية بما اشتهر بين أهل الكتاب، أو بما روت العامّة من ستّين ذراعاً.

الثامن: أن يكون الباء في قوله: (بذراعه) للملابسة، أي كما قصر من طوله قصر من ذراعه لتناسب أعضائه، وإنّما خصّ بذراعه لأنّ جميع الأعضاء داخلة في الطول بخلاف الذراع، والمراد حينئذ بالذّراع في قوله عليه السلام: سبعين (ذراعاً) إمّا ذراع من كان في زمن آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام أو من كان في زمان من صدر عنه الخبر، وهذا وجهٌ قريبٌ.

التاسع: أن يكون الضّمير في قوله: (بذراعه) راجعاً إلى جبرئيل عليه السلام، ولا يخفى بعده وركاكته من وجوه شتّى لا سيّما بالنظر إلى ما في الكافي. ثمّ اعلم أنّ الغمز يمكن أن يكون باندماج الأجزاء وتكاثفها، أو بالزيادة في العرض، أو بتحلّل بعض الأجزاء بإذنه تعالى، أو بالجميع، وقد بسطنا الكلام في ذلك في المجلّد الآخر من كتاب مرآة العقول.

٢ - باب سجود الملائكة ومعناه ومدة مكثه عليه السلام في الجنّة، وأنها أية جنة كانت، ومعنى تعليمه الأسماء

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ «٣٤».

الأعراف «٧»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١) قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠) إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢)﴾.

الإسراء «١٧»: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)﴾.

الكهف «١٨»: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ «٥٠».

ص: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٣) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٤) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ بعد ذكر ما سيأتي من الخلاف في معنى السجود حقيقه إبليس وأنّ المأمورين هل كانوا كلّ الملائكة أو بعضهم واختار الأوّل: روى عن ابن عبّاس أنّ الملائكة كانت تقاتل الجنّ فسبي إبليس وكان صغيراً

وكان مع الملائكة فتعبّد معها بالأمر بالسجود لآدم فسجدوا وأبى إبليس فلذلك قال الله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ .

وروى مجاهد وطاوس عنه أيضاً أنّه كان إبليس قبل أن يرتكب المعصية ملكاً من الملائكة اسمه عزازيل، وكان من سكّان الأرض، وكان سكّان الأرض من الملائكة يسمّون الجنّ، ولم يكن من الملائكة أشدّ اجتهاداً وأكثر علماً منه، فلمّا تكبّر على الله وأبى السجّود لآدم وعصاه لعنه وجعله شيطاناً وسمّاه إبليس ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي كان كافراً في الأصل، أو كان في علمه تعالى منهم، أو صار منهم[1].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ﴾ أي خلقنا أباكم وصوّرناه، وقيل: خلقنا آدم ثمّ صوّرناكم في ظهره، وقيل: إنّ الترتيب وقع في الإخبار، أي ثمّ نخبركم أنّا قلنا للملائكة اسجدوا ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ﴾ لا زائدة، أو المعنى: ما دعاك إلى أن لا تسجد؟ ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٍ﴾ قال ابن عبّاس: أوّل من قاس إبليس فأخطأ القياس، فمن قاس الدّين بشيء من رأيه قرنه الله بإبليس، ووجه دخول الشبهة على إبليس أنّه ظنّ أنّ النّار إذا كانت أشرف من الطّين لم يجز أن يسجد الأشرف للأدون، وهذا خطأ، لأنّ ذلك تابع لما يعلم الله سبحانه من مصالح العباد؛ وقد قيل أيضاً: إنّ الطين خيرٌ من النّار، لأنّه أكثر منافع للخلق من حيث إنّ الأرض مستقرّ الخلق وفيها معايشهم ومنها تخرج أنواع أرزاقهم، والخيريّة إنّما يراد بها كثرة المنافع ﴿فَٱهۡبِطۡ﴾ أي انزل وانحدر ﴿مِنۡهَا﴾ أي من السماءِ، وقيل: من الجنّة، وقيل: انزل عمّا أنت عليه من الدرجة الرفيعة إلى الدرجة الدنيّة الّتي هي درجة العاصين ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ﴾ عن أمر الله ﴿فِيهَا﴾ أي الجنّة أو في السماءِ، فإنّها ليست بموضع المتكبّرين ﴿فَٱخۡرُجۡ﴾ من المكان الّذي أنت فيه، أو المنزلة الّتي أنت عليها ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ أي من الأذلاّءِ بالمعصية، وهذا الكلام إنّما صدر من الله سبحانه على لسان بعض الملائكة، وقيل: إنّ إبليس رأى معجزةً تدلّه على أنّ ذلك كلام الله ﴿قَالَ أَنظِرۡنِيٓ﴾ أي أخّرني في الأجل ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ أي من قبورهم للجزاء، قال الكلبيّ: أراد الخبيث أن لا يذوق الموت في النّفخة الأولى، وأجيب بالإنظار إلى يوم الوقت المعلوم، وهي النّفخة الأولى ليذوق الموت بين النفختين وهو أربعون سنة ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي﴾ أي بما خيّبتني من رحمتك وجنّتك، أو امتحنتني بالسجود لآدم فغويت عنده، أو حكمت بغوايتي، أو أهلكتني بلعنك إيّاي؛ ولا يبعد أن يكون إبليس اعتقد أنّ الله يغوي الخلق ويكون ذلك من جملة ما كان اعتقده من الشرّ ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ﴾ أي لأولاد آدم ﴿صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ أي على طريقك المستوي لأصدّهم عنه بالإغواءِ.

﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية فيه أقوال: أحدها أنّ المعنى: من قبل دنياهم وآخرتهم،

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ١٦٤.

ومن جهة حسناتهم وسيّئاتهم، أي أزيّن لهم الدّينا، وأشكّكهم في الآخرة، وأثبّطهم عن الحسنات، وأحبّب إليهم السيّئات.

وثانيها: أنّ معنى ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ من حيث يبصرون، ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ من حيث لا يبصرون.

وثالثها: ما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال: ﴿ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ معناه: أهوّن عليهم أمر الآخرة ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم ﴿وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلالة وتحسين الشبهة ﴿وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ بتحبيب اللّذّات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم ﴿وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ إمّا أن يكون قال ذلك من جهة الملائكة بإخبار الله إيّاهم، وإمّا عن ظنّ منه كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ﴾ فإنّه لمّا استزلّ آدم ظنّ أنّ ذرّيّته أيضاً سيجيبونه لكونهم أضعف منه ﴿مَذۡءُومٗا﴾ أي مذموماً، أو معيباً، أو مهاناً لعيناً ﴿مَّدۡحُورٗاۖ﴾ أي مطروداً ﴿لَّأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ﴾ أي منك ومن ذرّيّتك وكفّار بني آدم ﴿أَجۡمَعِينَ﴾[1].

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني آدم ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ أي من طين يابس تسمع له عند النقر صلصلة أي صوتاً، وقيل: طين صلب يخالطه الكثيب، وقيل: منتن ﴿مِّنۡ حَمَإٖ﴾ أي من طين متغيّر ﴿مَّسۡنُونٖ﴾ أي مصبوب. كأنّه أفرغ حتّى صار صورةً، كما يصبّ الذّهب والفضّة، وقيل: إنّه الرّطب، وقيل: مصوّر، عن سيبويه قال: أخذ منه سنة الوجه ﴿وَٱلۡجَآنَّ﴾ أي إبليس، أو هو أبو الجنّ، وقيل: هم الجنّ نسل إبليس ﴿مِن قَبۡلُ﴾ خلق آدم ﴿مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ أي من نار لها ريحٌ حارّةٌ تقتل، وقيل: نارٌ لا دخان لها والصّواعق تكون منها، وقيل: السّموم: النّار الملتهبة، وأصل آدم كان من تراب وذلك قوله: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ ثمّ جعل التّراب طيناً، وذلك قوله: ﴿وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ ثمّ ترك ذلك الطّين حتّى تغيّر واسترخى وذلك قوله: ﴿مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ﴾ ثمّ ترك حتّى جفّ وذلك قوله: ﴿مِن صَلۡصَٰلٖ﴾ فهذه الأقوال لا تناقض فيها إذ هي إخبار عن حالاته المختلفة. ﴿بَشَرٗا﴾ يعني آدم وسمّي بشراً لأنّه ظاهر الجلد لا يواريه شعر ولا صوف ﴿فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ﴾ بإكمال خلقه[2].

﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ قال البيضاويّ: أصل النّفخ إجراء الريح في تجويف جسم آخر، ولمّا كان الرّوح يتعلّق أوّلاً بالبخار اللّطيف المنبعث من القلب ويفيض عليه القوّة الحيوانيّة فيسري حاملاً لها في تجاويف الشّرايين إلى أعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخاً، وإضافة الرّوح إلى نفسه للتشريف ﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا﴾ أي من الجنّة أو من السّماء، أو زمر الملائكة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾ مطرودٌ من الخير والكرامة، أو شيطان يرجم بالشّهب ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ﴾ هذا

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٢٣-٢٢٨. (٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١١٤.

الطّرد والإبعاد ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ فإنّه منتهى أمد اللّعن، لأنّه يناسب أيّام التكليف، وقيل: إنّما حدّ اللّعن به لأنّه أبعد غاية تضربها النّاس، أو لأنّه يعذّب فيه بما ينسى اللّعن معه فيصير كالزّائل ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ المسمّى فيه أجلك عند الله أو انقراض النّاس كلّهم وهو النّفخة الأولى، أو يوم القيامة ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ الباء للقسم، وما مصدريّة، وجوابه ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ والمعنى: أقسم بإغوائك إيّاي لأزيّننّ لهم المعاصي في الدّنيا الّتي هي دار الغرور، وقيل: للسببيّة، والمعتزلة أوّلوا الإغواء بالنّسبة إلى الغيّ أو التسبّب له بأمره إيّاه بالسّجود، أو بالإضلال عن طريق الجنّة، واعتذروا عن إمهال الله تعالى له وهو سبب لزيادة غيّه وتسليطه له على بني آدم بأنّ الله علم منه وممّن تبعه أنّهم يموتون على الكفر أُمهل أو لم يمهل، وأنّ في إمهاله تعريضاً لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثّواب(١).

﴿هَـٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ قال الطّبرسيّ فيه وجوه: أحدها: أنّه على جهة التهديد له، كما تقول لغيرك: افعل ما شئت وطريقك عليّ أي لا تفوتني. وثانيها: معناه أنّ ما تذكره من أمر المخلصين والغاوين طريق ممرّه عليّ، أي ممرّ من سلكه مستقيم لا عدول فيه عنّي، وأُجازي كلاً من الفريقين بما عمل. وثالثها: هذا دين مستقيم عليّ بيانه والهداية إليه ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ أي قدرة على إكراههم على المعصية.

﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾ لأنّه إذا قبل منه صار عليه سلطان بعدوله الهدى إلى ما يدعوه إليه، وقيل: الاستثناء منقطع والمراد: ولكن من اتّبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطاناً(٢).

﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ استفهام إنكار ﴿هَـٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ﴾ أي فضّلته ﴿عَلَىَّ﴾ يعني آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ أي لأغوينّ ﴿ذُرِّيَّتَهُۥ﴾ وأقودنّهم معي إلى المعاصي كما يقاد الدّابّة بحنكها إذا شد فيه حبل تجرّ به ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ وهم المخلصون، وقيل: «لأحتنكنهم» أي لأستولينّ عليهم، وقيل: لأستأصلنّهم بالإغواءِ من احتناك الجراد الزّرع، وهو أنّ يأكله ويستأصله ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ الاستفزاز: الإزعاج والاستنهاض على خفّة وإسراع ﴿بِصَوْتِكَ﴾ أي أضلّهم بدعائك ووسوستك، من قولهم: صوّت فلان بفلان: إذا دعاه، وهذا تهديد في صورة الأمر، وقيل: بصوتك أي بالغناءِ والمزامير والملاهي، وقيل: كلّ صوت يدعى به إلى الفساد فهو من صوت الشّياطين ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ الإجلاب: السوق بجلبة وهي شدّة الصوت، أي أجمع عليهم ما قدرت عليه من مكائدك وأتباعك وذرّيّتك وأعوانك، فالباء مزيدة، وكلّ راكب أو ماش في معصية الله من الإنس والجنّ فهو من خليل إبليس ورجله؛ وقيل: هو من أجلب القوم وجلبوا أي صاحوا، أي صح بخيلك ورجلك فاحشرهم عليهم بالإغواء ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ وهو كلّ مال أُصيب من

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٧٧. (٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١١٧.

حرام، وكلُّ ولد زنا عن ابن عبّاس، وقيل: مشاركته في الأموال أنّه أمرهم أن يجعلوها سائبة وبحيرة ونحو ذلك، وفي الأولاد أنّه هوّدهم ونصّرهم ومجّسهم؛ وقيل: إنّ المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس وعبدالحارث ونحوهما؛ وقيل: قتل الموؤودة من أولادهم ﴿وَعِدْهُمْۚ﴾ ومنّهم البقاء وطول الأمل وأنّهم لا يبعثون، وكلّ هذا زجرٌ وتهديدٌ في صورة الأمر ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ أي حافظاً لعباده من الشرك[١].

﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾ هذا دليلُ من قال: إنّه ليس من الملائكة، وقال الآخرون: أي كان من الّذين يستترون عن الأبصار من الجنّ وهو الستر[٢].

﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّۖ﴾ أي تولّيت خلقه بنفسي من غير واسطة، وذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه إلى نفسه؛ وقيل: أي خلقته بقدرتي ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظّمت عن امتثال أمري أم كنت من الّذين تعلو أقدارهم عن السّجود فتعاليت عنه[٣].

١ - م، ج: بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السلام في خبر طويل يذكر فيه أمر العقبة: إنّ المنافقين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: أخبرنا عن عليّ عليه السلام أهو أفضل أم ملائكة الله المقربون؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: وهل شرّفت ملائكة الله إلاّ بحبّها لمحمّد وعليّ، وقبولها لولايتهما؟ إنّه لا أحد من محبّي عليّ عليه السلام نظف قلبه من قذر الغشّ والدغل والغلّ ونجاسة الذّنوب إلاّ لكان أطهر وأفضل من الملائكة، وهل أمر الله الملائكة بالسجود لآدم إلاّ لما كانوا قد وضعوه في نفوسهم أنّه لا يصير في الدّنيا خلق بعدهم إذا رفعوا عنها إلاّ وهم - يعنون أنفسهم - أفضل منهم في الدّين فضلاً، وأعلم بالله وبدينه علماً، فأراد الله أن يعرّفهم أنّهم قد أخطأوا في ظنونهم واعتقاداتهم، فخلق آدم وعلّمه الأسماء كلّها ثمّ عرضها عليهم فعجزوا عن معرفتها، فأمر آدم أن ينبّئهم بها وعرّفهم فضله في العلم عليهم.

ثمّ أخرج من صلب آدم ذرّيّة منهم الأنبياء والرّسل والخيار من عباد الله أفضلهم محمّد ثمّ آل محمّد، ومن الخيار الفاضلين منهم أصحاب محمّد وخيار أمّة محمّد، وعرّف الملائكة بذلك أنّهم أفضل من الملائكة إذ احتملوا ما حمّلوه من الأثقال وقاسوا ماهم فيه من تعرّض أعوان الشّياطين، ومجاهدة النّفوس واحتمال أذى ثقل العيال والاجتهاد في طلب الحلال ومعاناة مخاطرة الخوف من الأعداءِ من لصوص مخوّفين، ومن سلاطين جورة قاهرين، وصعوبة في المسالك في المضائق والمخاوف والأجزاع والجبال والتلال لتحصيل أقوات الأنفس والعيال من الطيب الحلال، عرّفهم الله عزّ وجلّ أنّ خيار المؤمنين يحتملون هذه البلايا ويتخلّصون منها، ويتحاربون الشّياطين ويهزمونهم ويجاهدون أنفسهم بدفعها عن شهواتها،

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٦٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٥٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٧٨.

ويغلبونها مع ما ركّب فيهم من شهوة الفحولة وحبّ اللّباس والطّعام، والعزّ والرّئاسة والفخر والخيلاءِ، ومقاساة العناء والبلاء من إبليس لعنه الله وعفاريته، وخواطرهم وإغوائهم واستهوائهم، ودفع ما يكيدونه من ألم الصبر على سماع الطّعن من أعداء الله، وسماع الملاهي والشّتم لأولياءِ الله، ومع ما يقاسونه في أسفارهم لطلب أقواتهم، والهرب من أعداء دينهم، أو الطّلب لما يألمون معاملته من مخالفيهم في دينهم، قال الله عزّوجلّ: يا ملائكتي وأنتم من جميع ذلك بمعزل: لا شهوات الفحولة تزعجكم، ولا شهوة الطعام تحفزكم، ولا خوف من أعداء دينكم ودنياكم ينخب في قلوبكم، ولا لإبليس في ملكوت سماواتي وأرضي شغلٌ على إغواءِ ملائكتي الّذين قد عصمتهم منهم، يا ملائكتي فمن أطاعني منهم وسلم دينه من هذه الآفات والنّكبات فقد احتمل في جنب محبّتي ما لم تحتملوا، واكتسب من القربات إليّ ما لم تكتسبوا، فلمّا عرّف الله ملائكته فضل خيار أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وشيعة عليّ وخلفائه عليهم السلام عليهم، واحتمالهم في جنب محبّة ربّهم ما لا يحتمله الملائكة أبان بني آدم الخيار المتّقين بالفضل عليهم.

ثمّ قال: فلذلك فاسجدوا لآدم لمّا كان مشتملاً على أنوار هذه الخلائق الأفضلين، ولم يكن سجودهم لآدم، إنّما كان آدم قبلةً لهم يسجدون نحوه لله عزّوجلّ وكان بذلك معظّماً مبجّلاً له، ولا ينبغي لأحد أن يسجد لأحد من دون الله، يخضع له خضوعه لله، ويعظّمه بالسّجود له كتعظيمه لله، ولو أمرت أحداً أن يسجد هكذا لغير الله لأمرت ضعفاء شيعتنا وسائر المكلّفين من شيعتنا أن يسجدوا لمن توسّط في علوم رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومحض وداد خير خلق الله عليّ بعد محمّد رسول الله، واحتمل المكاره والبلايا في التّصريح بإظهار حقوق الله، ولم ينكر عليّ حقّاً أرقبه عليه قد كان جهله أو أغفله. الخبر[1].

بيان: المقاساة: المكابدة وتحمّل الشدّة في الأمر، والأجزاع جمع الجزع بالكسر وقد يفتح وهو منعطف الوادي ووسطه أو منتحه، أو مكان بالوادي لا شجر فيه، وربما كان رملاً. والعفريت: الخبيث المنكر والنّافذ في الأمر المبالغ فيه مع دهاء. وخفزه أي دفعه من خلفه. والنخب: النّزع، ورجل نخب بكسر الخاءِ أي جبان لا فؤاد له، ذكره الجوهريّ.

وقوله عليه السلام: (أرقبه عليه) أي أرصده له وأنتظر رعايته منه، أو من قولهم: رقبه أي جعل الحبل في رقبته.

٢ - ج: في جواب مسائل الزّنديق عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سأل أيصلح السجود لغيرالله؟ قال: لا، قال: فكيف أمر الله الملائكة بالسّجود؟ فقال: إنّ من سجد بأمر الله فقد سجد لله فكان سجوده لله إذ كان عن أمر الله. ثمّ قال عليه السلام: فأمّا إبليس فعبدٌ خلقه ليعبده

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٣٨٣ والاحتجاج ص ٥٢.

ويوحّده، وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم، فامتنع من ذلك حسداً وشقاوةً غلبت عليه فلعنه عند ذلك، وأخرجه عن صفوف الملائكة، وأنزله إلى الأرض مدحوراً، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب، وما له من السّلطنة على ولده إلاّ الوسوسة والدّعاء إلى غير السبيل، وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته[1].

٣ - **ص**: بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن المتوكّل وماجيلويه معاً، عن محمّد العطّار، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سيف، عن أخيه، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: سجدت الملائكة لآدم عليه السلام ووضعوا جباههم على الأرض؟ قال: نعم تكرمةً من الله تعالى[2].

٤ - **ف**: عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال: إنّ السّجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم وإنّما كان ذلك طاعةً لله ومحبّةً منهم لآدم[3].

٥ - **ج**: عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام أنّ يهودياً سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبيّ في مقابلة معجزات الأنبياء، فقال: هذا آدم أسجد الله له ملائكته، فهل فعل بمحمّد شيئاً من هذا؟ فقال عليّ عليه السلام: لقد كان ذلك، ولكن أسجد الله لآدم ملائكته، فإنّ سجودهم لم يكن سجود طاعة إنّهم عبدوا آدم من دون الله عزّ وجلّ، ولكن اعترافاً لآدم بالفضيلة، ورحمةً من الله له، ومحمّد صلى الله عليه وآله أعطي ما هو أفضل من هذا، إنّ الله جلّ وعلا صلّى عليه في جبروته والملائكة بأجمعها، وتعبّد المؤمنون بالصّلاة عليه، فهذه زيادة له يا يهوديّ[4].

٦ - **ن**: الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشميّ، عن فرات بن إبراهيم، عن محمّد بن أحمد ابن عليّ الهمدانيّ، عن العبّاس بن عبد الله البخاريّ، عن محمّد بن القاسم بن إبراهيم، عن أبي الصلت الهرويّ، عن الرّضا، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين، وفضّلني على جميع النبيّين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من بعدك - وساق الحديث إلى أن قال -: ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا وإكراماً وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّةً ولآدم إكراماً وطاعةً، لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون؟ الخبر[5].

تحقيق: اعلم أنّ المسلمين قد أجمعوا على أنّ ذلك السّجود لم يكن سجود عبادة لأنّها لغير الله تعالى توجب الشرك، ثمّ اختلفوا على ثلاثة أقوال:

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٨.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٢.
(٣) تحف العقول، ص ٣٤٧.
(٤) الاحتجاج، ص ٢١١.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٧ باب ٢٦ ح ٢٢.

الأوّل: أنّ ذلك السجود كان لله تعالى، وآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام كان قبلةً، وهو قول أبي عليّ الجبائيّ وأبي القاسم البلخيّ وجماعة.

والثاني: أنّ السّجود في أصل اللّغة هو الانقياد والخضوع، قال الشاعر: ترى الأكم فيها سجّداً للحوافر. أي الجبال الصّغار والتلال كانت مذلّلة لحوافر الخيول، ومنه قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ وأورد عليه بأنّ المتبادر من السجود وضع الجبهة على الأرض فيجب الحمل عليه ما لم يدلّ دليلٌ على خلافه، ويؤيّده قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ويدلّ عليه صريحاً بعض الأخبار المتقدّمة.

والثالث: أنّ السجود كان تعظيماً لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام وتكرمةً له، وهو في الحقيقة عبادة لله تعالى لكونه بأمره، وهو مختار جماعة من المفسّرين، وهو الأظهر من مجموع الأخبار الّتي أوردناها، وإن كان الخبر الأوّل يؤيّد الوجه الأوّل.

ثمّ اعلم أنّه قد ظهر ممّا أوردنا من الأخبار أنّ السجود لا يجوز لغير الله ما لم يكن عن أمره، وأنّ المسجود له لا يكون معبوداً مطلقاً، بل قد يكون السّجود تحيّةً لا عبادةً وإن لم يجز إيقاعه إلاّ بأمره تعالى، وأنّ أمره سبحانه للملائكة بالسجود لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام يدلّ على أفضليّته وتقدّمه عليهم، لا كما زعمه الجبائيّ وغيره من أنّه لا يدلّ على أفضليّة آدم عليه السلام.

٧ - **فس**: خلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، وكان يمرُّ به إبليس اللّعين فيقول: لأمر ما خلقت، فقال العالم عليه السلام: فقال إبليس لئن أمرني الله بالسّجود لهذا لعصيته، قال: ثمّ نفخ فيه فلمّا بلغت فيه الروح إلى دماغه عطس فقال: الحمد لله، فقال الله له: يرحمك الله، قال الصادق عليه السلام: فسبقت له من الله الرحمة، ثمّ قال الله تبارك وتعالى للملائكة: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد، فأبى أن يسجد فقال الله عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ قال الصادق عليه السلام: فأوّل من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصي الله بها، قال: فقال إبليس: يا ربّ اعفني من السّجود لآدم وأنا أعبدك عبادةً لم يعبدكها ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ، فقال الله: لا حاجة لي إلى عبادتك، إنّما أريد أن أُعبد من حيث أُريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد فقال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ قال إبليس: يا ربّ فكيف وأنت العدل الّذي لا تجور فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدّنيا ما شئت ثواباً لعملك أعطك، فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدّين، فقال الله: قد أعطيتك، قال: سلّطني على ولد آدم، قال: سلّطتك، قال: أجرني منهم مجرى الدّم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم واحد إلاّ ولد لي اثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كل صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يا ربّ زدني قال: قد جعلت لك ولذرّيّتك صدورهم أوطاناً، قال: ربّ حسبي، قال إبليس عند ذلك: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾[(١)].

٨ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن جميل، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوّة قال آدم: يا ربّ سلطت إبليس على ولدي، أجريته فيهم مجرى الدّم في العروق، وأعطيته ما أعطيته، فما لي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيّئة بواحدة والحسنة بعشرة أمثالها، قال: يا ربّ زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى أن تبلغ النّفس الحلقوم، قال: يا ربّ زدني، قال: أغفر ولا أبالي، قال: حسبي. قال: قلت: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ فقال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قلت: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتين ركعهما في السّماء في أربعة آلاف سنة[(٢)].

٩ - كتاب فضائل الشّيعة للصّدوق رحمه الله بإسناده عن أبي سعيد الخدريّ قال: كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وآله إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ فمن هم يا رسول الله الّذين هم أعلى من الملائكة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، كنّا في سرادق العرش نسبّح الله وتسبّح الملائكة بتسبيحنا قبل أن خلق الله عزّ وجلّ آدم بألفي عام، فلمّا خلق الله عزّ وجلّ آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له ولم يأمرنا بالسّجود، فسجدت الملائكة كلّهم أجمعون إلاّ إبليس فإنّه أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ أي من هؤلاءِ الخمس المكتوب أسماؤهم في سرادق العرش؛ الخبر[(٣)].

١٠ - ل: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد والحميريّ معاً، عن ابن عيسى والبرقيّ وابن أبي الخطّاب جميعاً، عن ابن محبوب، عن محمّد بن إسحاق، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّما كان لبث آدم وحوّاء في الجنّة حتّى أخرجا منها سبع ساعات من أيّام الدّنيا حتّى أهبطهما الله من يومهما ذلك[(٤)].

١١ - ع: بالإسناد إلى وهب قال: لمّا أسجد الله عزّ وجلّ الملائكة لآدم عليه السلام وأبى إبليس أن يسجد قال له ربّه عزّ وجلّ: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ ثمّ قال عزّ وجلّ لآدم: يا آدم انطلق إلى هؤلاءِ من الملائكة فقل: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فسلّم عليهم فقالوا: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، فلمّا رجع إلى ربّه عزّ وجلّ قال له ربّه تبارك وتعالى. هذا تحيّتك وتحيّة ذرّيّتك من بعدك فيما بينهم إلى يوم القيامة[(٥)].

١٢ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن عثمان، عن الحسن بن

---

(١) - (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٢-٥٣.
(٣) فضائل الشيعة للصدوق، ص ٥٠
(٤) الخصال، ص ٣٩٧ باب السبعة ح ١٠٣.
(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢٦ باب ٩٠ ح ١

الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أُمر بالسجود كان منه الّذي كان[١].

إيضاح: اعلم أنّ العلماء اختلفوا في أنّه هل كان إبليس من الملائكة أم لا، فذهب أكثر المتكلّمين لا سيّما المعتزلة وكثيرٌ من أصحابنا كالشيخ المفيد قدّس سرّه إلى أنّه لم يكن من الملائكة بل كان من الجنّ، قال: وقد جاءت الأخبار به متواترة عن أئمّة الهدى سلام الله عليهم وهو مذهب الإماميّة، وذهب جماعةٌ من المتكلّمين وكثيرٌ من فقهاء الجمهور إلى أنّه منهم، واختاره شيخ الطائفة رحمه الله في التبيان قال: وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا، ثمّ اختلفت الطائفة الأخيرة فقيل: إنّه كان خازناً للجنان، وقيل: كان له سلطان سماءِ الدنيا وسلطان الأرض، وقيل: كان يسوس ما بين السماءِ والأرض، والحقّ ما اختاره المفيد رحمه الله، وسنورد الأخبار في ذلك في كتاب السماءِ والعالم.

١٥ - **ص:** بالإسناد عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن الصّادق عليه السلام قال: أمر إبليس بالسجود لآدم، فقال: يا ربّ وعزّتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قطّ مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أحبّ أن أُطاع من حيث أُريد. وقال: إنّ إبليس رنّ أربع رنّات أوّلهن يوم لعن، ويوم أُهبط إلى الأرض، وحيث بعث محمّد صلى الله عليه وآله على فترة من الرسل، وحين أُنزلت أُمّ الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أُهبط من الجنّة. وقال في قوله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ كانت سوآتهما لا ترى فصارت ترى بارزة. وقال: الشجرة الّتي نهي عنها آدم هي السنبلة[٢].

توضيح: الرنّة: الصوت، يقال. رنّت المرأة ترنّ رنيناً وأرنّت أيضاً أي صاحت. والنخير: صوتٌ بالأنف.

١٦ - **ك:** ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن جعفر بن عبدالله، عن الحسن ابن سعيد، عن محمّد بن زياد، عن أيمن بن محرز، عن الصادق عليه السلام إنّ الله تبارك وتعالى علّم آدم عليه السلام أسماء حجج الله كلّها، ثمّ عرضهم وهم أرواح على الملائكة فقال: ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّكم أحقّ بالخلافة في الأرض لتسبيحكم وتقديسكم من آدم: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ﴾ وقفوا على عظيم منزلتهم عند الله تعالى ذكره فعلموا أنّهم أحقّ بأن يكونوا خلفاء الله في أرضه وحججه على بريّته، ثمّ غيّبهم عن أبصارهم واستعبدهم بولايتهم ومحبّتهم وقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾. وحدّثنا بذلك القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام[٣].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٢.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٣.

(٣) كمال الدين، ص ٢٥.

١٧ - **فس:** ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ قال: أسماء الجبال والبحار والأودية والنبات والحيوان[١].

بيان: قال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ ﷺ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ أي علّمه معاني الأسماء، إذ الأسماء بلا معان لا فائدة فيها ولا وجه لإشادة الفضيلة بها، وقد نبّه الله الملائكة على ما فيها من لطيف الحكمة فأقرّوا عندما سئلوا عن ذكرها والإخبار عنها أنّه لا علم لهم بها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ﴾ عن قتادة؛ وقيل: إنّه سبحانه علّمه جميع الأسماءِ والصناعات وعمارة الأرضين والأطعمة والأودية واستخراج المعادن وغرس الأشجار ومنافعها وجميع ما يتعلّق بعمارة الدين والدنيا، عن ابن عبّاس ومجاهد وسعيد بن جبير وعن أكثر المتأخّرين؛ وقيل: إنّه علّمه أسماء الأشياء كلّها ما خلق وما لم يخلق بجميع اللّغات الّتي يتكلّم بها ولده بعده، عن أبي عليّ الجبائيّ وعليّ بن عيسى وغيرهما، قالوا: فأخذ عنه ولده اللّغات فلمّا تفرّقوا تكلّم كلّ قوم بلسان ألفوه واعتادوه، وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه، ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللّغات إلى زمن نوح على نبيّنا وآله وعليه السلام، فلمّا أهلك الله الناس إلاّ نوحاً ومن تبعه كانوا هم العارفين بتلك اللّغات، فلمّا كثروا وتفرّقوا اختار كلّ قوم منهم لغةً تكلّموا بها وتركوا ما سواه ونسوه، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل عن هذه الآية فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية؛ ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط ممّا علّمه. وقيل: إنّه علّمه أسماء الملائكة وأسماء ذرّيّته، عن الربيع؛ وقيل: إنّه علّمه ألقاب الأشياءِ ومعانيها وخواصّها، وهو أنّ الفرس يصلح لماذا، والحمار يصلح لماذا، وهذا أبلغ لأنّ معاني الأشياء وخواصّها لا تتغيّر بتغيّر الأزمنة والأوقات، وألقاب الأشياءِ تتغيّر على طول الزمان انتهى[٢].

أقول: الأظهر الحمل على المعنى الأعمّ، وما ذكر في خبر ابن محرز بيان لبعض أفراد المسمّيات وأشرفها وأرفعها.

١٨ - **سن:** الحسن بن عليّ بن يقطين، عن الحسين بن ميّاح عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبليس قاس نفسه بآدم فقال: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ فلو قاس الجوهر الّذي خلق الله منه آدم بالنار كان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار[٣].

١٩ - **شي:** عن أبي العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ ماذا علّمه؟ قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية؛ ثمّ نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط ممّا علّمه[٤].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٦. (٢) مجمع البيان، ج ١ ص ١٥٢.

(٣) المحاسن للبرقي، ص ٢١١.

(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥١ ح ١١ من سورة البقرة.

٢٠ - **شي**: عن الفضل بن عبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ ما هي؟ قال: أسماء الأودية والنبات والشجر والجبال من الأرض[1].

٢١ - **شي**: عن داود بن سرحان العطّار قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدعا بالخوان فتغدّينا، ثمّ جاؤوا بالطشت والدست سنانه، فقلت جعلت فداك: قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ الطست والدست سنانه منه؟ فقال: الفجاج والأودية وأهوى بيده كذا وكذي[2].

٢٢ - **شي**: عن حريز، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أن خلق الله آدم أمر الملائكة أن يسجدوا له. فقالت الملائكة في أنفسها: ما كنّا نظنّ أنّ الله خلق خلقاً أكرم عليه منّا. فنحن جيرانه ونحن أقرب خلقه إليه. فقال الله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ فيما أبدوا من أمر بني الجانّ، وكتموا ما في أنفسهم. فلاذت الملائكة الّذين قالوا ما قالوا بالعرش[3].

٢٣ - **شي**: عن جميل بن درّاج قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ فقال: لم يكن من الملائكة، وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّماء ولا كرامة، فأتيت الطّيّار فأخبرته بما سمعت فأنكر، وقال: كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ فدخل عليه الطيّار فسأله وأنا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذه المنافقون؟ فقال: نعم يدخلون في هذه المنافقون والضلاّل وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة[4].

بيان: حاصله أنّ الله تعالى إنّما أدخله في لفظ الملائكة لأنّه كان مخلوطاً بهم وكونه ظاهراً منهم، وإنّما وجّه الخطاب في الأمر بالسجود إلى هؤلاء الحاضرين وكان من بينهم فشمله الأمر، أو المراد أنّه خاطبهم بيا أيّها الملائكة مثلاً وكان إبليس أيضاً مأموراً لكونه

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥١ ح ١٢ من سورة البقرة.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٥١ ح ١٣ من سورة البقرة. وعن البصائر: في أوّل الجزء التاسع باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والجوج (دانجوح كما في مدينة المعاجز) فيه حب مختلط فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يلقي إلى عليّ عليه السلام حبّة وحبّة ويسئله أيّ شيء هذا وجعل عليّ عليه السلام يخبره. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما إنّ جبرئيل أخبرني انّ الله علمك اسم كلّ شيء كما علم آدم الأسماء كلّها. أيضاً باسناده عن أحمد بن محمّد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حب قيطر من اليمن فوضعه بين يديه فقال: يا علي ما هذه وما هذه؟ فأخذ عليّ عليه السلام يجيبه عن شيء. فقال: ان جبرئيل أخبرني أنّ الله تبارك وتعالى علمك الأسماء كلها كما علم آدم عليه السلام [النمازي].

(٣) - (٤) تفسير العياشي ج ١ ص ٥١ ح ١٤ - ١٥ من سورة البقرة.

ظاهراً منهم ومظهراً لصفاتهم، كما أنّ خطاب يا أيّها الّذين آمنوا يشمل المنافقين لكونهم ظاهراً من المؤمنين، وأمّا ظنّ الملائكة فيحتمل أن يكون المراد أنّهم ظنّوا أنّه منهم في الطاعة وعدم العصيان، لأنّه يبعد أن لا يعلم الملائكة أنّه ليس منهم مع أنّهم رفعوه إلى السماء وأهلكوا قومه، فيكون من قبيل قولهم عليهم السلام: «سلمان منا أهل البيت» على أنّه يحتمل أن يكون الملائكة ظنّوا أنّه كان ملكاً جعله الله حاكماً على الجانّ، ويحتمل أن يكون هذا الظنّ من بعض الملائكة الّذين لم يكونوا بين جماعة منهم قتلوا الجانّ ورفعوا إبليس.

٢٤ - **شي:** عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أوّل كفر كفر بالله، حيث خلق الله آدم كفر إبليس حيث ردّ على الله أمره، وأوّل الحسد حيث حسد ابن آدم أخاه، وأوّل الحرص حرص آدم، نهي عن الشجرة فأكل منها فأخرجه حرصه من الجنّة[1].

٢٥ - **شي:** عن بدر بن خليل الأسديّ، عن رجل من أهل الشام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أوّل بقعة عبد الله عليها ظهر الكوفة لمّا أمرالله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة[2].

٢٦ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال الإمام عليه السلام: قال الله تعالى: كان خلق الله لكم ما في الأرض جميعاً ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ في ذلك الوقت خلق لكم، قال عليه السلام: ولمّا امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الّذين قتلوه وحملوا رأسه قال لعسكره: أنتم في حلّ من بيعتي فالحقوا بعشائركم ومواليكم، وقال لأهل بيته: قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف أعدادهم وقواهم، وما المقصود غيري فدعوني والقوم. فإنّ الله عزّ وجلّ يعينني ولا يخلّيني من حسن نظره كعاداته في أسلافنا الطيّبين.

فأمّا عسكره ففارقوه، وأمّا أهله الأدنون من أقربائه فأبوا وقالوا: لا نفارقك ويحزننا ما يحزنك، ويصيبنا ما يصيبك، وإنّا أقرب ما نكون إلى الله إذا كنّا معك، فقال لهم: فإن كنتم قد وطّنتم أنفسكم على ما وطّنت نفسي عليه فاعلموا أنّ الله إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده باحتمال المكاره، وأنّ الله وإن كان خصّني مع من مضى من أهلي الّذين أنا آخرهم بقاءً في الدنيا من الكرامات بما يسهل عليّ معها احتمال المكرهات فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات الله تعالى، واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلمٌ، والانتباه في الآخرة، والفائز من فاز فيها، والشقيّ من شقي فيها، أولا أحدّثكم بأوّل أمرنا وأمركم معاشر أوليائنا ومحبّينا والمتعصّبين لنا ليسهل عليكم احتمال ما أنتم له معرّون؟ قالوا: بلى يابن رسول الله قال: إنّ الله تعالى لمّا خلق آدم وسوّاه وعلّمه أسماء كلّ شيء وعرضهم على الملائكة جعل محمّداً وعليّاً وفاطمة

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٢ ح ١٧ و١٨ من سورة البقرة.

والحسن والحسين أشباحاً خمسةً في ظهر آدم، وكانت أنوارهم تضيء في الآفاق من السماوات والحجب والجنان والكرسيّ والعرش، فأمر الله الملائكة بالسجدة لآدم تعظيماً له أنّه قد فضّله بأن جعله وعاء لتلك الأشباح الّتي قد عمّ أنوارها في الآفاق، فسجدوا إلاّ إبليس أبى أن يتواضع لجلال عظمة الله وأن يتواضع لأنوارنا أهل البيت وقد تواضعت لها الملائكة كلّها فاستكبر وترفّع وكان بإبائه ذلك وتكبّره من الكافرين.

قال عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما: حدّثني أبي، عن أبيه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: قال: يا عباد الله: إنّ آدم لمّا رأى النور ساطعاً من صلبه إذ كان الله قد نقل أشباحنا من ذروة العرش إلى ظهره رأى النور ولم يتبيّن الأشباح، فقال: يا ربّ ما هذه الأنوار؟ قال الله عزّ وجلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشي إلى ظهرك، ولذلك أمرت الملائكة بالسّجود لك إذ كنت وعاءً لتلك الأشباح، فقال آدم: يا ربّ لو بيّنتها لي، فقال الله تعالى: انظر يا آدم إلى ذروة العرش، فنظر آدم - ووقع نور أشباحنا من ظهر آدم - على ذروة العرش فانطبع فيه صور أنوار أشباحنا كما ينطبع وجه الإنسان في المرآة الصافية، فرأى أشباحنا فقال: ما هذه الأشباح يا ربّ؟ فقال الله: يا آدم هذه الأشباح أفضل خلائقي وبريّاتي: هذا محمّد وأنا الحميد والمحمود في أفعالي شققت له اسماً من اسمي، وهذا عليّ وأنا العليّ العظيم شققت له اسماً من اسمي، وهذه فاطمة وأنا فاطر السماوات والأرض فاطم أعدائي عن رحمتي يوم فصل قضائي، وفاطم أوليائي عمّا يعتريهم ويشينهم فشققت لها اسماً من اسمي، وهذا الحسن وهذا الحسين وأنا المحسن المجمل شققت لهما اسماً من اسمي، هؤلاء خيار خليقتي وكرام بريّتي، بهم آخذ وبهم أعطي وبهم أعاقب وبهم أثيب، فتوسّل إليّ بهم يا آدم، وإذا دهتك داهيةٌ فاجعلهم إليّ شفعاءك، فإنّي آليت على نفسي قسماً حقّاً لا أخيّب بهم آملاً، ولا أردّ بهم سائلاً فلذلك حين نزلت منه الخطيئة (وخ) دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب عليه وغفر له[1].

أقول: قال السيّد ابن طاوس في سعد السعود: رأيت في صحف إدريس على نبيّنا وآله وعليه السلام في ذكر سؤال إبليس وجواب الله له قال: ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال: لا ولكنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، فإنّه يوم قضيت وحتمت أن أطهر الأرض ذلك اليوم من الكفر والشرك والمعاصي، وأنتخب لذلك الوقت عباداً لي امتحنت قلوبهم للإيمان وحشوتها بالورع والإخلاص واليقين والتقوى والخشوع والصدق والحلم والصبر والوقار والزهد في الدنيا، والرغبة فيما عندي يدينون بالحقّ وبه يعدلون، أولئك أوليائي حقّاً، اخترت لهم نبيّاً مصطفى، وأميناً مرتضى، فجعلته لهم نبيّاً ورسولاً وجعلتهم له أولياء وأنصاراً، تلك أمّة اخترتها للنّبيّ المصطفى وأميني المرتضى، ذلك وقت حجبته في علم

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢١٧.

غيبي، ولا بدّ أنّه واقع، أبيدك يومئذ وخيلك ورجلك وجنودك أجمعين، فاذهب فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، ثمّ قال الله لآدم: قم فانظر إلى هؤلاء الملائكة الّذين قبالك، فإنّهم من الّذين سجدوا لك، فقل: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فأتاهم فسلّم عليهم كما أمره الله، فقالوا: وعليك السلام يا آدم ورحمة الله وبركاته، فقال الله: هذه تحيّتك يا آدم وتحيّة ذرّيّتك فيما بينهم إلى يوم القيامة. ثمّ ذكر شرح خلق ذرّيّة آدم وشهادة من تكلّف منهم بالربوبيّة والوحدانيّة لله جلّ جلاله ثمّ قال: ونظر آدم إلى طائفة من ذرّيّته يتلألأ نورهم يسعى، قال آدم: ما هؤلاءِ؟ قال: هؤلاء الأنبياء من ذرّيّتك، قال: كم هم يا ربّ؟ قال: هم مائة ألف نبيّ وأربعة وعشرون ألف نبيّ، المرسلون منهم ثلاثمائة وخمسة عشر نبيّاً مرسلاً، قال: يا ربّ فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على نورهم جميعاً؟ قال: لفضله عليهم جميعاً، قال: ومن هذا النبيّ يا ربّ؟ وما اسمه؟ قال: هذا محمّد نبيّي ورسولي وأميني ونجيبي ونجيّي وخيرتي وصفوتي وخالصتي وحبيبي وخليلي وأكرم خلقي عليّ، وأحبّهم إليّ، وآثرهم عندي، وأقربهم منّي، وأعرفهم لي، وأرجحهم حلماً وعلماً وإيماناً ويقيناً وصدقاً وبرّاً وعفافاً وعبادةً وخشوعاً وورعاً وسلماً وإسلاماً، أخذت له ميثاق حملة عرشي فما دونهم من خلائقي في السماوات والأرض بالإيمان به والإقرار بنبوّته فآمن به يا آدم تزد منّي قربة ومنزلةً وفضلاً ونوراً ووقاراً قال آدم: آمنت بالله وبرسوله محمّد، قال الله: قد أوجبت لك يا آدم وقد زدتك فضلاً وكرامة أنت يا آدم أوّل الأنبياءِ والمرسلين، وابنك محمّد خاتم الأنبياءِ والرسل، وأوّل من تنشقّ الأرض عنه يوم القيامة، وأوّل من يكسى ويحمل إلى الموقف، وأوّل شافع وأوّل مشفّع، وأوّل قارع لأبواب الجنان، وأوّل من يفتح له، وأوّل من يدخل الجنّة، قد كنّيتك به فأنت أبو محمّد، فقال آدم: الحمد لله الّذي جعل من ذرّيّتي من فضله بهذه الفضائل وسبقني إلى الجنّة ولا أحسده.

ثمّ ذكر مشاهدة آدم لمن أخرج الله جلّ جلاله من ظهره من جوهر ذرّيّته إلى يوم القيامة، واختياره للمطيعين وإعراضه عليه السلام عن العصاة له سبحانه، وذكر خلق حوّاء من ضلع آدم عليه السلام (١).

٢٧ - فس: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ الآية أمّا بين أيديهم فهو من قبل الآخرة لأخبرنّهم أنّه لا جنّة ولا نار ولا نشور، وأمّا خلفهم يقول: من قبل دنياهم آمرهم بجمع الأموال وآمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً ولا يعطوا منه حقّاً، وآمرهم أن لا ينفقوا على ذراريهم، وأخوّفهم على الضيعة، وأمّا عن أيمانهم يقول: من قبل دينهم فإن كانوا على ضلالة زيّنتها لهم، وإن كانوا على الهدى أخرجهم منه، وأمّا عن شمائلهم يقول: من قبل اللّذّات والشهوات، يقول الله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾.

(١) سعد السعود، ص ٣٤.

قوله: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ فالمذؤوم المعيب، والمدحور المقصيّ أيّ ملقى في جهنّم[١].

٢٨ - **فس:** ﴿مِن صَلْصَٰلٍ﴾ قال: الماء المتصلصل بالطين ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ قال: حمأ متغير ﴿وَٱلْجَآنَّ﴾ قال: أبو إبليس[٢].

٢٩ - **فس:** محمّد بن أحمد بن ثابت، عن القاسم بن اسماعيل الهاشميّ، عن محمّد بن سيّار، عن الحسين بن المختار، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لو أنّ الله خلق الخلق كلّهم بيده لم يحتج في آدم أنّه خلقه بيده فيقول: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أفترى الله يبعث الأشياء بيده![٣].

بيان: أفترى الله إنّما ذكر ذلك لئلاّ يحمل اليد على الحقيقة، أو المعنى أنّه لو كان خلقه تعالى الأشياء بالجوارح لكان خلق الجميع بها فلا وجه للاختصاص.

٣٠ - **فس:** أبي، عن سعيد بن أبي سعيد، عن إسحاق بن جرير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيّ شيء يقول أصحابك في قول إبليس: ﴿خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾؟ قلت: جعلت فداك قد قال ذلك وذكره الله في كتابه، قال: كذب يا إسحاق ما خلقه الله إلاّ من طين، ثمّ قال: قال الله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ خلقه الله من ذلك النار من تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين[٤].

٣١ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ قال: يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله صلى الله عليه وآله على الصخرة الّتي في بيت المقدس.

قال عليّ بن إبراهيم: فقال الله: ﴿فَٱلْحَقُّ﴾ أي إنّك تفعل ذلك، ﴿وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾[٥].

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ﴾: اي فأُحقّ الحقّ وأقوله، وقيل: إنّ الحقّ اسم الله، ونصبه بحذف حرف القسم وجوابه ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾ وما بينهما اعتراض، وقرأ عاصم وحمزة برفع الأوّل على الابتداءِ، أي الحقّ يميني أو قسمي، أو الخبر أي أنا الحقّ. انتهى[٦].

أقول: ما ذكره عليّ بن إبراهيم يصح على القراءتين فلا تغفل.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣١.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٧.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٤.

(٤) - (٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٥.

(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٤.

٣ - باب ارتكاب ترك الأولى ومعناه وكيفيته وكيفية قبول توبته والكلمات التي تلقاها من ربه

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

الأعراف «٧»: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ﴿٢٧﴾﴾.

طه «٢٠»: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿١٢٢﴾ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴿١٢٤﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ أي اتّخذاها مسكناً وروي عن ابن عبّاس وابن مسعود أنّه لمّا أُخرج إبليس من الجنّة ولعن بقي آدم وحده فاستوحش إذ ليس معه من يسكن إليه خلقت حوّاء ليسكن إليها، وروي أنّ الله تعالى ألقى على آدم النوم وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حوّاء فاستيقظ آدم فإذا عند رأسه امرأة فسألها من أنت؟ قالت: امرأة، قال: لمَ خلقت؟ قال: لتسكن إليّ، فقالت الملائكة: ما اسمها يا آدم؟ فقال: حوّاء، قالوا: ولمَ سمّيت حوّاء؟ قال: لأنّها خلقت من حيّ. فعندها قال الله: ﴿اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ وقيل: إنّها خلقت قبل أن يسكن آدم الجنّة ثمّ أُدخلا معاً الجنّة.

وفي كتاب النبوّة أنّ الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حوّاء من آدم فهمّة الرّجال الماء والطين، وهمّة النساءِ الرّجال.

قال أهل التحقيق: ليس يمتنع أن يخلق الله حوّاء من جملة جسد آدم بعد أن لا يكون ممّا لا يتمّ الحيّ حيّاً إلاّ معه، لأنّ ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل إلى غيره، أو يخلق منه حيّ آخر من حيث يؤدّي إلى أن لا يمكن إيصال الثواب إلى مستحقّه ﴿رَغَدًا﴾ أي كثيراً واسعاً لا عناء فيه ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ أي لا تأكلا منها وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام، وكان هذا نهي تنزيه ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يجوز أن يقال لمن يبخس نفسه الثواب: إنّه ظالمٌ لنفسه ﴿فَأَزَلَّهُمَا﴾ أي حملهما على الزلّة ﴿عَنْهَا﴾ أي عن الجنّة ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعمة والدّعة، أو من الجنّة، أو من الطاعة، وإنّما أُخرج من الجنّة لا على وجه العقوبة، بل لأنّ المصلحة قد تغيّرت بتناوله من الشجرة فاقتضت الحكمة إهباطه إلى الأرض وابتلاءه والتكليف بالمشقّة، وسلبه ما ألبسه من ثياب الجنّة لأنّ إنعامه بذلك كان على وجه التفضّل والامتنان، فله أن يمنع ذلك تشديداً للبلوى والامتحان، كما له أن يفقر بعد الإغناء ويميت بعد الإحياء ويسقم بعد الصحّة ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ الخطاب لآدم وحوّاء وإبليس وإن كان إبليس قد أُخرج قبل ذلك لأنّهم قد اجتمعوا في الهبوط وإن كانت أوقاتهم متفرّقة؛ وقيل: أراد آدم وحوّاء والحيّة؛ وقيل: أراد آدم وحوّاء وذرّيّتهما؛ وقيل: خاطب الاثنين خطاب الجمع ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني آدم وذرّيّته، وإبليس وذرّيّته ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ أي مقرٌّ ومقامٌ وثبوتٌ ﴿وَمَتَٰعٌ﴾ أي استمتاع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي إلى الموت أو إلى القيامة ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ أي قبل وأخذ ﴿مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ وأغنى قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰ﴾ عن أن يقول: فرغب إلى الله بهنّ، أو سأله بحقّهنّ لأنّ التلقي يفيد ذلك واختلف في الكلمات فقيل: هي قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ الآية؛ وقيل: هي قوله: «اللّهمّ لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إنّي ظلمت نفسي فاغفرلي إنّك خير الغافرين اللّهمّ لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك ربّ إنّي ظلمت نفسي فتب عليّ إنّك أنت التّوّاب الرّحيم» وهو المرويّ عن الباقر عليه السلام، وقيل، بل هي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر» وقيل - وهي رواية تختصّ بأهل البيت عليهم السلام -: إنّ آدم رأى مكتوباً على العرش أسماء مكرّمة معظّمة، فسأل عنها فقيل له: هذه أسماء أجلّة الخلق عند الله منزلةً، والأسماء: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتوسّل آدم إلى ربّه بهم في قبول توبته ورفع منزلته ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أي تاب آدم فتاب الله عليه، أي قبل توبته، وقيل: أي وفّقه للتّوبة وهداه إليها ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ﴾ أي كثير القبول للتّوبة، وإنّما قال: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل: (عليهما) لأنّه اختصر وحذف للإيجاز والتّغليب. وقال الحسن لم يخلق الله آدم إلاّ للأرض، ولو لم يعص لأخرجه إلى الأرض على غير تلك الحال. وقال غيره: يجوز أن يكون خلقه للأرض إن عصى، ولغيرها إن لم يعص وهو الأقوى. ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُواْ﴾ قيل: الهبوط الأوّل من الجنّة إلى السّماء، وهذا من السّماء إلى الأرض وقيل: إنّما كرّر للتأكيد؛ وقيل: لاختلاف الحالين فقد بيّن بالأوّل أنّ الإهباط إنّما كان حال عداوة بعضهم لبعض، وبهذا أنّ الإهباط للابتلاءِ والتّكليف ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي

﴿هُدًى﴾ أي بيانٌ ودلالةٌ، وقيل: أنبياء ورسلٌ، وعلى الأخير يكون الخطاب في ﴿ٱهْبِطُوا۟﴾ لآدم وحوّاء وذرّيّتهما ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ أي اقتدى برسلي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ في القيامة من العقاب ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على فوات الثّواب[1].

﴿لِيُبْدِىَ لَهُمَا﴾ قال البيضاويّ: أي ليظهر لهما، واللاّم للعاقبة أو للغرض، على أنّه أراد أيضاً بوسوسته أن يسوأهما بانكشاف عورتهما، ولذلك عبّر عنها بالسّوءة ﴿مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ أي ما غطّي عنهما من عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا﴾ إلاّ كراهة أن تكونا ﴿مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ الّذين لا يموتون أو يخلدون في الجنّة، واستدلّ به على فضل الملائكة على الأنبياء، وجوابه أنّه كان من المعلوم أنّ الحقائق لا تنقلب، وإنّما كان رغبتهما في أن يحصل لهما أيضاً ما للملائكة من الكمالات الفطريّة والاستغناء عن الأطعمة والأشربة، وذلك لا يدلّ على فضلهم مطلقاً ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ أي أقسم لهما، وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة، وقيل: أقسم لهما بالقبول؛ وقيل: أقسما عليه بالله: ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة.

﴿فَدَلَّىٰهُمَا﴾ فنزّلهما إلى الأكل من الشّجرة نبّه به على أنّه أهبطهما بذلك من درجة عالية إلى رتبة سافلة، فإنّ التّدلية والإدلاء إرسال الشّيء من أعلى إلى أسفل ﴿بِغُرُورٍ﴾ بما غرّهما به من القسم، فإنّهما ظنّا أنّ أحداً لا يحلف بالله كاذباً، أو متلبّسين بغرور[2].

﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ قال الطبرسيّ: أي ابتدآ بالأكل ونالا منها شيئاً يسيراً على خوف شديد ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ قال الكلبيّ: فلمّا أكلا منها تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كلّ منهما سوأة صاحبه فاستحيا ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي أخذا يجعلان ورقةً على ورقة ليسترا سوآتهما؛ وقيل: جعلا يرقّعان ويصلان عليهما من ورق الجنّة وهو ورق التّين حتّى صار كهيئة الثّوب، والخصف أصله الضمّ والجمع، ومنه خصف النّعل ﴿ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ أي بخسناها الثّواب، بترك المندوب إليه؛ وقيل: ظلمنا أنفسنا بالنّزول إلى الأرض ومفارقة العيش الرغد ﴿وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا﴾ أي وإن تستر علينا ﴿وَتَرْحَمْنَا﴾ أي ولم تتفضّل علينا بنعمتك الّتي تتمّ بها ما فوّتناه نفوسنا من الثواب ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ أي ممّن خسر ولم يربح[3].

﴿كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم﴾ نسب الإخراج إليه لما كان بإغوائه ﴿لِبَاسَهُمَا﴾ قيل: كان لباسهما الظّفر عن ابن عبّاس، أي كان شبه الظّفر وعلى خلقته؛ وقيل: كان نوراً، عن وهب[4].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ﴾ أي أمرناه وأوصينا إليه أن لا يقرب الشجرة ﴿فَنَسِىَ﴾ أي فترك الأمر ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ ثابتاً، وقيل: فنسي من النّسيان ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ على

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ١٦٧-١٧٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٧١.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٣٤.
(٤) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٣٩.

الذّنب لأنّه لم يتعمّد ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ أي فتقع في تعب العمل وكدّ الاكتساب والنّفقة على زوجتك، ولذلك قال: ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ ولم يقل: «فتشقيا» وقيل: لأنّ أمرهما في السبب واحد فاستوى حكمهما؛ وقيل: ليستقيم رؤوس الآي؛ قال ابن جبير: أهبط على آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويرشح العرق عن جبينه فذلك هو الشّقاوة ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ أي في الجنّة لسعة طعامها وثيابها ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ أي لا تعطش ولا يصيبك حرّ الشّمس فإنّه ليس في الجنّة شمس وإنّما فيها ضياء ونورٌ وظلٌ ممدودٌ ﴿عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي من أكل منها لم يمت ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ جديد لا يفنى ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ أي خالف ما أمره به ربّه فخاب من ثوابه ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ أي اختاره للرّسالة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ أي قبل توبته وهداه إلى ذكره، أو إلى الكلمات الّتي تلقّاها منه ﴿قَالَ ٱهْبِطَا﴾ يعني آدم وحوّاء ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ أي في الدّنيا ﴿وَلَا يَشْقَىٰ﴾ أي في الآخرة ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي عيشاً ضيقاً في الدّنيا، أو هو عذاب القبر، أو طعام الضّريع والزقّوم في جهنّم[١].

١ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ قال: كانت سوآتهما لا تبدو لهما فبدت، يعني كانت من داخل[٢].

٢ - **فس:** ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يعني آدم وإبليس ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ يعني إلى القيامة[٣].

٣ - **فس:** ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي ضيقة[٤].

٤ - **ع، لي:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن عليّ بن الحسين البرقيّ، عن عبد الله ابن جبلة، عن معاوية بن عمّار، عن الحسن بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فكان فيما سألوه: أخبرني عن الله لأيّ شيء وقّت هذه الصّلوات الخمس في خمس مواقيت على أمّتك في ساعات اللّيل والنّهار؟ فأجاب عليه السلام إلى أنّ قال: وأمّا صلاة العصر فهي السّاعة الّتي أكل فيها آدم من الشّجرة فأخرجه الله من الجنّة، فأمر الله ذرّيّته بهذه الصّلاة إلى يوم القيامة، واختارها لأمّتي فهي من أحبّ الصّلوات إلى الله عزّ وجلّ وأوصاني أن أحفظها من بين الصّلوات، وأمّا صلاة المغرب فهي السّاعة الّتي تاب الله فيها على آدم، وكان بين ما أكل من الشّجرة وبين ما تاب الله عليه ثلاثمائة سنة من أيّام الدّنيا وفي أيّام الآخرة يوم كألف سنة من وقت صلاة العصر إلى العشاء، فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعة لخطيئته، وركعة لخطيئة حوّاء، وركعة لتوبته، فافترض الله عزّ وجلّ هذه الثلاث الرّكعات على أمّتي[٥].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٦٠-٦٤.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣١.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٤.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٩.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٣ باب ٣٦ ح ١.

ثمّ قال: فأخبرني لأيّ شيء توضّأ هذه الجوارح الأربع وهي أنظف المواضع في الجسد؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لمّا أن وسوس الشيطان إلى آدم ودنا آدم من الشجرة ونظر إليها ذهب ماء وجهه، ثمّ قام وهو أوّل قدم مشت إلى الخطيئة، ثمّ تناول بيده ثمّ مسّها فأكل منها فطار الحليّ والحلل عن جسده، ثمّ وضع يده على أمّ رأسه وبكى، فلمّا تاب الله عزّ وجلّ عليه فرض الله عزّ وجلّ عليه وعلى ذرّيّته الوضوء على هذه الجوارح الأربع، وأمره أن يغسل الوجه لمّا نظر إلى الشّجرة، وأمره بغسل السّاعدين إلى المرفقين لمّا تناول منها، وأمره بمسح الرأس لمّا وضع يده على رأسه، وأمره بمسح القدمين لمّا مشى إلى الخطيئة.

ثمّ قال أخبرني لأيّ شيء فرض الله عزّ وجلّ الصّوم على أمّتك بالنّهار ثلاثين يوماً، وفرض على الأمم أكثر من ذلك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله إنّ آدم لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً، وفرض الله على ذرّيّته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والّذي يأكلونه تفضّل من الله عزّ وجلّ عليهم، وكذلك كان على آدم ففرض الله عزّ وجلّ على أمّتي ذلك، ثمّ تلا رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[1].

٥ - فس: أبي رفعه قال: سئل الصّادق عليه السلام عن جنّة آدم، أمن جنان الدّنيا كانت أم جنان الآخرة؟ فقال: كانت من جنان الدنيا تطلع فيها الشّمس والقمر، ولو كانت من جنان الآخرة ما خرج منها أبداً، قال: فلمّا أسكنه الله الجنّة أتى جهالة إلى الشجرة، لأنّه خلق خلقة لا تبقى إلاّ بالأمر والنّهي والغذاء واللّباس والإكنان والتّناكح، ولا يدرك ما ينفعه ممّا يضرّه إلاّ بالتوقيف، فجاءه إبليس فقال له: إنكما إن أكلتما من هذه الشّجرة الّتي نهاكما الله عنها صرتما ملكين وبقيتما في الجنّة أبداً، وإن لم تأكلا منها أخرجكما الله من الجنّة وحلف لهما أنّه لهما ناصح، كما قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾[2] فقبل آدم قوله فأكلا من الشّجرة وكان كما حكى الله ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾ وسقط عنهما ما ألبسهما الله تعالى من لباس الجنّة، وأقبلا يستران من ورق الجنّة ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ فقالا كما حكى الله عزّ وجلّ عنهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فقال الله لهما: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: إلى يوم القيامة.

قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ قال: فهبط آدم على الصّفا وإنّما سمّيت الصّفا لأنّ صفوة الله نزل عليها،

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٧٩ باب ١٠٩ ح ١، وأمالي الصدوق، ص ١٥٧ مجلس ٣٥ ح ١.
(٢) سورة الأعراف، الآيتان: ٢٠-٢١.

ونزلت حوّاء على المروة وإنّما سمّيت المروة لأنّ المرأة نزلت عليها، فبقي آدم أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ألم يخلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته؟ قال: بلى، قال: وأمرك أن لا تأكل من الشّجرة فلمَ عصيته؟ قال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله إنّه لي ناصح، وما ظننت أنّ خلقاً يخلقه الله يحلف بالله كاذباً[1].

بيان: قوله عليه السلام: (لأنّه خلق) إمّا تعليل لأنّه وكله الله تعالى إلى نفسه حتّى قصد الشجرة، أي كان خلق للدنيا لا للجنّة، أو لقبول وسوسة الشيطان، أو للمرور جهالة إلى الشجرة حتّى وسوس إليه الشيطان.

قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ قال الشيخ الطبرسيّ: والمعنى أنّه أوهمهما أنّهما إذا أكلا من هذه الشجرة تغيّرت صورتهما إلى صورة الملك، وأنّ الله تعالى قد حكم بذلك وبأن لا تبيد حياتهما إذا أكلا منها؛ وروي عن يحيى بن أبي كثير أنّه قرأ (ملكين) بكسر اللاّم. قال الزّجّاج: قوله ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ يدلّ على ملكين، وأحسبه قد قرئ به، ويحتمل أن يكون المراد بقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ أنّه أوهمهما أنّ المنهيّ عن تناول الشجرة الملائكة خاصّة والخالدين دونهما، فتكون كما يقول أحدنا لغيره: ما نهيت عن كذا إلاّ أن تكون فلاناً، وإنّما يريد أنّ المنهيّ إنّما هو فلان دونك، ذكره المرتضى قدّس الله سرّه وروحه انتهى[2]، والخبر يؤيّد الأوّل.

٦ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن مسكان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه وبين آدم عليه السلام فجمع فقال له موسى: يا أبه ألم يخلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأمرك أن لا تأكل من الشجرة فلمَ عصيته؟ قال: يا موسى بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين سنة، قال: فهو ذلك، قال الصادق عليه السلام: فحجّ آدم موسى عليه السلام[3].

بيان: وجدان الخطيئة قبل الخلق إمّا في عالم الأرواح بأن يكون روح موسى عليه السلام اطّلع على ذلك في اللّوح، أو المراد أنّه وجد في التوراة أنّ تقدير خطيئة آدم عليه السلام كان قبل خلقه بثلاثين سنة، ويدلّ على الأخير ما سيأتي في خبر مسعدة، وقوله عليه السلام: (فحجّ) أي غلب عليه في الحجّة، وهذا يرجع إلى القضاءِ والقدر، وقد مرّ تحقيقهما.

٧ - **فس:** روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُخرج آدم من الجنّة نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٣. (٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٣٢.

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٤. وتجد احتجاج آدم وموسى في صحيح البخاري ج ٣ كتاب التوحيد [النمازي].

وزوّجك حوّاء أمته، وأسكنك الجنّة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها وعصيت الله؟ فقال آدم عليه السلام: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لي بالله إنّه لي ناصحٌ، فما ظننت أنّ أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً[١].

٨ - ن: تميم القرشيّ، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان، عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: حضرت مجلس المأمون وعنده الرّضا عليّ بن موسى عليه السلام فقال له المأمون: يا ابن رسول الله أليس من قولك: إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، قال: فما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ فقال عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى قال لآدم عليه السلام: ﴿ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وأشار لهما إلى شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ ولم يقل لهما: لا تأكلا من هذه الشجرة ولا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجرة، وإنّما أكلا من غيرها لمّا أن وسوس الشيطان إليهما وقال: ﴿مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ﴾ وإنّما نهاكما أن تقربا غيرها ولم ينهكما عن الأكل منها ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ ولم يكن آدم وحوّاء شاهدا قبل ذلك من يحلف بالله كاذباً ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ فأكلا منها ثقة بيمينه بالله، وكان ذلك من آدم قبل النبوّة، ولم يكن ذلك بذنب كبير استحقّ به دخول النار، وإنّما كان من الصغائر الموهوبة الّتي تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحي عليهم، فلمّا اجتباه الله تعالى وجعله نبيّاً كان معصوماً لا يذنب صغيرة ولا كبيرةً، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢].

٩ - مع، ن: ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن الهرويّ قال: قلت للرضا عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن الشجرة الّتي أكل منها آدم وحوّاء ما كانت؟ فقد اختلف الناس فيها: فمنهم من يروي أنّها الحنطة، ومنهم من يروي أنّها العنب، ومنهم من يروي أنّها شجرة الحسد، فقال: كل ذلك حقّ. قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت إنّ شجر الجنّة تحمل أنواعاً فكانت شجرة الحنطة وفيها عنبٌ، وليست كشجر الدّنيا، وإنّ آدم عليه السلام لمّا أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته له وبإدخاله الجنّة قال في نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منّي؟ فعلم الله عزّ وجلّ ما وقع في نفسه، فناداه: ارفع رأسك يا آدم فانظر إلى ساق عرشي، فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين، وزوجه فاطمة سيّدة نساء العالمين، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنّة» فقال آدم عليه السلام: يا ربّ من هؤلاء؟ فقال عزّ وجلّ: من ذرّيّتك وهم خير منك ومن جميع خلقي، ولولاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنّة والنار ولا السماء والأرض، فإيّاك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأُخرجك عن جواري.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٣١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٤ باب ١٥ ح ١.

فنظر إليهم بعيد الحسد وتمنّى منزلتهم فتسلّط الشيطان عليه حتّى أكل من الشجرة الّتي نهي عنها. وتسلّط على حوّاء لنظرها إلى فاطمة عليها السلام بعين الحسد حتّى أكلت من الشجرة كما أكل آدم فأخرجهما الله عزّ وجلّ عن جنّته، وأهبطهما عن جواره إلى الأرض[١].

ص: بالإسناد إلى الصدوق عن ابن عبدوس إلى قوله: (وليست كشجر الدنيا)[٢].

بيان: اعلم أنّهم اختلفوا في الشجرة المنهيّة فقيل: كانت السنبلة رووه عن ابن عبّاس، ويدلّ عليه ما سيأتي ورواية ابن الجهم؛ وقيل: هي الكرمة رووه عن ابن مسعود والسدّيّ وسيأتي ما يدلّ عليه؛ وقيل: هي شجرة الكافور؛ وقال الشيخ في التبيان: روي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: شجرة الكافور؛ وقيل: هي التينة؛ وقيل: شجرة العلم: علم الخير والشرّ؛ وقيل هي شجرة الخلد الّتي كانت تأكل منها الملائكة، وهذه الرواية تجمع بين الروايات وأكثر الأقوال، وسيأتي خبر آخر[٣] هو أجمع وأصرح في الجمع، والمراد بالحسد الغبطة الّتي لم تكن تنبغي له عليه السلام، ويؤيّده قوله عليه السلام: (وتمنّى منزلتهم).

١٠ - **ع:** أبي، عن سعد، عن عبد الله بن محمّد، عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمر ابن مصعب، عن فرات بن أحنف، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لولا أنّ آدم أذنب ما أذنب مؤمن أبداً، ولولا أنّ الله عزّ وجلّ تاب على آدم ما تاب على مذنب أبداً[٤].

١١ - **ع:** ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن فضالة، عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا هبط آدم من الجنّة ظهرت فيه شامة سوداء في وجهه من قرنه إلى قدمه، فطال حزنه وبكاؤه على ما ظهر به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: ما يبكيك يا آدم؟ قال: لهذه الشامة الّتي ظهرت بي، قال: قم فصلّ فهذا وقت الأولى، فقام فصلّى فانحطّت الشامة إلى صدره، فجاءه في الصلاة الثانية فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الثانية، فقام فصلّى فانحطّت الشامة إلى سرّته، فجاء في الصلاة الثالثة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الثالثة، فقام فصلّى فانحطّت الشامة إلى ركبتيه، فجاءه في الصلاة الرّابعة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذه وقت الصلاة الرابعة، فقال فصلّى فانحطّت الشامة إلى رجليه، فجاءه في الصلاة الخامسة فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الخامسة، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد الله وأثنى عليه، فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك في هذه الصلوات كمثلك في هذه الشامة من صلّى من ولدك في كلّ يوم وليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة[٥].

١٢ - **ع:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن

---

(١) معاني الأخبار، ص ١٢٤ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٧٤ باب ٢٨ ح ٦٢.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ٤٣.

(٣) لعله ح ٤٧ من هذا الباب [النمازي].

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠٥ باب ٧٨ ح ١.

(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٤ باب ٣٦ ح ٢.

جابر وعبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّي الأبطح أبطح لأنّ آدم أمر أن ينبطح في بطحاء جمع فتبطّح حتّى انفجر الصّبح، ثمّ أمر أن يصعد جبل جمع وأمر إذا طلعت الشمس أن يعترف بذنبه ففعل ذلك آدم فأرسل الله عزّ وجلّ ناراً من السماءِ فقبضت قربان آدم صلّى الله عليه[١].

١٣ - ع، ن: سأل الشّاميّ أمير المؤمنين عليه السلام لمَ صار الميراث للذّكر مثل حظّ الأنثيين؟ قال: من قبل السنبلة كان عليها ثلاث حبّات فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّة، وأطعمت آدم حبّتين، فمن أجل ذلك ورث الذكر مثل حظّ الأنثيين[٢].

١٤ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: كيف صار الميراث للذكر مثل حظّ الأنثيين؟ فقال: لأنّ الحبّات الّتي أكلها آدم وحوّاء في الجنّة كانت ثمانية عشر، أكل آدم منها اثني عشر حبّة، وأكلت حوّاء ستّاً فلذلك صار الميراث للذكر مثل حظّ الأنثيين[٣].

بيان: يمكن الجمع بينه وبين ما سبق بحمل ما تقدّم على أوّل سنبلة أخذاه، ثمّ أخذا كذلك حتّى صارت ثمانية عشر؛ أو المراد أنّها كانت على كلّ شعبة منها ثلاث حبّات وكانت الشعب ستّة.

١٥ - ع: أبي، عن عليّ بن سليمان الرّازيّ، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أراد أن يتوب على آدم عليه السلام أرسل إليه جبرئيل فقال له: السلام عليك يا آدم الصابر على بليّته، التائب عن خطيئته، إنّ الله تبارك وتعالى بعثني إليك لأعلّمك المناسك الّتي يريد أن يتوب عليك بها، وأخذ جبرئيل بيده وانطلق به حتّى أتى البيت فنزل عليه غمامة من السماء فقال له جبرئيل عليه السلام: خطّ برجلك حيث أظلّك هذا الغمام، ثمّ انطلق به حتّى أتى به منى فأراه موضع مسجد منى فخطّه، وخطّ الحرم بعدما خطّ مكان البيت ثمّ انطلق به إلى عرفات فأقامه على العرف وقال له: إذا غربت الشمس فاعترف بذنبك سبع مرّات، ففعل ذلك آدم ولذلك سمّي المعرف لأنّ آدم اعترف عليه بذنبه، فجعل ذلك سنّة في ولده يعترفون بذنوبهم كما اعترف أبوهم، ويسألون الله عزّ وجلّ التوبة كما سألها أبوهم آدم عليه السلام، ثمّ أمره جبرئيل فأفاض من عرفات فمرّ على الجبال السبعة، فأمره أن يكبّر على كلّ جبل أربع تكبيرات ففعل ذلك آدم، ثمّ انتهى به إلى جمع ثلث اللّيل فجمع فيها بين المغرب وبين صلاة العشاءِ الآخرة، فلذلك سمّيت جمعاً لأنّ آدم جمع فيها بين الصلاتين،

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٥٢ باب ١٩٤ ح ١.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٨ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا ج ١. ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٤ باب ٣٧٢ ح ٤.

فهو وقت العتمة تلك اللّيل ثلث اللّيل في ذلك الموضع، ثمّ أمره أن ينبطح في بطحاء جمع فتبطّح حتّى انفجر الصبح، ثمّ أمره أن يصعد على الجبل جبل جمع وأمره إذا طلعت الشّمس أن يعترف بذنبه سبع مرّات ويسأل الله عزّوجلّ التوبة والمغفرة سبع مرّات، ففعل ذلك آدم كما أمره جبرئيل، وإنّما جعل اعترافين ليكون سنّة في ولده، فمن لم يدرك عرفات وأدرك جمعاً فقد وفى بحجّه، فأفاض آدم من جمع إلى منى فبلغ منى ضحى فأمره أن يصلّي ركعتين في مسجد منى، ثمّ أمره أن يقرّب إلى الله عزّوجلّ قرباناً ليقبل الله منه ويعلم أنّ الله قد تاب عليه، ويكون سنّة في ولده بالقربان، فقرّب آدم عليه السلام قرباناً فقبل الله منه قربانه وأرسل الله عزّوجلّ ناراً من السماء فقبضت قربان آدم، فقال له جبرئيل: إنّ الله تبارك وتعالى قد أحسن إليك إذ علّمك المناسك الّتي تاب عليك بها وقبل قربانك فاحلق رأسك تواضعاً لله عزّوجلّ إذ قبل قربانك، فحلق آدم رأسه تواضعاً لله تبارك وتعالى ثمّ أخذ جبرئيل بيد آدم فانطلق به إلى البيت فعرض له إبليس عند الجمرة فقال له: يا آدم أين تريد؟ قال جبرئيل: يا آدم ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل آدم ذلك كما أمره جبرئيل فذهب إبليس، ثمّ أخذ بيده في اليوم الثاني فانطلق به إلى الجمرة فعرض له إبليس فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً، ففعل آدم ذلك فذهب إبليس، ثمّ عرض له عند الجمرة الثانية فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثمّ عرض له عند الجمرة الثالثة فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: ارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة، ففعل ذلك آدم فذهب إبليس، ثمّ فعل ذلك به في اليوم الثالث والرّابع فذهب إبليس، فقال له جبرئيل: إنّك لن تراه بعد مقامك هذا أبداً، ثمّ انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرّات ففعل ذلك آدم، فقال له جبرئيل: إنّ الله تبارك وتعالى قد غفر لك وقبل توبتك وحلّت لك زوجتك(١).

١٦ - **ص:** بالإسناد عن الصّدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: هبط آدم عليه السلام على الصّفا ولذلك سمّي الصفا، لأنّ المصطفى هبط عليه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ وهبطت حوّاء على المروة وإنّما سمّيت المروة لأنّ المرأة هبطت عليها، وهما جبلان عن يمين الكعبة وشمالها، فاعتزلها آدم حين فرّق بينهما فكان يأتيها بالنّهار فيتحدّث عندها فإذا كان اللّيل خشي أن تغلبه نفسه فيرجع فمكث بذلك ما شاء الله، ثمّ أرسل إليه جبرئيل عليه السلام فقال: السّلام عليك يا آدم. وساق الحديث كما مرّ(٢).

بيان: بطحه كمنعه: ألقاه على وجهه فانبطح، ولعلّ المراد به هنا الاستلقاء، والمراد بالبطحاء أرض المشعر لا الأبطح المشهور وسيأتي الكلام فيه.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٠٣ باب ١٤٢ ح ١. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٥.

١٧ - ع: عن عليّ بن الحاتم، عن حميد بن زياد، عن عبيدالله بن أحمد، عن عليّ بن الحسن الطّاهريّ، عن محمّد بن زياد، عن أبي خديجة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: مرّ بأبي عليه السلام رجل وهو يطوف فضرب بيده على منكبه ثمّ قال: أسألك عن خصال ثلاث لا يعرفهنّ غيرك وغير رجل آخر، فسكت عنه حتّى فرغ من طوافه، ثمّ دخل الحجر فصلّى ركعتين وأنا معه فلمّا فرغ نادى: أين هذا السائل؟ فجاء وجلس بين يديه فقال له: سل فسأله عن ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ فأجابه، ثمّ قال: حدّثني عن الملائكة حين ردّوا على الربّ حيث غضب عليهم كيف رضي عنهم؟ فقال: إنّ الملائكة طافوا بالعرش سبع سنين يدعونه ويستغفرونه ويسألونه أن يرضى عنهم فرضي عنهم بعد سبع سنين، فقال: صدقت، ثمّ قال: حدّثني، عن رضى الربّ عن آدم، فقال: إنّ آدم أُنزل فنزل في الهند وسأل ربّه عزّ وجلّ هذا البيت فأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً ويأتي منى وعرفات فيقضي مناسكه كلّها، فجاء من الهند وكان موضع قدميه حيث يطأ عليه عمران، وما بين القدم إلى القدم صحارى ليس فيها شيء، ثمّ جاء إلى البيت فطاف أسبوعاً وأتى مناسكه فقضاها كما أمره الله فقبل الله منه التّوبة وغفر له، قال: فجعل طواف آدم لما طافت الملائكة بالعرش سبع سنين، فقال جبرئيل: هنيئاً لك يا آدم قد غفر لك، لقد طُفتُ بهذا البيت قبلك بثلاث آلاف سنة، فقال آدم: يا ربّ اغفر لي ولذرّيّتي من بعدي، فقال: نعم من آمن منهم بي وبرسلي. فقال: صدقت ومضى، فقال أبي عليه السلام: هذا جبرئيل أتاكم يعلّمكم معالم دينكم[1].

بيان: لعلّ المراد بالرّجل الآخر الصّادق عليه السلام، وقوله عليه السلام: (فجعل طواف آدم لما طافت الملائكة) أي كانت العلّة في جعل طواف آدم وسيلة لقبول توبته طواف الملائكة قبل ذلك وتوسّلهم بذلك إلى قبول التّوبة، وفيه إيماء إلى علّة عدد السبع أيضاً كما سيأتي، ويمكن الجمع بين ما ورد في هذا الخبر من كون قبول توبتهم بعد سبع سنين وما ورد في خبر الثّماليّ في الباب الأوّل من سبعة آلاف سنة بحمل هذا على أصل القبول وحمل ذلك على كماله، ثمّ إنّ هذا الخبر يدلّ على أنّ الملائكة كانوا يظهرون لأئمّتنا عليهم السلام وينافيه بعض الأخبار، وسيأتي الجمع بينهما في كتاب الإمامة.

١٨ - ع: عليّ بن عبد الله بن أحمد الأسواريّ، عن مكّيّ بن أحمد بن سعدويه البردعيّ، عن نوح بن الحسن، عن جميل بن سعد، عن أحمد بن عبد الواحد بن سليمان العسقلانيّ، عن القاسم بن جميل، عن حمّاد بن سلمة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زرّ بن حُبيش قال: سألت ابن مسعود عن أيّام البيض ما سببها؟ وكيف سمعت؟ قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول. إنّ آدم لمّا عصى ربّه عزّ وجلّ ناداه مناد من لدن العرش: يا آدم اخرج من جواري فإنّه لا يجاورني أحد عصاني، فبكى وبكت الملائكة، فبعث الله عزّ وجلّ إليه جبرئيل فأهبطه إلى

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١١٠ باب ١٤٣ ح ٢.

الأرض مسودّاً، فلمّا رأته الملائكة ضجّت وبكت وانتحبت وقالت: يا ربّ خلقاً خلقته، ونفخت فيه من روحك، وأسجدت له ملائكتك، بذنب واحد حوّلت بياضه سوادا!.

فنادى مناد من السمّاءِ: صم لربّك اليوم فصام فوافق يوم الثّالث عشر من الشهر فذهب ثلث السّواد، ثمّ نودي يوم الرّابع عشر: أن صم لربّك اليوم فصام فذهب ثلث السّواد، ثمّ نودي في يوم خمسة عشر بالصّيام فصام وقد ذهب السّواد كلّه، فسمّيت أيّام البيض للّذي ردّ الله عزّوجلّ فيه على آدم من بياضه، ثمّ نادى مناد من السّماء: يا آدم هذه الثلاثة أيّام جعلتها لك ولولدك، من صامها في كلّ شهر فإنّما صام الدّهر.

قال جميل: قال أحمد بن عبد الواحد: وسمعت أحمد بن شيبان البرمكيّ يقول: وزاد الحميديُّ في الحديث: فجلس آدم عليه السلام جلسة القرفصاء ورأسه بين ركبتيه كئيباً حزيناً فبعث تبارك وتعالى جبرئيل فقال: يا آدم ما لي أراك كئيباً حزيناً؟ فقال: لا أزال كئيباً حزيناً حتّى يأتي أمر الله، فقال: إنّي رسول الله اليك وهو يقرئك السلام ويقول: يا آدم حيّاك الله وبيّاك، قال: أمّا حيّاك الله فأعرفه، فما بيّاك؟ قال: أضحكك، قال: فسجد آدم فرفع رأسه إلى السّماءِ وقال: يا ربّ زدني جمالاً، فأصبح وله لحيةٌ سوداء كالحمم فضرب بيده إليها فقال: يا ربّ ما هذه؟ فقال: هذه اللّحية زيّنتك بها أنت وذكور ولدك إلى يوم القيامة(١).

بيان: قال الجوهريّ: القرفصاء: ضرب من القعود ويمدّ ويقصر، وهو أن يجلس على ركبتيه منكباً ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبّط كفّيه وهي جلسة الأعراب. وقال الجزريّ: هي جلسة المحتبي بيديه. وقال: فيه (إنّ الملائكة قالت لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام: حيّاك الله وبيّاك) معنى حيّاك أبقاك من الحياة، وقيل: هو من استقبال المحيّا وهو الوجه، وقيل: ملّكك وفرّحك، وقيل: سلام عليك وهو من التحيّة السّلام، وقال: بيّاك قيل: هو إتباع لحيّاك، وقيل: معناه: أضحكك، وقيل: أجّل لك ما تحب، وقيل: اعتمدك بالملك، وقيل: تعمّدك بالتحيّة، وقيل: أصله بوّاه مهموزاً فخفّف وقلب، أي أسكنك منزلاً في الجنّة وهيّأك له انتهى. والحمم كصرد: الفحم.

١٩ - **مع:** أحمد بن الهيثم، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، فجعل أعلاها وأشرفها أرواح محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم صلوات الله عليهم، فعرضها على السّماوات والأرض والجبال فغشيها نورهم، فقال الله تبارك وتعالى للسّماوات والأرض والجبال: هؤلاءِ أحبّائي وأوليائي وحججي على خلقي وأئمّة بريّتي، ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ منهم، لهم ولمن تولّاهم خلقت جنّتي، ولمن خالفهم وعاداهم خلقت ناري، فمن ادّعى منزلتهم منّي

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٨٠ باب ١١١ ح ١.

ومحلّهم من عظمتي عذّبته عذاباً لا أعذّبه أحداً من العالمين، وجعلته والمشركين في أسفل درك من ناري، ومن أقرّ بولايتهم ولم يدع منزلتهم منّي ومكانهم من عظمتي جعلته معهم في روضات جنّاتي، وكان لهم فيها ما يشاؤون عندي وأبحتهم كرامتي، وأحللتهم جواري، وشفّعتهم في المذنبين من عبادي وإمائي، فولايتهم أمانةٌ عند خلقي، فأيّكم يحملها بأثقالها ويدّعيها لنفسه دون خيراتي؟ فأبت السّماوات والأرض والجبال أنْ يحملنها وأشفقن من ادّعاءِ منزلتها وتمنّي محلّها من عظمة ربّها، فلمّا أسكن الله عزّوجلّ آدم وزوجته الجنّة قال لهما: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ يعني شجرة الحنطة ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فنظرا إلى منزلة محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة بعدهم فوجداها أشرف منازل أهل الجنّة فقالا: يا ربّنا لمن هذه المنزلة؟ فقال الله جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشي، فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والأئمّة صلوات الله عليهم مكتوبةً على ساق العرش بنور من نور الجبّار جلّ جلاله، فقالا: يا ربّنا ما أكرم أهل هذه المنزلة عليك! وما أحبّهم إليك! وما أشرفهم لديك! فقال الله جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما، هؤلاءِ خزنة علمي وأمنائي على سرّي، إيّاكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد، وتتمنّيا منزلتهم عندي، ومحلّهم من كرامتي فتدخلا بذلك في نهيي وعصياني ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ قالا: ربّنا ومن الظّالمون؟ قال: المدّعون لمنزلتهم بغير حقّ، قالا: ربّنا فأرنا منازل ظالميهم في نارك حتّى نراها كما رأينا منزلتهم في جنّتك، فأمر الله تبارك وتعالى النّار فأبرزت جميع ما فيها من ألوان النّكال والعذاب، وقال الله عزّوجلّ: مكان الظّالمين لهم المدّعين لمنزلتهم في أسفل درك منها كلّما أرادوا أن يخرجوا منها أُعيدوا فيها وكلّما نضجت جلودهم بدّلوا سواها ليذوقوا العذاب، يا آدم ويا حوّاء لا تنظرا إلى أنواري وحججي بعين الحسد فأهبطكما عن جواري وأُحلّ بكما هواني ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ وحملهما على تمنّي منزلتهم فنظرا إليهم بعين الحسد فخذلا حتّى أكلا من شجرة الحنطة، فعاد مكان ما أكلا شعيراً، فأصل الحنطة كلّها ممّا لم يأكلاه، وأصل الشعير كلّه ممّا عاد مكان ما أكلاه، فلمّا أكلا من الشجرة طار الحليّ والحلل عن أجسادهما وبقيا عريانين ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ قال: اهبطا من جواري فلا يجاورني في جنّتي من يعصيني فهبطا موكولين إلى أنفسهما في طلب المعاش، فلمّا أراد الله عزّوجلّ أن يتوب عليهما جاءهما جبرئيل فقال لهما: إنّكما إنّما ظلمتما أنفسكما بتمنّي منزلة من فضّل عليكما فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار الله عزّوجلّ إلى أرضه، فسلا ربّكما بحقّ الأسماء الّتي

رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا: «اللّهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة إلّا تبت علينا ورحمتنا» فتاب الله عليهما إنّه هو التوّاب الرّحيم، فلم تزل أنبياء الله بعد ذلك يحفظون هذه الأمانة ويخبرون بها أوصياءهم والمخلصين من أممهم فيأبون حملها، يشفقون من ادّعائها وحملها الإنسان الّذي قد عرف، فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامة، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

بيان: لا يتوهّم أنّ آدم عليه السلام صار بتمنّي منزلتهم من الظّالمين المدّعين لمنزلتهم على الحقيقة حتّى يستحقّ بذلك أليم النكال، فإنّ في عدّه من الظالمين في هذا الخبر نوعاً من التجوّز، فإنّ من تشبّه بقوم فهو منهم، وتشبّهه عليه السلام بهم في التمنّي ومخالفة الأمر الندبيّ لا في ادّعاءِ المنزلة، ويظهر منها أنّ حمل الأمانة غير حفظها، يرشدك إليه قوله عليه السلام: (فلم تزل أنبياء الله يحفظون هذه الأمانة) إلى قوله: (فيأبون حملها) فالمراد بحملها ادّعاؤها بغير حقّ، قال الزجّاج: كلّ من خان الأمانة فقد حملها، ومن لم يحمل الأمانة فقد أدّاها، فآدم عليه السلام لم يكن من الحاملين للأمانة على ما ذهب إليه بعض المفسّرين وفسّروا الإنسان بآدم عليه السلام، والمراد بالإنسان الّذي عرف هو أبو بكر كما تدلّ عليه أخبارٌ كثيرةٌ، وسيأتي تمام القول في ذلك مع الأخبار الواردة فيه في كتاب الإمامة إن شاء الله.

٢٠ - **شف:** محمّد بن عليّ الكاتب الإصفهانيّ، عن عليّ بن إبراهيم القاضي، عن أبيه، عن جدّه، عن أبي أحمد الجرجانيّ، عن عبد الله بن محمّد الدّهقان، عن إسحاق بن إسرائيل، عن حجّاج، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال لمّا خلق الله تعالى آدم ونفخ فيه من روحه عطس فألهمه الله: الحمد لله ربّ العالمين، فقال له ربّه: يرحمك ربّك، فلمّا أسجد له الملائكة تداخله العجب فقال: يا ربّ خلقت خلقاً أحبّ إليك منّي؟ فلم يجب، ثمّ قال الثانية فلم يجب، ثمّ قال الثالثة فلم يجب، ثمّ قال الله عزّوجلّ له: نعم ولولاهم ما خلقتك، فقال: يا رب فأرنيهم، فأوحى الله عزّوجلّ إلى ملائكة الحجب: أن ارفعوا الحجب. فلمّا رفعت إذا آدم بخمسة أشباح قدّام العرش، فقال: يا ربّ من هؤلاءِ؟ قال: يا آدم هذا محمّد نبيّي: وهذا عليّ أمير المؤمنين ابن عمّ نبيّي ووصيّه، وهذه فاطمة ابنة نبيّي وهذان الحسن والحسين ابنا عليّ وولدا نبيّي. ثمّ قال: يا آدم هم ولدك ففرح بذلك، فلمّا اقترف الخطيئة قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين لمّا غفرت لي فغفر الله له بهذا، فهذا الّذي قال الله عزّوجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ فلمّا هبط إلى الأرض صاغ خاتماً فنقش عليه «محمّد رسول الله وعليّ أمير المؤمنين» ويكنّى

(١) معاني الأخبار، ص ١٠٨. وتوسل آدم بالنبي وآله صلّى الله عليه وآله من طريق العامة أحاديث كثيرة راجع كتاب الغدير ج ٢ ص ٣٠٠. [النمازي].

آدم بأبي محمّد[١].

٢١ - **مع:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبان، عن ابن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقد طاف آدم عليه السلام بالبيت مائة عام ينظر إلى حوّاء ولقد بكى على الجنّة حتّى صار على خدّيه مثل النّهرين العجّاجين العظيمين من الدّموع، ثمّ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: حيّاك الله وبيّاك فلمّا أن قال له: حيّاك الله تبلّج وجهه فرحاً وعلم أنّ الله قد رضي عنه، قال: وبيّاك فضحك - وبيّاك: أضحكك - قال: ولقد قام على باب الكعبة ثيابه جلود الإبل والبقر فقال: «اللّهم أقلني عثرتي، واغفرلي ذنبي، وأعدني إلى الدّار الّتي أخرجتني منها» فقال الله عزّ وجلّ: قد أقلتك عثرتك، وغفرت لك ذنبك، وسأعيدك إلى الدّار الّتي أخرجتك منها[٢].

بيان: قال الجزريّ: في حديث الخيل: (إن مرّت بنهر عجّاج) أي كثير الماء كأنّه يعجّ من كثرته وصوت تدفّقه.

أقول: لا يخفى أنّ هذا الخبر ممّا يدلّ على أنّ جنّة آدم هي جنّة الخلد، وكذا خبر المفضّل حيث قال: فنظر إلى منزلة محمّد وعليّ، إذ الظّاهر أنّه رأى منازلهم في جنّة الخلد إلاّ أن يقال كان جنّته في الأرض الجنّة الّتي تأوي اليها أرواح المؤمنين في البرزخ كما تدلّ عليه الأخبار، والمراد بالعود إليهما في البرزخ، وكذا المراد برؤية المنازل رؤية منازلهم في تلك الجنّة.

٢٢ - **مع، ل:** حدّثنا أبو الحسن عليّ بن الفضل بن العبّاس البغداديّ قال: قرأت على أحمد بن محمّد بن سليمان بن الحارث قلت: حدّثكم محمّد بن عليّ بن خلف العطّار، قال: حدّثنا الحسين بن الأشقر قال: حدّثنا عمروبن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: سألت النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكلمات الّتي تلقّى آدم من ربّه فتاب عليه قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ فتاب عليه[٣].

٢٣ - **مع:** ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن ابن معروف، عن بكر بن محمّد، عن أبي سعيد المدائنيّ يرفعه في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ قال: سأله بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام[٤].

ص: مرسلاً مثله «ص ٥٤».

٢٤ - **مع:** الدقّاق، عن حمزة العلويّ، عن الفزاريّ، عن محمّد بن الحسين الزيّات، عن الأزديّ، عن المفضّل، عن الصّادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ﴾ ما هذه الكلمات؟ قال: هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين، ص ٣٠. (٢) معاني الأخبار، ص ٢٦٩.

(٣) معاني الأخبار، ص ١٢٥ والخصال ص ٢٧٠ باب الخمسة ح ٨.

(٤) معاني الأخبار، ص ١٢٥.

فتاب عليه وهو أنّه قال: «يا رب أسألك بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبت عليّ» فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرّحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عزّوجلّ بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: يعني أتمّهنّ إلى القائم عليه السلام اثنا عشر إماماً تسعة من ولد الحسين عليه السلام الخبر[1].

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾: استقبلها بالأخذ والقبول والعمل بها حين علّمها، وقرأ ابن كثير بنصب آدم ورفع الكلمات على أنّها استقبلته وبلّغته، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ الآية، وقيل «سبحانك اللّهمّ وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدّك، لا إله إلاّ أنت، ظلمت نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت» وعن ابن عبّاس قال: يا ربّ ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: يا ربّ ألم تنفخ فيّ الروح من روحك؟ قال: بلى، قال: ألم تسكنّي جنتك؟ قال: بلى، قال: يا ربّ إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنّة؟ قال: نعم، انتهى[2].

أقول: المعتمد ماورد في الأخبار المعتبرة الّتي أوردتها في هذا الباب، والجمع بينها بالحمل على الجمع بينها وإن كانت العمدة ما دلّ عليه أكثرها وهو التوسّل بأنوار الأئمّة عليهم السلام.

٢٥ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال إنّ آدم عليه السلام بقي على الصّفا أربعين صباحاً ساجداً يبكي على الجنّة وعلى خروجه من جوار الله عزّوجلّ، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال: يا آدم ما لك تبكي؟ قال: يا جبرئيل ما لي لا أبكي وقد أخرجني الله من جواره وأهبطني إلى الدّنيا، قال: يا آدم تب إليه، قال: وكيف أتوب؟ فأنزل الله عليه قبّةً من نور في موضع البيت فسطع نورها في جبال مكّة فهو الحرم، فأمر الله جبرئيل أن يضع عليه الأعلام، قال: قم يا آدم فخرج به يوم التروية، وأمره أن يغتسل ويحرم وأخرج من الجنّة أوّل يوم من ذي القعدة، فلمّا كان يوم الثّامن من ذي الحجّة أخرجه جبرئيل عليه السلام إلى منى فبات بها، فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات وقد كان علّمه حين أخرجه من مكّة الإحرام وأمره بالتّلبية، فلمّا زالت الشّمس يوم العرفة قطع التّلبية وأمره أن يغتسل، فلمّا صلّى العصر وقّفه بعرفات وعلّمه الكلمات الّتي تلقّى بها ربّه وهو «سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرّحيم سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت خير الغافرين سبحانك اللّهمّ وبحمدك لا إله إلاّ أنت عملت سوءاً وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي إنّك أنت التّوّاب الرّحيم» فبقي إلى أن غابت الشّمس رافعاً يديه إلى السماء يتضرّع ويبكي إلى الله، فلمّا غابت الشّمس ردّه إلى المشعر فبات بها، فلمّا أصبح قام على المشعر الحرام فدعا الله تعالى بكلمات وتاب عليه، ثمّ أفضى إلى منى، وأمره

(١) معاني الأخبار، ص ١٢٦.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٩٠.

جبرئيل عليه السلام أن يحلق الشعر الّذي عليه فحلقه ثمّ ردّه إلى مكّة فأتى به عند الجمرة الأولى فعرض إبليس له عندها فقال: يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات وأن يكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً ففعل، ثمّ ذهب فعرض له إبليس عند الجمرة الثانية فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرةً، ثمّ مضى به فعرض له إبليس عند الجمرة الثالثة وأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى وكبّر مع كلّ حصاة تكبيرة فذهب إبليس وقال له جبرئيل عليه السلام: إنّك لن تراه بعد هذا أبداً، فانطلق به إلى البيت الحرام وأمره أن يطوف به سبع مرّات ففعل، فقال له: إنّ الله قد قبل توبتك وحلّت لك زوجتك، فقال: فلمّا قضى آدم حجّه لقيته الملائكة بالأبطح فقالوا: يا آدم برّ حجّك أما إنّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفي عام[1].

بيان: لعلّ المراد بالأربعين ما يقرب منه تجوّزاً لئلاّ ينافي ما بعده.

٢٦ - **ص:** الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن الصادق عليه السلام أنّه قال في قوله تعالى: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾: كانت سوآتهما لا ترى فصارت ترى بارزة، وقال: الشجرة الّتي نهي عنها آدم هي السنبلة[2].

٢٧ - وفي رواية أخرى عنه عليه السلام أنّه قال: إنّ الشجرة الّتي نهي عنها آدم هي شجرة العنب[3].

٢٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد، عن الباقر عليه السلام قال: إنّ آدم لمّا بنى الكعبة وطاف بها فقال: «اللّهمّ إنّ لكلّ عامل أجراً، اللّهمّ وإنّي قد عملت» فقيل له: سل يا آدم، فقال: «اللّهمّ اغفر لي ذنبي» فقيل له: قد غفر لك يا آدم، فقال: «ولذريتي من بعدي» فقيل له: يا آدم من باء منهم بذنبه ههنا كما بؤت غفرت له[4].

بيان: باء بذنبه: اعترف به.

٢٩ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل ابن صالح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: إنّ آدم لمّا طاف بالبيت فانتهى إلى الملتزم فقال جبرئيل عليه السلام: أقرّ لربّك في هذا المكان، فوقف آدم فقال: يا ربّ إن لكلّ عامل أجراً ولقد عملت فما أجري؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم من جاء من ذرّيّتك إلى هذا المكان فأقرّ فيه بذنوبه غفرت له[5].

٣٠ - **ص:** بهذا الإسناد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أفاض آدم من عرفات تلقّته الملائكة عليهم السلام فقالوا له: برّ حجّك يا آدم، أما إنّا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام[6].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٥٦.
(٢) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٣.
(٤) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٧.
(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٨.

٣١ - ص: إنّ آدم عليه السلام لمّا كثر ولده كانوا يتحدّثون عنده وهو ساكت، فقالوا: يا أبه ما لك لا تتكلّم؟ فقال: يا بنيّ إنّ الله جلّ جلاله لمّا أخرجني من جواره عهد إليّ وقال: أقلّ كلامك ترجع إلى جواري(١).

٣٢ - ص: بالإسناد عن الصدوق بإسناده، عن إبراهيم بن محرز، عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه الصلاة والسلام قال: إنّ آدم عليه السلام نزل بالهند فبنى الله تعالى له البيت وأمره أن يأتيه فيطوف به أسبوعاً، فيأتي منى وعرفات ويقضي مناسكه كما أمر الله، ثمّ خطا من الهند فكان موضع قدميه حيث خطا عمران، وما بين القدم والقدم صحارى ليس فيها شيء، ثمّ جاء إلى البيت فطاف به أسبوعاً وقضى مناسكه فقضاها كما أمر الله، فقبل الله منه توبته وغفر له، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ ولذرّيّتي من بعدي، فقال: نعم من آمن بي وبرسلي(٢).

بيان: المشهور في أخبار أهل البيت عليهم السلام أنّ نزول آدم عليه السلام كان على الصفا، ونزول حوّاء على المروة، وهذا الخبر وأمثاله يخالفها، ويمكن حملها على التقيّة، إذ المشهور بين العامّة أنّ آدم عليه السلام هبط على جبل في سرنديب يقال له: نوذ، وحوّاء هبطت في جدّة، ويمكن الجمع أيضاً بأن يكون هبوطهما على الصفا والمروة بعد دخولهما مكّة من قبيل ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا﴾.

٣٣ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن هاني بن محمّد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد بن بطّة عن أبيه، عن محمّد بن عبد الوهّاب، عن أبي الحارث الفهريّ، عن عبد الله بن إسماعيل، عن عبد الرحمن بن أبي زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جدّه، عن عمر بن الخطّاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أكل آدم من الشجرة رفع رأسه إلى السماءِ فقال: أسألك بحقّ محمّد إلاّ رحمتني؛ فأوحى الله إليه: ومن محمّد؟ فقال: تبارك اسمك لمّا خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: «لا إله إلا الله محمّد رسول الله» فعلمت أنّه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممّن جعلت اسمه مع اسمك؛ فأوحى الله إليه: يا آدم إنّه لآخر النبيّين من ذرّيّتك فلولا محمّد ما خلقتك(٣).

٣٤ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن ابن عليّ الخزّاز، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال آدم عليه السلام: «يا ربّ بحق محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ» فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم وما علمك بمحمّد؟ فقال: حين خلقتني رفعت رأسي فرأيت في العرش مكتوباً: محمّد رسول الله عليّ أمير المؤمنين عليه السلام(٤).

٣٥ - ص: بالإسناد إلى الصدوق عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٨-٤٩.
(٣) - (٤) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٠-٥١.

البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكلمات الّتي تلقّى بهنّ آدم ربّه فتاب عليه، قال: اللّهم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت التوّاب الرّحيم لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت خير الغافرين[1].

٣٦ - **شي**: عن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّما كان لبث آدم وحوّاء في الجنّة حتّى خرج منها سبع ساعات من أيّام الدّنيا حتّى أكلا من الشّجرة، فأهبطهما الله إلى الأرض من يومهما ذلك، قال: فحاجّ آدم ربّه فقال: يا ربّ أرأيتك قبل أن تخلقني كنت قدّرت عليّ هذا الذّنب وكلّ ما صرت وأنا صائر إليه، أو هذا شيء فعلته أنا من قبل لم تقدّره عليّ، غلبت عليّ شقوتي فكان ذلك منّي وفعلي لا منك ولا من فعلك؟ قال له: يا آدم أنا خلقتك وعلّمتك أنّي أسكنك وزوجتك الجنّة، وبنعمتي وما جعلت فيك من قوّتي قويت بجوارحك على معصيتي، ولم تغب عن عيني، ولم يخل علمي من فعلك ولا ممّا أنت فاعله، قال آدم: يا ربّ الحجّة لك عليّ، يا ربّ فحين خلقتني وصوّرتني ونفخت فيّ من روحي، وأسجدت لك ملائكتي، ونوّهت باسمك في سماواتي، وابتدأتك بكرامتي، وأسكنتك جنّتي، ولم أفعل ذلك إلاّ برضىً منّي عليك أبلوك بذلك من غير أن تكون عملت لي عملاً تستوجب به عندي ما فعلت بك[2]، قال آدم: يا ربّ الخير منك والشرّ منّي. قال الله: يا آدم أنا الله الكريم، خلقت الخير قبل الشرّ، وخلقت رحمتي قبل غضبي، وقدّمت بكرامتي قبل هواني، وقدّمت باحتجاجي قبل عذابي، يا آدم ألم أنهك عن الشّجرة؟ وأخبرك أنّ الشيطان عدوّ لك ولزوجتك؟ وأحذّر كما قبل أن تصيرا إلى الجنّة، وأعلّمكما أنّكما إن أكلتما من الشّجرة كنتما ظالمين لأنفسكما عاصيين لي؟ يا آدم لا يجاورني في جنّتي ظالمٌ عاص لي، قال: فقال: بلى يا ربّ الحجّة لك علينا، ظلمنا أنفسنا وعصينا وإلاّ تغفر لنا وترحمنا نكن من الخاسرين، قال: فلمّا أقرّا لربّهما بذنبهما وأنّ الحجّة من الله لهما تداركهما رحمة الرّحمن الرّحيم فتاب عليهما ربّهما إنّه هو التّوّاب الرحيم.

قال الله: يا آدم اهبط أنت وزوجك إلى الأرض، فإذا أصلحتما أصلحتكما، وإن عملتما لي قوّيتكما، وإن تعرّضتما لرضاي تسارعت إلى رضاكما، وإن خفتما منّي آمنتكما من سخطي، قال: فبكيا عند ذلك وقالا: ربّنا فأعنّا على صلاح أنفسنا وعلى العمل بما يرضيك عنّا، قال الله لهما: إذا عملتما سوءاً فتوبا إليّ منه أتب عليكما وأنا الله التوّاب الرّحيم. قال: فأهبطنا برحمتك إلى أحبّ البقاع إليك؛ قال: فأوحى الله إلى جبرئيل: أن أهبطهما إلى البلدة المباركة مكّة، قال: فهبط بهما جبرئيل فألقى آدم على الصّفا، وألقى حوّاء على المروة،

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٣.

(٢) الظاهر كما في نسخة البرهان: ونفخت فيّ من روحك، قال الله تعالى: «يا آدم أسجدت لك...».

قال: فلمّا ألقيا قاما على أرجلهما ورفعا رؤوسهما إلى السّماءِ وضجّا بأصواتهما بالبكاء إلى الله تعالى وخضعا بأعناقهما، قال: فهتف الله بهما: ما يبكيكما بعد رضاي عنكما؟ قال: فقالا: ربّنا أبكتنا خطيئتنا، وهي أخرجتنا عن جوار ربّنا، وقد خفي عنّا تقديس ملائكتك لك ربّنا؛ وبدت لنا عوراتنا واضطرّنا ذنبنا إلى حرث الدّنيا ومطعمها ومشربها، ودخلتنا وحشةٌ شديدةٌ لتفريقك بيننا، قال: فرحمهما الرّحمن الرّحيم عند ذلك وأوحى إلى جبرئيل: أنا الله الرّحمن الرّحيم، وإنّي قد رحمت آدم وحوّاء لمّا شكيا إليّ فاهبط عليهما بخيمة من خيام الجنّة، وعزّهما عنّي بفراق الجنّة، واجمع بينهما في الخيمة فإنّي قد رحمتهما لبكائهما ووحشتهما ووحدتهما، وانصب لهما الخيمة على الترعة الّتي بين جبال مكّة، قال: والترعة مكان البيت وقواعده الّتي رفعتها الملائكة قبل ذلك، فهبط جبرئيل على آدم بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، قال: وأنزل جبرئيل آدم من الصّفا وأنزل حوّاء من المروة وجمع بينهما في الخيمة، قال: وكان عمود الخيمة قضيب ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مكّة وما حولها، قال: وامتدّ ضوء العمود فجعله الله حرماً فهو مواضع الحرم اليوم، كلّ ناحية من حيث بلغ ضوء العمود فجعله الله حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنّهما من الجنّة، قال: ولذلك جعل الله الحسنات في الحرم مضاعفةً والسيّئات فيه مضاعفة، قال: ومدّت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام، قال: وكانت أوتادها من غصون الجنّة، وأطنابها من ظفائر الأرجوان، قال: فأوحى الله إلى جبرئيل: اهبط على الخيمة سبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الجنّ، ويؤنسون آدم وحوّاء، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة، قال: فهبطت الملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشياطين والعتاة، ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلّ يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السّماء حول البيت المعمور، قال وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت الّذي في السّماءِ.

قال: ثمّ إنّ الله أوحى إلى جبرئيل بعد ذلك: أن اهبط إلى آدم وحوّاء فنحّهما عن مواضع قواعد بيتي فإنّي أريد أن أهبط في ظلال من ملائكتي إلى أرضي فأرفع أركان بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم، قال: فهبط جبرئيل على آدم وحوّاء فأخرجهما من الخيمة ونحّاهما عن ترعة البيت الحرام ونحّى الخيمة عن موضع الترعة، قال: ووضع آدم على الصّفا، ووضع حوّاء على المروة، ورفع الخيمة إلى السماءِ، فقال آدم وحوّاء: يا جبرئيل بسخط من الله حوّلتنا وفرّقت بيننا أم برضىً تقديراً من الله علينا؟ فقال لهما: لم يكن ذلك سخطاً من الله عليكما، ولكنّ الله لا يسأل عمّا يفعل، يا آدم: إنّ السّبعين ألف ملك الّذين أنزلهم الله إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفون حول أركان البيت والخيمة سألوا الله أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على موضع التّرعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السّماء حول البيت المعمور، فأوحى الله إليّ أن أنحّيك وحوّاء وأرفع الخيمة إلى السّماءِ، فقال آدم: رضينا بتقدير الله ونافذ أمره فينا، فكان آدم على الصّفا وحوّاء على المروة، قال: فدخل آدم

لفراق حوّاء وحشةٌ شديدةٌ وحزنٌ قال: فهبط من الصّفا يريد المروة شوقاً إلى حوّاء وليسلّم عليها وكان فيما بين الصّفا والمروة واد وكان آدم يرى المروة من فوق الصّفا، فلمّا انتهى إلى موضع الوادي غابت عنه المروة فسعى في الوادي حذراً لما لم يرالمروة مخافة أن يكون قد ضلّ عن طريقه، فلمّا أن جاز الوادي وارتفع عنه نظر إلى المروة فمشى حتّى انتهى إلى المروة فصعد عليها فسلّم على حوّاء، ثمّ أقبلا بوجههما نحو موضع التّرعة ينظران هل رفع قواعد البيت ويسألان الله أن يردّهما إلى مكانهما حتّى هبط من المروة فرجع إلى الصّفا فقام عليه وأقبل بوجهه نحو موضع التّرعة فدعا الله، ثمّ إنّه اشتاق إلى حوّاء فهبط من الصّفا يريد المروة ففعل مثل ما فعله في المرّة الأولى، ثمّ رجع إلى الصّفا ففعل عليه مثل ما فعل في المرّة الأولى، ثمّ إنّه هبط من الصّفا إلى المروة ففعل مثل ما فعل في المرّتين الأولبين، ثمّ رجع إلى الصّفا فقام عليه ودعا الله أن يجمع بينه وبين زوجته حوّاء، قال: فكان ذهاب آدم من الصّفا إلى المروة ثلاث مرّات ورجوعه ثلاث مرّات فذلك ستّة أشواط، فلمّا أن دعيا الله وبكيا إليه وسألاه أن يجمع بينهما استجاب الله لهما من ساعتهما من يومهما ذلك مع زوال الشّمس، فأتاه جبرئيل وهو على الصّفا واقفٌ يدعو الله مقبلاً بوجهه نحو التّرعة فقال له جبرئيل عليه السلام: انزل يا آدم من الصّفا فالحق بحوّاء، فنزل آدم من الصّفا إلى المروة ففعل مثل ما فعل في الثلاث المرّات حتّى انتهى إلى المروة فصعد عليها وأخبر حوّاء بما أخبره جبرئيل عليه السلام ففرحا بذلك فرحاً شديداً وحمدا الله وشكراه، فلذلك جرت السنّة بالسّعي بين الصّفا والمروة، ولذلك قال الله: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾[1].

قال: ثمّ إنّ جبرئيل أتاهما فأنزلهما من المروة وأخبرهما أنّ الجبّار تبارك وتعالى قد هبط إلى الأرض فرفع قواعد البيت الحرام بحجر من الصّفا، وحجر من المروة وحجر من طور سيناء، وحجر من جبل السّلام وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتمّه، قال: فاقتلع جبرئيل الأحجار الأربعة بأمر الله من مواضعهنّ بجناحيه فوضعهما حيث أمره الله في أركان البيت على قواعده الّتي قدّرها الجبّار ونصب أعلامها، ثمّ أوحى الله إلى جبرئيل أن ابنه وأتممه بحجارة من أبي قبيس، واجعل له بابين: باب شرقيّ، وباب غربيّ، قال: فأتمّه جبرئيل، فلمّا أن فرغ منه طافت الملائكة حوله، فلمّا نظر آدم وحوّاء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا بالبيت سبعة أشواط، ثمّ خرجا يطلبان ما يأكلان وذلك من يومهما الّذي هبط بهما فيه[2].

بيان: التّرعة بالتّاء المثنّاة من فوق والرّاء المهملة: الدّرجة والرّوضة في مكان مرتفع، ولعلّ المراد هنا الدّرجة لكون قواعد البيت مرتفعة، وفي بعض النّسخ بالنّون والزّاي

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٣ ح ٢١ من سورة البقرة.

المعجمة، أي المكان الخالي عن الأشجار والجبال تشبيهاً بنزعة الرّأس. وظفائر الأرجوان في أكثر نسخ الحديث بالظّاء، ولعلّه تصحيف الضّاد، قال الجزريّ: الضّفر: النّسج، والضّفائر: الذّوائب المضفورة. والضّفير: حبل مفتول من شعر انتهى. والأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة وكأنّه معرّب أرغوان. وهبوطه تعالى كناية عن توجّه أمره واهتمامه بصدور ذلك الأمر كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(١) والظلال: ما أظلّك من شيء، وههنا كناية عن كثرة الملائكة واجتماعهم، أي اهبط أمري مع جمّ غفير من الملائكة. واليوم المذكور في آخر الخبر لعلّ المراد به اليوم من أيّام الآخرة كما مرّ. وقد سقط فيما عندنا من نسخ العيّاشي من أوّل الخبر شيء تركناه كما وجدناه.

٣٧ - **شي:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال: الكلمات الّتي تلقّاهنّ آدم من ربّه فتاب عليه وهدى قال: «سبحانك اللّهمّ وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك الغفور الرّحيم اللّهمّ إنّه لا إله إلاّ أنت سبحانك وبحمدك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت خير الغافرين اللّهمّ إنّه لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي عملت سوءاً وظلمت نفسي فاغفر لي إنّك أنت الغفور الرّحيم»(٢).

٣٨ - وقال الحسن بن راشد: إذا استيقظت من منامك فقل الكلمات الّتي تلقّى بها آدم من ربّه: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والرّوح، سبقت رحمتك غضبك، لا إله إلاّ أنت إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني إنّك أنت التّوّاب الرّحيم الغفور(٣).

٣٩ - **شي:** عن عبد الرّحمن بن كثير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى عرض على آدم في الميثاق ذرّيّته، فمرّ به النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو متّكئ على عليّ عليه السلام، وفاطمة صلوات الله عليهما تتلوهما، والحسن والحسين عليهما السلام يتلوان فاطمة، فقال الله: يا آدم إيّاك أن تنظر إليه بحسد أُهبطك من جواري، فلمّا أسكنه الله الجنّة مثّل له النّبيّ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم فنظر إليهم بحسد ثمّ عرضت عليه الولاية فأنكرها فرمته الجنّة بأوراقها، فلمّا تاب إلى الله من حسده وأقرّ بالولاية ودعا بحقّ الخمسة: محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم غفر الله له، وذلك قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ الآية(٤).

٤٠ - **شي:** عن محمّد بن عيسى بن عبد الله العلويّ، عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام قال: الكلمات الّتي تلقّاها آدم من ربّه قال: يا ربّ أسألك بحقّ محمّد لمّا تبت عليّ، قال: وما علمك بمحمّد؟ قال: رأيته في سرادقك الأعظم مكتوباً وأنا في الجنّة(٥).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٠.

(٢) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٩-٦٠ ح ٢٥-٢٨ من سورة البقرة.

٤١ -**شي:** عن سلام بن المستنير، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ يعني لا تأكلا منها[1].

٤٢ - **شي:** عن موسى بن محمّد بن عليّ، عن أخيه أبي الحسن الثالث عليه السلام قال. الشّجرة الّتي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى من فضل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد الله له عزماً[2].

٤٣ -**شي:** عن جميل بن درّاج، عن بعض أصحابنا، عن أحدهما قال: سألته كيف أخذ الله آدم بالنّسيان؟ فقال: إنّه لم ينس وكيف ينسى وهو يذكره ويقول له إبليس: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾[3].

بيان: فالنّسيان بمعنى التّرك كما ورد في اللّغة.

٤٤ -**شي:** عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام رفعه إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ موسى سأل ربّه أن يجمع بينه وبين أبيه آدم حيث عرج إلى السّماء في أمر الصّلاة ففعل، فقال له موسى: يا آدم أنت الّذي خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأباح لك جنّته، وأسكنك جواره، وكلّمك قُبُلاً، ثمّ نهاك عن شجرة واحدة فلم تصبر عنها حتّى أهبطت إلى الأرض بسببها فلم تستطع أن تضبط نفسك عنها حتّى أغراك إبليس فأطعته، فأنت الّذي أخرجتنا من الجنّة بمعصيتك. فقال له آدم: ارفق بأبيك أي بنيّ فيما لقي في أمر هذه الشّجرة، يا بنيّ إنّ عدوّي أتاني من وجه المكر والخديعة فحلف لي بالله إنّه في مشورته عليّ إنّه لمن النّاصحين، وذلك أنّه قال لي متنصحاً: إنّي لشأنك يا آدم لمغمومٌ، قلت: وكيف؟ قال: قد كنت أنست بك وبقربك منّي، وأنت تخرج ممّا أنت فيه إلى ما ستكرهه، فقلت له: وما الحيلة؟ فقال: إنّ الحيلة هوذا هو معك، أفلا أدلّك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ فكلا منها أنت وزوجك فتصيرا معي في الجنّة أبداً من الخالدين، وحلف لي بالله كاذباً إنّه لمن النّاصحين، ولم أظنّ يا موسى أنّ أحداً يحلف بالله كاذباً فوثقت بيمينه، فهذا عذري، فأخبرني يا بنيّ هل تجد فيما أنزل الله إليك أنّ خطيئتي كائنة من قبل أن أُخلق؟ قال له موسى: بدهر طويل. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: فحجّ آدم موسى، قال ذلك ثلاثاً[4].

٤٥ -**شي:** عن عبد الله بن سنان قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام وأنا حاضر: كم لبث آدم وزوجه في الجنّة حتّى أخرجهما منها خطيئتهما؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى نفخ في آدم روحه بعد زوال الشّمس من يوم الجمعة، ثمّ برأ زوجته من أسفل أضلاعه، ثمّ أسجد له ملائكته وأسكنه جنّته من يومه ذلك، فوالله ما استقرّ فيها إلاّ ستّ ساعات في يومه ذلك حتّى عصى الله

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٣ ح ٢٠ من سورة البقرة.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣ ح ٨ من سورة الأعراف.
(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٣ - ١٤ ح ٩ - ١٠ من سورة الأعراف.

فأخرجهما الله منها بعد غروب الشّمس، وما باتا فيها وصيّرا بفناء الجنّة حتّى أصبحا فبدت لهما سوآتهما وناداهما ربّهما ألم أنهكما عن تلكما الشّجرة؟ فاستحيى آدم من ربّه وخضع، وقال: ربّنا ظلمنا أنفسنا واعترفنا بذنوبنا فاغفر لنا، قال الله لهما: اهبطا من سماواتي إلى الأرض فإنّه لا يجاورني في جنّتي عاص ولا في سماواتي، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ آدم لمّا أكل من الشّجرة ذكر ما نهاه الله عنها فندم فذهب ليتنحّى من الشجرة فأخذت الشجرة برأسه فجرّته إليها وقالت له: أفلا كان فرارك من قبل أن تأكل منّي؟[1].

بيان: هذا الخبر مصرّح بكون جنّتهما في السّماء.

٤٦ - **شي:** عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا﴾ قال: كانت سوآتهما لا تبدو لهما فبدت، يعني كانت من داخل[2].

٤٧ - **م:** قوله عزّ وجلّ: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ قال الإمام عليه السلام: وإنّ الله عزّ وجلّ لما لعن إبليس بإبائه وأكرم الملائكة لسجودها لآدم وطاعتهم لله عزّ وجلّ أمر بآدم وحوّاء إلى الجنّة وقال: يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا من الجنّة رغداً واسعاً حيث شئتما بلا تعب، ولا تقربا هذه الشّجرة، شجرة العلم، شجرة علم محمّد وآل محمّد، آثرهم الله تعالى به دون سائر خلقه، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ شجرة العلم فإنّها لمحمّد وآله خاصّة دون غيرهم، لا يتناول منها بأمر الله إلاّ هم ومنها ما كان يتناوله النّبيّ صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين بعد إطعامهم المسكين واليتيم والأسير حتّى لم يحسّوا بعد بجوع ولا عطش ولا تعب ولا نصب، وهي شجرة تميّزت من بين أشجار الجنّة أنّ سائر أشجار الجنّة كان كلّ نوع منها يحمل نوعاً من الثّمار والمأكول، وكانت هذه الشّجرة وجنسها تحمل البرّ والعنب والتّين والعنّاب وسائر أنوار الثمار والفواكه والأطعمة، فلذلك اختلف الحاكون بذكر الشّجرة فقال بعضهم: هي برّة، وقال آخرون: هي عنبة، وقال آخرون: هي تينة وقال آخرون: هي عنّابة، وقال الله: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ تلتمسان بذلك درجة محمّد وآل محمّد في فضلهم، فإنّ الله عزّ وجلّ خصّهم بهذه الدرّجة دون غيرهم، وهي الشّجرة الّتي من تناول منها بإذن الله أُلهم علم الأوّلين والآخرين من غير تعلّم، ومن تناول منها بغير إذن الله خاب من مراده وعصى ربّه

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٤ ح ١١ من سورة الأعراف.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥ ح ١٢ من سورة الأعراف.

﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بمعصيتكما والتماسكما درجة قد أُوثر بها غيركما إذا رمتما بغير حكم الله، قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ عن الجنّة بوسوسته وخديعته وإيهامه وغروره بأن بدأ بآدم فقال: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ﴾ إن تناولتما منها تعلمان الغيب وتقدران على ما يقدر عليه من خصّه الله تعالى بالقدرة ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ لا تموتان أبداً ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ حلف لهما ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ وكان إبليس بين لحيي الحيّة أدخلته الجنّة، وكان آدم يظنّ أنّ الحيّة هي الّتي تخاطبه، ولم يعلم أنّ إبليس قد اختبأ بين لحييها، فردّ آدم على الحيّة: أيّتها الحيّة هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربّنا؟ أم كيف تعظّمين الله بالقسم به وأنت تنسبينه إلى الخيانة وسوء النّظر وهو أكرم الأكرمين؟ أم كيف أروم التوصّل إلى ما منعني منه ربّي وأتعاطاه بغير حكمة؟ فلمّا أيس إبليس من قبول آدم منه عاد ثانيةً بين لحيي الحيّة فخاطب حوّاء من حيث يوهمها أنّ الحيّة هي الّتي تخاطبها وقال: يا حوّاء أرأيت هذه الشجرة الّتي كان الله عزّوجلّ حرّمها عليكما قد أحلّها لكما بعد تحريمها لما عرف من حسن طاعتكما له وتوقيركما إيّاه؟ وذلك أنّ الملائكة الموكّلين بالشجرة الّتي معها الحراب يدفعون عنها سائر حيوانات الجنّة لا يدفعونكما عنها إن رمتما فاعلما بذلك أنّه قد أُحلّ لك، وأبشري بأنّك إنّ تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلّطة عليه، الآمرة الناهية فوقه. فقالت حوّاء: سوف أُجرّب هذا، فرامت الشجرة فأرادت الملائكة أن يدفعوها عنها بحرابها فأوحى الله إليها: إنّما تدفعون بحرابكم ما لا عقل له يزجره، وأمّا ما جعلته ممكّناً مميّزاً مختاراً فكلوه إلى عقله الّذي جعلته حجّةً عليه فإن أطاع استحقّ ثوابي، وإن عصى وخالف أمري استحقّ عقابي وجزائي، فتركوها ولم يتعرّضوا لها بعدما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنّت أنّ الله نهاهم عن منعها لأنّه قد أحلّها بعدما حرّمها، فقالت: صدقت الحيّة، وظنّت أنّ المخاطب لها هي الحيّة، فتناولت منها ولم تنكر من نفسها شيئاً، فقالت لآدم: ألم تعلم أنّ الشجرة المحرّمة علينا قد أُبيحت لنا؟ تناولت منها ولم تمنعني أملاكها، ولم أنكر شيئاً من حالي، فلذلك اغترّ آدم وغلط فتناول فأصابهما ما قال الله تعالى في كتابه: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ بوسوسته وغروره ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ من النعيم.

﴿وَقُلْنَا﴾ يا آدم ويا حوّاء ويا أيّتها الحيّة ويا إبليس ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ آدم وحوّاء وولدهما عدوّ للحيّة وإبليس، والحيّة وأولادهما أعداؤكم ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ منزلٌ ومقرٌّ للمعاش ﴿وَمَتَاعٌ﴾ منفعة ﴿إِلَى حِينٍ﴾ الموت، قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ يقولها فقالها ﴿فَتَابَ﴾ الله ﴿عَلَيْهِ﴾ بها ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ التوّاب القابل التوبات، الرّحيم بالتّائبين ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً﴾ كان أمر في الأوّل أن يهبطا، وفي الثّاني أمرهم أن يهبطوا جميعاً لا يتقدّم أحدهم الآخر، والهبوط إنّما هو هبوط آدم وحوّاء من الجنّة، وهبوط الحيّة أيضاً منها فإنّها كانت من أحسن دوابّها، وهبوط إبليس من حواليها فإنّه كان محرماً عليه دخول الجنّة ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ يأتيكم وأولادكم من بعدكم منّي هدى يا آدم ويا إبليس

﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوفٌ عليهم حين يخاف المخالفون، ولا يحزنون إذا يحزنون، قال: فلمّا زالت من آدم الخطيئة اعتذر إلى ربّه عَزَّوَجَلَّ وقال: ربّ تب عليّ، واقبل معذرتي، وأعدني إلى مرتبتي، وارفع لديك درجتي فلقد تبيّن نقص الخطيئة وذلّها في أعضائي وسائر بدني، قال الله تعالى: يا آدم أما تذكر أمري إيّاك أن تدعوني بمحمّد وآله الطيّبين عند شدائدك ودواهيك وفي النّوازل تبهظك؟ قال آدم: يا ربّ بلى، قال الله عَزَّوَجَلَّ فبهم وبمحمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم خصوصاً فادعني أجبك إلى ملتمسك، وأزدك فوق مرادك، فقال آدم: يا ربّ يا إلهي وقد بلغ عندك من محلّهم أنّك بالتوسّل إليك بهم تقبل توبتي وتغفر خطيئتي وأنا الّذي أسجدت له ملائكتك، وأبحته جنّتك، وزوّجته حوّاء أمتك، وأخدمته كرام ملائكتك؛ قال الله تعالى: يا آدم إنّما أمرت الملائكة بتعظيمك بالسّجود لك إذ كنت وعاءً لهذه الأنوار، ولو كنت سألتني بهم قبل خطيئتك أن أعصمك منها وأن أفطّنك لدواعي عدوّك إبليس حتّى تحترز منها لكنت قد جعلت لك، ولكنّ المعلوم في سابق علمي يجري موافقاً لعلمي، فالآن فادعني بهم لأجيبك، فعند ذلك قال آدم: «اللّهمّ بجاه محمّد وآله الطيّبين، بجاه محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والطيّبين من آلهم لمّا تفضّلت بقبول توبتي وغفران زلّتي وإعادتي من كرامتك إلى مرتبتي» قال الله عَزَّوَجَلَّ : قد قبلت توبتك، وأقبلت برضواني عليك، وصرفت آلائي ونعمائي إليك، وأعدتك إلى مرتبتك من كراماتي، ووفّرت نصيبك من رحماتي، فذلك قوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ثمّ قال الله تعالى للّذين أهبطهم من آدم وحوّاء وإبليس والحيّة ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ مقامٌ فيها تعيشون، وتحثكم لياليها وأيّامها إلى السّعي للآخرة، فطوبى لمن يروضها لدار البقاء ﴿وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ لكم في الأرض منفعةٌ إلى حين موتكم، لأنّ الله تعالى منها يخرج زروعكم وثماركم وبها ينزّهكم وينعمكم، وفيها أيضاً بالبلايا يمتحنكم، يلذّذكم بنعيم الدّنيا تارةً لتذكروا نعيم الأخرى الخالص ممّا ينغّص نعيم الدّنيا ويبطله ويزهّد فيه ويصغّره ويحقّره، ويمتحنكم تارة ببلايا الدنيا الّتي قد تكون في خلالها الرحمات، وفي تضاعيفها النّعم الّتي تدفع عن المبتلى بها مكاره ليحذّركم بذلك عذاب الأبد الّذي لا يشوبه عافيةٌ، ولا يقع في تضاعيفه راحةٌ ولا رحمةٌ ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟﴾ قد فسّر، ثمّ قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ الدالاّت على صدق محمّد على ما جاء به من أخبار القرون السّالفة وعلى ما أدّاه إلى عباد الله من ذكر تفضيله لعليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وآله الطيّبين خير الفاضلين والفاضلات بعد محمّد سيّد البريّات ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الدّافعون لصدق محمّد في إنبائه والمكذّبون له في تصديقه لأوليائه عليّ سيّد الأوصياء والمنتجبين من ذرّيّته الطيّبين الطّاهرين[1].

(١) تفسير الإمام العسكري، ص ٢٢١ ح ١٠٣.

بيان: تبهظك أي تثقل عليك من قولهم: بهظه الحمل يبهظه بهظاً أي أثقله وعجز عنه. قوله عليه السلام: (يروضها) من راض الدابّة أي علّمها وذلّلها، ولمّا شبه عليه السلام الأيّام واللّيالي بالمركب الّذي يسرع بنا إلى الأجل نسب إليها الرّوض ترشيحاً، فمن سعى للآخرة فكأنّما راض هذه الدابّة للتوجّه إلى الآخرة وتحصيل سعاداتها. ونغّص عيشه: كدّره.

ثمّ اعلم أنّه اختلف في كيفيّة وصول إبليس إلى آدم وحوّاء حتّى وسوس إليهما وإبليس كان قد أخرج من الجنّة حين أبى السجود وهما في الجنّة، فقيل: إنّ آدم كان يخرج إلى باب الجنّة وإبليس لم يكن ممنوعاً من الدنوّ منه فكان يكلّمه، وكان هذا قبل أن يهبط إلى الأرض وبعد أن أخرج من الجنّة؛ وقيل: إنّه كلّمهما من الأرض بكلام عرفاه وفهماه منه؛ وقيل: إنّه دخل في فقم الحيّة وخاطبهما من فقمها، والفقم: جانب الشدق، قال صاحب الكامل: إنّ إبليس أراد دخول الجنّة فمنعته الخزنة، فأتى كلّ دابّة من دوابّ الأرض وعرض نفسه عليها أن تحمله حتّى يدخل الجنّة ليكلّم آدم وزوجه فكلّ الدوابّ أبى عليه ذلك حتّى أتى الحيّة وقال لها: أمنعك من ابن آدم فأنت في ذمّتي إن أنت أدخلتني، فجعلته ما بين نابين من أنيابها ثمّ دخلت به وكانت كاسية على أربع قوائم من أحسن دابّة خلقها الله تعالى كأنّها بختيّة فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها انتهى. وقيل: راسلهما بالخطاب، وظاهر القرآن يدلّ على المشافهة، وهذا الخبر يدلّ على الثالث.

٤٨ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أصاب آدم وزوجته الخطيئة أخرجهما من الجنّة وأهبطهما إلى الأرض فأهبط آدم على الصفا وأهبطت حوّاء على المروة، وإنّما سمّي الصفا صفا لأنّه شقّ له من اسم آدم المصطفى، وذلك لقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا﴾ وسمّيت المروة مروة لأنّه شقّ لها من اسم المرأة، فقال آدم: ما فرّق بيني وبينها إلاّ لأنّها لا تحلّ لي، ولو كانت تحلّ لي هبطت معي على الصّفا، ولكنّها حرمت عليّ من أجل ذلك وفرّق بيني وبينها، فمكث آدم معتزلاً حوّاء فكان يأتيها نهاراً فيتحدّث عندها على المروة، فإذا كان اللّيل وخاف أن تغلبه نفسه يرجع إلى الصّفا فيبيت عليه، ولم يكن لآدم أنس غيرها، ولذلك سمّين النساء من أجل أنّ حوّاء كانت أنساً لآدم، لا يكلّمه الله ولا يرسل إليه رسولاً، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ منّ عليه بالتوبة وتلقّاه بكلمات، فلمّا تكلّم بها تاب الله عليه وبعث إليه جبرئيل عليه السلام فقال: السلام عليك يا آدم التائب من خطيئته، الصابر لبليّته إنّ الله عزّ وجلّ أرسلني إليك لأعلّمك المناسك الّتي تطهر بها، فأخذ بيده فانطلق به إلى مكان البيت، وأنزل الله عليه غمامة فأظلّت مكان البيت، وكانت الغمامة بحيال البيت المعمور، فقال: يا آدم خطّ برجلك حيث أظلّت عليك هذه الغمامة، فإنّه سيخرج لك بيتاً من مهاة يكون قبلتك وقبلة عقبك من بعدك، ففعل آدم عليه السلام وأخرج الله له تحت الغمامة بيتاً من مهاة، وأنزل الله الحجر الأسود فكان أشدّ بياضاً من

اللّبن، وأضوأ من الشمس وإنّما اسودّ لأنّ المشركين تمسّحوا به، فمن نجس المشركين اسودّ الحجر، وأمره جبرئيل عليه السلام أن يستغفر الله من ذنبه عند جميع المشاعر ويخبره أنّ الله عزّ وجلّ قد غفر له، وأمره أن يحمل حصيات الجمار من المزدلفة، فلمّا بلغ موضع الجمار تعرّض له ابليس فقال له: يا آدم أين تريد؟ فقال له جبرئيل: لا تكلّمه وارمه بسبع حصيات وكبّر مع كلّ حصاة، ففعل آدم حتّى فرغ من رمي الجمار، وأمره أن يقرّب القربان وهو الهدي قبل رمي الجمار، وأمره أن يحلق رأسه تواضعاً لله عزّ وجلّ ففعل آدم ذلك، ثمّ أمره بزيارة البيت وأن يطوف به سبعاً، و (أن خ ل) يسعى بين الصفا والمروة أسبوعاً يبدأ بالصفا ويختم بالمروة، ثمّ يطوف بعد ذلك أسبوعاً بالبيت وهو طواف النساء لا يحلّ لمحرم أن يباضع حتّى يطوف طواف النساء، ففعل آدم، فقال له جبرئيل: إنّ الله عزّ وجلّ قد غفر ذنبك، وقبل توبتك، وأحلّ لك زوجتك، فانطلق آدم وقد غفر له ذنبه، وقبلت منه توبته وحلّت له زوجته[1].

٤٩ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن جعفر بن محمّد بن عبيدالله، عن محمّد بن عيسى القمّيّ، عن محمّد بن سليمان، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات في محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذرّيتهم فنسي، هكذا والله أنزلت على محمّد صلى الله عليه وآله[2].

٥٠ - **كا:** محمّد بن يحيى وغيره، عن أحمد بن محمّد، عن العبّاس بن معروف، عن عليّ ابن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: حدّثني أبو بلال المكّي قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام طاف بالبيت ثمّ صلّى فيما بين الباب والحجر الأسود ركعتين، فقلت له: ما رأيت أحداً منكم صلّى في هذا الموضع. فقال: هذا المكان الّذي تيب على آدم فيه[3].

٥١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن محمّد العلويّ قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن آدم حيث حجّ ممّا حلق رأسه؟ فقال: نزل عليه جبرئيل عليه السلام بياقوتة من الجنّة فأمرّها على رأسه فتناثر شعره[4].

٥٢ - **أقول:** روى السيّد في كتاب سعد السعود أنّه رأى في صحف إدريس عليه السلام: أمر الله الملائكة فحملت آدم وزوجته حوّاء على كرسيّ من نور وأدخلوهما الجنّة فوضعا في وسط الفردوس من ناحية المشرق. ثمّ ذكر حديث إقامة آدم عليه السلام خمس ساعات من نهار ذلك اليوم في الجنّة وأكله من الشجرة.

وذكر حديث إخراجه من الجنّة وهبوط آدم بأرض الهند على جبل اسمه باسم على واد اسمه نهيل بين الدّهنج والمندل بلدي الهند، وهبطت حوّاء بجدة، ومعاينة الله جلّ جلاله

---

(١) الكافي، ج ٤ ص ٣٩٤ باب ١٣١ ح ١.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٢٤٨ باب فيه نكت ونتف من التنزيل.

(٣) - (٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٩٧ باب ١٣١ ح ٥ و٦.

لهما، ثمّ قال الله لهما: قد بتّما ليلتكما هذه لا يعرف أحدكما مكان صاحبه وأنتما بعيني وحفظي، أنا جامع بينكما في عافية، وإنّ أفضل أوقات العباد الوقت الّذي أدخلتك وزوجتك الجنّة عند زوال الشمس، فسبّحتما فيها فكتبتها صلاة وسمّيتها لذلك الأولى، وكانت في أفضل الأيّام يوم الجمعة ثمّ أهبطتكما إلى الأرض وقت العصر فسبّحتماني فيها فكتبتها لكما أيضاً صلاة وسمّيتها لذلك بصلاة العصر، ثمّ غابت الشمس فصلّيت لي فيها فسمّيتها صلاة المغرب، ثمّ جلست لي حين غاب الشفق فسمّيتها صلاة العشاء، وقد فرضت عليك وعلى نسلك في كلّ يوم وليلة خمسين ركعة فيها مائة سجدة، فصلّها يا آدم أكتب لك ولمن صلّاها من نسلك ألفين وخمسمائة صلاة، وهذا شهر نيسان المبارك فصمه لي، فصام آدم ثلاثة أيّام من شهر نيسان.

وذكر حديث فطوره وحديث حجّ آدم عليه السلام إلى الكعبة وما أمره الله به من بناء الكعبة، وسؤال الملائكة أن يشركها معه، وأنّه قال: الأمر إلى الله، فشركها الله جلّ جلاله معه، ثمّ قال: ونادت الجبال يا آدم اجعل لنا في بناء قواعد بيت الله نصيباً، فقال: ما لي فيه من أمر، الأمر إلى ربّ البيت يشرك فيه من أحبّ، فأذن الله للجبال بذلك فابتدر كلّ جبل منها بحجارة منه، وكان أوّل جبل شقّ بحجارة منه أبو قبيس لقربه منه، ثمّ حراء ثمّ ثور ثمّ ثبير ثمّ ورقان ثمّ حمون ثمّ صبرار ثمّ أحد ثمّ طور سيناء ثمّ طور دينا ثمّ لبنان ثمّ جوديّ، وأمر الله آدم أن يأخذ من كلّ جبل حجراً فيضعه في الأساس ففعل. ثمّ ذكر شرح حجّ آدم عليه السلام واجتماعه بحوّاء وقبول توبتهما وحديث هابيل وقابيل وأولاد آدم وأولادهم مائة وعشرين بطناً في سبعمائة سنة من عمره، وحديث وصيّته إلى شيث بعد قتل هابيل[١].

تذنيب: اعلم أنّ أعظم شبه المخطّئة للأنبياء عليهم السلام الّتي تمسّكوا بها قصّة آدم عليه السلام، واستدلّوا بما ورد فيها بوجوه:

الأول: أنّه كان عاصياً لقوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ﴾ والعاصي لا بدّ أن يكون صاحب كبيرة لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ ولأنّ العاصي اسم ذمّ فوجب أن لا يتناول إلّا صاحب الكبيرة.

وأجاب عنه السيّد علم الهدى رحمه الله بأنّ المعصية مخالفة الأمر، والأمر من الحكيم تعالى يكون بالواجب وبالندب، وليس يمتنع أن يسمّى تارك النّفل عاصياً كما يسمّى بذلك تارك الواجب، ولهذا يقولون: أمرت فلاناً بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وإن لم يكن ما أمر به واجباً. واعترض عليه بأنّه مجازٌ والأصل في الإطلاق الحقيقة. وأجيب بمنع كونه مجازاً فيه؛ والأظهر أن يقال: على تقدير تسليم كونه مجازاً لا بدّ من أن يصار إليه عند معارضة الأدلّة القطعيّة، بل قد يرتكب المجاز عند معارضة دليل ظنّيّ أيضاً.

(١) سعد السعود، ص ٣٦.

وأجاب المجوّزون للذّنب عليهم عليهم السلام قبل النبوّة بأنّ آدم عليه السلام لم يكن نبيّاً حين صدرت المعصية عنه ثمّ بعد ذلك صار نبيّاً ولا محذور فيه. وأُجيب أيضاً بأنّ المعصية كانت عن آدم عليه السلام في الجنّة لا في الأرض الّتي هي دار التكليف فلا يلزم صدور المعصية عنهم عليهم السلام قبل النبوّة ولا بعدها في دار التكليف، وقد عرفت ممّا أوردنا في باب العصمة ضعفهما وعدم استقامتهما على أصول الإماميّة، مع أنّ الأخير لا ينطبق على شيء من المذاهب، وقد ذكرنا ههنا تأويل الخبرين اللّذين يوهمانهما؛ وأُجيب أيضاً بأنّ معصيته كانت من الصغائر المكفّرة دون الكبائر، وهو جواب أكثر المعتزلة وقد عرفت ضعفه.

وأُجيب أيضاً بأنّه لمّا نهي عن الأكل من الشجرة ظنّ أنّ النهي عن عين الشجرة لا عن نوعها، وكان الله سبحانه أراد نهيه عن نوعها، ولكنّه لم يقل لهما: لا تقربا هذه الشجرة ولا ما كان من جنسها، واللّفظة قد يراد بها النوع كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه أشار إلى حرير وذهب وقال: «هذان حرامان على رجال أمّتي» وكان ظنّه ذلك لأنّ إبليس حلف لهما بالله كاذباً إنّه لهما لمن الناصحين، ولم يكن شاهد قبل ذلك من يحلف بالله كذلك، فأكل من شجرة أخرى من نوعها، وكان ذلك من قبيل الخطاء في الاجتهاد، وليس من كبائر الذنوب الّتي يستحقّ بها دخول النار.

واعترض عليه بوجوه: **أوّلها**: أنّ اسم الإشارة موضوعٌ للأشخاص، والإشارة به إلى النّوع مجازٌ، فإذا حمل آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام اللّفظ على حقيقته فأيّ خطاء يلحقه؟ ولماذا أُخرج من الجنّة؟ وأُجيب عنه بأنّ اللّفظ وإن كان موضوعاً للشخص إلاّ أنّه كان قد قرنه بما يدلّ على أنّ المراد به النّوع.

وثانيها: أنّه سبحانه لو كلّفه على الوجه المذكور من دون قرينة تدلّ على المراد لزم تكليف ما لا يطاق، ومع القرينة يلزمه الإخلال بالنّظر والتّقصير في المعرفة ويلزمه الخطاء قصداً، فلم يفد هذا الجواب إلاّ تغيير الخطيئة، وكون الخطيئة على تقدير صغيرة أو ارتكاباً لخلاف الأولى وعلى غيره كبيرة تعسّف. وأُجيب بأنّه عليه السلام لعلّه عرف القرينة في وقت الخطاب ثمّ غفل عنها ونسي لطول المدّة أو غيره كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ﴾ وهذا مبنيّ على سهوهم وهو منفيٌّ عنهم، وقد وردت الأخبار بأنّ المراد بالنّسيان الترك.

وثالثها: أنّ الأنبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم الاجتهاد والعمل بالظّنّ لتمكّنهم من العلم، والعمل بالظّنّ مع التّمكّن من تحصيل العلم غير جائز عقلاً وشرعاً. ويمكن الجواب بأنّا لا نسلّم أنّ آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام كان وقت الخطاب نبيّاً كما يدلّ عليه الرّواية فلا محذور في عمله بالظّنّ حينئذ، فإنّ تمكّنه من العلم واليقين ممنوعٌ، وفيه إشكال.

الوجه الثاني: أنّه تعالى سمّاه غاوياً بقوله: ﴿فَغَوَىٰ﴾ والغيّ خلاف الرّشد لقوله تعالى: ﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾ والغاوي يكون صاحب كبيرة خصوصاً إذا وقع تأكيداً للعاصي.

وأجاب السيد رحمه الله بأنّ معنى ﴿فَغَوَىٰ﴾ أنّه خاب، لأنّا نعلم أنّه لو فعل ما ندب إليه من ترك التّناول من الشجرة لاستحقّ الثّواب العظيم، فإذا خالف الأمر ولم يصر إلى ما ندب إليه فقد خاب لا محالة من حيث لم يصر إلى الثّواب الّذي كان يستحقّ بالامتناع ولا شبهة في أنّ لفظ ﴿فَغَوَىٰ﴾ يحتمل الخيبة؛ قال الشاعر:

فمن يلق خيراً يحمد النّاس أمره ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائما

انتهى[١]. وقال الجوهريّ: الغيّ: الضّلال والخيبة. وقال: خاب الرّجل يخيب خيبة: إذا لم ينل ما طلب، وفي المثل: الهيبة خيبة. وقال الجزري: في حديث موسى وآدم على نبيّنا وآله وعليهما السلام: (لأغويت النّاس) أي خيّبتهم. يقال: غوى الرّجل: إذا خاب وأغواه غيره، وحينئذ لا يكون قوله تعالى: ﴿فَغَوَىٰ﴾ تأكيداً للعصيان، بل يكون المعنى: ترك ما أمر به ندباً فحرم من الثّواب الّذي كان يستحقّه لو فعله.

ويمكن أن يجاب على تقدير كون الغواية بمعنى الضّلال وضدّ الرّشاد بأنّ الرّشد هو التوصّل بشيء إلى شيء، وسلوك طريقة موصلة إلى المطلوب، فمن ارتكب ما يبعده عن مطلوبه كان ضالاً غاوياً، ولو كان بمخالفة أمر ندبيّ أو ارتكاب نهي تنزيهيّ، ولذا يقال لكلّ من بعد عن الطّريق: إنّه ضلّ، ولو سلّم أنّ الغواية لا يستعمل حقيقة إلاّ فيما زعمه المستدلّ نقول: لا بدّ من حمله في الآية على ما ذكرناه ولو على سبيل المجاز لدلائل العصمة. وأجيب أيضاً بأنّ ﴿فَغَوَىٰ﴾ ههنا بمعنى بشم من كثرة الأكل أي اتّخم.

وقال السيّد رحمه الله في جواب المسائل الّتي وردت عليه من الري: فإن قالوا: ما المانع من أن يريد ﴿وَعَصَىٰ﴾ أي لم يفعل الواجب من الكفّ عن الشّجرة والواجب يستحقّ بالإخلال به حرمان الثّواب كالفعل المندوب إليه فكيف رجّحتم ما ذهبتم إليه على ما ذهبنا نحن؟ قلنا: الترجيح لقولنا ظاهر، إذ الظاهر من قوله تعالى: ﴿وَعَصَىٰ﴾ ﴿فَغَوَىٰ﴾ أنّ الّذي دخلته الفاء جزاء على المعصية، وأنّه كلّ الجزاء المستحقّ بالمعصية، لأنّ الظّاهر من قول القائل: سرق فقطع، وقذف فجلد ثمانين أنّ ذلك جميع الجزاء لا بعضه، وكذلك إذا قال القائل: من دخل داري فله درهم حملناه على أنّ الدّرهم جميع جزائه، ولا يستحقّ بالدّخول سواه، ومن لم يفعل الواجب استحقّ الذّمّ والعقاب وحرمان الثّواب، ومن لم يفعل المندوب إليه فهو غير مستحقّ لشيء كان تركه للندب سبباً فيه إلاّ حرمان الثواب فقط، وبيّنّا أنّ من لم يفعل الواجب ليس كذلك، وإذا كان الظّاهر يقتضي أنّ ما دخلته الفاء جميع الجزاء على ذلك السبب لم يلق إلاّ بما قلناه دون ما ذهبوا إليه وهذا واضح لمن تدبّره.

الوجه الثالث: أنّه عليه السلام تاب والتّائب مذنب، أمّا أنّه تائب فلقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ وأمّا أنّ التّائب مذنبٌ فلأنّ التائب هو النّادم على فعل الذّنب، والنّادم

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٣٤.

على فعل الذنب مخبرٌ عن كونه فاعلاً للذّنب، فإن كذب في ذلك الإخبار فهو مذنبٌ بالكذب، وإن صدق فيه فهو المطلوب. وأجاب عنه السّيّد رحمه الله: بأنّ التّوبة عندنا وعلى أصولها غير موجبة لإسقاط العقاب، وإنّما يسقط الله تعالى العقاب عندنا تفضّلاً، والّذي توجبه التّوبة هو استحقاق الثواب، فقبولها على هذا الوجه هو ضمان الثّواب عليها، فمعنى قوله: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ أنّه ضمن ثوابها، ولا بدّ لمن ذهب إلى أنّ معصية آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام صغيرةٌ من هذا الوجه، لأنّه إذا قيل له: كيف تقبل توبته ويغفر له ومعصيته في الأصل وقعت مكفّرة لا يستحقّ عليها شيئاً من العقاب؟ لم يكن له بدّ من الرّجوع إلى ما ذكرناه، والتّوبة قد يحسن أن يقع ممّن لم يعهد من نفسه قبيحاً على سبيل الانقطاع إلى الله والرّجوع إليه ويكون وجه حسنها في هذا الموضع استحقاق الثّواب بها أو كونها لطفاً، كما يحسن أن يقع ممّن يقطع على أنّه غير مستحقّ للعقاب، وأنّ التّوبة لا تؤثّر في إسقاط شيء يستحقّه من العقاب، ولهذا جوّزوا التّوبة من الصّغائر وإن لم تكن مؤثّرة في إسقاط ذمّ ولا عقاب انتهى[1].

ويدلّ على أنّ التّوبة لا توجب إسقاط العقاب كثيرٌ من عبارات الأدعية المأثورة، ثمّ إنّا لو سلّمنا أنّ التّوبة ممّا يوجب إسقاط العقاب نحمل التّوبة ههنا على المجاز لما عرفت سابقاً.

الوجه الرابع: أنّه تعالى سمّاه ظالماً بقوله: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ وهو سمّى نفسه ظالماً في قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ والظّالم ملعون لقوله: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ومن استحقّ اللّعن فهو صاحب الكبيرة.

وأجاب السّيّد رحمه الله: بأنّ معنى قولهما: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ أنّا نقصنا أنفسنا وبخسناها ما كنّا نستحقّه من الثّواب بفعل ما أُريد منّا، وحرمنا تلك الفائدة الجليلة من التّعظيم، وذلك الثّواب وإن لم يكن مستحقّاً قبل أن يفعل الطّاعة الّتي يستحقّ بها فهو في حكم المستحقّ، فيجوز أنّ يوصف من فوّته نفسه بأنّه ظالم لها، كما يوصف بذلك من فوّت نفسه المنافع المستحقّة، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ انتهى[2].

والظلم في الأصل: وضع الشيء غير موضعه، قال الجوهريّ: ويقال: من أشبه أباه فما ظلم، وقيل: أصل الظّلم انتقاص الحقّ، قال الله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ أي لم تنقص، وقال الجزريّ: في حديث ابن زمل: (لزموا الطّريق فلم يظلموه) أي لم يعدلوا عنه، يقال: أخذ في طريق فما ظلم يميناً وشمالاً، فظهر أنّ الوصف بالظلم لا يستلزم ما ادّعاه المستدلّ، إذ لا شكّ في أنّ مخالفة أمره سبحانه وضع للشيء في غير موضعه، وموجب لنقص الثّواب، وعدول عن الطّريق المؤدّي إلى المراد؛ وأمّا ما استدلّ به على أنّ الظّالم ملعونٌ فباطلٌ، إذ وقع هذا في موضعين من القرآن: أحدهما في الأعراف ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ وثانيهما في

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٣٥.
(٢) تنزيه الأنبياء، ص ٣٧.

هود، وفيها كما ذكر إلاّ أنّ آخر الآية فيها هكذا: ﴿وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ وعلى أي حال لا يدلّ على لعن مطلق الظّالمين، بل لا يدلّ على لعن صاحب الكبيرة أيضاً من المسلمين، على أنّ اللّعن أيضاً لا يدلّ على كون الفعل كبيرةً لورود الأخبار بلعن صاحب الصّغيرة، بل من ارتكب النّهي التّنزيهيّ أيضاً، إذ اللّعن الطّرد والإبعاد عن الرحمة، والبعد عنها يحصل بترك المندوب وفعل المكروه أيضاً، لكن لمّا غلب استعماله في المشركين والكفّار لا يجوز استعماله في صلحاءِ المؤمنين قطعاً، وفي فسّاقهم إشكال، والأولى التّرك.

الوجه الخامس: أنّه ارتكب المنهيّ عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا﴾ وارتكاب المنهيّ عنه كبيرة.

والجواب: أنّ النّهي كما يكون للتّحريم يكون للتّنزيه، ولو ثبت أنّه حقيقة في التّحريم حملناه على المجاز لدلائل العصمة، على أنّ شيوع استعماله في التّنزيه يمنع من حمله على المعنى الحقيقيّ بلا قرينة، وأمّا ما ادّعاه من كون ارتكاب المنهيّ عنه كبيرةً مطلقاً فلا يخفى فساده.

الوجه السادس: أنّه أخرج من الجنّة بسبب وسوسة الشيطان وإزلاله جزاءً على ما أقدم عليه، وذلك يدلّ على كونه فاعلاً للكبيرة. وأجيب بأنّ ما ذكر إنّما يكون عقوبةً إذا كان على سبيل الاستخفاف والإهانة، ولعلّه كان على وجه المصلحة بأن يكون الله تعالى علم أنّ المصلحة تقتضي تبقية آدم في الجنّة ما لم يتناول من الشّجرة، فإذا تناول منها تغيّرت المصلحة وصار إخراجه عنها وتكليفه في دار غيرها هو المصلحة، وكذا القول في سلب اللّباس.

الوجه السابع: أنّه لولا مغفرة الله إيّاه لكان من الخاسرين لقوله: ﴿وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ وذلك يقتضي كونه صاحب كبيرة. والجواب: أنّ الخسران ضدّ الرّبح، ولا شكّ أنّ من نقص ثوابه فقد خسر، فالخسران الّذي كان يستعيذ منه هو نقص الثّواب على تقدير عدم قبول التّوبة.

وإنّما بسطنا الكلام في هذا المقام ونسينا ما عهدنا من العزم على الاختصار التّامّ لأنّ شبهات المخالفين في هذا الباب قد تعلّقت بقلوب الخاصّ والعامّ، وعمدة ما تمسّكوا به هو خطيئة آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، وأيضاً ما ذكرنا ههنا أكثره يجري فيما نسبوا إلى سائر الأنبياء لهم التّحيّة والإكرام وعلى نبيّنا وآله وعليهم صلوات الله الملك العلاّم.

٤ - باب كيفية نزول آدم عليه السلام من الجنّة وحزنه على فراقها وما جرى بينه وبين ابليس لعنه الله

١ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن عليّ بن عقبة، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: رنّ إبليس أربع رنّات: أوّلهنّ يوم لعن، وحين أهبط

إلى الأرض، وحين بعث محمّد صلى الله عليه وآله على حين فترة من الرسل، وحين أُنزلت أُمّ الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشّجرة، وحين أُهبط من الجنّة[١].

بيان: رنّ أي صاح. والنّخير: صوت بالأنف. والأوّل للحزن والثّاني لشدّة الفرح.

٢ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن محمّد بن سهل البحرانيّ يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: البكّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمّد، وعليّ بن الحسين عليه السلام، فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال الأودية. الخبر[٢].

٣ - **ع:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أهبط الله آدم إلى الأرض يوم الجمعة. وسيجيء بإسناده في فضائل الجمعة[٣].

٤ - **ع:** أبي وابن الوليد، عن سعد والحميريّ معاً، عن ابن عيسى، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أهبط الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام من الجنّة أهبط معه عشرون ومائة قضيب، منها أربعون ما يؤكل داخلها وخارجها، وأربعون منها ما يؤكل داخلها ويرمى بخارجها، وأربعون منها ما يؤكل خارجها ويرمى بداخلها، وغرارة فيها بذر كلّ شيء[٤].

بيان: قال الجوهريّ: الغرارة واحدة الغرائر الّتي للتبن.

٥ - **ع، ن:** أبي، عن عليّ بن سليمان الزراريّ عن ابن أبي الخطّاب، عن البزنطيّ عن الرّضا عليه السلام قال: قلت: كيف كان أوّل الطيب؟ فقال لي: ما يقول من قبلكم فيه؟ قلت: يقولون: إنّ آدم لمّا هبط بأرض الهند فبكى على الجنّة سالت دموعه فصارت عروقاً في الأرض فصارت طيباً، فقال عليه السلام ليس كما يقولون، ولكن حوّاء كانت تغلّف قرونها من أطراف شجرة الجنّة، فلمّا هبطت إلى الأرض وبليت بالمعصية رأت الحيض فأُمرت بالغسل فنقضت قرونها، فبعث الله عزّ وجلّ ريحاً طارت به وخفضته فذرت حيث شاء الله عزّ وجلّ، فمن ذلك الطيب[٥].

بيان: قال الجزريّ: فيه: (كنت أُغلّف لحية رسول الله بالغالية) أي ألطخها بها وأكثر ما

---

(١) الخصال، ص ٢٦٣ باب الأربعة ح ١٤١.

(٢) لم نعثر عليه في المصدر ولكنه في الخصال ص ٢٧٢ باب الخمسة ح ١٥.

(٣) لم نعثر عليه في المصدر ولكنه في الخصال، ص ٣١٦ باب الخمسة ح ٩٧.

(٤) لم نعثر عليه في المصدر ولكنه في الخصال ص ٦٠١ باب المائة فما فوق ح ١٤. وفي مستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٢٧ عن مكارم الأخلاق للطبرسي عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قال لما أخرج آدم زوّده الله من ثمار الجنة وعلّمه صنعة كل شيء. [التمازي].

(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٥ باب ٢٤١ ح ٢ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٥٩ باب ٢٨ ح ٣٤

يقال: غلف بها لحيته غلفاً، وغلّفها تغليفاً. انتهى. والقرن: القطعة الملتفّة من الشّعر.

٦ - ع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمّي الصّفا صفا لأنّ المصطفى آدم هبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسم آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا﴾ وهبطت حوّاء على المروة، وإنّما سمّيت المروة مروة لأنّ المرأة هبطت عليها، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة(١).

٧ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن عمر، عن ابن سنان عن أبي سعيد القمّاط عن بكير بن أعين قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: هل تدري ما كان الحجر؟ قال: قلت: لا، قال: كان ملكاً عظيماً من عظماءِ الملائكة عند الله عزّ وجلّ، فلمّا أخذ الله من الملائكة الميثاق كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك، فاتّخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقمه الميثاق وأودعه عنده، واستعبد الخلق أن يجدّدوا عنده في كلّ سنة الإقرار بالميثاق والعهد الّذي أخذه الله عليهم، ثمّ جعله الله مع آدم في الجنّة يذكر الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة، فلمّا عصى آدم فأُخرج من الجنّة أنساه الله العهد والميثاق الّذي أخذ الله عليه وعلى ولده لمحمّد ووصيّه وجعله باهتاً حيراناً، فلمّا تاب على آدم حوّل ذلك الملك في صورة درّة بيضاء فرماه من الجنّة إلى آدم وهو بأرض الهند، فلمّا رآه أنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنّه جوهرة، فأنطقه الله عزّ وجلّ فقال: يا آدم أتعرفني؟ قال: لا، قال: أجل استحوذ عليك الشّيطان فأنساك ذكر ربّك، وتحوّل إلى الصّورة الّتي كان بها في الجنّة مع آدم، فقال لآدم: أين العهد والميثاق؟ فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثمّ حوّل الله عزّ وجلّ جوهر الحجر درّة بيضاء صافية تضيء فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً، فكان إذا أعيا حمله عنه جبرئيل حتّى وافى به مكّة، فما زال يأنس به بمكّة ويجدّد الإقرار له كلّ يوم وليلة، ثمّ إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أهبط جبرئيل إلى أرضه وبنى الكعبة هبط إلى ذلك المكان بين الرّكن والباب (وفي ذلك الموضع تراءى لآدم حين أخذ الميثاق) وفي ذلك الموضع ألقم الملك الميثاق، فلتلك العلّة وضع في ذلك الركن، ونحّي آدم من مكان البيت إلى الصفا وحوّاء إلى المروة وجعل الحجر في الركن، فكبّر الله وهلّله ومجّده، فلذلك جرت السنّة بالتكبير في استقبال الرّكن الّذي فيه الحجر من الصفا. الخبر(٢).

كا: محمّد بن يحيى وغيره عن الأشعريّ مثله(٣).

بيان: تراءى أي جبرئيل أو الحجر، فكبّر الله أي جبرئيل أو الحجر، ويحتمل آدم عليه السلام.

٨ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن عليّ بن حسّان الواسطيّ، عن بعض أصحابه عن

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٧ باب ١٦٥ ح ١.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٥ باب ١٦٤ ح ١. (٣) الكافي ج ٤ باب ١٢٨ ح ٣.

أبي عبد الله عليه السلام قال: أُهبط آدم من الجنّة على الصفا، وحوّاء على المروة، وقد كانت امتشطت في الجنّة، فلمّا صارت في الأرض قالت: ما أرجو من المشط وأنا مسخوط عليّ، فحلّت مشطتها فانتشر من مشطتها العطر الّذي كان امتشطت به في الجنّة فطارت به الرّيح فألقت أثره في الهند، فلذلك صار العطر بالهند(١).

٩ - وفي حديث آخر: إنّها حلّت عقيصتها فأرسل الله عزّوجلّ على ما كان فيها من ذلك الطيب ريحاً فهبّت به في المشرق والمغرب(٢).

بيان: العقيصة: المنسوجة من شعر الرأس.

١٠ - ع: بإسناد العلويّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل ممّا خلق الله عزّوجلّ الكلب؟ قال: خلقه من بزاق إبليس؛ قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال لمّا أهبط الله عزّوجلّ آدم وحوّاء إلى الأرض أهبطهما كالفرخين المرتعشين، فعدا إبليس الملعون إلى السباع وكانوا قبل آدم في الأرض فقال لهم: إنّ طيرين قد وقعا من السماء لم ير الراؤون أعظم منهما تعالوا فكلوهما، فتعادت السباع معه وجعل إبليس يحثّهم ويصيح ويعدهم بقرب المسافة، فوقع من فيه من عجلة كلامه بزاق فخلق الله عزّوجلّ من ذلك البزاق كلبين: أحدهما ذكرٌ، والآخر أنثى، فقاما حول آدم وحوّاء: الكلبة بجدّة، والكلب بالهند، فلم يتركوا السباع أن يقربوهما، ومن ذلك اليوم الكلب عدوّ السبع والسبع عدو الكلب(٣).

١١ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن محمّد بن إسحاق، عن أبي جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام إنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى جبرئيل عليه السلام: أنا الله الرحمن الرّحيم، إنّي قد رحمت آدم وحوّاء لمّا اشتكيا إليّ ما شكيا فاهبط عليهما بخيمة من خيم الجنّة فإنّي قد رحمتهما لبكائهما ووحشتهما ووحدتهما، فاضرب الخيمة على الترعة بين جبال مكّة، قال: والترعة مكان البيت وقواعده الّتي رفعتها الملائكة قبل آدم، فهبط جبرئيل على آدم عليه السلام بالخيمة على مقدار أركان البيت وقواعده فنصبها، قال: وأنزل جبرئيل عليه السلام آدم من الصفا وأنزل حوّاء من المروة وجمع بينهما في الخيمة، قال: وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر فأضاء نوره وضوؤه جبال مكّة وما حولها، قال: فامتدّ ضوء العمود فهو مواضع الحرم اليوم من كلّ ناحية من حيث بلغ ضوؤه، قال: فجعله الله عزّوجلّ حرماً لحرمة الخيمة والعمود لأنّهما من الجنّة، قال: ولذلك جعل الله عزّوجلّ الحسنات في الحرم مضاعفة والسيّئات مضاعفة، قال: ومدّت أطناب الخيمة حولها فمنتهى أوتادها ما حول المسجد الحرام، قال: وكانت أوتادها صخراً من عقيان الجنّة، وأطنابها من ظفائر الأرجوان، قال: وأوحى الله عزّوجلّ إلى جبرئيل عليه السلام: اهبط

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٤ باب ٢٤١ ح ١.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٩ باب ٢٥٠ ح ١.

على الخيمة بسبعين ألف ملك يحرسونها من مردة الشيطان، ويؤنسون آدم، ويطوفون حول الخيمة تعظيماً للبيت والخيمة، قال: فهبط بالملائكة فكانوا بحضرة الخيمة يحرسونها من مردة الشيطان ويطوفون حول أركان البيت والخيمة كلّ يوم وليلة كما كانوا يطوفون في السماء حول البيت المعمور قال: وأركان البيت الحرام في الأرض حيال البيت المعمور الّذي في السّماء، قال: ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى جبرئيل عليه السلام بعد ذلك: أن اهبط إلى آدم وحوّاء فنحّهما عن موضع قواعد بيتي، وارفع قواعد بيتي لملائكتي ولخلقي من ولد آدم، فهبط جبرئيل عليه السلام على آدم وحوّاء فأخرجهما من الخيمة ونحّاهما عن ترعة البيت ونحّى الخيمة عن موضع الترعة، قال: ووضع آدم على الصفا وحوّاء على المروة، فقال آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام: يا جبرئيل أبسخط من الله تعالى جلّ ذكره حوّلتنا وفرّقت بيننا، أم برضىً تقديراً علينا؟ فقال لهما: لم يكن بسخط من الله تعالى ذكره عليكما، ولكنّ الله عزّ وجلّ لا يسأل عمّا يفعل، يا آدم إنّ السبعين ألف ملك الّذين أنزلهم الله عزّ وجلّ إلى الأرض ليؤنسوك ويطوفوا حول أركان البيت والخيمة سألوا الله عزّ وجلّ أن يبني لهم مكان الخيمة بيتاً على مواضع الترعة المباركة حيال البيت المعمور فيطوفون حوله كما كانوا يطوفون في السّماء حول البيت المعمور، فأوحى الله تبارك وتعالى إليّ: أن أنحّيك وأرفع الخيمة، فقال آدم عليه السلام: رضينا بتقدير الله عزّ وجلّ ونافذ أمره فينا، فرفع قواعد البيت بحجر من الصّفا وحجر من المروة وحجر من طور سيناء وحجر من جبل السّلام وهو ظهر الكوفة، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى جبرئيل عليه السلام: أن ابنه وأتمّه، فاقتلع جبرئيل عليه السلام الأحجار الأربعة بأمر الله عزّ وجلّ من مواضعها بجناحه، فوضعها حيث أمره الله تعالى في أركان البيت على قواعده الّتي قدّرها الجبّار جلّ جلاله، ونصب أعلامه، ثمّ أوحى الله إلى جبرئيل: ابنه وأتمّه من حجارة من أبي قبيس واجعل له بابين: باباً شرقاً، وباباً غرباً، قال: فأتمّه جبرئيل عليه السلام، فلمّا فرغ طافت الملائكة حوله، فلمّا نظر آدم وحوّاء إلى الملائكة يطوفون حول البيت انطلقا فطافا سبعة أشواط ثمّ خرجا يطلبان ما يأكلان[1].

بيان: قال الجوهريّ: العقيان من الذّهب الخالص، ويقال: وهو ما ينبت نباتاً، وليس ممّا يحصل من الحجارة.

١٢ - **ن، ع:** سأل الشّاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم واد على وجه الأرض، فقال له: واد يقال له سرنديب سقط فيه آدم من السّماء[2].

١٣ - **ع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن سهل، عن ابن محبوب، عن خالد بن جرير، عن أبي الرّبيع الشّاميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط من الجنّة اشتهى من

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٥ باب ١٥٩ ح ٣.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢١ باب ٢٤ ح ١، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

ثمارها فأنزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرسهما، فلمّا أورقا وأثمرا وبلغا جاء إبليس فحاط عليهما حائطاً، فقال له آدم: ما لك يا ملعون؟ فقال إبليس: إنّهما لي، فقال: كذبت، فرضيا بينهما بروح القدس، فلمّا انتهيا إليه قصّ عليه آدم قصّته، فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها عليهما فالتهبت في أغصانهما حتّى ظنّ آدم أنّه لم يبق منهما شيء إلاّ احترق، وظنّ إبليس مثل ذلك، قال: فدخلت النّار حيث دخلت وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث، فقال الرّوح: أمّا ما ذهب منهما فحظّ إبليس لعنه الله، وما بقي فلك يا آدم(١).

١٤ - ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط هبط بالهند ثمّ رمي إليه بالحجر الأسود، وكان ياقوتة حمراء بفناء العرش، فلمّا رآه عرفه فأكبَّ عليه وقبّله، ثمّ أقبل به فحمله إلى مكّة، فربما أعيا من ثقله فحمله جبرئيل عنه، وكان إذا لم يأته جبرئيل عليه السلام اغتمّ وحزن، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال: إذا وجدت شيئاً من الحزن فقل: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله(٢).

١٥ - ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن إبراهيم بن هاشم، عن عمرو بن عثمان، عن أبي جميلة، عن عامر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ حين أهبط آدم عليه السلام من الجنّة أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدّها بعد نعيم الجنّة، فجعل يجأر ويبكي على الجنّة مائتي سنة، ثمّ إنّه سجد لله سجدة فلم يرفع رأسه ثلاثة أيّام ولياليها(٣).

١٦ - ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن عليّ بن حسّان، عن عليّ بن عطيّة، عن بعض من سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الطيب قال: إنّ آدم وحوّاء حين أُهبطا من الجنّة نزل آدم على الصّفا وحوّاء على المروة، وإنّ حوّاء حلّت قرناً من قرون رأسها فهبّت به الرّيح فصار بالهند أكثر الطّيب(٤).

١٧ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب قال: كان مهبط آدم على جبل في شرقيّ أرض الهند يقال له باسم، ثمّ أمره أن يسير إلى مكّة فطوى له الأرض فصار على كلّ مفازة يمرّ به خطوة ولم يقع قدمه في شيء من الأرض إلاّ صار عمراناً، وبكى على الجنّة مائتي سنة، فعزّاه الله بخيمة من خيام الجنّة فوضعها له بمكّة في موضع الكعبة، وتلك الخيمة من ياقوتة حمراء لها بابان: شرقيّ وغربيّ من ذهب منظومان، معلّق فيها ثلاث قناديل من تبر الجنّة، تلتهب نوراً، ونزل الرّكن وهو ياقوتة بيضاء من ياقوت الجنّة وكان كرسيّاً لآدم عليه السلام يجلس عليه، وإنّ خيمة آدم لم تزل في مكانها حتّى قبضه الله تعالى، ثمّ رفعها الله إليه وبنى بنو آدم في موضعها بيتاً من الطين والحجارة ولم يزل معموراً وأُعتق من الغرق ولم يخرّبه الماء

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٨ باب ٢٢٦ ح ١.

(٢) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٤٩. (٤) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٣.

حتّى ابتعث الله تعالى إبراهيم عليه السلام[١].

١٨ - شي: عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام كان له في السّماء خليلٌ من الملائكة، فلمّا هبط آدم من السماء إلى الأرض استوحش الملك وشكا إلى الله تعالى وسأله أن يأذن له فيهبط عليه فأذن له فهبط عليه فوجده قاعداً في قفرة من الأرض، فلمّا رآه آدم وضع يده على رأسه وصاح صيحة - قال أبو عبد الله عليه السلام يروون أنّه أسمع عامّة الخلق - فقال له الملك: يا آدم ما أراك إلاّ قد عصيت ربّك وحملت على نفسك ما لا تطيق، أتدري ما قال الله لنا فيك فرددنا عليه؟ قال: لا، قال: قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ قلنا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فهو خلقك أن تكون في الأرض يستقيم أن تكون في السّماء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله عزّى بها آدم ثلاثاً[٢].

١٩ - شي: عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله حين أهبط آدم إلى الأرض أمره أن يحرث بيده فيأكل من كدّه بعد الجنّة ونعيمها، فلبث يجأر ويبكي على الجنّة مائتي سنة، ثمّ إنّه سجد لله سجدةً فلم يرفع رأسه ثلاثة أيّام ولياليها، ثمّ قال: أي ربّ ألم تخلقني؟ فقال الله: قد فعلت، فقال: ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسكنّي جنّتك؟ قال: قد فعلت، قال: ألم تسبق لي رحمتك غضبك؟ قال الله: قد فعلت، فهل صبرت أو شكرت؟ قال آدم: «لا إله إلاّ أنت سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفرلي إنّك أنت الغفور الرّحيم» فرحمه الله بذاك وتاب عليه إنّه هو التوّاب الرّحيم[٣].

٢٠ - شي: عن جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس أوّل من ناح، وأوّل من تغنّى، وأوّل من حدا، قال: لمّا أكل آدم من الشّجرة تغنّى، قال: فلمّا أُهبط حدا به، فلمّا استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنّة، فقال آدم: ربّ هذا الّذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وأنا في الجنّة، وإن لم تعنّي عليه لم أقو عليه، فقال الله: السيّئة بالسيّئة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة، قال: ربّ زدني، قال: لا يولد لك ولدٌ إلاّ جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني، قال: التوبة مفروضةٌ في الجسد ما دام فيها الرّوح، قال: ربّ زدني، قال: أغفر الذّنوب ولا أُبالي، قال: حسبي؛ قال: فقال إبليس: ربّ هذا الّذي كرّمت عليّ وفضّلته وإن لم تفضّل عليّ لم أقو عليه، قال: لا يولد له ولدٌ إلاّ ولد لك ولدان، قال: ربّ زدني، قال: تجري منه مجرى الدّم في العروق، قال: ربّ زدني، قال: تتّخذ أنت وذرّيّتك في صدورهم مساكن، قال: ربّ زدني، قال: تعدهم وتمنّيهم وما يعدهم الشّيطان إلاّ غروراً[٤].

٢١ - شي: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة:

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٠.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٠ ح ١٠ من سورة البقرة.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٩ ح ٢٤ من سورة البقرة.
(٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ٥٨ ح ٢٣ من سورة البقرة.

آدم، ويوسف، وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ فقال: أمّا آدم فبكى حين أُخرج من الجنّة وكان رأسه في باب من أبواب السّماءِ، فبكى حتّى تأذّى به أهل السّماءِ فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته، وأمّا داود فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزّفرة فيحرق ما نبت من دموعه، وأمّا يوسف فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السّجن فتأذّى به أهل السّجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً(١).

٢٢ - **قب:** عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان آدم لمّا أراد أن يغشى حوّاء خرج بها من الحرم، ثمّ كانا يغتسلان ويرجعان إلى الحرم(٢).

٢٣ - **ع، ن:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن صفوان بن يحيى قال: سئل أبو الحسن عليه السلام عن الحرم وأعلامه، فقال: إنّ آدم عليه السلام لمّا هبط من الجنّة هبط على أبي قبيس - والنّاس يقولون بالهند - فشكا إلى ربّه عزّ وجلّ الوحشة وأنّه لا يسمع ما كان يسمع في الجنّة، فأهبط الله عزّ وجلّ عليه ياقوتة حمراء فوضعت في موضع البيت فكان يطوف بها آدم عليه السلام وكان يبلغ ضوؤها الأعلام، فعلّمت الأعلام على ضوئها، فجعله الله عزّ وجلّ حرماً(٣).

أبي، عن عليّ، عن أبيه، عنه عليه السلام مثله.

ابن الوليد، عن الصّفّار، عن ابن عيسى، عن إسماعيل بن همام، عنه عليه السلام مثله.

بيان: يدلّ على ما ذكرنا سابقاً من أنّ أخبار نزولهما بالهند محمولة على التقيّة، وأمّا الجمع بين ماورد في هذا الخبر من نزول الياقوتة وما ورد في الخبرين السّابقين من نزول الخيمة فبأنّهما نزلتا متعاقبتين أو مقارنتين، أو تكون الخيمة من الياقوت.

٢٤ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن جعفر بن يحيى، عن عليّ القصير، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن أصل الطيب من أيّ شيء هو؟ فقال: أيّ شيء يقول النّاس؟ قلت: يزعمون أنّ آدم هبط من الجنّة وعلى رأسه إكليل، فقال: قد كان والله أشغل من أن يكون على رأسه إكليل، ثمّ قال لي: إنّ حوّاء امتشطت في الجنّة بطيب من طيب الجنّة قبل أن يواقعا الخطيئة، فلمّا هبطت إلى الأرض حلّت عقصها (عقيصتها خ ل) فأرسل الله عزّ وجلّ على ما كان فيها ريحاً فهبّت به في المشرق والمغرب، فأصل الطّيب من ذلك(٤).

بيان: قال الجوهريّ: الإكليل: شبه عصابة تزيّن بالجوهر، ويسمّى التّاج إكليلاً.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٨ ح ٢٨ من سورة يوسف.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب، ج ٤ ص ١٧٣.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٥ باب ١٥٩ ح ١، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٥٧ باب ٢٨ ح ٣١.

(٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٧ باب ٣٩٢ ح ٢.

٢٥ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن صالح بن أبي حمّاد، عن الحسين بن يزيد، عن الحسن ابن عليّ بن أبي حمزة، عن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدم عليه السلام طفق يخصف من ورق الجنّة، وطار عنه لباسه الّذي كان عليه من حلل الجنّة، فالتقط ورقة فستر بها عورته، فلمّا هبط عبقت رائحة تلك الورقة بالهند بالنبت فصار في الأرض من سبب تلك الورقة الّتي عبقت بها رائحة الجنّة، فمن هناك الطيب بالهند، لأنّ الورقة هبّت عليها ريح الجنوب فأدّت رائحتها إلى المغرب، لأنّها احتملت رائحة الورقة في الجوّ، فلمّا ركدت الرّيح بالهند عبق (علق خ ل) بأشجارهم ونبتهم فكان أوّل بهيمة أرتعت من تلك الورقة ظبي المسك، فمن هناك صار المسك في سرّة الظبي، لأنّه جرى رائحة النبت في جسده وفي دمه حتّى اجتمعت في سرّة الظّبي[1].

بيان: قال الجوهريّ: عبق به الطّيب بالكسر: أي لزق به. قوله: (إلى المغرب) أي إلى غربيّ الهند، أو المعنى أنّ الرّيح حملت بعضها فأدّتها إلى بلاد المغرب أيضاً، فلذا قد يحصل بعض الطيب فيها أيضاً، لكن لمّا ركدت الرّيح وبقي أكثرها في الهند فهو فيه أكثر؛ أو أراد أنّ الرّيح حملت الرّائحة وذهبت إلى المغرب ثمّ رجعت بها إلى المشرق وركدت به.

٢٦ - **كا:** بالإسناد المتقدّم عن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى لمّا أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع، وطرح إليه غرساً من غروس الجنّة فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمّان فغرسها لتكون لعقبه وذرّيّته، فأكل هو من ثمارها، فقال له إبليس لعنه الله: يا آدم ما هذا الغرس الّذي لم أكن أعرفه في الأرض وقد كنت بها قبلك؟ ائذن لي آكل منها شيئاً، فأبى أن يطعمه، فجاء عند آخر عمر آدم فقال لحوّاء: إنّه قد أجهدني الجوع والعطش، فقالت له حوّاء: إنّ آدم عهد إليّ أن لا أطعمك شيئاً من هذا الغرس لأنّه من الجنّة، ولا ينبغي لك أن تأكل منه، فقال لها: فاعصري في كفّي منه شيئاً فأبت عليه، فقال: ذريني أمصّه ولا آكله، فأخذت عنقوداً من عنب فأعطته فمصّه ولم يأكل منه شيئاً لما كانت حوّاء قد أكّدت عليه، فلمّا ذهب بعضه جذبته حوّاء من فيه، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام: أنّ العنب قد مصّه عدوّي وعدوّك إبليس لعنه الله، وقد حرّمت عليك من عصيرة الخمر ما خالطه نفس إبليس فحرّمت الخمر لأنّ عدوّ الله إبليس مكر بحوّاء حتّى مصّ العنبة، ولو أكلها لحرّمت الكرمة من أوّلها إلى آخرها وجميع ثمارها وما يخرج منها، ثمّ إنّه قال لحوّاء: فلو أمصصتني شيئاً من هذا التمر كما أمصصتني من العنب، فأعطته تمرة فمصّها، وكانت العنبة والتمر أشدّ رائحة وأزكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل فلمّا مصّهما عدوّ الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما. قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ إنّ إبليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم عليه السلام فبال في أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عودهما ببول عدوّ الله، فمن ثمّ

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٧٧ باب ٣٩٢ ح ٣.

يختمر العنب والتمر، فحرّم الله عزّ وجلّ على ذرّيّة آدم كلّ مسكر، لأنّ الماء جرى ببول عدوّ الله في النخل والعنب وصار كلّ مختمر خمراً لأنّ الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدوّ الله إبليس لعنه الله[١].

بيان: وصار كلّ مختمر أي متغيّر الريح، قال ابن الأعرابيّ: سمّيت الخمر خمراً لأنّها تركت فاختمرت، واختمارها تغيّر ريحها. انتهى. والحاصل أنّه بيان لعلّة كون كلّ خمر منتناً.

٢٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن أبي خديجة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: العجوة أمّ التمر وهي الّتي أنزلها الله تعالى لآدم من الجنّة[٢].

كا: الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة مثله[٣].

٢٨ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن معمّر بن خلّاد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كانت نخلة مريم عليها السلام العجوة، ونزلت في كانون ونزل مع آدم عليه السلام العتيق والعجوة، ومنها تفرّق أنواع النخل[٤].

٢٩ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن يوسف بن السخت، عن حمدان بن النضر، عن محمّد ابن عبد الله الصيقل، عن الرضا عليه السلام قال: قال: في خمسة وعشرين من ذي القعدة نشرت الرحمة، ودحيت فيه الأرض، ونصبت فيه الكعبة، وهبط فيه آدم[٥].

٣٠ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن محمّد بن أحمد، عن أحمد بن هلال، عن عيسى بن عبد الله الهاشميّ، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان موضع الكعبة ربوة من الأرض بيضاء تضيء كضوء الشمس والقمر حتّى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودّت، فلمّا نزل آدم رفع الله له الأرض كلّها حتّى رآها، ثمّ قال: هذه لك كلّها، وقال: يا ربّ ما هذه الأرض البيضاء المنيرة؟ قال: هي أرضي، وقد جعلت عليك أن تطوف بها كلّ يوم سبعمائة طواف[٦].

٣١ - **كا:** العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن الحسن بن عمّارة، عن مسمع، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا هبط بآدم إلى الأرض احتاج إلى الطعام والشراب، فشكا ذلك إلى جبرئيل فقال له جبرئيل: يا آدم كن حرّاثاً، قال: فعلّمني دعاء قال: قل: اللّهمّ اكفني مؤونة الدنيا وكلّ هول دون الجنّة، وألبسني العافية حتّى تهنّئني المعيشة[٧].

---

(١) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٨ باب ٣١٧ ح ٢.

(٢) - (٣) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٢ باب ٢٦٨ ح ١٠ و١١.

(٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٣ باب ٢٦٨ ح ١٢.

(٥) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٣ باب ١٠٧ ح ٤.

(٦) الكافي، ج ٤ ص ٣٩٤ باب ١٣٠ ح ٤.

(٧) الكافي، ج ٥ ص ٧٢٨ باب ١٥٦ ح ٤.

٥ - باب تزويج آدم وحواء وكيفيّة بدء النسل منهما وقصة قابيل وهابيل وسائر أولادهما

الأيات؛ المائدة «٥»: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

تفسير: ﴿إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي فعلا فعلاً يتقرّب به إلى الله ﴿فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا﴾ قالوا: كانت علامة القبول في ذلك الزمان ناراً تأتي فتأكل المتقبّل ولا تأكل المردود، وقيل: تأكل المردود، والأوّل أظهر ﴿قَالَ﴾ أي الّذي لم يتقبّل منه للّذي تقبّل منه: ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾ فقال له: لمَ تقتلني؟ قال: لأنّه تقبّل قربانك ولم يتقبّل قرباني ﴿قَالَ﴾ الآخر: وما ذنبي؟ ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ قالوا: إنّ حوّاء كانت تلد في كلّ بطن غلاماً وجارية، فولدت أوّل بطن قابيل بن آدم، وقيل: قابين وتوأمته إقليما، والبطن الثاني هابيل وتوأمته لبوذا، فلمّا أدركوا جميعاً أمر الله آدم أن ينكح قابيل أخت هابيل، وهابيل أخت قابيل، فرضي هابيل وأبى قابيل لأنّ أخته كانت أحسنهما، وقال: ما أمر الله بهذا ولكن هذا من رأيك، فأمرهما آدم أن يقرّبا قرباناً فرضيا بذلك، فغدا هابيل وكان صاحب ماشية فأخذ من خير غنمه زبداً ولبناً، وكان قابيل صاحب زرع فأخذ من شرّ زرعه، ثمّ صعدا فوضعا القربان على الجبل، فأتت نار فأكلت قربان هابيل، وتجنّبت قربان قابيل، وكان آدم غائباً عنهم بمكّة خرج إليها ليزور البيت بأمر ربّه، فقال قابيل: لا عشت يا هابيل في الدنيا وقد تقبّل قربانك ولم يتقبّل قرباني، وتريد أن تأخذ أُختي الحسناء وآخذ أُختك القبيحة، فقال له هابيل ما حكاه الله، فشدخه بحجر فقتله، روي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام وغيره من المفسّرين ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾ أي شجّعته نفسه على قتل أخيه، أو زيّنت له، أو ساعدته نفسه وطاوعته على قتله أخاه. قال مجاهد: لم يدر كيف يقتله حتّى ظهر له إبليس في صورة طير فأخذ طيراً آخر وترك رأسه بين حجرين فشدخه ففعل قابيل مثله ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا﴾ روت العامّة عن جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال: قتل قابيل هابيل وتركه بالعراء لا يدري ما يصنع به، فقصده السباع فحمله في جراب على ظهره حتّى أروح وعكفت عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمي به فتأكله، فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، ثمّ حفر له بمنقاره وبرجله ثمّ ألقاه في الحفيرة وواراه وقابيل ينظر إليه فدفن أخاه. وعن ابن عبّاس قال: لمّا قتل قابيل هابيل أشاك الشجر وتغيّرت الأطعمة وحمضت الفواكه وأمرّ الماء واغبرّت الأرض، فقال آدم: قد حدث في الأرض حدث، فأتى الهند فإذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول:

تغيّرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبرٌّ قبيح
تغيّر كلّ ذي لون وطعم وقلّ بشاشة الوجه الصبيح

وقال سالم بن أبي الجعد: لمّا قتل هابيل عليه السلام مكث آدم سنة حزيناً لا يضحك ثمّ أُتي فقيل: حيّاك الله وبيّاك، أي أضحكك، قالوا: ولمّا مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين ولدت له حوّاء شيثاً وتفسيره هبة الله، يعني أنّه خلف من هابيل، وكان وصيّ آدم ووليّ عهده[1]، وأمّا قابيل فقيل له: اذهب طريداً شريداً فزعاً مذعوراً لا يأمن من يراه، وذهب إلى عدن من اليمن فأتاه إبليس فقال: إنّما أكلت النار قربان هابيل لأنّه كان يعبدها، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك، فبنى بيت نار وهو أوّل من نصب النار وعبدها، واتّخذ أولاده آلات اللّهو من اليراع والطنبور والمزامير والعيدان، وانهمكوا في اللّهو وشرب الخمر وعبادة النار والزنا والفواحش حتّى غرقهم الله أيّام نوح بالطوفان وبقي نسل شيث. ﴿سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ أي عورته أو جيفته ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ﴾ على قتله، ولكن لم يندم على الوجه الّذي يكون توبة، وقيل: من النادمين على حمله لا على قتله، وقيل: على موت أخيه لا على ارتكاب الذنب[2].

١ - ع: ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار معاً، عن الأشعريّ، عن أحمد ابن الحسن بن فضّال، عن أحمد بن إبراهيم بن عمّار، عن ابن نويه، عن زرارة قال سئل أبو عبد الله عليه السلام كيف بدأ النسل من ذرّيّة آدم عليه السلام فإنّ عندنا أناساً يقولون: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم عليه السلام أن يزوّج بناته من بنيه، وأنّ هذه الخلق كلّهم أصله من الإخوة والأخوات. قال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله، وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً، يقول من يقول هذا: إنّ الله عزّ وجلّ جعل أصل صفوة خلقه وأحبّائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر الطيّب؟ والله لقد تبيّنت أنّ بعض البهائم تنكّرت له أخته فلمّا نزا عليها ونزل كشف له عنها وعلم أنّها أخته أخرج غرموله ثمّ قبض عليه بأسنانه ثمّ قلعه ثمّ خرّ ميّتاً. قال زرارة: ثمّ سئل عليه السلام عن خلق حوّاء وقيل له: إنّ أناساً عندنا يقولون: إنّ

---

(١) وفي المجمع: شيث وصيّ آدم، وهو هبة الله بن آدم، ولد بعد هابيل بخمس سنين ولم يعقب ولد أبيه غيره، وإليه تنتهي أنساب الناس، وعاش سبعمأة واثنتي عشرة سنة، وقيل ألف سنة وأربعين، وروي أنّ شيث أول ولد ولد لآدم عليه السلام، ويافث ولد بعده، أنزل الله لهما حوريتين من الجنة احديهما نزلة والاخرى منزلة، فزوج نزلة شيث ومنزلة يافث، فولد لشيث غلام وليافث جارية فتزاوجا وصار النسل منهما. وفي رواية أخرى فتزوج يافث ابنة من الجان فما كان في الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان من سوء الخلق فهو من ابنة الجان؛ انتهى. [مستدرك السفينة ج ٦ لغة «شيث»]

(٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣١٤.

الله عزّوجلّ خلق حوّاء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، قال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً! يقول من يقول هذا: إنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه، وجعل لمتكلّم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام، يقول: إنّ آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه، ما لهؤلاء؟ حكم الله بيننا وبينهم. ثمّ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا خلق آدم من طين أمر الملائكة فسجدوا له وألقى عليه السّبات ثمّ ابتدع له خلقاً، ثمّ جعلها في موضع النقرة الّتي بين ركبتيه، وذلك لكي تكون المرأة تبعاً للرجل، فأقبلت تتحرّك فانتبه لتحرّكها فلمّا انتبه نوديت أن تنحّي عنه، فلمّا نظر إليها نظر إلى خلق حسن يشبه صورته غير أنّها أنثى، فكلّمها فكلّمته بلغته فقال لها: من أنت؟ فقالت: خلق خلقني الله كما ترى، فقال آدم عند ذلك: يا ربّ من الخلق الحسن الّذي قد آنسني قربه والنظر إليه؟ فقال الله: هذه أمتي حوّاء، أفتحبّ أن تكون معك فتؤنسك وتحدّثك وتأتمر لأمرك؟ قال: نعم يا ربّ ولك بذلك الشكر والحمد ما بقيت، فقال تبارك وتعالى: فاخطبها إليّ فإنّها أمتي وقد تصلح أيضاً للشهوة، وألقى الله عليه الشهوة، وقد علّم قبل ذلك المعرفة، فقال: يا ربّ فإنّي أخطبها إليك فما رضاك لذلك؟ قال: رضاي أن تعلّمها معالم ديني، فقال: ذلك لك يا ربّ إن شئت ذلك، فقال عزّوجلّ: قد شئت ذلك وقد زوّجتكها فضمّها إليك، فقال: أقبلي، فقالت: بل أنت فأقبل إليّ، فأمر الله عزّوجلّ لآدم أن يقوم إليها فقام، ولولا ذلك لكنّ النساء هنّ يذهبن إلى الرجال حين خطبن على أنفسهنّ فهذه قصّة حوّاء صلوات الله عليها[1].

بيان: الغرمول بالضمّ: الذّكر. والسبات كغراب: النوم.

اعلم أنّ المشهور بين العامّة مؤرّخيهم ومفسّريهم أنّ حوّاء خلقت من ضلع آدم عليه السلام ويدلّ عليه بعض أخبارنا أيضاً، ويدلّ هذا الخبر وغيره من الأخبار على نفي ذلك، فالأخبار الواردة موافقة للعامّة إمّا محمولةٌ على التقيّة، أو على أنّها خلقت من فضلة طينة أضلاعه.

قال الرازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[2] المراد من هذا الزوج هو حوّاء، وفي كون حوّاء مخلوقة من آدم قولان: الأوّل: وهو الّذي عليه الأكثرون أنّه لمّا خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثمّ خلق حوّاء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلمّا استيقظ رآها ومال إليها وألفها لأنها كانت مخلوقة من أجزائه، واحتجّوا عليه بقول النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ المرأة خلقت من ضلع، فإن ذهبت تقيمها كسرتها، وإن تركتها وفيها عوج استمتعت بها.

والقول الثاني وهو اختيار أبي مسلم الإصفهانيّ أنّ المراد من قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من جنسها، وهو كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[3] وكقوله: ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٩ باب ١٧ ح ١. (٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة النحل، الآية: ٧٢.

رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾[١] وقوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال القاضي: والقول الأوّل أقوى لكي يصحّ قوله: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ إذ لو كان حوّاء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة، ويمكن أن يجاب عنه بأنّ كلمة من لابتداء الغاية، فلمّا كان ابتداء التخليق والإيجاد وقع بآدم عليه السلام صحّ أن يقال: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وأيضاً فلمّا ثبت أنّه تعالى قادر على خلق آدم من التراب كان قادراً على خلق حوّاء من التراب، وإذا كان الأمر كذلك فأيّ فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام، انتهى[٢].

أقول: يمكن أن يقال: المراد بالخلق من نفس واحدة الخلق من أب واحد، كما يقال: بنو تميم كلّهم نشؤوا من تميم، ولا ينافيه شركة الأمّ كما لا ينافيه اشتراط سائر الشرائط واشتراك غيرها من العلل. ثمّ اعلم أنّه يحتمل أن تكون (من) في قوله: ﴿مِنْهَا﴾ تعليليّة أي لأجلها.

٢ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن النوفليّ، عن عليّ بن داود اليعقوبيّ، عن الحسن بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدءِ النسل من آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام كيف كان؟ وعن بدءِ النّسل من ذرّيّة آدم فإنّ أناساً عندنا يقولون: إنّ الله تعالى أوحى إلى آدم أن يزوّج بناته بنيه، وأنّ هذا الخلق كلّه أصله من الإخوة والأخوات، فقال أبو عبد الله عليه السلام: تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً يقول من قال هذا: بأنّ الله عزّ وجلّ خلق صفوة خلقه وأحبّاءه وأنبياءه ورسله والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من حلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال الطّهر الطّاهر الطيّب، فوالله لقد تبيّنت أنّ بعض البهائم تنكّرت له أخته فلمّا نزا عليها ونزل كشف له عنها، فلمّا علم أنّها أخته أخرج غرموله ثمّ قبض عليه بأسنانه حتّى قطعه فخرّ ميتاً، وآخر تنكّرت له أمّه ففعل هذا بعينه، فكيف الإنسان في إنسيّته وفضله وعلمه؟! غير أنّ جيلاً من هذا الخلق الّذي ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم وأخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما قد ترون من الضلال والجهل بالعلم، كيف كانت الأشياء الماضية من بدءِ أن خلق الله ما خلق وما هو كائن أبداً. ثمّ قال: ويح هؤلاء أين هم عمّا لم يختلف فيه فقهاء أهل الحجاز ولا فقهاء أهل العراق أنّ الله عزّ وجلّ أمر القلم فجرى على اللّوح المحفوظ بما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق آدم بألفي عام، وأنّ كتب الله كلّها فيما جرى فيه القلم في كلّها تحريم الإخوة مع ما حرّم، وهذا نحن قد نرى منها هذه الكتب الأربعة المشهورة في هذا العالم: التوراة والإنجيل والزّبور والقرآن أنزلها الله من اللّوح المحفوظ على رسله صلوات الله عليهم أجمعين، منها التوراة على موسى، والزبور على داود، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمّد صلى الله عليه وآله وعلى النبيّين ليس فيها تحليل شيء من ذلك حقّاً. أقول: ما أراد من يقول هذا وشبهه إلاّ تقوية حجج المجوس، فما

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٢) تفسير فخر الرازي، ج ٩ المجلد الثالث ص ٤٧٧.

لهم قتلهم الله؟! ثمّ أنشأ يحدّثنا كيف كان بدء النسل من آدم، وكيف كان بدء النسل من ذرّيّته، فقال: إنّ آدم عليه السلام ولد له سبعون بطناً في كلّ بطن غلام وجارية إلى أن قتل هابيل، فلمّا قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعاً قطعه عن إتيان النساء، فبقي لا يستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائة عام، ثمّ تخلّى ما به من الجزع عليه فغشي حوّاء فوهب الله له شيثاً وحده ليس معه ثاني، واسم شيث هبة الله وهو أوّل وصيّ أوصي إليه من الآدميّين في الأرض، ثمّ ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثاني، فلمّا أدركا وأراد الله عزّ وجلّ أن يبلغ بالنسل ما ترون وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم الله عزّ وجلّ من الأخوات على الإخوة أنزل بعد العصر في يوم الخميس حوراء من الجنّة اسمها بركة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من شيث فزوّجها منه، ثمّ نزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنّة اسمها منزلة فأمر الله عزّ وجلّ آدم أن يزوّجها من يافث فزوّجها منه فولد لشيث غلام وولد ليافث جارية، فأمر الله عزّ وجلّ آدم حين أدركا أن يزوّج بنت يافث من ابن شيث، ففعل ذلك فولد الصفوة من النبيّين والمرسلين من نسلهما، ومعاذ الله أنّ ذلك على ما قالوا من الإخوة والأخوات[(١)].

بيان: قوله عليه السلام: (وإنّ كتب الله كلّها فيما جرى فيه القلم) لعلّ وجه الاستدلال أنّ اتّفاق تلك الكتب السماويّة المعروفة على التحريم مع اختلاف الشرائع دليل على أنّه ممّا لا يختلف باختلاف الأزمان والأحوال، ويكون ذكر ثبت جميع الأمور في اللّوح لبيان ظهور فظاعة هذا القول لاستلزامه أن يكون ثابتاً في اللّوح في صحف آدم حرمة ذلك وفي ذكر تقدير خلق أولاد آدم كونهم من الإخوة والأخوات فيلزم إثبات المتناقضين فيه، ويحتمل أن يكونوا قائلين بكون ذلك حراماً في جميع الشرائع، ومع ذلك قالوا بهذا ذاهلين عمّا يلزمهم في ذلك من التناقض لكنّه بعيد جداً.

٣ - **لي:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مقاتل بن سليمان، عن الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أوصى آدم إلى شيث وهو هبة الله بن آدم، وأوصى شيث إلى ابنه شبان وهو ابن نزلة الحوراءِ الّتي أنزلها الله على آدم من الجنّة فزوّجها ابنه شيثاً؛ الخبر[(٢)].

٤ - **ج:** عن الثماليّ قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه السلام يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا تاب الله على آدم، واقع حوّاء ولم يكن غشيها منذ خلق وخلقت إلاّ في الأرض وذلك بعد ما تاب الله عليه، وكان آدم يعظّم البيت وما حوله من حرمة البيت، وكان إذا أراد أن يغشى حوّاء خرج من الحرم وأخرجها معه، فإذا جاز الحرم غشيها في الحلّ ثمّ يغتسلان إعظاماً منه للحرم، ثمّ يرجع إلى فناء البيت، قال: فولد لآدم من حوّاء عشرون ولداً ذكراً، وعشرون أنثى، فولد له في كلّ بطن ذكر وأنثى، فأوّل بطن ولدت حوّاء هابيل ومعه جارية يقال لها

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٠ باب ١٧ ح ٢. (٢) أمالي الصدوق، ص ٣٢٨ مجلس ٦٣ ح ٣.

إقليما، قال: وولدت في البطن الثاني، قابيل ومعه جارية يقال لها لوزا، وكانت لوزا أجمل بنات آدم، قال: فلمّا أدركوا خاف عليهم آدم الفتنة فدعاهم إليه وقال: أُريد أن أُنكحك يا هابيل لوزا، وأُنكحك يا قابيل إقليما، قال قابيل: ما أرضى بهذا، أتنكحني أخت هابيل القبيحة وتنكح هابيل أُختي الجميلة؟ قال آدم: فأنا أقرع بينكما فإن خرج سهمك يا قابيل على لوزا وخرج سهمك يا هابيل على إقليما زوّجت كلّ واحد منكما الّتي خرج سهمه عليها، قال: فرضيا بذلك فاقترعا قال: فخرج سهم هابيل على لوزا أُخت قابيل وخرج سهم قابيل على إقليما أُخت هابيل، قال: فزوّجهما على ما خرج لهما من عند الله، قال: ثمّ حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك. قال: فقال له القرشيّ: فأولداهما؟ قال: نعم قال: فقال القرشيّ: فهذا فعل المجوس اليوم، قال: فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ المجوس إنّما فعلوا ذلك بعد التحريم من الله. ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لا تنكر هذا أليس الله قد خلق زوجة آدم منه ثمّ أحلّها له؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك[1].

٥ -ب: ابن عيسى، عن البزنطيّ قال: سألت الرضا عليه السلام عن الناس كيف تناسلوا من (عن خ) آدم عليه السلام؟ فقال: حملت حوّاء هابيل وأختاً له في بطن، ثمّ حملت في البطن الثاني قابيل وأُختاً له في بطن، فزوّج هابيل الّتي مع قابيل وتزوّج قابيل الّتي مع هابيل، ثمّ حدث التحريم بعد ذلك[2].

بيان: هذان الخبران محمولان على التقيّة لاشتهار ذلك بين العامّة.

٦ - كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً من كتاب الشفاء والجلاء بإسناده عن معاوية ابن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن آدم أبي البشر أكان زوّج ابنته من ابنه؟ فقال: معاذ الله، والله لو فعل ذلك آدم عليه السلام لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وآله وما كان آدم إلاّ على دين رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلت: وهذا الخلق من ولد من هم ولم يكن إلاّ آدم وحوّاء؟ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗ ﴾ فأخبرنا أنّ هذا الخلق من آدم وحوّاء عليهما السلام فقال عليه السلام: صدق الله وبلّغت رسله وأنا على ذلك من الشاهدين، فقلت: فسّر لي يا ابن رسول الله، فقال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا أهبط آدم وحوّاء إلى الأرض وجمع بينهما ولدت حوّاء بنتاً فسمّاها عناقاً، فكانت أوّل من بغى على وجه الأرض فسلّط الله عليها ذئباً كالفيل ونسراً كالحمار فقتلاها، ثمّ ولد له أثر عناق قابيل بن آدم، فلمّا أدرك قابيل ما يدرك الرجل أظهر الله عزّ وجلّ جنّيّة من ولد الجانّ يقال لها جهانة في صورة إنسيّة، فلمّا رآها قابيل ومقها فأوحى الله إلى آدم: أن زوّج جهانة من قابيل فزوّجها من قابيل، ثمّ ولد لآدم هابيل فلمّا أدرك هابيل ما يدرك الرّجل أهبط الله إلى آدم حوراء واسمها ترك الحوراء، فلمّا رآها هابيل ومقها فأوحى الله إلى آدم أن زوّج تركاً من هابيل ففعل ذلك،

(١) الاحتجاج، ص ٢١٤.

(٢) قرب الإسناد، ص ٣٦٦ ح ١٣١١.

فكانت ترك الحوراء زوجة هابيل بن آدم، ثمّ أوحى الله عزّوجلّ إلى آدم: سبق علمي أن لا أترك الأرض من عالم يعرف به ديني وأن أخرج ذلك من ذرّيّتك فانظر إلى اسمي الأعظم وإلى ميراث النبوّة وما علّمتك من الأسماء كلّها وما يحتاج إليه الخلق من الأثرة عنّي فادفعه إلى هابيل، قال: ففعل ذلك آدم بهابيل فلمّا علم قابيل ذلك من فعل آدم غضب فأتى آدم فقال له: يا أبه ألست أكبر من أخي وأحقّ بما فعلت به؟ فقال آدم: يا بنيّ إنّما الأمر بيد الله يؤتيه من يشاء، وإن كنت أكبر ولدي فإنّ الله خصّه بما لم يزل له أهلاً، فإن كنت تعلم أنّه خلاف ما قلت ولم تصدّقني فقرّبا قرباناً فأيّكما قبل قربانه فهو أولى بالفضل من صاحبه، قال: وكان القربان في ذلك الوقت تنزل نارٌ فتأكله، فخرجا فقرّبا قرباناً كما ذكر الله في كتابه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ﴾ قال: وكان قابيل صاحب زرع فقرّب قمحاً نسياً رديئاً، وكان هابيل صاحب غنم فقرّب كبشاً سميناً من خيار غنمه، فأكلت النار قربان هابيل ولم تأكل قربان قابيل، فأتاه إبليس لعنه الله فقال: يا قابيل إنّ هذا الأمر الّذي أنت فيه ليس بشيء لأنّه إنّما أنت وأخوك، فلو ولد لكما ولدٌ وكثر نسلكما افتخر نسله على نسلك بما خصّه به أبوك، ولقبول النار قربانه وتركها قربانك، وإنّك إن قتلته لم يجد أبوك بدّاً من أن يخصّك بما دفعه إليه، قال: فوثب قابيل إلى هابيل فقتله.

ثمّ قال إبليس: إنّ النّار الّتي قبلت القربان هي المعظّمة فعظّمها، واتّخذ لها بيتاً، واجعل لها أهلاً، وأحسن عبادتها والقيام عليها فتقبل قربانك إذا أردت ذلك، قال: ففعل قابيل ذلك، فكان أوّل من عبد النار واتخذ بيوت النيران، وإنّ آدم أتى الموضع الّذي قتل فيه قابيل أخاه فبكى هناك أربعين صباحاً يلعن تلك الأرض حيث قبلت دم ابنه، وهو الّذي فيه قبلة المسجد الجامع بالبصرة، قال: وإنّ هابيل يوم قتل كانت امرأته ترك الحوراء حبلى فولدت غلاماً فسمّاه آدم باسم ابنه هابيل، وإنّ الله عزّوجلّ وهب لآدم بعد هابيل ابناً فسمّاه شيثاً، ثمّ قال: ابني هذا هبة الله، فلمّا أدرك شيث ما يدرك الرجل أهبط الله على آدم حوراء يقال لها ناعمة في صورة إنسيّة، فلمّا رآها شيث ومقها فأوحى الله إلى آدم: أن زوّج ناعمة من شيث ففعل ذلك آدم فكانت ناعمة الحوراء زوجة شيث فولدت له جارية فسمّاها آدم حوريّة، فلمّا أدركت أوحى الله إلى آدم أن زوّج حوريّة من هابيل بن هابيل ففعل ذلك آدم فهذا الخلق الّذي ترى من هذا النّسل، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ وقوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي من الطينة الّتي خلق منها آدم. قال: فلمّا انقضت نبوّة آدم وفني أجله أوحى الله إليه: قد انقضت نبوّتك وفنيت أيّامك فانظر إلى اسم الله الأعظم وما علّمتك من الأسماء كلّها وأثرة النبوّة وما يحتاج الناس إليه فادفعه إلى شيث، وأمره أن يقبله بكتمان وتقيّة من أخيه لئلاً يقتله كما قتل هابيل فإنّه قد سبق في علمي أن لا أخلّي الأرض من عالم يعرف به ديني ويكون فيه نجاة لمن تولاّه فيما بينه وبين العالم الّذي آمره بإظهار ديني، وأخرج ذلك من ذرّيّة شيث وعقبه، فدعا آدم شيثاً وقال: يا بنيّ

اخرج وتعرّض لجبرئيل أو لمن لقيت من الملائكة وأخبره بوجعي واسأله أن يهدي إليّ من فاكهة الجنّة قبل أن أموت، وقد كان سبق في علم الله تعالى أن لا يأكل آدم من ثمار الجنّة حتّى يعود إليها، فخرج شيث فلقي جماعة من الملائكة فأبلغهم ما أمره آدم، فقال جبرئيل: يا شيث آجرك الله في أبيك فقد قضى نحبه، فأهبطنا لنحضر الصلاة على أبيك، فانصرف مع الملائكة فوجد أباه قد مات فغسّله شيث مع جبرئيل عليه‌السلام، فلمّا فرغ شيث من غسله قال لجبرئيل: تقدّم فصلّ على آدم، فقال له جبرئيل: إنّا معاشر الملائكة أمرنا بالسجود لأبيك، وليس لأحد منّا أن يتقدّم بين يدي الأوصياء من ذرّيّته. قال: فتقدّم شيث فصلّى على آدم فكبّر عليه ثلاثين تكبيرة بأمر جبرئيل، فأقبل قابيل على شيث فقال له: أين الّذي دفعه إليك أبوك ممّا كان دفعه إلى هابيل؟ فأنكر ذلك وعلم أنّه إن أقرّ قتله، فلم يزل شيث يخبر العقب من ذرّيّته ويبشّرهم ببعثة نوح ويأمرهم بالكتمان، وإنّ آدم أخبره أنّ الله بشّره بأنّه باعث من ذرّيّته نبيّاً يقال له نوح يدعو قومه إلى الله فيكذّبونه فيهلكهم بالغرق، وكان بين آدم ونوح عشرة آباء[1].

بيان: ومقه كورثه: أحبّه. والأثرة بالضمّ: نقل الحديث وبقيّة العلم والمكرمة المتوارثة. قوله: نسياً أي متروكاً فاسداً.

٧ - **ج:** عن أبان بن تغلب قال: دخل طاوس اليمانيّ إلى الطواف ومعه صاحب له فإذا هو بأبي جعفر عليه‌السلام يطوف أمامه وهو شابّ حدث، فقال طاوس لصاحبه: إنّ هذا الفتى لعالمٌ، فلمّا فرغ من طوافه صلّى ركعتين ثمّ جلس فأتاه الناس فقال طاوس لصاحبه: نذهب إلى أبي جعفر عليه‌السلام نسأله عن مسألة لا أدري عنده فيها شيء، فأتياه فسلّما عليه ثمّ قال له طاوس: يا أبا جعفر هل تعلم أيّ يوم مات ثلث الناس؟ فقال: يا أبا عبد الرحمن لم يمت ثلث الناس قطّ، بل إنّما أردت ربع الناس! قال: وكيف ذلك؟ قال: كان آدم وحوّاء وقابيل وهابيل فقتل قابيل هابيل فذلك ربع النّاس، قال: صدقت، قال أبو جعفر عليه‌السلام: هل تدري ما صنع بقابيل؟ قال: لا، قال: علّق بالشمس ينضح بالماء الحارّ إلى أن تقوم الساعة[2].

بيان: لعلّه كان ماتت أختا قابيل وهابيل قبل شهادة هابيل ولم يحضر قابيل دفنهما أو كان ذكر أختيهما محمولاً على التقيّة، أو كان هذا الجواب على وفق علم السائل للمصلحة وسيأتي ما يؤيّد الأخير.

٨ - **فس:** عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن الثماليّ، عن ثوير بن أبي فاختة قال: سمعت عليّ بن الحسين عليه‌السلام يحدّث رجلاً من قريش قال: لمّا قرّب ابنا آدم القربان قرّب أحدهما أسمن كبش كان في ضأنه، وقرّب الآخر ضغثاً من سنبل فتقبّل من صاحب

---

(١) ذكرهم المسعودي في إثبات الوصية هكذا: شيث وريان وقينان وآحيلث وغنميشا وادريس ويرد واخنوخ ومتوشلخ ولمك.

(٢) الاحتجاج، ص ٣٢٦.

الكبش وهو هابيل، ولم يتقبّل من الآخر، فغضب قابيل فقال لهابيل: والله لأقتلنّك، فقال هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ فلم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه فقال. ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه، فلمّا قتله لم يدر ما يصنع به فجاء غرابان فأقبلا يتضاربان حتّى اقتتلا فقتل أحدهما صاحبه، ثمّ حفر الّذي بقي الأرض بمخالبه ودفن فيه صاحبه، قال قابيل: ﴿يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ فحفر له حفيرةً ودفن فيها فصارت سنّة يدفنون الموتى، فرجع قابيل إلى أبيه فلم ير معه هابيل فقال له آدم: أين تركت ابني قال له قابيل: أرسلتني عليه راعياً؟ فقال آدم: انطلق معي إلى مكان القربان وأحسّ قلب آدم بالّذي فعل قابيل، فلمّا بلغ مكان القربان استبان قتله، فلعن آدم الأرض الّتي قبلت دم هابيل، وأمر آدم أن يلعن قابيل، ونودي قابيل من السّماء: لعنت كما قتلت أخاك، ولذلك لا تشرب الأرض الدم، فانصرف آدم فبكى على هابيل أربعين يوماً وليلة، فلمّا جزع عليه شكا ذلك إلى الله فأوحى الله إليه: إنّي واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل، فولدت حوّاء غلاماً زكيّاً مباركاً، فلمّا كان يوم السابع أوحى الله إليه: يا آدم إنّ هذا الغلام هبة منّي لك فسمّه هبة الله، فسمّاه آدم هبة الله[(١)].

تفسير: ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ﴾ قيل: إنّ القتل على سبيل المدافعة لم يكن مباحاً في ذلك الوقت، وقيل: إنّ المعنى: لئن بسطت إليّ يدك على سبيل الظلم والابتداءِ لتقتلني ما أنا بباسط إليك يدي على وجه الظلم والابتداء.

وقال السيّد المرتضى قدّس سرّه: المعنى إنّي لا أبسط يدي إليك للقتل، لأنّ المدافع إنّما يحسن منه المدافعة للظالم طلباً للتخلّص من غير أن يقصد إلى قتله ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ﴾ أي إثمي لو بسطت إليك يدي، وإثمك ببسطك يدك إليّ، أو بإثم قتلي وبإثمك الّذي من أجله لم يتقبّل قربانك؛ قيل: لم يرد معصية أخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام إلى أنّ ذلك إن كان لا محالة واقعاً فأريد أن يكون لك لا لي، فالمقصود بالذّات أن لا يكون له لا أن يكون لأخيه، ويجوز أن يكون المراد بالإثم عقوبته وإرادة عقاب العاصي جائزة[(٢)] وقال الجوهريّ: الشدخ: كسر الشيء الأجوف، تقول: شدخت رأسه فانشدخ.

٩ - **قص:** أبي، عن عثمان بن عيسى، عن أبي أيّوب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنت جالساً معه في المسجد الحرام فإذا طاوس في جانب يحدّث أصحابه حتّى قال: أتدري أيّ يوم قتل نصف الناس؟ فأجابه أبو جعفر عليه السلام فقال: أو ربع الناس يا طاوس، فقال: أو ربع الناس، فقال: أتدري ما صنع بالقاتل؟ فقلت: إنّ هذه لمسألةٌ فلمّا

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٣.   (٢) مجمع البيان، ج ٣ ص ٣١٦.

كان من الغد غدوت على أبي جعفر عليه السلام فوجدته قد لبس ثيابه وهو قاعدٌ على الباب ينتظر الغلام أن يسرج له، فاستقبلني بالحديث قبل أن أسأله فقال: إنّ بالهند - أو من وراءِ الهند - رجلاً معقولاً برجله يلبس المسح موكّل به عشرة نفر، كلّما مات رجل منهم أخرج أهل القرية بدله، فالناس يموتون والعشرة لا ينقصون ويستقبلون بوجهه الشمس حين تطلع يديرونه معها حتّى تغيب، ثمّ يصبّون عليه في البرد الماء البارد، وفي الحرّ الماء الحارّ، قال: فمرّ عليه رجلٌ من الناس فقال له: من أنت يا عبدالله؟ فرفع رأسه ونظر إليه ثمّ قال: إمّا أن تكون أحمق الناس، وإمّا أن تكون أعقل الناس إنّي لقائم ههنا منذ قامت الدنيا ما سألني أحدٌ غيرك من أنت. ثمّ قال: يزعمون أنّه ابن آدم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ ولفظ الآية خاصّ في بني إسرائيل ومعناها عامّ جار في الناس كلّهم[1].

١٠ - فس: أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله رأيت أمراً عظيماً؛ فقال: وما رأيت؟ قال: كان لي مريض ونعت له ماء من بئر الأحقاف يستشفى به في برهوت، قال: فتهيّأت ومعي قربة وقدح لآخذ من مائها وأصبّ في القربة إذا شيء قد هبط من جوّ السماءِ كهيئة السلسلة وهو يقول: يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت رأسي ورفعت إليه القدح لأسقيه فإذا رجلٌ في عنقه سلسلةٌ فلمّا ذهبت أناوله القدح اجتذب حتى علّق بالشمس، ثمّ أقبلت على الماءِ أغرف إذ أقبل الثانية وهو يقول: العطش يا هذا اسقني الساعة أموت، فرفعت القدح لأسقيه فاجتذب حتّى علّق بالشمس حتّى فعل ذلك الثالثة فشددت قربتي ولم أسقه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذاك قابيل بن آدم قتل أخاه وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾[2].

١١ - ع، ل، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل. وسأله عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطيّر منه، فقال عليه السلام: هو آخر أربعاء وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه[3].

١٢ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٧٤. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦٢.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١، والخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨.

إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم، وفرعون الّذي قال ﴿أَنَا رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ واثنان في هذه الأمّة[1].

بيان: الاثنان من هذه الأمّة أبو بكر وعمر.

١٣ - **ل:** الدقّاق، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن نصير بن عبيد، عن نصر بن مزاحم، عن يحيى بن يعلى، عن يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن رجل من أهل الشام، عن أبيه قال: سمعت النبيّ ﷺ يقول: من شرّ خلق الله خمسة: إبليس وابن آدم الّذي قتل أخاه، وفرعون ذو الأوتاد، ورجل من بني إسرائيل ردّهم عن دينهم، ورجل من هذه الأمّة يبايع على كفر عند باب لدّ. قال: ثمّ قال: إنّي لمّا رأيت معاوية يبايع عند باب لدّ ذكرت قول رسول الله ﷺ فلحقت بعليّ عليه السلام فكنت معه[2].

بيان: قال الجزريّ: في حديث الدجّال: «فيقتله المسيح بباب اللد» لدّ موضع بالشام وقيل بفلسطين.

١٤ - **ع، ن، ل:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن أوّل من قال الشعر قال آدم، فقال: وما كان شعره؟ قال: لمّا أنزل إلى الأرض من السماء فرأى تربتها وسعتها وهواها وقتل قابيل هابيل فقال آدم عليه السلام:

تغيّرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبرٌّ قبيح
تغيّر كلّ ذي لون وطعم ... وقلّ بشاشة الوجه المليح

فأجابه إبليس:

تنحّ عن البلاد وساكنيها ... فبي بالخلد ضاق بك الفسيح
وكنت بها وزوجك في قرار ... وقلبك من أذى الدنيا مريح
فلم تنفكّ من كيدي ومكري ... إلى أن فاتك الثمن الربيح
فلولا رحمة الجبّار أضحت ... بكفّك من جنان الخلد ريح[3]

تتميم: أقول: زاد المسعوديّ في مروج الذّهب في شعر آدم عليه السلام بعد قوله: وقلّ بشاشة الوجه الصبيح:

وبدّل أهلها أثلاً وخمطاً ... بجنّات من الفردوس فيح
وجاورنا عدوّاً ليس ينسى ... لعين ما يموت فنستريح
ويقتل قاين هابيل ظلماً ... فوا أسفا على الوجه المليح

---

(١) الخصال، ص ٣٤٦ باب السبعة ح ١٥. (٢) الخصال، ص ٣١٩ باب الخمسة ح ١٠٤.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون اخبار الرضا ج ١، ص ٢٢٠ باب ٢٤ ح ١، والخصال ص ٢٠٩ باب الأربعة ح ٣٠.

فما لي لا أجود بسكب دمعي ... وهابيل تضمّنه الضريح
أرى طول الحياة عليّ غمّاً ... وما أنا من حياتي مستريح[(١)]

أقول: قوله: قيح إمّا بالقاف جمع القاحة بمعنى الساحة، أو بالفاء من الفيح بمعنى السعة، وقاين أحد ما قيل في اسم الولد القاتل، وفي أكثر نسخ التفاسير والتواريخ بالباء الموحّدة، وفي مروج الذهب بالمثنّاة من تحت، وقيل: قابين بالموحّدة ثمّ المثنّاة والمشهور قابيل باللاّم.

١٥ - ع: الدقّاق، عن الكليني، عن علاّن رفعه قال: سأل يهوديٌّ أمير المؤمنين عليه السلام: لمَ قيل للفرس إجد؟ ولمَ قيل للبغل عد؟ ولمَ قيل للحمار حر؟ فقال عليه السلام: إنّما قيل للفرس إجد لأنّ أوّل من ركب الخيل قابيل يوم قتل أخاه هابيل وأنشأ يقول:

أجد اليوم وما ... ترك الناس دما

فقيل للفرس أجد لذلك، وإنّما قيل للبغل عد لأنّ أوّل من ركب البغل آدم عليه السلام، وذلك أنّه كان له ابن يقال له معد وكان عشوقاً للدوابّ، وكان يسوق بآدم عليه السلام، فإذا تقاعس البغل نادى: يا معد سقها، فألقيت البغلة اسم معد، فترك النّاس معد وقالوا: عد. وإنّما قيل للحمار حر لأنّ أوّل من ركب الحمار حوّاء وذلك أنّه كان لها حمارة وكانت تركبها لزيارة قبر ولدها هابيل فكانت تقول في مسيرها: وا حرّاه فإذا قالت هذه الكلمات سارت الحمارة، وإذا أمسكت تقاعست فترك الناس ذلك وقالوا حر. الخبر[(٢)].

بيان: الظّاهر أنّ هذه الكلمات إنّما كانت تقال لتلك الدوابّ عند إرادة زجرها، قال الفيروزآباديّ: إجد بكسرتين ساكنة الدّال: زجرٌ للإبل، وقال: عدعد زجرٌ للبغل، وقال: الحر زجرٌ للبعير.

أقول: لعلّ الأولى والثّالثة كانتا لزجر الدابّتين فاستعملتا للإبل، ويحتمل أن تكون من أسامي تلك الدوابّ فتركت فلذا لم يذكرها اللّغويّون.

وقوله: أجد اليوم إمّا أمر من الإجادة، أو من أجد بمعنى اجتهد في الأمر، أي أجدّ السعي، أو جدّ فيه فإنّ النّاس لا يتركون الدم بل يطلبونه، أو على صيغة التكلّم بالتشديد فيرجع إلى ما مرّ، أو بالتخفيف من الوجدان، أي أجد النّاس اليوم لا يتركون الدم. قولها: وا حرّاه ندبة على ولدها، وفي بعض النسخ: وا حرة خطاباً للحمارة والأوّل أظهر.

١٦ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب وابن عيسى معاً، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، وكرام بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قابيل لمّا رأى النّار قد قبلت قربان هابيل قال له إبليس: إنّ هابيل كان يعبد تلك

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ٤٢. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢ باب ١ ح ١.

النار، فقال قابيل: لا أعبد النار الّتي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً أخرى وأقرّب قرباناً لها فتقبل قرباني، فبنى بيوت النار فقرّب ولم يكن له علم بربّه عَزَّوَجَلَّ، ولم يرث منه ولده إلاّ عبادة النيران[1].

١٧ - ع: ابن المتوكّل، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عبد الله بن محمّد، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت الوحوش والطّير والسباع وكلّ شيء خلق الله عَزَّوَجَلَّ مختلطاً بعضه ببعض، فلمّا قتل ابن آدم أخاه نفرت وفزعت فذهب كلّ شيء إلى شكله[2].

ص: بالإسناد عن الصدوق مثله «ص ٦٠».

١٨ - ع: عليّ بن حاتم، عن أبي عبد الله بن ثابت، عن عبد الله بن أحمد، عن القاسم ابن عروة، عن بريد العجليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ أنزل حوراء من الجنّة إلى آدم فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر الجنّ فولدتا جميعاً، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجانّ، وأنكر أن يكون زوّج بنيه من بناته[3].

بيان: لعلّ وجه الجمع بينه وبين ما سبق إمّا بالتجوّز في الخبر السابق بأن يكون المراد بالحوراء الشبيهة بها في الجمال، أو في هذا الخبر بأن يكون المراد بكونها من الجنّ كونها شبيهة بهم في الخلق، ويمكن القول بالجمع بينهما في أحد ابنيه، وسيأتي ما يؤيّد الأخير.

١٩ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أبي جعفر، عن أبي الجوزاء، عن الحسين بن علوان، عن عمرو بن خالد، عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عَزَّوَجَلَّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجة له، وهبطت الحيّة ولا زوج لها، فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس فكانت ذرّيّته من نفسه، وكذلك الحيّة، وكانت ذرّيّة آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوّان لهما[4].

بيان: يمكن الجمع بينه وبين ما مرّ منه أنّه يبيض ويفرخ بأن يكون لواطه بنفسه سبباً لأن يبيض فيفرخ، أو يكون حصول الولد له على الوجهين.

٢٠ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن جعفر البغداديّ، عن عليّ بن معبد، عن الدهقان، عن درست، عن أبي خالد قال: سئل أبو عبد الله عليه السلام: النّاس أكثر أم بنو آدم؟ فقال: النّاس، قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنّك إذا قلت: الناس دخل آدم فيهم، وإذا قلت «بنو آدم» فقد تركت آدم لم تدخله مع بنيه، فلذلك صار الناس أكثر من بني آدم

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٣ باب ٢ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٤ باب ٥ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢٧ باب ٩٢ ح ١. (٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٦٧ باب ٣٤٠ ح ٢.

وإدخالك إيّاه معهم، ولمّا قلت بنو آدم نقص آدم من الناس[١].

٢١ - **فس:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس إنّ أوّل من بغى على الله عزّ وجلّ على وجه الأرض عناق بنت آدم، خلق الله لها عشرين إصبعاً في كلّ إصبع منها ظفران طويلان كالمنجلين العظيمين، وكان مجلسها في الأرض موضع جريب، فلمّا بغت بعث الله لها أسداً كالفيل وذئباً كالبعير ونسراً كالحمار وكان ذلك في الخلق الأوّل فسلّطهم الله عليها فقتلوها[٢].

بيان: أي كانت جثّة تلك السّباع هكذا عظيمة في الخلق الأوّل.

٢٢ - **مع:** أبي، عن سعد، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود يرفع الحديث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخذتموهنّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنّ بكلمات الله، فأمّا الأمانة فهي الّتي أخذ الله عزّ وجلّ على آدم حين زوّجه حوّاء، وأمّا الكلمات فهنّ الكلمات الّتي شرط الله عزّ وجلّ بها على آدم أن يعبده ولا يشرك به شيئاً ولا يزني ولا يتّخذ من دونه وليّاً[٣].

٢٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن أبي عمير، عن البطائنيّ، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ابن آدم حين قتل أخاه لم يدر كيف يقتله حتّى جاء إبليس فعلّمه قال: ضع رأسه بين حجرين ثمّ اشدخه[٤].

٢٤ - **ص:** بالإسناد عن الصّدوق، عن ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمر بن عثمان، عن العبقريّ، عن أسباط، عن رجل حدّثه عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما أنّ طاوساً قال في مسجد الحرام: أوّل دم وقع على الأرض دم هابيل حين قتله قابيل وهو يومئذ قتل ربع النّاس، فقال له زين العابدين عليه السلام: ليس كما قال إنّ أوّل دم وقع على الأرض دم حوّاء حين حاضت[٥]، يومئذ قتل سدس الناس، كان يومئذ: آدم وحوّاء وقابيل وهابيل وأختاهما بنتين كانتا. ثمّ قال عليه السلام: هل تدري ما صنع بقابيل؟ فقال القوم: لا ندري، فقال: وكل الله به ملكين يطلعان به مع الشمس إذا طلعت، ويغربان به مع الشمس إذا غربت، وينضجانه بالماء الحارّ مع حرّ الشمس حتّى تقوم الساعة[٦].

بيان: يظهر منه أنّ ما أجاب عليه السلام به سابقاً من تفسير الرّبع كان على زعم السائل.

٢٥ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن ابن بكير، عن أبي

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٩ باب ٦٨ ح ١. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١١.

(٣) معاني الأخبار، ص ١٢. (٤) قصص الأنبياء، ص ٥٩.

(٥) أقول: يمكن أن يقال بعدم التنافي بين هذه الرواية وبين ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من انّ أوّل دم وقع على وجه الأرض مشيمة حواء حين ولدت قابيل بن آدم لأنّ دم الحيض يحبس لغذاء الولد، وحين الولادة يقذف فيصير نفساً. [مستدرك السفينة ج ٣ لغة «دما»].

(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٩.

جعفر عليه السلام قال: إنّ بالمدينة لرجلاً أتى المكان الّذي فيه ابن آدم فرآه معقولاً معه عشرة موكلون به، يستقبلون بوجهه الشمس حيثما دارت في الصيف، ويوقدون حوله النّار، فإذا كان الشتاء يصبّون عليه الماء البارد، وكلّما هلك رجل من العشرة أخرج أهل القرية رجلاً، فقال له رجل: يا عبد الله ما قصتك لأيّ شيء ابتليت بهذا؟ فقال: لقد سألتني عن مسألة ما سألني أحد عنها قبلك، إنّك أكيس النّاس، وإنّك لأحمق النّاس[1].

٢٦ - ير: أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبيه، عن ابن بكير، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام مثله. وفيه: وإنّك لأحمق النّاس أو أكيس النّاس. وزاد في آخره: قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: أيعذّب في الآخرة، قال: فقال: ويجمع الله عليه عذاب الدنيا والآخرة[2].

٢٧ - بيان: كونه أكيس النّاس لأنّه سأل عمّا لم يسأل عنه أحد، وكونه أحمق النّاس لأنّه سأل ذلك رجلاً لم يؤمر ببيانه، وعلى ما في البصائر المراد أنّ السّؤال عن غرائب الأمور قد يكون لغاية الكياسة، وقد يكون لنهاية الحمق.

٢٨ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم معاً، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان هابيل راعي الغنم، وكان قابيل حرّاثاً، فلمّا بلغا قال لهما آدم عليه السلام: إنّي أحبّ أن تقرّبا إلى الله قرباناً لعلّ الله يتقبّل منكما، فانطلق هابيل إلى أفضل كبش في غنمه فقرّبه التماساً لوجه الله ومرضاة أبيه، فأمّا قابيل فإنّه قرّب الزّوان الّذي يبقى في البيدر الّذي لا تستطيع البقر أن تدوسه فقرّب ضغثاً منه لا يريد به وجه الله تعالى ولا رضى أبيه، فقبل الله قربان هابيل، وردّ على قابيل قربانه، فقال إبليس لقابيل: إنّه يكون لهذا عقب يفتخرون على عقبك بأن قبل قربان أبيهم، فاقتله حتّى لا يكون له عقب، فقتله فبعث الله تعالى جبرئيل فأجنّه، فقال قابيل: يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، يعني به مثل هذا الغريب الّذي لا أعرفه جاء ودفن أخي ولم أهتد لذلك، ونودي قابيل من السّماء: لعنت لما قتلت أخاك، وبكى آدم على هابيل أربعين يوماً وليلة[3].

بيان: قال الجوهريّ: الزوان: حبّ يخالط البرّ انتهى. والخبر يدلّ على أنّ الغراب يطلق بمعنى الغريب ولم نظفر عليه فيما عندنا من كتب اللّغة.

قال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه: قالوا كان هابيل أوّل ميّت من الناس، فلذلك لم يدر قابيل كيف يواريه وكيف يدفنه حتّى بعث الله غرابين أحدهما حيّ والآخر ميت، وقيل: كانا

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٩.
(٢) بصائر الدرجات، ص ٣٦٩ ج ٨ باب ١٢ ح ٤.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٠.

حيّين فقتل أحدهما صاحبه ثمّ بحث الأرض ودفنه فيه، ففعل قابيل مثل ذلك، عن ابن عبّاس وابن مسعود وجماعة؛ وقيل: معناه: بعث الله غراباً يبحث التّراب على القتيل، فلمّا رأى قابيل ما أكرم الله به هابيل وأن بعث طيراً ليواريه وتقبّل قربانه قال: يا ويلتى، عن الأصمّ، وقيل: كان ملكاً في صورة الغراب.

٢٩ -ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه الصلاة والسّلام قال: لمّا أوصى آدم عليه السلام إلى هابيل حسده قابيل فقتله، فوهب الله تعالى لآدم هبة الله، وأمره أن يوصي إليه، وأمره أن يكتم ذلك، قال: فجرت السنّة بالكتمان في الوصيّة، فقال قابيل لهبة الله: قد علمت أنّ أباك قد أوصى إليك فإن أظهرت ذلك أو نطقت بشيء منه لأقتلنّك كما قتلت أخاك[1].

٣٠ -ص: بالإسناد إلى الصّدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما قرّب ابنا آدم عليه السلام القربان فتقبّل من هابيل ولم يتقبّل من قابيل دخل قابيل من ذلك حسد شديد وبغى قابيل على هابيل، فلم يزل يرصده ويتّبع خلواته حتّى خلا به متنحّياً عن آدم عليه السلام فوثب عليه فقتله، وكان من قصّتهما ما قد بيّنه الله في كتابه من المحاورة قبل أن قتله[2].

٣١ -ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن ابن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قابيل أتى هبة الله عليه السلام فقال: إنّ أبي قد أعطاك العلم الّذي كان عنده، وأنا كنت أكبر منك وأحقّ به منك، ولكن قتلت ابنه فغضب عليّ فآثرك بذلك العلم عليّ، وإنّك والله إن ذكرت شيئاً ممّا عندك من العلم الّذي ورّثك أبوك لتتكبّر به عليّ وتفتخر عليّ لأقتلنّك كما قتلت أخاك، واستخفى هبة الله بما عنده من العلم لينقضي دولة قابيل، ولذلك يسعنا في قومنا التقيّة، لأنّ لنا في ابن آدم أسوة، قال: فحدّث هبة الله ولده بالميثاق سرّاً فجرت والله السنّة بالوصيّة من هبة الله في ولده يتوارثونها عالمٌ بعد عالم، فكانوا يفتحون الوصيّة كلّ سنة يوماً فيحدّثون أنّ أباهم قد بشّرهم بنوح عليه السلام، قال: وإنّ قابيل لمّا رأى النار الّتي قبلت قربان هابيل ظنّ قابيل أنّ هابيل كان يعبد تلك النّار ولم يكن له علم بربّه، فقال قابيل: لا أعبد النّار الّتي عبدها هابيل، ولكن أعبد ناراً وأقرّب قرباناً لها، فبنى بيوت النيران[3].

٣٢ -ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النّوفليّ، عن علي بن سالم، عن أبيه، عن أبي بصير قال: كان أبو جعفر الباقر عليه السلام جالساً في الحرم وحوله عصابةٌ من أوليائه إذ أقبل طاوس اليمانيّ في جماعة، فقال: من صاحب

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراونديّ، ص ٦١. (٣) قصص الأنبياء للراونديّ، ص ٦٦.

الحلقة؟ قيل: محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام، قال: إيّاه أردت، فوقف بحياله وسلّم وجلس ثمّ قال: أتأذن لي في السؤال؟ فقال الباقر عليه السلام: قد آذنّاك فسل، قال: أخبرني بيوم هلك ثلث الناس، فقال: وهمت يا شيخ أردت أن تقول ربع النّاس وذلك يوم قتل هابيل، كانوا أربعة: قابيل وهابيل وآدم وحوّاء عليهما السلام فهلك ربعهم، فقال: أصبتَ ووهمتُ أنا، فأيّهما كان الأب للناس القاتل أو المقتول؟ قال: لا واحد منهما، بل أبوهم شيث بن آدم عليه السلام[١].

بيان: لعلّ المراد النّاس الموجودون في ذلك الزمان، لئلاّ ينافي ما مرّ في خبر ابن أبي الديلم أنّه لم يرث منه ولده إلاّ عبادة النيران بأن تكون أولاده قد انقرضوا في زمن نوح عليه السلام أو قبله، لكنَّ الجمع بين ذلك الخبر والخبر الثاني من الباب لا يخلو من إشكال إلاّ أن يتجوّز في الأولاد، أو يقال: لعلّه وقع له أيضاً تزويج من جنّيّة أو غيرها، أو يقال: يمكن أن يكون أولاده من الزنا، ويؤيّد الأوسط ما مرّ من كتاب المحتضر وما سيأتي من خبر الحضرميّ وخبر سليمان بن خالد. وقال ابن الأثير في الكامل: ثمّ انقرض ولد قابيل ولم يتركوا عقباً إلاّ قليلاً، وذرّيّة آدم كلّهم جهلت أنسابهم وانقطع نسلهم إلاّ ما كان من شيث فمنه كان النسل، وأنساب الناس اليوم كلّهم إليه دون أبيه آدم عليه السلام.

٣٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب قال: لمّا أراد قابيل أن يقتل أخاه ولم يدر كيف يصنع عمد إبليس إلى طائر فرضخ رأسه بحجر فقتله فتعلّم قابيل، فساعة قتله أرعش جسده ولم يعلم ما يصنع أقبل غراب يهوي على الحجر الّذي دمغ أخاه فجعل يمسح الدم بمنقاره، وأقبل غراب آخر حتّى وقع بين يديه فوثب الأوّل على الثاني فقتله، ثمّ هزّ بمنقاره فواراه فتعلّم قابيل[٢].

٣٤ - وروي أنّه لم يوار سوأة أخيه وانطلق هارباً حتّى أتى وادياً من أودية اليمن في شرقيّ عدن، فكمن فيه زماناً، وبلغ آدم عليه السلام ما صنع قابيل بهابيل، فأقبل فوجده قتيلاً ثمّ دفنه، وفيه وفي إبليس نزلت: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ لأنّ قابيل أوّل من سنّ القتل، ولا يقتل مقتولٌ إلى يوم القيامة إلاّ كان فيه له شركة[٣].

٣٥ - وسئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ قال: هما هما[٤].

٣٦ - **ص:** بالإسناد إلى وهب قال: إنّ عوج بن عناق كان جبّاراً عدوّاً لله وللإسلام، وله بسطةٌ في الجسم والخلق، وكان يضرب يده فيأخذ الحوت من أسفل البحر ثمّ يرفع إلى السماء فيشويه في حرّ الشمس فيأكله، وكان عمره ثلاثة آلاف وستّمائة سنة[٥].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٦. (٢) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧١.

٣٧ - وروي أنّه لمّا أراد نوح عليه السلام أن يركب السفينة جاء إليه عوج فقال له: احملني معك، فقال نوح: إنّي لم أؤمر بذلك، فبلغ الماء إليه وما جاوز ركبتيه، وبقي إلى أيّام موسى عليه السلام فقتله موسى عليه السلام [١].

٣٧ - ير: عليّ بن إسماعيل، عن محمّد بن عمرو الزيّات، عن أبيه، عن ابن مسكان عن سدير الصيرفيّ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّي لأعرف رجلاً من أهل المدينة أخذ قبل انطباق الأرض إلى الفئة الّتي قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [٢] لمشاجرة كانت فيما بينهم وأصلح بينهم ورجع ولم يقعد فمرّ بنطفكم فشرب منها يعني الفرات، ثمّ مرّ عليك يا أبا الفضل يقرع عليك بابك، ومرّ برجل عليه مسوح معقّل به عشرة موكّلون يستقبل في الصّيف عين الشمس ويوقد حوله النيران ويدورون به حذاء الشمس حيث دارت، كلّما مات من العشرة واحد أضاف إليه أهل القرية واحداً، الناس يموتون والعشرة لا ينقصون، فمرّ به رجل فقال: ما قصّتك قال له الرجل: إن كنت عالماً فما أعرفك بأمري! ويقال: إنّه ابن آدم القاتل. وقال محمّد بن مسلم: وكان الرجل محمّد بن عليّ عليه السلام [٣].

توضيح: قبل انطباق أي عند انطباق بعض طبقات الأرض وأجزائها على بعض ليسرع السير أو نحو ذلك، أو بذلك السبب.

٣٩ - **شي:** عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوّج كلّ واحد منهم واحدةً فتوالدوا، ثمّ إنّ الله رفعهنّ وزوّج هؤلاء الأربعة أربعة من الجنّ فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمن آدم، وما كان من جمال فمن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمن الجنّ [٤].

٤٠ - **شي:** عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: ما يقول الناس في تزويج آدم ولده؟ قال: يقولون: إنّ حوّاء كانت تلد لآدم في كلّ بطن غلاماً وجارية فتزوّج الغلام الجارية الّتي من البطن الآخر الثّاني، وتزوّج الجارية الغلام الّذي من البطن الآخر الثاني، حتّى توالدوا، فقال أبو جعفر عليه السلام: ليس هذا كذاك، ولكنّه لمّا ولد آدم هبة الله وكبر سأل الله أن يزوّجه، فأنزل الله له حوراء من الجنّة فزوجها إيّاه فولد له أربعة بنين، ثمّ ولد لآدم ابن آخر فلمّا كبر أمره فتزوّج إلى الجانّ فولد له أربع بنات فتزوّج بنو هذا بنات هذا، فما كان من جمال فمن قبل الحوراء، وما كان من حلم فمن قبل آدم، وما كان من خفّة فمن قبل الجانّ، فلمّا توالدوا صعدت الحوراء إلى السّماء [٥].

٤١ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ قابيل بن آدم معلّق بقرونه في عين

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٢. (٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٩.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٣٧١ ج ٨ باب ١٢ ح ١١.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٤٢ ح ٥ و٦ من سورة النساء.

الشّمس تدور به حيث دارت في زمهريرها وحميمها إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة صيّره الله إلى النّار[(١)].

٤٢ - **شي:** عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ذكر ابن آدم القاتل قال: فقلت له: ما حاله أمن أهل النّار هو؟ فقال: سبحان الله، الله أعدل من ذلك أن يجمع عليه عقوبة الدنيا وعقوبة الآخرة[(٢)].

بيان: هذا الخبر مناف لما مرّ من خبر جابر والأخبار الدالّة على سوء حاله في القيامة وعلى كفره، ولظاهر خبر زرارة الّذي تقدّم حيث قال فيه: «ويجمع الله عليه عذاب الدنيا والآخرة» وإن أمكن أن يكون استفهاماً إنكارياً، ويمكن أن يؤوّل هذا الخبر بأنّ المراد أنّ عذاب الدنيا يصير سبباً لتخفيف عذابه في الآخرة، أو أنّ عذاب الدّنيا لشيء وعذاب الآخرة لشيء آخر، فلا يجتمعان على فعل واحد، بأن يكون عذاب الدنيا للقتل والآخرة للكفر، فالمراد أنّه لا يجمعهما الله عليه في القتل.

٤٣ - **شي:** عن عيسى بن عبد الله العلويّ، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: إنّ ابن آدم الّذي قتل أخاه كان القابيل الّذي ولد في الجنّة[(٣)].

بيان: هذا موافقٌ لما ذكره بعض العامّة من كون ولادة قابيل وأخته في الجنّة، وظاهر بعض الأخبار أنّه لم يولد له إلاّ في الدنيا.

٤٤ - **شي:** عن سليمان بن خالد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك إنّ النّاس يزعمون أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: قد قال النّاس ذلك، ولكن يا سليمان أما علمت أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو علمت أنّ آدم زوّج ابنته من ابنه لزوّجت زينب من القاسم، وما كنت لأرغب عن دين آدم؟ فقلت: جعلت فداك إنّهم يزعمون أنّ قابيل إنّما قتل هابيل لأنّهما تغايرا على أختهما، فقال له: يا سليمان تقول هذا؟! أما تستحيي وأن تروي هذا على نبيّ الله آدم؟ فقلت: جعلت فداك ففيمَ قتل قابيل هابيل؟ فقال: في الوصيّة. ثمّ قال لي: يا سليمان إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم أن يدفع الوصيّة واسم الله الأعظم إلى هابيل، وكان قابيل أكبر منه، فبلغ ذلك قابيل فغضب، فقال: أنا أولى بالكرامة والوصيّة، فأمرهما أن يقرّبا قرباناً بوحي من الله إليه ففعلا فقبل الله قربان هابيل فحسده قابيل فقتله، فقلت له: جعلت فداك فممّن تناسل ولد آدم؟ هل كانت أنثى غير حوّاء؟ وهل كان ذكر غير آدم؟ فقال: يا سليمان إنّ الله تبارك وتعالى رزق آدم من حوّاء قابيل، وكان ذكر ولده من بعده هابيل، فلمّا أدرك قابيل ما يدرك الرّجال أظهر الله له جنّيّة وأوحى إلى آدم أن يزوّجها قابيل،

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٤٠ ح ٨٠ من سورة النساء.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٤٠ ح ٨١ و٨٢ من سورة النساء.

ففعل ذلك آدم ورضي بها قابيل وقنع، فلمّا أدرك هابيل ما يدرك الرجال أظهر الله له حوراء وأوحى الله إلى آدم أن يزوّجها من هابيل، ففعل ذلك فقتل هابيل والحوراء حامل، فولدت حوراء غلاماً فسمّاه آدم هبة الله، فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع إليه الوصيّة واسم الله الأعظم، وولدت حوّاء غلاماً فسمّاه آدم شيث بن آدم، فلمّا أدرك ما يدرك الرجال أهبط الله له حوراء وأوحى إلى آدم أن يزوّجها من شيث بن آدم ففعل، فولدت الحوراء جارية فسمّاها آدم حورة، فلمّا أدركت الجارية زوّج آدم حورة بنت شيث من هبة الله بن هابيل فنسل آدم منهما، فمات هبة الله بن هابيل فأوحى الله إلى آدم: أن ادفع الوصيّة واسم الله الأعظم وما أظهرتك عليه من علم النبوّة وما علّمتك من الأسماءِ إلى شيث بن آدم؛ فهذا حديثهم يا سليمان[١].

بيان: لا ينافي كون ولد هابيل مسمّى بهبة الله كون شيث ملقّباً بها كما مرّ. وقال المسعوديّ في كتاب مروج الذّهب: لمّا قتل هابيل جزع آدم فأوحى الله إليه: إنّي مخرج منك نوري الّذي أريد به السلوك في القنوات الظاهرة والأرومات الشريفة وأباهي فيه بالأنوار، وأجعله خاتم الأنبياءِ وأجعل آله خيار الأئمّة الخلفاء حتّى أختم الزمان بمدّتهم، وأغصّ الأرض بدعوتهم، وأنيرها بشيعتهم. فشمّر وتطهّر وقدّس وسبّح ثمّ اغش زوجتك على طهارة منها، فإنّ وديعتي تنتقل منكما إلى الولد الكائن بينكما، فواقع آدم حوّاء فحملت لوقتها وأشرقت حسنها وتلألأ النور في مخايلها ولمع من محاجرها حتّى انتهى حملها ووضعت شيثاً، وكان كأسوى ما يكون من الذكران، وأتمّهم وقاراً، وأحسنهم صورةً، وأكملهم هيبة، وأعدلهم خلقاً، مجلّلاً بالنور والهيبة، موشحاً بالجلال والسكينة، فانتقل النور من حوّاء إليه حتّى لمع في أسارير جبينه وسبق في غرّة طلعته، فسمّاه آدم شيثاً، وقيل: إنّه إنّما سمّاه هبة الله، حتّى إذا ترعرع وأينع وكمل واستبصر أذاع إليه آدم وصيّته، وعرّفه بمحلّ ما استودعه وأعلمه أنّه حجّة الله بعده، والخليفة في الأرض، والمؤدّي حقّ الله إلى أوصيائه، وأنّه ثاني انتقال الذرّيّة الطاهرة والجرثومة الطّاهرة، وإنّ آدم حين أدّى الوصيّة إلى شيث عليه السلام اجتنبها واحتفظ بمكنونها، وأتت وفاة آدم وقرب انتقاله فتوفّي يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في الساعة الّتي كان فيها خلقه، وكان عمر آدم عليه السلام تسع مائة وثلاثين سنة، وكان شيث وصيّ أبيه على ولده. ويقال: إنّ آدم مات عن أربعين ألفاً من ولده وولد ولده، فتنازع النّاس في قبره، فمنهم من قال: إنّ قبره بمنى في مسجد الخيف، ومنهم من رأى أنّه في كهف في جبل

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٤١ ح ٨٣ من سورة النساء وصريح الروايات حرمة تزويج الأخوات على الاخوة في كلّ الشرائع جرى بها القلم في اللوح المحفوظ وأنّ بدء النسل كان من تزويج عدّة من حور الجنّة بعدة من ذكور أولاد آدم وعدّة من الجنية بعدّة آخر من بني آدم، فلمّا توالدوا وكبروا تزاوجوا، فكثر النسل منهم وهذه الروايات هي ح ١ و٢ و٣ و٦ و١٨ و٣٩ و٤٠ و٤٤ ومقابل هذه الروايات روايتان -ح ٤ و٥ - وهما محمولتان على التقية لاشتهار ذلك بين العامة كما أشار في الروايات الاولى أنّ ذلك قول الناس. [النمازي].

أبي قبيس، وقيل غير ذلك، والله أعلم بحقيقة الأمر، وإنّ شيثاً حكم في الناس واستشرع في صحف أبيه وما أنزل عليه في خاصّة من الأسفار والأشراع، وإنّ شيثاً واقع امرأته فحملت بأنوش فانتقل النور إليها حتّى إذا وضعته ساخ النور عليه، فلمّا بلغ الوصاية أوعز إليه شيث شأن الوديعة وعرّفه شأنها وأنّها شرفهم، وأوعز إليه أن ينبّه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محلّه، وأن ينبّهوا أولادهم عليه، ويجعل ذلك وصيّة فيهم متنقلة ما دام النسل، فكانت الوصيّة جارية تنتقل من قرن إلى قرن إلى أن أدّى الله النّور إلى عبد المطّلب وولده عبد الله إلى رسول الله ﷺ، وإنّ أنوش لبث في الأرض يعمرها. وقد قيل والله أعلم: إنّ شيثاً أصل النسل من آدم دون سائر ولده، وقيل غير ذلك. وفي زمن أنوش قتل قاين بن آدم قاتل أخيه هابيل ولمقتله خبر عجيب قد أوردناه في كتاب أخبار الزمان وفي الكتاب الأوسط، وكانت وفاة أنوش لثلاث خلون من تشرين الأوّل، فكانت مدّته تسعمائة سنة وستّين سنة، وكان قد ولد له قينان ولاح النّور في وجهه وأخذ عليه العهد فعمر البلاد حتّى مات، وكانت مدّته تسعمائة سنة وعشرين سنة، وقد قيل: إنّ موته كان في تموز بعدما ولد له مهلائيل فكانت مدّة مهلائيل ثمان مائة سنة، وقد ولد له لود والنّور متوارث، والعهد مأخوذ، والحقّ قائم.

ويقال: إنّ كثيراً من الملاهي أحدثت في زمانه، أحدثها ولد قاين قاتل أخيه، ولولد قاين ولولد لود حروب وأقاصيص قد أتينا على ذكرها في كتابنا أخبار الزمان، ووقع التحارب بين ولد شيث وبين ولد غيرهم من ولد قاين، فنوع من الهند ممّن يقرّ بآدم ينسبون إلى هذا الشّعب من ولد قاين، وأرض هذا النوع بأرض قمار من أرض الهند، وإلى بلدهم يضاف العود القماريّ، فكانت حياة لود تسعمائة واثنين وستّين سنة، وكانت وفاته في آذار، وقام بعده ولده أخنوخ وهو إدريس النبيّ عليه السلام والصّابئة تزعم أنّه هرمس ومعنى هرمس عطارد، وهو الّذي أخبر الله في كتابه أنّه رفعه مكاناً عليّاً، وقام بعده ابنه متوشلخ بن أخنوخ يعمر البلاد، والنّور في جبينه وولد له أولاد، وقد تكلّم النّاس في كثير من ولده وأنّ البربر والرّوس والصّقالبة من ولده، وكانت حياته تسعمائة وستّين سنة، ومات في أيلول وقام بعده لمك وكانت في أيّامه كوائن اختلاط في النسل وتوفّي وكانت حياته تسعمائة وتسع وتسعون سنة[1].

بيان: القنوات جمع قناة، وقناة الظهر هي الّتي تنتظم الفقار. ومخايلها: مواضع الخال منها، أو ما يتخيّل فيه الحسن منها. ومحجر العين: ما يبدو من النقاب.

٦ - باب تأويل قوله تعالى: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾

قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ٣٧.

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾.

تفسير قال البيضاويّ: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ هو آدم ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا﴾ أي من جسدها، أو من جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ حوّاء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ ليأنس بها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ أي جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ خفّ عليها ولم تلق منه ما تلقى الحوامل غالباً من الأذى، أو محمولاً خفيفاً هو النطفة ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ فاستمرّت به، أو قامت وقعدت ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ صارت ذات ثقل بكبر الولد ﴿صَٰلِحًا﴾ أي ولداً سويّاً قد صلح بدنه ﴿جَعَلَا لَهُۥ﴾ أي جعل أولادهما شركاء فيما آتى أولادهما فسمّوه عبد العزّى وعبد مناف على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

١ - **فس**: أبي: عن ابن محبوب، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن بريد العجليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا علقت حوّاء من آدم وتحرّك ولدها في بطنها قالت لآدم: إنّ في بطني شيء يتحرّك، فقال لها آدم: الّذي في بطنك نطفة منّي استقرّت في رحمك يخلق الله منها خلقاً ليبلونا فيه، فأتاها إبليس فقال لها: كيف أنت؟ فقالت له: أما إنّي علقت وفي بطني من آدم ولد قد تحرّك، فقال لها إبليس: أما إنّك إن نويت أن تسمّيه عبد الحارث ولدتيه غلاماً وبقي وعاش، وإن لم تنو أن تسمّيه عبد الحارث مات بعدما تلدينه بستّة أيّام، فوقع في نفسها ممّا قال لها شيء، فأخبرت آدم بما قال لها إبليس فقال لها آدم: قد جاءك الخبيث لا تقبلي منه، فإنّي أرجو أن يبقى لنا ويكون بخلاف ما قال لك، ووقع في نفس آدم مثل ما وقع في نفس حوّاء من مقالة الخبيث، فلمّا وضعته غلاماً لم يعش إلاّ ستّة أيّام حتّى مات، فقالت لآدم: قد جاءك الّذي قال لنا الحارث فيه، ودخلهما من قول الخبيث ما شكّكهما، فلم تلبث أن علقت من آدم حملاً آخر فأتاها إبليس فقال لها: كيف أنت؟ فقالت له: قد ولدت غلاماً ولكنّه مات يوم السادس فقال لها الخبيث: أما إنّك لو كنت نويت أن تسمّيه عبد الحارث لعاش وبقي، وإنّ ما هو في بطنك كبعض ما في بطون هذه الأنعام الّتي بحضرتكم، إمّا ناقةٌ، وإمّا بقرةٌ، وإمّا ضأنٌ، وإمّا معزٌ، فدخلها من قول الخبيث ما استمالها إلى تصديقه والركون إلى ما أخبرها للّذي كان تقدّم إليه في الحمل الأوّل، فأخبرت بمقالته آدم، فوقع في قلبه من قول الخبيث مثل ما وقع في قلب حوّاء ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ أي لم تلد ناقة أو بقرة أو ضأناً أو معزاً فأتاها الخبيث فقال لها: كيف أنتم؟ فقالت له: قد أثقلت وقربت ولادتي، فقال: أما إنّك ستندمين وترين من الّذي في بطنك ما تكرهين، ويدخل آدم منك ومن ولدك شيء لو قد ولدتيه ناقة أو بقرةً أو ضأناً أو معزاً فاستمالها إلى طاعته والقبول لقوله، ثمّ قال لها: اعلمي إن أنت نويت أن تسمّيه عبد الحارث وجعلتم لي فيه نصيباً ولدتيه غلاماً سويّاً وعاش وبقي لكم، فقالت: إنّي قد نويت أن أجعل

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٢٩.

لك فيه نصيباً، فقال لها الخبيث: لا تدعي آدم حتّى ينوي مثل ما نويت ويجعل لي فيه نصيباً ويسمّيه عبد الحارث. فقالت له: نعم، فأقبلت على آدم فأخبرته بمقالة الحارث وبما قال لها، فوقع في قلب آدم من مقالة إبليس ما خافه فركن إلى مقالة إبليس، وقالت حوّاء لآدم: لئن أنت لم تنو أن تسمّيه عبد الحارث وتجعل للحارث فيه نصيباً لم أدعك تقربني ولا تغشاني ولم يكن بيني وبينك مودّة، فلمّا سمع ذلك منها آدم قال لها: أما إنّك سبب المعصية الأولى وسيدلّيك بغرور قد تابعتك وأجبت إلى أن أجعل للحارث فيه نصيباً، أو أن أسمّيه عبد الحارث، فأسرّا النيّة بينهما بذلك فلمّا وضعته سوياً فرحا بذلك وأمنا ما كانا خافا من أن يكون ناقةً أو بقرةً أو ضأناً أو معزاً وأملا أن يعيش لهما ويبقى ولا يموت يوم السادس، فلمّا كان يوم السابع سمّياه عبد الحارث[1].

٢ - فس: أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن موسى بن بكر، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فقال: هو آدم وحوّاء، وإنّما كان شركهما شرك طاعة، ولم يكن شرك عبادة فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ قال: جعلا للحارث نصيباً في خلق الله، ولم يكونا أشركا إبليس في عبادة الله[2].

٣ - ن: قد مرّ في خبر ابن الجهم أنّه سأل المأمون الرضا عليه السلام عن معنى قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ فقال الرّضا عليه السلام: إن حوّاء ولدت لآدم خمسمائة بطن في كلّ بطن ذكراً وأنثى، وإنّ آدم وحوّاء عاهدا الله عزّ وجلّ ودعواه وقالا: ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا﴾ من النسل خلقاً سوياً بريئاً من الزمانة والعاهة كان ما آتاهما صنفين: صنفاً ذكراناً، وصنفاً إناثاً، فجعل الصنفان لله تعالى ذكره شركاء فيما آتاهما، ولم يشكراه كشكر أبويهما له عزّ وجلّ، قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3].

٤ - شي: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ﴾ قال: هو آدم وحوّاء، إنّه كان شركهما شرك طاعة، وليس شرك عبادة.

وفي رواية أخرى: ولم يكن شرك عبادة[4].

تحقيق مقام لرفع إبهام: اعلم أنّ الخبر الأوّل لعلّه صدر على وجه التقيّة لاشتهار تلك القصّة بين المخالفين، وكذا الخبر الثاني والرابع، وإن أمكن توجيههما بوجه والخبر الثالث هو المعوّل عليه، واختاره أكثر المفسّرين من الفريقين.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥١. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٢٥٢.

(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٥ باب ١٥ ح ١.

(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٤٦ ح ١٢٥ من سورة الانعام.

قال الرازيّ: المرويّ عن ابن عبّاس ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ وهي نفس آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ أي حوّاء خلقها الله من ضلع آدم من غير أذى ﴿فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ آدم ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا﴾ ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي ثقل الولد في بطنها أتاها إبليس في صورة رجل وقال: ما هذا يا حوّاء؟ إنّي أخاف أن يكون كلباً أو بهيمة، وما يدريك من أين يخرج، أمن دبرك فيقتلك أو ينشقّ بطنك؟ فخافت حوّاء وذكرت ذلك لآدم عليه السلام فلم يزالا من همّ من ذلك، ثمّ أتاها وقال: إن سألت الله أن يجعله صالحاً سوياً مثلك ويسهّل خروجه من بطنك وتسمّيه عبد الحارث - وكان إبليس في الملائكة الحارث - فذلك قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ أي لمّا آتاهما الله ولداً سوياً صالحاً جعلا له شريكاً، أي جعل آدم وحوّاء له شريكاً، والمراد به عبد الحارث هذا، تمام القصّة. واعلم أنّ هذا التأويل فاسدٌ، ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: أنّه تعالى قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وذلك يدل على أن الّذين أتوا بالشرك جماعة.

الثاني: أنّه تعالى قال بعده: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ وهذا يدلّ على أنّ المقصود من هذه الآية الردّ على من جعل الأصنام شركاء لله تعالى، وما جرى لإبليس اللّعين في هذه الآية ذكر.

الثالث: لو كان المراد إبليس لقال: «أتشركون من لا يخلق شيئاً» ولم يقل ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا﴾ لأنّ العاقل إنّما يذكر بصيغة (مَن).

الرابع: أنّ آدم عليه السلام كان من أشدّ الناس معرفة بإبليس وكان عالماً بجميع الأسماءِ كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ فكان لا بدّ وأن يكون قد علم أنّ اسم إبليس هو الحارث، فمع العداوة الشديدة الّتي بينه وبين آدم ومع علمه بأنّ اسمه هو الحارث كيف سمّى ولده بعبد الحارث؟ وكيف ضاقت عليه الأسماء حتّى أنّه لم يجد سوى هذا الاسم؟!.

الخامس: أنّ الواحد منّا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجاء إنسان ودعاه إلى أن يسمّيه بمثل هذه الأسماءِ لزجره وأنكر عليه أشدّ الإنكار، فآدم عليه السلام مع نبوّته وعلمه الكثير الّذي حصل من قوله: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وتجاربه الكثيرة الّتي حصلت له بسبب الزلّة الّتي وقع فيها لأجل وسوسة إبليس كيف لم يتنبّه لهذا الغدر؟! وكيف لم يعرف أنّ ذلك من الأفعال المنكرة الّتي يجب على العاقل الاحتراز منها؟!.

السادس: أنّ بتقدير أنّ آدم عليه السلام سمّاه بعبد الحارث فلا يخلو إمّا أن يقال: إنّه جعل هذا اللّفظ اسم علم له، أو جعله صفة له بمعنى أنّه أخبر بهذا اللّفظ أنّه عبد الحارث ومخلوق من قبله، فإن كان الأوّل لم يكن هذا شركاً بالله، لأنّ أسماء الأعلام والألقاب لا يفيد في المسمّيات فائدة، فلم يلزم من التسمية بهذا اللّفظ حصول الإشراك، وإن كان الثاني كان هذا قولاً بأنّ آدم عليه السلام اعتقد أنّ لله شريكاً في الخلق والإيجاد والتكوين، وذلك يوجب الجزم

بتكفير آدم عليه السلام وذلك لا يقوله عاقل، فثبت بهذه الوجوه أنّ هذا القول فاسدٌ ويجب على المسلم العاقل أن لا يلتفت إليه.

إذا عرفت هذا فنقول: في تأويل الآية وجوهٌ صحيحةٌ سليمةٌ خاليةٌ عن هذه المفاسد.

التأويل الأول: ما ذكره القفال فقال: إنّه تعالى ذكر هذه القصّة على سبيل ضرب المثل، وبيان أنّ هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم وقولهم بالشرك، وتقدير هذا الكلام كأنّه تعالى يقول: هو الّذي خلق كلّ واحد منكم من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها إنساناً يساويه في الإنسانيّة فلمّا تغشّى الزوج الزوجة وظهر الحمل دعا الزوج الزوجة أنّهما إن آتيتنا ولداً صالحاً سويّاً لنكوننّ من الشاكرين لآلائك ونعمائك، فلمّا آتاهما الله ولداً صالحاً سويّاً جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما آتاهما لأنّهم تارةً ينسبون هذا الولد إلى الطبائع كما هو قول الطبائعيّين، وتارةً إلى الكواكب كما هو قول المنجّمين، وتارةً إلى الأصنام والأوثان كما هو قول عبدة الأصنام، ثمّ قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي تبرّأ الله عن ذلك الشرك، وهذا جواب في غاية الصحّة والسّداد.

التأويل الثاني: أن يكون الخطاب لقريش الّذين كانوا في عهد رسول الله وهم آل قصيّ، والمراد من قوله: هو الّذي خلقكم من نفس قصيّ وجعل من جنسها زوجها عربيّة قرشيّةً ليسكن إليها، فلمّا آتاهما ما طالبا من الولد الصالح السويّ جعلا له شركاء فيما آتاهما، حيث سمّيا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزّى وعبد قصيّ وعبد اللاّت وجعل الضّمير في ﴿يُشۡرِكُونَ﴾ لهما ولأعقابهما الّذين اقتدوا بهما في الشرك.

التأويل الثالث: أن نسلّم أنّ هذه الآية وردت في شرح قصّة آدم عليه السلام وعلى هذا التقدير ففي دفع هذا الإشكال وجوه:

الأوّل: أنّ المشركين كانوا يقولون: إنّ آدم عليه السلام كان يعبد الأصنام ويرجع في طلب الخير والشرّ إليها، فذكر تعالى قصّة آدم وحوّاء وحكى عنهما أنّهما قالا: ﴿لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي ذكرا أنّه تعالى لو آتاهما ولداً صالحاً سويّاً لاشتغلوا بشكر تلك النعمة، ثمّ قال: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ فقوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ ورد بمعنى الاستفهام على سبيل الإنكار والتبعيد، والتقدير: فلمّا آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما؟ ثمّ قال: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي تعالى الله عن شرك هؤلاء المشركين الّذين يقولون بالشرك وينسبونه إلى آدم عليه السلام ونظيره أن ينعم رجلٌ على رجل بوجوه كثيرة من الإنعام ثمّ يقال لذلك المنعم إنّ ذلك المنعَم عليه يقصد إساءتك وإيصال الشرّ إليك، فيقول ذلك المنعِم: فعلت في حقّ فلان كذا وأحسنت إليه بكذا وكذا ثمّ إنّه يقابلني بالشرّ والإساءة؟! على سبيل النفي والتبعيد، فكذا ههنا.

الوجه الثاني: في الجواب أن نقول: إنّ هذه القصّة من أوّلها إلى آخرها في حقّ آدم وحوّاء

ولا إشكال في شيء من ألفاظها إلاّ قوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحٗا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ فنقول: التقدير: فلمّا آتاهما ولداً صالحاً سويّاً جعلا له شركاء، أي جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، وكذا فيما آتاهما أولادهما ونظيره قوله. ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ أي واسأل أهل القرية.

فإن قيل: فعلى هذا التأويل ما الفائدة في التثنية في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾؟ قلنا: لأنّ ولده قسمان ذكر وأنثى فقوله: ﴿جَعَلَا﴾ المراد الذّكر والأنثى، مرّة عبّر عنهما بلفظ التثنية لكونهما صنفين ونوعين، ومرّة عبّر عنهم بلفظ الجمع وهو قوله: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

الوجه الثالث في الجواب: سلّمنا أنّ الضمير في قوله: ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ﴾ عائد إلى آدم وحوّاء إلاّ أنّه تعالى لمّا آتاهما ذلك الولد الصالح عزما على أن يجعلاه وقفاً على خدمة الله وطاعته وعبوديّته على الإطلاق، ثمّ بدا لهما في ذلك فتارة كانوا ينتفعون به في مصالح الدنيا ومنافعها، وتارةً كانوا يأمرونه بخدمة الله وطاعته، وهذا العمل وإن كان منّا قربةً وطاعةً إلاّ أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، فلهذا قال الله تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ والمراد من هذه الآية ما نقل عنه عليه السلام أنّه قال حاكياً عن الله سبحانه: «أنا أغنى الأغنياء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركته» وعلى هذا التقدير فالإشكال زائل.

الوجه الرابع في التأويل: أن نقول: سلّمنا صحّة تلك القصّة المذكورة إلاّ أنّا نقول: إنّهم سمّوا بعبد الحارث لأجل أنّهم اعتقدوا أنّه إنّما سلم من الآفة والمرض بسبب دعاء ذلك الشخص المسمّى بالحارث، وقد سمّي المنعم عليه عبداً للمنعم، يقال في المثل: أنا عبد من تعلّمت منه حرفاً، فآدم وحوّاء سمّيا ذلك الولد تنبيهاً على أنّه إنّما سلم عن الآفات ببركة دعائه، وهذا لا يقدح في كونه عبد الله من جهة أنّه مملوكه ومخلوقه إلاّ أنّا قد ذكرنا أنّ حسنات الأبرار سيّئات المقرّبين، فلمّا حصل الاشتراك في لفظ العبد لا جرم صار آدم عليه السلام معاتباً في هذا العمل انتهى[1].

وقد ذكر الشيخ الطبرسيّ رحمه الله في تفسيره والسيّد المرتضى قدّس الله روحه في كتاب الغرر والدرر وكتاب تنزيه الأنبياء وجوهاً أُخر وفي ما ذكرناه كفاية.

٧ - باب ما أُوحي إلى آدم عليه السلام

١ - لي: أبي، عن الكميدانيّ، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله تبارك وتعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم إنّي أجمع لك الخير كلّه في أربع كلمات: واحدةٌ منهنّ لي، وواحدةٌ لك، وواحدة فيما بيني

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٥ المجلد ٥ ص ٤٢٧.

وبينك، وواحدةٌ فيما بينك وبين النّاس، فأمّا الّتي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فأُجازيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأمّا الّتي بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة، وأمّا الّتي فيما بينك وبين النّاس فترضى للنّاس ما ترضى لنفسك(١).

٢ - ل: أبي، عن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الصلت، عن البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد ابن سنان، عن يوسف بن عمران، عن ميثم، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام: إنّي سأجمع لك الكلام في أربع كلمات، فقال: يا ربّ وما هنّ؟ قال: واحدةٌ لي، وواحدةٌ لك، وواحدةٌ فيما بيني وبينك، وواحدةٌ فيما بينك وبين النّاس، فقال: يا ربّ بيّنهنّ لي حتّى أعلمهنّ، فقال: أمّا الّتي لي فتعبدني ولا تشرك بي شيئاً، وأمّا الّتي لك فأجزيك بعملك أحوج ما تكون إليه، وأمّا الّتي بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الإجابة، وأمّا الّتي بينك وبين النّاس فترضى للنّاس ما ترضاه لنفسك(٢).

٣ - **أقول:** قال السيّد في سعد السعود: وجدت في صحف إدريس النبيّ عليه السلام عند ذكر أحوال آدم على نبيّنا وآله وعليه السلام ما هذا لفظه: حتّى إذا كان الثلث الأخير من اللّيل ليلة الجمعة لسبع وعشرين خلت من شهر رمضان أنزل الله عليه كتاباً بالسريانيّة وقطع الحروف في إحدى وعشرين ورقة، وهو أوّل كتاب أنزله الله في الدنيا، أنزل الله عليه الألسن كلّها، فكان فيه ألف ألف لسان لا يفهم فيه أهل لسان عن أهل لسان حرفاً واحداً بغير تعليم، فيه دلائل الله وفروضه وأحكامه وشرائعه وسننه وحدوده(٣).

٨ - باب عمر آدم ووفاته ووصيته إلى شيث وقصصه عليه السلام

١ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن عبد الله بن سنان قال: لمّا قدم أبو عبد الله عليه السلام على أبي العبّاس وهو بالحيرة خرج يوماً يريد عيسى بن موسى فاستقبله بين الحيرة والكوفة ومعه ابن شبرمة القاضي، فقال: أين يا أبا عبدالله؟ فقال: أردتك فقال: قصر الله خطوك، قال: فمضى معه، فقال له ابن شبرمة: ما تقول يا أبا عبد الله في شيء سألني عنه الأمير فلم يكن عندي فيه شيء؟ فقال: وما هو؟ قال: سألني عن أوّل كتاب كتب في الأرض، قال نعم إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم ذرّيّته عرض العين في صور الذرّ نبيّاً فنبيّاً وملكاً فملكاً ومؤمناً فمؤمناً وكافراً فكافراً، فلمّا انتهى إلى داود عليه السلام قال: من هذا الّذي نبّأته وكرّمته وقصّرت عمره؟ قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: هذا ابنك داود عمره أربعون سنة، وإنّي قد كتبت الآجال وقسّمت الأرزاق وأنا أمحو ما أشاء وأُثبت وعندي أمّ الكتاب، فإن جعلت له شيئاً من عمرك ألحقته له، قال: يا ربّ قد جعلت له من عمري ستّين سنة تمام

(١) الأمالي للصدوق، ص ٤٨٧ مجلس ٨٩ ح ١.
(٢) الخصال، ص ٢٤٣ باب الأربعة ح ٩٨.
(٣) سعد السعود، ص ٣٧.

المائة، قال: فقال الله عزّ وجلّ لجبرئيل وميكائيل وملك الموت: اكتبوا عليه كتاباً فإنّه سينسى؛ قال: فكتبوا عليه كتاباً وختموه بأجنحتهم من طينة علّيين، قال فلمّا حضرت آدم عليه السلام الوفاة أتاه ملك الموت فقال آدم: يا ملك الموت ما جاء بك؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: قد بقي من عمري ستّون سنة فقال: إنّك جعلتها لابنك داود، قال: ونزل عليه جبرئيل وأخرج له الكتاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فمن أجل ذلك إذا أخرج الصكُّ على المديون ذلّ المديون، فقبض روحه[1].

٢ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام إنّ الله عزّ وجلّ عرض على آدم أسماء الأنبياءِ وأعمارهم، قال: فمرّ بآدم اسم داود النبيّ عليه السلام فإذا عمره في العالم أربعون سنة، فقال آدم عليه السلام: يا ربّ ما أقلّ عمر داود وما أكثر عمري! يا ربّ إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أتثبت له ذلك؟ قال: نعم يا آدم، قال: فإنّي قد زدته من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري، قال أبو جعفر عليه السلام: فأثبت الله عزّ وجلّ لداود في عمره ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبتة فذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ قال: فمحا الله ما كان عنده مثبتاً لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبتاً، قال: فمضى عمر آدم عليه السلام فهبط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم: يا ملك الموت إنّه قد بقي من عمري ثلاثون سنة، فقال له ملك الموت: يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبيّ عليه السلام وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذرّيّتك وعرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الدخياء؟ قال: فقال له آدم عليه السلام: ما أذكر هذا، قال: فقال له ملك الموت: يا آدم لا تجحد، ألم تسأل الله عزّ وجلّ أن يثبتها لدواد ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاها من عمرك في الذكر؟ قال آدم عليه السلام: حتّى أعلم ذلك. قال أبو جعفر عليه السلام: وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد، فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمّى لنسيان آدم وجحوده ما جعل على نفسه[2].

بيان: هذان الخبران مع اختلافهما مخالفان لما هو المشهور عند متكلّمي الإماميّة من نفي السهو عنهم عليهم السلام مطلقاً، بل أجمعوا عليه، والمخالف كالصّدوق رحمه الله حيث جوّز الإسهاء معروف كما عرفت ولا يبعد حملهما على التقيّة لأنّهم رووه بطرق متعدّدة.

٣ - يب: أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد، عن خلف بن حمّاد، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا مات آدم عليه السلام فبلغ إلى الصّلاة عليه، قال هبة الله لجبرئيل: تقدّم يا رسول الله فصلّ على نبيّ الله، فقال جبرئيل عليه السلام: إنّ الله أمرنا بالسجود

(١) الكافي، ج ٧ ص ١٤١١ باب ٢٢٧ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٧٣ باب ٣٤١ ح ١.

لأبيك فلسنا نتقدّم أبرار ولده وأنت من أبرّهم، فتقدّم فكبّر عليه خمساً عدّة الصّلوات الّتي فرضها الله على أمّة محمّد ﷺ وهي السنّة الجارية في ولده إلى يوم القيامة[١].

٤ - كا: العدّة، عن أحمد بن محمد، عن ابن أبي نجران، عن المفضّل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ما بين الركن والمقام لمشحون من قبور الأنبياء، وإنّ آدم لفي حرم الله عزّ وجلّ[٢].

٥ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى والبرقيّ معاً، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن سفيان بن السمط، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام اشتكى فاشتهى فاكهةً فانطلق هبة الله يطلب له فاكهة فاستقبل جبرئيل فقال له: أين تذهب يا هبة الله، فقال: إنّ آدم يشتكي وإنّه اشتهى فاكهة، قال له: فارجع فإنّ الله عزّ وجلّ قد قبض روحه، قال: فرجع فوجده قد قبضه الله فغسّلته الملائكة، ثمّ وضع وأمر هبة الله أن يتقدّم ويصلّي عليه، فتقدّم فصلّى عليه والملائكة خلفه، وأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يكبّر عليه خمساً، وأن يسلّه وأن يسوّي قبره، ثمّ قال: هكذا فاصنعوا بموتاكم[٣].

٦ - كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سليمان بن سماعة، عن عبد الله بن القاسم، عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا مات آدم وشمت به إبليس وقابيل فاجتمعا في الأرض فجعل إبليس وقابيل المعازف والملاهي شماتة بآدم عليه السلام فكلّ ما كان في الأرض من هذا الضّرب الّذي يتلذّذ به الناس فإنّما هو من ذاك[٤].

٧ - يب: سمعت مرسلاً من الشيوخ ومذاكرةً ولم يحضرني الآن إسناده أنّ آدم عليه السلام لمّا أهبطه الله من جنّة المأوى إلى الأرض استوحش فسأل الله تعالى أن يؤنسه بشيء من أشجار الجنّة، فأنزل الله تعالى إليه النخلة، فكان يأنس بها في حياته، فلمّا حضرته الوفاة قال لولده: إنّي كنت آنس بها في حياتي وأرجو الأنس بها بعد وفاتي، فإذا متُّ فخذوا منها جريداً وشقّوه بنصفين وضعوهما معي في أكفاني، ففعل ولده ذلك، وفعلته الأنبياء بعده، ثمّ اندرس ذلك في الجاهليّة فأحياه النبيّ ﷺ وفعله فصارت سنّة متّبعة[٥].

٨ - ل: سيجيء في أخبار فضل يوم الجمعة عن أبي لبابة، عن النبيّ ﷺ أنّ آدم عليه السلام توفّي يوم الجمعة[٦].

٩ - فس: الحسين بن عبد الله السّكينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن

---

(١) تهذيب الاحكام، ج ٤ ص ٦١٣ باب ٣٢ ح ٥٩. (٢) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٦ باب ١٣٥ ح ٧.
(٣) الخصال، ص ٢٨١ باب الخمسة ح ٢٧. (٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٣٠ باب ٣٤٠ ح ٣
(٥) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ١٧٥ باب ١٣ ح ١٢٠.
(٦) الخصال، ص ٣١٦ باب الخمسة ح ٩٧.

هارون، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام في خبر طويل أنّه عرض ملك الرّوم على الحسن بن عليّ عليه السلام صور الأنبياء فعرض عليه صنماً في صفة حسنة، فقال الحسن عليه السلام: هذه صفة شيث بن آدم عليه السلام، وكان أوّل من بعث وبلغ عمره في الدّنيا ألف سنة وأربعين يوماً[(١)].

بيان: أوّل من بعث أي بعد آدم عليه السلام أو من ذرّيّته، قال في الكامل: قيل. إنّ شيثاً كان لم يزل مقيماً بمكّة يحجّ ويعتمر إلى أن مات، وإنّه كان قد جمع ما أنزل عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها، وإنّه بنى الكعبة بالحجارة والطّين، وقيل: إنّه لمّا مرض أوصى إلى ابنه أنوش ومات فدفن مع أبويه بغار أبي قبيس، وكان مولده لمضيّ مائتي سنة وخمس وثلاثين سنة من عمر آدم، وقيل غير ذلك، وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثنتا عشر سنة.

١٠ - **مع، ل:** في خبر أبي ذرّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ أربعة من الأنبياء سريانيون: آدم وشيث وإدريس ونوح، وأنّ الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة[(٢)].

١١ - **ص:** بالإسناد عن الصّدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن النّوفليّ، عن عليّ بن داود اليعقوبيّ، عن مقاتل بن مقاتل، عمّن سمع زرارة يقول: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن بدء النسل من آدم عليه السلام كيف كان؟ وعن بدء النسل من ذرّيّة آدم - وساق الحديث إلى آخر ما أوردنا في باب تزويج آدم - ثمّ قال: فلم يلبث آدم عليه السلام بعد ذلك إلاّ يسيراً حتّى مرض فدعا شيثاً وقال: يا بنيّ إنّ أجلي قد حضر وأنا مريض، وإنّ ربّي قد أنزل من سلطانه ما قد ترى، وقد عهد إليّ فيما قد عهد أن أجعلك وصيّي وخازن ما استودعني، وهذا كتاب الوصيّة تحت رأسي وفيه أثر العلم واسم الله الأكبر، فإذا أنا متّ فخذ الصحيفة وإيّاك أن يطّلع عليها أحد، وأن تنظر فيها إلى قابل في مثل هذا اليوم الّذي يصير إليك فيه، وفيها جميع ما تحتاج إليه من أمور دينك ودنياك، وكان آدم عليه السلام نزل بالصّحيفة الّتي فيها الوصيّة من الجنّة.

ثمّ قال آدم عليه السلام لشيث: يا بنيّ إنّي قد اشتهيت ثمرةً من ثمار الجنّة فاصعد إلى جبل الحديد فانظر من لقيته من الملائكة فاقرئه منّي السلام وقل له: إنّ أبي مريض وهو يستهديكم من ثمار الجنّة، قال: فمضى حتّى صعد إلى الجبل فإذا هو بجبرئيل في قبائل من الملائكة، فبدأه جبرئيل بالسّلام ثمّ قال: إلى أين يا شيث؟ فقال له شيث: ومن أنت يا عبدالله؟ قال: أنا الرّوح الأمين جبرئيل، فقال: إنّ أبي مريض وقد أرسلني إليكم وهو يقرئكم السّلام ويستهديكم من ثمار الجنّة، فقال له جبرئيل عليه السلام: وعلى أبيك السّلام يا شيث أما إنّه قد قبض، وإنّما نزلت لشأنه فعظّم الله على مصيبتك فيه أجرك، وأحسن على العزاء منه صبرك،

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) معاني الأخبار، ص ٣٣٣ والخصال ص ٥٢٤ باب العشرين ح ١٣.

وآنس بمكانه منك عظيم وحشتك، ارجع فرجع معهم ومعهم كلّ ما يصلح به أمر آدم عليه السلام قد جاؤوا به من الجنّة، فلمّا صاروا إلى آدم عليه السلام كان أوّل ما صنع شيث أن أخذ صحيفة الوصيّة من تحت رأس آدم عليه السلام فشدّها على بطنه فقال جبرئيل عليه السلام: من مثلك يا شيث قد أعطاك الله سرور كرامته وألبسك لباس عافيته؟ فلعمري لقد خصّك الله منه بأمر جليل. ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام وشيثاً أخذا في غسله وأراه جبرئيل كيف يغسّله حتّى فرغ، ثمّ أراه كيف يكفّنه ويحنّطه حتّى فرغ، ثمّ أراه كيف يحفر له، ثمّ إنّ جبرئيل أخذ بيد شيث فأقامه للصلاة عليه كما نقوم اليوم نحن، ثمّ قال: كبّر على أبيك سبعين تكبيرةً وعلمه كيف يصنع. ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام أمر الملائكة أن يصطفّوا قياماً خلف شيث كما يصطفُّ اليوم خلف المصلّي على الميّت، فقال شيث عليه السلام: يا جبرئيل ويستقيم هذا لي وأنت من الله بالمكان الّذي أنت ومعك عظماء الملائكة؟ فقال جبرئيل: يا شيث ألم تعلم أنّ الله تعالى لمّا خلق أباك آدم أوقفه بين الملائكة وأمرنا بالسجود له فكان إمامنا ليكون ذلك سنّة في ذرّيّته، وقد قبضه اليوم وأنت وصيّه ووارث علمه وأنت تقوم مقامه، فكيف نتقدّمك وأنت إمامنا؟ فصلّى بهم عليه كما أمره، ثمّ أراه كيف يدفنه فلمّا فرغ من دفنه وذهب جبرئيل عليه السلام ومن معه ليصعدوا من حيث جاؤوا بكى شيث ونادى: يا وحشتاه، فقال له جبرئيل: لا وحشة عليك مع الله تعالى يا شيث، بل نحن نازلون عليك بأمر ربّك وهو يؤنسك فلا تحزن وأحسن ظنّك بربّك فإنّه بك لطيف وعليك شفيق. ثمّ صعد جبرئيل ومن معه، وهبط قابيل من الجبل وكان على الجبل هارباً من أبيه آدم عليه السلام أيّام حياته لا يقدر أن ينظر إليه، فلقي شيثاً فقال: يا شيث إني إنّما قتلت هابيل أخي لأنّ قربانه تقبّل ولم يتقبّل قرباني، وخفت أن يصير بالمكان الّذي قد صرت أنت اليوم فيه، وقد صرت بحيث أكره وإن تكلّمت بشيء ممّا عهد إليك به أبي لأقتلنك كما قتلت هابيل.

قال زرارة: ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام بيده إلى فمه فأمسكه يعلّمنا، أي هكذا أنا ساكت فلا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة معشر شيعتنا! فتمكّنوا عدوّكم من رقابكم فتكونوا عبيداً لهم بعد إذ أنتم أربابهم وساداتهم، فإنّ في التقيّة منهم لكم ردّاً عمّا قد أصبحوا فيه من الفضائح بأعمالهم الخبيثة علانية، وما يرون منكم من تورّعكم عن المحارم وتنزّهكم عن الأشربة السوء والمعاصي وكثرة الحجّ والصلاة وترك كلامهم[1].

١٢ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن أبي عمير، عن عليّ ابن أبي حمزة، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ ابن آدم حين قتل أخاه قتل شرُّهما خيرهما فوهب الله لآدم ولداً فسمّاه هبة الله وكان وصيّه، فلمّا حضر آدم عليه السلام وفاته قال: يا هبة الله قال: لبّيك، قال انطلق إلى جبرئيل فقل: إنّ أبي آدم يقرئك السلام ويستطعمك من طعام الجنّة وقد اشتاق إلى ذلك، فخرج هبة الله فاستقبله جبرئيل فأبلغه ما أرسله به أبوه إليه، فقال

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٤-٥٩.

له جبرئيل: رحم الله أباك، فرجع هبة الله وقد قبض الله تعالى آدم عليه السلام فخرج به هبة الله وصلّى عليه وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة، سبعين لآدم وخمسة لأولاده من بعده[1].

بيان: يمكن الجمع بين تلك الأخبار بأنّه أمر بالتكبير عليه خمساً وسبعين خمساً وجوباً ليجري في أولاده، وسبعين استحباباً لخصوصه عليه السلام فخبر ابن السمط محمول على ما أمر به وجوباً، وخبر زرارة على ما خصّ آدم عليه السلام به.

١٣ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن متّيل، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، وكرام بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن الصادق عليه السلام قال: أوحى الله إلى آدم عليه السلام أنّ قابيل عدوّ الله قتل أخاه، وإنّي أعقبك منه غلاماً يكون خليفتك ويرث علمك ويكون عالم الأرض وربّانيّها بعدك، وهو الّذي يدعى في الكتب شيثاً وسمّاه أبا محمّد هبة الله، وهو اسمه بالعربيّة، وكان آدم بشّر بنوح عليه السلام وقال: إنّه سيأتي نبيّ من بعدي اسمه نوح فمن بلغه منكم فليسلّم له، فإنّ قومه يهلكون بالغرق إلاّ من آمن به وصدّقه فيما قيل لهم وما أمروا به[2].

١٤ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن حبيب السجستانيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا علم آدم عليه السلام بقتل هابيل جزع عليه جزعاً شديداً فشكا ذلك إلى الله تعالى فأوحى الله تعالى إليه إنّي واهب لك ذكراً يكون خلفاً من هابيل، فولدته حوّاء فلمّا كان يوم السابع سمّاه آدم عليه السلام شيثاً، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم إنّما هذا الغلام هبة منّي إليك فسمّه هبة الله، فسمّاه آدم به، فلمّا جاء وقت وفاة آدم عليه السلام أوحى الله تعالى إليه: إنّي متوفّيك فأوص إلى خير ولدك وهو هبتي الّذي وهبته لك فأوص إليه وسلّم إليه ما علّمتك من الأسماء فإنّي أحبّ أن لا يخلو الأرض من عالم يعلم علمي ويقضي بحكمي، أجعله حجّةً لي على خلقي، فجمع آدم عليه السلام ولده جميعاً من الرّجال والنّساء ثمّ قال لهم: يا ولدي إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّي متوفّيك وأمرني أن أوصي إلى خير ولدي وأنّه هبة الله وأنّ الله اختاره لي ولكم من بعدي، فاسمعوا له وأطيعوا أمره فإنّه وصيي وخليفتي عليكم، فقالوا جميعاً: نسمع له ونطيع أمره ولا نخالفه، قال: وأمر آدم عليه السلام بتابوت ثمّ جعل فيه علمه والأسماء والوصيّة ثمّ دفعه إلى هبة الله فقال له: انظر إذا أنا متّ يا هبة الله فاغسلني وكفّنّي وصلّ عليّ وأدخلني حفرتي، وإذا حضرت وفاتك وأحسست بذلك من نفسك فالتمس خير ولدك وأكثرهم لك صحبة وأفضلهم فأوص إليه بما أوصيت به إليك، ولا تدع الأرض بغير عالم منّا أهل البيت يا بنيّ إنّ الله تعالى أهبطني إلى الأرض وجعلني خليفةً فيها وحجّةً له على خلقه، وجعلتك حجّة الله في أرضه من بعدي، فلا تخرجنّ من الدّنيا حتّى تجعل لله حجّةً على خلقه ووصيّاً من بعدك، وسلّم إليه

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٥٩. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٢.

التابوت وما فيه كما سلّمت إليك، وأعلمه أنّه سيكون من ذرّيّتي رجلٌ نبيٌّ اسمه نوح يكون في نبوّته الطوفان والغرق فأوص وصيّك أن يحتفظ بالتابوت وبما فيه فإذا حضرته وفاته فمُره أن يوصي إلى خير ولده وليضع كلّ وصيّ وصيّته في التّابوت وليوص بذلك بعضهم إلى بعض، فمن أدرك منهم نبوّة نوح فليركب معه وليحمل التّابوت وما فيه إلى فلكه ولا يتخلّف عنه واحد، واحذر يا هبة الله وأنتم يا ولدي الملعون قابيل.

فلمّا كان اليوم الّذي أخبره الله أنّه متوفّيه تهيّأ آدم عليه السلام للموت وأذعن به فهبط ملك الموت فقال آدم: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّي عبد الله وخليفته في أرضه ابتدأني بإحسانه، وأسجد لي ملائكته، وعلّمني الأسماء كلّها، ثمّ أسكنني جنّته ولم يكن جعلها لي دار قرار ولا منزل استيطان، وإنّما خلقني لأسكن الأرض للّذي أراد من التّقدير والتدبير، وقد كان نزل جبرئيل عليه السلام بكفن آدم من الجنّة والحنوط والمسحاة معه، قال: ونزل مع جبرئيل سبعون ألف ملك ليحضروا جنازة آدم، فغسله هبة الله وجبرئيل وكفّنه وحنّطه ثمّ قال جبرئيل لهبة الله: تقدّم فصلّ على أبيك وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرةً، فحفرت الملائكة ثمّ أدخلوه حفرته، فقام هبة الله في ولد أبيه بطاعة الله تعالى، فلمّا حضرته وفاته أوصى إلى ابنه قينان وسلّم إليه التابوت، فقام قينان في إخوته وولد أبيه بطاعة الله تعالى وتقدّس، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه يرد وسلّم إليه التابوت وجميع ما فيه، وتقدّم إليه في نبوّة نوح عليه السلام فلمّا حضرت وفاة يرد أوصى إلى ابنه أخنوخ وهو إدريس وسلّم إليه التابوت وجميع ما فيه والوصيّة، فقام أخنوخ به فلمّا قرب أجله أوحى الله تعالى إليه: إنّي رافعك إلى السّماء فأوص إلى ابنك خرقاسيل ففعل، فقام خرقاسيل بوصيّة أخنوخ، فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه نوح عليه السلام وسلّم إليه التابوت، فلم يزل التابوت عند نوح حتّى حمله معه في سفينته فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى ابنه سام وسلّم إليه التابوت وجميع ما فيه[1].

شي: عن هشام، عن حبيب مثله مع زيادات أوردناها في باب ذكر الأوصياء من لدن آدم في كتاب الإمامة[2].

١٥ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن عمر، عن أبان بن عثمان، عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أرسل آدم ابنه إلى جبرئيل عليه السلام فقال: قل له: يقول لك أبي: أطعمني من زيت الزّيتون الّتي في موضع كذا وكذا من الجنّة، فلقاه جبرئيل فقال له: ارجع إلى أبيك فقد قبض وأمرنا بإجهازه والصّلاة عليه، قال: فلمّا جهّزوه قال جبرئيل: تقدّم يا هبة الله فصلّ على أبيك، فتقدّم وكبّر عليه خمساً وسبعين تكبيرة، سبعين تفضيلاً لآدم عليه السلام وخمساً للسنّة، قال:

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٢.

(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٣٥ ح ٧٧ من سورة المائدة.

وآدم عليه السلام لم يزل يعبد الله بمكّة حتّى إذا أراد أن يقبضه بعث إليه الملائكة معهم سرير وحنوط وكفن من الجنّة، فلمّا رأت حوّاء عليها السلام الملائكة ذهبت لتدخل بينه وبينهم، فقال لها آدم: خلّي بيني وبين رسل ربّي، فقبض فغسّلوه بالسدر والماء ثمّ لحّدوا قبره، وقال: هذا سنّة ولده من بعده، فكان عمره منذ خلقه الله إلى أن قبضه تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة، ودفن بمكّة وكان بين آدم ونوح عليه السلام ألف وخمسمائة سنة[1].

١٦ - **ص:** بالإسناد عن الصّدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن عبد الحميد بن أبي الدّيلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قبض آدم عليه السلام وكبّر عليه ثلاثين تكبيرةً، فرفع خمس وعشرون، بقي السنّة علينا خمساً، وكان رسول الله يكبّر على أهل بدر سبعاً وتسعاً[2].

بيان: لعلّ ذكر الثلاثين في هذا الخبر للتقيّة، لأنّهم رووا ذلك عن ابن عبّاس كما ذكره صاحب الكامل وغيره.

١٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: لمّا حضر آدم الوفاة أوصى إلى شيث وحفر لآدم في غار في أبي قبيس يقال له غار الكنز، فلم يزل آدم عليه السلام في ذلك الغار حتّى كان زمن الغرق استخرجه نوح عليه السلام في تابوت وجعله معه في السّفينة[3].

أقول: سيأتي خبر طويل في كتاب الإمامة في باب اتّصال الوصيّة من لدن آدم عليه السلام.

١٨ - **مل:** محمّد بن يعقوب، عن أبي عليّ الأشعريّ، عمّن ذكره، عن محمّد بن سنان؛ وحدّثني محمّد الحميريّ، عن أبيه، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى نوح عليه السلام وهو في السّفينة أن يطوف بالبيت أسبوعاً فطاف بالبيت أسبوعاً كما أوحى الله إليه، ثمّ نزل في الماء إلى ركبتيه فاستخرج تابوتاً فيه عظام آدم عليه السلام فحمل التابوت في جوف السّفينة حتّى طاف بالبيت ما شاء الله أن يطوف، ثمّ ورد إلى باب الكوفة في وسط مسجدها ففيها قال الله للأرض: ﴿ٱبْلَعِي مَآءَكِ﴾ فبلعت ماءها من مسجد الكوفة كما بدأ الماء من مسجدها وتفرّق الجمع الّذي كان مع نوح في السفينة فأخذ نوح التابوت فدفنه في الغريّ[4].

١٩ - **مل:** أبي، عن أحمد بن إدريس، ومحمّد بن يحيى معاً عن الأشعريّ، عن محمّد ابن يوسف التميميّ، عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: عاش آدم أبو البشر تسعمائة وثلاثين سنة.

بيان: اعلم أنّ الناس اختلفوا في عمر آدم عليه السلام فروى العامّة عن أبي هريرة، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان كتب له ألف سنة فوهب ستّين لداود عليه السلام ثمّ رجع، ورووا عن ابن

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٦٤ ٦٥. (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٢.
(٤) كامل الزيارات، ص ٨٩ باب ١٠ ح ٢.

عبّاس أنّه وهب من الألف أربعين فجحد، فأكمل الله لآدم ألف سنة، ولداود عليه السلام مائة سنة، ورووا مثل ذلك عن جماعة منهم سعيد بن جبير، ورووا أنّه قال ابن عبّاس: كان عمره تسعمائة وستّاً وثلاثين سنة، وأهل التّوراة يزعمون أنّ عمره تسعمائة وثلاثون سنة، وقال ابن الأثير في الكامل: على رواية أبي هريرة لم يكن كثير اختلاف بين الحديثين وما في التوراة فلعلّ الله ذكر عمره في التّوراة سوى ما وهبه لداود؛ انتهى.

وقال المسعوديّ: توفّي يوم الجمعة لستّ خلون من نيسان في السّاعة الّتي كان فيها خلقه، وكان عمره تسعمائة وثلاثين سنة؛ انتهى[1].

وذكر السيّد في سعد السّعود من صحف إدريس عليه السلام مرضه عشرة أيّام بالحمّى ووفاته يوم الجمعة لإحدى عشر يوماً خلت من المحرّم، ودفنه في غار في جبل أبي قبيس، ووجهه إلى الكعبة، وأنّ عمره عليه السلام من وقت نفخ الرّوح إلى وفاته ألف سنة وثلاثين، وأنّ حوّاء عليها السلام ما بقيت بعده إلاّ سنة ثمّ مرضت خمسة عشر يوماً ثمّ توفّيت ودفنت إلى جنب آدم عليه السلام. ثمّ قال: ونبّأ الله شيثاً وأنزل عليه خمسين صحيفة فيها دلائل الله وفرائضه وأحكامه وسننه وشرائعه وحدوده، فأقام بمكّة يتلو تلك الصحّف على بني آدم ويعلّمها ويعبد الله ويعمّر الكعبة فيعتمر في كلّ شهر ويحجّ في أوان الحجّ حتّى تمّ له تسعمائة سنة واثنا عشر سنة فمرض فدعا ابنه أيوس فأوصى به إليه وأمره بتقوى الله، ثمّ توفّي فغسله أيوس ابنه وقينان بن أيوس ومهلائيل بن قينان، فتقدّم أيوس فصلّى عليه ودفنوه عن يمين آدم في غار أبي قبيس[2].

ثمّ قال السيّد رحمه الله: وجدت في السفر الثالث من التوراة أنّ حياة آدم كانت تسعمائة وثلاثين سنة، وقال محمّد بن خالد البرقيّ رحمه الله: إنّ عمر آدم عليه السلام كان تسع مائة وستّاً وثلاثين سنة ذكر ذلك في كتاب البداء عن الصّادق عليه السلام[3].

أقول: يمكن رفع التنافي بين خبري الفضيل والتميميّ بأن يكون عليه السلام أسقط النيّف في الخبر الأخير بأن يكون الغرض ذكر أصل العقود سوى الكسور، على أنّه يحتمل أن يكون الإسقاط من الرواة.

٩ - باب قصص إدريس[4]

الآيات: مريم «١٩»: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

---

(١) مروج الذهب، ج ١ ص ٤٣. (٢) سعد السعود، ص ٣٧.

(٣) سعد السعود، ص ٤٠.

(٤) في ناسخ التواريخ: ولد إدريس سنة ٨٣٠، وتوفي آدم ٩٣٠، وفي ١٦٩٥ رفع إدريس وفي ١٦٤٢ ولادة نوح. [التمازي].

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾ أي القرآن ﴿إِدْرِيسَ﴾ هو جدّ أب نوح عليه السلام، واسمه في التوراة أخنوخ؛ وقيل: إنّه سمّي إدريس لكثرة درسه الكتب وهو أوّل من خطّ بالقلم، وكان خيّاطاً، وأوّل من خاط الثياب؛ وقيل: إنّ الله سبحانه علّمه النجوم والحساب وعلم الهيئة[1] وكان ذلك معجزةً له ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي كثير التصديق في أمور الدين؛ وقيل: صادقاً مبالغاً في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى ﴿نَبِيًّا﴾ أي عليّاً رفيع الشأن برسالات الله تعالى ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أي عالياً رفيعاً؛ وقيل: إنّه رفع إلى السماء السادسة، عن ابن عبّاس والضحّاك؛ وقال مجاهد: رفع إدريس كما رفع عيسى وهو حيّ لم يمت؛ وقال آخرون: إنّه قبض روحه بين السماء الرابعة والخامسة، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام؛ وقيل: إنّ معناه: ورفعناه محلّه ومرتبته بالرسالة ولم يرد رفعة المكان[2].

١ - **ع:** بالإسناد إلى وهب أنّ إدريس عليه السلام كان رجلاً ضخم البطن، عريض الصدر، قليل شعر الجسد، كثير شعر الرأس، وكانت إحدى أذنيه أعظم من الأخرى، وكان رقيق الصدر، رقيق المنطق، قريب الخطى إذا مشى، وإنّما سمّي إدريس لكثرة ما كان يدرس من حكم الله عزّ وجلّ وسنن الإسلام وهو بين أظهر قومه، ثمّ إنّه فكّر في عظمة الله وجلاله فقال: إنّ لهذه السماوات ولهذه الأرضين ولهذا الخلق العظيم والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر وهذه الأشياء الّتي تكون لرباً يدبّرها ويصلحها بقدرته فكيف لي بهذا الربّ فأعبده حقّ عبادته، فخلا بطائفة من قومه فجعل يعظهم ويذكّرهم ويخوّفهم ويدعوهم إلى عبادة خالق الأشياء، فلا يزال يجيبه واحد بعد واحد حتّى صاروا سبعة ثمّ سبعين إلى أن صاروا سبعمائة ثمّ بلغوا ألفاً، فلمّا بلغوا ألفاً قال لهم: تعالوا نختر من خيارنا مائة رجل، فاختاروا من خيارهم مائة رجل، واختاروا من المائة سبعين رجلاً، ثمّ اختاروا من السبعين عشرة، ثمّ اختاروا من العشرة سبعة، ثمّ قال لهم: تعالوا فليدع هؤلاء السبعة وليؤمّن بقيّتنا فلعلّ هذا الربّ جلّ جلاله يدلّنا على عبادته فوضعوا أيديهم على الأرض ودعوا طويلاً فلم يتبيّن لهم شيء، ثمّ رفعوا أيديهم إلى السماء فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إدريس عليه السلام ونبّأه ودلّه على عبادته، ومن آمن معه فلم يزالوا يعبدون الله عزّ وجلّ لا يشركون به شيئاً حتّى رفع الله عزّ وجلّ إدريس إلى السماء وانقرض من تابعه على دينه إلّا قليلاً، ثمّ إنّهم اختلفوا بعد ذلك وأحدثوا الأحداث وأبدعوا البدع حتّى كان زمان نوح عليه السلام[3].

٢ - **ك:** أبي وابن الوليد وابن المتوكّل جميعاً، عن سعد والحميريّ ومحمّد العطّار، عن ابن عيسى وابن هاشم جميعاً، عن ابن محبوب، عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي

---

(١) في دعاء رجب المروي في الإقبال في المناجاة: ومعلم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور وأوقات الأزمان ومكلم موسى. [التمازي].

(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٣٠.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٠ باب ١٩ ح ١.

جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: كان بدء نبوّة إدريس عليه السلام أنّه كان في زمانه ملك جبّار وإنّه ركب ذات يوم في بعض نزهه فمرّ بأرض خضرة لعبد مؤمن من الرافضة فأعجبته، فسأل وزراءه: لمن هذه الأرض؟ قالوا: لعبد من عبيد الملك فلان الرافضيّ، فدعا به فقال له: أمتعني بأرضك هذه، فقال له: عيالي أحوج إليها منك، قال: فسمني بها أثمن لك، قال: لا أمتعك ولا أسومك دع عنك ذكرها، فغضب الملك عند ذلك وأسف وانصرف إلى أهله وهو مغمومٌ مفكّرٌ في أمره، وكانت له امرأة من الأزارقة وكان بها معجباً يشاورها في الأمر إذا نزل به، فلمّا استقرّ في مجلسه بعث إليها ليشاورها في أمر صاحب الأرض فخرجت إليه فرأت في وجهه الغضب، فقالت له: أيّها الملك ما الّذي دهاك حتّى بدا الغضب في وجهك قبل فعلك فأخبرها بخبر الأرض وما كان من قوله لصاحبها ومن قول صاحبها له فقالت: أيّها الملك إنّما يغتمّ ويأسف من لا يقدر على التغيير والانتقام وإن كنت تكره أن تقتله بغير حجّة فأنا أكفيك أمره وأصيّر أرضه بيدك بحجّة لك فيها العذر عند أهل مملكتك، قال: وما هي؟ قالت: أبعث إليه أقواماً من أصحابي أزارقة حتّى يأتوك به فيشهدوا عليه عندك أنّه قد برئ من دينك فيجوز لك قتله وأخذ أرضه، قال: فافعلي ذلك قال: فكان لها أصحاب من الأزارقة على دينها يرون قتل الرافضة من المؤمنين، فبعثت إلى قوم منهم فأتوهم فأمرتهم أن يشهدوا على فلان الرافضيّ عند الملك أنّه قد برئ من دين الملك فشهدوا عليه أنّه قد برئ من دين الملك فقتله واستخلص أرضه، فغضب الله للمؤمن عند ذلك فأوحى الله إلى إدريس عليه السلام أن ائت عبدي هذا الجبّار فقل له: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتّى استخلصت أرضه خالصةً لك فأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما وعزّتي لأنتقمنّ له منك في الآجل، ولأسلبنّك ملكك في العاجل، ولأخربنّ مدينتك، ولأذلنّ عزّك، ولأطعمنّ الكلاب لحم امرأتك، فقد غرّك يا مبتلى حلمي عنك. فأتاه إدريس عليه السلام برسالة ربّه وهو في مجلسه وحوله أصحابه. فقال: أيّها الجبّار إنّي رسول الله إليكم وهو يقول لك: أما رضيت أن قتلت عبدي المؤمن ظلماً حتّى استخلصت أرضه خالصة لك، وأحوجت عياله من بعده وأجعتهم؟ أما وعزّتي لأنتقمنّ له منك في الآجل، ولأسلبنّك ملكك في العاجل، ولأخربنّ مدينتك، ولأذلنّ عزّك، ولأطعمنّ الكلاب لحم امرأتك، فقال الجبّار: اخرج عنّي يا إدريس فلن تسبقني بنفسك، ثمّ أرسل إلى امرأته فأخبرها بما جاء به إدريس فقالت: لا يهولنّك رسالة إله إدريس، أنا أرسل إليه من يقتله فتبطل رسالة إلهه وكلّ ما جاءك به، قال: فافعلي، وكان لإدريس أصحاب من الرّافضة مؤمنون يجتمعون إليه في مجلس له فيأنسون به ويأنس بهم، فأخبرهم إدريس بما كان من وحي الله عزّ وجلّ إليه ورسالته إلى الجبّار وما كان من تبليغ رسالة الله إلى الجبّار، فأشفقوا على إدريس وأصحابه وخافوا عليه القتل، وبعثت امرأة الجبّار إلى إدريس أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوه فأتوه في مجلسه الّذي كان يجتمع إليه فيه أصحابه

فلم يجدوه، فانصرفوا وقد رآهم أصحاب إدريس فحسّوا أنّهم أتوا إدريس ليقتلوه فتفرّقوا في طلبه فلقوه فقالوا له: خذ حذرك يا إدريس فإنّ الجبّار قاتلك، قد بعث اليوم أربعين رجلاً من الأزارقة ليقتلوك فاخرج من هذه القرية، فتنحّى إدريس عن القرية من يومه ذلك ومعه نفر من أصحابه، فلمّا كان في السّحر ناجى إدريس ربّه فقال: يا ربّ بعثتني إلى جبّار فبلّغت رسالتك، وقد توعّدني هذا الجبّار بالقتل، بل هو قاتلي إن ظفر بي، فأوحى الله إليه أن تنحّ عنه واخرج من قريته وخلّني وإيّاه، فوعزّتي لأنفذنّ فيه أمري، ولأصدقنّ قولك فيه وما أرسلتك به إليه.

فقال إدريس: يا ربّ إنّ لي حاجة، قال الله: سلها تعطها، قال: أسألك أن لا تمطر السماء على أهل هذه القرية وما حولها وما حوت عليه حتّى أسألك ذلك، قال الله عزّوجلّ: يا إدريس إذاً تخرب القرية ويشتدّ جهد أهلها ويجوعون، فقال إدريس: وإن خربت وجهدوا وجاعوا، قال الله: فإنّي قد أعطيتك ما سألت ولن أمطر السماء عليهم حتّى تسألني ذلك وأنا أحقّ من وفى بعهده، فأخبر إدريس أصحابه بما سأل الله عزّوجلّ من حبس المطر عنهم وبما أوحى الله إليه ووعده أن لا يمطر السماء عليهم حتّى يسأله ذلك، فاخرجوا أيّها المؤمنون من هذه القرية إلى غيرها من القرى، فخرجوا منها وعدّتهم يومئذ عشرون رجلاً فتفرّقوا في القرى، وشاع خبر إدريس في القرى بما سأل الله تعالى، وتنحّى إدريس إلى كهف في الجبل شاهق فلجأ إليه ووكّل الله عزّوجلّ به ملكاً يأتيه بطعامه عند كلّ مساء وكان يصوم النهار فيأتيه الملك بطعامه عند كلّ مساء، وسلب الله عزّوجلّ عند ذلك ملك الجبّار وقتله وأخرب مدينته وأطعم الكلاب لحم امرأته غضباً للمؤمن، وظهر في المدينة جبّار آخر عاص فمكثوا بذلك بعد خروج إدريس من القرية عشرين سنة لم تمطر السماء قطرةً من مائها عليهم، فجهد القوم واشتدّت حالهم وصاروا يمتارون الأطعمة من القرى من بعد، فلمّا جهدوا مشى بعضهم إلى بعض فقالوا: إنّ الّذي نزل بنا ممّا ترون بسؤال إدريس ربّه أن لا يمطر السماء علينا حتّى يسأله هو، وقد خفي إدريس عنّا ولا علم لنا بموضعه والله أرحم بنا منه، فأجمع أمرهم على أن يتوبوا إلى الله ويدعوه ويفزعوا إليه ويسألوه أن يمطر السّماء عليهم وعلى ما حوت قريتهم، فقاموا على الرماد ولبسوا المسوح، وحثوا على رؤوسهم التراب ورجعوا إلى الله عزّوجلّ بالتّوبة والاستغفار والبكاء والتضرّع إليه، وأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إدريس أهل قريتك قد عجّوا إليّ بالتوبة والاستغفار والبكاء والتضرّع، وأنا الله الرحمن الرحيم أقبل التوبة وأعفو عن السيّئة وقد رحمتهم، ولم يمنعني إجابتهم إلى ما سألوني من المطر إلاّ مناظرتك فيما سألتني أن لا أمطر السماء عليهم حتّى تسألني، فاسألني يا إدريس حتّى أغيثهم وأمطر السماء عليهم.

قال إدريس: اللّهمّ إنّي لا أسألك ذلك، قال الله عزّوجلّ: ألم تسألني يا إدريس فسلني، قال إدريس: اللّهمّ إنّي لا أسألك، فأوحى الله عزّوجلّ إلى الملك الّذي أمره أن يأتي إدريس

بطعامه كلّ مساء أن احبس عن إدريس طعامه ولا تأته به، فلمّا أمسى إدريس في ليلة ذلك اليوم فلم يؤت بطعامه حزن وجاع فصبر، فلمّا كان في اليوم الثاني فلم يؤت بطعامه اشتدّ حزنه وجوعه، فلمّا كانت اللّيلة من اليوم الثالث فلم يؤت بطعامه اشتدّ جهده وجوعه وحزنه وقلّ صبره فنادى ربّه: يا ربّ حبست عنّي رزقي من قبل أن تقبض روحي؟! فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إدريس جزعت أن حبست عنك طعامك ثلاثة أيّام ولياليها، ولم تجزع ولم تنكر جوع أهل قريتك وجهدهم منذ عشرين سنة؟! ثمّ سألتك عن جهدهم ورحمتي إيّاهم أن تسألني أن أمطر السماء عليهم فلم تسألني وبخلت عليهم بمسألتك إيّاي فأذقتك الجوع فقلّ عند ذلك صبرك وظهر جزعك، فاهبط من موضعك فاطلب المعاش لنفسك فقد وكلتك في طلبه إلى حيلك، فهبط إدريس من موضعه إلى غيره يطلب أكلةً من جوع، فلمّا دخل القرية نظر إلى دخان في بعض منازلها فأقبل نحوه فهجم على عجوز كبيرة وهي ترقّق قرصتين لها على مقلاة فقال لها: أيّتها المرأة أطعميني فإنّي مجهود من الجوع، فقالت له: يا عبد الله ما تركت لنا دعوة إدريس فضلاً نطعمه أحداً - وحلفت أنّها ما تملك شيئاً غيره - فاطلب المعاش من غير أهل هذه القرية، قال لها: أطعميني ما أُمسك به روحي وتحملني به رجلي إلى أن أطلب، قالت: إنّهما قرصتان: واحدةٌ لي والأُخرى لابني فإن أطعمتك قوتي متُّ، وإن أطعمتك قوت ابني مات، وما هنا فضل أطعمكاه، فقال لها: إنّ ابنك صغير يجزيه نصف قرصة فيحيى بها ويجزيني النصف الآخر فأحيى به وفي ذلك بلغةٌ لي وله، فأكلت المرأة قرصها وكسرت القرص الآخر بين إدريس وبين ابنها، فلمّا رأى ابنها إدريس يأكل من قرصه اضطرب حتّى مات، قالت أُمّه: يا عبد الله قتلت عليّ ابني جزعاً على قوته؟! قال إدريس: فأنا أُحييه بإذن الله تعالى فلا تجزعي، ثمّ أخذ إدريس بعضدي الصبيّ ثمّ قال: أيّتها الروح الخارجة من بدن هذا الغلام بإذن الله ارجعي إلى بدنه بإذن الله وأنا إدريس النبيّ، فرجعت روح الغلام إليه بإذن الله فلمّا سمعت المرأة كلام إدريس وقوله: أنا إدريس ونظرت إلى ابنها قد عاش بعد الموت قالت: أشهد أنّك إدريس النبيّ، وخرجت تنادي بأعلى صوتها في القرية: أبشروا بالفرج فقد دخل إدريس قريتكم، ومضى إدريس حتّى جلس على موضع مدينة الجبّار الأوّل وهي على تلّ فاجتمع إليه أناس من أهل قريته فقالوا له: يا إدريس أما رحمتنا في هذه العشرين سنة الّتي جهدنا فيها ومسّنا الجوع والجهد فيها؟ فادع الله لنا أن يمطر السماء علينا، قال: لا حتّى يأتيني جبّاركم هذا وجميع أهل قريتكم مشاةً حفاةً فيسألوني ذلك، فبلغ الجبّار قوله فبعث إليه أربعين رجلاً يأتوه بإدريس، فأتوه فقالوا له: إنّ الجبّار بعث إليك لتذهب إليه فدعا عليهم فماتوا، فبلغ الجبّار ذلك فبعث إليه خمسمائة رجل ليأتوه به فقالوا له: يا إدريس إنّ الجبّار بعثنا إليك لنذهب بك إليه، فقال لهم إدريس: انظروا إلى مصارع أصحابكم، فقالوا له: يا إدريس قتلتنا بالجوع منذ عشرين سنة ثمّ تريد أن تدعو علينا بالموت! أما لك رحمة؟ فقال: ما

أنا بذاهب إليه، ولا أنا بسائل الله أن يمطر السماء عليكم حتّى يأتيني جبّاركم ماشياً حافياً وأهل قريتكم، فانطلقوا إلى الجبّار فأخبروه بقول إدريس وسألوه أن يمضي معهم وجميع أهل قريتهم إلى إدريس حفاةً مشاةً، فأتوه حتّى وقفوا بين يديه خاضعين له طالبين إليه أن يسأل الله لهم أن يمطر السماء عليهم، فقال لهم إدريس: أمّا الآن فنعم، فسأل الله تعالى إدريس عند ذلك أن يمطر السماء عليهم وعلى قريتهم ونواحيها فأظلّتهم سحابة من السماء وأرعدت وأبرقت وهطلت عليهم من ساعتهم حتّى ظنّوا أنّها الغرق فما رجعوا إلى منازلهم حتّى أهمّتهم أنفسهم من الماء[1].

ص: بإسناده إلى الصدوق مثله[2].

بيان: فسمني أي بعني. أثمن لك: أعطيك الثمن. قبل فعلك أي إتيانك بما غضبت له. فلن تسبقني بنفسك هو تهديدٌ بالقتل، أي لا يمكنك الفرار بنفسك والتقدّم بحيث لا يمكنني اللّحوق بك لإهلاكها، أو لا تغلبني في أمر نفسك بأن تتخلّصها منّي؛ ويحتمل أن يكون المراد: لا تغلبني متفرّداً بنفسك من غير معاون فلم تتعرّض لي. حتّى أهمّتهم أنفسهم أي خوف أنفسهم أوقعهم في الهموم، أو لم يهتمّهم إلاّ همّ أنفسهم وطلب خلاصها.

ثمّ اعلم أنّ الظاهر أنّ أمره تعالى إدريس عليه السلام بالدّعاء لهم لم يكن على سبيل الحتم والوجوب بل على الندب والاستحباب، وكان غرضه عليه السلام في التأخير وفي طلب القوم أن يأتوه متذلّلين تنبيههم وزجرهم عن الطغيان والفساد ولئلاّ يخالفوا ربّهم بعد دخوله بينهم، وأنّ أولياء الله يغضبون لربّهم أكثر من سخطه تعالى لنفسه لسعة رحمته وعظم حلمه تعالى شأنه.

٣ -**قس:** أبي عن ابن أبي عمير، عمّن حدّثه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى غضب على ملك من الملائكة فقطع جناحه وألقاه في جزيرة من جزائر البحر، فبقي ما شاء الله في ذلك البحر، فلمّا بعث الله إدريس عليه السلام جاء ذلك الملك إليه فقال: يا نبيّ الله ادع الله أن يرضى عنّي ويردّ عليّ جناحي، قال: نعم، فدعا إدريس ربّه فردّ الله عليه جناحه ورضي عنه، قال ملك لإدريس: ألك إليّ حاجة؟ قال: نعم، أحبّ أن ترفعني إلى السماء حتّى أنظر إلى ملك الموت، فإنّه لا تعيّش لي مع ذكره، فأخذه الملك إلى جناحه حتّى انتهى به إلى السماء الرابعة فإذا ملك الموت جالسٌ يحرّك رأسه تعجّباً، فسلّم إدريس على ملك الموت وقال له: ما لك تحرّك رأسك؟ قال: إنّ ربّ العزّة أمرني أن أقبض روحك بين السماء الرابعة والخامسة، فقلت: ربّ كيف يكون هذا وغلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام (ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام خ ل) وكلّ سماء وما بينهما كذلك، فكيف يكون هذا؟! ثمّ قبض روحه بين السماء

---

(١) كمال الدين، ص ١٢٩.

(٢) قصص الأنبياء ص ٧٣.

الرابعة والخامسة وهو قوله: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ قال: وسمّي إدريس لكثرة دراسة الكتب[١].

٤ - مع: معنى إدريس أنّه كان يكثر الدرس بحكم الله عزّوجلّ وسنن الإسلام[٢].

٥ - ل، مع: في خبر أبي ذرّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنزل الله على إدريس ثلاثين صحيفة[٣].

٦ - ج: فيما احتجّ به أمير المؤمنين عليه السلام على يهوديّ الشام: إنّ إدريس عليه السلام رفعه الله مكاناً عليّاً، وأطعم من تحف الجنّة بعد وفاته[٤].

٧ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن عثمان، عن أبي جميلة، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ ملكاً من الملائكة كانت له منزلة فأهبطه الله من السماء إلى الأرض فأتى إدريس النبيّ عليه السلام فقال له: اشفع لي عند ربّك، فصلّى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيّامها لا يفطر ثمّ طلب إلى الله في السحر للملك فأذن له في الصعود إلى السماء فقال له الملك: أُحبّ أن أكافيك فاطلب إليّ حاجة، فقال: تريني ملك الموت لعلّي آنس به فإنّه ليس يهنؤني مع ذكره شيء، فبسط جناحيه ثمّ قال: اركب، فصعد به فطلب ملك الموت في سماء الدنيا فقيل: إنّه قد صعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة فقال الملك لملك الموت: ما لي أراك قاطباً؟ قال: أتعجّب إنّي كنت تحت ظلّ العرش حتّى أُمرت أن أقبض روح إدريس بين السماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس ذلك فانتفض من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه مكانه، وذلك قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾[٥].

٨ - ص: بهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن عبد الله بن المغيرة، عن محمّد بن مروان عن أبي صالح، عن ابن عبّاس قال: كان إدريس النبيّ عليه السلام يسيح النهار ويصومه ويبيت حيث ما جنّه اللّيل ويأتيه رزقه حيث ما أفطر، وكان يصعد له من العمل الصالح مثل ما يصعد لأهل الأرض كلّهم، فسأل ملك الموت ربّه في زيارة إدريس عليه السلام وأن يسلّم عليه، فأذن له فنزل وأتاه، فقال: إنّي أريد أن أصحبك فأكون معك، فصحبه وكانا يسيحان النّهار ويصومانه فإذا جنّهما اللّيل أتي إدريس فطره فيأكل ويدعو ملك الموت إليه فيقول: لا حاجة لي فيه. ثمّ يقومان يصلّيان، وإدريس يصلّي ويفتر وينام، وملك الموت يصلّي ولا ينام ولا يفتر، فمكثا بذلك أيّاماً ثمّ إنّهما مرّا بقطيع غنم وكرم قد أينع، فقال ملك الموت: هل لك أن تأخذ من ذلك حملاً أو من هذا عناقيد فتفطر عليه؟ فقال: سبحان الله أدعوك إلى مالي فتأبى فكيف تدعوني إلى مال الغير!؟ ثمّ قال إدريس عليه السلام: قد صحبتني وأحسنت فيما بيني وبينك من

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥. (٢) معاني الأخبار، ص ٤٨.
(٣) الخصال، ص ٥٢٤ باب العشرين ح ١٣ ومعاني الأخبار، ص ٣٣٤.
(٤) الاحتجاج، ص ٢١١. (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٦.

أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال إدريس: لي إليك حاجة، فقال: وما هي؟ قال: تصعد بي إلى السّماء، فاستأذن ملك الموت ربّه في ذلك فأذن له، فحمله على جناحه فصعد به إلى السماء، ثمّ قال له إدريس عليه السلام: إنّ لي إليك حاجة أخرى، قال: وما هي؟ قال: بلغني من الموت شدّة فأحبّ أن تذيقني منه طرفاً فأنظر هو كما بلغني، فاستأذن ربّه له فأذن فأخذ بنفسه ساعة ثمّ خلّى عنه، فقال له: كيف رأيت؟ قال: بلغني عنه شدّة وإنّه لأشدّ ممّا بلغني، ولي إليك حاجة أخرى تريني النار، فاستأذن ملك الموت صاحب النّار، ففتح له فلمّا رآها إدريس عليه السلام سقط مغشيّاً عليه، ثمّ قال: لي إليك حاجة أخرى تريني الجنّة، فاستأذن ملك الموت خازن الجنّة فدخلها فلمّا نظر إليها قال: يا ملك الموت ما كنت لأخرج منها، إنّ الله تعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ وقد ذقته، ويقول: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقد وردتها، ويقول في الجنّة: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(١).

بيان: الخبران السابقان أقوى وأصحّ سنداً كما لا يخفى فالمعوّل عليهما، وهذا أوفق بروايات العامّة.

٩ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب بن المنبّه قال: إنّ إدريس كان رجلاً طويلاً، ضخم البطن، عظيم الصدر، قليل الصوت، رقيق المنطق، قريب الخُطى إذا مشى - وساق الحديث إلى آخر ما مرّ في صدر الباب - ثمّ قال: وأنزل الله على إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة، وهو أوّل من خطّ بالقلم، وأوّل من خاط الثياب ولبسها، وكان من قبله يلبسون الجلود، وكان كلّما خاط سبّح الله وهلّله وكبّره ووحّده ومجّده، وكان يصعد إلى السماء من عمله في كلّ يوم مثل أعمال أهل زمانه كلّهم، قال: وكانت الملائكة في زمان إدريس عليه السلام يصافحون الناس ويسلّمون عليهم ويكلّمونهم ويجالسونهم وذلك لصلاح الزمان وأهله، فلم يزل الناس على ذلك حتّى كان زمن نوح عليه السلام وقومه ثمّ انقطع ذلك، وكان من أمره مع ملك الموت ما كان حتّى دخل الجنّة، فقال له ربّه: إنّ إدريس إنّما حاجّك فحجّك بوحيي وأنا الّذي هيّأت له تعجيل دخول الجنة، فإنّه كان ينصب نفسه وجسده يتعبهما لي، فكان حقّاً عليّ أن أعوّضه من ذلك الرّاحة والطمأنينة، وأن أبوّئه بتواضعه لي وبصالح عبادتي من الجنّة مقعداً ومكاناً عليّاً(٢).

١٠ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن الصّائغ، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن ابن مهران، عن الصّادق عليه السلام قال: إذا دخلت الكوفة فأت مسجد السّهلة فصلّ فيه واسأل الله حاجتك لدينك ودنياك، فإنّ مسجد السهلة بيت إدريس النبيّ عليه السلام الّذي كان يخيط فيه ويصلّي فيه، ومن دعا الله فيه بما أحبّ قضى له حوائجه

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٧٨.

ورفعه يوم القيامة مكاناً عليّاً إلى درجة إدريس عليه السلام، وأجير من مكروه الدنيا ومكائد أعدائه[١].

أقول: قد أوردنا مثله بأسانيد في باب مسجد السهلة، وقال المسعوديّ: أخنوخ هو إدريس النبيّ عليه السلام والصابئة تزعم أنّه هرمس، ومعنى هرمس عطارد، وهو الّذي أخبر الله في كتابه أنّه رفعه مكاناً عليّاً، وكان عالماً بالنجوم، وكانت حياته في الأرض ثلاثمائة سنة، وقيل: أكثر من ذلك، وهو أوّل من طرّز الطرز وخاط بالإبرة، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة، وكان نزل قبل ذلك على آدم إحدى وعشرون صحيفة ونزل على شيث تسعة وعشرون صحيفة فيها تهليل وتسبيح[٢].

وقال الطبرسيّ رحمه الله والرّازيّ: إنّه جدّ أبي نوح عليه السلام واسمه أخنوخ، وهو أوّل من خاط الثياب ولبسها، وكانوا يلبسون الجلود[٣].

وقال ابن الأثير في الكامل: قام أنوش بن شيث بعد موت أبيه بسياسة الملك وتدبير من تحت يديه من رعيّته مقام أبيه لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل، وكان جميع عمر أنوش سبعمائة وخمس سنين، وكان مولده بعد أن مضى من عمر أبيه شيث ستّمائة وخمس سنين، هذا قول أهل التوراة. وقال ابن عبّاس: ولد شيث أنوش ومعه نفراً كثيراً وإليه أوصى شيث، ثمّ ولد لأنوش ابنه قينان بعد مضيّ تسعين سنة من عمر أنوش، وولد معه نفراً كثيراً وإليه الوصيّة، وولد قينان مهلائيل وولداً كثيراً معه، وإليه الوصيّة، وولد مهلائيل يرد، - وقيل: يارد - ونفراً معه وإليه الوصيّة، فولد يرد خنوخ وهو إدريس النبيّ عليه السلام ونفراً معه وإليه الوصيّة.

ثمّ قال: والحكماء اليونانيّون يسمّونه هرمس الحكيم، فعاش يرد بعد مولد إدريس ثمانمائة سنة، وولد له بنون وبنات فكان عمره تسعمائة سنة واثنتين وستّين سنة، وتوفّي آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر إدريس ثلاثمائة سنة وثمان وستّون. قال: وفي التوراة أنّ الله رفع إدريس بعد ثلاثمائة سنة وخمس وستّين سنة من عمره، وبعد أن مضى من عمر أبيه خمسمائة سنة وسبع وعشرون سنة، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمساً وثلاثين سنة، تمام تسعمائة واثنتين وستّين سنة.

ثمّ قال: وولد لخنوخ متوشلخ فعاش بعدما ولد متوشلخ ثلاثمائة سنة، ثمّ رفع واستخلفه خنوخ على أمر ولده فعاش تسعمائة سنه وتسع عشرة سنة، ثمّ مات وأوصى إلى ابنه لمك وهو أبو نوح عليه السلام[٤].

وقال السيّد ابن طاوس في كتاب سعد السعود: وجدت في صحف إدريس عليه السلام:

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٠.
(٢) مروج الذهب، ج ١ ص ٣٩.
(٣) تفسير فخر الرازي ج ٢١ ص ٢٣٤.
(٤) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٢ - ٣٥.

فكأنّك بالموت قد نزل، فاشتدّ أنينك، وعرق جبينك، وتقلّصت شفتاك، وانكسر لسانك، ويبس ريقك، وعلا سواد عينيك بياض، وأزبد فوك، واهتزّ جميع بدنك، وعالجت غصّة الموت وسكرته ومرارته وزعقته، ونوديت فلم تسمع، ثمّ خرجت نفسك وصرت جيفة بين أهلك، إنّ فيك لعبرة لغيرك، فاعتبر في معاني الموت، إنّ الّذي نزل نازل بك لا محالة، وكلّ عمر وإن طال فعن قليل يفنى، لأنّ كلّ ما هو آت قريبٌ لوقت معلوم، فاعتبر بالموت يا من يموت، واعلم أيّها الإنسان أنّ أشدّ الموت ما قبله، والموت أهون ممّا بعده من شدّة أهوال يوم القيامة، ثمّ ذكر من أحوال الصيحة والفناءِ ويوم القيامة ومواقف الحساب والجزاءِ ما يعجز عن سماعه قوّة الأقوياء[1].

١١ - **أقول:** ثمّ نقل السيّد عن الصحف ما يخاطب الله نبيّنا ﷺ يوم القيامة، وسيأتي في باب البشائر من كتاب أحواله ﷺ.

ثمّ قال رحمه الله: وجدت في كتاب مفرد في وقف المشهد المسمّى بالطاهر بالكوفة عليه مكتوب سنن إدريس عليه السلام وهو بخطّ عيسى نقله من السريانيّ إلى العربيّ عن إبراهيم بن هلال الصابئ الكاتب وكان فيه: اعلموا واستيقنوا أنّ تقوى الله هي الحكمة الكبرى، والنعمة العظمى، والسبب الداعي إلى الخير، والفاتح لأبواب الخير والفهم والعقل، لأنّ الله لمّا أحبّ عباده وهب لهم العقل واختصّ أنبياءه وأولياءه بروح القدس، فكشفوا لهم عن سرائر الدّيانة وحقائق الحكمة لينتهوا عن الضلال ويتّبعوا الرشاد، ليتقرّر في نفوسهم أنّ الله أعظم من أن تحيط به الأفكار، أو تدركه الأبصار، أو تحصله الأوهام، أو تحدّه الأحوال وأنّه المحيط بكلّ شيء والمدبّر له كما شاء، لا يتعقّب أفعاله، ولا تدرك غاياته، ولا يقع عليه تحديد ولا تحصيل ولا مشار ولا اعتبار ولا فطن ولا تفسير ولا تنتهي استطاعة المخلوقين إلى معرفة ذاته ولا علم كنهه.

وفي موضع آخر من الكتاب المذكور: ادعوا الله في أكثر أوقاتكم متعاضدين متألهين في دعائكم فإنّه إن يعلم منكم التظافر والتوازر يجب دعاءكم ويقض حاجاتكم، ويبلّغكم آمالكم، ويفض عطاياه عليكم من خزائنه الّتي لا تفنى.

وفي موضع آخر: إذا دخلتم في الصيام فطهّروا نفوسكم من كلّ دنس ونجس، وصوموا لله بقلوب خالصة صافية منزّهة عن الأفكار السيّئة والهواجس المنكرة، فإنّ الله سيحبس القلوب اللّطخة والنيّات المدخولة ومع صيام أفواهكم من المآكل فلتصم جوارحكم من المآثم، فإنّ الله لا يرضى منكم أن تصوموا من المطاعم فقط، لكن من المناكير كلّها والفواحش بأسرها، وإذا دخلتم في الصلاة فاصرفوا لها خواطركم وأفكاركم، وادعوا الله دعاءً طاهراً متفرّغاً، وسلوه مصالحكم ومنافعكم بخضوع وخشوع وطاعة واستكانة، وإذا ركعتم وسجدتم فأبعدوا

---

(١) سعد السعود، ص ٣٨.

عن نفوسكم أفكار الدنيا وهواجس السوء وأفعال الشرّ واعتقاد المكر والمآكل السحت والعدوان والأحقاد واطرحوا بينكم ذلك كلّه.

وقال في موضع آخر: أدّوا فرائض صلوات كلّ يوم وهي ثلاث: الغداة وعددها ثمان سور، وكلّ سورتين ثلاث سجدات بثلاث تسبيحات؛ وعند انتصاف النهار خمس سور، وعند غروب الشمس خمس سور بسجودهنّ، هذه المكتوبة عليكم ومن زاد عليها متنفّلاً فله على الله المزيد من الثواب[١].

١٢ - **كا**: العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن أبي داود، عن عبد الله بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مسجد السهلة موضع بيت إدريس النبيّ عليه السلام الّذي كان يخيط فيه[٢].

١٣ - كا: محمّد بن يحيى، عن عمرو بن عثمان، عن حسين بن بكر، عن عبد الرّحمن بن سعيد عنه عليه السلام مثله[٣].

أبواب قصص نوح عليه السلام

١ - باب مدة عمره وولادته ووفاته وعلل تسميته ونقش خاتمه وجمل أحواله عليه السلام

١ - **ن، لي**: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن الحسن بن عليّ بن أبي العقبة (العقب خ) عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا ركب السفينة أوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا نوح إن خفت الغرق فهلّلني ألفاً ثمّ سلني النجاة أنجك من الغرق ومن آمن معك، قال: فلمّا استوى نوح ومن معه في السفينة ورفع القلس عصفت الريح عليهم فلم يأمن نوح الغرق فأعجلته الريح فلم يدرك أن يهلّل ألف مرّة، فقال بالسريانيّة: «هلوليا ألفا يا ماريا أتقن» قال: فاستوى القلس واستمرّت السفينة، فقال نوح عليه السلام: إنّ كلاماً نجّاني الله به من الغرق لحقيقٌ أن لا يفارقني، قال: فنقش في خاتمه «لا إله إلاّ الله - ألف مرّة - يا ربّ أصلحني» الخبر[٤].

ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن عبد الله بن أحمد، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ عن الحسين بن خالد مثله[٥].

٢ - **لي**: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن الحكم، عن هشام بن سالم، عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام ألفي سنة وخمسمائة سنة، منها

---

(١) سعد السعود، ص ٤٠. (٢) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ٢٥٨ باب ٢٧٤ ح ١ و٣.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٦٠ باب ٣١ ح ٢٠٦ وأمالي الصدوق، ص ٣٦٩ مجلس ٧٠ ح ٥.
(٥) الخصال ص ٣٣٥ باب ٦ ح ٣٦.

ثمانمائة سنة وخمسون سنة قبل أن يبعث، وألف سنة إلاّ خمسين عاماً وهو في قومه يدعوهم ومائتا عام في عمل السفينة، وخمسمائة عام بعدما نزل من السفينة ونضب الماء فمصّر الأمصار وأسكن ولده البلدان، ثمّ إنّ ملك الموت جاءه وهو في الشمس فقال: السّلام عليك، فردّ عليه نوح عليه السلام وقال له: ما حاجتك يا ملك الموت؟ فقال: جئت لأقبض روحك، فقال له: تدعني أدخل من الشمس إلى الظلّ؟ فقال له: نعم، فتحوّل نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ملك الوت فكأن ما مرّ بي في الدنيا مثل تحوّلي من الشمس إلى الظلّ، فامض لما أمرت به، قال: فقبض روحه عليه السلام [(١)].

ص: بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن هاشم، عن عليّ بن الحكم، عن بعض أصحابنا عنه عليه السلام مثله «ص ٨٧».

ك: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم مثله «ص ٤٧٣».

أقول: قال الطبرسيّ رحمه الله في مجمع البيان: روى عليّ بن إبراهيم بن هاشم، عن عليّ ابن الحكم، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام، وذكر مثله «ج ٤ ص ٢٨٣».

٣ - ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم نوح عليه السلام ما كان؟ فقال: اسمه السكن، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه ناح على قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً[(٢)].

٤ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن أحمد ابن الحسن الميثميّ، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان اسم نوح عليه السلام عبد الغفّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه[(٣)].

قس: مرسلاً مثله.

٥ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن ابن أبي نجران، عن سعيد بن جناح، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبد الملك، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمس مائة سنة[(٤)].

٦ - ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عمّن ذكره، عن سعيد ابن جناح، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان اسم نوح عبد الأعلى، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه بكى خمسمائة عام.

قال الصدوق رحمه الله: الأخبار في اسم نوح كلّها متّفقة غير مختلفة، تثبت له التسمية بالعبوديّة وهو عبد الغفّار والملك والأعلى[(٥)].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٤١٣ مجلس ٧٧ ح ٧.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

(٣) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٤١ باب ٢٠ ح ١-٣.

٧ - مع: معنى نوح أنّه كان ينوح على نفسه، وبكى خمسمائة عام، ونحّى نفسه عمّا كان فيه قومه من الضلالة[١].

٨ - ص: كان نوح ابن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس بن يرد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام[٢].

٩ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: إنّ نوحاً عليه السلام كان نجّاراً، وكان إلى الأدمة ما هو، دقيق الوجه، في رأسه طول، عظيم العينين، دقيق الساقين، كثيراً لحم الفخذين، ضخم السرّة، طويل اللّحية، عريضاً طويلاً جسيماً، وكان في غضبه وانتهاره شدّة، فبعثه الله وهو ابن ثمانمائة وخمسين سنة، فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الله تعالى، فلا يزدادون إلاّ طغياناً، ومضى ثلاثة قرون من قومه، وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقفه على رأس نوح عليه السلام فيقول: يا بنيّ إن بقيت بعدي فلا تطيعنّ هذا المجنون[٣].

بيان: إلى الأدمة ما هو أي كان مائلاً إلى الأدمة وما هو بآدم.

١٠ - ص: بالإسناد عن الصّدوق، عن عليّ بن أحمد، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة، وكان يوماً في السفينة نائماً فهبّت ريح فكشفت عورته، فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك، فانتبه نوح عليه السلام وقال لهما: جعل الله عزّ وجلّ ذرّيّتكما خولاً لذرّيّة سام إلى يوم القيامة، لأنّه برّ بي وعققتماني، فلا زالت سمة عقوقكما في ذرّيّتكما ظاهرة، وسمة البرّ في ذرّيّة سام ظاهرة ما بقيت الدنيا فجميع السودان حيث كانوا من ولد حام، وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من ولد سام. وأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام: إنّي قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً منّي بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق ومن أوفى بعهده منّي! ففرح نوح عليه السلام وتباشر، وكان القوس فيها وتر وسهم، فنزع منها السهم والوتر وجعلت أماناً من الغرق، وجاء إبليس إلى نوح عليه السلام فقال: إنّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فإنّي لا أخونك، فتأثّم نوح عليه السلام بكلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه أن كلّمه وسله فإنّي سأنطقه بحجّة عليه، فقال نوح عليه السلام: تكلّم، فقال إبليس إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقّفناه تلقّف الكرة فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً، فقال نوح ما اليد العظيمة الّتي صنعت؟ قال: إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنار فصرت فارغاً، ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً[٤].

---

(١) معاني الأخبار، ص ٤٨. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨١.

(٣) - (٤) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٤-٨٥.

١١ - **ك**: ماجيلويه وابن المتوكّل والعطّار جميعاً عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر وعبد الكريم بن عمرو معاً، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: عاش نوح عليه السلام بعد النزول من السفينة خمسين سنة، ثمّ أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا نوح إنّه قد انقضت نبوّتك واستكملت أيّامك فانظر الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة الّتي معك فادفعها إلى ابنك سام فإنّي لا أترك الأرض إلاّ وفيها عالم يعرف به طاعتي، ويكون نجاة فيما بين قبض النبيّ وبعث النبيّ الآخر، ولم أكن أترك الناس بغير حجّة وداع إليّ وهاد إلى سبيلي وعارف بأمري، فإنّي قد قضيت أن أجعل لكلّ قوم هادياً أهدي به السعداء، ويكون حجّة على الأشقياء، قال: فدفع نوح عليه السلام الاسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوّة إلى ابنه سام، فأمّا حام ويافث فلم يكن عندهما علم ينتفعان به، قال: وبشّرهم نوح بهود عليه السلام وأمرهم باتّباعه وأمرهم أن يفتحوا الوصيّة كلّ عام فينظروا فيها فيكون ذلك عيداً لهم كما أمرهم آدم عليه السلام، قال: وظهرت الجبريّة في ولد حام ويافث، واستخفى ولد سام بما عندهم من العلم وجرت على سام بعد نوح الدولة لحام ويافث وهو قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول: تركت على نوح دولة الجبّارين، ويعزّي الله محمّد صلى الله عليه وآله بذلك، وولد لحام السند والهند والحبش، وولد لسام العرب والعجم، وجرت عليهم الدولة، وكانوا يتوارثون الوصيّة عالم بعد عالم حتّى بعث الله عزّ وجلّ هوداً[1].

أقول: ذكر في ص بهذا الإسناد إلى قوله: «كما أمرهم آدم عليه السلام» إلاّ أنّ فيه خمسمائة سنة بدل خمسين سنة، وهو الصواب كما يدلّ عليه ما مرّ من الأخبار[2]، ورواه في الكافي أيضاً عن محمّد بن أبي عبدالله، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سنان؛ وفيه أيضاً: خمسمائة سنة[3].

١٢ - **ك**: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن سعيد بن جناح، عن أيّوب بن راشد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت أعمار قوم نوح ثلاثمائة سنة، ثلاثمائة سنة[4].

١٣ - **ك**: أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار معاً عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف، عن الصادق، عن آبائه، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: عاش نوح ألفي سنة وأربعمائة وخمسين سنة[5].

بيان: اعلم أنّ أرباب السير اختلفوا في عمره عليه السلام فقيل كان ألف سنة، وقيل: كان ألفاً

---

(١) كمال الدين، ص ١٣٥.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ٨٦.
(٣) روضة الكافي ح ٤٣٠.
(٤) - (٥) كمال الدين، ص ٤٧٤.

وأربعمائة وخمسين سنة؛ وقيل: كان ألفاً وأربعمائة وسبعين سنة، وقيل: ألفاً وثلاثمائة سنة، وأخبارنا المعتبرة تدلّ على أنّه عاش ألفين وخمسمائة سنة وهذا الخبر لا يعتمد عليه لمخالفته لأقوال الفريقين وأخبارهم، ولعلّه لم يحسب فيه بعض زمن حياته عليه السلام لعلّة كالزمان السابق على البعثة، أو زمان عمل السفينة، أو أواخر عمره عليه السلام.

٢ - باب مكارم أخلاقه وما جرى بينه وبين إبليس وأحوال أولاده وما أوحي اليه وصدر عنه من الحكم والأدعية وغيرها

الآيات: الإسراء «١٧»: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ «٣».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ معناه أنّ نوحاً كان عبداً لله كثير الشكر، وكان إذا لبس ثوباً أو أكل طعاماً أو شرب ماءً شكر الله تعالى وقال: الحمد لله. وقيل: إنّه كان يقول في ابتداءِ الأكل والشرب: بسم الله، وفي انتهائه: الحمد لله. وروي عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام أنّ نوحاً كان إذا أصبح وأمسى قال: «اللّهمّ إنّي أشهدك أنّ ما أصبح أو أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد ولك الشكر بها عليّ حتّى ترضى وبعد الرضى» فهذا كان شكره[١].

١ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيّوب، والشكر عن نوح، والحسد عن بني يعقوب[٢].

٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ نوحاً إنّما سمّي عبداً شكوراً لأنّه كان يقول إذا أصبح وأمسى: اللّهمّ إنّي أشهد أنّه ما أمسى وأصبح بي من نعمة أو عافية في دين أو دنيا فمنك وحدك لا شريك لك، لك الحمد والشكر بها عليّ حتّى ترضى إلهنا[٣].

٣ - فس: أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان نوح إذا أمسى وأصبح يقول: «أمسيت أشهد أنّه ما أمسى بي من نعمة في دين أو دنيا فإنها من الله وحده لا شريك له، له الحمد بها عليّ والشكر كثيراً» فأنزل الله: «إنّه كان عبداً شكوراً» فهذا كان شكره[٤].

٤ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: عاش نوح عليه السلام ألفين وخمسمائة سنة، وكان يوماً في السفينة نائماً فهبّت ريح فكشفت عورته فضحك حام ويافث فزجرهما سام ونهاهما عن الضحك،

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢١٨.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٩ باب ٣١ ح ١٦٤.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٢ باب ٢١ ح ١.

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٥.

وكان كلّما غطّى سام شيئاً تكشفه الريح كشفه حام ويافث، فانتبه نوح عليه السلام فرآهم وهم يضحكون، فقال: ما هذا؟ فأخبره سام بما كان، فرفع نوح عليه السلام يده إلى السماء يدعو ويقول: «اللّهمّ غيّر ماء صلب حام حتّى لا يولد له إلاّ السودان، اللّهمّ غيّر ماء صلب يافث» فغيّر الله ماء صلبيهما، فجميع السودان حيث كانوا من حام، وجميع الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج والصين من يافث حيث كانوا، وجميع البيض سواهم من سام، وقال نوح عليه السلام لحام ويافث: جعل ذرّيّتكما خولاً لذرّيّة سام إلى يوم القيامة، لأنّه برّ بي وعققتماني، فلا زالت سمة عقوقكما لي في ذرّيّتكما ظاهرة، وسمة البرّ بي في ذرّيّة سام ظاهرة ما بقيت الدنيا[1].

بيان: خولاً أي خدماً ومماليك.

أقول: روى الشيخ الطبرسيّ رحمه الله هذا الخبر من كتاب النبوّة بهذا الإسناد، ثمّ قال: قال الشيخ أبو جعفر بن بابويه رحمه الله: ذكر يافث في هذا الخبر غريب لم أروه إلاّ من هذا الطريق، وجميع الأخبار الّتي رويتها في هذا المعنى فيها ذكر حام وحده، وأنّه ضحك لمّا انكشف عورة أبيه وأنّ ساماً ويافثاً كانا في ناحية فبلغهما ما صنع فأقبلا ومعهما ثوب وهما معرضان وألقيا عليه الثوب وهو نائم، فلمّا استيقظ أوحى الله عزّ وجلّ إليه ما صنع حام فلعن حام ودعا عليه[2].

٥ - ع: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن مرّار، عن يونس، عن العلاء، عن محمّد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبي يقول: إنّ نوحاً عليه السلام حين أمر بالغرس كان إبليس إلى جانبه، فلمّا أراد أن يغرس العنب قال: هذه الشجرة لي، فقال له نوح عليه السلام: كذبت، فقال إبليس: فما لي منها؟ فقال نوح عليه السلام: لك الثلثان، فمن هناك طاب الطلاء على الثلث[3].

٦ - ع: بالإسناد إلى وهب قال: لمّا خرج نوح عليه السلام من السفينة غرس قضباناً كانت معه في السفينة من النخل والأعناب وسائر الثمار فأطعمت من ساعتها وكانت معه حبلة العنب وكانت آخر شيء أخرج حبلة العنب فلم يجدها نوح عليه السلام، وكان إبليس قد أخذها فخبأها، فنهض نوح عليه السلام ليدخل السفينة فيلتمسها فقال له الملك الّذي معه: اجلس يا نبيّ الله ستؤتى بها، فجلس نوح عليه السلام فقال له الملك: إنّ لك فيها شريكاً في عصيرها فأحسن مشاركته، قال: نعم له السبع ولي ستّة أسباع، قال له الملك: أحسن فأنت محسن، قال نوح عليه السلام: له السدس ولي خمسة أسداس، قال له الملك: أحسن فأنت محسن، قال نوح عليه السلام: له الخمس ولي الأربعة الأخماس، قال له الملك: أحسن فأنت محسن، قال نوح عليه السلام: له

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٥ باب ٢٨ ح ١. (٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٨٣.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٩ باب ٢٢٦ ح ٢.

الربع ولي ثلاثة أرباع، قال له الملك: أحسن فأنت محسن، قال: فله النصف ولي النصف ولي التصرُّف، قال له الملك: أحسن فأنت محسن، قال عليه السلام: لي الثلث وله الثلثان فرضي، فما كان فوق الثلث من طبخها فلإبليس وهو حظّه، وما كان من الثلث فما دونه فهو لنوح عليه السلام وهو حظّه وذلك الحلال الطيّب ليشرب منه[١].

٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن محمّد بن شاذان، عن أحمد بن عثمان، عن محمّد ابن محمّد بن الحارث، عن صالح بن سعيد، عن عبد الهيثم، عن المسيّب، عن محمّد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال إبليس لنوح عليه السلام: لك عندي يد سأعلّمك خصالاً، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم الله جميعاً؛ فإيّاك والكبر، وإيّاك والحرص، وإيّاك والحسد، فإنّ الكبر هو الّذي حملني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً، وإيّاك والحرص فإنّ آدم أُبيح له الجنّة ونهي عن شجرة واحدة فحمله الحرص على أن أكل منها، وإيّاك والحسد فإنّ ابن آدم حسد أخاه فقتله؛ فقال نوح: فأخبرني متى تكون أقدر على ابن آدم؟ قال: عند الغضب[٢].

٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي نصر، عن أبان، عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة غرس غرساً فكان فيما غرس النخلة ثمّ رجع إلى أهله فجاء إبليس لعنه الله فقلعها، ثمّ إنّ نوحاً عليه السلام عاد إلى غرسه فوجده على حاله ووجد النخلة قد قلعت ووجد إبليس عندها فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخبره أنّ إبليس لعنه الله قلعها، فقال نوح عليه السلام لإبليس لعنه الله: ما دعاك إلى قلعها فوالله ما غرست غرساً أحبّ إليّ منها، ووالله لا أدعها حتّى أغرسها، وقال إبليس لعنه الله: وأنا والله لا أدعها حتّى أقلعها، فقال له: اجعل لي منها نصيباً، قال: فجعل له منها الثلث، فأبى أن يرضى فجعل له النصف فأبى أن يرضى وأبى نوح عليه السلام أن يزيده، فقال جبرئيل عليه السلام لنوح: يا رسول الله أحسن فإنّ منك الإحسان، فعلم نوح عليه السلام أنّه قد جعل الله له عليها سلطاناً فجعل نوح له الثلثين، فقال أبو جعفر عليه السلام: فإذا أخذت عصيراً فاطبخه حتّى يذهبا الثلثان نصيب الشيطان فكل واشرب حينئذ[٣].

٩ - **كا:** أبو عليّ الأشعريّ، عن الحسن بن عليّ الكوفيّ، عن عثمان بن عيسى، عن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبليس نازع نوحاً في الكرم فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: إنّ له حقّاً فأعطه فأعطاه الثلث فلم يرض إبليس، ثمّ أعطاه النصف فلم يرض، فطرح جبرئيل ناراً فأحرقت الثلثين وبقي الثلث، فقال: ما أحرقت النار فهو نصيبه، وما بقي فهو لك يا نوح[٤].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٩ باب ٢٢٦ ح ٣.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٦.

(٣) - (٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٨ باب ٣١٧ ح ٣ و٤.

٣ - باب بعثته عليه السلام على قومه وقصة الطوفان

الآيات: الأعراف: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

يونس «١٠»: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

هود «١١»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

الشعراء: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ إلى قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

الذاريات «٥١»: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ «٤٦».

القمر «٥٤»: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

التحريم «٦٦»: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ «١٠».

الحاقة «٦٩»: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً ﴿١٢﴾﴾.

نوح «٧١»: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ هو نوح بن ملك بن متوشلخ ابن اخنوخ وهو إدريس عليه السلام وهو أوّل نبيّ بعد إدريس عليه السلام. وقيل: إنّه كان نجّاراً وولد في العام الّذي مات فيه آدم عليه السلام قبل موت آدم في الألف الأولى وبعث في الألف الثانية وهو

ابن أربعمائة؛ وقيل: بعث وهو ابن خمسين سنة ولبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، وكان في تلك الألف ثلاثة قرون عايشهم وعمّر فيهم وكان يدعوهم ليلاً ونهاراً فلا يزيدهم دعاؤه إلاّ فراراً، وكان يضربه قومه حتّى يغشى عليه فإذا أفاق قال: اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون، ثمّ شكاهم إلى الله تعالى فغرقت له الدنيا وعاش بعده تسعين سنة، وروي أكثر من ذلك أيضاً ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ﴾ إنّما لم يقطع لأنّه جوّز أن يؤمنوا ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ﴾ أي الجماعة ﴿مِن قَوْمِهِۦٓ﴾ أو الأشراف والرؤساء منهم ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ﴾ أي بالقلب أو البصر، أو من الرأي بمعنى الظنّ ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي من صفاته وتوحيده وعدله وحكمته، أو من دينه أو من قدرته وسلطانه وشدّة عقابه ﴿أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ أي بيان أو نبوّة ورسالة ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ﴾ عن الحقّ، أي ذاهبين عنه جاهلين به يقال: رجل عم: إذا كان أعمى القلب ورجل أعمى في البصر.

في حديث وهب بن منبّه أنّ نوحاً عليه السلام كان أوّل نبيّ نبّأه الله بعد إدريس، وكان إلى الأدمة ما هو، دقيق الوجه في رأسه طول، عظيم العينين، دقيق الساقين، طويلاً جسيماً، دعا قومه إلى الله حتّى انقرضت ثلاثة قرون منهم كلّ قرن ثلاث مائة سنة يدعوهم سرّاً وجهراً فلا يزدادون إلاّ طغياناً، ولا يأتي منهم قرن إلاّ كان أعتى على الله من الّذين قبلهم، وكان الرجل منهم يأتي بابنه وهو صغير فيقيمه على رأس نوح فيقول: يا بنيّ إن بقيت بعدي فلا تطيعنّ هذا المجنون، وكانوا يثورون إلى نوح فيضربونه حتّى يسيل مسامعه دماً وحتّى لا يعقل شيئاً ممّا يصنع به فيحمل فيرمى في بيت أو على باب داره مغشياً عليه، فأوحى الله تعالى إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فعندها أقبل على الدعاء عليهم ولم يكن دعا عليهم قبل ذلك، فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى آخر السورة، فأعقم الله أصلاب الرجال وأرحام النساء فلبثوا أربعين سنة لا يولد لهم ولدٌ، وقحطوا في تلك الأربعين سنة حتّى هلكت أموالهم وأصابهم الجهد والبلاء، ثمّ قال لهم نوح: ﴿ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ الآيات، فأعذر إليهم وأنذر فلم يزدادوا إلاّ كفراً، فلمّا يئس منهم أقصر عن كلامهم ودعائهم فلم يؤمنوا وقالوا: ﴿لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ الآية يعنون آلهتهم، حتّى غرقهم الله وآلهتهم الّتي كانوا يعبدونها، فلمّا كان بعد خروج نوح من السفينة وعبد الناس الأصنام سمّوا أصنامهم بأسماء أصنام قوم نوح، فاتّخذ أهل اليمن يغوث ويعوق، وأهل دومة الجندل صنماً سمّوه ودّاً، واتّخذت حمير صنماً سمّته نسراً. وهذيل صنماً سمّوه سواعاً، فلم يزالوا يعبدونها حتّى جاء الإسلام[1].

﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى﴾ أي شقّ وعظم عليكم إقامتي بين أظهركم ﴿وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي بحججه وبيّناته على صحّة التوحيد والعدل وبطلان ما تدينون به، وفي الكلام حذف هو قوله: وعزمتم على قتلي وطردي من بين أظهركم ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ أي فاعزموا على أمركم مع شركائكم، واتّفقوا على أمر واحد من قتلي وطردي، وهذا تهديدٌ في صورة الأمر؛

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٧٩.

وقيل: معناه: اعزموا على أمركم وادعوا شركاءكم فبيّن عليه السلام أنّه لا يرتدع عن دعائهم وعيب آلهتهم مستعيناً بالله عليهم، واثقاً بأنّه سبحانه يعصمه منهم؛ وقيل: أراد بالشركاء الأوثان؛ وقيل: من شاركهم في دينهم ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي غمّاً وحزناً بأن ترددوا فيه؛ وقيل: معناه: ليكن أمركم ظاهراً مكشوفاً، ولا يكون مغطّى مبهماً، من غممت الشيء إذا سترته؛ وقيل: أي لا تأتوه من غير أن تشاوروا، ومن غير أن يجتمع رأيكم عليه لأنّ من حاول أمراً من غير أن يعلم كيف يتأتّى ذلك كان أمره غمّة عليه ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾ أي انهضوا إليّ فاقتلوني إن وجدتم إليه سبيلاً ولا تمهلوني؛ وقيل: ﴿اقْضُوا إِلَيَّ﴾ افعلوا ما تريدون وادخلوا إليّ لأنّه بمعنى افرغوا من جميع حيلكم، كما يقال: خرجت إليه من العهدة؛ وقيل: معناه: توجّهوا إليّ، وهذا كان من معجزات نوح عليه السلام لأنّه كان وحيداً مع نفر يسير وقد أخبر بأنّهم لا يقدرون على قتله وعلى أن ينزلوا به سوءاً لأنّ الله ناصره.

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ أي ذهبتم عن الحقّ ولم تقبلوه ﴿فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ أي لا أطلب منكم أجراً على ما أؤدّيه إليكم من الله فيثقل ذلك عليكم، أو لم يضرّني لأنّي لم أطمع في مالكم فيفوتني ذلك بتولّيكم عنّي وإنّما يعود الضرر عليكم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ أي خلفاً لمن هلك بالغرق؛ وقيل: إنّهم كانوا ثمانين؛ وقيل: أي جعلناهم رؤساء في الأرض ﴿فَانظُرْ﴾ أيّها السامع ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ أي المخوّفين بالله وعذابه[1].

﴿مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ ظنّاً منهم أنّ الرسول إنّما يكون من غير جنس المرسل إليه، ولم يعلموا أنّ البعثة من الجنس قد يكون أصلح ومن الشبهة أبعد ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ أي في ظاهر الأمر والرأي لم يتدبّروا ما قلت ولم يتفكّروا فيه؛ وقيل: أي اتّبعوك في الظاهر وباطنهم على خلاف ذلك ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ﴾ لتوهّمهم أنّ الفضل إنّما يكون بكثرة المال والشرف في النسب ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ أي على برهان وحجّة تشهد بصحّة النبوّة وهي المعجزة، أو على يقين وبصيرة من ربوبيّة ربّي وعظمته ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً﴾ وهي هنا النبوّة ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾ أي خفيت عليكم لقلّة تدبّركم فيها ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ أي أتريدون أن أكرهكم على المعرفة وألجئكم إليها على كره منكم، هذا غير مقدور لي ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قيل: إنّهم كانوا سألوه طردهم ليؤمنوا له أنفة من أن يكونوا معهم على سواء ﴿إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ﴾ فيجازي من ظلمهم وطردهم، أو ملاقو ثوابه فكيف يكونون أراذل؟ وكيف يجوز طردهم ﴿مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ﴾ أي يمنعني من عذابه[2].

﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ قال البيضاوي: أي خزائن رزقه وفضله حتّى جحدتم فضلي ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ أي ولا أقول: أنا أعلم الغيب حتّى تكذّبوني استبعاداً وحتّى أعلم

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢١٠. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٦٤.

أنّ هؤلاء اتّبعوني بادي الرأي من غير بصيرة وعقد قلب ﴿وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ﴾ حتّى تقولوا: ما أنت إلاّ بشر مثلنا ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ﴾ ولا أقول في شأن من استذللتموهم لفقرهم ﴿لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ فإن ما أعدّ الله لهم في الآخرة خير ممّا آتاكم في الدنيا ﴿إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إن قلت شيئاً من ذلك، والازدراء افتعال من زراه: إذا عابه، وإسناده إلى الأعين للمبالغة والتنبيه على أنّهم استرذلوهم بما عاينوا من رثاثة حالهم دون تأمّل في كمالاتهم ﴿قَدْ جَٰدَلْتَنَا﴾ خاصمتنا ﴿فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا﴾ فأطلته أو أتيت بأنواعه ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في الدعوى والوعيد فإنّ مناظرتك لا تؤثّر فينا ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ عاجلاً وآجلاً ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بدفع العذاب أو الهرب منه ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾ شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾ وتقدير الكلام: إن كان الله يريد أن يغويكم فإن أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحي[1].

وقال الطبرسيّ قدّس سرّه: ذكر في تأويله وجوه:

أحدها: إن أراد الله أن يخيبكم من رحمته بأن يحرمكم من ثوابه ويعاقبكم لكفركم به فلا ينفعكم نصحي، وقد سمّى الله العقاب غيّاً بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ ولمّا خيّب الله قوم نوح من رحمته وأعلم نوحاً بذلك في قوله: ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ﴾ قال لهم: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ﴾ مع إيثاركم ما يوجب خيبتكم والعذاب الّذي جرّه إليكم قبيح أفعالكم.

وثانيها: أنّ المعنى: إن كان الله يريد عقوبة إغوائكم الخلق، ومن عادة العرب أن يسمّي العقوبة باسم الشيء المعاقب عليه كما في قوله سبحانه: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ وأمثاله.

وثالثها: أنّ معناه: إن كان الله يريد أن يهلككم فلا ينفعكم نصحي عند نزول العذاب بكم وإن قبلتم قولي وآمنتم لأنّ الله حكم بأن لا يقبل الإيمان عند نزول العذاب، وقد حكي عن العرب أنّهم قالوا: أغويت فلاناً بمعنى أهلكته.

ورابعها: أنّ قوم نوح كانوا يعتقدون أنّ الله يضلّ عباده، فقال لهم نوح على وجه التعجّب والإنكار[2]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ قيل: يعني بذلك محمّداً صلى الله عليه وآله يقول الكفّار: افترى محمّد صلى الله عليه وآله ما أخبر به من نبأ نوح ﴿فَعَلَيَّ إِجْرَامِى﴾ أي عقوبة جرمي ﴿وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ﴾ أي لا أؤاخذ بجرمكم. وقيل: يعني به نوحاً عليه السلام. ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تغتمّ ولا تحزن ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بمرأى منّا، والتأويل: بحفظنا إيّاك حفظ الرائي لغيره إذا كان يدفع الضرر عنه؛ وقيل: بأعين الملائكة الموكّلين، وإنّما أضاف إلى نفسه إكراماً لهم ﴿وَوَحْيِنَا﴾ أي وعلى ما أوحينا إليك من صفتها وحالها ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِى﴾ أي لا تسألني العفو عن هؤلاء ولا تشفع لهم

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٦١. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٦٨.

فإنّهم مغرقون عن قريب؛ وقيل: إنّه عنى به امرأته وابنه ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ أي وجعل نوح يصنع الفلك كما أمره الله؛ وقيل: أخذ نوح في صنعة السفينة بيده فجعل ينحتها ويسوّيها وأعرض عن قومه ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ أي كلّما اجتاز به جماعةٌ من أشراف قومه يهزأوا من فعله، قيل: إنّهم كانوا يقولون له: يا نوح صرت نجّاراً بعد النبوّة على طريق الاستهزاء؛ وقيل: إنّما كانوا يسخرون من عمل السفينة لأنّه كان يعملها في البرّ على صفة من الطول والعرض ولا ماء هناك يحمل مثلها فكانوا يتضاحكون ويتعجّبون من عمله ﴿إِن تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ أي إن تستجهلونا في هذا الفعل فإنّا نستجهلكم عند نزول العذاب بكم كما تستجهلونا، أو نجازيكم على سخريتكم عند الغرق، وأراد به تعذيب الله إيّاهم ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أيّنا أحقّ بالسخرية، أو عاقبة سخريتكم ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ ابتداء كلام، والأظهر أنّه متّصل بما قبله، أي فسوف تعلمون أيّنا يأتيه عذاب يهينه ويفضحه في الدنيا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي دائم في الآخرة، قال الحسن: كان طول السفينة ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستّمائة ذراع؛ وقال قتادة: كان طولها ثلاث مائة ذراع وعرضها خمسين ذراعاً، وارتفاعها ثلاثين ذراعاً، وبابها في عرضها؛ وقال ابن عبّاس: كانت ثلاث طبقات: طبقة للناس، وطبقة للأنعام، وطبقة للهوامّ والوحش، وجعل أسفلها للوحوش والسباع والهوامّ، وأوسطها للدوابّ والأنعام، وركب هو ومن معه في الأعلى مع ما يحتاج إليه من الزاد، وكانت من خشب الساج.

وروي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: لمّا فار التنّور وكثر الماء في السكك خشيت أمّ صبيّ عليه وكانت تحبّه حبّاً شديداً فخرجت إلى الجبل حتّى بلغت ثلثه، فلمّا بلغها الماء عرجت به حتّى بلغت ثلثيه، فلمّا بلغها الماء عرجت به حتّى استوت على الجبل فلمّا بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها حتّى ذهب بها الماء، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أمّ الصبيّ.

وروى عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن صفوان، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أراد الله هلاك قوم نوح عليه السلام عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يولد لهم مولود، فلمّا فرغ نوح من اتّخاذ السفينة أمره الله تعالى أن ينادي بالسريانيّة أن يجتمع إليه جميع الحيوان، فلم يبق حيوان إلاّ وقد حضر فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين ما خلا الفأرة والسنّور، وإنّهم لمّا شكوا إليه سرقين الدوابّ والقذر دعا بالخنزير فمسح جبينه فعطس فسقط من أنفه زوج فأرة فتناسل، فلمّا كثروا وشكوا إليه منهم دعا عليه السلام بالأسد فمسح جبينه فعطس من أنفه زوج سنّور. وكان الّذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً. وفي حديث آخر: إنّهم شكوا إليه العذرة فأمر الفيل فعطس فسقط الخنزير[1].

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ أي فذلك حاله وحالهم حتّى إذا جاء قضاؤنا بنزول العذاب ﴿وَفَارَ

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٦٩.

﴿التَّنُّورُ﴾ بالماءِ أي ارتفع الماء بشدّة اندفاع ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ أي من كلّ جنس من الحيوان زوجين أي ذكر وأنثى ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي واحمل أهلك وولدك ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي من سبق الوعد بإهلاكه والإخبار بأنّه لا يؤمن وهي امرأته الخائنة، واسمها واغلة، وابنه كنعان ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ أي واحمل فيها من آمن بالله من غير أهلك ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ أي إلاّ نفر قليل، وكان فيمن أدخل السفينة بنوه الثلاثة سام وحام ويافث، وثلاث كنائن له، فالعرب والروم وفارس وأصناف العجم ولد سام، والسودان من الحبش والزنج وغيرهم ولد حام، والترك والصين والصقالبة ويأجوج ومأجوج ولد يافث ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ أي متبرّكين باسم الله، أو قائلين: بسم الله وقت إجرائها وإرسائها، أي إثباتها وحبسها؛ وقيل: بسم الله إجراؤها وإرساؤها. وقال الضحّاك: كانوا إذا أرادوا أن تجري السفينة قالوا: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ فجرت وإذا أرادوا أن تقف السفينة قالوا: «بسم الله مرسيها» فوقفت ﴿فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ دلّ تشبيهها بالجبال على أنّ ذلك لم يكن موجاً واحداً بل كان كثيراً، وروي عن الحسن أنّ الماء ارتفع فوق كلّ شيء وفوق كلّ جبل ثلاثين ذراعاً، وقال غيره: وخمس عشر ذراعاً؛ وروى أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ نوحاً ركب السفينة في أوّل يوم من رجب فصام، وأمر من معه أن يصوموا ذلك اليوم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ واسمه كنعان، وقيل: يام ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ أي في قطعة من الأرض غير القطعة الّتي كان نوح فيها حين ناداه؛ أو كان في ناحية من دين أبيه، وكان نوح عليه السلام يظنّ أنّه مسلم فلذلك دعاه؛ وقيل: كان في معزل من السفينة ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا﴾ قال الحسن: كان ينافق أباه فلذلك دعاه، وقال مسلم: دعاه بشرط الإيمان ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي من عذابه ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ أي رحمه الله بإيمانه، فآمن بالله يرحمك الله ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ أي فصار منهم.

﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ أي قال الله للأرض انشفي ماءك الّذي نبعت به العيون واشربي ماءك حتّى لا يبقى على وجهك شيء منه، وهذا إخبار عن ذهاب الماء عن وجه الأرض بأوجز مدّة فجرى مجرى أن قيل لها فبلعت ﴿وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ أي أمسكي عن المطر ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ أي ذهب عن وجه الأرض إلى باطنه، ويقال: إنّ الأرض ابتلعت جميع مائها وماء السماءِ لقوله: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾ ويقال: لم تبتلع ماء السماء لقوله: ﴿ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ وإنّ ماء السماء صار بحاراً وأنهاراً وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ أي وقع هلاك الكفّار على التمام، أو الأمر بنجاة نوح ومن معه ﴿وَاسْتَوَتْ﴾ أي استقرّت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِيِّ﴾ قيل: رست السفينة على الجوديّ شهراً ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ أي قال الله تعالى ذلك، ومعناه: أبعد الله الظالمين[1].

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ روي عن عليّ بن مهزيار، عن الوشّاء، عن الرّضا عليه السلام قال: قال

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٧٨.

أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله قال لنوح: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ لأنّه كان مخالفاً له وجعل من اتّبعه من أهله ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ قال المرتضى قدّس الله روحه: التقدير أنّه ذو عمل غير صالح كما في قول الخنساء: فإنّما هي إقبال وإدبار، قال: ومن قال: إنّ المعنى أنّ سؤالك إيّاي ما ليس لك به علم غير صالح فإنّ من امتنع من أن يقع على الأنبياء شيءٌ من القبائح يدفع ذلك، فإذا قيل له: فلمَ قال: ﴿فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ﴾ وكيف قال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ﴾؟ قال: لا يمتنع أن يكون نهي عن سؤال ما ليس له به علم وإن لم يقع منه، وأن يعوذ من ذلك وإن لم يوقعه، كما نهى الله سبحانه نبيّه عن الشرك وإن لم يجز وقوع ذلك منه، وإنّما سأل نوح عليه السلام نجاة ابنه بشرط المصلحة لا على سبيل القطع، فلمّا بيّن سبحانه له أنّ المصلحة في غير نجاته لم يكن ذلك خارجاً عمّا تضمّنه السؤال، وقوله: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ﴾ أي أحذّرك، والوعظ: الدعاء إلى الحسن والزجر عن القبيح على وجه الترغيب والترهيب ﴿أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ معناه: لاتكن منهم؛ وقال الجبّائيّ: يعني أعظك لئلاّ تكون من الجاهلين، ولا شكّ أنّ وعظه سبحانه يصرف عن الجهل وينزّه عن القبيح ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ معنى العياذ بالله الاعتصام طلباً للنجاة ومعناه ههنا الخضوع والتذلّل لله سبحانه ليوفّقه ولا يكله إلى نفسه ﴿وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي﴾ إنّما قال على سبيل التخشّع والاستكانة لله تعالى وإن لم يسبق منه ذنبٌ ﴿قِيلَ﴾ أي قال الله: ﴿يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ﴾ أي انزل من الجبل أو من السفينة ﴿بِسَلَٰمٖ مِّنَّا﴾ أي بسلامة منّا ونجاة، وقيل: بتحيّة وتسليم منّا عليك ﴿وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ﴾ أي ونعم دائمة وخيرات نامية ثابتة حالاً بعد حال عليك ﴿وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ أي المؤمنين الّذين كانوا معه في السفينة؛ وقيل: معناه: وعلى أمم من ذرّيّة من معك؛ وقيل: يعني بالأمم سائر الحيوان الّذين كانوا معه لأنّ الله تعالى جعل فيها البركة ﴿وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ﴾ أي يكون من نسلهم أمم سنمتّعهم في الدنيا بضروب من النعم فيكفرون فنهلكهم ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا﴾ الهلاك ﴿عَذَابٌ﴾ مؤلم[1].

﴿إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ﴾ أي من قبل إبراهيم ولوط ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي من الغمّ الّذي يصل حرّه إلى القلب، وهو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدّة ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ﴾ أي منعناه منهم بالنصرة؛ وقيل: ﴿مِنَ﴾ بمعنى ﴿عَلَىٰ﴾[2]. ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا﴾ قيل: إنّه سمّي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه، عن ابن عبّاس، وقيل في سبب نوحه: إنّه كان يدعو على قومه بالهلاك؛ وقيل: هو مراجعته ربّه في شأن ابنه ﴿أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيۡكُمۡ﴾ بأن يصير متبوعاً وأنتم له تبعٌ ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن لا يعبد سواه لأنزل ملائكة ولم ينزل بشراً آدمياً ﴿مَّا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا﴾ الّذي يدعونا إليه نوح من التوحيد ﴿فَتَرَبَّصُواْ بِهِۦ﴾ أي انتظروا موته فتستريحوا منه؛ وقيل فانتظروا إفاقته من جنونه فيرجع عمّا هو عليه؛ وقيل: احبسوه مدّة ليرجع عن قوله ﴿بِمَا كَذَّبُونِ﴾ أي

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٨٥. (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠١.

بتكذيبهم إيّاي ﴿مُنزَلًا مُّبَارَكًا﴾ أي إنزالاً مباركاً بعد الخروج من السفينة؛ وقيل: أي مكاناً مباركاً بالماء والشجر؛ وقيل: المنزل المبارك هو السفينة ﴿وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ أي وإن كنّا مختبرين إيّاهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره، ومتعبّدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا ومعرفتنا[١].

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ لأنّ من كذّب رسولاً واحداً فقد كذّب الجماعة، لأنّ كلّ رسول يأمر بتصديق جميع الرسل، وقال أبو جعفر عليه السلام: يعني بالمرسلين نوحاً والأنبياء الّذين كانوا بينه وبين آدم ﴿أَخُوهُمْ﴾ أي في النسب ﴿إِنْ أَجْرِيَ﴾ أي ما ثوابي وجزائي ﴿إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولا أسألكم عليه أجراً فتخافوا تلف أموالكم ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ أي السفلة، أو المساكين؛ وقيل: يعنون الحاكة والأساكفة ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة، أو بالشتم ﴿فَٱفْتَحْ﴾ أي فاقض بيني وبينهم قضاء بالعذاب ﴿فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ أي في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم من الحيوانات[٢].

﴿فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ﴾ نحن لنوح في دعائه، أو لكلّ من دعانا ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ بعد الغرق والناس كلّهم بعد نوح من ولد نوح، قال الكلبيّ، لمّا خرج نوح من السفينة مات من كان من الرجال والنساء إلاّ ولده ونساءهم ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ أي تركنا عليه ذكراً وأثنينا عليه في أمّة محمّد صلى الله عليه وآله وذلك الذكر قوله: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٣].

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي وزجر بالشتم والرمي بالقبيح أو بالوعيد ﴿فَٱنتَصِرْ﴾ أي فانتقم لي منهم[٤].

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي أجرينا الماء من السماء كجريانه إذا فتح عنه باباً كان مانعاً له ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي منصبّ انصباباً شديداً لا ينقطع ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ أي شققنا الأرض بالماء عيوناً حتّى جرى الماء على وجه الأرض ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ أي ماء السماء وماء الأرض، وإنّما لم يثنّ لأنّه اسم جنس يقع على القليل والكثير ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ فيه هلاك القوم أي قدّره الله؛ وقيل: على أمر قدّره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان؛ وقيل: إنّه كان قدر ماء السماء مثل قدر ماء الأرض؛ وقيل: على أمر قدّره الله عليهم في اللّوح المحفوظ ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ أي على سفينة ذات ألواح مركّبة جمع بعضها إلى بعض، وألواحها أخشابها الّتي منها جمعت ﴿وَدُسُرٍ﴾ أي مسامير شدّت بها السفينة؛ وقيل: هو صدر السفينة يدسّر به الماء؛ وقيل: هي أضلاع السفينة؛ وقيل: الدسر: طرفاها وأصلها والألواح جانباها ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بحفظنا وحراستنا ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي فعلنا به وبهم ما فعلنا من إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كان كفر وجحد أمره وهو نوح عليه السلام والتقدير: لمن جحد نبوّته وكفر بالله

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٨٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٤٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣١٣.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣١٠.

فيه ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا﴾ أي هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ أي علامة يعتبر بها، أو تركنا السفينة ونجاة من فيها وإهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانيّته تعالى، وعبرة لمن اتّعظ بها، وكانت السفينة باقية حتّى رآها أوائل هذه الأمّة، وقيل في كونها آية: إنّها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطّاها على ما أمر الله تعالى به ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ أي متذكّر يعتبر ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ هذا استفهام ومعناه التعظيم، أي كيف رأيتم انتقامي منهم وإنذاري إيّاهم؟ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي سهّلناه للحفظ والقراءة[1].

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عبّاس: كانت امرأة نوح كافرةً تقول للنّاس: إنّه مجنون وإذا آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وكانت امرأة لوط تدلّ على أضيافه وكان ذلك خيانتهما لهما، وما بغت امرأة نبيّ قطّ وإنّما كانت خيانتهما في الدين. وقال السدّيّ: كانت خيانتهما أنّهما كانتا كافرتين، وقيل: كانتا منافقتين؛ وقال الضحّاك: خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليهما أفشتاه إلى المشركين ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أي فلم يغن نوح ولوط مع نبوّتهما عن امرأتيهما من عذاب الله شيئاً، وقيل أي ويقال لهما يوم القيامة: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ قيل: إنّ اسم امرأة نوح واغلة، واسم امرأة لوط واهلة، وقال مقاتل: والغة ووالهة[2].

﴿لَمَّا طَغَا الْمَاءُ﴾ أي جاوز الحدّ حتّى غرقت الأرض بمن عليها ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ أي حملنا آباءكم في السفينة ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾ أي تلك الفعلة[3].

﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال البيضاويّ: عذاب الآخرة أو الطوفان ﴿مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ بعضها وهو ما سبق ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو أقصى ما قدّر لكم بشرط الإيمان والطاعة ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي﴾ إسناد الزيادة إلى الدعاء على السببيّة ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان والطاعة ﴿جَعَلُوٓا أَصَابِعَهُمْ﴾ لئلاّ يسمعوا الدعوة ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ تغطّوا بها لئلاّ يروني ﴿وَأَصَرُّوا﴾ أكبّوا على الكفر والمعاصي ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِسْرَارًا﴾ أي دعوتهم مرّة بعد أخرى على أيّ وجه أمكنني، و (ثمّ) لتفاوت الوجوه أو لتراخي بعضها عن بعض ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ أي المظلّة أو السحاب ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي كثير المدر ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتين ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ لا تأملون له توقيراً، أي تعظيماً لمن عبده وأطاعه، أو لا تعتقدون له عظمة ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أي تارات إذ خلقهم أوّلاً عناصر، ثمّ مركّبات تغذّي الإنسان، ثمّ أخلاطاً، ثمّ نطفاً وهكذا، فإنّه يدلّ على أنّه يمكنه أن يعيدهم تارة أخرى ﴿وَاللَّهُ أَنبَتَكُم﴾ أي أنشأكم ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ﴾ فيها مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ بالحشر ﴿فِجَاجًا﴾ واسعة ﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي اتبعوا رؤساءهم البطرين بأموالهم المغترّين بأولادهم بحيث صار ذلك سبباً لزيادة

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣١٤.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٤.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٠٧.

خسارهم في الآخرة ﴿وَمَكَرُوا﴾ عطف على لم يزده والضمير لمن وجمعه للمعنى ﴿مَكْرًا كُبَّارًا﴾ كبيراً في الغاية ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ قيل: هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح فلمّا ماتوا صوّروا تبرّكاً بهم، فلمّا طال الزمان عبدوا وقد انتقلت إلى العرب ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ أي الرؤساء أو الأصنام ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطف على الربّ ﴿إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ ولعلّ المطلوب هو الضلال في ترويج مكرهم ومصالح دنياهم لا في أمر دينهم أوالضياع والهلاك كقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾ من أجلها، و (ما) مزيدة للتأكيد والتفخيم ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ المراد عذاب القبر أو عذاب الآخرة ﴿دَيَّارًا﴾ أي أحداً ﴿وَلِوَالِدَيَّ﴾ لمك بن متوشلخ، وشمخا بنت أنوش ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ منزلي أو مسجدي أو سفينتي ﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ أي هلاكاً[1].

١ - فس: ﴿نَبَأَ نُوحٍ﴾ أي خبر نوح ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ أي لا تغتمّوا ﴿ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي ادعوا عليّ[2].

٢ - فس: ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ قال: الفقراء[3].

٣ - فس: في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ يقول: الحقّ والنبوّة والكتاب والإيمان في عقبه، وليس كلّ من في الأرض من بني آدم من ولد نوح، قال الله في كتابه: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وقال أيضاً: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[4].

٤ - فس: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: والله ما عنى بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلاّ الفاحشة[5].

٥ - فس: أبي، عن ابن أبي عمير، عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بقي نوح في قومه ثلاث مائة سنة يدعوهم إلى الله فلم يجيبوه، فهمّ أن يدعو عليهم فوافاه عند طلوع الشمس اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة سماء الدنيا وهم العظماء من الملائكة، فقال لهم نوح: ما أنتم؟ فقالوا: نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة السماء الدنيا وإنّ غلظ مسيرة سماء الدنيا خمسمائة عام ومن سماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وخرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك في هذا الوقت، فنسألك أن لا تدعو على قومك، قال نوح: أجّلتهم ثلاثمائة سنة؛ فلمّا أتى عليهم ستّمائة سنة ولم يؤمنوا همّ أن يدعو عليهم فوافاه اثنا عشر ألف قبيل من قبائل سماء الثانية فقال نوح: من أنتم؟ قالوا نحن اثنا عشر ألف قبيل من قبائل ملائكة

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٢٦.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣١٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٩.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٦٢.

سماء الثانية، وغلظ سماء الثانية مسيرة خمسمائة عام، ومن سماء الثانية إلى سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، وغلظ سماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الدنيا إلى الدنيا مسيرة خمسمائة عام، خرجنا عند طلوع الشمس ووافيناك ضحوةً، نسألك أن لا تدعو على قومك، فقال نوح: قد أجّلتهم ثلاثمائة سنة؛ فلمّا أتى عليهم تسعمائة سنة ولم يؤمنوا همّ أن يدعو عليهم فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فقال نوح: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ فأمره الله عزّ وجلّ أن يغرس النخل فأقبل يغرس النخل فكان قومه يمرون به فيسخرون منه ويستهزئون به ويقولون: شيخ قد أتى له تسعمائة سنة يغرس النخل، وكانوا يرمونه بالحجارة، فلمّا أتى لذلك خمسون سنة وبلغ النخل واستحكم أمر بقطعه فسخروا منه، وقالوا: بلغ النخل مبلغه قطعه، إنّ هذا الشيخ قد خرف وبلغ منه الكبر وهو قوله: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فأمره الله أن يتّخذ السفينة وأمر جبرئيل أن ينزل عليه ويعلّمه كيف يتّخذها، فقدّر طولها في الأرض ألفاً ومائتي ذراع، وعرضها ثمان مائة ذراع، وطولها في السماء ثمانون ذراعاً، فقال: يا ربّ من يعينني على اتّخاذها؟ فأوحى الله إليه: ناد في قومك: من أعانني عليها ونجر منها شيئاً صار ما ينجره ذهباً وفضّة، فنادى نوح فيهم بذلك فأعانوه عليها وكانوا يسخرون منه ويقولون: يتّخذ سفينة في البرّ[1].

٦ - **قال:** فحدّثني أبي، عن صفوان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أراد الله عزّ وجلّ هلاك قوم نوح عقم أرحام النساء أربعين سنة فلم يلد فيهم مولود، فلمّا فرغ نوح من اتّخاذ السفينة أمره الله أن ينادي بالسريانيّة، لا يبقى بهيمةً ولا حيوان إلاّ حضر، فأدخل من كلّ جنس من أجناس الحيوان زوجين في السفينة، وكان الّذين آمنوا به من جميع الدنيا ثمانين رجلاً فقال الله عزّ وجلّ: ﴿احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ وكان نجر السفينة في مسجد الكوفة، فلمّا كان في اليوم الّذي أراد الله هلاكهم كانت امرأة نوح تخبز في الموضع الّذي يعرف بفار التنّور في مسجد الكوفة، وقد كان نوح اتّخذ لكلّ ضرب من أجناس الحيوان موضعاً في السفينة، وجمع لهم فيها ما يحتاجون إليه من الغذاء، فصاحت امرأته لمّا فار التنّور فجاء نوح إلى التنور، فوضع عليها طيناً وختمه حتّى أدخل جميع الحيوان السفينة، ثمّ جاء إلى التنّور ففضّ الخاتم ورفع الطين، وانكسفت الشمس، وجاء من السماء ماء منهمر صبّ بلا قطر، وتفجّرت الأرض عيوناً، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ قال الله عزّ وجلّ: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا﴾

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٢٧.

يقول: مجراها أي مسيرها، ومرساها أي موقفها، فدارت السفينة ونظر نوح إلى ابنه يقع ويقوم فقال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فقال ابنه كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ فقال نوح: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ ثم قال نوح: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فقال الله: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ فقال نوح كما حكى الله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ فكان كما حكى الله: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام: فدارت السفينة وضربتها الأمواج حتّى وافت مكّة، وطافت بالبيت وغرق جميع الدنيا إلاّ موضع البيت، وإنّما سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق، فبقي الماء ينصبّ من السماء أربعين صباحاً، ومن الأرض العيون حتّى ارتفعت السفينة فمسحت السماء، قال: فرفع نوح يده ثمّ قال: (يا رهمان اتقن) وتفسيرها ربّ أحسن، فأمر الله الأرض أن تبلع ماءها وهو قوله: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ أي أمسكي ﴿وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ﴾ فبلعت الأرض ماءها فأراد ماء السماء أن يدخل في الأرض فامتنعت الأرض من قبولها وقالت: إنّما أمرني الله عزّ وجلّ أن أبلع مائي، فبقي ماء السماء على وجه الأرض، واستوت السفينة على جبل الجوديّ وهو بالموصل جبلٌ عظيم، فبعث الله جبرئيل فساق الماء إلى البحار حول الدنيا، وأنزل الله على نوح: ﴿يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فنزل نوح بالموصل من السفينة مع الثمانين وبنوا مدينة الثمانين، وكانت لنوح بنت ركبت معه السفينة فتناسل الناس منها، وذلك قول النبيّ صلى الله عليه وآله: نوح أحد الأبوين، ثمّ قال الله عزّ وجلّ لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾(١).

بيان: قال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه: قد قيل في معنى قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أقوال:

أحدها: أنّه كان ابنه لصلبه، والمعنى أنّه ليس من أهلك الّذين وعدتك بنجاتهم معك، لأنّ الله تعالى قد استثنى من أهله الّذين وعده أن ينجّيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال: ﴿إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ﴾ عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير والضحّاك وعكرمة، واختاره الجبّائيّ.

وثانيها: أنّ المراد من قوله: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أنه ليس على دينك، فكأنّ كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله، عن جماعة من المفسّرين، وهذا كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «سلمان منا أهل البيت» وإنّما أراد: على ديننا، ويؤيّد هذا التأويل أنّ الله سبحانه قال على طريق التعليل: ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فبين أنّه إنّما أُخرج عن أحكام أهله لكفره وشرّ عمله، وروي عن عكرمة أنّه

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٢٨.

قال: كان ابنه، ولكنّه كان مخالفاً له في العمل والنيّة، فمن ثمّ قيل: إنّه ليس من أهلك.

وثالثها: أنّه لم يكن ابنه على الحقيقة وإنّما ولد على فراشه، فقال عليه السلام: إنّه ابني على ظاهر الأمر، فأعلمه الله أنّ الأمر بخلاف الظاهر ونبّهه على خيانة امرأته، عن الحسن ومجاهد، وهذا الوجه بعيدٌ من حيث إنّ فيه منافاة للقرآن لأنّه تعالى قال: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ ولأنّ الأنبياء يجب أن ينزّهوا عن مثل هذه الحال لأنّها تعيّر وتشين، وقد نزّه الله أنبياءه عمّا دون ذلك توقيراً وتعظيماً عمّا ينفر من القبول منهم، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: ما زنت امرأة نبيّ قطّ، وكانت الخيانة من امرأة نوح أنّها كانت تنسبه إلى الجنون والخيانة من امرأة لوط أنّها كانت تدلّ على أضيافه.

ورابعها: أنّه كان ابن امرأته وكان ربيبه، ويعضده قراءة من قرأ (ابْنَهَ) بفتح الهاء أو (ابنها) والمعتمد المعوّل عليه في تأويل الآية القولان الأوّلان انتهى[1].

٧ - فس: ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي آذوه وأرادوا رجمه، قوله: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ قال: صبّ بلا قطر ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ قال: ماء السماء وماء الأرض ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ﴾ يعني نوحاً ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ﴾ قال: الألواح السفينة، والدسر المسامير، وقيل: الدسر ضرب من الحشيش شدّ به السفينة ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ أي بأمرنا وحفظنا[2].

٨ - فس: ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ قال: استتروا بها ﴿وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا﴾ أي عزموا على أن لا يسمعوا شيئاً ﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ قال: دعوتهم سرّاً وعلانية، وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ قال: لا تخافون لله عظمة.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: قال: على اختلاف الأهواء والإرادات والمشيّات، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي على الأرض نباتاً، قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ﴾ قال: تبعوا الأغنياء، قوله: ﴿كُبَّارًا﴾ أي كبيراً، قوله: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾ قال: كان قوم مؤمنون قبل نوح فماتوا فحزن عليهم الناس، فجاء إبليس فاتّخذ لهم صورهم ليأنسوا بها فأنسوا بها، فلمّا جاءهم الشتاء أدخلوهم البيوت فمضى ذلك القرن وجاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم: إنّ هؤلاء آلهة كانوا آباؤكم يعبدونها، فعبدوهم وضلّ منهم بشرٌ كثيرٌ، فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ يقول: بعضها فوق بعض، قوله: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ الآية قال: كانت ودّ صنماً لكلب، وكانت سواع لهذيل، ويغوث لمراد، ويعوق لهمدان، ونسر لحصين. وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا﴾ قال: هلاكاً وتدميراً[3].

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٨٥.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٦.

٩ - **فس:** أحمد بن محمّد بن موسى، عن محمّد بن حمّاد، عن عليّ بن إسماعيل الميثميّ، عن فضيل الرسّان، عن صالح بن ميثم قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما كان علم نوح حين دعا على قومه أنّهم لا يلدون إلاّ فاجراً كفّاراً؟ فقال أما سمعت قول الله لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾[1].

١٠ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن أبي جميلة، عن محمّد الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا﴾ إنّما يعني الولاية من دخل فيها دخل بيوت الأنبياء[2].

١١ - **فس:** وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾ أي خساراً[3].

١٢ - **ب:** ابن سعد، عن الأزديّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ أي ابنها وهي لغة طيّ[4].

بيان: لعلّه عليه السلام قرأ ﴿ٱبْنَهُۥ﴾ بفتح الهاء، وقد روى العياشيُّ عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ بنصب الهاء يعني ابن امرأته. وقال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: وروي عن عليّ وأبي جعفر محمّد بن عليّ وجعفر بن محمّد عليهم السلام وعروة بن الزبير: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ بفتح الهاء فحذف الالف تخفيفاً. وروي عن عكرمة ابنها.

وقال الرازي: فيه أقوال: فالأوّل أنّه ابنه في الحقيقة. والثاني أنّه كان ابن امرأته وهو قول محمّد بن عليّ الباقر والحسن البصريّ، ويروى أنّ عليّاً قرأ: ونادى نوح ابنها، والضمير لامرأته، وقرأ محمّد بن عليّ وعروة بن الزبير ابنهَ بفتح الهاء يريدان ابنها إلاّ أنّهما اكتفيا بالفتحة عن الألف. والثالث أنّه ولد على فراشه لغير رشدة، وهذا قول خبيث يجب صون منصب النبوّة عن هذه الفضيحة[5]، انتهى ملخص كلامه.

أقول: الأخبار في ذلك مختلفة ويظهر من بعض الأخبار أنّ روايات النفي محمولة على التقيّة والله يعلم.

١٣ - **ل:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نوحاً لمّا كان أيّام الطوفان دعا مياه الأرض فأجابته إلاّ الماء المرّ والكبريت[6].

١٤ - **ل:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن عمر، عن أبان بن عثمان، عن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه

---

(١) - (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٦-٣٧٧. (٤) قرب الاسناد، ص ٤١ ح ١٣٢.

(٥) تفسير فخر الرازي ج ١٧ ص ٢٤٠. (٦) الخصال، ص ٥٢ باب الاثنين ح ٦٧.

إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليّ منك، دعوت الله على هؤلاءِ الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أعلّمك خصلتين؟ إيّاك والحسد فهو الّذي عمل بي ما عمل، وإيّاك والحرص فهو الّذي عمل بآدم ما عمل[١].

١٥ - ن، ع، ل: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ من هم؟ فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرُّ من أمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعان[٢].

بيان: هذا هو المشهور في اسم ابنه عليه السلام: وقيل: اسمه يام.

أقول: قد مرّت الأخبار في نقش خاتمه عليه السلام فارجع إليها فإنّها تتضمن قصّة الطوفان.

١٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا كان أيّام الطوفان دعا المياه كلّها فأجابته إلاّ ماء الكبريت وماء المرّ فلعنهما[٣].

كا: عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله[٤].

١٧ - **ك:** محمّد بن يحيى، عن حمدان بن سليمان النيسابوريّ، عن محمّد بن يحيى بن زكريّا، وعدّة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبدالله، عن أبيه جميعاً، عن محمّد بن سنان، عن أبي الجارود، عن أبي سعيد عقيصا، عن الحسن والحسين صلوات الله عليهما أنّها قالا: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا آسفه قوم نوح فتح السماء بماء منهمر، وأوحى إلى الأرض فاستعصت عليه عيون فلعنها وجعلها ملحاً أجاجاً[٥].

١٨ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن كثير النواء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ نوحاً عليه السلام ركب السفينة أوّل يوم من رجب فأمر من كان معه أن يصوموا ذلك اليوم. الخبر[٦].

ما: المفيد، عن ابن قولويه، عن محمّد بن الحسن بن متّ الجوهريّ، عن الأشعريّ، عن ابن عيسى مثله[٧].

---

(١) الخصال، ص ٥١ باب الاثنين ح ٦١.

(٢) عيون اخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١، وعلل الشرائع ج ٢ ص ٣٢١ باب ٣٨٥ ح ٤٤ والخصال ص ٣١٨ باب الخمسة ح ١٠٢.

(٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٦ باب ٣١٤ ح ٢.

(٤) - (٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٠٦ باب ٣١٤ ح ٤ و٣.

(٦) الخصال، ص ٥٠٣ باب الخمسة عشر ح ٦. (٧) أمالي الطوسي ص ٤٤ مجلس ٢ ح ٥٢

١٩ - ل: ابن الوليد، عن ابن المهتدي، عن سيف بن المبارك، عن أبيه، عن أبي الحسن عليه السلام مثله[١].

٢٠ - ل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد البرقيّ، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا دعا نوح عليه السلام ربّه عزّوجلّ على قومه أتاه إبليس لعنه الله فقال: يا نوح إنّ لك عندي يداً أريد أن أكافيك عليها، فقال له نوح عليه السلام : إنّه ليبغض إليّ أن يكون لك عندي يد فما هي؟ قال: بلى دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أغويه فأنا مستريح حتّى ينشأ قرن آخر وأغويهم فقال له نوح عليه السلام : ما الّذي تريد أن تكافيني به؟ قال: اذكرني في ثلاث مواطن فإنّي أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهنّ: اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[٢].

٢١ - ع: بالإسناد إلى وهب قال: أهل الكتابين يقولون: إنّ إبليس عمّر زمان الغرق كلّه في الجوّ الأعلى يطير بين السماء والأرض بالّذي أعطاه الله تبارك وتعالى من القوّة والحيلة، وعمّرت جنوده في ذلك الزمان فطفوا فوق الماء، وتحوّلت الجنّ أرواحاً تهبّ فوق الماء، وبذلك توصف خلقتها أنّها تهوي هويّ الريح، إنّما سمّي الطوفان طوفاناً لأنّ الماء طفى فوق كلّ شيء، فلمّا هبط نوح من السفينة أوحى الله عزّوجلّ إليه: يا نوح إنّني خلقت خلقي لعبادتي، وأمرتهم بطاعتي فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرّقتهم، وإنّي قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً منّي بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده منّي؟ ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر، وكانت القوس فيها سهم ووتر فنزع الله عزّوجلّ السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده وبلاده من الغرق[٣].

٢٢ - ل: ابن موسى، عن ابن زكريّا القطّان، عن ابن حبيب، عن عبد الرحيم الجبليّ وعبدالله بن الصلت، عن الحسن بن نصر الخزّاز، عن عمرو بن طلحة، عن أسباط بن نصر، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عبّاس فيما سأل اليهوديّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: فما الخمسون؟ قال: لبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، قال: فما الثمانون؟ قال: قرية بالجزيرة يقال لها ثمانون، منها قعد نوح في السفينة واستوت على الجوديّ وأغرق الله القوم قال: فما التسعون؟ قال: الفلك المشحون اتّخذ نوح عليه السلام فيه تسعين بيتاً للبهائم[٤].

٢٣ - ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن سفينة نوح ما كان عرضها وطولها؟

---

(١) الخصال ص ٥٠٣ باب ١٥ ح ٦.
(٢) الخصال، ص ١٣٢ باب الثلاثة ح ١٤٠.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٢ باب ٢٢ ح ١.
(٤) الخصال، ص ٥٩٨ باب الواحد إلى المائة ح ١.

فقال: كان طولها ثمان مائة ذراع، وعرضها خمسمائة ذراع، وارتفاعها في السماء ثمانين ذراعاً[(١)].

٢٤ - ن: السناني، عن الأسدي، عن أبي الفيض صالح بن أحمد، عن سهل، عن صالح ابن أبي حمّاد، عن الحسين بن موسى[(٢)] الوشّاء، عن الرضا عليه السلام قال: قال لي: كيف تقرأون ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾؟ فقلت: من الناس من يقرأ ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ نفاه عن أبيه، فقال عليه السلام: كلاّ، لقد كان ابنه، ولكن لمّا عصى الله عزّ وجلّ نفاه عن أبيه. الخبر[(٣)].

٢٥ - ع، ن: الهمداني، عن علي، عن أبيه، عن الهروي، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له، لأيّ علّة أغرق الله عزّ وجلّ الدنيا كلّها في زمن نوح عليه السلام وفيهم الأطفال، وفيهم من لا ذنب له؟ فقال عليه السلام: ما كان فيهم الأطفال، لأنّ الله عزّ وجلّ أعقم أصلاب قوم نوح عليه السلام وأرحام نسائهم أربعين عاماً فانقطع نسلهم فغرقوا ولا طفل فيهم، وما كان الله عزّ وجلّ ليهلك بعذابه من لا ذنب له، وأمّا الباقون من قوم نوح عليه السلام فأغرقوا لتكذيبهم لنبيّ الله نوح عليه السلام وسائرهم أغرقوا برضاهم بتكذيب المكذّبين، ومن غاب عن أمر فرضي به كان كمن شهده وأتاه[(٤)].

٢٦ - ع، ن: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء، عن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: قال أبي قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله عزّ وجلّ قال: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ لأنه كان مخالفاً له وجعل من اتّبعه من أهله، قال: وسألني كيف يقرأون هذه الآية في ابن نوح؟ فقلت: يقرأها الناس على وجهين: «إنه عملٌ غير صالح» و «إنه عملَ غير صالح» فقال: كذبوا هو ابنه، ولكنّ الله عزّ وجلّ نفاه عنه حين خالفه في دينه[(٥)].

بيان: ذكر المفسّرون فيها قراءتين: فعن الكسائيّ ويعقوب وسهل (عملَ غير صالح) على الفعل ونصب غير، وقرأ الباقون (عملٌ) اسماً مرفوعاً منوّناً و (غيرُ) بالرفع، وعلى الأخير فالأكثر على أنّ الضمير راجع إلى الابن إمّا على المبالغة أو بتقدير مضاف أي ذو عمل؛ وقيل: بإرجاع الضمير إلى السؤال، والظاهر أنّ ما في الخبر هو هاتان القراءتان، لكن كانوا يفسّرون القراءة بكونه معمولاً غير صالح أي ولد زنا، فنفى عليه السلام أصل القراءة أو تأويلهم، ويحتمل أن يكون أحدهما (عملُ غير صالح) بالإضافة، وإن لم ينقل في القراءات، فنفاه عليه السلام لكونه موضوعاً فاسداً.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢١ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٥٧ باب ٥٨ ح ١.

(٣) والصحيح هو: الحسن بن موسى [التمازي].

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٣ باب ٢٣ ح ١ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨١ باب ٣٢ ح ٢.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٤ باب ٢٥ ح ١ وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٢ باب ٣٢ ح ٣.

٢٧ - ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين فقال: ما بال الماعزة مرفوعة الذنب بادية الحياء والعورة؟ فقال: لأنّ الماعزة عصت نوحاً لمّا أدخلها السفينة فدفعها فكسر ذنبها، والنعجة مستورة الحياء والعورة، لأنّ النعجة بادرت بالدخول إلى السفينة فمسح نوح عليه السلام يده على حياها وذنبها فاستوت الإلية[١].

بيان: مرفوعة الذنب في بعض النسخ مفرقعة، قال الفيروزآباديّ: الافرنقاع عن الشيء: الانكشاف عنه والتنحّي. وقال: الحياء بالمدّ: الفرج من ذوات الخفّ والظلف والسباع، وقد يقصر.

٢٨ - ن: ماجيلويه وابن المتوكّل والهمدانيّ جميعاً، عن عليّ بن إبراهيم، عن ياسر الخادم، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ نوحاً قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ فقال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ فأخرجه الله عزّ وجلّ من أن يكون من أهله بمعصيته[٢].

٢٩ - ع: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن البطائنيّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ النجف كان جبلاً وهو الّذي قال ابن نوح: ﴿سَآوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾ ولم يكن على وجه الأرض جبل أعظم منه، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا جبل أيعتصم بك منّي؟! فتقطّع قطعاً قطعاً إلى بلاد الشام وصار رملاً دقيقاً وصار بعد ذلك بحراً عظيماً، وكان يسمّى ذلك البحر بحر ني ثمّ جفّ بعد ذلك فقيل: ني جفّ فسمّي بني جفّ ثمّ صار بعد ذلك يسمّونه نجف لأنّه كان أخفّ على ألسنتهم[٣].

٣٠ - ع: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن الهرويّ قال: قال الرضا عليه السلام: لمّا هبط نوح عليه السلام إلى الأرض كان هو وولده ومن تبعه ثمانين نفساً فبنى حيث نزل قريةً فسمّاها قرية الثمانين لأنّهم كانوا ثمانين[٤].

٣١ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنان ابن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أرأيت نوحاً عليه السلام حين دعا على قومه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ قال عليه السلام: علم أنّه لا ينجب من بينهم أحد، قال: قلت: وكيف علم ذلك؟ قال: أوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ فعند هذا دعا عليهم بهذا الدعاء[٥].

٣٢ - ع: بالإسناد إلى وهب قال: لمّا ركب نوح عليه السلام في السفينة ألقى الله عزّ وجلّ السكينة

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٢٥٩ باب ٥٨ ح ٤.

(٣) - (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٣-٤٤ باب ٢٦ و٢٤ و٢٧.

على ما فيها من الدوابّ والطير والوحش، فلم يكن شيء فيها يضرّ شيئاً، كانت الشاة تحتكّ بالذئب، والبقرة تحتكّ بالأسد، والعصفور يقع على الحيّة فلا يضرّ شيءٌ شيئاً ولا يهيجه، ولم يكن فيها ضجر ولا صخب ولا سبّة ولا لعن، قد أهمّتهم أنفسهم، وأذهب الله عزّوجلّ حمة كلّ ذي حمة، فلم يزالوا كذلك في السفينة حتّى خرجوا منها وكان الفأر قد كثر في السفينة والعذرة، فأوحى الله عزّوجلّ إلى نوح عليه السلام أن يمسح الأسد فمسحه فعطس فخرج من منخريه هرّان: ذكر وأنثى فخفّ الفأر، ومسح وجه الفيل فعطس فخرج من منخريه خنزيران: ذكر وأنثى فخفّت العذرة[1].

بيان: الصخب محرّكة: شدّة الصوت. والحمة بالتخفيف: السمّ.

٣٣ - **مع:** معنى الطوفان أنّه طغى الماء فوق كلّ شيء[2].

٣٤ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دعا نوح عليه السلام قومه علانيةً فلمّا سمع عقب هبة الله من نوح تصديق ما في أيديهم من العلم صدّقوه، فأمّا ولد قابيل فإنّهم كذّبوه وقالوا: ﴿مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ يعنون عقب هبة الله[3].

٣٥ - **ص:** بهذا الإسناد، عن ابن أورمة، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن أحمد بن محمّد، عن أبان بن عثمان، عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكث نوح عليه السلام في قومه يدعوهم سرّاً وعلانية فلمّا عتوا وأبوا قال: «ربّ إنّي مغلوبٌ فانتصر» فأوحى الله تعالى إليه: أن اصنع الفلك، وأمره بغرس النوى، فمرّ عليه قومه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد غرّاساً، حتّى إذا طال وصار طوالاً قطعه ونجره فقالوا: قد قعد نجّاراً، ثمّ ألّفه فجعله سفينة فمرّوا عليه فجعلوا يضحكون ويسخرون ويقولون: قد قعد ملاّحاً في أرض فلاة حتّى فرغ منها[4].

٣٦ - **ص:** بالإسناد عن ابن أورمة، عن مصعب بن يزيد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء نوح عليه السلام إلى الحمار ليدخل السفينة فامتنع عليه، قال: وكان إبليس بين أرجل الحمار فقال: يا شيطان ادخل فدخل الحمار ودخل الشيطان، فقال إبليس: أعلّمك خصلتين، فقال نوح عليه السلام: لا حاجة لي في كلامك، فقال إبليس: إيّاك والحرص فإنّه أخرج آدم من الجنّة، وإيّاك والحسد فإنّه أخرجني من الجنّة. فأوحى الله إليه: اقبلهما وإن كان ملعوناً[5].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٠٨ باب ٢٤٨ ح ١. (٢) معاني الأخبار، ص ٤٨.

(٣) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨١ و٨٣.

٣٧ -ص: بالإسناد عن ابن أورمة، عن أبي أحمد، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ قوم نوح شكوا إلى نوح عليه السلام الفأر، فأمر الله تعالى الفهد فعطس فطرح السنّور فأكل الفأر، وشكوا إليه العذرة فأمر الله الفيل أن يعطس فسقط الخنزير(١).

٣٨ -ص: بهذا الإسناد عن ابن أورمة، عن الحسن بن عليّ، عن داود بن يزيد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ارتفع الماء زمان نوح عليه السلام على كلّ جبل وعلى كلّ سهل خمسة عشر ذراعاً(٢).

بيان: أي لم يكن أقلّ من ذلك، وإن زاد في بعض المواضع، ويحتمل أن يكون سطح الماء غير مستو كالأرض بإعجازه عليه السلام.

٣٩ -ص: بالإسناد عن ابن أورمة، عن محمّد بن عليّ، عن محمّد بن سنان، عن إبراهيم ابن أبي البلاد، عن غير واحد، عن أحدهما صلوات الله عليهما قال: لمّا قال الله تعالى: ﴿يَٰأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ﴾ قالت الأرض: إنّما أمرت أن أبلع مائي فقط ولم أؤمر أن أبلع ماء السماء، فبلعت الأرض ماءها، وبقي ماء السماء فصيّر بحراً حول السماء وحول الدنيا.

والأمر والجواب يكونان مع الملك الموكّل بالأرض وبالسماء(٣).

بيان: قوله: (والأمر) من كلام الراونديّ ذكره لتأويل الخطاب المتوجّه ظاهراً إلى الجمادات، ويحتمل أن يكون على الاستعارة التمثيليّة لبيان سرعة نفاذ إرادته وحكمه في كلّ شيء، ويحتمل أن يكون أمراً تكوينيّاً كما في قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾.

٤٠ -ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن محمّد بن الحسين عن محمّد بن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صنعها في ثلاثين سنة ثمّ أمر أن يحمل فيها من كلّ زوجين اثنين الأزواج الثمانية الّتي خرج بها آدم من الجنّة ليكون معيشة لعقب نوح عليه السلام في الأرض، كما عاش عقب آدم عليه السلام فإنّ الأرض تغرق بما فيها إلاّ ما كان معه في السفينة(٤).

٤١ -ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن أبي حمزة، عن أبي رزين الأسديّ، عن عليّ عليه السلام قال: لمّا فرغ نوح من السفينة فكان ميعاده عليه السلام فيما بينه وبين ربّه تعالى في إهلاك قومه أن يفور التنّور ففار، فقالت امرأته له: إنّ التنور قد فار. فقام إليه فختمه فقام الماء فأدخل من أراد أن يدخل، ثمّ أتى إلى خاتمه فنزعه وقال تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾(٥).

٤٢ -ص: بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن الحسن بن صالح، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سمعت أبي عليه السلام يحدّث عطا قال: كان طول سفينة نوح عليه السلام

(١) - (٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨١-٨٤.

ألفاً ومائتي ذراع، وكان عرضها ثمانمائة ذراع، وعمقها ثمانين ذراعاً، فطافت بالبيت وسعت بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثمّ استوت على الجوديّ[١].

شي: عن الحسن بن صالح مثله[٢].

بيان: قال صاحب الكامل: أمر أن يجعل طوله ثمانين ذراعاً، وعرضه خمسين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً.

وقال قتادة: كان طولها ثلاثمائة ذراع، وعرضها خمسين ذراعاً، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً. وقال الحسن: كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع، وعرضها ستّمائة ذراع[٣] انتهى. وما ورد في الخبر هو المعتمد.

٤٣ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ابن المغيرة، عن أبيه، عن جدّه، عن ذريح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أغرق الأرض كلّها يوم نوح عليه السلام إلاّ البيت فمن يومئذ سمّي العتيق لأنّه أعتق من الغرق، فقلت له: صعد إلى السماء؟ فقال: لم يصل الماء إليه وإنّما رفع عنه[٤].

ع: أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحسن الطويل، عن ابن المغيرة، عن ذريح مثله[٥].

٤٤ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: آمن بنوح عليه السلام من قومه ثمانية نفر، وكان اسمه عبد الجبّار، وإنّما سمّي نوحاً لأنّه كان ينوح على نفسه[٦].

٤٥ - وفي رواية: لأنّه بكى خمسمائة سنة وكان اسمه عبد الأعلى[٧].

٤٦ - وفي رواية: عبد الملك؛ وكان يسمّى بهذه الأسماء كلّها[٨].

٤٧ - يه: قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: إنّ الحيض للنساء نجاسة رماهنّ الله عزّ وجلّ بها وقد كنّ النساء في زمن نوح عليه السلام إنّما تحيض المرأة في كلّ سنة حيضة حتّى خرج نسوةٌ من مجانهنّ وكنّ سبعمائة امرأة، فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب وتحلّين وتعطّرن ثمّ خرجن فتعرّفن في البلاد، فجلسن مع الرجال وشهدن الأعياد معهم، وجلسن في صفوفهم، فرماهنّ الله عزّ وجلّ بالحيض عند ذلك في كلّ شهر، يعني أولئك النسوة بأعيانهنّ، فسالت دماؤهنّ فأُخرجن من بين الرجال، فكنّ يحضن في كلّ شهر حيضةً فشغلهنّ الله تعالى بالحيض وكسر شهوتهنّ. قال: وكان غيرهنّ من النساء اللّواتي لم يفعلن مثل ما فعلن يحضن

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٤.
(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٥٩ ح ٣٥.
(٣) الكامل في التاريخ ج ١ ص ٣٩.
(٤) قصص الأنبياء للراوندي ص ٨٤.
(٥) علل الشرائع ج ٢ ص ٣٨٢ باب ١٤٠ ح ٥.
(٦) - (٨) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٢-٨٤.

في كلّ سنة حيضة، قال: فتزوّج بنو اللاّتي يحضن في كلّ شهر حيضة بنات اللاّتي يحضن في كلّ سنة حيضة، فامتزج القوم فحضن بنات هؤلاء وهؤلاء في كلّ شهر حيضة، وكثر أولاد اللاّتي يحضن في كلّ شهر حيضة لاستقامة الحيض، وقلّ أولاد اللاّتي يحضن في السنة حيضة لفساد الدم؛ قال: فكثر نسل هؤلاء، وقلّ نسل أولئك(١).

٤٨ - ك، الطالقانيّ، عن محمّد بن هشام، عن أحمد بن زياد الكوفيّ، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن أحمد بن الحسن الميثميّ عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ قال: قال الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام: لمّا أظهر الله تبارك وتعالى نبوّة نوح عليه السلام وأيقن الشيعة بالفرج اشتدّت البلوى وعظمت الفرية إلى أن آل الأمر إلى شدّة شديدة نالت الشيعة، والوثوب إلى نوح بالضرب المبرّح، حتّى مكث عليه السلام في بعض الأوقات مغشيّاً عليه ثلاثة أيّام يجري الدم من أذنه ثمّ أفاق وذلك بعد سنة ثلاثمائة من مبعثه، وهو في خلال ذلك يدعوهم ليلاً ونهاراً فيهربون ويدعوهم سرّاً فلا يجيبون، ويدعوهم علانية فيولّون، فهمّ بعد ثلاث مائة سنة بالدعاء عليهم، وجلس بعد صلاة الفجر للدعاءِ فهبط إليه وفد من السماء السابعة وهو ثلاثة أملاك فسلّموا عليه، ثمّ قالوا له: يا نبيّ الله لنا حاجة، قال: وما هي؟ قالوا: تؤخّر الدعاء على قومك فإنّها أوّل سطوة لله عزّ وجلّ في الأرض، قال: قد أخّرت الدعاء عليهم ثلاث مائة سنة أخرى، وعاد إليهم فصنع ما كان يصنع ويفعلون ما كانوا يفعلون حتّى إذا انقضت ثلاث مائة سنة أخرى ويئس من إيمانهم جلس في وقت ضحى النهار للدعاءِ فهبط عليه وفد من السماء السادسة فسلّموا عليه فقالوا: خرجنا بكرة وجئناك ضحوة، ثمّ سألوه مثل ما سأله وفد السماءِ السابعة فأجابهم إلى مثل ما أجاب أولئك إليه، وعاد عليه السلام إلى قومه يدعوهم فلا يزيدهم دعاؤه إلاّ فراراً حتّى انقضت ثلاثمائة سنة تتمّة تسعمائة سنة فصارت إليه الشيعة وشكوا ما ينالهم من العامّة والطواغيت وسألوا الدعاء بالفرج، فأجابهم إلى ذلك وصلّى ودعا، فهبط عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: إنّ الله تبارك وتعالى قد أجاب دعوتك فقل للشيعة: يأكلوا التمر ويغرسوا النوى ويراعوه حتّى يثمر، فإذا أثمر فرّجت عنهم، فحمد الله وأثنى عليه وعرّفهم ذلك فاستبشروا فأخبرهم نوح بما أوحى الله تعالى إليه ففعلوا ذلك وراعوه حتّى أثمر، ثمّ صاروا بالثمر إلى نوح عليه السلام وسألوه أن ينجز لهم الوعد، فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فإذا أثمرت فرّجت عنكم، فلمّا ظنّوا أنّ الخلف قد وقع عليهم ارتدّ منهم الثلث وثبت الثلثان فأكلوا التمر وغرسوا النوى حتّى إذا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام فأخبروه وسألوه أن ينجزلهم الوعد فسأل الله عزّ وجلّ عن ذلك فأوحى إليه: قل لهم: كلوا هذا التمر واغرسوا النوى فارتدّ الثلث الآخر وبقي الثلث فأكلوا التمر وغرسوا النوى، فلمّا أثمر أتوا به نوحاً عليه السلام ثمّ قالوا له. لم يبق منّا

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ص ٣٥ باب غسل الحيض ح ١٩٣.

إلاّ القليل ونحن نتخوّف على أنفسنا بتأخّر الفرج أن نهلك، فصلّى نوح عليه السلام ثمّ قال: يا ربّ لم يبق من أصحابي إلاّ هذه العصابة وإنّي أخاف عليهم الهلاك إن تؤخّر الفرج عنهم، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: قد أجبت دعوتك فاصنع الفلك، فكان بين إجابة الدعاء وبين الطوفان خمسون سنة[1].

بيان: قال الجزريّ: يقال: برّح به: إذا شقّ عليه، ومنه الحديث: ضرباً غير مبرّح أي غير شاقّ.

٤٩ - **يج:** من تاريخ محمّد النجّار شيخ المحدّثين بالمدرسة المستنصريّة بإسناد مرفوع إلى أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا أراد الله أن يهلك قوم نوح أوحى إليه، أن شقّ ألواح الساج فلمّا شقّها لم يدر ما يصنع بها، فهبط جبرئيل فأراه هيئة السفينة ومعه تابوت بها مائة ألف مسمار وتسعة وعشرون ألف مسمار، فسمر بالمسامير كلّها السفينة إلى أن بقيت خمسة مسامير فضرب بيده إلى مسمار فأشرق بيده وأضاء كما يضيء الكوكب الدرّيّ في أفق السماء، فتحيّر نوح فأنطق الله المسمار بلسان طلق ذلق فقال: أنا على اسم خير الأنبياء محمّد بن عبدالله، فهبط جبرئيل عليه السلام فقال له: يا جبرئيل ما هذا المسمار الّذي ما رأيت مثله؟ فقال: هذا باسم سيّد الأنبياء محمّد بن عبدالله، اسمره على أوّلها على جانب السفينة الأيمن. ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثان فأشرق وأنار، فقال نوح: وما هذا المسمار؟ فقال: هذا مسمار أخيه وابن عمّه سيّد الأوصياء عليّ بن أبي طالب فاسمره على جانب السفينة الأيسر في أوّلها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار ثالث فزهر وأشرق وأنار فقال جبرئيل عليه السلام: هذا مسمار فاطمة فاسمره إلى جانب مسمار أبيها، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار رابع فزهر وأنار، فقال جبرئيل: هذا مسمار الحسن فاسمره إلى جانب مسمار أبيه، ثمّ ضرب بيده إلى مسمار خامس فزهر وأنار وأظهر النداوة، فقال جبرئيل هذا مسمار الحسين فاسمره إلى جانب مسمار أبيه، فقال نوح: يا جبرئيل ما هذه النداوة؟ فقال هذا الدم، فذكر قصّة الحسين عليه السلام وما تعمل الأمّة به، فلعن الله قاتله وظالمه وخاذله[2].

٥٠ - **ير:** محمّد بن هارون، عن ابن أبي نجران، عن أبي هارون العبديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لبعض غلمانه في شيء جرى: لئن انتهيت وإلاّ ضربتك ضرب الحمار، قال: جعلت فداك وما ضرب الحمار؟ قال: إنّ نوحاً عليه السلام لمّا أدخل السفينة من كلّ زوجين اثنين جاء إلى الحمار فأبى أن يدخل، فأخذ جريدة من نخل فضربه ضربة واحدة وقال له: «عبسا شاطانا» أي ادخل يا شيطان[3].

(١) كمال الدين، ص ١٣٤.

(٢) لم أجده في الخرائج المطبوع ولكني وجدته في كتاب الأمان للسيد ابن طاووس ص ٩٨ باب ٩ فصل ٤.

(٣) بصائر الدرجات، ص ٣١٥ ج ٧ باب ١١ ح ٩.

٥١ - ك: محمّد بن عليّ بن حاتم، عن أحمد بن عيسى الوشّاء، عن أحمد بن طاهر، عن محمّد بن يحيى بن سهل[1]، عن عليّ بن الحارث، عن سعد بن منصور الجواشنيّ، عن أحمد بن عليّ البديليّ، عن أبيه، عن سدير الصيرفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا استنزل نوح عليه السلام العقوبة على قومه بعث الله عزّ وجلّ الروح الأمين عليه السلام بسبعة نوايات فقال: يا نبيّ الله إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك: إنّ هؤلاء خلائقي وعبادي ولست أُبيدهم بصاعقة من صواعقي إلاّ بعد تأكيد الدعوة وإلزام الحجّة، فعاود اجتهادك في الدعوة لقومك فإنّي مثيبك عليه واغرس هذا النوى فإنّ لك في نباتها وبلوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص، فبشّر بذلك من تبعك من المؤمنين فلمّا نبتت الأشجار وتأزّرت وتسوّقت وتغصّنت وأثمرت وزها الثمر عليها بعد زمن طويل استنجز من الله سبحانه العدة، فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والاجتهاد ويؤكّد الحجّة على قومه، وأخبر بذلك الطوائف الّتي آمنت به فارتدّ منهم ثلاث مائة رجل وقالوا: لو كان ما يدّعيه نوح حقّاً لما وقع في وعد ربّه خلف، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كلّ مرّة أن يغرسها تارة بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرّات فما زالت تلك الطوائف ترتدّ منهم طائفة بعد طائفة إلى أن عاد إلى نيّف وسبعين رجلاً، فأوحى الله عزّ وجلّ عند ذلك إليه وقال: الآن اسفر الصبح عن اللّيل لعينك حين صرح الحقّ عن محضه وصفا من الكدر بارتداد من كانت طينته خبيثة، فلو أنّي أهلكت الكفّار وأبقيت من قد ارتدّ من الطوائف الّتي كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدي السابق للمؤمنين الّذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوّتك بأن أستخلفهم في الأرض وأمكّن لهم دينهم، وأبدّل خوفهم بالأمن لكي تخلص العبادة لي بذهاب الشكّ من قلوبهم، فكيف يكون الاستخلاف والتمكين وتبدّل الخوف بالأمن منّي لهم مع ما كنت أعلم من ضعف يقين الّذين ارتدّوا وخبث طينتهم وسوء سرائرهم الّتي كانت نتائج النفاق وشبوح الضلالة، فلو أنّهم تسنّموا منّي الملك الّذي أُوتي المؤمنين وقت الاستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته، ولاستحكمت سرائر نفاقهم، وتأبّد خبال ضلالة قلوبهم، وكاشفوا إخوانهم بالعداوة، وحاربوهم على طلب الرئاسة والتفرّد بالأمر والنهي، وكيف يكون التمكين في الدين وانتشار الأمر في المؤمنين مع إثارة الفتن وإيقاع الحروب كلاّ، فاصنع الفلك بأعيننا ووحينا[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: الأزر: الإحاطة والقوّة والضعف ضدٌّ، والتقوية. والمؤازرة أن يقوي الزرع بعضه بعضاً فيلتفّ. والتأزير: التغطية. والتقوية. ونصرٌ مؤزّرٌ: بالغ شديد. وقال: سوّق الشجر تسويقاً: صار ذا ساق انتهى. فالمراد بقوله عليه السلام: تأزرت: تقوّت والتفّت. وبقوله: تسوّقت قوي ساقها، وبقوله: تغصّنت كثرت وقويت أغصانها، وزهر الثمرة: احمرارها واصفرارها.

---

(١) والصحيح هو: محمد بن بحر بن سهل. [النمازي].

(٢) كمال الدين، ص ٣٣٢.

قوله عليه السلام : (حين صرح الحقّ) إمّا بتخفيف الراء المضمومة أي خلص، أو بالتشديد أي بيّن. والمحض: الخالص من كلّ شيء، وعلى التقديرين يضمن معنى الانكشاف أو الكشف. وشبوح الضلالة بالباء الموحّدة والحاء المهملة جمع شبح بالتحريك وهو الشخص أو بالسين المهملة والنون بمعنى الظهور، أو بالخاءِ المعجمة جمع سنخ بالكسر بمعنى الأصل أو بمعنى الرسوخ، وفي بعض النسخ «شيوخ» جمع الشيخ، وعلى التقادير لا يخلو من تكلّف. وتنسّم النسيم: تشمّمه. ونشقه كفرحه: شمّه. والخبال: الجنون والفساد، والحاصل أنّ هذه الفتن لتخليص المؤمنين عن المنافقين وظهور ما كتموه من الشرك والفساد لكي لا يفسدوا في الأرض بعد ظهور دولة الحقّ باختلاطهم بالمؤمنين.

٥٢ - **سن:** القاسم الزيّات، عن أبان بن عثمان، عن مؤمن بن العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حسر الماء عن عظام الموتى فرأى ذلك نوح عليه السلام فجزع جزعاً شديداً واغتمّ لذلك فأوحى الله إليه: أن كل العنب الأسود ليذهب غمّك(١).

٥٣ - **شي:** عن إسماعيل الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كانت شريعة نوح عليه السلام أن يعبد الله بالتوحيد والإخلاص وخلع الأنداد وهي الفطرة الّتي فطر الناس عليها، وأخذ ميثاقه على نوح عليه السلام والنبيّين أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وأمره بالصلاة والأمر والنهي والحرام والحلال، ولم يفرض عليه أحكام حدود ولا فرض مواريث فهذه شريعته، فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم سرّاً وعلانية، فلمّا أبوا وعتوا قال: ربّ إنّي مغلوب فانتصر، فأوحى الله إليه ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ فلذلك قال نوح: ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ وأوحى الله إليه: أن اصنع الفلك(٢).

٥٤ - **شي:** عن المفضّل بن عمر قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام بالكوفة أيّام قدم على أبي العبّاس، فلمّا انتهينا إلى الكناسة فنظر عن يساره ثمّ قال: يا مفضّل ههنا صلب عمّي زيد رحمه الله، ثمّ مضى حتّى أتى طاق الزيّاتين وهو آخر السرّاجين فنزل فقال لي: انزل فإنّ هذا الموضع كان مسجد الكوفة الأوّل الّذي كان خطّه آدم عليه السلام وأنا أكره أن أدخله راكباً، فقلت له: فمن غيّره عن خطّته؟ فقال: أمّا أوّل ذلك فالطوفان في زمن نوح ثمّ غيّره بعد أصحاب كسرى والنعمان بن منذر، ثمّ غيّره زياد بن أبي سفيان، فقلت له: جعلت فداك وكانت الكوفة ومسجدها في زمن نوح؟ فقال: نعم يا مفضّل وكان منزل نوح وقومه في قرية على متن الفرات ممّا يلي غربيّ الكوفة، فقال: وكان نوح رجلاً نجّاراً فجعله الله نبيّاً وانتجبه، ونوح أوّل من عمل سفينة تجري على ظهر الماءِ، وإنّ نوحاً لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً يدعوهم إلى الهدى فيهزأون به ويسخرون منه فلمّا رأى ذلك منهم دعا عليهم فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى

(١) المحاسن، للبرقي، ص ٣٦٣ باب العنب.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٤ ح ١٨ من سورة هود.

ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ قال: فأوحى الله إليه يا نوح اصنع الفلك وأوسعها وعجّل عملها بأعيننا ووحينا، فعمل نوح سفينته في مسجد الكوفة بيده يأتي بالخشب من بعد حتّى فرغ منها. قال مفضّل: ثمّ انقطع حديث أبي عبد الله عليه السلام عند زوال الشمس فقام فصلّى الظهر ثمّ العصر ثمّ انصرف من المسجد فالتفت عن يساره وأشار بيده إلى موضع دار الداريين وهو في موضع دارا بن حكيم وذلك فرات اليوم، وقال لي. يا مفضّل ههنا نصبت أصنام قوم نوح: يغوث ويعوق ونسراً، ثمّ مضى حتّى ركب دابّته، فقلت له: جعلت فداك في كم عمل نوح سفينته حتّى فرغ منها؟ قال: في الدورين، فقلت: وكم الدوران؟ قال: ثمانون سنة، قلت: فإنّ العامّة تقول عملها في خمسمائة عام، قال: فقال: كلاّ، كيف والله يقول: ﴿وَوَحْيِنَا﴾(١).

بيان: يمكن حمل الاختلاف الواقع في زمان عمل السفينة على أنّه لم يحسب في بعض الأخبار زمان بعض مقدّمات عملها كتحصيل الخشب ونحو ذلك، ثمّ إنّ الظاهر من الخبر أنّه عليه السلام فسّر الوحي هنا بالسرعة كما صرّح الجوهريّ بمجيئه بهذا المعنى، وحمله المفسّرين على معناه المشهور، قال الشيخ الطبرسيّ: معناه: وعلى ما أوحينا إليك من صفتها وحالها، عن أبي مسلم؛ وقيل: المراد بوحينا أن اصنعها.

٥٥ - **شي:** عن عيسى بن عبد الله العلويّ، عن أبيه قال: كانت السفينة مطبقة بطبق وكان معه خرزتان تضيء إحداهما بالنهار ضوء الشمس وتضيء إحداهما بالليل ضوء القمر، وكانوا يعرفون وقت الصلاة، وكان آدم معه في السفينة، فلمّا خرج من السفينة صيّر قبره تحت المنارة بمسجد منى(٢).

بيان: كون السفينة مطبّقة مختلف فيه. والخرزتان رواهما العامّة أيضاً عن ابن عبّاس، وأكثر أخبارنا تدلّ على كون قبره عليه السلام في الغريّ كما سيأتي في كتاب المزار إن شاء الله.

٥٦ - **شي:** عن المفضّل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أرأيت قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾(٣) ما هذا التنور؟ وأنّى كان موضعه؟ وكيف كان؟ فقال: كان التنّور حيث وصفت لك، فقلت فكان بدء خروج الماء من ذلك التنّور؟ فقال: نعم إنّ الله أحبّ أن يرى قوم نوح الآية، ثمّ إنّ الله بعد أرسل عليهم مطراً يفيض فيضاً وفاض الفرات أيضاً والعيون كلّهنّ فيضاً فغرّقهم الله وأنجى نوحاً ومن معه في السفينة، فقلت له: فكم لبث نوح عليه السلام ومن معه في السفينة حتّى نضب الماء وخرجوا منها؟ فقال: لبثوا فيها سبعة أيّام ولياليها، وطافت بالبيت ثمّ استوت على الجوديّ وهو فرات الكوفة، فقلت له: إنّ مسجد الكوفة لقديم؟ فقال: نعم وهو مصلّى الأنبياء، ولقد صلّى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث انطلق به جبرئيل على

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٤ ح ١٩-٢٠ من سورة هود.
(٣) سورة هود، الآية: ٤٠.

البراق، فلمّا انتهى به إلى دار السلام وهو ظهر الكوفة وهو يريد بيت المقدس قال له: يا محمّد هذا مسجد أبيك آدم ومصلّى الأنبياء فانزل فصلّ فيه، فنزل رسول الله فصلّى ثمّ انطلق به إلى بيت المقدس فصلّى، ثمّ إنّ جبرئيل عليه السلام عرج به إلى السماء[١].

بيان: في الكافي: فأين كان موضعه؟ وكيف كان؟ فقال: كان التنّور في بيت عجوز مؤمنة في دبر قبلة ميمنة المسجد، فقلت له: فإنّ ذلك موضع زاوية باب الفيل اليوم، فقلت له · فكان بدء خروج الماء إلى آخر الخبر.

قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: في التنّور أقوال:

أوّلها: إنّه تنّور الخابزة، وإنّه تنّور كان لآدم على نبيّنا وآله وعليه السلام، فار الماء عنه علامة لنوح عليه السلام إذ نبع الماء من موضع غير معهود خروجه منه، عن ابن عبّاس والحسن ومجاهد، ثمّ اختلف في ذلك فقال قوم: إنّ التنّور كان في دار نوح عليه السلام بعين وردة من أرض الشام، وقال قوم: بل كان في ناحية الكوفة وهو المرويّ عن أئمّتنا عليهم السلام.

وثانيهما: أنّ التنّور وجه الأرض، عن ابن عبّاس وعكرمة والزهريّ واختاره الزجّاج.

وثالثها: أنّ معنى قوله: ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ طلع الفجر وظهرت أمارات دخول النهار وتقضّي اللّيل من قولهم: نوّر الصبح تنويراً، روي ذلك عن عليّ عليه السلام.

ورابعها: أنّ التنّور أعلى الأرض وأشرفها، والمعنى: نبع الماء من الأمكنة المرتفعة فشبّهت بالتنانير لعلوّها، عن قتادة.

وخامسها: أنّ فار التنّور معناه: اشتدّ غضب الله عليهم ووقعت نقمته بهم، كما تقول العرب: حمي الوطيس: إذا اشتدّ الحرب انتهى[٢].

أقول: الأظهر هو الوجه الأوّل لوروده في الأخبار المعتبرة، وما سيأتي من خبر الأعمش لا يصلح لمعارضتها.

ثمّ اعلم أنّه اختلف في مدّة مكثهم في السفينة، قال الشيخ الطبرسيّ بعد إيراد هذه الرواية: وفي رواية أخرى أنّ السفينة استقلّت بما فيها فجرت على ظهر الماء مائة وخمسين يوماً بلياليها. ثمّ قال: وقيل: إنّ سفينة نوح سارت لعشر مضين من رجب فسارت ستّة أشهر حتّى طافت الأرض كلّها، لا تستقرّ في موضع حتّى أتت الحرم فطافت موضع الكعبة أسبوعاً، وكان الله سبحانه رفع البيت إلى السماء ثمّ سارت بهم حتّى انتهت إلى الجوديّ وهو جبل بأرض الموصل فاستقرّت عليه اليوم العاشر من المحرّم انتهى.

وذكر صاحب الكامل نحواً ممّا ذكره أخيراً.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٦ ح ٢١ من سورة هود. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٧٨.

وقال المسعودي: كان ركوبهم في السفينة يوم الجمعة لتسع عشر ليلة خلت من آذار ثمّ أغرق الله جميع الأرض خمسة أشهر.

٥٧ - **شي**: عن الحسن بن عليّ، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاءت امرأة نوح إليه وهو يعمل السفينة فقالت له: إنّ التنّور قد خرج منه ماء فقام إليه مسرعاً حتّى جعل الطبق عليه فختمه بخاتمه فقام الماء، فلمّا فرغ نوح من السفينة جاء إلى خاتمه ففضّه وكشف الطبق ففار الماء[١].

٥٨ - **شي**: أبو عبيدة الحزاعيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: مسجد كوفان فيه فار التنّور ونجرت السفينة وهو سرّة بابل ومجمع الأنبياء[٢].

٥٩ - **شي**: عن سلمان الفارسيّ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له في فضل مسجد الكوفة: فيه نجر نوح سفينة، وفيه فار التنّور، وبه كان بيت نوح ومسجده[٣].

٦٠ - **شي**: عن الأعمش يرفعه إلى عليّ عليه السلام في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ فقال: أما والله ما هو تنّور الخبز. ثمّ أومأ بيده إلى الشمس فقال: طلوعها[٤].

٦١ - **شي**: عن إسماعيل بن جابر الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صنعها في مائة سنة، ثمّ أمره أن يحمل فيهامن كلّ زوجين اثنين الأزواج الثمانية الّتي خرج بها آدم عليه السلام من الجنّة ليكون معيشةً لعقب نوح في الأرض كما عاش عقب آدم فإنّ الأرض تغرق وما فيها إلاّ ما كان معه في السفينة، قال: فحمل نوح في السفينة الأزواج الثمانية الّتي قال الله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ فكان زوجين من الضأن زوج يربّيها الناس ويقومون بأمرها وزوج من الضأن الّتي تكون في الجبال الوحشيّة أحلّ لهم صيدها، ومن المعز اثنين زوج يربّيها الناس وزوج من الظّباء، ومن البقراثنين زوج يربّيه الناس وزوج هو البقر الوحشيّ، ومن الإبل زوجين وهي البخاتيّ والعراب وكلّ طير وحشيّ أو إنسيّ ثمّ غرقت الأرض[٥].

بيان: قرأ حفص (من كلّ) بالتنوين، والباقون أضافوا، وفسّرهما المفسّرون بالذكر والأنثى وقالوا على القراءة الثانية معناه: احمل اثنين من كلّ زوجين، أي من كلّ صنف ذكر وصنف أنثى، ولا يخفى أنّ تفسيره عليه السلام ينطبق على القراءتين من غير تكلّف.

٦٢ - **شي**: عن إبراهيم، عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّ نوحاً حمل الكلب في السفينة ولم يحمل ولد الزنا[٦].

٦٣ - **شي**: عن عبيد الله الحلبيّ، عنه عليه السلام قال: ينبغي لولد الزنا أن لا تجوز له شهادة

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٧ ١٥٨ ح ٢٣ - ٢٤ من سورة هود.

(٣) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨ ح ٢٥ إلى ٢٧ من سورة هود.

ولا يؤمّ بالناس، لم يحمله نوح في السفينة وقد حمل فيه الكلب والخنزير[١].

٦٤ - **شي:** عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال: كانوا ثمانية[٢].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: هم ثمانون إنساناً في قول المكثّرين، وقيل: اثنان وسبعون رجلاً وامرأة وبنوه الثلاثة ونساؤهم فهم ثمانية وسبعون نفساً، وحمل معه جسد آدم عليه السلام، عن مقاتل. وقيل: عشرة أنفس، عن ابن إسحاق. وقيل: ثمانية أنفس، عن ابن جريج وقتادة، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام. وقيل: سبعة أنفس، عن الأعمش انتهى[٣].

وقال في موضع آخر: روى الشيخ أبو جعفر في كتاب النبوّة بإسناده عن حنان بن سدير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: آمن مع نوح من قومه ثمانية نفر[٤].

٦٥ - **فس:** أحمد بن إدريس، عن البزنطيّ، عن أبان، عن موسى بن أكيل، عن العلاء بن سيّابة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ فقال: ليس بابنه إنّما هو ابنه من زوجته على لغة طيّ يقولون: لابن المرأة ابنه[٥].

٦٦ - **شي:** عن موسى بن العلاء بن سيّابة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ﴾ قال: ليس بابنه، إنّما هو ابن امرأته وهو لغة طيّ، يقولون لابن امرأة ابنه، قال نوح: ﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ﴾ إلى ﴿ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾[٦].

٦٧ - **شي:** عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في قول نوح: ﴿يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ قال: ليس بابنه، قال: قلت: إنّ نوحاً قال: يا بنيّ، قال: فإنّ نوحاً قال ذلك وهو لا يعلم[٧].

٦٨ - **ين:** بعض أصحابنا، عن عليّ بن شجرة، عن بشير النبّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الجبال تطاولت لسفينة نوح عليه السلام وكان الجوديّ أشدّ تواضعاً فحطّ الله بها على الجوديّ[٨].

٦٩ - **شي:** عن إبراهيم بن أبي العلاء، عن غير واحد، عن أحدهما قال: لمّا قال الله ﴿يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى﴾ قالت الأرض: إنّما أمرت أن أبلع مائي أنا فقط، ولم أؤمر أن أبلع ماء السماء، قال: فبلعت الأرض ماءها، وبقي ماء السماء فصير بحراً حول الدنيا[٩].

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٧-١٥٨ ح ٢٨ - ٢٩ من سورة هود.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٧٩. (٤) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٨٣.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٢٩.
(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٨ ح ٣١-٣٢ من سورة هود.
(٨) كتاب الزهد ص ١٢٩ باب ١٠ ح ١٤.
(٩) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٩ ح ٣٧ من سورة هود.

٧٠ - **شي:** عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ﴾ قال: نزلت بلغة الهند: اشربي[1].

٧١ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: قال: يا أبا محمّد إنّ الله أوحى إلى الجبال إنّي واضع سفينة نوح على جبل منكنّ في الطوفان، فتطاولت وشمخت، وتواضع جبل عندكم بالموصل يقال له الجوديّ فمرّت السفينة تدور في الطوفان على الجبال كلّها حتّى انتهت إلى الجوديّ فوقعت عليه، فقال نوح: بارات قني بارات قني، قال: قلت: جعلت فداك أيّ شيء هذا الكلام؟ فقال: اللّهمّ أصلح اللّهمّ أصلح[2].

٧٢ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: كان نوح في السفينة فلبث فيها ما شاء الله، وكانت مأمورة فخلّى سبيلها نوح، فأوحى الله إلى الجبال: إنّي واضع سفينة عبدي نوح على جبل منكم، فتطاولت الجبال وشمخت غير الجوديّ وهو جبل بالموصل، فضرب جؤجؤ السفينة الجبال، فقال نوح عند ذلك: يا ماريا أتقن، وهو بالعربيّة: ربّ أصلح[3].

٧٣ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم رفعه، عن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يا أبا محمّد إنّ نوحاً عليه السلام كان في السفينة وكان فيها ما شاء الله، وكانت السفينة مأمورة فطافت بالبيت وهو طواف النساء، فخلّى سبيلها نوح فأوحى الله عزّ وجلّ إلى الجبال: إنّي واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكنّ، فتطاولت وشمخت، وتواضع الجوديّ وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجئها الجبل، قال: فقال نوح عند ذلك: يا ماري أتقن، وهو بالسريانيّة: ربّ أصلح[4].

٧٤ - **شي:** وروى كثير النواء، عن أبي جعفر عليه السلام يقول: سمع نوح صرير السفينة على الجوديّ فخاف عليها فأخرج رأسه من كوّة كانت فيها فرفع يده وأشار بإصبعه وهو يقول: رهمان أتقن وتأويله: يا ربّ أحسن[5].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قال الزجّاج: الجوديّ جبل بناحية آمد، وقال غيره: بقرب جزيرة الموصل، وقال أبو مسلم: الجوديّ: اسم لكلّ جبل وأرض صلبة انتهى.

أقول: يظهر من بعض الأخبار أنّه كان بقرب الكوفة، وربّما أشعر بعضها بأنّه الغريّ. ثمّ روى الطبرسيّ خبر أبي بصير من كتاب النبوّة ثمّ قال: وفي رواية أخرى: يا رهمان أتقن، وتأويله: يا ربّ أحسن.

---

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٥٩ ح ٣٨ من سورة هود.

(٤) أصول الكافي، ج ٢ باب التواضع ص ٣٩٩ ح ١٢.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٠ ح ٣٩ من سورة هود.

٧٥ - **شي**: عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ركب نوح في السفينة قيل: بعداً للقوم الظالمين[١].

٧٦ - **ني**: سلامة بن محمّد، عن عليّ بن داود القميّ، عن الصفّار، عن ابن عيسى عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأل نوح عليه السلام ربّه أن ينزل على قومه العذاب فأوحى الله إليه أن يغرس نواة من النخل فإذا بلغت فأثمرت وأكل منها أهلك قومه وأنزل عليهم العذاب، فغرس نوح النواة وأخبر أصحابه بذلك فلمّا بلغت النخلة وأثمرت واجتنى نوح منها وأكل وأطعم أصحابه قالوا له: يا نبيّ الله الوعد الّذي وعدتنا، فدعا نوح ربّه وسأله الوعد الّذي وعده، فأوحى إليه أن يعيد الغرس ثانية حتّى إذا بلغ النخل وأثمر فأكل منه أنزل عليهم العذاب، فأخبر نوح عليه السلام أصحابه بذلك فصاروا ثلاث فرق فرقة ارتدّت، وفرقة نافقت، وفرقة ثبتت مع نوح، ففعل نوح ذلك حتّى إذا بلغت النخلة وأثمرت وأكل منها نوح وأطعم أصحابه، قالوا: يا نبيّ الله الوعد الّذي وعدتنا، فدعا نوح ربّه فأوحى إليه أن يغرس غرسه الثالثة فإذا بلغ وأثمر أهلك قومه، فأخبر أصحابه فافترقوا ثلاث فرق: فرقة ارتدت، وفرقة نافقت، وفرقة ثبتت معه، حتّى فعل نوح ذلك عشر مرّات وفعل الله ذلك بأصحابه الّذين يبقون معه فيفترقون كلّ فرقة ثلاث فرق على ذلك فلمّا كان في العاشرة جاء إليه رجل من أصحابه الخاصة والمؤمنون فقالوا: يا نبيّ الله فعلت بنا ما وعدت أو لم تفعل فأنت صادق نبيّ مرسلٌ لا نشكّ فيك ولو فعلت ذلك بنا، قال: فعند ذلك من قولهم أهلكهم الله لقول نوح، وأدخل الخاصّ معه السفينة، فنجّاهم الله تعالى ونجّى نوحاً معهم بعدما صفوا وذهب الكدر منهم[٢].

٧٧ - **أقول**: روى الشيخ الطبرسيّ رحمه الله من كتاب النبوّة مرفوعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أن بعث الله نوحاً دعا قومه علانية، فلمّا سمع عقب هبة الله بن آدم تصديق ما في أيديهم من العلم وعرفوا أنّ العلم الّذي في أيديهم هو العلم الّذي جاء به نوح صدّقوه وسلّموا له: فأمّا ولد قابيل فإنّهم كذّبوه وقالوا: إنّ الجنّ كانوا قبلنا فبعث الله إليهم ملكاً، فلو أراد أن يبعث إلينا لبعث إلينا ملكاً من الملائكة[٣].

٧٨ - **يب**: أحمد بن محمّد، عن يعقوب بن عبد الله، عن إسماعيل بن زيد، عن الكاهليّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر مسجد الكوفة: منه سارت سفينة نوح، وكان فيه نسر ويغوث ويعوق[٤].

٧٩ - **كا**: محمّد بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن الوشّاء، عن البطائنيّ، عن أبي

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٠ ح ٤٠ من سورة هود.
(٢) الغيبة للنعماني، ص ٢٨٦ باب ١٥ ح ٦. (٣) مجمع البيان ج ٤ ص ٢٨١.
(٤) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٥٧٥ باب ٢٥ ح ٩.

الحسن عليه السلام قال: إنّ سفينة نوح كانت مأمورة فطافت بالبيت حيث غرقت الأرض ثمّ أتت منى في أيّامها، ثمّ رجعت السفينة وكانت مأمورة وطافت بالبيت طواف النساء[1].

أقول: قال السيّد ابن طاوس في سعد السعود، وجدت في التوراة المترجم أنّ الطوفان بقي على وجه الأرض مائة وخمسين يوماً، وأنّ الّذين كانوا معه في السفينة من الإنس بنوه الثلاثة: سام وحام ويافث ونساؤهم، وأنّ جميع أيّام حياة نوح تسعمائة وخمسين سنة، وأنّ حياته بعد الطوفان كانت ثلاث مائة وخمسين سنة[2].

وروى من كتاب القصص لمحمّد بن جرير الطبريّ أنّ الله تعالى أكرم نوحاً بطاعته والعزلة لعبادته، وكان طوله ثلاثمائة وستّين ذراعاً بذراع زمانه، وكان لباسه الصوف، ولباس إدريس قبله الشعر، وكان يسكن في الجبال ويأكل من نبات الأرض، فجاءه جبرئيل عليه السلام بالرسالة وقد بلغ عمر نوح أربعمائة سنة وستّين سنة، فقال له: ما بالك معتزلاً؟ قال: لأنّ قومي لا يعرفون الله فاعتزلت عنهم، فقال له جبرئيل: فجاهدهم، فقال نوح: لا طاقة لي بهم ولو عرفوني لقتلوني، فقال له: فإن أعطيت القوّة كنت تجاهدهم؟ قال: وا شوقاه إلى ذلك، فقال له نوح: من أنت؟ قال: فصاح جبرئيل صيحة واحدة تداعت فأجابته الملائكة بالتلبية ورجّت الأرض وقالت: لبّيك لبّيك يا رسول ربّ العالمين، قال: فبقي نوح مرعوباً فقال له جبرئيل: أنا صاحب أبويك آدم وإدريس، والرحمن يقرئك السلام، وقد أتيتك بالبشارة، وهذا ثوب الصبر وثوب اليقين وثوب النصرة وثوب الرسالة والنبوّة وآمرك أنّ تتزوّج بعمورة بنت ضمران ابن أخنوخ فإنّها أوّل من تؤمن بك، فمضى نوح يوم عاشورا إلى قومه وفي يده عصا بيضاء وكانت العصا تخبره بما يكنّ به قومه وكان رؤساؤهم سبعين ألف جبّار عند أصنامهم في يوم عيدهم، فنادى لا إله إلاّ الله، آدم المصطفى وإدريس الرفيع وإبراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى المسيح خلق من روح القدس ومحمّد المصطفى آخر الأنبياء هو شهيدي عليكم أنّي قد بلّغت الرسالة، فارتجّت الأصنام، وخمدت النيران، وأخذهم الخوف، وقال الجبّارون: من هذا؟ فقال نوح: أنا عبد الله وابن عبده، بعثني رسولاً إليكم، ورفع صوته بالبكاء، وقال: إنّي لكم نذير مبين. قال: وسمعت عمورة كلام نوح فآمنت به فعاتبها أبوها وقال: أيؤثّر فيك قول نوح في يوم واحد؟ وأخاف أن يعرف الملك بك فيقتلك، فقالت عمورة: يا أبت أين عقلك وفضلك وحلمك؟ نوح رجل وحيد ضعيف يصيح فيكم تلك الصيحة فيجري عليكم ما يجري، فتوعّدها فلم ينفع، فأشار عليه أهل بيته بحبسها ومنعها الطعام فحبسها وبقيت في الحبس سنة وهم يسمعون كلامها فأخرجها بعد سنة وقد صار عليها نورٌ عظيم وهي في أحسن حال، فتعجّبوا من حياتها بغير طعام فسألوها فقالت: إنّها استغاثت بربّ نوح عليه السلام وإنّ نوحاً عليه السلام كان يحضر عندها بما تحتاج إليه، ثمّ ذكر تزويجه بها وأنّها

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٥ باب ١٣٥ ح ١.   (٢) سعد السعود، ص ٤٠.

ولدت له سام بن نوح، لأنّ الرواية في غير هذا الكتاب تضمّنت أنّه كان لنوح عليه السلام امرأتان: اسم واحدة رابعا وهي الكافرة فهلكت، وحمل نوح معه في السفينة امرأته المسلمة، وقيل: إنّ اسم المسلمة هيكل، وقيل ما ذكره الطبريّ، ويمكن أن يكون عمورة اسمها، وهيكل صفتها بالزهد(١).

٨٠ - **أقول:** روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بأسانيدهم إلى المعلّى بن خنيس، عن الصادق عليه السلام أنّه قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ. الخبر.

٨١ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: صلّى نبيّ الله نوح عليه السلام ومن معه ستّة أشهر قعوداً لأنّ السفينة كانت تنكفئ بهم(٢).

٨٢ - **دعوات الراوندي:** قال: لمّا ركب نوح عليه السلام في السفينة أبى أن يحمل العقرب معه، فقال: عاهدتك أن لا ألسع أحداً يقول: سلام على محمّد وآل محمّد، وعلى نوح في العالمين(٣).

٤ - باب قصة هود عليه السلام وقومه عاد

الآيات: الأعراف «٧»: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً ۖ فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ۖ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ (٧١) فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾.

هود «١١»: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠) يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٥١) وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (٥٢) قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣) إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ ۗ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِن

(١) سعد السعود، ص ٢٣٨. (٢) نوادر الراوندي، ص ٢٢٢ ح ٤٥١.

(٣) دعوات الراوندي، ص ١٢٩.

دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون (٥٥) إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم (٥٦) فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيئا إن ربي على كل شيء حفيظ (٥٧) ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ (٥٨) وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد (٥٩) وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا إن عادا كفروا ربهم ألا بعدا لعاد قوم هود (٦٠)﴾.

المؤمنون «٢٣»: ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين (٣١) فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون (٣٢) وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون (٣٣) ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون (٣٤) أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون (٣٥) هيهات هيهات لما توعدون (٣٦) إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين (٣٧) إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين (٣٨) قال رب انصرني بما كذبون (٣٩) قال عما قليل ليصبحن نادمين (٤٠) فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين (٤١) ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (٤٢) ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون (٤٣) ثم أرسلنا رسلنا تترا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون (٤٤)﴾.

أقول: على بعض التفاسير تناسب تلك الآيات قصة صالح عليه السلام.

الشعراء «٢٦»: ﴿كذبت عاد المرسلين (١٢٣) إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون (١٢٤) إني لكم رسول أمين (١٢٥) فاتقوا الله وأطيعون (١٢٦) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٢٧) أتبنون بكل ريع آية تعبثون (١٢٨) وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون (١٢٩) وإذا بطشتم بطشتم جبارين (١٣٠) فاتقوا الله وأطيعون (١٣١) واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون (١٣٢) أمدكم بأنعام وبنين (١٣٣) وجنات وعيون (١٣٤) إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (١٣٥) قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين (١٣٦) إن هذا إلا خلق الأولين (١٣٧) وما نحن بمعذبين (١٣٨) فكذبوه فأهلكناهم إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٣٩) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٤٠)﴾.

السجدة [فصلت] «٤١»: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود (١٣) إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا إلا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون (١٤) فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون (١٥) فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون (١٦)﴾.

الأحقاف «٤٦»: ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم (٢١) قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (٢٢) قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوما تجهلون (٢٣)

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦)﴾.

الذاريات «٥١»: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤١) مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٢)﴾.

القمر «٥٤»: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢)﴾.

الحاقة «٦٩»: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (٤) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ (٨)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ﴾: هو عاد بن عوص بن آدم بن سام ابن نوح ﴿أَخَاهُمْ﴾ يعني في النسب ﴿هُودًا﴾ هو هود بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح، عن محمّد بن إسحاق؛ وقيل: هود بن عبد الله بن رياح بن حلوث بن عاد بن عوص بن آدم بن سام ابن نوح، وكذا هو في كتاب النبوّة ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾ أي جهالة ﴿أَمِينٌ﴾ أي ثقة مأمون في تبليغ الرسالة فلا أكذب ولا أغيّر، أو كنت مأموناً فيكم فكيف تكذّبونني؟ ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ أي جعلكم سكّان الأرض ﴿مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ وهلاكهم بالعصيان ﴿وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً﴾ أي طولاً وقوّة، عن ابن عبّاس؛ قال الكلبيّ: كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستّين ذراعاً؛ وقيل: كان أقصرهم اثني عشر ذراعاً؛ وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كانوا كأنّهم النخل الطوال، فكان الرجل منهم ينحو الجبل بيده فيهدم منه قطعة؛ وقيل: كانوا أطول من غيرهم بمقدار أن يمدّ الإنسان يده فوق رأسه باسطاً ﴿بِمَا تَعِدُنَا﴾ أي من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنّك رسول الله إلينا، وفي نزول العذاب بنا لو لم نترك عبادة الأصنام ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم﴾ أي وجب عليكم وحلّ بكم لا محالة فهو كالواقع ﴿مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ﴾ أي عذابٌ ﴿وَغَضَبٌ﴾ إرادة عقاب ﴿أَتُجَادِلُونَنِي﴾ أي تخاصمونني ﴿فِي أَسْمَاءٍ﴾ أي في أصنام صنعتموها ﴿أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ واخترعتم لها أسماء فسمّيتموها آلهة؛ وقيل: معناه: تسميتهم لبعضها أنّه يسقيهم المطر، والآخر أنّه يأتيهم بالرزق، والآخر أنّه يشفي المرضى، والآخر أنّه يصحبهم في السفر ﴿مِن سُلْطَانٍ﴾ أي حجّة وبرهان ﴿فَانتَظِرُوا﴾ عذاب الله ﴿وَقَطَعْنَا﴾ أي استأصلناهم فلم يبق لهم نسلٌ ولا ذرّيّة[1].

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٨٥.

وروى أبو حمزة الثمالي، عن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى بيت ريح مقفل عليه لو فتح لأذرت ما بين السماء والأرض ما أرسل على قوم عاد إلاّ قدر الخاتم. وكان هود وصالح وشعيب وإسماعيل ونبيّنا صلّى الله عليهم يتكلّمون بالعربيّة[1]. ﴿يُرْسِلِ السَّمَآءَ﴾ أي المطر ﴿عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ أي متتابعاً متواتراً داراً، قيل: إنّهم كانوا قد أجدبوا فوعدهم هود أنّهم إن تابوا أخصبت بلادهم وأمرعت وهادهم، وأثمرت أشجارهم، وزكت ثمارهم بنزول الغيث ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ فسّرت القوّة ههنا بالمال والولد والشدّة؛ وقيل: قوّة في إيمانكم إلى قوّة في أبدانكم ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ عمّا أدعوكم إليه ﴿مُجْرِمِينَ﴾ أي كافرين ﴿بِبَيِّنَةٍ﴾ أي بحجّة ومعجزة ﴿عَن قَوْلِكَ﴾ أي بقولك، وإنّما نفوا البيّنة عناداً وتقليداً ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ﴾ أي لسنا نقول فيك إلاّ أنّه أصابك بعض ﴿آلِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾ فخبل عقلك لسبّك إيّاها ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أي فاحتالوا واجتهدوا أنتم وآلهتكم في إنزال مكروه بي ثمّ لا تمهلوني، وهذا من أعظم الآيات أن يكون الرسول وحده وأمّته متعاونة عليه فلا يستطيع واحدٌ منهم ضرّه ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾ كنايةٌ عن القهر والقدرة، لأنّ من أخذ بناصية غيره فقد قهره وأذلّه ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي على عدل فيها يعامل به عباده وفي تدبير عباده على طريق مستقيم لا عوج فيه ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي يهلككم ربّي بكفركم ويستبدل بكم قوماً غيركم يوحّدونه ﴿وَلَا تَضُرُّونَهُ﴾ إذا استخلف غيركم، أو لا تضرّونه بتولّيكم وإعراضكم ﴿شَيْئًا﴾ ولا ضرر عليه في إهلاككم لأنّه لم يخلقكم لحاجة منه إليكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ قيل: كانوا أربعة آلاف ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ أي بما أريناهم من الهدى إن تعلّق بآمنوا، أو بنعمة إن تعلّق بأنجينا ﴿مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أي عذاب الآخرة أو الدنيا، والغليظ: الثقيل العظيم ﴿وَأُتْبِعُوا﴾ أي بعد إهلاكهم في الدنيا بالإبعاد عن الرحمة، فإنّ الله أبعدهم من رحمته وتعبّد المؤمنين باللّعن عليهم[2].

﴿مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أي من بعد قوم نوح ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ القرن: أهل العصر، يعني قوم هود، وقيل: ثمود لأنّهم أُهلكوا بالصيحة ﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ﴾ أي نعّمناهم بضروب الملاذّ ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ أي عن قليل من الزمان، و (ما) مزيدة، أي عند نزول العذاب ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبرئيل عليه السلام صيحةً واحدةً ماتوا عن آخرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ باستحقاقهم العقاب ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَآءً﴾ هو ما جاء به السيل من نبات قد يبس أي فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء وهمدوا ﴿فَبُعْدًا﴾ أي ألزم الله بعداً من الرحمة ﴿لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المشركين ﴿تَتْرَا﴾ أي متواترةً يتبع بعضها بعضاً ﴿أَحَادِيثَ﴾ أي يتحدّث بهم على طريق المثل في الشرّ[3].

﴿بِكُلِّ رِيعٍ﴾ أي بكلّ مكان مرتفع، أو بكلّ طريق ﴿آيَةً تَعْبَثُونَ﴾ أي بناءً لا تحتاجون إليه

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٨٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٩٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٨٩.

لسكناكم، وقيل: إنّهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارّة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم، وقيل: إنّ هذا في بنيان الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجاً للحمام عبثاً ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ أي حصوناً وقصوراً مشيّدةً، وقيل: مآخذ الماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ أي كأنّكم تخلدون فيها ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم﴾ البطش: الأخذ باليد، أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبّر بارتكاب العظائم؛ وقيل: أي إذا عاقبتم قتلتم ﴿أَمَدَّكُم﴾ الإمداد: إتباع الثاني بما قبله شيئاً بعد شيء على انتظام ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي كذب الأوّلين الّذين ادّعوا النبوّة، أو هذا الّذي نحن عليه ممّا ذكرت عادة الأوّلين من قبلنا[١].

﴿فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ أي نكدات مشومات؛ وقيل: ذوات غبار وتراب حتّى لا يكاد يبصر بعضهم بعضاً؛ وقيل: باردات، والعرب تسمّي البرد نحساً[٢].

﴿لِتَأْفِكَنَا﴾ أي لتصرفنا ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ﴾ أي هو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿عَارِضًا﴾ أي سحاباً يعرض في ناحية السماء ثمّ يطبق السماء ﴿مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ قالوا: كانت عاد قد حبس عنهم المطر أيّاماً فساق الله إليهم سحابةً سوداء أُخرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ استبشروا و ﴿قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ فقال هود: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿تُدَمِّرُ﴾ أي تهلك كلّ شيء مرّت به من الناس والدوابّ والأموال، واعتزل هود ومن معه في حظيرة من تلك الريح إلّا ما تلين على الجلود وتلتذّ به الأنفس وإنّما لتمرّ على عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتّى ترى الظعينة كأنّها جرادة ﴿فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ أي في الّذي ما مكّنّاكم فيه من قوّة الأبدان وبسطة الأجسام وطول العمر وكثرة الأموال؛ وقيل: معناه: في ما مكّنّاكم فيه، و (إن) مزيدة، أي من الطاعات والإيمان ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي حلّ بهم[٣].

﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي الّتي عقمت عن أن تأتي بخير ﴿كَالرَّمِيمِ﴾ أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس وديس؛ وقيل: هو العظم البالي السحيق[٤].

﴿وَنُذُرِ﴾ أي وانذاري إيّاهم ﴿مُّسْتَمِرٍّ﴾ أي دائم الشؤم استمرّ عليهم بنحوسته ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ حتّى أتت عليهم؛ وقيل: إنّه كان في يوم أربعاء في آخر الشهر لا يدور، رواه العيّاشي بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾ أي تقتلع هذه الريح الناس ثمّ ترمي بهم على رؤوسهم فتدقّ رقابهم فيصرون ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أي أسافل نخل منقلع لأنّ رؤوسهم سقطت عن أبدانهم؛ وقيل: معناه: تنزعهم من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح؛ وقيل: تنزع أرواح الناس[٥].

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٤٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٥٠.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٥.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣١٦.

﴿بِالْقَارِعَةِ﴾ أي بيوم القيامة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ عتت على خزّانها في شدّة الهبوب، وروى الزهريّ، عن قبيصة بن ذؤيب أنّه قال: ما يخرج من الريح شيء إلاّ عليها خزّان يعلمون قدرها وعددها وكيلها حتّى كانت الّتي أُرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدرها غضباً لله فلذلك سمّيت عاتية ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أي سلّطها وأرسلها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ قال وهب: وهي الّتي تسمّيها العرب أيّام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنّما نسبت إلى العجوز لأنّ عجوزاً دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب وانقطع العذاب في اليوم الثامن ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا﴾ أي في تلك الأيّام واللّيالي ﴿صَرْعَى﴾ أي مصروعين هلكى ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ أي أُصول نخل بالية نخرة؛ وقيل: خالية الأجواف؛ وقيل: ساقطة ﴿مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ أي من نفس باقية؛ وقيل: من بقاء[1].

١ - ص: هو هود بن عبد الله بن رباح بن جلوث بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح[2].

أقول: كذا ذكره صاحب الكامل أيضاً ثمّ قال: ومن الناس من يزعم أنّ هود هو عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح.

٢ - فس: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ قال: إنّ عاداً كانت بلادهم في البادية من الشقوق إلى الأجفر أربعة منازل، وكان لهم زرع ونخل كثير، ولهم أعمار طويلة وأجسام طويلة، فعبدوا الأصنام، وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه، فكفّ السماء عنهم سبع سنين حتّى قحطوا، وكان هود زرّاعاً وكان يسقي الزرع فجاء قوم إلى بابه يريدونه، فخرجت عليهم امرأته شمطاء عوراء فقالت: من أنتم؟ فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا، أجدبت بلادنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله لنا حتّى تمطر وتخصب بلادنا، فقالت: لو استجيب لهود لدعا لنفسه فقد احترق زرعه لقلّة الماء، قالوا: فأين هو؟ قالت: هو في موضع كذا وكذا، فجاؤوا إليه فقالوا: يا نبيّ الله قد أجدبت بلادنا ولم نمطر فاسأل الله أن تخصب بلادنا ونمطر، فتهيّأ للصلاة وصلّى ودعا لهم فقال لهم: ارجعوا فقد أُمطرتم فأخصبت بلادكم، فقالوا: يا نبيّ الله إنّا رأينا عجباً، قال: وما رأيتم؟ قالوا: رأينا في منزلك امرأة شمطاء عوراء، قالت لنا: من أنتم؟ ومن تريدون؟ قلنا: جئنا إلى نبيّ الله هود ليدعو الله لنا فنمطر، فقالت: لو كان هود داعياً لدعا لنفسه فإنّ زرعه قد احترق، فقال هود: ذلك امرأتي وأنا أدعو الله لها بطول البقاء، فقالوا: فكيف ذلك؟ قال: لأنّه ما خلق الله مؤمناً إلاّ وله عدوّ يؤذيه وهي عدوّتي، فلأن يكون

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٠٤. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩٦.

عدوّي ممّن أملكه خير من أن يكون عدوّي ممّن يملكني، فبقي هود في قومه يدعوهم إلى الله وينهاهم عن عبادة الأصنام حتّى تخصب بلادهم وأنزل الله عليهم المطر وهو قوله عزّوجلّ: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ فقالوا كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ إلى آخر الآية، فلمّا لم يؤمنوا أرسل الله عليهم الريح الصرصر يعني الباردة وهو قوله في سورة القمر: ﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ ﴿١٩﴾﴾ وحكى في سورة الحاقّة فقال: ﴿وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗا﴾ قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيّام، فحدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان، عن معروف ابن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الريح العقيم تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرج منها شيء قطّ إلاّ على قوم عاد حين غضب عليهم، فأمر الخزّان أن يخرجوا منها مثل سعة الخاتم فعصت على الخزنة فخرج منها مثل مقدار منخر الثور تغيّظاً منها على قوم عاد، فضجّ الخزنة إلى الله من ذلك وقالوا: يا ربّنا إنّها قد عتت علينا ونحن نخاف أن يهلك من لم يعصك من خلقك وعمّار بلادك فبعث الله جبرئيل فردّها بجناحه وقال لها: اخرجي على ما أمرت به، فرجعت وخرجت على ما أمرت به فأهلكت قوم عاد ومن كان بحضرتهم[1].

بيان: الأجفر موضع بين الخزيمة وفيد.

وقال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿صَرۡصَرٗا﴾: أي شديدة الهبوب، عن ابن زيد وقيل: باردة، عن ابن عبّاس وقتادة، من الصرّ وهو البرد.

وقال في قوله تعالى: ﴿حُسُومٗا﴾: أي ولاء متابعة ليست لها فترة، عن ابن عبّاس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة، كأنّه تتابع عليهم الشرّ حتّى استأصلهم؛ وقيل: دائمة، عن الكلبيّ ومقاتل؛ وقيل: قاطعة قطعتهم قطعاً حتّى أهلكتهم، عن الخليل؛ وقيل: مشائيم نكداء قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها، عن عطيّة انتهى[2].

أقول: لعلّ الخبر مبنيّ على القول الأخير إن كان تفسيراً لقوله تعالى: ﴿حُسُومٗا﴾ كما هو الظاهر.

٣ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله تعالى رياح رحمة ورياح عذاب، فإن شاء الله أن يجعل العذاب من الرياح رحمةً فعل، قال: ولن يجعل الرحمة من الريح عذاباً، قال: وذلك أنّه لم يرحم قوماً قطّ أطاعوه وكانت طاعتهم إيّاه وبالاً عليهم إلاّ من بعد تحوّلهم

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٣٠.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٠٤.

عن طاعته، قال: وكذلك فعل بقوم يونس لمّا آمنوا رحمهم الله بعدما قد كان قدّر عليهم العذاب وقضاه، ثمّ تداركهم برحمته فجعل العذاب المقدّر عليهم رحمةً فصرفه عنهم وقد أنزله عليهم وغشيهم، وذلك لمّا آمنوا به وتضرّعوا إليه، قال: وأمّا الريح العقيم فإنّها ريح عذاب لا تلقح شيئاً من الأرحام ولا شيئاً من النبات، وهي ريح تخرج من تحت الأرضين السبع وما خرجت منها ريح قطّ إلاّ على قوم عاد. وساق الحديث إلى آخر ما مرّ[1].

٤ - فس: ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ والأحقاف من بلاد عاد من الشوقق إلى الأجفر وهي أربعة منازل، قال: حدّثني أبي قال: أمر المعتصم أن يحفر بالبطاينة بئر، فحفروا ثلاث مائة قامة فلم يظهر الماء فتركه ولم يحفره، فلمّا ولّي المتوكّل أمر أن يحفر ذلك البئر أبداً حتّى يبلغ الماء فحفروا حتّى وضعوا في كلّ مائة قامة بكرة حتّى انتهوا إلى صخرة فضربوها بالمعول فانكسرت فخرج عليهم منها ريحٌ باردةٌ فمات من كان بقربها، فأخبروا المتوكّل بذلك فلم يعلم ما ذاك فقالوا: سل ابن الرضا عن ذلك وهو أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام، فكتب إليه يسأله عن ذلك، فقال أبو الحسن: تلك بلاد الأحقاف وهم قوم عاد الّذين أهلكهم الله بالريح الصرصر، ثمّ حكى الله قول قوم عاد: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا﴾ أي تزيلنا بكذبك ﴿عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وكان نبيّهم هود، وكانت بلادهم كثيرة الخير خصبة فحبس الله عنهم المطر سبع سنين حتّى أجدبوا، وذهب خيرهم من بلادهم وكان هود يقول لهم ما حكى الله: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ فلم يؤمنوا وعتوا، فأوحى الله إلى هود أنّه يأتيهم العذاب في وقت كذا وكذا ريحٌ فيها عذابٌ أليمٌ، فلمّا كان ذلك الوقت نظروا إلى سحاب قد أقبلت ففرحوا فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ الساعة يمطر، فقال لهم هود عليه السلام: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ﴾ في قوله: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ فلفظه عامّ ومعناه خاصّ لأنّها تركت أشياء كثيرة لم تدمّرها، وإنّما دمّرت مالهم كلّه، فكان كما قال الله: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ وكلّ هذه الأخبار من هلاك الأمم تخويف وتحذير لأمّة محمّد صلى الله عليه وآله.

وأمّا قوله: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ﴾ الآية، أي قد أعطيناهم فكفروا فنزل بهم العذاب فاحذروا أن ينزل بكم ما نزل بهم[2].

٥ - يه: قال عليّ عليه السلام: الرّياح خمسة منها العقيم فنعوذ بالله من شرّها[3]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خرجت ريح قطّ إلاّ بمكيال إلاّ زمن عاد فإنّها عتت على خزّانها فخرجت في مثل خرق الإبرة فأهلكت قوم عاد[4].

---

(١) روضة الكافي الموجود مع الاصول، ص ٧١٥ ح ٦٤. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٧٣

(٣) - (٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٢٠١ ح ١٥٢٥ و١٥٢٢.

٦ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب وهاشم بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله جنوداً من الرياح يعذّب بها من يشاء ممّن عصاه، ولكلّ ريح منها ملكٌ موكّلٌ بها، فإذا أراد الله أن يعذّب قوماً بنوع من العذاب أوحى إلى الملك الموكّل بذلك النوع من الريح الّتي يريد أن يعذّبهم بها، قال: فيأمر بها الملك فتهيج كما يهيج الأسد المغضب، قال: ولكلّ ريح منهنّ اسم، أما تسمع قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾﴾ وقال تعالى: ﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وقال: ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وقال: ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ وما ذكر من الرياح الّتي يعذّب الله بها من عصاه؛ الخبر[١].

٧ - **فس:** ﴿وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ قال: تقتلون بالغضب من غير استحقاق[٢].

٨ - **فس:** ﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ يعني نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيّون ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أنت ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ لم يبعث بشراً مثلنا. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ والصرصر: الريح الباردة ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ أيام مشائيم[٣].

٩ - **فس:** ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وهي الّتي لا تلقح الشجر ولا تنبت النبات[٤].

١٠ - **فس:** ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي باردة[٥].

١١ - **فس:** ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ أي باردة ﴿عَاتِيَةٍ﴾ قال: خرجت أكثر ممّا أمرت به ﴿حُسُومًا﴾ قال: كان القمر منحوساً بزحل سبع ليال وثمانية أيام حتّى هلكوا[٦].

١٢ - **ع:** بالإسناد عن وهب قال: إنّ الريح العقيم تحت هذه الأرض الّتي نحن عليها قد زمّت بسبعين ألف زمام من حديد، قد وكلّ بكلّ زمام سبعون ألف ملك، فلمّا سلّطها الله عزّ وجلّ على عاد استأذنت خزنة الريح ربّها عزّ وجلّ أن تخرج منها مثل منخري الثور، ولو أذن الله عزّ وجلّ لها ما تركت شيئاً على ظهر الأرض إلاّ أحرقته فأوحى الله عزّ وجلّ إلى خزنة الريح أن أخرجوا منها مثل ثقب الخاتم فأهلكوا بها، وبها ينسف الله عزّ وجلّ الجبال نسفاً والتلال والآكام والمدائن والقصور يوم القيامة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ والقاع: الّذي لا نبات فيه. والصفصف: الّذي لا عوج فيه. والأمت: المرتفع. وإنّما سمّيت العقيم لأنّها

---

(١) روضة الكافي الموجود مع الأصول ص ٧١٥ ح ٦٣.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٥.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٦.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٩.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧١.

تلقّحت بالعذاب وتعقّمت عن الرحمة كتعقّم الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتّى عاد ذلك كلّه رملاً دقيقاً تسفيه الريح، فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ وإنّما كثر الرمل في تلك البلاد لأنّ الريح طحنت تلك البلاد، عصفت عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ والحسوم: الدائمة، ويقال: المتتابعة الدائمة. وكانت ترفع الرجال والنساء فتهبّ بهم صعداً ثمّ ترمي بهم من الجوّ فيقعون على رؤوسهم منكبّين، تقلع الرجال والنساء من تحت أرجلهم ثمّ ترفعهم، فذلك قوله عزّوجلّ: ﴿تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ والنزع: القلع، وكانت الريح تعصف الجبل كما تعصف المساكن فتطحنها ثمّ تعود رملاً دقيقاً، فمن هناك لا يرى في الرمل جبل، وإنّما سمّيت عاد إرم ذات العماد من أجل أنّهم كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الّذي يسلخونه من أسفله إلى أعلاه ثمّ ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثمّ يبنون القصور عليها فسمّيت ذات العماد لذلك[1].

١٣ - ج: روي عن عليّ بن يقطين أنّه قال: أمر أبو جعفر الدوانيقيّ يقطين أن يحفر بئراً بقصر العبادي، فلم يزل يقطين في حفرها حتّى مات أبو جعفر ولم يستنبط منها الماء، فأخبر المهديّ بذلك فقال له: احفر أبداً حتّى تستنبط الماء ولو أنفقت عليها جميع ما في بيت المال، قال: فوجّه يقطين أخاه أبا موسى في حفرها، فلم يزل يحفر حتّى ثقبوا ثقباً في أسفل الأرض فخرجت منه الريح، قال: فهالهم ذلك فأخبروا به أبا موسى فقال: أنزلوني، قال: وكان رأس البئر أربعين ذراعاً في أربعين ذراع، فأجلس في شقّ محمل ودلّي في البئر، فلمّا صار في قعرها نظر إلى هول وسمع دويّ الريح في أسفل ذلك، فأمرهم أن يوسّعوا الخرق فجعلوه شبه الباب العظيم، ثمّ دلّي فيه رجلان في شقّ محمل فقال: ائتوني بخبر هذا ما هو، قال: فنزلا في شقّ محمل فمكثا مليّاً ثمّ حرّكا الحبل فأصعدا، فقال لهما: ما رأيتما؟ قالا: أمراً عظيماً رجالاً ونساءً وبيوتاً وآنيةً ومتاعاً كلّه ممسوخ من حجارة فأمّا الرجال والنساء فعليهم ثيابهم فمن بين قاعد ومضطجع ومتكئ، فلمّا مسسناهم إذا ثيابهم تتفشّى شبه الهباء، ومنازل قائمة، قال: فكتب بذلك أبو موسى إلى المهديّ، فكتب المهديّ إلى المدينة إلى موسى بن جعفر عليه السلام يسأله أن يقدم عليه، فقدم عليه فأخبره فبكى بكاءً شديداً وقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء بقيّة قوم عاد غضب الله عليهم فساخت بهم منازلهم، هؤلاء أصحاب الأحقاف، قال: فقال له المهديّ: يا أبا الحسن وما الأحقاف؟ قال: الرمل[2].

بيان: قال الطبرسيّ قدّس سرّه: الأحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلاً، قال المبرّد: هو الرمل الكثير المكتنز غير العظيم وفيه اعوجاج، ثمّ قال: هو واد بين عمان ومهرة عن ابن عبّاس؛ وقيل: رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٧ باب ٣٠ ح ١. (٢) الاحتجاج، ص ٣٨٨.

إسحاق؛ وقيل: رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن، عن قتادة؛ وقيل: أرض خلالها رمال، عن الحسن[١].

١٤ - مع: معنى هود أنّه هدي إلى ما ضلّ عنه قومه وبعث ليهديهم من ضلالتهم ومعنى الريح العقيم الّتي أهلك الله عزّوجلّ بها عاداً أنّها تلقّحت بالعذاب وتعقّمت عن الرحمة كتعقّم الرجل إذا كان عقيماً لا يولد له، فطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتّى عاد ذلك كلّه رملاً دقيقاً تسفيه الريح؛ ومعنى ذات العماد أوتاداً كانوا يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل طول الجبل الّذي يسلخونه من أسفله إلى أعلاه ثمّ ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثمّ يبنون فوقها القصور، فسمّيت ذات العماد لذلك[٢].

١٥ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى وهب قال: كان من أمر عاد أنّ كلّ رمل على ظهر الأرض وضعه الله لشيء من البلاد كان مساكن في زمانها وقد كان الرمل قبل ذلك في البلاد ولكن لم يكن كثيراً حتّى كان زمان عاد وإنّ ذلك الرمل كانت قصوراً مشيّدة وحصوناً ومدائن ومصانع ومنازل وبساتين، وكانت بلاد عاد أخصب بلاد العرب وأكثرها أنهاراً وجناناً، فلمّا غضب الله عليهم وعتوا على الله تعالى وكانوا أصحاب الأوثان يعبدونها من دون الله فأرسل الله عليهم الريح العقيم، وإنّما سمّيت العقيم لأنها تلقّحت بالعذاب، وعقمت عن الرحمة، وطحنت تلك القصور والحصون والمدائن والمصانع حتّى عاد ذلك كلّه رملاً دقيقاً تسفيه الريح، وكانت تلك الريح ترفع الرجال والنساء فتهبُّ بهم صعداً ثمّ ترمي بهم من الجوّ فيقعون على رؤوسهم منكّسين، وكانت عاد ثلاثة عشر قبيلة وكان هود عليه السلام في حسب عاد وثروتها، وكان أشبه ولد آدم بآدم صلوات الله عليهما، وكان رجلاً آدم كثير الشعر حسن الوجه ولم يكن أحد من الناس أشبه بآدم منه إلاّ ما كان من يوسف بن يعقوب عليه السلام.
فلبث هود فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى الله وينهاهم عن الشرك بالله تعالى وظلم الناس ويخوّفهم بالعذاب، فلجّوا وكانوا يسكنون أحقاف الرمال، وإنّه لم يكن أمّة أكثر من عاد ولا أشدّ منهم بطشاً، فلمّا رأوا الريح قد أقبلت عليهم قالوا لهود: أتخوّفنا بالريح؟ فجمعوا ذراريهم وأموالهم في شعب من تلك الشعاب، ثمّ قاموا على باب ذلك الشعب يردُّون الريح عن أموالهم وأهاليهم، فدخلت الريح من تحت أرجلهم بينهم وبين الأرض حتّى قلعتهم فهبّت بهم صعداً، ثمّ رمت بهم من الجوّ، ثمّ رمت بهم الريح في البحر، وسلّط الله عليهم الذرّ فدخلت في مسامعهم، وجاءهم من الذرّ ما لا يطاق قبل أن يأخذهم الريح، فسيّرهم من بلادهم وحال بينهم وبين مرادهم حتّى أتاهم الله، فقد كان سخّر لهم من قطع الجبال والصخور والعمد والقوّة على ذلك والعمل به شيئاً لم يسخّره لأحد كان قبلهم ولا بعدهم، وإنّما سمّيت ذات العماد من أجل أنّهم يسلخون العمد من الجبال فيجعلون طول العمد مثل

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٤٩. (٢) معاني الأخبار، ص ٤٨.

طول الجبل الّذي يسلخونه منه من أسفله إلى أعلاه، ثمّ ينقلون تلك العمد فينصبونها، ثمّ يبنون فوقها القصور، وقد كانوا ينصبون تلك العمد أعلاماً في الأرض على قوارع الطريق، وكان كثرتهم بالدهناء ويبرين وعالج إلى اليمن إلى حضرموت.

وسئل وهب عن هود أكان أبا اليمن الّذي ولدهم؟ فقال: لا ولكنّه أخو اليمن الّذي في التوراة تنسب إلى نوح عليه السلام، فلمّا كانت العصبيّة بين العرب وفخرت مضر بأبيها إسماعيل ادّعت اليمن هوداً أباً ليكون لهم أب ووالد من الأنبياء، وليس بأبيهم ولكنّه أخوهم، ولحق هود ومن آمن معه بمكّة فلم يزالوا بها حتّى ماتوا، وكذلك فعل صالح عليه السلام بعده وقد سلك فجّ الروحاء سبعون ألف نبيّ حجّاجاً عليهم ثياب الصوف مخطمين إبلهم بحبال الصوف، يلبّون الله بتلبية شتّى، منهم هود وصالح وإبراهيم وموسى وشعيب ويونس صلوات الله عليهم، وكان هود رجلاً تاجراً[1].

١٦ - ك: أبي وابن الوليد معاً عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمّد بن سنان، وإسماعيل ابن جابر وكرام بن عمرو، عن عبد الحميد بن أبي الديلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا بعث الله تعالى هوداً أسلم له العقب من ولد سام، وأمّا الآخرون فقالوا: من أشدّ منّا قوّة فأهلكوا بالريح العقيم، وأوصاهم هود وبشّرهم بصالح عليه السلام[2].

١٧ - ص: بالإسناد عن ابن أورمة، عن سعيد بن جناح، عن أيّوب بن راشد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت أعمار قوم هود عليه السلام أربعمائة سنة، وقد كانوا يعذّبون بالقحط ثلاث سنين فلم يرجعوا عمّا هم عليه، فلمّا رأوا ذلك بعثوا وفداً لهم إلى جبال مكّة وكانوا لا يعرفون موضع الكعبة، فمضوا واستسقوا فرفعت لهم ثلاث سحابات فقالوا: هذه حفا، يعني الّتي ليس فيها ماء، وسمّوا الثانية فاجياً، واختاروا الثالثة الّتي فيها العذاب، قال: والريح عصفت عليهم وكان رئيسهم يقال له الخلجان، فقال: يا هود ما ترى الريح إذا أقبلت أقبل معها خلق كأمثال الأباعر معها أعمدة، هم الّذين يفعلون بنا الأفاعيل، فقال: أولئك الملائكة، فقال: أترى ربّك إن نحن آمنّا به أن يديلنا منهم فقال لهم هود عليه السلام: إنّ الله تعالى لا يديل أهل المعاصي من أهل الطاعة، فقال له الخلجان وكيف لي بالرجال الّذين هلكوا؟ فقال له هود: يبدّلك الله بهم من هو خير لك منهم، فقال: لاخير في الحياة بعدهم، فاختار اللّحاق بقومه فأهلكه الله تعالى[3].

بيان: كأنّ قولهم: حفا من الحفو بمعنى المنع.

١٨ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن طريف، عن ابن نباتة قال: خرجنا مع

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٨٨.
(٢) كمال الدين، ص ١٣٧ باب ٢ ح ٥.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩٠.

أمير المؤمنين عليه السلام إلى نخيلة فإذا أُناس من اليهود معهم ميّت لهم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للحسن: انظر ما يقول هؤلاء في هذا القبر، فقال: يقولون: هو هود عليه السلام، فقال: كذبوا أنا أعلم به منهم، هذا قبر يهودا بن يعقوب، ثمّ قال: مَن ههنا من مهرة؟ فقال: شيخ كبير أنا منهم فقال لهم: أين منزلك؟ فقال: في مهرة على شاطئ البحر، فقال: أين هو من الجبل الّذي عليه الصومعة، قال: قريبٌ منه، فقال: ما يقول قومك فيه؟ فقال: يقولون: قبر ساحر، فقال: كذبوا أنا أعلم به منهم ذلك قبر هود عليه السلام وهذا قبر يهودا[1].

بيان: اختلف في موضع قبره عليه السلام فقيل: إنّه بغار بحضرموت؛ وروى المؤرّخون عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ قبره على تلّ من رمل أحمر بحضرموت؛ وقيل: إنّه دفن في مكّة في الحجر، وسيأتي خبران في كتاب المزار يدلاّن على أنّه عليه السلام دفن قريباً من أمير المؤمنين عليه السلام في الغريّ، ويمكن الجمع بحمل هذا الخبر على الموضع الّذي دفن فيه أوّلاً ثمّ نقل إلى الغريّ كآدم عليه السلام.

١٩ - وروى أبو الفتح الكراجكيّ في كنز الفوائد عن الأصبغ بن نباتة في حديث رجل من حضرموت أتى أمير المؤمنين عليه السلام في أيّام أبي بكر فأسلم على يده، قال: فسأله أمير المؤمنين عليه السلام يوماً ونحن مجتمعون فقال: أعالم أنت بحضرموت؟ فقال الرجل: إن جهلتها لم أعلم شيئاً، قال: أفتعرف موضع الأحقاف؟ قال: كأنّك تسأل عن قبر هود النبيّ عليه السلام؟ قال: لله درّك ما أخطأت، قال: نعم خرجت في عنفوان شبابي في علّة من الحيّ ونحن نريد أن نأتي قبره لبعد صوته فينا وكثرة من يذكره، فسرنا في بلاد الأحقاف أيّاماً وفينا رجل قد عرف الموضع حتّى انتهى بنا ذلك الرجل إلى كهف فدخلنا فأمعنّا فيه طويلاً فانتهينا إلى حجرين قد أُطبق أحدهما فوق الآخر وبينهما خلل يدخل منه الرجل النحيف فتحارفت فدخلت فرأيت رجلاً على سرير شديد الأُدمة، طويل الوجه، كثّ اللّحية، قد يبس، فإذا مسست شيئاً من جسده أصبته صلباً لم يتغيّر، ورأيت عند رأسه كتاباً بالعبرانيّة فيه مكتوب: أنا هود النبيّ، آمنت بالله، وأشفقت على عاد بكفيرها، وما كان لأمر الله من مردّ. فقال لنا أمير المؤمنين عليه السلام: وكذلك سمعته من أبي القاسم صلى الله عليه وآله[2].

٢٠ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن زرعة، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا هاجت الرياح فجاءت بالسافي الأبيض والأسود والأصفر فإنّه رميم قوم عاد[3].

٢١ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن محمّد بن هارون، عن معاذ بن المثنّى، عن عبد

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩١.
(٢) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٨١.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩١.

الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان بن منصور، عن أبي وائل، عن وهب قال: لمّا تمّ لهود عليه السلام أربعون سنة أوحى الله تعالى إليه: أن ائت قومك فادعهم إلى عبادتي وتوحيدي فإنّ أجابوك زدتهم قوّة وأموالاً، فبينا هم مجتمعون إذ أتاهم هود فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، فقالوا: يا هود لقد كنت عندنا ثقةً أميناً، وقال: فإنّي رسول الله إليكم دعوا عبادة الأصنام، فلمّا سمعوا ذلك منه بطشوا به وخنقوه وتركوه كالميّت، فبقي يومه وليلته مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال: يا ربّ إنّي قد عملت وقد ترى ما فعل بي قومي، فجاء جبرئيل عليه السلام فقال: يا هود إنّ الله تعالى يأمرك أن لا تفتر عن دعائهم وقد وعدك أن يلقي في قلوبهم الرعب فلا يقدرون على ضربك بعدها، فأتاهم هود فقال لهم: قد تجبّرتم في الأرض وأكثرتم الفساد، فقالوا: يا هود اترك هذا القول فإنّا إن بطشنا بك الثانية نسيت الأولى فقال: دعوا هذا وارجعوا إلى الله وتوبوا إليه، فلمّا رأى القوم ما لبسهم من الرعب علموا أنّهم لا يقدرون على ضربه الثانية، فاجتمعوا بقوّتهم، فصاح بهم هود عليه السلام صيحة فسقطوا لوجوههم، ثمّ قال هود: يا قوم قد تماديتم في الكفر كما تمادى قوم نوح، وخليق أن أدعو عليكم كما دعا نوح على قومه، فقالوا: يا هود إنّ آلهة قوم نوح كانوا ضعفاء، وإنّ آلهتنا أقوياء، وقد رأيت شدّة أجسامنا، وكان طول الرجل منهم مائة وعشرين ذراعاً بذراعهم، وعرضه ستّين ذراعاً، وكان أحدهم يضرب الجبل الصغير فيقطعه، فمكث على هذا يدعوهم سبعمائة وستّين سنة، فلمّا أراد الله تعالى إهلاكهم حقف الأحقاف حتّى صارت أعظم من الجبال، فقال لهم هود: يا قوم ألا ترون هذه الرمال كيف تحقّفت؟ إنّي أخاف أن تكون مأمورة، فاغتمّ هود عليه السلام لما رأى من تكذيبهم، ونادته الأحقاف: قرّ يا هود عيناً فإنّ لعاد منّا يوم سوء، فلمّا سمع هود ذلك قال: يا قوم اتّقوا الله واعبدوه، فإن لم تؤمنوا صارت هذه الأحقاف عليكم عذاباً ونقمة، فلمّا سمعوا ذلك أقبلوا على نقل الأحقاف فلا تزيد إلاّ كثرة فرجعوا صاغرين، فقال هود: يا ربّ قد بلّغت رسالاتك فلم يزدادوا إلاّ كفراً، فأوحى الله إليه: يا هود إنّي أمسك عنهم المطر، فقال هود عليه السلام: يا قوم قد وعدني ربّي أن يهلككم، ومرّ صوته في الجبال وسمع الوحش صوته والسباع والطير فاجتمع كلّ جنس معها يبكي ويقول: يا هود أتهلكنا مع الهالكين؟ فدعا هود ربّه تعالى في أمرها، فأوحى الله تعالى إليه: إنّي لا أهلك من لم يعص بذنب من عصاني، تعالى الله علوّاً كبيراً[1].

بيان: قوله: (بذراعهم) أي بذراع أهل زمانهم، وقد سبق بعض الوجوه في أبواب قصص آدم عليه السلام. قوله: (حقّف الأحقاف) بالقاف أوّلاً ثم الفاء ثانياً أي جعلها أحقافاً بأن جمعها حتّى صارت تلولاً.

٢٢ -**ع، ن، ل:** في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أخبرني عن يوم الأربعاء

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩٢.

والتطيّر منه، فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق - وساق الحديث إلى أن قال: - ويوم الأربعاء أرسل الله عزّ وجلّ الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة(١).

٢٣ - ن: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن هاشم، عن أحمد بن عامر الطائيّ عن الرضا عليه السلام قال: يوم الأربعاء يوم نحس مستمرّ(٢).

٢٤ - ل: محمّد بن أحمد البغداديّ، عن عليّ بن محمّد بن عنبسة، عن دارم بن قبيصة، عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمرّ(٣).

٢٥ - ل: ابن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن إسحاق عن القاسم، عن جدّه، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: يوم الأربعاء يوم نحس مستمرّ(٤).

وبإسناد آخر عن محمّد بن مسلم عنه عليه السلام مثله(٥).

٢٦ - نوادر الراوندي: بإسناده عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور(٦).

٢٧ - ك: الدقّاق، عن الأسديّ، عن النخعيّ، عن النوفليّ، عن عليّ بن سالم عن أبيه، عن الصادق عليه السلام قال: لمّا حضرت نوحاً عليه السلام الوفاة دعا الشيعة فقال لهم: اعلموا أنّه ستكون بعدي غيبة تظهر فيها الطواغيت، وأنّ الله عزّ وجلّ يفرّج عنكم بالقائم من ولدي اسمه هود، له سمت وسكينة ووقار، يشبهني في خَلقي وخُلقي، وسيهلك الله أعداءكم عند ظهوره بالريح، فلم يزالوا يترقّبون هوداً عليه السلام وينتظرون ظهوره حتّى طال عليهم الأمد فقست قلوب كثير منهم، فأظهر الله تعالى ذكره نبيّه هوداً عند اليأس منهم وتناهي البلاء بهم، وأهلك الأعداء بالريح العقيم الّتي وصفها الله تعالى ذكره، فقال: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ ثمّ وقعت الغيبة به بعد ذلك إلى أن ظهر صالح عليه السلام(٧).

تذنيب: قال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه: جملة ما ذكره السدّيّ ومحمّد بن إسحاق وغيرهما من المفسّرين في قصّة هود أنّ عاداً كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم منها بالشحر والأحقاف وهو رمال يقال لها: رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان إلى حضرموت، وكان لهم زرع ونخل، ولهم أعمار طويلة، وأجساد عظيمة، وكانوا أصحاب أصنام

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا. ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١ والخصال ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨.

(٢) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٤ ح ٢.

(٣) - (٥) الخصال، ص ٣٨٧ باب السبعة ح ٧٣ و٧٦ و٧٧.

(٦) نوادر الراوندي، ص ١٠٣ ح ٦٩. (٧) كمال الدين، ص ١٣٦.

يعبدونها، فبعث الله إليهم هوداً نبياً، وكان من أوسطهم نسباً، وأفضلهم حسباً، فدعاهم إلى التوحيد وخلع الأنداد، فأبوا عليه فكذّبوه وآذوه فأمسك الله عنهم المطر سبع سنين، وقيل ثلاث سنين حتّى قحطوا، وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جهد التجأوا إلى بيت الله الحرام بمكّة مسلمهم وكافرهم، وأهل مكة يومئذ العماليق من ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، وكان سيّد العماليق إذ ذاك بمكّة رجلاً يقال له: معاوية بن بكر، وكانت أمّه من عاد فبعث عاد وفداً إلى مكّة ليستسقوا لهم، فنزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكّة خارجاً من الحرم فأكرمهم وأنزلهم وأقاموا عنده شهراً يشربون الخمر، فلمّا رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوّثون من البلاء الّذي نزل بهم شقّ ذلك عليه وقال: هلك أخوالي وهؤلاء مقيمون عندي وهم ضيفي أستحيي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه وشكا ذلك إلى قينتيه اللّتين كانتا تغنّيانهم وهما الجرادتان فقالتا: قل شعراً نغنّيهم به لا يدرون من قاله، فقال معاوية بن بكر:

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعلّ الله يسقينا غماما
فيسقي أرض عاد إنّ عاداً قد أمسوا ما يبينون الكلاما
وإنّ الوحش تأتيهم جهاراً ولا تخشى لعاديّ سهاما
وأنتم ههنا في ما اشتهيتم نهاركم وليلكم التماما
فقبّح وفدكم من وفد قوم ولا لقّوا التحيّة والسلاما

فلمّا غنّتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض: إنّما بعثكم قوم يتغوّثون بكم من هذا البلاء فادخلوا هذا الحرم واستسقوا لهم، فقال رجل منهم قد آمن بهود سرّاً: والله لاتسقون بدعائكم ولكن إن أطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا إلى مكّة يستسقون بها لعاد، وكان قيل ابن عنز رأس وفد عاد فقال: يا إلهنا إن كان هود صادقاً فاسقنا فإنّا قد هلكنا، فأنشأ الله سحاباً ثلاثاً: بيضاء وحمراء وسوداء، ثمّ ناداه مناد من السماء: يا قيل اختر لنفسك ولقومك، فاختار السحابة السوداء الّتي فيها العذاب، فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من النقمة إلى عاد، فلمّا رأوها استبشروا بها وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ يقول الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فسخّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيّام حسوماً أي دائمة، فلم تدع من عاد أحداً إلّا هلك، واعتزل هود ومن معه من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه إلّا ما تلين عليه الجلود وتلتذّ النفوس[1].

٥ - باب قصة شداد وإرم ذات العماد

الآيات: الفجر «٨٩»: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨﴾.

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٨٧.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلفوا في إرم على أقوال:

أحدها: أنّه اسم قبيلة، قال أبو عبيدة: هما عادان، فالأولى هي إرم وهي الّتي قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾ وقيل: هو جدّ عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح، عن محمّد بن إسحاق؛ وقيل: هو سام بن نوح نسب عاد إليه، عن الكلبيّ؛ وقيل: إرم عاد قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد أباهم.

وثانيها: أنّ إرم اسم بلد، ثمّ قيل هو دمشق؛ وقيل: مدينة الإسكندريّة؛ وقيل: هو مدينة بناها شدّاد بن عاد فلمّا أتمّها وأراد أن يدخلها أهلكه الله بصيحة نزلت من السماء.

وثالثها: أنّه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد، وكان عاد يعرف به، وروي عن الحسن أنّه قرأ «بعاد إرم» على الإضافة، وقال: هو اسم آخر لعاد، وكان له اسمان، ومن جعله بلداً فالتقدير: بعاد صاحب إرم، وقوله: ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ يعني أنّهم كانوا أهل عمد سيّارة في الربيع، فإذا هاج البيت رجعوا إلى منازلهم؛ وقيل: معناه: ذات الطول والشدّة من قولهم: رجل معمّد طويل، ورجل طويل العماد أي القامة ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا﴾ أي مثل تلك القبيلة في الطول والقوّة وعظم الأجسام، وهم الّذين قالوا: ﴿مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ وروي أنّ الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحيّ فيهلكهم؛ وقيل: ذات العماد أي ذات الأبنية العظام المرتفعة. وقال ابن زيد: ذات العماد في إحكام البنيان ﴿ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا﴾ أي مثل أبنيتها في البلاد[1].

١ - **فس:** ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ ألم تعلم ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧﴾ كما قال الله للنبيّ صلى الله عليه وآله: ﴿لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾ ثمّ مات عاد وأهلك الله قومه بالريح الصرصر[2].

٢ - **ك:** حدّثنا محمّد بن هارون فيما كتب إليّ قال: حدّثنا معاذ بن المثنّى قال: حدّثنا عبد الله بن أسماء قال: حدّثنا جويريّة، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل قال: إنّ رجلاً يقال له عبد الله بن قلاّبة خرج في طلب إبل له قد شردت، فبينا هو في صحارى عدن في تلك الفلوات إذ هو قد وقع على مدينة عليها حصن، حول ذلك الحصن قصور كثيرةٌ وأعلام طوالٌ، فلمّا دنا منها ظنّ أنّ فيها من يسأله عن إبله فلم ير داخلاً ولا خارجاً، فنزل عن ناقته وعقلها وسلّ سيفه ودخل من باب الحصن، فإذا هو ببابين عظيمين لم ير في الدنيا أعظم منهما ولا أطول، وإذا خشبها من أطيب عود، وعليها نجومٌ من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان، فلمّا رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين ودخل فإذا هو بمدينة لم ير الراؤون مثلها قطّ، وإذا هو بقصور كلّ قصر منها معلّق تحته أعمدة من زبرجد وياقوت، وفوق كلّ قصر منها غرف، وفوق الغرف غرف مبنيّة بالذهب والفضّة واللّؤلؤ والياقوت والزبرجد، وعلى كلّ باب من أبواب تلك القصور مصاريع مثل مصاريع باب المدينة من عود

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٤٩. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٧.

طيّب قد نضدت عليه اليواقيت، وقد فرشت تلك القصور باللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فلمّا رأى ذلك ولم ير هناك أحداً أفزعه ذلك ونظر إلى الأزقّة وإذا في كلّ زقاق منها أشجار قد أثمرت، تحتها أنهار تجري فقال: هذه الجنّة الّتي وصف الله عزّوجلّ لعباده في الدنيا، فالحمد لله الّذي أدخلني الجنّة، فحمل من لؤلئها وبنادقها بنادق المسك والزعفران، ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها ولا من ياقوتها لأنّه كان مثبتاً في أبوابها وجدرانها، وكان اللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران بمنزلة الرمل في تلك القصور والغرف كلّها، فأخذ منها ما أراد وخرج حتّى أتى ناقته وركبها، ثمّ سار يقفو أثره حتّى رجع إلى اليمن وأظهر ما كان معه وأعلم الناس أمره، وباع بعض ذلك اللّؤلؤ وكان قد اصفارّ وتغيّر من طول ما مرّ عليه اللّيالي والأيّام، فشاع خبره وبلغ معاوية بن أبي سفيان فأرسل رسولاً إلى صاحب صنعاء وكتب بإشخاصه، فشخص حتّى قدم على معاوية فخلا به وسأله عمّا عاين فقصّ عليه أمر المدينة وما رأى فيها وعرض عليه ما حمله منها من اللّؤلؤ وبنادق المسك والزعفران، فقال: والله ما أعطي سليمان بن داود مثل هذه المدينة، فبعث معاوية إلى كعب الأحبار فدعاه فقال له: يا أبا إسحاق هل بلغك أنّ في الدنيا مدينة مبنيّة بالذهب والفضّة، وعمدها زبرجد وياقوت، وحصى قصورها وغرفها اللّؤلؤ، وأنهارها في الأزقّة تجري تحت الأشجار، قال كعب: أمّا هذه المدينة فصاحبها شدّاد بن عاد الّذي بناها، وأمّا المدينة فهي إرم ذات العماد وهي الّتي وصفها الله عزّوجلّ في كتابه المنزل على نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله، وذكر أنّه لم يخلق مثلها في البلاد، قال معاوية: حدّثنا بحديثها، فقال: إنّ عاداً الأولى - وليس بعاد قوم هود - كان له ابنان سمّى أحدهما شديداً، والآخر شدّاداً، فهلك عاد وبقيا وملكا وتجبّرا وأطاعهما الناس في الشرق والغرب، فمات شديد وبقي شداد فملك وحده لم ينازعه أحد، وكان مولعاً بقراءة الكتب، وكان كلّما سمع بذكر الجنّة وما فيها من البنيان والياقوت والزبرجد واللّؤلؤ رغب أن يفعل مثل ذلك في الدنيا عتوّاً على الله عزّوجلّ، فجعل على صنعتها مائة رجل تحت كلّ واحد منهم ألف من الأعوان فقال: انطلقوا إلى أطيب فلاة في الأرض وأوسعها فاعملوا لي فيها مدينة من ذهب وفضّة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ، واصنعوا تحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد، وعلى المدينة قصوراً، وعلى القصور غرفاً، وفوق الغرف غرفاً، واغرسوا تحت القصور في أزقّتها أصناف الثمار كلّها، وأجروا فيها الأنهار حتّى تكون تحت أشجارها فإنّي أرى في الكتاب صفة الجنّة وأنا أحبّ أن أجعل مثلها في الدنيا، قالوا له: كيف نقدر على ما وصفت لنا من الجواهر والذهب والفضّة حتّى يمكننا أن نبني مدينة كما وصفت؟ قال شدّاد: ألا تعلمون أنّ ملك الدنيا بيدي؟ قالوا: بلى، قال: فانطلقوا إلى كلّ معدن من معادن الجواهر والذهب والفضّة فوكلوا بها حتّى تجمعوا ما تحتاجون إليه، وخذوا جميع ما تجدونه في أيدي الناس من الذهب والفضّة، فكتبوا إلى كلّ ملك في الشرق والغرب فجعلوا يجمعون

أنواع الجواهر عشر سنين فبنوا له هذه المدينة في مدّة ثلاث مائة سنة، وعمّر شدّاد تسعمائة سنة، فلمّا أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال: فانطلقوا فاجعلوا عليها حصناً، واجعلوا حول الحصن ألف قصر، عند كلّ قصر ألف علم، يكون في كلّ قصر من تلك القصور وزير من وزرائي، فرجعوا وعملوا ذلك كلّه، ثمّ أتوه فأخبروه بالفراغ منها كما أمرهم، فأمر النّاس بالتجهيز إلى إرم ذات العماد، فأقاموا في جهازهم إليها عشر سنين، ثمّ سار الملك يريد إرم فلمّا كان من المدينة على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزّوجلّ عليه وعلى جميع من كان معه صيحة من السماءِ فأهلكتهم، ولا دخل إرم ولا أحد ممّن كان معه؛ فهذه صفة إرم ذات العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد وإنّي لأجد في الكتب أنّ رجلاً يدخلها ويرى ما فيها ثمّ يخرج فيحدّث الناس بما يرى فلا يصدّق، وسيدخلها أهل الدين في آخر الزمان[(١)].

ص: بالإسناد إلى الصدوق مثله[(٢)].

أقول: روى في مجمع البيان نحواً من ذلك عن وهب بن منبّه وذكر في آخره أنّه قال: وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في تلك الصحاري في طلب إبل له، والرجل عند معاوية، فالتفت إليه كعب وقال: هذ، والله ذلك الرجل[(٣)].

٣ - **ك:** وجدت في كتاب المعمّرين أنّه حكي عن هشام بن السعد الرحّال قال وجدنا بالإسكندريّة مكتوب فيه: أنا شدّاد بن عاد، أنا الّذي شيّدت العماد الّتي لم يخلق مثلها في البلاد، وجنّدت الأجناد، وسددت بساعدي الواد، فبنيتهنّ إذ لا شيب ولا موت، وإذا الحجارة في اللّين مثل الطين، وكنزت كنزاً في البحر على اثني عشر منزلاً لن يخرجه أحد حتّى تخرجه أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله[(٤)].

٦ - باب قصة صالح عليه السلام وقومه

الآيات: الأعراف «٧»: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

---

(١) كمال الدين، ص ٥٠٠.

(٢) قصص الأنبياء للراوندي ص ٩٣.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٤٩.

(٤) كمال الدين، ص ٥٠٣.

إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

هود «١١»: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَىٰنَا أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾.

الحجر: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾﴾.

النمل «٢٧»: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

فصلت «٤١»: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

الذاريات: ﴿مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

القمر «٥٤»: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

الحاقة «٦٩»: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾.

الفجر «٨٩»: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ «٩».

الشمس «٩١»: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي دلالة معجزة شاهدة على صدقي ﴿هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ﴾ إنّه إشارة إلى ناقة بعينها، أضافها إلى الله سبحانه تفضيلاً وتخصيصاً نحو بيت الله؛ وقيل: إنّه أضافها إليه لأنّه خلقها بلا واسطة وجعلها دلالة على توحيده وصدق رسوله لأنّها خرجت من صخرة ملساء تمخّضت بها كما تتمخّض المرأة، ثمّ انفلقت عنها على الصفة الّتي طلبوها، وكان لها شرب يوم تشرب فيه ماء الوادي كلّه وتسقيهم اللّبن بدله، ولهم شرب يوم يخصّهم لا تقرب فيه ماءهم؛ وقيل: إنّما أضافها إلى الله لأنّه لم يكن لها مالك سواه تعالى؛ قال الحسن: كانت ناقة من النوق وكان وجه الإعجاز فيها أنّها كانت تشرب ماء الوادي كلّه في يوم ﴿تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا﴾ السهل: خلاف الجبل، وهو ما ليس فيه مشقّة على النفس، أي تبنون في سهولها الدور والقصور، وإنّما اتّخذوها في السهول ليصيّفوا فيها ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ قال ابن عبّاس: كانوا يبنون القصور بكلّ موضع وينحتون من الجبال بيوتاً يسكنونها شتاءً لتكون مساكنهم في الشتاء أحصن وأدفأ. ويروى أنّهم لطول أعمارهم يحتاجون إلى أن ينحتوا بيوتاً في الجبال لأنّ السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ أي لا تضطربوا بالفساد في الأرض ولا تبالغوا فيه ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ أي للّذين استضعفوهم من المؤمنين ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ بدل من قوله: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ قال الأزهريّ: العقر عند العرب: قطع عرقوب البعير، ثمّ جعل النحر عقراً لأنّ ناحر البعير يعقره ثمّ ينحره ﴿وَعَتَوْا﴾ أي تجاوزوا الحدّ في الفساد(١).

وكانت ثمود بوادي القرى بين المدينة والشام، وكانت عاد باليمن.

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٤٤١.

﴿وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ أي جعلكم عمّار الأرض، أو عمّرها لكم مدّة أعماركم من العمرى، أو أطال فيها أعماركم، قال الضحّاك: وكانت أعمارهم من ألف سنة إلى ثلاث مائة سنة أو أمركم من عماراتها بما تحتاجون إليه من المساكن والزراعات وغرس الأشجار ﴿قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوًّا﴾ أي كنّا نرجو منك الخير، فالآن يئسنا منك بإبداعك ما أبدعت، أو نظنّك عوناً لنا على ديننا ﴿مُرِيبٍ﴾ موجب للريبة والتهمة ﴿رَحۡمَةً﴾ أي النبوّة ﴿غَيۡرَ تَخۡسِيرٍ﴾ أي نسبتي إلى الخسارة، أو بصيرة في خسارتكم، أو إن أجبتكم كنت بمنزلة من يزداد الخسران ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أي عقرها بعضهم ورضي البعض وإنّما عقرها أحمر ثمود ﴿وَمِنۡ خِزۡيِ يَوۡمِئِذٍ﴾ معطوفٌ على محذوف، أي من العذاب ومن الخزي الّذي لزمهم ذلك اليوم[1].

و﴿ٱلۡحِجۡرِ﴾: اسم البلد الّذي كان فيه ثمود، وقيل: اسم لواد كانوا يسكنونها ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾ أي الحجج والمعجزات[2].

﴿أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ﴾ أي تظنّون أنّكم تتركون فيما أعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا ﴿ءَامِنِينَ﴾ من الموت والعذاب، ثمّ عدّد نعمهم فقال: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ إلى قوله: ﴿طَلۡعُهَا هَضِيمٌ﴾ الطلع: الكفر والهضيم: اليانع النضيج، أو الرطب اللّيّن، أو الّذي إذا مسّ تفتّت، أو الّذي ليس فيه نوى ﴿فَٰرِهِينَ﴾ أي حاذقين بنحتها ﴿أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ يعني الرؤساء منهم، وهم تسعة من ثمود الّذين عقروا الناقة ﴿مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ﴾ أي أصبت بسحر ففسد عقلك، أو من المخدوعين، وقيل: معناه: أنت مجوّف مثلنا لك سحرٌ، أي رئةٌ تأكل وتشرب فلم صرت أولى بالنبوّة منّا؟[3].

﴿فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ﴾ أي مؤمنون وكافرون ﴿بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ﴾ أي بالعذاب قبل الرحمة، أي لمَ قلتم إنّ كان ما آتينا به حقّاً فأتنا بالعذاب؟ ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا﴾ أي تشأمنا بك وبمن معك، وذلك لأنّهم قحط عنهم المطر وجاعوا فقالوا: أصابنا هذا من شؤمك ﴿قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم ﴿تُفۡتَنُونَ﴾ أي تختبرون بالخير والشرّ أو تعذّبون بسوء أعمالكم، أو تمتحنون بطاعة الله ومعصيته ﴿تِسۡعَةُ رَهۡطٍ﴾ هم أشرافهم وهم الّذين سعوا في عقر الناقة، قال ابن عبّاس: هم قدار بن سالف ومصدع ودهمى ودهيم ودعمى ودعيم وأسلم وقبال وصداق ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ﴾ أي احلفوا بالله ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ﴾ لنقتلنّ صالحاً وأهله بياتاً ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ﴾ أي لذي رحم صالح إن سألنا عنه: ﴿مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ﴾ أي ما قتلناه ولا ندري من قتله ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ في هذا القول، وإنّهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كلّ واحد منهم بحجر حتّى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم، عن ابن عبّاس؛ وقيل: نزلوا في سفح جبل ينتظر بعضهم بعضاً ليأتوا صالحاً فهجم

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٩٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٢٧.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٤٦.

عليهم الجبل ﴿خَاوِيَةً﴾ أي خالية[١].

﴿صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ﴾ أي ذي الهون وهو الّذي يهينهم ويخزيهم، وقد قيل: إنّ كلّ عذاب صاعقة لأنّ من يسمعها يصعق لها[٢].

﴿وَفِى ثَمُودَ﴾ أي آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ وذلك أنّهم لمّا عقروا الناقة قال لهم صالح: تمتّعوا ثلاثة أيّام ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ وهي الموت أو العذاب، والصاعقة كلّ عذاب مهلك[٣].

﴿فَٱرْتَقِبْهُمْ﴾ أي انتظر أمر الله فيهم أو ما يصنعون ﴿وَٱصْطَبِرْ﴾ على ما يصيبك من الأذى ﴿قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ﴾ يوم للنّاقة ويوم لهم ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ﴾ أي كلّ نصيب من الماء يحضره أهله ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ وهو قدار ﴿فَتَعَاطَىٰ﴾ أي تناول الناقة بالعقر ﴿صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ يريد صيحة جبرئيل؛ وقيل: الصيحة العذاب ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ أي فصاروا كهشيم، وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرضّ الّذي يجمعه صاحب الحظيرة الّذي يتّخذ لغنمه حظيرة يمنعها من برد الريح؛ وقيل: أي صاروا كالتراب الّذي يتناثر من الحائط وتصيبه الرياح فيتحظّر مستديراً[٤].

﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم، أو بالصيحة الطاغية وهي الّتي جاوزت المقدار[٥].

﴿جَابُوا ٱلصَّخْرَ﴾ أي قطعوها ونقّبوها بالوادي الّذي كانوا ينزلونه وهو وادي القرى[٦].

﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ أي بطغيانها ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ﴾ أي انتدب وقام، والأشقى عاقر الناقة وكان أشقر أزرق قصيراً ملتزق الخلق، وقد صحّت الرواية بالإسناد عن عثمان بن صهيب، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: من أشقى الأولين؟ قال: عاقر الناقة، قال: صدقت، فمن أشقى الآخرين؟ قال: قلت: لا أعلم يا رسول الله، قال: الّذي يضربك على هذه -وأشار إلى يافوخه-.

وعن عمّار بن ياسر قال: كنت أنا وعليّ بن أبي طالب عليه السلام في غزوة العشيرة نائمين في صور من النخل ودقعاء من التراب، فوالله ما أهبّنا إلّا رسول الله ﷺ يحرّكنا برجله وقد تترّبنا من تلك الدقعاء فقال: ألا أحدّثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أحمر ثمود الّذي عقر الناقة، والّذي يضربك يا عليّ على هذه - ووضع يده على قرنه - حتّى يبلّ منها هذه - وأخذ بلحيته - ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي احذروها فلا تعقروها ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ فلا تزاحموا فيه ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ أي فدمّر عليهم، أو أطبق عليهم بالعذاب وأهلكهم ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي فسوّى الدمدمة عليهم وعمّهم بها ولم يفلت منها أحداً وسوّى الأمّة، أي أنزل

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٩١.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٧.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣١٩.
(٥) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٠٤.
(٦) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٥١.

العذاب بصغيرها وكبيرها، أو جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللّصوق بالأرض؛ وقيل: سوّى أرضهم عليهم ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ أي لا يخاف الله من أحد تبعةً في إهلاكهم، أو لا يخاف الّذي عقرها عقباها[1].

١ - فس: ﴿هَضِيمٌ﴾ أي ممتلئ ﴿فَٰرِهِينَ﴾ أي حاذقين، ويقرأ فرهين أي بطرين[2] ﴿تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال: الحين ههنا ثلاثة أيام[3] ﴿فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ أي اختباراً ﴿فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ﴾ قدار الّذي عقر الناقة ﴿كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ قال: الحشيش والنبات[4] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾ قال: قرعهم العذاب[5] ﴿جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ حفروا الجوبة في الجبال[6].

٢ - ص: هو صالح بن ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح[7].

٣ - شي: عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم صالح؟ فقال: يا محمّد إنّ صالحاً بعث إلى قومه وهو ابن ستّ عشر سنة، فلبث فيهم حتّى بلغ عشرين ومائة سنة لا يجيبونه إلى خير، قال وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله، فلمّا رأى ذلك منهم قال: يا قوم إنّي قد بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشر سنة وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيجيبكم فيما تسألوني، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني بالّذي أسألها خرجت عنكم فقد شنأتكم وشنأتموني، فقالوا: قد أنصفت يا صالح فاتّعدوا ليوم يخرجون فيه، قال: فخرجوا بأصنامهم إلى ظهرهم ثمّ قرّبوا طعامهم وشرابهم فأكلوا وشربوا، فلمّا أن فرغوا دعوه فقالوا: يا صالح سل، فدعا صالح كبير أصنامهم فقال: ما اسم هذا؟ فأخبروه باسمه، فناداه باسمه فلم يجب، فقال صالح: ما له لا يجيب؟ فقالوا له: ادع غيره، فدعاها كلّها بأسمائها فلم يجبه واحدٌ منهم! فقال: يا قوم قد ترون قد دعوت أصنامكم فلم يجبني واحدٌ منهم فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، فأقبلوا على أصنامهم فقالوا لها: ما بالكنّ لا تجبن صالحاً؟ فلم تجب، فقالوا: يا صالح تنحّ عنّا ودعنا وأصنامنا قليلاً، قال: فرموا بتلك البسط الّتي بسطوها، وبتلك الآنية وتمرّغوا في التراب وقالوا لها: لئن لم تجبن صالحاً اليوم لتفضحنّ، ثمّ دعوه فقالوا: يا صالح تعال فسلها، فعاد فسألها فلم تجبه، فقالوا: إنّما أراد صالح أن تجيبه وتكلّمه بالجواب، قال: فقال: يا قوم هوذا ترون قد ذهب النهار ولا أرى آلهتكم تجيبني، فاسألوني حتّى أدعو إلهي فيجيبكم الساعة، قال: فانتدب له سبعون رجلاً من كبرائهم وعظمائهم والمنظور إليهم منهم فقالوا: يا صالح نحن

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٧٠.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٦.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٩.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧١.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٧.
(٧) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٩٥.

نسألك، قال: فكلّ هؤلاء يرضون بكم؟ قالوا نعم فإن أجابوك هؤلاء أجبناك، قالوا: يا صالح نحن نسألك فإن أجابك ربّك اتّبعناك وأجبناك وتابعك جميع أهل قريتنا، فقال لهم صالح: سلوني ما شئتم، فقالوا: انطلق بنا إلى هذا الجبل - وجبل قريب منه - حتّى نسألك عنده، قال: فانطلق وانطلقوا معه فلمّا انتهوا إلى الجبل قالوا: يا صالح اسأل ربّك أن يخرج لنا الساعة من هذا الجبل ناقةً حمراء شقراء وبراء عشراء - وفي رواية محمّد بن نصر. حمراء شعراء بين جنبيها ميل - قال: قد سألتموني شيئاً يعظم عليّ ويهون على ربّي، فسأل الله ذلك فانصدع الجبل صدعاً كادت تطير منه العقول لمّا سمعوا صوته، قال: واضطرب الجبل كما تضطرب المرأة عند المخاض ثمّ لم يفجأهم إلاّ ورأسها قد طلع عليهم من ذلك الصدع، فما استتمّت رقبتها حتّى اجترّت ثمّ خرج سائر جسدها ثمّ استوت على الأرض قائمةً، فلمّا رأوا ذلك قالوا: يا صالح ما أسرع ما أجابك ربّك! فسله أن يخرج لنا فصيلها، قال: فسأل الله تعالى ذلك فرمت به فدبّ حولها، فقال: يا قوم أبقي شيء؟ قالوا: لا انطلق بنا إلى قومنا نخبرهم ما رأينا ويؤمنوا بك، قال: فرجعوا فلم يبلغ السبعون الرجل إليهم حتّى ارتدّ منهم أربعة وستّون رجلاً وقالوا: سحرٌ، وثبت الستّة وقالوا: الحقّ ما رأينا، قال: فكثر كلام القوم ورجعوا مكذّبين إلاّ الستّة ثمّ ارتاب من الستّة واحدٌ فكان فيمن عقرها. وزاد محمّد بن نصر في حديثه: قال سعيد بن يزيد: فأخبرني أنّه رأى الجبل الّذي خرجت منه بالشام فرأى جنبها قد حكّ الجبل فأثّر جنبها فيه، وجبل آخر بينه وبين هذا ميلٌ[1].

كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن الثماليّ مثله[2].

بيان: شنأتكم أي أبغضتكم، وفي بعض النسخ: سئمتكم من السأمة بمعنى الملال. إلى ظهرهم أي خارج بلدهم، ويقال: ندبه لأمر فانتدب له: أي دعاه له فأجاب. والشقراء: الشديدة الحمرة. والوبراء: الكثيرة الوبر. والعشراء: هي الّتي أتى على حملها عشرة أشهر، وقد تطلق على كلّ حامل، وأكثر ما يطلق على الإبل والخيل. لم يفجأهم أي لم يظهر لهم شيءٌ من أعضائه فجأةً إلاّ رأسها.

٤ - **يب:** عن أبي مطر قال: لمّا ضرب ابن ملجم الفاسق لعنه الله أمير المؤمنين عليه السلام قال له الحسن: أقتله؟ قال: لا ولكن احبسه فإذا متُّ فاقتلوه، وإذا متُّ فادفنوني في هذا الظهر في قبر أخويّ: هود وصالح[3].

٥ - **نهج:** قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها النّاس إنّما يجمع الناس الرضى والسخط وإنّما عقر ناقة ثمود رجلٌ واحدٌ فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضى، فقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾ فما كان إلاّ أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكّة المحماة في الأرض

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤ ح ٥٤ من سورة الأعراف.

(٢) روضة الكافي ح ٢١٣. (٣) تهذيب الأحكام، ج ٦ ص ١٠٣٨ باب ١٠ ح ١٠.

الخوّارة[١].

بيان: الخوار: صوت البقرة. والسكّة: هي الّتي يحرث بها. والمحماة أقوى صوتاً وأسرع غوصاً.

٦ - **ل:** العطّار، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن عبدالله الأصمّ، عن عبدالله البطل، عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام وهو يقول: يا معشر الأنصار يا معشر بني هاشم يا معشر بني عبد المطّلب أنا محمّد أنا رسول الله، ألا إنّي خلقت من طينة مرحومة في أربعة من أهل بيتي: أنا وعليّ وحمزة وجعفر. فقال قائل: يا رسول الله هؤلاء معك ركبان يوم القيامة؟ فقال: ثكلتك أمّك إنّه لن يركب يومئذ إلاّ أربعة: أنا وعليّ وفاطمة وصالح نبيّ الله، فأمّا أنا فعلى البراق، وأمّا فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأمّا صالح فعلى ناقة الله الّتي عقرت، وأمّا عليٌّ فعلى ناقة من نوق الجنّة، زمامها من ياقوت، عليه حلّتان خضراوان، فيقف بين الجنّة والنار وقد ألجم الناس العرق يومئذ، فتهبّ ريح من قبل العرش فتنشف عنهم عرقهم، فتقول الملائكة والأنبياء والصدّيقون: ما هذا إلاّ ملكٌ مقرّبٌ، أو نبيٌّ مرسلٌ، فينادي مناد: ما هذا ملكٌ مقرّبٌ ولا نبيّ مرسلٌ ولكنّه عليُّ بن أبي طالب أخو رسول الله في الدنيا والآخرة[٢].

أقول: قد مرّت الأخبار في كون صالح عليه السلام من الركبان يوم القيامة في أبواب الحشر، وستجيء في أبواب فضائل أمير المؤمنين أيضاً.

٧ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ يقول: مصدّق ومكذّب، قال الكافرون منهم: ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَـٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ قال المؤمنون: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ فقال الكافرون: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَـٰصَـٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فجاءهم بناقة فعقروها وكان الّذي عقرها أزرق أحمر ولد الزنا، وأمّا قوله: ﴿لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ فإنّهم سألوه قبل أن تأتيهم الناقة أن يأتيهم بعذاب أليم، فقال: ﴿يَـٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ﴾ يقول: بالعذاب قبل الرحمة. قوله: ﴿ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ فإنّهم أصابهم جوع شديد فقالوا: هذا من شؤمك وشؤم من معك أصابنا هذا وهي الطيرة ﴿قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يقول خيركم وشرّكم من عند الله: ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي تبتلون. قوله: ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ كانوا يعملون في الأرض بالمعاصي. قوله: ﴿تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي تحالفوا ﴿لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ لنحلفنّ ﴿لِوَلِيِّهِۦ﴾ منهم ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ يقول: لنفعلنّ فأتوا صالحاً ليلاً ليقتلوه وعند صالح ملائكة

---

(١) نهج البلاغة، ص ٤٣٣ خطبة ١٩٩. (٢) الخصال، ص ٢٠٤ باب الأربعة ح ٢٠.

يحرسونه فلمّا أتوه قاتلتهم الملائكة في دار صالح رجماً بالحجارة فأصبحوا في داره مقتّلين، وأخذت قومه الرجفة فأصبحوا في ديارهم جاثمين[1].

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ ونحلف إنّا لصادقون فيما ذكر، لأنّ الشاهد للشيء غير المباشر له عرفاً، أو لأنّا ما شهدنا مهلكهم وحده بل مهلكه ومهلكهم كقولك: ما رأيت ثمّ رجلاً بل رجلين انتهى[2].

أقول: الظاهر أنّ المراد بقوله: يقول: لنفعلنّ أنّهم أرادوا بقولهم: ﴿وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾ إنّا عازمون على هذا الأمر وصادقون في إظهار هذه الإرادة على الحتم، وهذا تأويل آخر غير ما ذكر من الوجهين.

قال صاحب الكامل: أوحى الله إلى صالح أنّ قومك سيعقرون الناقة، فقال لهم ذلك فقالوا: ما كنّا لنفعل، قال: إن لا تعقروها أنتم يوشك أن يولد منكم مولود يعقرها، قالوا: فما علامته فوالله لا نجده إلاّ قتلناه؟ قال: إنّه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر، قال: فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان لأحدهما ابن رغب له عن المناكح، وللآخر ابنة لا يجد لها كفواً، فزوّج أحدهما ابنته بابن الآخر فولد بينهما المولود، فلمّا قال لهم صالح: إنّما يعقرها مولودٌ فيكم اختاروا قوابل من القرية وجعلوا معهنّ شرطاً يطوفون في القرية، فإذا وجدوا امرأة تلد نظروا ولدها ما هو، فلمّا وجدوا ذلك المولود صرخت النسوة وقلن: هذا الّذي يريد نبيّ الله صالح، فأراد الشرط أن يأخذوه فحال جدّاه بينه وبينهم وقالوا: لو أراد صالح هذا لقتلناه، فكان شرّ مولود، وكان يشبّ في اليوم شباب غيره في الجمعة، فاجتمع تسعة رهط منهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون كانوا قتلوا أولادهم خوفاً من أن يكون عاقر الناقة منهم ثمّ ندموا فأقسموا ليقتلنّ صالحاً وأهله، وقالوا: نخرج فتري الناس أنّا نريد السفر فنأتي الغار الّذي على طريق صالح فنكون فيه، فإذا جاء اللّيل وخرج صالح إلى مسجده قتلناه ثمّ رجعنا إلى الغار ثمّ انصرفنا إلى رحالنا وقلنا: ما شهدنا قتله فيصدّقنا قومه، وكان صالح لا ينام معهم، كان يخرج إلى مسجد له يعرف بمسجد صالح فيبيت فيه، فلمّا دخلوا الغار سقط عليهم صخرة فقتلتهم، فانطلق رجال ممّن عرف الحال إلى الغار فرأوهم هلكى فعادوا يصيحون أنّ صالحاً أمرهم بقتل أولادهم ثمّ قتلهم، وقيل: إنّما كان تقاسم التسعة على قتل صالح بعد عقر الناقة وإنذار صالح إيّاهم بالعذاب، وذلك أنّ التسعة الّذين عقروا الناقة قالوا: تعالوا فلنقتل صالحاً، فإن كان صادقاً عجّلنا قتله، وإن كان كاذباً ألحقناه بالناقة، فأتوه ليلاً في أهله فدفعتهم الملائكة بالحجارة فهلكوا، فأتى أصحابهم فرأوهم هلكى فقالوا لصالح: أنت قتلتهم فأرادوا قتله فمنعتهم عشيرته وقالوا: إنّه قد وعدكم العذاب فإن كان صادقاً فلا تزيدوا ربّكم غضباً، وإن كان كاذباً فنحن نسلّمه إليكم، فعادوا عنه. فعلى القول

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠٨.

(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٨٣.

الأوّل يكون التسعة الّذين تقاسموا غير الّذين عقروا الناقة، والثاني أصحّ انتهى[1].

٨ - **فس:** قوله: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ فإنّ الله تبارك وتعالى بعث صالحاً إلى ثمود وهو ابن ستّ عشر سنة لا يجيبونه إلى خير، وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها من دون الله، فلمّا رأى ذلك منهم قال لهم: يا قوم بعثت إليكم وأنا ابن ستّ عشر سنة، وقد بلغت عشرين ومائة سنة وأنا أعرض عليكم أمرين: إن شئتم فاسألوني حتّى أسأل إلهي فيجيبكم، وإن شئتم سألت آلهتكم فإن أجابتني خرجت عنكم، فقالوا: أنصفت فأمهلنا فأقبلوا يتعبّدون ثلاثة أيّام ويتمسّحون الأصنام ويذبّحون لها، وأخرجوها إلى سفح الجبل، وأقبلوا يتضرّعون إليها، فلمّا كان يوم الثالث قال لهم صالح عليه السلام: قد طال هذا الأمر فقالوا له: سل ما شئت، فدنا إلى أكبر صنم لهم فقال له: ما اسمك؟ فلم يجبه، فقال (لهم خ): ما له لا يجيبني؟ قالوا له: تنحّ عنه، فتنحّى عنه فأقبلوا إليه يتضرّعون ووضعوا على رؤوسهم التراب وضجّوا وقالوا: فضحتنا ونكست رؤوسنا، فقال صالح: قد ذهب النهار، فقالوا: سله، فدنا منه فكلّمه فلم يجبه، فبكوا وتضرّعوا حتّى فعلوا ذلك ثلاث مرّات فلم يجبه بشيء، فقالوا: إنّ هذا لا يجيبك، ولكنّا نسأل إلهك، فقال لهم: سلوا ما شئتم، فقالوا: سله أن يخرج لنا من هذا الجبل ناقة حمراء شقراء عشراء، أي حاملة، تضرب بمنكبيها طرفي الجبلين، وتلقي فصيلها من ساعتها، وتدرُّ لبنها، فقال صالح: إنّ الّذي سألتموني عندي عظيم وعند الله هيّن، فقام فصلّى ركعتين ثمّ سجد وتضرّع إلى الله فما رفع رأسه حتّى تصدّع الجبل وسمعوا له دويّاً شديداً فزعوا منه وكادوا أن يموتوا منه، فطلع رأس الناقة وهي تجترُّ، فلمّا خرجت ألقت فصيلها، ودرّت بلبنها فبهتوا، وقالوا: قد علمنا يا صالح أنّ ربّك أعزّ وأقدر من آلهتنا الّتي نعبدها، وكان لقريتهم ماء وهي الحجر الّتي ذكرها الله تعالى في كتابه وهو قوله: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾ فقال لهم صالح: لهذه الناقة شربٌ، أي تشرب ماءكم يوماً وتدرّ لبنها عليكم يوماً، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فكانت تشرب ماءهم يوماً، وإذا كان من الغد وقفت وسط قريتهم فلا يبقى في القرية أحد إلاّ حلب منها حاجته، وكان فيهم تسعة من رؤسائهم كما ذكر الله في سورة النمل ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ فعقروا الناقة ورموها حتّى قتلوها وقتلوا الفصيل، فلمّا عقروا الناقة قالوا لصالح: ﴿فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قال صالح: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ ثمّ قال لهم: وعلامة هلاككم أنّه تبيضّ وجوهكم غداً، وتحمرّ بعد غد وتسودّ يوم الثالث، فلمّا كان من

(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٧٨.

الغد نظروا إلى وجوههم قد ابيضّت مثل القطن، فلمّا كان يوم الثاني احمرّت مثل الدم، فلمّا كان يوم الثالث اسودّت وجوههم، فبعث الله عليهم صيحةً وزلزلةً فهلكوا، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ فما تخلص منهم غير صالح وقوم مستضعفين مؤمنين وهو قوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾[1].

بيان: قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي الصيحة، عن مجاهد والسدّيّ؛ وقيل: الصاعقة؛ وقيل: الزلزلة أهلكوا بها، عن أبي مسلم؛ وقيل: كانت صيحة زلزلت به الأرض؛ وأصل الرجفة: الحركة المزعجة بشدّة الزعزعة، قوله تعالى: ﴿جَاثِمِينَ﴾ أي صرعى ميّتين لا حركة بهم؛ وقيل: كالرماد الجاثم لأنّهم احترقوا بها ﴿كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي كأن لم يكونوا في منازلهم قطّ لانقطاع آثارهم بالهلاك إلّا ما بقي من أجسادهم الدالّة على الخزي الّذي نزل بهم[2].

٩ - **ل، ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا في رحم فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وعصا موسى وناقة صالح والخفّاش الّذي عمله عيسى بن مريم فطار بإذن الله عزّ وجلّ[3].

١٠ - **ع:** ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليشكريّ، عن محمّد بن زياد الأزديّ، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن سفيان بن (أبي) ليلى قال: سأل ملك الروم الحسن بن عليّ عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله عزّ وجلّ لم تخرج من رحم، فقال: آدم وحوّاء وكبش إبراهيم وناقة صالح وحيّة الجنّة والغراب الّذي بعثه الله عزّ وجلّ يبحث في الأرض وإبليس لعنه الله[4].

١١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عليّ بن محمّد الخيّاط، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ فقال: هذا لمّا كذّبوا صالحاً عليه السلام، وما أهلك الله قوماً قطّ حتّى يبعث إليهم الرسل قبل ذلك فيحتجّوا عليهم، فإذا لم يجيبوهم أهلكوا، وقد كان بعث الله صالحاً عليه السلام فدعاهم إلى الله تعالى فلم يجيبوه وعتوا عليه فقالوا: لن نؤمن حتّى تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء، وكانت صخرة يعظّمونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣١.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩٢.
(٣) الخصال، ص ٣٤٣ باب الستة ح ٨ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٢١. باب ٢٤ ح ١ وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ ح ٤٤.
(٤) لم نجده في العلل ولكنه في الخصال، ص ٣٥٣ باب السبعة ح ٣٤.

فادع الله يخرج لنا ناقة منها، فأخرجها لهم كما طلبوا منه، وأوحى الله تعالى إلى صالح أن قل لهم: إنّ الله جعل لهذه الناقة شرب يوم ولهم شرب يوم، فكانت الناقة إذا شربت يومها شربت الماء كلّه فيكون شرابهم ذلك اليوم من لبنها فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومه ذلك، فإذا كان اللّيل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا هم ذلك اليوم ولا تشرب الناقة، فمكثوا بذلك ما شاء الله حتّى عتوا ودبّروا في قتلها فبعثوا رجلاً أحمر أشقر أزرق لا يعرف له أبٌ ولد الزنا يقال له قدار ليقتلها، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماء ضربها ضربةً ثمّ ضربها أخرى فقتلها، ومرّ فصيلها حتّى صعد إلى جبل فلم يبق منهم صغيرٌ ولا كبيرٌ إلاّ أكل منها؛ فقال لهم صالح عليه السلام: أعصيتم ربّكم إنّ الله تعالى يقول: إن تبتم قبلت توبتكم، وإن لم ترجعوا بعثت إليكم العذاب في اليوم الثالث، فقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، قال: إنّكم تصبحون غداً وجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني محمرّة، واليوم الثالث مسودّة؛ فاصفرّت وجوههم فقال بعضهم: يا قوم قد جاءكم ما قال صالح. فقال العتاة: لا نسمع ما يقول صالح ولو هلكنا، وكذلك في اليوم الثاني والثالث، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ صرخةً خرقت أسماعهم، وقلقلت قلوبهم، فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، ثمّ أرسل عليهم ناراً من السماء فأحرقتهم[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾: وإنّما قال: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ لأنّ العذاب أخذهم عند الصباح؛ وقيل: أتتهم الصيحة ليلاً فأصبحوا على هذه الصفة، والعرب تقول عند الأمر العظيم: وا سوء صباحاه. انتهى[2].

أقول: ما ذكر في هذا الخبر من اصفرار وجوههم في اليوم الأوّل هو الموافق لسائر الأخبار وكلام المفسّرين والمؤرّخين، والابيضاض الّذي ذكره عليّ بن إبراهيم مؤوّل.

١٢ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن أبي الخطّاب، عن ابن أسباط، عن ابن أبي عمير، عن الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ صالحاً عليه السلام غاب عن قومه زماناً، وكان يوم غاب كهلاً حسن الجسم، وافر اللّحية، ربعة من الرجال، فلمّا رجع إلى قومه لم يعرفوه، وكانوا على ثلاث طبقات: طبقة جاحدة لا ترجع أبداً، وأخرى شاكّة، وأخرى على يقين، فبدأ حين رجع بالطبقة الشاكّة فقال لهم: أنا صالح، فكذّبوه وشتموه وزجروه وقالوا: إنّ صالحاً كان على غير صورتك وشكلك، ثمّ أتى إلى الجاحدة فلم يسمعوا منه ونفروا منه أشدّ النفور، ثمّ انطلق إلى الطبقة الثالثة وهم أهل اليقين فقال لهم: أنا صالح، فقالوا: أخبرنا خبراً لا نشكّ أنّك صالح، إنّا نعلم أنّ الله تعالى لخالق يحوّل في أيّ صورة شاء، وقد أخبرنا وتدارسنا بعلامات صالح عليه السلام إذا جاء؛ فقال: أنا الّذي أتيتكم بالناقة، فقالوا: صدقت وهي الّتي نتدارس، فما علامتها؟ قال: لها شرب يوم ولكم

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص٨٧. (٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩٢.

شرب يوم معلوم، فقالوا: آمنّا بالله وبما جئتنا به، قال عند ذلك الّذين استكبروا وهم الشكّاك والجحّاد: إنّا بالّذي آمنتم به كافرون. قال زيد الشحّام: قلت: يا ابن رسول الله هل كان ذلك اليوم عالم؟ قال: الله أعدل من أن يترك الأرض بلا عالم، فلمّا ظهر صالح عليه‌السلام اجتمعوا عليه، وإنّما مثل عليّ والقائم صلوات الله عليهما في هذه الأمّة مثل صالح عليه‌السلام [١].

أقول: سيأتي منقولاً عن ك في أبواب الغيبة مع زيادات، وفيه: كهلاً مبدّح البطن، حسن الجسم، وافر اللّحية، خميص البطن، خفيف العارضين، مجتمعاً ربعة من الرجال.

المبدّح لعلّ المراد به الواسع العظيم ولا ينافيه خميص البطن أي ضامره، إذ المراد به ما تحت البطن حيث يشدّ المنطقة. والربعة: المتوسّط بين الطول والقصر، وغيبته عليه‌السلام كان بعد هلاك كفّار قومه، وكان رجوعه إلى من آمن به ونجا معه من العذاب.

١٣ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه وماجيلويه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن العبّاس، عن جعفر بن محمّد البلخيّ، عن الحسن بن راشد، عن يعقوب بن إبراهيم قال: سأل رجل أبا الحسن موسى عليه‌السلام عن أصحاب الرسّ الّذين ذكرهم الله من هم؟ وممّن هم؟ وأيّ قوم كانوا؟ فقال: كانا رسّين: أمّا أحدهما فليس الّذي ذكره الله في كتابه، كان أهله بدو أصحاب شاء وغنم، فبعث الله تعالى إليهم صالح النبيّ رسولاً فقتلوه، وبعث إليهم رسولاً آخر فقتلوه، ثمّ بعث إليهم رسولاً آخر وعضّده بوليّ فقتل الرسول وجاهد الوليّ حتّى أفحمهم، وكانوا يقولون: إلهنا في البحر وكانوا على شفيره، وكان لهم عيدٌ في السنة يخرج حوتٌ عظيمٌ من البحر في ذلك اليوم فيسجدون له، فقال وليُّ صالح لهم: لا أريد أن تجعلوني ربّاً، ولكن هل تجيبوني إلى ما دعوتكم إن أطاعني ذلك الحوت؟ فقالوا: نعم، وأعطوه عهوداً ومواثيق، فخرج حوت راكب على أربعة أحوات، فلمّا نظروا إليه خرّوا سجّداً، فخرج وليُّ صالح النبيّ إليه وقال له: ايتني طوعاً أو كرهاً بسم الله الكريم، فنزل عن أحواته فقال الوليّ: ايتني عليهنّ لئلاّ يكون من القوم في أمري شكّ، فأتى الحوت إلى البرّ يجرّها وتجرّه إلى عند وليّ صالح، فكذّبوه بعد ذلك فأرسل الله إليهم ريحاً فقذفهم في اليمّ أي البحر ومواشيهم، فأتى الوحي إلى وليّ صالح بموضع ذلك البئر وفيها الذهب والفضّة، فانطلق فأخذه ففضّه على أصحابه بالسويّة على الصغير والكبير [٢].

أقول: تمام الخبر في قصّة أصحاب الرسّ.

١٤ - **كا:** في الروضة: عليّ بن محمّد، عن عليّ بن عبّاس، عن الحسن بن عبد الرحمن عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قلت له: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ۝٢٣ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٢٤ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ

(١) قصص الأنبياء، ص ٩٨. (٢) قصص الأنبياء، ص ٩٦.

أَشِرٌ ﴿٢٥﴾﴾ قال: هذا كان بما كذّبوا صالحاً، وما أهلك الله عزّ وجلّ قوماً حتّى يبعث إليهم قبل ذلك الرسل فيحتجّوا عليهم، فبعث الله إليهم صالحاً فدعاهم إلى الله فلم يجيبوه وعتوا عليه عتوّاً وقالوا: لن نؤمن لك حتّى تخرج إلينا من هذه الصخرة ناقة عشراء، وكانت الصخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجتمعون عندها، فقالوا له: إن كنت كما تزعم نبيّاً رسولاً فادع لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصخرة الصمّاء ناقة عشراء، فأخرجها الله كما طلبوا منه، ثمّ أوحى الله تبارك وتعالى إليه: أن يا صالح قل لهم: إنّ الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم، فكانت الناقة إذا كان يوم شربها شربت الماء ذلك اليوم فيحلبونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلاّ شرب من لبنها يومهم ذلك، فإذا كان الليل وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم، فمكثوا بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّهم عتوا على الله ومشى بعضهم إلى بعض وقالوا: اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم. ثمّ قالوا: مَن الّذي يلي قتلها ونجعل له جعلاً ما أحبّ؟ فجاءهم رجل أحمر أشقر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب يقال له قدار، شقيّ من الأشقياء، مشؤوم عليهم، فجعلوا له جعلاً، فلمّا توجّهت الناقة إلى الماءِ الّذي كانت ترده تركها حتّى شربت الماء وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف ضربة فلم تعمل شيئاً، فضربها ضربة أخرى فقتلها، وخرّت إلى الأرض على جنبها، وهرب فصيلها حتّى صعد على الجبل فرغا ثلاث مرّات إلى السماء، وأقبل قوم صالح فلم يبق أحد إلاّ شركه في ضربته، واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها، فلمّا رأى ذلك صالح أقبل إليهم فقال: يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم؟ أعصيتم ربّكم؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام إنّ قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثتها إليهم حجّة عليهم، ولم يكن عليهم فيها ضررٌ، وكان لهم أعظم المنفعة، فقل لهم: إنّي مرسل عليكم عذابي إلى ثلاثة أيّام، فإنّ هم تابوا ورجعوا قبلت توبتهم وصددت عنهم، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت عليهم عذابي في اليوم الثالث. فأتاهم صالح عليه السلام فقال لهم: يا قوم إنّي رسول ربّكم إليكم وهو يقول لكم: إن أنتم تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم فلمّا قال لهم ذلك كانوا أعتى ما كانوا وأخبث وقالوا: يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين، قال: يا قوم إنّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني وجوهكم محمرّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة، فلمّا أن كان أوّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرّة، فمشى بعضهم إلى بعض وقالوا: قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً، فلمّا كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم محمرّة فمشى بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: لو أُهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا الّتي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا، فلمّا كان

اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودّة يمشي بعضهم إلى بعض فقالوا: يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح، فقال العتاة منهم: قد أتانا ما قال لنا صالح، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل عليه السلام فصرخ بهم صرخة خرقت تلك الصرخة أسماعهم، وفلقت قلوبهم، وصدعت أكبادهم، وقد كانوا في تلك الثلاثة أيّام قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازلٌ بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم فلم يبق لهم ثاغية ولا راغية ولا شيء إلاّ أهلكه الله، فأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى أجمعين، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماءِ فأحرقتهم أجمعين وكانت هذه قصّتهم[1].

إيضاح: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ﴾ بالإنذارات أو المواعظ أو الرسل ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا﴾ من جنسنا وجملتنا لا فضل له علينا، وانتصابه بفعل يفسّره ما بعده، ﴿وَٰحِدًا﴾ منفرداً لا تبع له، أو من آحادهم دون أشرافهم ﴿نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ كأنّهم عكسوا عليه فرتّبوا على اتّباعهم إيّاه ما رتّبه على ترك اتّباعهم له؛ وقيل: السعر: الجنون، ومنه ناقة مسعورة ﴿أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ﴾ الكتاب والوحي ﴿عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ وفينا من هو أحقّ منه بذلك ﴿بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ حمله بطره على الترفّع علينا بادّعائه، والشرب بالكسر: النصيب من الماءِ. والأشقر من الناس: من تعلو بياضه حمرةٌ. لا يعرف له أب أي كان ولد زنا، وإنّما كان ينسب إلى سالف لأنّه كان ولد على فراشه. قال الجوهريّ: قدار بضمّ القاف وتخفيف الدال يقال له أحمر ثمود، وعاقر ناقة صالح. انتهى.

ورغا البعير: صوّت وضجّ. وقال الجوهريّ: الثغاء: صوت الشاة والمعز وما شاكلها. والثاغية: الشاة. والراغية: البعير. وما بالدار ثاغ ولا راغ أي أحد، وقال: قولهم: ما له ثاغية ولا راغية أي ما له شاة ولا ناقة. وفي بعض النسخ: ناعقة ولا راعية. والنعيق: صوت الراعي بغنمه، أي لم تبق جماعة يتأتّى منهم النعيق والرعي، والأوّل أظهر وهو الموجود في روايات العامّة أيضاً في تلك القصّة.

تذنيب: قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: فإذا كان يوم الناقة وضعت رأسها في مائهم فما ترفعه حتّى تشرب كلّ ما فيه، ثمّ ترفع رأسها فتفحّج لهم فيحتلبون ما شاؤوا من لبن، فيشربون ويدّخرون حتّى يملأوا أوانيهم كلّها. قال الحسن بن محبوب: حدّثني رجل من أصحابنا يقال له سعيد بن يزيد قال: أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة بين الجبلين ورأيت أثر جنبيها فوجدته ثمانين ذراعاً، وكانت تصدر من غير الفجّ الّذي منه وردت، لا تقدر على أن تصدر من حيث ترد، يضيق عنها، فكانوا في سعة ودعة منها، وكانوا يشربون الماء يوم الناقة من الجبال والمغارات فشقّ ذلك عليهم، وكانت مواشيهم تنفر منها لعظمها فهمّوا بقتلها، قالوا: وكانت امرأة جميلة، يقال لها: صدوف ذات مال من إبل وبقر وغنم وكانت أشدّ

(١) روضة الكافي الموجود مع الأصول، ص ٧٦٣ ح ٢١٤.

النّاس عداوةً لصالح فدعت رجلاً من ثمود يقال له: مصدع بن مهرج وجعلت له نفسها على أن يعقر الناقة، وامرأة أُخرى يقال لها: عنيزة دعت قدار بن سالف وكان أحمر أزرق قصيراً، وكان ولد زنا، ولم يكن لسالف الّذي يدعى إليه ولكنّه ولد على فراشه، وقالت: أُعطيك أيّ بناتي شئت على أن تعقر الناقة، وكان قدار عزيزاً منيعاً في قومه، فانطلق قدار بن سالف ومصدع فاستغويا غواة ثمود فاتبعهما سبعة نفر وأجمعوا على عقر الناقة.

قال السدّيّ: ولمّا ولد قدار وكبر جلس مع أُناس يصيبون من الشراب فأرادوا ما يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتدّ ذلك عليهم فقال قدار: هل لكم في أن أعقرها لكم؟ قالوا: نعم.

وقال كعب: كان سبب عقرهم الناقة أنّ امرأةً يقال لها ملكاء كانت قد ملكت ثموداً، فلمّا أقبل الناس على صالح وصارت الرئاسة إليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أُخرى يقال لها قبال كانت معشوقة مصدع وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كلّ ليلة ويشربون الخمر، فقالت لهما ملكاء: إن أتاكما اللّيلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما: إنّ الملكة حزينة لأجل الناقة ولأجل صالح فنحن لا نطيعكما حتّى تعقرا الناقة فلمّا أتياهما قالتا لهما هذه المقالة، فقالا: نحن نكون من وراء عقرها، قال: فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في أصل صخرة على طريقها، وكمن لها مصدع في أصل أُخرى، فمرّت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها، وخرجت عنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس فاسفرّت لقدار ثمّ زمرته فشدّ على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرّت ورغت رغاةً واحدةً تحذّر سقبها، ثمّ طعن في لبّتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموا لحمها وطبخوه، فلمّا رأى الفصيل ما فعل بأُمّه ولّى هارباً حتّى صعد جبلاً ثمّ رغارغاة تقطّع منه قلوب القوم، وأقبل صالح فخرجوا يعتذرون إليه إنّما عقرها فلان ولا ذنب لنا، فقال صالح: انظروا هل تدركون فصيلها؟ فإن أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب، فخرجوا يطلبونه في الجبل فلم يجدوه، وكانوا عقروا الناقة ليلة الأربعاء، فقال لهم صالح: تمتّعوا في داركم يعني في محلّتكم في الدنيا ثلاثة أيّام فإنّ العذاب نازل بكم، ثمّ قال: يا قوم إنكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرّة، واليوم الثاني تصبحون ووجوهكم محمرّة، واليوم الثالث وجوهكم مسودّة، فلمّا كان أوّل يوم أصبحت وجوههم مصفرّة فقالوا: جاءكم ما قال لكم صالح، ولمّا كان اليوم الثاني احمرّت وجوههم واليوم الثالث اسودّت وجوههم، فلمّا كان نصف اللّيل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخةً خرقت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، وكانوا قد تحنّطوا وتكفّنوا وعلموا أنّ العذاب نازلٌ بهم فماتوا أجمعين في طرفة عين كبيرهم وصغيرهم، فلم يبق الله منهم ثاغيةً ولا راغيةً ولا شيئاً يتنفس إلاّ أهلكها، فأصبحوا في ديارهم موتى، ثمّ أرسل الله عليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقتهم أجمعين، فهذه قصّتهم.

وروى الثعلبيّ بإسناده مرفوعاً عن النبيّ ﷺ قال: يا عليّ أتدري من أشقى الأوّلين؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: عاقر الناقة. قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: قاتلك.

وفي رواية أخرى: أشقى الآخرين من يخضب هذه من هذه -وأشار إلى لحيته ورأسه-.

وروى أبو الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: لمّا مرّ النبيّ ﷺ بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه: لا يدخلنّ أحد منكم القرية، ولا تشربوا من مائهم، ولا تدخلوا على هؤلاء المعذّبين إلاّ أن تكونوا باكين أن يصيبكم الّذي أصابهم، ثمّ قال: أمّا بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات، هؤلاءِ قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة، وكانت ترد من هذا الفجّ وتصدر من هذا الفجّ، تشرب ماءهم يوم وردها، وأراهم مرتقى الفصيل حين ارتقى في المغارة، وعتوا عن أمر ربّهم فعقروها، فأهلك الله من تحت أديم السماء منهم في مشارق الأرض ومغاربها إلاّ رجلاً واحداً يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله، فلمّا خرج أصابه ما أصاب قومه، فدفن ودفن معه غصن من ذهب وأراهم قبر أبي رغال، فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وحثوا عنه فاستخرجوا ذلك الغصن، ثمّ قنّع رسول الله ﷺ وأسرع السير حتّى جاز الوادي(١).

توضيح: قال الجوهريّ: التفحّج: هو أن يفرّج بين رجليه إذا جلس، وكذلك التفحيج، وقد أفحج الرجل حلوبته: إذا فرّج ما بين رجليها ليحلبها. وقال الثّعلبيّ: ثمّ زمرته يعني حضّته على عقر الناقة. وقال الجوهريّ: السقب: الذكر من ولد الناقة.

١٥ - **فس:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾ يقول: الطغيان حملها على التكذيب، قال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿أَشْقَىٰهَا﴾ قال: الّذي عقر الناقة. وقوله: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: أخذهم بغتةً وغفلةً بالليل ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ قال: من بعد هؤلاءِ الّذين أهلكناهم لا يخافون(٢).

بيان: لعلّه على هذا التأويل قوله: ﴿عُقْبَٰهَا﴾ فاعل ﴿لَا يَخَافُ﴾ والمراد بالعقبى الأمّة المتأخّرة، أو فاعله الضمير الراجع إلى الإنسان.

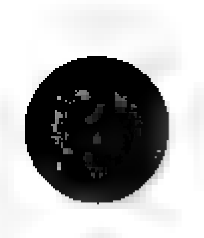
١٦ - **ع، ن، ل:** في أسئلة الشاميّ قال: أخبرني عن يوم الأربعاءِ والتطيّر منه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو آخر أربعاء من الشهر - وساق الحديث إلى أن قال -. ويوم الأربعاء قال الله: إنّا دمّرناهم وقومهم أجمعين، ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقروا الناقة(٣).

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩٤. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٢٣.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١ والخصال ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨.

بيان: الظاهر من الخبر أنّ هذه الصيحة هي الّتي وقعت على قوم عاد وقوعها بين التدمير والعقر المتعلّقين بهم، لكن لا يوافق ما مرّ من الأخبار الدالّة على أنّ بعد العقر لم يهلكوا أكثر من ثلاثة أيّام، فلا يتصوّر كون العقر والصيحة معاً في الأربعاء، فينبغي حمل الصيحة على ما وقعت على قوم هود، أو على قوم شعيب أو على قوم لوط، ولعلّ الأوسط أظهر.





بحار الأنوار

الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الثاني عشر

منشورات

مؤسسة الأعلى للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

أبواب قصص إبراهيم عليه السلام

١ - باب علل تسميته وسننه وفضائله ومكارم أخلاقه وسننه ونقش خاتمه عليه السلام

الآيات: آل عمران «٣»: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «٩٥» وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

النساء «٤»: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ «١٢٦».

النحل «١٦»: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَاجُّونَ﴾: قال ابن عبّاس وغيره: إنّ أحبار اليهود ونصارى نجران اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتنازعوا في إبراهيم فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلاّ يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلاّ نصرانياً، فنزلت الآية ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ أي مائلاً عن الأديان كلّها إلى دين الإسلام؛ وقيل: أي مستقيماً في دينه[1].

﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ﴾ أي أحق الناس بنصرة إبراهيم بالحجّة أو بالمعونة للدين ﴿لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في زمانه ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يتولّون نصرته بالحجّة لما كان عليه من الحقّ وتنزيه كلّ عيب عنه[2].

﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ أي محبّاً لا خلل في مودّته لكمال خلّته، والمراد بخلّته الله أنّه كان موالياً لأولياء الله ومعادياً لأعداء الله، والمراد بخلّة الله له نصرته على من أراده بسوء كما أنقذه من نار نمرود وجعلها عليه برداً وسلاماً، وكما فعله بملك مصر حين راوده عن أهله وجعله إماماً للناس وقدوة لهم ﴿أُمَّةً﴾ أي قدوة ومعلّماً للخير؛ وقيل: إمام هدى؛ وقيل: سمّاه أمّة لأنّ قوام الأمّة كان به؛ وقيل: لأنّه قام بعمل أمّة؛ وقيل: لأنّه انفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمناً وحده والنّاس كفّار ﴿قَانِتًا لِلَّهِ﴾ أي مطيعاً له دائماً على عبادته؛ وقيل: مصلّياً ﴿حَنِيفًا﴾ أي مستقيماً على الطاعة ﴿اجْتَبَاهُ﴾ أي اختاره الله ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ أي

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣١٦.

(٢) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣١٨.

نعمة سابغة في نفسه وفي أولاده وهو قول هذه الأمّة: (كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم) وقيل: هي النبوّة؛ وقيل هي أنّه ليس من أهل دين إلاّ وهو يرضاه ويتولاّه؛ وقيل: تنويه الله بذكره؛ وقيل: إجابة دعوته حتّى أكرم بالنبوّة ذرّيته ﴿أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي في الدعاء إلى توحيد الله وخلع الأنداد له وفي العمل بسنّته[1].

١ - ج: عن موسى بن جعفر عليه السلام في خبر اليهوديّ الّذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: تيقّظ إبراهيم بالاعتبار على معرفة الله وأحاطت دلائله بعلم الإيمان به وهو ابن خمسة عشر سنة[2].

٢ - لي: الطالقانيّ، عن الحسن بن عليّ العدويّ، عن الحسين بن أحمد الطفاويّ، عن قيس بن الربيع، عن سعد الخفّاف، عن عطيّة العوفي، عن محدوج، عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: يا عليّ إنّه أوّل من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقوم عن يمين العرش فأكسى حلّةً خضراء من حلل الجنّة، ثمّ يدعى بأبينا إبراهيم عليه السلام فيقوم عن يمين العرش في ظلّه فيكسى حلّة خضراء من حلل الجنّة - وساق الحديث إلى أن قال -: ثمّ ينادي مناد من عند العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك عليّ؛ الخبر[3].

أقول: قد مرّ نقش خاتمه عليه السلام في باب نقوش خواتيم الأنبياء على نبينا وآله وعليهم السلام.

٣ - ل: ابن إدريس، عن أبيه، عن الأشعريّ، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن ابن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله اختار من كلّ شيء أربعة: اختار من الأنبياء للسيف إبراهيم وداود وموسى وأنا؛ واختار من البيوتات أربعة فقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ الخبر[4].

٤ - ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عمّن خلق الله عزّ وجلّ من الأنبياء مختوناً، فقال: خلق الله عزّ وجلّ آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلى الله عليه وآله وسأله عن أوّل من أمر بالختان، فقال: إبراهيم عليه السلام[5].

٥ - ع، ن: الهمدانيّ، عن عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعت أبي يحدّث عن أبيه عليه السلام أنه قال: إنّما اتّخذ الله

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٠٠.
(٢) الاحتجاج، ص ٢١٣.
(٣) أمالي الصدوق، ص ٢٦٦ مجلس ٥٢ ح ١٤.
(٤) الخصال، ص ٢٢٥ باب الأربعة ح ٥٨.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١.

إبراهيم خليلاً لأنّه لم يردّ أحداً، ولم يسأل أحداً قطّ غير الله عزّ وجلّ[١].

٦ - ما: ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن عليّ بن محمّد الحسينيّ، عن جعفر بن محمّد ابن عيسى، عن عبيد الله بن عليّ، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: كان إبراهيم أوّل من أضاف الضيف، وأوّل من شاب، فقال: ما هذه؟ قيل: وقارٌ في الدنيا، ونور في الآخرة[٢].

٧ - ع: سمعت بعض المشايخ من أهل العلم يقول: إنّه سمّي إبراهيم إبراهيم لأنّه همّ فبرّ، وقد قيل: إنّه همّ بالآخرة فبرئ من الدنيا[٣].

٨ - ع: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن ذكره قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لمَ اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً؟ قال: لكثرة سجوده على الأرض[٤].

٩ - ع: السنانيّ، عن الأسديّ، عن سهل، عن عبد العظيم الحسنيّ قال: سمعت عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يقول: إنّما اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً لكثرة صلواته على محمّد وأهل بيته صلوات الله عليه وآله[٥].

١٠ - ع: محمّد بن عمرو بن عليّ البصريّ، عن محمّد بن إبراهيم بن خارج الأصمّ، عن محمّد بن عبد الله بن الجنيد، عن عمرو بن سعيد، عن عليّ بن زاهر، عن جرير، عن الأعمش، عن عطيّة، عن جابر الأنصاريّ قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: ما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً إلّا لإطعامه الطعام، وصلاته باللّيل والناس نيام[٦].

١١ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مروان، عمّن رواه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتّخذ الله إبراهيم خليلاً أتاه ببشارة الخلّة ملك الموت في صورة شابّ أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً، فدخل إبراهيم عليه السلام الدار فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم عليه السلام رجلاً غيوراً وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه؛ فخرج ذات يوم في حاجة وأغلق بابه ثمّ رجع ففتح بابه فإذا هو برجل قائم كأحسن ما يكون من الرجال فأخذته الغيرة وقال له: يا عبد الله ما أدخلك داري؟ فقال: ربّها أدخلنيها، فقال إبراهيم: ربّها أحقّ بها منّي، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: ففزع إبراهيم عليه السلام وقال: جئتني لتسلبني روحي؟ فقال: لا ولكن اتّخذ الله عزّ وجلّ عبداً خليلاً فجئت ببشارته، فقال إبراهيم: فمن هذا العبد لعلّي أخدمه حتّى أموت؟ قال: أنت هو، قال: فدخل على سارة فقال: إنّ الله اتخذني خليلاً[٧].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٩ باب ٣٢ ح ٢. (٢) أمالي الطوسي، ص ٣٣٨ مجلس ١٢ ح ٦٩١.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٨ باب ٣١ ح ١.

(٤) - (٦) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٩ باب ٣٢ ح ١ و٣ و٤.

(٧) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٩ باب ٣٢ ح٥.

بيان: يحتمل أن يكون قوله: «يقطر رأسه ماء ودهناً» كناية عن حسنه وطراوته وصفائه، قال الجوهريّ: قال رؤبة:

كغصن بان عوده سرعرع كأنّ ورداً من دهان يمرع

أي يكثر دهنه يقول: كأنّ لونه يعلى بالدهن لصفائه، وقال: قوم مدهّنون - بتشديد الهاء - عليهم آثار النعم.

١٢ - **ع:** ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة، عن عبد الله بن محمّد، عن داود بن أبي يزيد، عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا جاء المرسلون إلى إبراهيم جاءهم بالعجل فقال: كلوا، فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه فقال: إذا أكلتم فقولوا: بسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، قال فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة وجبرئيل رئيسهم فقال: حقٌّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً، قال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النّار تلقّاه جبرئيل في الهواء وهو يهوي فقال: يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا[1].

١٣ - **فس:** أبي، عن هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّ إبراهيم عليه السلام هو أوّل من حول له الرمل دقيقاً، وذلك أنّه قصد صديقاً له بمصر في قرض طعام فلم يجده في منزله فكره أن يرجع بالحمار خالياً، فملأ جرابه رملاً فلمّا دخل منزله خلّى بين الحمار وبين سارة استحياءً منها ودخل البيت ونام، ففتحت سارة عن دقيق أجود ما يكون فخبزت وقدّمت إليه طعاماً طيّباً، فقال إبراهيم: من أين لك هذا؟ فقالت: من الدقيق الّذي حملته من عند خليلك المصريّ، فقال: أما إنّه خليلي وليس بمصريّ؛ فلذلك أُعطي الخلّة فشكر لله وحمده وأكل[2].

بيان: لا تنافي بين تلك الأخبار إذ يحتمل أن يكون لكلّ من تلك الخلال مدخل في الخلّة، إذ لا تكون الخلّة إلاّ مع اجتماع الخصال الّتي يرتضيها الربّ تعالى.

١٤ - **فس:** أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان يوم القيامة دعي محمّد فيكسى حلّة ورديّة ثمّ يقام عن يمين العرش، ثمّ يدعى بإبراهيم فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار العرش، ثمّ يدعى بعليّ أمير المؤمنين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين النبيّ، ثمّ يدعى بإسماعيل فيكسى حلّة بيضاء فيقام عن يسار إبراهيم، ثمَّ يدعى بالحسن فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين أمير المؤمنين، ثمّ يدعى بالحسين فيكسى حلّة ورديّة فيقام عن يمين الحسن، ثمّ يدعى بالأئمّة فيكسون حللاً ورديّة فيقام كلّ واحد عن يمين صاحبه، ثمّ يدعى بالشيعة فيقومون أمامهم، ثمَّ يدعى بفاطمة عليها السلام ونسائها من ذرّيّتها وشيعتها فيدخلون الجنّة بغير حساب، ثمّ ينادي مناد من بطنان العرش من قبل ربّ العزّة

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٠ باب ٣٢ ح ٦.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٠.

والأفق الأعلى: نعم الأب أبوك يا محمّد وهو إبراهيم، ونعم الأخ أخوك وهو عليّ بن أبي طالب، ونعم السبطان سبطاك وهما الحسن والحسين، ونعم الجنين جنينك وهو محسن، ونعم الأئمّة الراشدون ذرّيّتك وهم فلان وفلان، ونعم الشيعة شيعتك، ألا إنّ محمّداً ووصيّه وسبطيه والأئمّة من ذرّيّته هم الفائزون، ثمّ يؤمر بهم إلى الجنّة، وذلك قوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾[1].

١٥ - فس: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ قال: هي الحنيفيّة العشرة الّتي جاء بها إبراهيم الّتي لم تنسخ إلى يوم القيامة[2].

١٦ - فس: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ أي طاهراً ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ أي اختاره ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قال: إلى الطريق الواضح، ثمّ قال لنبيّه: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ وهي الحنيفيّة العشرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام خمسة في الرأس وخمسة في البدن، فأمّا الّتي في الرأس: فطمّ الشعر وأخذ الشارب، وإعفاء اللّحى، والسواك، والخلال؛ وأمّا الّتي في البدن: فالغسل من الجنابة، والطهور بالماء، وتقليم الأظفار، وحلق الشعر من البدن، والختان، وهذه لم تنسخ إلى يوم القيامة[3].

١٧ - فس: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يعني أولي القوّة ﴿إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ۝٤٧﴾ الآية.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ يعني أولي القوّة في العبادة والبصر فيها[4].

١٨ - فس: الحسين بن عبد الله السكّينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: عرض ملك الروم على الحسن بن عليّ صور الأنبياء فأخرج صنماً، فقال عليه السلام: هذه صفة إبراهيم عليه السلام عريض الصدر طويل الجبهة؛ الخبر[5].

١٩ - ع: أبي، عن سعد، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان الناس لا يشيبون فأبصر إبراهيم عليه السلام شيباً في لحيته، فقال: يا ربّ ما هذا؟ فقال: هذا وقارٌ. فقال: ربّ زدني وقاراً[6].

٢٠ - ع: ابن الوليد عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسين بن عمّار، عن نعيم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أصبح إبراهيم عليه السلام فرأى في لحيته شيباً شعرة

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ١٣٥.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١٦٠.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٢.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٣.
(٦) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢٨ باب ٩٥ ح ١.

بيضاء، فقال: الحمد لله ربّ العالمين الّذي بلغني هذا المبلغ ولم أعص الله طرفة عين[١].

٢١ - ع: عليّ بن حاتم، عن جعفر بن محمّد، عن يزيد بن هارون، عن عثمان الزنجانيّ، عن جعفر بن الزمان، عن الحسن بن الحسين، عن خالد بن إسماعيل بن أيّوب المخزوميّ، عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه سمع أبا الطفيل يحدّث: إنّ عليّاً عليه السلام يقول: كان الرجل يموت وقد بلغ الهرم ولم يشب، فكان الرجل يأتي النادي فيه الرجل وبنوه فلا يعرف الأب من الابن، فيقول: أيّكم أبوكم؟ فلمّا كان زمان إبراهيم قال: اللّهمّ اجعل لي شيباً أعرف به، قال: فشاب وابيضّ رأسه ولحيته[٢].

٢٢ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى وابن أبي الخطّاب معاً، عن ابن محبوب، عن محمّد بن عرفة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ من قبلنا يقولون إنّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ختن نفسه بقدوم على دنّ، فقال: سبحان الله! ليس كما يقولون كذبوا، فقلت له: صف لي ذلك، فقال: إنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تسقط عنهم غلفهم مع سررهم يوم السابع. الخبر[٣].

بيان: بينه وبين خبر الشاميّ تناف ظاهراً، ويمكن الجمع بأن يكون المراد به أنّ سائر الأنبياء غير أولي العزم لم يكونوا يحتاجون إلى الختان فكيف يحتاج إبراهيم إليه مع أنّه ولد مختوناً؟ ويحتمل أن يكون تبقى لغلفهم بقيّة تسقط في اليوم السابع.

٢٣ - ص: كان على عهد إبراهيم عليه السلام رجل يقال له ماريا بن أوس قد أتت عليه ستّمائة سنة وستّون سنة، وكان يكون في غيضة له بينه وبين النّاس خليج من ماء غمر، وكان يخرج إلى الناس في كلّ ثلاث سنين فيقيم في الصحراء في محراب له يصلّي فيه، فخرج ذات يوم فيما كان يخرج فإذا هو بغنم كان عليها الدهن فأعجب بها وفيها شابّ كان وجهه شقّة قمر، فقال: يا فتى لمن هذا الغنم؟ قال: لإبراهيم خليل الرحمن، قال: فمن أنت؟ قال أنا ابنه إسحاق؛ فقال ماريا في نفسه: اللّهمّ أرني عبدك وخليلك حتّى أراه قبل الموت، ثمّ رجع إلى مكانه، ورفع إسحاق ابنه خبره إلى أبيه فأخبره بخبره، فكان إبراهيم يتعاهد ذلك المكان الّذي هو فيه ويصلّي فيه، فسأله إبراهيم عن اسمه وما أتى عليه من السنين فخبّره، فقال: أين تسكن؟ فقال: في غيضة، فقال إبراهيم: إنّي أحبّ أن آتي موضعك فأنظر إليه وكيف عيشك فيها، قال: إنّي أيبس من الثمار الرطب ما يكفيني إلى قابل، لا تقدر أن تصل إلى ذلك الموضع فإنّه خليج وماء غمر، فقال له إبراهيم: فما لك فيه معبر؟ قال: لا، قال: فكيف تعبر؟ قال: أمشي على الماء، قال إبراهيم: لعلّ الّذي سخّر لك الماء يسخّره لي، قال:

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ١٢٨ باب ٩٥ ح ٢ و٣.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢١٩ باب ٢٧٤ ح ١.

فانطلق وبدأ ماريا فوضع رجله في الماء وقال: بسم الله، قال إبراهيم: بسم الله، فالتفت ماريا وإذا إبراهيم يمشي كما يمشي هو، فتعجّب من ذلك فدخل الغيضة فأقام معه إبراهيم ثلاثة أيّام لا يعلمه من هو، ثمّ قال له: يا ماريا ما أحسن موضعك! هل لك أن تدعو الله أن يجمع بيننا في هذا الموضع؟ فقال: ما كنت لأفعل، قال: ولمَ؟ قال: لأنّي دعوته بدعوة منذ ثلاث سنين لم يجبني فيها، قال: وما الّذي دعوته؟ فقصّ عليه خبر الغنم وإسحاق، فقال إبراهيم: فإنّ الله قد استجاب منك، أنا إبراهيم، فقام وعانقه فكانت أوّل معانقة[١].

٢٤ - **ص:** عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رأيت إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فأمّا موسى فرجل طوّال سبط يشبه رجال الزطّ ورجال أهل شنوة، وأمّا عيسى فرجل أحمر جعد ربعة، قال: ثمّ سكت، فقيل له: يا رسول الله فإبراهيم؟ قال: انظروا إلى صاحبكم. يعني نفسه صلى الله عليه وآله[٢].

٢٥ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم الخليل عليه السلام حيث أسرت الروم لوطاً عليه السلام فنفر إبراهيم عليه السلام واستنقذه من أيديهم، وأوّل من اختتن إبراهيم عليه السلام اختتن بالقدوم على رأس ثمانين سنة[٣].

٢٦ - وبهذا الإسناد قال: قال عليّ عليه السلام: قيل لإبراهيم عليه السلام: تطهّر، فأخذ شاربه، ثمّ قيل له: تطهّر فنتف تحت جناحه، ثمّ قيل له: تطهّر فحلق عانته، ثمّ قيل له: تطهّر فاختتن[٤].

٢٧ - **ك:** أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطار معاً، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عاش إبراهيم مائة وخمساً وسبعين سنة[٥].

٢٨ - **يج:** كان إبراهيم عليه السلام مضيافاً فنزل عليه يوماً قومٌ ولم يكن عنده شيء، فقال: إن أخذت خشب الدار وبعته من النجّار فإنّه ينحته صنماً ووثناً فلم يفعل، وخرج بعد أن أنزلهم في دار الضيافة ومعه إزار إلى موضع وصلّى ركعتين فلمّا فرغ ولم يجد الإزار علم أنّ الله هيأ أسبابه، فلمّا دخل داره رأى سارة تطبخ شيئاً، فقال لها: أنّى لك هذا؟ قالت: هذا الّذي بعثته على يد الرجل، وكان الله سبحانه أمر جبرئيل أن يأخذ الرمل الّذي كان في الموضع الّذي صلّى فيه إبراهيم ويجعله في إزاره والحجارة الملقاة هناك أيضاً، ففعل جبرئيل عليه السلام ذلك، وقد جعل الله الرمل جاورس مقشّراً، والحجارة المدوّرة شلجماً، والمستطيلة جزراً[٦].

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١١٥.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٥٤.
(٣) نوادر الراوندي، ص ١٤٧ ح ٢٠٤.
(٤) نوادر الراوندي، ص ١٤٨ ح ٢٠٥.
(٥) كمال الدين، ص ٤٧٤.
(٦) الخرائج والجرائح، ج ٣ ص ٩٢٨.

٢٩ - شي: عن عبيد الله الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام. ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ لا يهوديّاً يصلّي إلى المغرب، ولا نصرانيّاً يصلّي إلى المشرق ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾ يقول: كان حنيفاً مسلماً على دين محمّد صلى الله عليه وآله (١).

٣٠ - شي: عن ابن سنان، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إذا سافر أحدكم فقدم من سفره فليأت أهله بما تيسّر ولو بحجر فإنّ إبراهيم عليه السلام كان إذا ضاق أتى قومه، وأنّه ضاق ضيقة فأتى قومه فوافق منهم أزمة فرجع كما ذهب، فلمّا قرب من منزله نزل عن حماره فملأ خرجه رملاً إرادة أن يسكن به روح سارة، فلمّا دخل منزله حطّ الخرج عن الحمار وافتتح الصّلاة، فجاءت سارة ففتحت الخرج فوجدته مملوءاً دقيقاً فاعتجنت منه واختبزت، ثمّ قالت لإبراهيم: انفتل من صلاتك فكل، فقال لها: أنّى لك هذا؟ قالت من الدقيق الّذي في الخرج، فرفع رأسه إلى السماء فقال: أشهد أنّك الخليل (٢).

بيان: الأزمة: الشدّة والقحط.

٣١ - شي: عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ قال: الأوّاه: الدعّاء (٣).

٣٢ - شي: عن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ قال: دعّاء (٤).

شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثله.

٣٣ - شي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾ قال: شيء فضّله الله به (٥).

٣٤ - شي: يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ أمّة واحدة (٦).

٣٥ - شي: عن سماعة قال: سمعت عبداً صالحاً يقول: لقد كانت الدنيا وما كان فيها إلاّ واحد يعبد الله، ولو كان معه غيره إذاً لأضافه إليه حيث يقول: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فصبر بذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى آنسه بإسماعيل وإسحاق فصاروا ثلاثة (٧).

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٢٠١ ح ٦٠ من سورة آل عمران.
(٢) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٠٣ ح ٢٧٨ من سورة النساء.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٠ ح ١٤٧ من سورة التوبة.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٤ ح ٥١ من سورة هود.
(٥) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٩٥ ح ٨١ و٨٣ و٨٤ من سورة النحل.

٣٦ - **كا:** محمّد بن الحسن، عمّن ذكره، عن محمّد بن خالد، عن محمّد بن سنان، عن زيد الشحّام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، وإنّ الله اتّخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، وإنّ الله اتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، وإنّ الله اتّخذه خليلاً قبل أن يجعله إماماً، فلمّا جمع له الأشياء قال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال: لا يكون السفيه إمام التقيّ(١).

٣٧ - **كا:** عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسين، عن إسحاق بن عبد العزيز بن أبي السفاتج، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول: إنّ الله اتّخذ إبراهيم عليه السلام عبداً قبل أن يتّخذه نبيّاً، واتخذه نبيّاً قبل أن يتّخذه رسولاً، واتّخذه رسولاً قبل أن يتّخذه خليلاً، واتّخذه خليلاً قبل أن يتّخذه إماماً، فلمّا جمع له هذه الأشياء وقبض يده قال له: «يا إبراهيم إنّي جاعلك للناس إماماً» فمن عظمها في عين إبراهيم عليه السلام قال: يا ربّ ومن ذرّيّتي قال لا ينال عهدي الظالمين(٢).

٣٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل من اتّخذ النعلين إبراهيم عليه السلام(٣).

٣٩ - وبهذا الإسناد عنه عليه السلام قال: أوّل من شاب إبراهيم، فقال: يا ربّ ما هذا؟ قال: نورٌ وتوقيرٌ، قال: ربّ زدني منه(٤).

٤٠ - **كا:** عليّ بن محمّد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابنا، عن أبان، عن معاوية بن عمّار، عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان أبا أضياف فكان إذا لم يكونوا عنده خرج يطلبهم وأغلق بابه وأخذ المفاتيح يطلب الأضياف، وإنّه رجع إلى داره فإذا هو برجل أو شبه رجل في الدار، فقال: يا عبد الله بإذن من دخلت هذه الدار؟ قال: دخلتها بإذن ربّها، يردّد ذلك ثلاث مرّات، فعرف إبراهيم عليه السلام أنّه جبرئيل فحمد ربّه، ثمّ قال: أرسلني ربّك إلى عبد من عبيده يتّخذه خليلاً، قال إبراهيم فأعلمني من هو، أخدمه حتّى أموت، فقال: فأنت هو، قال ولِمَ ذلك، قال: لأنّك لم تسأل أحداً شيئاً قطّ، ولم تُسأل شيئاً قط فقلت: لا(٥).

٤١ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عمّن حدّثه، عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان النّاس يعتبطون اعتباطاً، فلمّا كان زمان إبراهيم عليه السلام قال. يا ربّ اجعل للموت علّة يؤجر بها الميّت ويسلّى بها عن المصائب، قال: فأنزل الله عزّ وجلّ الموم

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٩٨ باب طبقات الأنبياء، ح ٢ و٤.
(٣) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٧ باب ٣٥٨ ح ٢. (٤) الكافي، ج ٦ ص ١١٦٥ باب ٣٨٠ ح ٤.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٣١٨ باب ٣٤ ح ٦.

وهو البرسام ثمّ أنزل بعده الداء[١].

محمد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن عاصم بن حميد، عن ابن ظريف عنه عليه السلام مثله.

٤٢ - **فس**: ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يعني بما في التوراة والإنجيل ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ يعني بما في صحف إبراهيم عنه عليه السلام[٢].

٤٣ - **نوادر الراوندي**: بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله: إنّ الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لآبائهم يحضنهم إبراهيم عليه السلام وتربّيهم سارة عليها السلام في جبل من مسك وعنبر وزعفران[٣].

٢ - باب قصص ولادته عليه السلام إلى كسر الاصنام، وما جرى بينه وبين فرعونه، وبيان حال ابيه

الآيات: البقرة «٢»: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ «٢٥٨».

الانعام «٦»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾.

التوبة «٩»: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ «١١٤».

مريم «١٩»: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ٥٩ باب ٧٢ ح ٤١. (٢) تفسير القمي، ج ١ ص ١١٣.

(٣) نوادر الراوندي، ص ١١٥ ح ١١٥.

وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ «٥١ - ٧١».

الشعراء «٢٦»: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾﴾.

ثمّ قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾ ۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا

تعملون ﴿٩٦﴾ قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم ﴿٩٧﴾ فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ﴿٩٨﴾ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين ﴿٩٩﴾».

الزخرف «٤٣»: «وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ﴿٢٦﴾ إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴿٢٧﴾ وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون ﴿٢٨﴾».

الممتحنة «٦٠»: «قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ﴿٤﴾ ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ﴿٥﴾».

تفسير: قال الطبرسيُّ رحمه الله في قوله تعالى: «ألم تر» : أي ألم ينته علمك «إلى الذي حاج إبراهيم» أي خاصمه وهو نمرود بن كنعان، وهو أوّل من تجبّر وادّعى الربوبيّة، واختلف في وقت المحاجّة فقيل: عند كسر الأصنام قبل إلقائه في النار؛ وقيل: بعده، وهو المرويّ عن الصادق عليه السلام «في ربه» أي في ربّ إبراهيم الّذي يدعو إلى توحيده وعبادته «أن آتاه الله» أي لأنّ آتاه «الملك» والهاء تعود إلى المحاجّ لإبراهيم، أي بطر الملك ونعيم الدنيا حمله على المحاجّة، والملك على هذا الوجه جائز أن ينعم الله به على أحد، فأمّا الملك بتمليك الأمر والنهي وتدبير أمور الناس وإيجاب الطاعة على الخلق فلا يجوز أن يؤتيه الله إلا من يعلم أنّه يدعو إلى الصلاح والسداد والرشاد؛ وقيل: إنّ الهاء تعود إلى إبراهيم عليه السلام «إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت» الإماتة هي إخراج الروح من بدن الحيّ من غير جرح ولا نقص بنية ولا إحداث فعل يتّصل بالبدن من جهة، وهذا خارج عن قدرة البشر، قال: «أنا أحيي» بالتخلية من الحبس «وأميت» بالقتل، وهذا جهل من الكافر لأنّه اعتمد في المعارضة على العبارة فقط دون المعنى، عادلاً عن وجه الحجّة بفعل الحياة للميّت أو الموت للحيّ على سبيل الاختراع الّذي ينفرد سبحانه به ولا يقدر عليه سواه «فبهت الذي كفر» أي تحيّر عند الانقطاع بما بان له من ظهور الحجّة.

فإن قيل: فهلاّ قال له نمرود: فليأت بها ربّك من المغرب؟ قيل عن ذلك جوابان: أحدهما: أنّه لمّا علم بما رأى من الآيات أنّه لو اقترح ذلك لأتى به الله تصديقاً لإبراهيم فكان يزداد بذلك فضيحة عدل عن ذلك. والثاني: أنّ الله خذله ولطف لإبراهيم عليه السلام حتّى أنّه لم يأت بشبهة ولم يلبس «والله لا يهدي القوم الظالمين» بالمعونة على بلوغ البغية من الفساد أو إلى المحاجّة، أو إلى الجنّة، أو لا يهديهم بألطافه وتأييده إذا علم أنّه لا لطف لهم.

وفي تفسير ابن عبّاس أنّ الله سلّط على نمرود بعوضة فعضّت شفته فأهوى إليها ليأخذها بيده فطارت في منخره، فذهب ليستخرجها فطارت في دماغه فعذّبه الله بها أربعين ليلة ثمّ أهلكه[1]

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٧.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي مثل ما وصفناه من قصّة إبراهيم وقوله لأبيه ما قال ﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ أي القدرة الّتي تقوى بها دلالته على توحيد الله؛ وقيل: معناه: ما أريناك يا محمّد أريناه آثار قدرتنا فيما خلقنا من العلويّات والسفليّات ليستدلّ بها؛ وقيل: ملكوت السماوات والأرض: ملكهما بالنبطيّة؛ وقيل: أطلق الملكوت على المملوك الّذي هو في السماوات والأرض. قال أبو جعفر عليه السلام: كشط الله له عن الأرضين حتّى رآهنّ وما تحتهنّ، وعن السماوات حتّى رآهنّ وما فيهنّ من الملائكة وحملة العرش ﴿وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ أي المتيقّنين بأنّ الله سبحانه هو خالق ذلك والمالك له[1].

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾ أي أظلم وستر بظلامه كلّ ضياء ﴿رَءَا كَوۡكَبٗا﴾ قيل: هو الزهرة؛ وقيل: هو المشتري ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾ أي غرب ﴿بَازِغٗا﴾ أي طالعاً ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ أي نفسي ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ أي مخلصاً مائلاً عن الشرك إلى الإخلاص.

وذكر أهل التفسير والتاريخ أنّ إبراهيم عليه السلام ولد في زمن نمرود بن كنعان، وزعم بعضهم أنّ نمرود كان من ولاة كيكاوس؛ وبعضهم قال: كان ملكاً برأسه؛ وقيل لنمرود: إنه يولد مولود في بلده هذه السنة يكون هلاكه وزوال ملكه على يده، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: إنّما قالوا ذلك من طريق التنجيم والتكهّن؛ وقال آخرون: بل وجد ذلك في كتب الأنبياء؛ وقال آخرون: رأى نمرود كأنّ كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر، فسأل عنه فعبّر بأنّه يولد غلام يذهب ملكه على يده، عن السدّيّ، فعند ذلك أمر بقتل كلّ غلام يولد تلك السنة، وأمر بأن يعزل الرجال عن النساء، وبأن يتفحّص عن أحوال النساء، فمن وجدت حبلى تحبس حتّى تلد، فإن كان غلاماً قتل، وإن كانت جارية خلّيت، حتّى حبلت أمّ إبراهيم فلمّا دنت ولادته خرجت هاربةً فذهبت به إلى غار ولفّته في خرقة ثمّ جعلت على باب الغار صخرة ثمّ انصرفت عنه، فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصّها فتشخب لبناً، وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره في الشهر ويشبُّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث. وقيل: كانت تختلف إليه أمّه فكان يمصّ أصابعه، فوجدته يمصّ من إصبع ماءً ومن إصبع لبناً ومن إصبع عسلاً ومن إصبع تمراً ومن إصبع سمناً، عن أبي روق ومحمّد بن إسحاق؛ ولمّا خرج من السرب نظر إلى النجم وكان آخر الشهر فرأى الكوكب قبل القمر ثمّ رأى القمر ثمّ الشمس فقال ما قال، ولمّا رأى قومه يعبدون الأصنام خالفهم، وكان يعيب آلهتهم حتّى فشا أمره وجرت المناظرات.

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ﴾ أي جادلوه في الدين وخوّفوه من ترك عبادة آلهتهم ﴿قَالَ﴾ أي إبراهيم ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ أي وفّقني لمعرفته ولطف لي في العلم بتوحيده وإخلاص العبادة

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٩٠.

له ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي لا أخاف منه ضرراً إن كفرت به ولا أرجو نفعاً إن عبدته، لأنّه بين صنم قد كسر فلا يدفع عن نفسه، ونجم دلّ أفوله على حدثه ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا﴾ فيه قولان: أحدهما أنّ معناه: إلاّ أن يقلّب الله هذه الأصنام فيحييها ويقدرها فتضرّ وتنفع فيكون ضررها ونفعها إذ ذاك دليلاً على حدثها أيضاً وعلى توحيد الله وعلى أنّه المستحقّ للعبادة دون غيره. والثاني: إلاّ أن يشاء ربّي أنّ يعذّبني ببعض ذنوبي، أو يشاء الإضرار بي ابتداءً، والأوّل أجود ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ﴾ من الأوثان وهم لا يضرّون ولا ينفعون ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ من هو القادر على الضرّ والنفع بل تجترئون عليه ﴿أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم﴾.

وقيل: معناه: كيف أخاف شرككم وأنا بريء منه والله لا يعاقبني بفعلكم، وأنتم لا تخافونه وقد أشركتم به، فما مصدريّة ﴿سُلْطَٰنًا﴾ أي حجّة على صحته.

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ أي أدلّتنا ﴿ءَاتَيْنَٰهَآ﴾ أي أعطيناها إبراهيم وأخطرناها بباله وجعلناها حججاً على قومه من الكفّار ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ من المؤمنين بحسب أحوالهم في الإيمان واليقين، أو للاصطفاء للرسالة[1].

﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ أي إلاّ صادراً عن موعدة، واختلف في صاحب هذه الموعدة هل هو إبراهيم أو أبوه، فقيل: إنّها من الأب وعد إبراهيم أنّه يؤمن به إن يستغفر له، فاستغفر له لذلك ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ﴾ ولا يفي بما وعد ﴿تَبَرَّأَ﴾ منه وترك الدعاء له؛ وقيل: إنّ الموعدة كانت من إبراهيم قال لأبيه: إنّي أستغفر لك ما دمت حيّاً، وكان يستغفر له مقيّداً بشرط الإيمان، فلمّا أيس من إيمانه تبرّأ منه ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ﴾ أي كثير الدعاء والبكاء وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وقيل: الرحيم بعباد الله؛ وقيل: الّذي إذا ذكر النّار قال: اوّه؛ وقيل: الأوّاه: المؤمن بلغة الحبشة؛ وقيل: الموقن أو العفيف أو الراجع عن كلّ ما يكره الله أو الخاشع أو الكثير الذكر؛ وقيل: المتأوّه شفقاً وفرقاً المتضرع يقيناً بالإجابة ولزوماً للطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ يقال: بلغ من حلم إبراهيم عليه السلام أنّ رجلاً قد آذاه وشتمه فقال له: هداك الله[2].

﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا﴾ أي كثير التصديق في أمور الدين ﴿وَلَا يُغْنِى عَنكَ﴾ أي لا يكفيك شيئاً ولا ينفعك ولا يضرّك ﴿صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ أي طريقاً مستقيماً ﴿عَصِيًّا﴾ أي عاصياً ﴿أَن يَمَسَّكَ﴾ أي يصيبك ﴿فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ أي موكولاً إليه وهو لا يغني عنك شيئاً؛ وقيل: أي لاحقاً بالشيطان في اللّعن والخذلان ﴿أَرَاغِبٌ﴾ أي معرضٌ ﴿أَنتَ عَنْ﴾ عبادة ﴿ءَالِهَتِى﴾ ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ بالحجارة؛ وقيل: لأرمينّك بالذنب والعيب وأشتمنّك؛ وقيل: لأقتلنّك ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ أي فارقني دهراً طويلاً؛ وقيل: مليّاً سويّاً سليماً من عقوبتي ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ سلام توديع وهجر على ألطف الوجوه؛ وقيل: سلام إكرام وبرّ تأدية لحقّ الأبوّة.

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٩٣-١٠٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١٣٢.

﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ فيه أقوال: أحدها: أنّه إنّما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل، ولم يكن قد استقرّ بعد قبح الاستغفار للمشركين. وثانيها: أنّه قال: سأستغفر لك على ما يصحّ ويجوز من تركك عبادة الاوثان، وثالثها: أنّ معناه: سأدعو الله أن لا يعذّبك في الدنيا.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ أي بارًّا لطيفاً رحيماً ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي اتنحّى منكم جانباً وأعتزل عبادة الأصنام ﴿وَأَدْعُواْ رَبِّي﴾ أي وأعبده ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بدعاء الأصنام، وإنّما ذكر عسى على وجه الخضوع؛ وقيل: معناه: لعلّه يقبل طاعتي ولا أشقى بالردّ، فإنّ المؤمن بين الرجاء والخوف[١].

﴿رُشْدَهُۥ﴾ أي الحجج الّتي توصله إلى الرشد بمعرفة الله وتوحيده، أو هداه أي هديناه صغيراً؛ وقيل: هو النبوّة ﴿مِن قَبْلُ﴾ أي من قبل موسى أو محمّد، أو من قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ أنّه أهل لذلك ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ﴾ حين رآهم يعبدون الأصنام ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ أي ما هذه الصور الّتي أنتم مقيمون على عبادتها، والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبّهاً بخلق من خلق الله؛ قيل: إنّهم جعلوها أمثلة لعلمائهم الّذين انقرضوا؛ وقيل: للأجسام العلويّة ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ﴾ اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجّة لعبادتهم إيّاها ﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ في ذهاب عن الحقّ ظاهر ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي أجادّ أنت فيما تقول؟ محقّ عند نفسك أم لاعب مازح؟ وإنّما قالوا ذلك لاستبعادهم إنكار عبادة الأصنام عليهم[٢].

قوله: ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ﴾ قال البيضاويّ: إضراب عن كونه لاعباً بإقامة البرهان على ما ادّعاه و(هنّ) للسماوات والأرض أو للتماثيل ﴿مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ أي من المحقّقين له والمبرهنين عليه ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ أي لأجتهدنّ في كسرها ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدكم[٣].

وقال الطبرسيّ: قيل: إنّما قال ذلك في سرّ من قومه، ولم يسمع ذلك إلاّ رجل منهم فأفشاه، وقالوا: كان لهم في كلّ سنة مجمعٌ وعيدٌ إذا رجعوا منه دخلوا على الأصنام فسجدوا لها، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج معنا؟ فخرج، فلمّا كان ببعض الطريق قال: أشتكي رجلي وانصرف ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ أي جعل أصنامهم قطعاً قطعاً ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ في الخلقة أو في التعظيم تركه على حاله، قالوا: جعل يكسرهنّ بفأس في يده حتّى لم يبق إلاّ الصنم الكبير علّق الفأس في عنقه وخرج ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ أي إلى إبراهيم فينبّههم على جهلهم، أو إلى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتّخذه إلهاً، فلمّا رجع قومه من عيدهم فوجدوا أصنامهم مكسّرة ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ من موصولة، أي الّذي فعل هذا بآلهتنا فإنّه ظالم لنفسه لأنّه يقتل إذا علم به؛ وقيل: إنّهم قالوا: من فعل هذا استفهاماً، وأنكروا عليه بقولهم: إنّه لمن الظالمين ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى﴾ أي قال الرجل الّذي

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٢٦. (٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٣.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١١٨.

سمع من إبراهيم قوله: ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم﴾ للقوم ما سمعه منه فقالوا: ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ بسوء؛ وقيل: إنّهم قالوا: سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول: إنّها لا تضرّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فهو الّذي كسّرها ﴿عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه بما قاله فيكون ذلك حجّةً عليه بما فعل، كرهوا أن يأخذوه بغير بيّنة أو لعلّهم يحضرون عقابه ﴿فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي فرجع بعضهم إلى بعض، وقال بعضهم لبعض ﴿أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ حيث تعبدون ما لا يقدر الدفع عن نفسه؛ وقيل: معناه: فرجعوا إلى عقولهم وتدبّروا في ذلك إذ علموا صدق إبراهيم عليه السلام فيما قاله وحاروا عن جوابه فأنطقهم الله تعالى بالحقّ ﴿فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ لهذا الرجل في سؤاله، وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ إذ تحيّروا وعلموا أنّها لا تنطق[1].

وقال البيضاويّ: أي انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة، شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء مستعلياً على أعلاه[2].

قال الطبرسيّ: ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ يا إبراهيم ﴿مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ﴾ فكيف نسألهم؟ فأجابهم إبراهيم عليه السلام بعد اعترافهم بالحجّة ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إن عبدتموه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن تركتموه لأنّها لو قدرت لدفعت عن أنفسها ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ تضجّر منه على إصرارهم بالباطل البيّن ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي لمّا سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض: ﴿حَرِّقُوهُ﴾ بالنار ﴿وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ أي وادفعوا عنها وعظّموها ﴿إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ﴾ أي إن كنتم ناصريها، قيل: إنّ الّذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار رجل من أكراد فارس فخسف الله به الأرض فهو يتخلخل فيها إلى يوم القيامة، وقال وهب: إنّما قاله نمرود، وفي الكلام حذف، قال السدّيّ: فجمعوا الحطب حتّى أنّ الرجل ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشترى به حطب، وحتّى أنّ المرأة لتغزل فتشتري به حطباً، حتّى بلغوا من ذلك ما أرادوا، فلمّا أرادوا أن يلقوا إبراهيم في النّار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلّهم على المنجنيق، وهو أوّل منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثمّ رموه ﴿قُلْنَا يَا نَارُ﴾ أي لمّا جمعوا الحطب وألقوه في النّار قلنا للنّار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ وهذا مثل فإنّ النار جمادٌ لا يصحّ خطابه، والمراد: إنّا جعلنا النار برداً عليه وسلامة لا يصيبه من أذاها شيء؛ وقيل: يجوز أن يتكلّم الله سبحانه بذلك ويكون ذلك صلاحاً للملائكة ولطفاً لهم[3].

وقال الرازيّ: اختلفوا في أنّ النّار كيف بردت على ثلاثة أوجه: أحدها أنّ الله تعالى أزال عنها ما فيها من الحرّ والإحراق وأبقى ما فيها من الإضاءة والإشراق. وثانيها: أنّه سبحانه خلق في جسم إبراهيم كيفيّة مانعة من وصول أذى النار إليه كما يفعل بخزنة جهنّم في الآخرة،

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١١٩.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٧.

كما أنّه ركّب بنية النعامة بحيث لا يضرّها ابتلاع الحديدة المحماة، وبدن السمندر بحيث لا يضرّه المكث في النار. وثالثها: أنّه خلق بينه وبين النّار حائلاً يمنع من وصول النار إليه؛ قال المحقّقون: والأوّل أولى لأنّ ظاهر قوله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا﴾ أنّ نفس النار صارت باردة. فإن قيل: النار اسم للجسم الموصوف بالحرارة واللّطافة، فإذا كانت الحرارة جزءً من مسمّى النّار امتنع كون النّار باردة، فإذاً وجب أن يقال: المراد بالنار الجسم الّذي هو أحد أجزاء مسمّى النار وذلك مجاز، فلم كان مجازكم أولى من المجازين الآخرين؟ قلنا: المجاز الّذي ذكرناه يبقى معه حصول البرد، وفي المجازين اللّذين ذكرتموهما ما لا يبقى ذلك فكان مجازنا أولى[1].

وقال الطبرسيّ: قال أبو العالية: لو لم يقل سبحانه: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لكانت تؤذيه من شدّة بردها، ولكان بردها أشدّ عليه من حرّها، ولو لم يقل: ﴿عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ لكان بردها باقياً إلى الأبد.

وقال أبو عبد الله عليه السلام: لمّا أجلس إبراهيم في المنجنيق وأرادوا أن يرموا به في النار أتاه جبرئيل فقال: السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا. فلمّا طرحوه دعا الله فقال: يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد؛ فحسرت النار عنه وإنّه لمحتبٍ ومعه جبرئيل وهما يتحدّثان في روضة خضراء، وروى الواحديّ بإسناده إلى أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ نمرود الجبّار لمّا ألقى إبراهيم في النّار نزل إليه جبرئيل بقميص من الجنّة وطنفسة من الجنّة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدّثه؛ وقال كعب: ما أحرقت النّار من إبراهيم غير وثاقه؛ وقيل: إنّ إبراهيم ألقي في النار وهو ابن ستّ عشرة سنة.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا﴾ أي شرّاً وتدبيراً في إهلاكه ﴿فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ قال ابن عبّاس: هو أن سلّط الله على نمرود وخيله البعوض حتّى أخذت لحومهم وشربت دمائهم ووقعت واحدة في دماغه حتّى أهلكته.

﴿إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا﴾ أي الشام أو بيت المقدس أو مكّة[2].

﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ أي مصلّين، عن ابن عبّاس؛ أو نقيم على عبادتها مداومين ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم، أو ينفعونكم إذا عبدتموهم، أو يضرّونكم إذا تركتم عبادتها؟ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ أي الّذي كنتم تعبدونه من الأصنام ﴿أَنتُمْ﴾ الآن ﴿وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ أي المتقدّمون ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ﴾ أي إنّ عبّاد الأصنام معها عدوّ لي، إلا أنّه غلب ما يعقل؛ وقيل: إنّه يعني الأصنام وإنّما قال: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ لما وصفها بالعداوة الّتي لا تكون إلاّ من العقلاء، وجعل الأصنام كالعدوّ في الضرر من جهة عبادتها،

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ المجلد ٨ ص ١٥٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٩٩.

ويجوز أن يكون قال: ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ لأنّه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك استثنى فقال: ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ استثناه من جميع المعبودين قال الفرّاء: إنّه من المقلوب، والمعنى: فإنّي عدوّ لهم ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ أي يرشدني إلى ما فيه نجاتي أو إلى جنّته ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي﴾ إنّما قال ذلك عليه السلام على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى من غير ذنب، أو المعنى: أن يغفر لمن يشفعني فيه؛ فأضافه إلى نفسه ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ أي حكمةً وعلماً أو نبوّةً ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ أي ثناءً حسناً وذكراً جميلاً في الّذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، وقيل: ولد صدق وهو محمّد صلى الله عليه وآله ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ هذا أيضاً على الانقطاع[1].

﴿أَوْثَانًا﴾ أي أصناماً من حجارة لا تضرّ ولا تنفع ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي تفعلون كذباً بأن تسمّوا هذه الأوثان آلهة[2].

﴿مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ أي لتتوادّوا بها[3] ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي فصدّق بإبراهيم وهو ابن أخته، وهو أوّل من صدّق بإبراهيم ﴿وَقَالَ﴾ إبراهيم ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ أي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم على قبيح أعمالهم إلى حيث أمرني ربّي؛ وقيل: معناه: قال لوط إنّي مهاجر، وخرج إبراهيم ومعه لوط وامرأته سارة - وكانت ابنة عمّته - من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى أرض الشام[4].

﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ أي من شيعة نوح، يعني أنّه على منهاجه وسننه في التوحيد والعدل واتّباع الحقّ؛ وقيل: من شيعة محمّد صلى الله عليه وآله ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أي حين صدّق الله وآمن به بقلب خالص من الشرك بريء من المعاصي والغلّ والغشّ على ذلك عاش وعليه مات؛ وقيل: بقلب سليم من كلّ ما سوى الله لم يتعلق بشيء غيره، عن أبي عبد الله عليه السلام[5].

﴿أَئِفْكًا آلِهَةً﴾ قال البيضاويّ: أي تريدون آلهة دون الله إفكاً، فقدّم المفعول للعناية ثمّ المفعول له لأنّ الأهمّ أن يقرّر أنّهم على الباطل، ويجوز أن يكون ﴿إِفْكًا﴾ مفعولاً به و﴿آلِهَةً﴾ بدل منه على أنّها إفك في أنفسها للمبالغة، والمراد عبادتها فحذف المضاف، أو حالاً بمعنى آفكين[6].

قال الطبرسيّ: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن يصنع بكم مع عبادتكم غيره أو كيف تظنّون بربّ تأكلون رزقه وتعبدون غيره؟ أو ما تظنّون بربكم أنّه على أيّ صفة ومن أيّ جنس من أجناس الأشياء حتّى شبّهتم به هذه الأصنام؟ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ﴾ أي فمال إليها ﴿فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ خاطبها وإن كانت جماداً على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على أنّ من لا يقدر

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٣٥.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٥.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ١٩.
(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢١.
(٥) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣١٥.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٦٢.

على الجواب كيف تصحّ عبادتها، وكانوا صنعوا للأصنام طعاماً تقرّباً إليها وتبرّكاً بها ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ أي فمال على الأصنام يكسرها ويضربها باليد اليمنى لأنّها أقوى، وقيل: المراد باليمين القوّة، وقيل: أي بالقسم الّذي سبق منه بقوله ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ﴾.

﴿يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون، فإنّهم أُخبروا بصنيع إبراهيم بأصنامهم فقصدوه مسرعين وحملوه إلى بيت أصنامهم وقالوا له: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا﴾ فأجابهم بقوله: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ استفهاماً على الإنكار والتوبيخ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ أي وخلق ما عملتم من الأصنام ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ قال ابن عبّاس: بنوا حائطاً من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه ناراً وطرحوه فيها ﴿فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ قال الفرّاء: كلّ نار بعضها فوق بعض فهي جحيم؛ وقيل: إنّ الجحيم النّار العظيمة ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ بأن أهلكناهم ونجّينا إبراهيم وسلّمناه ورددنا كيدهم عنه ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ أي إلى حيث أمرني أو إلى مرضاة ربّي بعملي ونيّتي ﴿سَيَهْدِينِ﴾ أي يهديني ربّي فيما بعد إلى طريق المكان الّذي أمرني بالمصير إليه؛ أو إلى الجنّة بطاعتي إيّاه[1].

﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ أي جعل كلمة التوحيد باقية في ذرّيّته فلم يزل فيهم من يقولها؛ وقيل الكلمة هي براءة إبراهيم من الشرك؛ وقيل: هي الإمامة إلى يوم القيامة، عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه بالاقتداء بأبيهم إبراهيم عليه السلام[2].

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ أي اقتداء حسن ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي جحدنا دينكم وأنكرنا معبودكم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي اقتدوا بإبراهيم في كلّ أموره إلاّ في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنّه عليه السلام إنّما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه بالإيمان فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه؛ قال الحسن: وإنّما تبيّن له ذلك عند موت أبيه؛ وقيل: كان آزر ينافق إبراهيم ويريه أنّه مسلمٌ ويعده إظهار الإسلام ليستغفر له ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن أراد عقابك ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ أي وكانوا يقولون ذلك ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا﴾ أي إلى طاعتك رجعنا ﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وإلى حكمك المرجع، وهذه حكاية لقول إبراهيم وقومه؛ ويحتمل أن يكون تعليماً لعباده أن يقولوا ذلك ﴿لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ أي لا تعذّبنا بأيديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا: لو كان هؤلاء على حقّ لما أصابهم هذا؛ وقيل: أي لا تسلّطهم علينا فيفتنونا عن دينك؛ وقيل: أي الطف حتّى نصبر على أذاهم ولا نتّبعهم فنصير فتنةً لهم[3].

١ - **فس:** أبي، عن ابن مرّار، عن يونس، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كشط له عن الأرض ومن عليها وعن السماء وما فيها والملك الّذي يحملها والعرش ومن عليه، وفعل ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣١٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٧٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٤٤٨.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٢١٣ و٢١٥.

٢ - **فس:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي صدقوا ولم ينكثوا ولم يدخلوا في المعاصي فيبطل إيمانهم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ﴾ يعني ما قد احتج إبراهيم على أبيه وعليهم[١].

٣ - **فس:** ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ قال إبراهيم لأبيه: إن لم تعبد الأصنام استغفرت لك، فلمّا لم يدع الأصنام تبرّأ منه إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ أي دعاءٌ.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: الأوّاه: المتضرّع إلى الله في صلاته، وإذا خلا في قفر في الأرض وفي الخلوات[٢].

٤ - **فس:** ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ أي تقدّرون كذباً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وانقطع خبر إبراهيم عليه السلام ثمّ خاطب الله أمّة محمّد صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ثم عطف على خبر إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ إلى قوله: ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فهذا من المنقطع المعطوف ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ أي لإبراهيم ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ﴾ قال: المهاجر من هجر السيّئات وتاب إلى الله[٣].

٥ - **فس:** أبو العبّاس، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: ليهنئكم الاسم، قلت: ما هو جعلت فداك؟ قال: ﴿۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾.

وقوله: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ فليهنئكم الاسم.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾: قال: القلب السليم من الشكّ[٤]، قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ فقال أبو عبد الله عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، وإنّما عنى سقيماً في دينه مرتاداً. قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً﴾ يعني الإمامة[٥].

٦ - **فس:** أبي، عن صفوان، عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود بن كنعان فقال له: إنّي أرى في حساب النجوم أنّ هذا الزمان يحدث رجلاً فينسخ هذا الدين ويدعو إلى دين آخر، فقال له نمرود: في أيّ بلاد يكون؟ قال: في هذه البلاد، وكان منزل نمرود بكوثى ربى، فقال له نمرود: قد خرج إلى الدنيا؟ قال آزر: لا، قال: فينبغي أنّ يفرّق بين الرجال والنساء، ففرّق بين الرجال والنساء، وحملت أمّ إبراهيم بإبراهيم عليه السلام ولم يبيّن حملها، فلمّا حانت ولادتها قالت: يا آزر إنّي قد اعتللت وأريد أن أعتزل عنك، وكان في ذلك الزمان المرأة إذا اعتلّت اعتزلت عن زوجها، فخرجت واعتزلت في غار ووضعت بإبراهيم عليه السلام وهيّأته وقمّطته ورجعت إلى منزلها وسدّت باب

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢١٣ و٢١٥.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٠٦.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٦.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٧.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥٦.

الغار بالحجارة، فأجرى الله لإبراهيم عليه السلام لبناً من إبهامه وكانت تأتيه أمّه ووكّل نمرود بكلّ امرأة حامل، فكان يذبّح كلّ ولد ذكر، فهربت أمّ إبراهيم بإبراهيم من الذبح، وكان يشبّ إبراهيم عليه السلام في الغار يوماً كما يشبّ غيره في الشهر حتّى أتى له في الغار ثلاث عشرة سنة، فلمّا كان بعد ذلك زارته أمّه فلمّا أرادت أن تفارقه تشبّث بها فقال: يا أمّي أخرجيني، فقالت له: يابنيّ إنّ الملك إن علم أنّك ولدت في هذا الزمان قتلك، فلمّا خرجت أمّه خرج من الغار وقد غابت الشمس نظر إلى الزهرة في السماء فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ فلمّا غابت الزهرة فقال: لو كان هذا ربّي ما تحرّك ولا برح، ثمّ قال: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ والآفل: الغائب. فلمّا نظر إلى المشرق رأى وقد طلع القمر قال: «هذا ربّي هذا أكبر وأحسن» فلمّا تحرك وزال قال: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ فلما أصبح وطلعت الشمس ورأى ضوءها وقد أضاءت الشمس الدنيا لطلوعها قال: ﴿هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ﴾ وأحسن فلمّا تحرّكت وزالت كشط الله عن السماوات حتّى رأى العرش ومن عليه وأراه الله ملكوت السماوات والأرض، فعند ذلك قال: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ فجاء إلى أمّه وأدخلته دارها وجعلته بين أولادها.

وسئل أبو عبد الله عليه السلام عن قول إبراهيم: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ لغير الله هل أشرك في قوله: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾؟ فقال: من قال هذا اليوم فهو مشركٌ، ولم يكن من إبراهيم شركٌ، وإنّما كان في طلب ربّه، وهو من غير شرك، فلمّا أدخلت أمّ إبراهيم إبراهيم دارها نظر إليه آزر فقال: من هذا الّذي قد بقي في سلطان الملك والملك يقتل أولاد الناس؟ قالت: هذا ابنك ولدته وقت كذا وكذا حين اعتزلت؛ فقال: ويحك إن علم الملك هذا زالت منزلتنا عنده، وكان آزر صاحب أمر نمرود ووزيره، وكان يتّخذ الأصنام له وللناس ويدفعها إلى ولده فيبيعونها وكان على دار الأصنام، فقالت أمّ إبراهيم لآزر: لا عليك إن لم يشعر الملك به بقي لنا ولدنا وإن شعر به كفيتك الاحتجاج عنه، وكان آزر كلّما نظر إلى إبراهيم أحبّه حبّاً شديداً وكان يدفع إليه الأصنام ليبيعها كما يبيع إخوته، فكان يعلّق في أعناقها الخيوط ويجرّها على الأرض ويقول: من يشتري ما لا يضرّه ولا ينفعه؟! ويغرقها في الماء والحمأة ويقول لها: اشربي وتكلّمي، فذكرا إخوته ذلك لأبيه فنهاه فلم ينته فحبسه في منزله ولم يدعه يخرج.

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾ إبراهيم ﴿أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ أي بيّن لي ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ثمّ قال لهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي أنا أحق بالأمن حيث أعبد الله أو أنتم الّذين تعبدون الأصنام[1].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٢١٣.

٧ - **كا**: العدّة، عن سهل، عن بعض أصحابنا، عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: في أوّل يوم من ذي الحجّة ولد إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام [(١)].

٨ - **فس**: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ﴾ قال: فلمّا نهاهم إبراهيم عليه السلام واحتجّ عليهم في عبادتهم الأصنام فلم ينتهوا حضر عيدٌ لهم وخرج نمرود وجميع أهل مملكته إلى عيد لهم، وكره أن يخرج إبراهيم معه، فوكّله ببيت الأصنام، فلمّا ذهبوا عمد إبراهيم إلى طعام فأدخله بيت أصنامهم، فكان يدنو من صنم صنم فيقول له: كل وتكلّم، فإذا لم يجبه أخذ القدوم فكسر يده ورجله حتّى فعل ذلك بجميع الأصنام، ثمّ علّق القدوم في عنق الكبير منهم الّذي كان في الصدر، فلمّا رجع الملك ومن معه من العيد نظروا إلى الأصنام مكسّرةً، فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فقالوا: ههنا ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ وهو ابن آزر فجاؤوا به إلى نمرود فقال نمرود لآزر: خنتني وكتمت هذا الولد عنّي، فقال: أيّها الملك هذا عمل أمّه وذكرت أنّها تقوم بحجّته، فدعا نمرود أمّ إبراهيم فقال لها: ماحملك على أن كتمتني أمر هذا الغلام حتّى فعل بآلهتنا ما فعل؟ فقالت: أيّها الملك نظراً منّي لرعيّتك، قال: وكيف ذلك؟ قالت: رأيتك تقتل أولاد رعيّتك فكان يذهب النسل فقلت: إن كان هذا الّذي يطلبه دفعته إليه ليقتله ويكفّ عن قتل أولاد الناس، وإنّ لم يكن ذلك فبقي لنا ولدنا، وقد ظفرت به فشأنك، فكفّ عن أولاد الناس فصوّب رأيها، ثمّ قال لإبراهيم: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ﴾ يا إبراهيم قال إبراهيم: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ فقال الصادق عليه السلام: والله ما فعله كبيرهم وما كذب إبراهيم، فقيل: فكيف ذلك؟ فقال: إنّما قال: فعله كبيرهم هذا إن نطق، وإن لم ينطق فلم يفعل كبيرهم هذا شيئاً، فاستشار نمرود قومه في إبراهيم فقالوا له: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ فقال الصادق عليه السلام: كان فرعون إبراهيم وأصحابه لغير رشدة، فإنّهم قالوا لنمرود: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ وكان فرعون موسى وأصحابه لرشدة فإنّه لمّا استشار أصحابه في موسى قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ فحبس إبراهيم وجمع له الحطب حتّى إذا كان اليوم الّذي ألقى فيه نمرود إبراهيم في النار برز نمرود وجنوده، وقد كان بني لنمرود بناء ينظر منه إلى إبراهيم كيف تأخذه النّار، فجاء إبليس واتّخذ لهم المنجنيق لأنّه لم يقدر أحد أن يتقارب من النار، وكان الطائر إذا مرّ في الهواء يحترق، فوضع إبراهيم عليه السلام في المنجنيق وجاء أبوه فلطمه لطمةً وقال له: ارجع عمّا أنت عليه، وأنزل الربّ (ملائكته) إلى السماء الدنيا، ولم يبق شيء إلا طلب إلى ربّه، وقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره فيحرق، وقالت الملائكة: يا ربّ خليلك إبراهيم يحرق، فقال الله عزّ وجلّ: أما إنّه إن دعاني كفيته، وقال

(١) الكافي، ج ٤ ص ٣٧٣ باب ١٠٧ ح ٢ وللحديث صدر فراجع.

جبرئيل: يا ربّ خليلك إبراهيم ليس في الأرض أحد يعبدك غيره، سلّطت عليه عدوّه يحرقه بالنار، فقال: اسكت إنّما يقول هذا عبدٌ مثلك يخاف الفوت، هو عبدي آخذه إذا شئت، فإن دعاني أجبته، فدعا إبراهيم عليه السلام ربّه بسورة الاخلاص: «يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجني من النار برحمتك» قال: فالتقى معه جبرئيل في الهواء وقد وضع في المنجنيق فقال: يا إبراهيم هل لك إليّ من حاجة؟ فقال إبراهيم: أمّا إليك فلا، وأمّا إلى ربّ العالمين فنعم، فدفع إليه خاتماً عليه مكتوب: «لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله ألجأت ظهري إلى الله وأسندت أمري إلى الله وفوّضت أمري إلى الله» فأوحى الله إلى النار: ﴿كُونِي بَرْدًا﴾ فاضطربت أسنان إبراهيم من البرد حتّى قال: ﴿وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ وانحطّ جبرئيل وجلس معه يحدّثه في النار ونظر إليه نمرود فقال: من اتّخذ إلهاً فليتّخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظماء أصحاب نمرود: إنّي عزمت على النار أن لا تحرقه، فخرج عمود من النار نحو الرجل فأحرقه، ونظر نمرود إلى إبراهيم في روضة خضراء في النار مع شيخ يحدّثه، فقال لآزر: يا آزر ما أكرم ابنك على ربّه! قال: وكان الوزغ ينفخ في نار إبراهيم وكان الضفدع يذهب بالماء ليطفيء به النار، قال: ولمّا قال الله تبارك وتعالى للنّار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ لم تعمل النار في الدنيا ثلاثة أيام ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى الشام وسواد الكوفة[(١)].

٩ - فس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ الآية، فإنّه لمّا ألقى نمرود إبراهيم في النار وجعلها الله عليه برداً وسلاماً قال نمرود: يا إبراهيم من ربّك؟ قال: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ قال له نمرود: ﴿أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ قال: أعمد إلى رجلين ممّن قد وجب عليهما القتل فأُطلق عن واحد، وأقتل واحداً، فأكون قد أمتّ وأحييت، فقال إبراهيم: إن كنت صادقاً فأحي الّذي قتلته، ثمّ قال إبراهيم: دع هذا فإنّ ربّي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فكان كما قال الله: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ أي انقطع وذلك أنّه علم أنّ الشمس أقدم منه[(٢)].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل في انتقاله من حجّة إلى أُخرى وجهان:

أحدهما: أنّ ذلك لم يكن انتقالاً وانقطاعاً عن إبراهيم، فإنّه يجوز من كلّ حكيم إيراد حجّة أُخرى على سبيل التأكيد بعد تمام ما ابتدأ به من الحجاج، وعلامة تمامه ظهوره من غير اعتراض عليه بشبهة لها تأثير عند التأمّل والتدبّر.

والثاني: أنّ إبراهيم إنّما قال ذلك ليبيّن أنّ من شأن من يقدر على إحياء الأموات وإماتة

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٦. وكلمة (ملائكته) زيادة من المصدر.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٤.

الأحياء أن يقدر على إتيان الشمس من المشرق فإن كنت قادراً على ذلك فأت بها من المغرب، وإنّما فعل ذلك لأنّه لو تشاغل معه بأنّي أردت اختراع الحياة والموت من غير سبب ولا علاج لاشتبه على كثير ممّن حضر، فعدل إلى ما هو أوضح، لأنّ الأنبياء عليهم السلام إنّما بعثوا للبيان والإيضاح، وليست أمورهم مبنيّة على لجاج الخصمين وطلب كلّ واحد منهما غلبة خصمه، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّ إبراهيم عليه السلام قال له: أحي من قتلته إن كنت صادقاً، ثمّ استظهر عليه بما قاله ثانياً(١).

١٠ - **ج:** عن موسى بن جعفر عليه السلام في ذكر معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله في مقابلة معجزات الأنبياء: إنّ إبراهيم حجب عن نمرود بحجب ثلاث(٢).

ايضاح: لعلّ المراد بالحجب الثلاث حجاب البطن والغار والنار، أو الأوّلان مع الاعتزال عنه إلى بلاد الشام، أو حجبه عند الحمل وعند الولادة وعند النموّ، أو حجبه في البطن بثلاث: البطن والرحم والمشيمة حيث جعله بحيث لم يتبيّن حمله. وقد يقال: إنّه إشارة إلى القميص والخاتم والتوسّل بالأئمّة عليهم السلام، أو بسورة التوحيد كما مرّ كلّها وسيجيء، فالمعنى أنّه حجب عن نار نمرود وشرّه بتلك الحجب والله يعلم.

١١ - **لي، ن:** أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن الحسن ابن أبي العقبة الصيرفيّ، عن الحسين بن خالد، عن الرضا عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا وضع في كفّة المنجنيق غضب جبرئيل عليه السلام، فأوحى الله عزّ وجلّ: ما يغضبك يا جبرئيل؟ قال: يا ربّ خليلك ليس من يعبدك على وجه الأرض غيره، سلّطت عليه عدوّك وعدوّه؛ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: اسكت إنّما يعجل العبد الّذي يخاف الفوت مثلك، فأمّا أنا فإنّه عبدي آخذه إذا شئت، قال: فطابت نفس جبرئيل عليه السلام فالتفت إلى إبراهيم عليه السلام فقال: هل لك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، فأهبط الله عزّ وجلّ عندها خاتماً فيه ستّة أحرف: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فوّضت أمري إلى الله، أسندت ظهري إلى الله، حسبي الله» فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أن تختّم بهذا الخاتم فإنّي أجعل النّار عليك برداً وسلاماً(٣).

ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن عبد الله بن أحمد، عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن الحسين بن خالد، عنه عليه السلام مثله «ص ٣٣٥ باب ٦ ح ٣٦».

١٢ - **ل:** ابن المتوكّل، عن الأسديّ، عن البرمكيّ، عن عبد الله بن أحمد الشاميّ، عن إسماعيل بن الفضل الهاشميّ قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن موسى بن عمران عليه السلام لمّا رأى حبالهم وعصيّهم كيف أوجس في نفسه خيفة ولم يوجسها

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٨. (٢) الاحتجاج، ص ٢٣.
(٣) الأمالي للصدوق، ص ٣٧٠ مجلس ٧٠ ح ٥ وعيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٥٩ باب ٣١ ح ٢٠٦.

إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق وقذف به في النار؟ فقال عليه السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام حين وضع في المنجنيق كان مستنداً إلى ما في صلبه من أنوار حجج الله عزّ وجلّ، ولم يكن موسى عليه السلام كذلك، فلهذا أوجس في نفسه خيفة، ولم يوجسها إبراهيم عليه السلام [(١)].

١٣ - ل: ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان وكافران، فأمّا المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، والكافران نمرود وبخت نصّر، واسم ذو القرنين عبد الله بن ضحّاك بن معد[(٢)].

١٤ - فر: عليّ بن محمّد بن عمر الزهريّ معنعناً، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: إنّ أوّل منجنيق عمل في الدنيا منجنيق عمل لإبراهيم بسور الكوفة في نهر يقال لها كوثى، وفي قرية يقال لها قنطانا، قال: لمّا عمل إبليس المنجنيق وأجلس فيه إبراهيم عليه السلام وأرادوا أن يرموا به في نارها أتاه جبرئيل عليه السلام فقال: السّلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته، ألك حاجة؟ قال: ما لي إليك حاجة، بعدها قال الله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[(٣)].

١٥ - ل، ع، ن: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ من هم؟ فقال عليه السلام قابيل يفرّ من هابيل، والّذي يفرّ من أمّه موسى، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم، والّذي يفرّ من صاحبته لوط، والّذي يفرّ من ابنه نوح يفرّ من ابنه كنعان[(٤)].

١٦ - ل: أبي، عن أحمد بن إدريس، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن الحسن ابن زياد، عن داود الرقّيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أضرمت النار على إبراهيم عليه السلام شكت هوامّ الأرض إلى الله عزّ وجلّ واستأذنته أن تصبّ عليها الماء، فلم يأذن الله عزّ وجلّ بشيء منها إلّا للضفدع فاحترق منه الثلثان وبقي منه الثلث، الخبر[(٥)].

١٧ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن ابن محبوب، عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، واثنان في بني إسرائيل هوّدا قومهم ونصّراهم، وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى واثنان في هذه الأمّة[(٦)].

---

(١) لم أجده في الخصال ولكنه في الأمالي للصدوق، ص ٥٢١ مجلس ٩٤ ح ٢.

(٢) الخصال، ص ٢٥٥ باب الأربعة ح ١٣٠.

(٣) تفسير فرات الكوفي، ج ١ ص ٢٦٣.

(٤) الخصال، ص ٣١٨ باب الخمسة ح ١٠٢ وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢١ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون اخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١.

(٥) الخصال، ص ٣٢٧ باب الستة ح ١٨.

(٦) الخصال، ص ٣٤٦ باب السبعة ح ١٥.

١٨ - ج: قال الصادق عليه السلام في حكمة خلق الأشياء: فأمّا البعوض والبقّ فبعض سببه أنّه جعل أرزاق الطير، وأهان بها جباراً تمرّد على الله وتجبّر، وأنكر ربوبيّته فسلّط الله عليه أضعف خلقه ليريه قدرته وعظمته وهي البعوض فدخلت في منخره حتّى وصلت إلى دماغه فقتلته[١].

١٩ - ع، ل، ن: قال أمير المؤمنين عليه السلام في جواب أسئلة الشاميّ يوم الأربعاء أُلقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار، ويوم الأربعاء وضعوه في المنجنيق، ويوم الأربعاء سلّط الله على نمرود البقّة، ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم[٢].

٢٠ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن عبّاد بن سليمان، عن محمّد بن سليمان، عن أبيه، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي الحسن موسى عليه السلام أنّه قال: يا إسحاق إنّ في النار لوادياً يقال له سقر لم يتنفّس منذ خلقه الله لو أذن الله عزّ وجلّ له في التنفّس بقدر مخيط لاحترق ما على وجه الأرض، وإنّ أهل النار ليتعوّذون من حرّ ذلك الوادي ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الوادي، لجبلاً يتعوّذ جميع أهل ذلك الوادي من حرّ ذلك الجبل ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الجبل لشعباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الجبل من حرّ ذلك الشعب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك الشعب لقليباً يتعوّذ جميع أهل ذلك الشعب من حرّ ذلك القليب ونتنه وقذره وما أعدّ الله فيه لأهله، وإنّ في ذلك القليب لحيّة يتعوّذ جميع أهل ذلك القليب من خبث تلك الحيّة ونتنها وقذرها وما أعدّ الله في أنيابها من السمّ لأهلها، وإنّ في جوف تلك الحيّة لسبعة صناديق فيها خمسة من الأمم السالفة واثنان من هذه الأمّة، قال: قلت: جعلت فداك من الخمسة، ومن الاثنان؟ قال: فأمّا الخمسة فقابيل الّذي قتل هابيل، ونمرود الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه فقال: أنا أحيي وأميت، وفرعون الّذي قال: أنا ربّكم الأعلى، ويهود الّذي هوّد اليهود، وبولس الّذي نصّر النصارى، ومن هذه الأمّة أعرابيّان[٣].

أقول: قد مضى وسيأتي مثله بأسانيد في كتاب المعاد، وكتاب الفتن.

٢١ - ع: ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أُورمة، عن داود بن أبي يزيد، عن عبد الله بن هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار فلقاه جبرئيل في الهواء وهو يهوي فقال يا إبراهيم ألك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا[٤].

٢٢ - ع: بهذا الإسناد عن ابن أُورمة، عن الحسن بن عليّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي

(١) الاحتجاج، ص ٣٤٢.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤ والخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٥ ح ١.
(٣) الخصال، ص ٣٨٩ باب السبعة ح ١٠٦.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٠ باب ٣٢ ح ٦.

عبد الله عليه السلام قال: لمّا أُلقي إبراهيم في النّار أوحى الله عزّ وجلّ إليها: وعزّتي وجلالي لئن آذيته لأعذّبنك وقال: لمّا قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ ما انتفع أحد بها ثلاثة أيّام، وما سخنت ماؤهم[١].

٢٣ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن الحسين بن عليّ، عن عمر، عن أبان، عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعادى آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود فخاصمه، فقال إبراهيم: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ الآية، وكان في عيد لهم دخل على آلهتهم، قالوا: ما اجترأ عليها إلا الفتى الّذي يعيبها ويبرء منها، فلم يجدوا له مثلة أعظم من النّار، فأخبروا نمرود فجمع له الحطب وأوقد عليه ثمّ وضعه في المنجنيق ليرمي به في النّار، وإنّ إبليس دلّ على عمل المنجنيق لابراهيم عليه السلام[٢].

٢٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أخبرني أبي عن جدّي، عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل قال: لمّا أخذ نمرود إبراهيم ليلقيه في النّار قلت: يا ربّ عبدك وخليلك ليس في أرضك أحد يعبدك غيره، قال الله تعالى: هو عبدي آخذه إذا شئت. ولمّا أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار تلقّاه جبرئيل عليه السلام في الهواء وهو يهوي إلى النار. فقال: يا إبراهيم لك حاجة؟ فقال: أمّا إليك فلا، وقال: «يا الله يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد نجّني من النار برحمتك» فأوحى الله تعالى إلى النار: كوني برداً وسلاماً على إبراهيم[٣].

٢٥ - ما: الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لنمرود مجلس يشرف منه على النار، فلمّا كان بعد ثالثة أشرف على النّار هو وآزر فإذا إبراهيم عليه السلام مع شيخ يحدّثه في روضة خضراء، قال: فالتفت نمرود إلى آزر فقال: يا آزر ما أكرم ابنك على ربّه! قال: ثمّ قال نمرود لإبراهيم: اخرج عنّي ولا تساكنّي[٤].

٢٦ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مروان، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان دعاء إبراهيم عليه السلام يومئذ: يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ثمّ توكّلت على الله فقال: كفيت. وقال: لمّا قال الله تعالى للنار: ﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ لم يعمل يومئذ نار على وجه الأرض، ولا انتفع بها أحد ثلاثة أيّام، قال: فنزل جبرئيل يحدّثه وسط النّار، قال

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٠ باب ٣٢ ح ٧. (٢) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٠٤.
(٤) الأمالي للطوسي، ص ٦٥٩ مجلس ٣٥ ح ١٣٦٢.

نمرود: من اتّخذ إلهاً فليتّخذ مثل إله إبراهيم، فقال عظيم من عظمائهم: إنّي عزّمت على النيران أن لا تحرقه، قال: فخرجت عنق من النار فأحرقته، وكان نمرود ينظر بشرفة على النار، فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام قال نمرود لآزر: اصعد بنا حتّى ننظر، فصعدا فإذا إبراهيم في روضة خضراء ومعه شيخ يحدّثه، قال: فالتفت نمرود إلى آزر فقال: ما أكرم ابنك على الله! والعرب تسمّي العمّ أباً، قال تعالى في قصّة يعقوب: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وإسماعيل كان عمّ يعقوب وقد سمّاه أباً في هذه الآية(١).

٢٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن النقّاش، عن ابن عقدة، عن عليّ بن الحسن ابن فضّال، عن أبيه، عن الرضا عليه السلام قال: لمّا رمي إبراهيم في النار دعا الله بحقّنا فجعل الله النّار عليه برداً وسلاماً(٢).

٢٨ - **م:** قال الإمام عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله في احتجاجه على اليهود: بمحمّد وآله الطيّبين نجى الله تعالى نوحاً من الكرب العظيم، وبرّد الله النار على إبراهيم وجعلها عليه سلاماً، ومكّنه في جوف النار على سرير وفراش وثير لم ير ذلك الطاغية مثله لأحد من ملوك الأرض، وأنبت من حواليه من الأشجار الخضرة النضرة النزهة وغمر ما حوله من أنواع النور بما لا يوجد إلا في فصول أربعة من السنة(٣).

٢٩ - **فض، ضه:** عن مجاهد، عن أبي عمرو وأبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وآله في خبر طويل قال: إنّ إبراهيم عليه السلام هرب به أبوه من الملك الطاغي فوضعته أمّه بين تلال بشاطىء نهر متدفّق يقال له حزران من غروب الشمس إلى إقبال اللّيل، فلمّا وضعته واستقرّ على وجه الأرض قام من تحتها يمسح وجهه ورأسه ويكثر من شهادة أن لا إله إلاّ الله، ثمّ أخذ ثوباً واتّشح به وأمّه تراه فذعرت منه ذعراً شديداً، ثمّ مضى يهرول بين يديها مادًّا عينيه إلى السماء فكان منه ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا﴾ إلى آخر الآيات(٤).

٣٠ - **ك:** أبي وابن الوليد معاً، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان أبو إبراهيم منجّماً لنمرود بن كنعان، وكان نمرود لا يصدر إلاّ عن رأيه، فنظر في النجوم ليلةً من اللّيالي فأصبح فقال: لقد رأيت في ليلتي هذه عجباً، فقال له نمرود: وما هو؟ فقال: رأيت مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، ولا يلبث إلا قليلاً حتّى يحمل به، فعجب من ذلك نمرود وقال: هل حمل به النساء؟ فقال: لا، وكان فيما أُوتي من العلم أنّه سيحرق بالنار، ولم يكن أُوتي أنّ الله

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٠٥. (٣) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٢٨٧.
(٤) روضة الواعظين، ص ٩٣.

سينجّيه، قال: فحجب النساء عن الرجال فلم يترك امرأةً إلاّ جعلت بالمدينة حتّى لا يخلص إليهنّ الرجال، قال: وباشر أبو إبراهيم امرأته فحملت به فظنّ أنّه صاحبه، فأرسل إلى نساء من القوابل لا يكون في البطن شيء إلاّ علمن به، فنظرن إلى أمّ إبراهيم فألزم الله تبارك وتعالى ذكره ما في الرحم الظهر، فقلن: ما نرى شيئاً في بطنها، فلمّا وضعت أمُّ إبراهيم [به] أراد أبوه أن يذهب به إلى نمرود، فقالت له امرأته: لا تذهب بابنك إلى نمرود فيقتله، دعني أذهب به إلى بعض الغيران أجعله فيه حتّى يأتي عليه أجله ولا تكون أنت تقتل ابنك، فقال لها: فاذهبي، فذهبت به إلى غار ثمّ أرضعته، ثمّ جعلت على باب الغار صخرة، ثمّ انصرفت عنه، فجعل الله رزقه في إبهامه فجعل يمصّها فيشرب لبناً، وجعل يشبّ في اليوم كما يشبّ غيره في الجمعة، ويشبّ في الجمعة كما يشبّ غيره في الشهر، ويشبّ في الشهر كما يشبّ غيره في السنة، فمكث ما شاء الله أن يمكث، ثمّ إنّ أمّه قالت لأبيه: لو أذنت لي أن أذهب إلى ذلك الصبيّ فأراه فعلت، قال: فعل فأتت الغار فإذا هي بإبراهيم عليه السلام وإذا عيناه تزهران كأنّهما سراجان، فأخذته وضمّته إلى صدرها وأرضعته ثمّ انصرفت عنه، فسألها أبوه عن الصبيّ فقالت: قد واريته في التراب، فمكثت تعتلّ فتخرج في الحاجة وتذهب إلى ابراهيم عليه السلام فتضمّه إليها وترضعه، ثمّ تنصرف، فلمّا تحرّك أتته أمّه كما كانت تأتيه وصنعت كما كانت تصنع، فلمّا أرادت الانصراف أخذ ثوبها، فقالت له: ما لك؟ فقال: اذهبي بي معك، فقالت له: حتّى أستأمر أباك، فلم يزل إبراهيم في الغيبة مخفياً لشخصه كاتماً لأمره حتّى ظهر فصدع بأمر الله تعالى ذكره وأظهر الله قدرته فيه(١).

٣١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق بهذا الإسناد عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان آزر عمّ إبراهيم عليه السلام منجّماً لنمرود، وكان لا يصدر إلاّ عن رأيه، فقال: لقد رأيت في ليلتي عجباً، فقال: ما هو؟ قال: إنّ مولوداً يولد في أرضنا هذه يكون هلاكنا على يديه، فحجبت الرجال عن النساء وكان تارخ وقع على أمّ إبراهيم فحملت. وساق الحديث إلى آخره(٢).

بيان: الظاهر أنّ ما رواه الراونديّ هو هذا الخبر بعينه، وإنّما غيّره ليستقيم على أُصول الإماميّة، وسيأتي القول فيه.

وقوله عليه السلام: (وجعل يشبّ في اليوم) الظاهر أنّ التشبيه في الفقرات لمحض كثرة النموّ لا في خصوص المقادير كما هو الشائع في المحاورات، ويحتمل أن يكون المراد أنّه كان يشبّ في الأُسبوع الأوّل كلّ يوم كما يشبّ غيره في أُسبوع وإلى تمام الشهر كان ينمو كلّ أُسبوع كما ينمو غيره في الشهر، وإلى تمام السنة كان نموُّه كلّ شهر كنموّ غيره في سنة.

---

(١) كمال الدين، ص ١٣٨.

(٢) قصص الأنبياء، ص ١٠٣.

٣٢ - ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن يونس بن يعقوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا دخل يوسف عليه السلام على الملك يعني نمرود قال: كيف أنت يا إبراهيم؟ قال: إنّي لست بإبراهيم، أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، قال: وهو صاحب إبراهيم الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، قال: وكان أربعمائة سنة شاباً[1].

٣٣ - سن: أبي، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عليّ بن محمّد، عن زكريّا بن يحيى رفعه إلى عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ هاتفاً يهتف به فقال: يا عليّ بن الحسين أيّ شيء كانت العلامة بين يعقوب ويوسف؟ فقال: لمّا قذف إبراهيم عليه السلام في النار هبط عليه جبرئيل عليه السلام بقميص فضّة فألبسه إيّاه ففرت عنه النار ونبت حوله النرجس، فأخذ إبراهيم عليه السلام القميص فجعله في عنق إسحاق في قصبة فضّة، وعلّقها إسحاق في عنق يعقوب، وعلّقها يعقوب في عنق يوسف عليه السلام وقال له: إن نزع هذا القميص من بدنك علمت أنّك ميّت أو قد قتلت، فلمّا دخل عليه إخوته أعطاهم القصبة وأخرجوا القميص فاحتملت الريح رائحته فألقتها على وجه يعقوب بالأردن فقال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ﴾[2].

٣٤ - شي: عن حنان بن سدير، عن رجل من أصحاب أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة لسبعة نفر: أوّلهم ابن آدم الّذي قتل أخاه ونمرود بن كنعان الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه[3].

٣٥ - أقول: روى الشيخ أحمد بن فهد في المهذّب وغيره بأسانيدهم عن المعلّى بن خنيس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم النيروز هو اليوم الّذي كسّر فيه إبراهيم عليه السلام أصنام قومه.

٣٦ - شي: عن الحارث، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّ نمرود أراد أن ينظر إلى ملك السماء فأخذ نسوراً أربعة فربّاهنّ وجعل تابوتاً من خشب وأدخل فيه رجلاً، ثمّ شدّ قوائم النسور بقوائم التابوت، ثمّ جعل في وسط التابوت عموداً وجعل في رأس العمود لحماً، فلمّا رأى النسور اللّحم طرن وطرن بالتابوت والرجل فارتفعن إلى السماء فمكث ما شاء الله، ثمّ إنّ الرجل أخرج من التابوت رأسه فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى الجبال إلا كالذرّ، ثمّ مكث ساعة فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى إلاّ الماء، ثمّ مكث ساعة فنظر إلى السماء فإذا هي على حالها، ونظر إلى الأرض فإذا هو لا يرى شيئاً، ثمّ وقع في ظلمة لم ير ما فوقه وما تحته ففزع فألقى اللّحم فاتّبعته النسور منقضات، فلمّا نظرت الجبال إليهنّ وقد أقبلن منقضات وسمعت حفيفهنّ فزعت وكادت أن تزول مخافة أمر السماء وهو قول الله: ﴿وَإِن كَانَ

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٣٧. (٢) المحاسن للبرقي كتاب السفر الحديث الأخير.
(٣) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٩ ح ٤٦٦ من سورة البقرة.

مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾(١).

٣٧ - كا: في الروضة: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن حجر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خالف إبراهيم عليه السلام قومه وعاب آلهتهم حتّى أُدخل على نمرود فخاصمهم، فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقال أبو جعفر عليه السلام: عاب آلهتهم ونظر نظرة في النجوم فقال. إنّي سقيم، قال أبو جعفر عليه السلام: والله ما كان سقيماً وما كذب، فلمّا تولّوا عنه مدبرين إلى عيد لهم دخل إبراهيم عليه السلام إلى آلهتهم بقدوم فكسرها إلاّ كبيراً لهم، ووضع القدوم في عنقه فرجعوا إلى آلهتهم فنظروا إلى ما صنع بها فقالوا: لا والله ما اجترأ عليها ولا كسّرها إلاّ الفتى الّذي كان يعيبها ويبرأ منها، فلم يجدوا له قتلة أعظم من النار، فجمع له الحطب واستجادوه حتّى إذا كان اليوم الّذي يحرق فيه برز له نمرود وجنوده وقد بني له بناء لينظر إليه كيف تأخذه النار، ووضع إبراهيم عليه السلام في منجنيق وقالت الأرض: يا ربّ ليس على ظهري أحد يعبدك غيره يحرق بالنار، قال الربّ: إن دعاني كفيته(٢).

٣٨ - كا: عليّ، عن أبيه، وعدّة من أصحابنا عن سهل جميعاً، عن ابن محبوب، عن إبراهيم بن أبي زياد الكرخيّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى ربى وكان أبوه من أهلها، وكانت أمّ إبراهيم وأمّ لوط سارة وورقة - وفي نسخة رقبة - أختين وهما ابنتان للاحج، وكان لاحج نبيّاً منذراً ولم يكن رسولاً، وكان إبراهيم عليه السلام في شبيبته على الفطرة الّتي فطر الله عزّ وجلّ الخلق عليها حتّى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتباه، وإنّه تزوّج سارة ابنة لاحج وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملّكت إبراهيم جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتّى لم يكن بأرض كوثى ربى رجل أحسن حالاً منه، وإنّ إبراهيم عليه السلام لمّا كسّر أصنام نمرود وأمر به نمرود فأوثق وعمل له حيراً وجمع له فيه الحطب وألهب فيه النّار ثمّ قذف إبراهيم عليه السلام في النّار لتحرقه، ثمّ اعتزلوها حتّى خمدت النّار ثمّ أشرفوا على الحير فإذا هم بإبراهيم سليماً مطلقاً من وثاقه، فأخبر نمرود خبره فأمرهم أن ينفوا إبراهيم من بلاده، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله، فحاجّهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإنّ حقّي عليكم أن تردّوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم، واختصموا إلى قاضي نمرود فقضى على إبراهيم عليه السلام أن يسلّم إليهم جميع ما أصاب في بلادهم، وقضى على أصحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم عليه السلام

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٥٣ ح ٥١ من سورة ابراهيم.

(٢) الروضة من الكافي الموجود مع الأصول ص ٨٤٥ ح ٥٥٩.

ما ذهب من عمره في بلادهم، وأخبر بذلك نمرود فأمرهم أن يخلّوا سبيله وسبيل ماشيته وماله وأن يخرجوه، وقال: إنّه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم وأضرّ بآلهتكم، فأخرجوا إبراهيم ولوطاً معه من بلادهم إلى الشام، فخرج إبراهيم ومعه لوط لا يفارقه وسارة، وقال لهم: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ يعني إلى بيت المقدس، فتحمّل إبراهيم عليه السلام بماشيته وماله وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدّ عليها الأغلاق غيرةً منه عليها، ومضى حتّى خرج من سلطان نمرود وسار إلى سلطان رجل من القبط يقال له عرارة، فمرّ بعاشر له فاعترضه العاشر ليعشر ما معه، فلمّا انتهى إلى العاشر ومعه التابوت قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: افتح هذا التابوت حتّى نعشر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضّة حتّى نعطي عشره ولا نفتحه، قال: فأبى العاشر إلاّ فتحه، قال: وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلمّا بدت له سارة وكانت موصوفة بالحسن والجمال قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم: هي حرمتي وابنة خالتي، فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد، فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتّى أعلم الملك حالها وحالك، قال: فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت فأتوا ليذهبوا به، فقال لهم إبراهيم عليه السلام: إنّي لست أُفارق التابوت حتّى يفارق روحي جسدي، فأخبروا الملك بذلك فأرسل الملك أن احملوه والتابوت معه، فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتّى أُدخل على الملك، فقال له الملك: افتح التابوت، فقال له إبراهيم عليه السلام: أيّها الملك إنّ فيه حرمتي وبنت خالتي وأنا مفتد فتحه بجميع ما معي، قال: فغضب الملك إبراهيم على فتحه، فلمّا رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام وجهه عنها وعنه غيرةً منه وقال: اللّهمّ احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي، فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه، فقال له الملك: إنّ إلهك هو الّذي فعل بي هذا؟ فقال له: نعم إنّ إلهي غيور يكره الحرام، وهو الّذي حال بينك وبين ما أردت من الحرام، فقال له الملك: فادع إلهك يردّ عليّ يدي فإن أجابك فلم أعرض لها، فقال إبراهيم عليه السلام: إلهي ردّ إليه يده ليكفّ عن حرمتي، قال: فردّ الله عزّ وجلّ إليه يده فأقبل الملك نحوها ببصره ثمّ عاد بيده نحوها، فأعرض إبراهيم عنه بوجهه غيرة منه وقال: اللّهمّ احبس يده عنها، قال: فيبست يده ولم تصل إليها، فقال الملك لإبراهيم عليه السلام: إنّ إلهك لغيور وإنّك لغيور فادع إلهك يردّ عليّ يدي فإنّه إن فعل لم أعد، فقال إبراهيم عليه السلام: أسأله ذلك على أنّك إن عدت لم تسألني أن أسأله، فقال له الملك: نعم، فقال إبراهيم: اللّهمّ إن كان صادقاً فردّ يده عليه فرجعت إليه يده، فلمّا رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى ورأى الآية في يده عظّم إبراهيم وهابه وأكرمه واتّقاه وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء ممّا معك فانطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة، فقال

إبراهيم عليه السلام : ما هي؟ فقال له: أحبّ أن تأذن لي أن أخدمها قبطيّة عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، قال: فأذن له إبراهيم فدعا بها فوهبها لسارة وهي هاجر أمّ إسماعيل، فسار إبراهيم بجميع ما معه، وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم إعظاماً لإبراهيم عليه السلام وهيبةً له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم: أن قف ولا تمش قدّام الجبّار المتسلّط ويمشي هو خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظّمه وهبه فإنّه مسلّط، ولا بدّ من إمرة في الأرض برّة أو فاجرة، فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: امض فإنّ إلهي أوحى إليّ الساعة أن أعظّمك وأهابك وأن أقدّمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك، فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال له إبراهيم: نعم، فقال له الملك: اشهد أنّ إلهك لرفيقٌ حليمٌ كريمٌ، وأنك ترغّبني في دينك، قال: وودّعه الملك فسار إبراهيم حتّى نزل بأعلى الشامات، وخلّف لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات، ثمّ إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعتني هاجر لعلّ الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً: فابتاع إبراهيم عليه السلام هاجر من سارة فوقع عليها فولدت إسماعيل عليه السلام [1].

إيضاح: كوثى ربى كان قرية من قرى الكوفة كما ذكره المؤرّخون، والّذي ذكره اللّغويّون هو كوثى، قال الجزريّ: كوثى العراق هي سرّة السواد وبها ولد إبراهيم الخليل عليه السلام انتهى. والشبيبة: الحداثة والشباب. قوله: (ابنة لاحج) الظاهر أنّ كلمة ابنة كانت مكرّرة فأسقط إحداهما النسّاخ لتوهّم التكرار، ويحتمل أن يكون المراد ابنة الابنة مجازاً، أو يكون المراد بلاحج ثانياً غير الأوّل. والحير بالفتح: شبه الحظيرة. ويقال: عشرت القوم أعشرهم بالضمّ: إذا أخذت عشر أموالهم. وغصب فلاناً على الشيء أي قهره. ثمّ إنّ ههنا فوائد لا بدّ من التعرّض لها:

الأولى: اعلم أنّ العامة اختلفوا في والد إبراهيم عليه السلام قال الرازيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ﴾: ظاهر هذه الآية تدلّ على أنّ اسم والد إبراهيم هو آزر، ومنهم من قال: اسمه تارخ، وقال الزجّاج: لا خلاف بين النسّابين أنّ اسمه تارخ، ومن الملحدة من جعل هذا طعناً في القرآن.

أقول: ثمّ ذكر لتوجيه ذلك وجوهاً إلى أن قال: والوجه الرابع أنّ والد إبراهيم كان تارخ وآزر كان عمّاً له، والعمّ قد يطلق عليه لفظ الأب كما حكى الله عن أولاد يعقوب أنّهم قالوا: ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ ومعلوم أنّ إسماعيل كان عمّاً ليعقوب، وقد أطلقوا عليه لفظ الأب فكذا ههنا.

أقول: ثمّ قال بعد كلام: قالت الشيعة أنّ أحداً من آباء الرسول وأجداده ما كانوا كافراً،

---

(١) الروضة من الكافي الموجود مع الأصول ص ٨٤٥ ح ٥٦٠.

وأنكروا أنّ والد إبراهيم كان كافراً، وذكروا أنّ آزركان عمّ إبراهيم وما كان والداً له واحتجّوا على قولهم بوجوه: الحجّة الأولى: أنّ آباء نبيّنا ما كانوا كفّاراً ويدلّ عليه وجوه:

منها: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ قيل: معناه أنّه كان ينقل روحه من ساجد إلى ساجد، وبهذا التقدير فالآية دالّة على أنّ جميع آباء محمّد صلوات الله عليهم أجمعين كانوا مسلمين، وحينئذ يجب القطع بأنّ والد إبراهيم كان مسلماً، ثمّ قال: وممّا يدلّ أيضاً على أنّ أحداً من آباء محمّد صلوات الله عليهم ما كانوا مشركين قوله ﷺ: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات» و قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ وذلك يوجب أن يقال: إنّ أحداً من أجداده ما كان من المشركين انتهى[(١)].

وقال الشيخ الطبرسيّ قدّس الله روحه بعد نقل ما مرّ من كلام الزجّاج: وهذا الّذي قاله الزجّاج يقوي ما قاله أصحابنا إنّ آزر كان جدّ إبراهيم لأمّه أو كان عمّه من حيث صحّ عندهم أنّ آباء النبيّ صلوات الله عليهم إلى آدم كلّهم كانوا موحّدين، وأجمعت الطائفة على ذلك انتهى[(٢)].

أقول: الأخبار الدالة على إسلام آباءِ النبيّ صلوات الله عليهم من طرق الشيعة مستفيضةٌ بل متواترةٌ، وقد عرفت إجماع الفرقة المحقّة على إسلام ولد إبراهيم بنقل المخالف والمؤالف، فالأخبار الدالّة على أنّه كان أباه حقيقة محمولةٌ على التقيّة.

الثانية: في قول إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ واختلف في معناه على أقوال:

أحدها: أنّه عليه السلام نظر في النجوم فاستدلّ بها على وقت حمّى كانت تعتوره، فقال ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ أراد أنّه قد حضر وقت علّته وزمان نوبتها، فكأنّه قال: إنّي سأسقم لا محالة وحان الوقت الّذي يعتريني فيه الحمّى، وقد يسمّى المشارف للشيء باسم الداخل فيه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾.

وثانيها: أنّه نظر في النجوم كنظرهم لأنّهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم أنّه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ فتركوه ظنّاً منهم أنّ نجمه يدلّ على سقمه.

وثالثها: أن يكون الله أعلمه بالوحي أنّه سيسقمه في وقت مستقبل، وجعل العلامة على ذلك إمّا طلوع نجم على وجه مخصوص، أو اتّصاله بآخر على وجه مخصوص، فلمّا رأى إبراهيم تلك الأمارة قال: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ تصديقاً لما أخبره الله تعالى.

ورابعها: أنّ معنى قوله: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ إنّي سقيم القلب أو الرأي حزناً من إصرار القوم على عبادة الأصنام وهي لا تسمع ولا تبصر، ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في أنّها محدثة مخلوقة مدبّرة، وتعجّبه في أنّه كيف ذهب على العقلاءِ ذلك من حالها حتّى عبدوها.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٣ المجلد ٥ ص ٣١.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٩٠.

وخامسها: أنّ معناه: نظر في النجوم نظر تفكّر فاستدلّ بها كما قصّه الله في سورة الأنعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة، وأشار بقوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ إلى أنّه في حال مهلة النظر، وليس على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم، وقد يسمّى الشكُّ بأنّه سقم كما يسمّى العلم بأنّه شفاء ذكره أبو مسلم، ولا يخفى ضعفه. هذا ما ذكره القوم من الوجوه، وقد عرفت ممّا أوردنا من الأخبار في هذا الباب وباب العصمة أنّ الظاهر منها أنّه عليه السلام أوهمهم بالنظر في النجوم موافقتهم وقال: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ تورية، وقد وردت أخبار كثيرة في تجويز الكذب والتورية عند التقيّة وفيها الاستدلال بهذه الآية وبيان أنّها لكونها على جهة التورية والمصلحة ليست بكذب، وما ذكر من الوجوه يصلح للتورية؛ وقد مرّ أنّه كان مراده حزن القلب بما يفعل بالحسين عليه السلام؛ وقيل: يمكن أن يكون على وجه التعريض بمعنى أنّ كلّ من كتب عليه الموت فهو سقيم وإن لم يكن به سقم في الحال[1].

الثالثة: قوله عليه السلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ وفي تأويله وجوه:

الأوّل: أنّه عليه السلام إنّما قال ذلك عند كمال عقله في زمان مهلة النظر فإنّه تعالى لمّا أكمل عقله وحرّك دواعيه على الفكر والتأمّل رأى الكوكب فأعظمه وأعجبه نوره وحسنه وبهاؤه، وقد كان قومه يعبدون الكواكب فقال: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ على سبيل الفكر، فلمّا غاب علم أنّ الأفول لا يجوز على الإله، فاستدلّ بذلك على أنّه محدث مخلوق، وكذلك كانت حاله في رؤية القمر والشمس، وقال في آخر كلامه: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ وكان هذا القول منه عقيب معرفته بالله تعالى وعلمه بأنّ صفات المحدثين لا تجوز عليه، ويحتمل أن يكون هذا قبل البلوغ والتكليف وبعده، والأوّل هو مختار الأكثر وهو أظهر، وإلى هذا الوجه يشير بعض الأخبار السالفة، ويمكن حملها على بعض الوجوه الآتية كما لا يخفى.

الثاني: أنّه عليه السلام كان عارفاً بعدم صلاحيّتها للربوبيّة، ولكن قال ذلك في مقام الاحتجاج على عبدة الكواكب على سبيل الفرض الشائع عند المناظرة، فكأنّه أعاد كلام الخصم ليلزم عليه المحال، ويؤيّده قوله تعالى بعد ذلك: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾.

الثالث: أن يكون المراد: هذا ربّي في زعمكم واعتقادكم، ونظيره أن يقول الموحّد للمجسّم: إنّ إلهه جسم محدود، أي في زعمه واعتقاده، وقوله تعالى: ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾.

الرابع: أنّ المراد منه الاستفهام على سبيل الإنكار إلاّ أنّه أسقط حرف الاستفهام عنه كما هو الشائع.

الخامس: أن يكون القول مضمراً فيه، والتقدير، قال: يقولون هذا ربّي، وإضمار القول

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣١٦.

كثير، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا﴾ أي يقولان.

السادس: أن يكون قوله ذلك على سبيل الاستهزاء كما يقال لذليل ساد قوماً: هذا سيّدكم! على وجه الهزء.

السابع: أنّه عليه‌السلام أراد أن يبطل قولهم بربوبيّة الكواكب إلاّ أنّه كان قد عرف من تقليدهم لأسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل أنّه لو صرّح بالدعوة إلى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا إليه، فمال إلى طريق به يستدرجهم إلى استماع الحجّة، وذلك بأنّه ذكر كلاماً يوهم كونه مساعداً لهم على مذهبهم، مع أنّ قلبه كان مطمئناً بالإيمان فكأنّه بمنزلة المكره على إجراء كلمة الكفر على اللّسان على وجه المصلحة لإحياء الخلق بالإيمان[1].

الرابعة: وجه استدلاله عليه‌السلام بالأفول على عدم صلاحيّتها للربوبيّة، قال الرازيّ في تفسيره: الأفول عبارة عن غيبوبة الشيء بعد ظهوره. وإذا عرفت هذا فلسائل أن يقول: الأُفول إنّما يدلّ على الحدوث من حيث إنّه حركة، وعلى هذا يكون الطلوع أيضاً دليلاً على الحدوث، فلمَ ترك إبراهيم عليه‌السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع، وعوّل في إثبات هذا المطلوب على الأفول؟ والجواب أنّه لا شكّ أنّ الطلوع والغروب يشتركان في الدلالة على الحدوث إلاّ أنّ الدليل الّذي يحتجُّ به الأنبياء في معرض دعوة الخلق كلّهم إلى الاله لابدّ وأن يكون ظاهراً جليّاً بحيث يشترك في فهمه الذكيّ والغبيّ والعاقل، ودلالة الحركة على الحدوث وإن كانت يقينيّة إلاّ أنّها دقيقة لا يعرفها إلاّ الأفاضل من الخلق، وأمّا دلالة الأفول فكانت على هذا المقصود أتمّ؛ وأيضاً قال بعض المحقّقين: الهويّ في خطيرة الإمكان أفول، وأحسن الكلام ما يحصل فيه حصّة الخواصّ وحصّة الأوساط وحصّة العوامّ، فالخواصُّ يفهمون من الأُفول الإمكان، وكلّ ممكن محتاج، والمحتاج لا يكون مقطعاً للحاجة، فلابدّ من الانتهاء إلى ما يكون منزّهاً عن الإمكان حتّى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ وأمّا الأوساط فإنّهم يفهمون من الأُفول مطلق الحركة، فكلّ متحرّك محدث، وكلّ محدث فهو محتاج إلى القديم القادر، فلا يكون الآفل إلهاً بل الإله هو الّذي احتاج إليه هذا الآفل، وأمّا العوامّ فإنّهم يفهمون من الأُفول الغروب وهم يشاهدون أنّ كلّ كوكب يقرب من الأُفول، فإنّه يزول نوره وينتقص ضوؤه ويذهب سلطانه ويصير كالمعدوم، ومن كان كذلك فإنّه لم يصلح للإلهيّة، فهذه الكلمة الواحدة أعني قوله: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾ كلمة مشتملة على نصيب المقرّبين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فكانت أكمل الدلائل وأفضل البراهين، وفيه دقيقة أُخرى وهي أنه عليه‌السلام إنّما كان يناظرهم وهم كانوا منجّمين، ومذهب أهل النجوم أنّ الكواكب إذا كان في الربع الشرقيّ ويكون صاعداً إلى وسط السماء كان قويّاً عظيم التأثير، وأمّا إذا كان غربيّاً وقريباً من الأُفول

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٩٣.

فإنّه يكون ضعيف الأثر، قليل القوّة، فنبّه بهذه الدقيقة على أنّ الإله هو الّذي لا يتغيّر قدرته إلى العجز، وكماله إلى النقص، ومذهبكم أنّ الكوكب حال كونه في الربع الغربيّ يكون ضعيف القوّة، ناقص التأثير، عاجزاً عن التدبير، وذلك يدلّ على القدح في إلهيّته، فظهر أنّ على قول المنجّمين للأفول مزيد اختصاص في كونه موجباً للقدح في الإلهية انتهى[1].

أقول: يمكن إرجاع كلامه عليه السلام إلى الدليل المشهور بين المتكلّمين من عدم الانفكاك عن الحوادث، والاستدلال به على إمكانها وافتقارها إلى المؤثّر، أو إلى أنّها محلّ للتغيّرات والحوادث، والواجب تعالى لا يكون كذلك، أو إلى أنّ الأفول والغروب نقص وهو لا يجوز على الصانع، أو إلى أنّ هذه الحركة الدائمة المستمرّة تدلّ على أنّها مسخّرة لصانع كما مرّ في كتاب التوحيد، والعقل يحكم بأنّ الصانع مثل هذا الخلق لا يكون مصنوعاً، أو أنّ الغيبة والحضور والطلوع والأفول من خواصّ الأجسام ويلزمها الإمكان لوجوه شتّى، ولعلّ الوجه الثاني والثالث بتوسّط ما ذكره الرازيّ أخيراً أظهر الوجوه، وأمّا ما سواهما فلايخفى بعدها، ولنقتصر على ذلك فإنّ بسط القول في تلك البراهين يوجب الإطناب الّذي عزمنا على تركه في هذا الكتاب.

الخامسة: تأويل قوله تعالى: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ ويمكن توجيهه بوجوه:

الأوّل: ما ذكره السيّد المرتضى قدّس الله روحه وهو أنّ الخبر مشروط غير مطلق لأنّه قال: ﴿إِن كَانُوا يَنطِقُونَ﴾ ومعلوم أنّ الأصنام لا تنطق، وأنّ النطق مستحيل عليها، فما علّق بهذا المستحيل من الفعل أيضاً مستحيل، وإنّما أراد إبراهيم عليه السلام بهذا القول تنبيه القوم وتوبيخهم وتعنيفهم بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يقدر أن يخبر عن نفسه بشيء، فقال: إن كانت هذه الأصنام تنطق فهي الفاعلة للتكسير، لأنّ من يجوز أن ينطق يجوز أن يفعل، وإذا علم استحالة النطق عليها علم استحالة الفعل، وعلم باستحالة الأمرين أنّه لا يجوز أن تكون آلهة معبودة، وأن من عبدها ضالّ مضلّ، ولا فرق بين قوله: إنّهم فعلوا ذلك إن كانوا ينطقون وبين قوله: إنّهم ما فعلوا ذلك ولا غيره لأنّهم لا ينطقون ولا يقدرون، وأمّا قوله: ﴿فَسْئَلُوهُمْ﴾ فإنما هو أمر بسؤالهم أيضاً على شرط، والنطق منهم شرط في الأمرين فكأنّه قال: إن كانوا ينطقون فاسألوهم فإنّه لا يمتنع أن يكونوا فعلوه، وهذا يجري مجرى قول أحدنا لغيره: من فعل هذا الفعل؟ فيقول: زيد إن كان فعل كذا وكذا، ويشير إلى فعل يضيفه السائل إلى زيد، وليس في الحقيقة من فعله ويكون غرض المسؤول نفي الأمرين عن زيد، وتنبيه السائل على خطائه في إضافة ما أضافه إلى زيد، وقد قرأ محمّد بن السميع اليمانيّ: «فعلّه كبيرهم» بتشديد اللاّم، والمعنى فلعلّه أي فلعلّ فاعل ذلك كبيرهم، وقد

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٣ المجلد ٥ ص ٤٣.

جرت عادة العرب بحذف اللّام الأولى من لعلّ انتهى[١].

الثاني: أنّه لم يكن قصد إبراهيم عليه السلام إلى أن ينسب الفعل الصادر عنه إلى الصنم، وإنّما قصد تقريره لنفسه وإثباته لها على وجه تعريضيّ، وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتاباً بخطّ رشيق وأنت تحسن الخطّ: أنت كتبت هذا؟ وصاحبك أُمّيّ لا يحسن الخطّ، فقلت له: بل كتبت أنت! كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء، لا نفيه عنك.

والثالث: أنّ إبراهيم عليه السلام غاظته تلك الأصنام حين أبصرها مصفّفة مرتّبة، فكان غيظه من كبيرتها أشدّ لما رأى من زيادة تعظيمهم لها، فأسند الفعل إليه لأنّه هو السبب في استهانته وحطمه لها، والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه.

والرابع: أن يكون حكاية لما يلزم على مذهبهم، كأنّه قال: نعم ما تنكرون أن يفعله كبيرهم فإنّ من حقّ من يعبد أو يدعى إلهاً أن يقدر على هذا وأشدّ منه، أو أنّه يلزمكم على قولكم أن لا يقدر على كسرهم إلاّ إله أكبر منهم، فإنّ غير الإله لا يقدر أن يكسر الاله.

والخامس: أنّه كنايةٌ عن غير مذكور، أي فعله من فعله، وكبيرهم ابتداء كلام.

والسادس: ما يروى عن الكسائيّ أنّه كان يقف عند قوله: ﴿كَبِيرُهُمْ﴾ ثمّ يبتدئ فيقول: ﴿هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ﴾ والمعنى: بل فعله كبيرهم وعنى نفسه لأنّ الإنسان أكبر من كلّ صنم.

أقول: قد مضى في باب العصمة الخبر الدالّ على الوجه الأوّل، ويظهر من كثير من الأخبار أنّ هذا صدر عنه عليه السلام على وجه التورية والمصلحة، ويمكن توجيه التورية ببعض الوجوه المتقدّمة.

وروى الكلينيّ، عن أبي عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن الحجّال، عن ثعلبة، عن معمّر بن عمر، عن عطا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا كذب على مصلح ثمّ تلا ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، ثمّ تلا ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ ثم قال: والله ما فعلوه وما كذب[٢].

وروى عن عليّ بن إبراهيم، عن البزنطيّ، عن حمّاد بن عثمان، عن الحسن الصيقل قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام إنّا قد روينا عن أبي جعفر عليه السلام في قول يوسف عليه السلام: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ فقال: والله ما سرقوا وما كذب، وقال إبراهيم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ فقال: والله ما فعلوا وما كذب. قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: ما عندكم فيها يا صيقل؟ قلت: ما عندنا فيها إلاّ التسليم، قال: فقال: إنّ الله أحبّ اثنين، وأبغض اثنين، أحبّ الخطر فيما بين الصفّين، وأحبّ الكذب في الإصلاح، وأبغض الخطر في الطرقات، وأبغض الكذب في غير الإصلاح، إنّ إبراهيم عليه السلام قال: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٢٣.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٨ باب الكذب ح ٢٢

وهذا إرادة الإصلاح، ودلالة على أنّهم لا يعقلون، وقال يوسف عليه السلام إرادة الإصلاح[١].

وروى عن عدّة من أصحابه، عن البرقيّ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: التقيّة من دين الله، قلت: من دين الله؟ قال: إي والله من دين الله قال يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ والله ما كانوا سرقوا شيئاً، ولقد قال إبراهيم: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾ والله ما كان سقيماً[٢].

٣ - باب اراءته عليه السلام ملكوت السماوات والارض وسؤاله احياء الموتى والكلمات التي سأل ربه وما أوحى إليه وصدر عنه من الحكم

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ «١٢٤».

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ «٢٦٠».

النجم «٥٣»: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ٣٧﴾.

الاعلى «٨٧»: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾ أي اختبره وكلّفه ﴿بِكَلِمَٰتٖ﴾ فيه خلاف، روي عن الصادق عليه السلام أنّه ما ابتلاه الله به في نومه من ذبح ولده إسماعيل أبي العرب فأتمّها إبراهيم وعزم عليها وسلم لأمر الله تعالى، فلمّا عزم قال الله تعالى ثواباً له لمّا صدّق وعمل بما أمره الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ﴾ ثم أنزل الله عليه الحنيفيّة وهي الطهارة، وهي عشرة أشياء: خمسة منها في الرأس، وخمسة منها في البدن، فأمّا الّتي في الرأس فأخذ الشارب وإعفاء اللّحى وطمُّ الشعر والسواك والخلال، وأمّا الّتي في البدن فحلق الشعر من البدن والختان وتقليم الأظفار والغسل من الجنابة والطهور بالماء؛ فهذه الحنيفيّة الطاهرة الّتي جاء بها إبراهيم عليه السلام فلم تنسخ ولا تنسخ إلى يوم القيامة، وهو قوله: ﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ﴾ ذكره عليّ بن إبراهيم في تفسيره. وقال قتادة وابن عبّاس: إنّها عشرة خصال كانت فرضاً في شرعه سنّة في شرعنا: المضمضة والاستنشاق وفرق الرأس وقصّ الشارب والسواك في الرأس، والختان وحلق العانة ونتف الإبط وتقليم الأظفار والاستنجاء بالماءِ في البدن.

وفي رواية أخرى عن ابن عبّاس أنّه ابتلاه بثلاثين خصلة من شرائع الإسلام ولم يبتل أحداً بها فأقامها كلّها إلاّ إبراهيم أتمهنّ وكتب له البراءة فقال: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ وهي عشر في

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٠٨ باب الكذب ح ١٧.

(٢) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٤٩ باب التقية ح ٣.

سورة براءة ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ إلى آخرها. وعشر في سورة الأحزاب: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إلى آخرها. وعشر في سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ وروي عشر في سورة سأل سائل إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فجعلها أربعين. وفي رواية ثالثة عن ابن عبّاس أنّه أمره بمناسك الحجّ؛ وقال الحسن: ابتلاه الله بالكوكب والقمر والشمس والختان وبذبح ابنه وبالنار وبالهجرة، فكلّهنّ وفى لله بهنّ. وقال مجاهد: ابتلاه الله بالآيات الّتي بعدها وهي قوله ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إلى آخر القصّة. وقال الجبّائيّ: أراد بذلك كلّ ما كلّفه من الطاعات العقليّة والشرعيّة، والآية محتملة لجميع هذه الاقاويل؛ وكان سعيد بن المسيّب يقول: كان إبراهيم أوّل النّاس أضاف الضيف، وأوّل النّاس اختتن، وأوّل الناس قصّ شاربه واستحذى، وأوّل النّاس رأى الشيب، فلمّا رآه قال: يا ربّ ما هذا؟ قال: هذا الوقار، قال: يا ربّ فزدني وقاراً، وهذا أيضاً قد رواه السكونيّ عن أبي عبد الله عليه السلام ولم يذكر «وأوّل من قصّ شاربه واستحذى» وزاد فيه: وأوّل من قاتل في سبيل الله إبراهيم، وأوّل من أخرج الخمس إبراهيم، وأوّل من اتّخذ النعلين إبراهيم، وأوّل من اتّخذ الرايات إبراهيم[١].

أقول: ثمّ روى رحمه الله من كتاب النبوّة للصدوق رحمه الله نحواً ممّا سيأتي من رواية المفضّل مستخرجاً من «ل ومع» مع ما أضاف إليه الصدوق من تحقيقه في ذلك.

﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي وفّى بهنّ وعمل بهنّ على التمام، وقال البلخيّ: الضمير في «أتمهنّ» عائد إلى الله تعالى، والكلمات هي الإمامة ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ المستفاد من لفظ الإمام أمران:

أحدهما: أنّه المقتدى به في أفعاله وأقواله.

والثاني: أنّه الّذي يقوم بتدبير الأمّة وسياستها، والقيام بأمورها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقّيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها، فعلى الأوّل كلّ نبيّ إمام، وعلى الثاني لا يجب في كلّ نبيّ أن يكون إماماً، إذ يجوز أن لا يكون مأموراً بتأديب الجناة، ومحاربة العداة، والدفاع عن حوزة الدين ومجاهدة الكافرين.

﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ أي واجعل من ذرّيّتي من يوشح بالإمامة ويرشح لهذه الكرامة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ قال مجاهد: العهد: الإمامة وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، واستدلّ بها أصحابنا على أنّ الإمام لا يكون إلّا معصوماً[٢].

﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً﴾ قيل: إنّها الطاووس والديك والحمام والغراب، أمر أن يقطعها ويخلط ريشها بدمها، عن مجاهد وابن جريج وعطا وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ﴾ روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ معناه: فرّقهنّ على كلّ جبل، وكانت عشرة

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٧٣.
(٢) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٧٦.

أجبل، ثمّ خذ بمناقيرهنّ وادعهنّ باسمي الأكبر واحلفهنّ بالجبروت والعظمة ﴿يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ ففعل إبراهيم ذلك وفرّقهنّ على عشرة أجبل ثمّ دعاهنّ فقال: أجبن بإذن الله، فكانت تجتمع ويتألف لحم كلّ واحد وعظمه إلى رأسه، وطارت إلى إبراهيم، وقيل: إنّ الجبال كانت سبعة؛ وقيل: أربعة؛ وقيل: أراد كلّ جبل على العموم بحسب الإمكان.

ويسأل فيقال: كيف قال: ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ﴾ ودعاء الجماد قبيحٌ؟ وجوابه أنّه أراد بذلك الإشارة إليها والإيماء لتقبل عليه إذا أحياها الله؛ وقيل: معنى الدعاء هنا الإخبار عن تكوينها أحياءً، كقوله سبحانه: ﴿قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1].

و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ أي وفي صحف إبراهيم ﴿الَّذِي وَفَّى﴾ أي تمّم وأكمل ما أمر به، وقيل: بلّغ قومه وأدّى ما أمر به إليهم؛ وقيل: أكمل ما أوجب الله عليه من الطاعات في كلّ ما أمر وامتحن به. ثمّ بيّن ما في صحفهما فقال: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الآيات[2] ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ أي قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ إلى أربع آيات. ثمّ بيّن الصحف الأولى فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وفيه دلالة على أنّ إبراهيم عليه السلام كان قد أنزل عليه الكتاب خلافاً لمن يزعم أنّه لم ينزل عليه كتاب. وروي عن أبي ذرّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنزل الله مائة وأربعة كتب: منها على إبراهيم عليه السلام عشر صحائف. وفي الحديث أنّه كان في صحف إبراهيم: ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه، عارفاً بزمانه، مقبلاً على شأنه. وقيل: إنّ كتب الله كلّها أنزلت في شهر رمضان[3].

١ - فس: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ قال: هو ما ابتلاه الله به ممّا أراه في نومه بذبح ولده فأتمّها إبراهيم عليه السلام، وساق مثل ما ذكره الطبرسيّ إلى قوله: وهو قوله: ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[4].

٢ - فس: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ قال: وفّى بما أمره الله من الأمر والنهي وذبح ابنه[5].

٣ - فس: ﴿إِنَّ هَذَا﴾ يعني ما قد تلوته من القرآن ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾[6].

٤ - فس: لمّا عزم إبراهيم على ذبح ابنه وسلّما لأمر الله قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ أي لا يكون بعهدي إمام ظالم[7].

٥ - م، ج: بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ إبراهيم الخليل لمّا رفع في الملكوت وذلك قول ربّي ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٧٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٠٠.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٣٢.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٨.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٦.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤١٣.
(٧) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٨.

﴿مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قوّى الله بصره لمّا رفعه دون السماء حتّى أبصر الأرض ومن عليها ظاهرين ومستترين، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثمّ رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثمّ رأى آخرين فدعا عليهما بالهلاك فهلكا، ثمّ رأى آخرين فهمّ بالدعاء عليهما بالهلاك فأوحى الله إليه: يا إبراهيم اكفف دعوتك عن عبادي وإمائي فإنّي أنا الغفور الرحيم الجبّار الحليم لا تضرُّني ذنوب عبادي كما لا تنفعني طاعتهم، ولست أسوسهم بشفاء الغيظ كسياستك، فاكفف دعوتك عن عبادي فإنّما أنت عبدٌ نذيرٌ، لا شريك في المملكة، ولا مهيمن عليّ ولا على عبادي، وعبادي معي بين خلال ثلاث: إمّا تابوا إليّ فتبت عليهم وغفرت ذنوبهم وسترت عيوبهم؛ وإمّا كففت عنهم عذابي لعلمي بأنّه سيخرج من أصلابهم ذرّيّات مؤمنون فأرفق بالآباء الكافرين، وأتأنّى بالأمهات الكافرات، وأرفع عنهم عذابي ليخرج ذلك المؤمن من أصلابهم، فإذا تزايلوا حقَّ بهم عذابي وحاق بهم بلائي؛ وإن لم يكن هذا ولا هذا فإنّ الّذي أعددته لهم من عذابي أعظم ممّا تريدهم به، فإنّ عذابي لعبادي على حسب جلالي وكبريائي، يا إبراهيم فخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أرحم بهم منك، وخلّ بيني وبين عبادي فإنّي أنا الجبّار الحليم العلاّم الحكيم، أدبّرهم بعلمي، وأنفذ فيهم قضائي وقدري[1].

٦ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض التفت فرأى رجلاً يزني فدعا عليه فمات، ثمّ رأى آخر فدعا عليه فمات. حتّى رأى ثلاثة فدعا عليهم فماتوا، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم دعوتك مجابة، فلا تدعو على عبادي فإنّي لو شئت لم أخلقهم، إنّي خلقت خلقي على ثلاثة أصناف، عبداً يعبدني لا يشرك بي شيئاً فأثيبه؛ وعبداً يعبد غيري فلن يفوتني؛ وعبداً يعبد غيري فأخرج من صلبه من يعبدني.

ثمّ التفت فرأى جيفةً على ساحل البحر بعضها في الماء وبعضها في البرّ، تجيء سباع البحر فتأكل ما في الماء، ثمّ ترجع فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، ويجيء سباع البرّ فتأكل منها فيشتمل بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فعند ذلك تعجب إبراهيم ممّا رأى وقال: يا ربّ أرني كيف تحيي الموتى هذه أمم يأكل بعضها بعضاً، قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئنّ قلبي - يعني حتّى أرى هذا كما رأيت الأشياء كلّها - قال: خذ أربعة من الطير فقطّعهن، واخلطهنّ كما اختلطت هذه الجيفة في هذه السباع الّتي أكل بعضها بعضاً فخلط ثمّ اجعل على كلّ جبل منهنّ جزءاً ثمّ ادعهنّ يأتينك سعياً فلمّا دعاهنّ أجبنه كانت الجبال عشرة. قال: وكانت الطيور الديك والحمامة، والطاووس والغراب[2].

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام، ص ٥١٣ ح ٣١٤ والاحتجاج ص ٣٥.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٩ باب ٣٨٥ ح ٣١.

فس: أبي، عن ابن أبي عمير إلى قوله: من يعبدني[١].

شي: عن أبي بصير مثله[٢].

إيضاح: إراءته ملكوت السماوات والأرض يحتمل أن يكون ببصر العين بأن يكون الله تعالى قوّى بصره، ورفع له كلّ منخفض وكشط له عن أطباق السماء والأرض حتّى رأى ما فيهما ببصره، وأن يكون المراد رؤية القلب بأن أنار قلبه حتّى أحاط بها علماً، والأوّل أظهر نقلاً والثاني عقلاً، والظاهر على التقديرين أنّه أحاط علماً بكلّ ما فيهما من الحوادث والكائنات، وأمّا حمله على أنّه رأى الكواكب وما خلقه الله في الأرض على وجه الاعتبار والاستبصار واستدلّ بها على إثبات الصانع فلا يخفى بعده عمّا يظهر من الأخبار.

٧ - **ع، ل:** سمعت محمّد بن عبد الله بن محمّد بن طيفور يقول في قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ الآية: إنّ الله عزّ وجلّ أمر ابراهيم عليه السلام أن يزور عبداً من عباده الصالحين فزاره، فلمّا كلّمه قال له: إنّ لله تبارك وتعالى في الدنيا عبداً يقال له إبراهيم اتّخذه خليلاً، قال إبراهيم: وما علامة ذلك العبد؟ قال: يحيي له الموتى، فوقع لإبراهيم أنّه هو، فسأله أنّ يحيي له الموتى، قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ يعني على الخلّة، ويقال: إنّه أراد أنّ يكون له في ذلك معجزة كما كانت للرّسل وإنّ إبراهيم سأل ربّه عزّ وجلّ أن يحيي له الميّت، فأمره الله عزّ وجلّ أن يميت لأجله الحيّ سواء بسواء، وهو لمّا أمره بذبح ابنه إسماعيل وإنّ الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم عليه السلام بذبح أربعة من الطير: طاووساً ونسراً وديكاً وبطّاً، فالطاووس يريد به زينة الدنيا، والنسر يريد به الأمل الطويل، والبطّ يريد به الحرص، والديك يريد به الشهوة يقول الله عزّ وجلّ: إن أحببت أن يحيى قلبك ويطمئن معي فاخرج عن هذه الأشياء الأربعة، فإذا كانت هذه الأشياء في قلب فإنّه لا يطمئنّ معي. وسألته كيف قال: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾ مع علمه بسرّه وحاله؟ فقال: إنّه لمّا قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ كان ظاهر هذه اللّفظة توهّم أنّه لم يكن بيقين، فقرره الله عزّ وجلّ بسؤاله عنه إسقاطاً للتهمة عنه وتنزيهاً له من الشكّ[٣].

٨ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن الحسين بن الحكم قال: كتبت إلى العبد الصالح عليه السلام أخبره أنّي شاكّ وقد قال إبراهيم ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ وإنّي أحبّ أن تريني شيئاً فكتب عليه السلام إلي: إنّ إبراهيم كان مؤمناً وأحبّ أنّ يزداد إيمانا وأنت شاكّ والشاكّ لا خير فيه[٤].

٩ - **ل:** ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفيّ، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن

---

(١) تفسير القمي ج ١ ص ٢١٣.
(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ١٦١ ح ٤٧٠
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٥١ باب ٣٢ ح ٨.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٣٣ باب الشك ح ١.

القاسم، عن صالح بن سهل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾ الآية، قال: أخذ الهدهد والصرد والطاووس والغراب فذبحهنّ وعزل رؤوسهنّ ثمّ نحز أبدانهنّ في المنحاز بريشهنّ ولحومهنّ وعظامهنّ حتّى اختلطت، ثمّ جزّأهنّ عشرة أجزاء على عشرة أجبل، ثمّ وضع عنده حبّاً وماءً ثمّ جعل مناقيرهنّ بين أصابعه، ثمّ قال: ائتين سعياً بإذن الله عزّ وجلّ، فتطاير بعضها إلى بعض اللّحوم والريش والعظام حتّى استوت الأبدان كما كانت، وجاء كلّ بدن حتّى التزق برقبته الّتي فيها رأسه والمنقار، فخلّى إبراهيم عن مناقيرهنّ فوقعن وشربن من ذلك الماء، والتقطن من ذلك الحبّ، ثمّ قلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم: بل الله يحيي ويميت، فهذا تفسير الظاهر.

قال عليه السلام: وتفسيره في الباطن: خذ أربعة ممّن يحتمل الكلام فاستودعهم علمك، ثمّ ابعثهم في أطراف الأرضين حججاً لك على النّاس، وإذا أردت أن يأتوك دعوتهم بالاسم الأكبر يأتوك سعياً بإذن الله عزّ وجلّ.

قال الصّدوق رحمه الله: الّذي عندي في ذلك أنّه عليه السلام أمر بالأمرين جميعاً، وروي أنّ الطيور الّتي أمر بأخذها: الطاووس والنسر والديك والبطّ[1].

بيان: قال الجوهريّ: النحز: الدقّ بالمنحاز وهو الهاون.

١٠ - **يد، ن:** تميم القرشيّ، عن أبيه، عن حمدان بن سليمان، عن عليّ بن محمّد بن الجهم قال: سأل مأمون الرضا عليه السلام عن قول إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ قال الرضا عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى كان أوحى إلى إبراهيم عليه السلام: إنّي متّخذ من عبادي خليلاً إن سألني إحياء الموتى أجبته، فوقع في نفس إبراهيم عليه السلام أنّه ذلك الخليل، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلّة ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم عليه السلام: نسراً وبطّاً وطاووساً وديكاً فقطّعهن فخلطهنّ، ثمّ جعل على كلّ جبل من الجبال الّتي حوله - وكانت عشرة - منهن جزءاً، وجعل مناقيرهنّ بين أصابعه ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ ووضع عنده حبّاً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتّى استوت الأبدان وجاء كلّ بدن حتّى انضمّ إلى رقبته ورأسه، فخلّى إبراهيم عليه السلام عن مناقيرهنّ فطرن ثمّ وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحبّ وقلن: يا نبيّ الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي الموتى وهو على كلّ شيء قدير. الخبر[2].

---

(١) الخصال، ص ٢٦٥ باب الأربعة ح ١٤٦.

(٢) التوحيد، ص ١٣٢ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٧٦ باب ١٥ ح ١.

ج: مرسلاً مثله[١].

بيان: هذا أحد وجوه التأويل في هذه الآية، وقد ذكره جماعة من المفسّرين ورووه عن ابن عبّاس وابن جبير والسدّيّ.

والثاني أنّه أحبّ أن يعلم ذلك علم عيان بعدما كان عالماً به من جهة الاستدلال والبرهان لتزول الخواطر والوساوس، وإليه يومىء خبر أبي بصير وغيره.

والثالث أنّ سبب السؤال منازعة نمرود إيّاه في الإحياء فقال: ﴿أَنَا أُحْيِ، وَأُمِيتُ﴾ وأطلق محبوساً وقتل إنساناً، فقال إبراهيم: ليس هذا بإحياء، وقال: يا ربّ أرني كيف تحيي الموتى ليعلم نمرود ذلك. وروي أنّ نمرود توعّده بالقتل إن لم يحيِ الله الميّت بحيث يشاهده فلذلك قال: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أي بأن لا يقتلني الجبّار.

١١ - **فس:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ إبراهيم عليه السلام نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكلها سباع البرّ وسباع البحر، ثمّ يثب السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضاً، فتعجّب إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ فقال الله له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ فأخذ إبراهيم الطاووس والديك والحمام والغراب، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطّعهنّ ثمّ اخلط لحماتهنّ وفرّقها على عشرة جبال ثمّ خذ مناقيرهنّ وادعهنّ يأتينك سعياً، ففعل إبراهيم ذلك وفرّقهنّ على عشرة جبال ثمّ دعاهنّ فقال: اجيبيني بإذن الله تعالى، فكانت يجتمع ويتألّف لحم كلّ واحد وعظمه إلى رأسه، وطارت إلى إبراهيم، فعند ذلك قال إبراهيم: إن الله عزيز حكيم[٢].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف ورويس عن يعقوب ﴿فَصِرْهُنَّ﴾ بكسر الصاد والباقون ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ بضم الصاد. ثمّ قال: صرته أصوره أي أملته، وصرته أصوره: قطعته. قال أبو عبيدة: فصرهنّ من الصور وهو القطع. وقال أبو الحسن: وقد قالوا بمعنى القطع أصار يصير أيضاً، فمن جعل ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بمعنى أملهنّ إليك حذف من الكلام، والمعنى أملهنّ إليك فقطّعهنّ، ومن قدّر ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ على معنى فقطّعهنّ كان لم يحتج إلى إضمار[٣]. وقال البيضاوي: أي فأملهنّ واضممهنّ إليك لتتأمّلها وتعرف شأنها لئلاّ تلتبس عليك بعد الإحياء. وقال الجوهريّ: صاره يصوره ويصيره أي أماله، وقرىء ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بضم الصاد وكسرها. قال الأخفش: يعني وجّههنّ، يقال: صر إليّ وصر

---

(١) الاحتجاج ص ٤٣٧.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٨.
(٣) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٧٦.

وجهك إليّ أي اقبل عليّ، وصرت الشيء أيضاً قطعته وفصّلته، فمن قال هذا جعل في الآية تقديماً وتأخيراً كأنه قال: خذ إليك أربعة من الطير فصرهنّ[1].

أقول: يظهر ممّا مر من الأخبار وما سيأتي أنّه بمعنى التقطيع وإن أمكن أن يكون بياناً لحاصل المعنى.

١٢ - **ل:** ابن موسى، عن العلويّ، عن جعفر بن محمّد بن مالك الكوفيّ عن محمّد بن الحسين بن زيد الزيّات، عن محمّد بن زياد الأزديّ: عن المفضّل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ما هذه الكلمات؟ قال هي الكلمات الّتي تلقّاها آدم عليه السلام من ربّه فتاب عليه، وهو أنّه قال: «يارب أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ تبت عليّ» فتاب الله عليه إنّه هو التوّاب الرحيم، فقلت له: يا ابن رسول الله فما يعني عزّ وجلّ بقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾؟ قال: يعني فأتمهن إلى القائم عليه السلام اثني عشر إماماً، تسعة من ولد الحسين عليه السلام قال المفضّل: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ قال: يعني بذلك الإمامة جعلها الله في عقب الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فكيف صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن وهما جميعاً ولدا رسول الله وسبطاه وسيّدا شباب أهل الجنّة؟ فقال عليه السلام: إنّ موسى وهارون كانا نبيّين مرسلين أخوين، فجعل الله النبوّة في صلب هارون دون صلب موسى، ولم يكن لأحد أن يقول: لمَ فعل الله ذلك؟ فإنّ الإمامة خلافة الله عزّ وجلّ ليس لأحد أن يقول: لمَ جعلها في صلب الحسين دون صلب الحسن؟ لأنّ الله هو الحكيم في أفعاله لا يسأل عمّا يفعل وهم يسألون.

ولقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ وجه آخر وما ذكرناه أصله، والابتلاء على ضربين:

أحدهما مستحيلٌ على الله تعالى ذكره والآخر جائز، فأمّا ما يستحيل فهو أن يختبره ليعلم ما تكشف الأيام عنه وهذا ما لا يصحّ، لأنّه عزّ وجلّ علاّم الغيوب. والضرب الآخر من الابتلاء أن يبتليه حتّى يصبر فيما يبتليه به فيكون ما يعطيه من العطاء على سبيل الاستحقاق، ولينظر إليه الناظر فيقتدي به فيعلم من حكمة الله عزّ وجلّ أنّه لم يكل أسباب الإمامة إلاّ إلى الكافي المستقلّ الّذي كشفت الأيّام عنه بخير، فأمّا الكلمات فمنها ما ذكرناه، ومنها اليقين، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾.

ومنها المعرفة بقدم بارئه وتوحيده وتنزيهه عن التشبيه حين نظر إلى الكوكب والقمر

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٢١.

والشمس، واستدلّ بأفول كلّ واحد منها على حدثه، وبحدثه على محدثه، ثمّ علمه بأن الحكم بالنجوم خطأ في قوله عزّوجلّ: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وإنّما قيّده الله سبحانه بالنظرة الواحدة لأنّ النظرة الواحدة لا توجب الخطاء إلا بعد النظرة الثانية بدلالة قول النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا قال لامير المؤمنين عليه السلام: يا عليّ أوّل النظرة لك، والثانية عليك لا لك.

ومنها الشجاعة وقد كشفت الأصنام عنه بدلالة قوله عزّوجلّ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ومقاومة الرجل الواحد ألوفاً من أعداء الله عزّوجلّ تمام الشجاعة. ثمّ الحلم مضمن معناه في قوله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ ثمّ السخاء وبيانه في حديث ضيف إبراهيم المكرمين. ثمّ العزلة عن أهل البيت والعشيرة مضمّن معناه في قوله: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيان ذلك في قوله عزّوجلّ: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ ودفع السيئة بالحسنة وذلك لمّا قال أبوه: ﴿أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ فقال في جواب أبيه: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ والتوكّل بيان ذلك في قوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾.

ثمّ الحكم والانتماء إلى الصالحين في قوله: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ يعني بالصالحين الّذين لا يحكمون إلاّ بحكم الله عزّوجلّ ولا يحكمون بالآراء والمقاييس حتّى يشهد له من يكون بعده من الحجج بالصدق، بيان ذلك في قوله: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أراد به هذه الأمّة الفاضلة، فأجابه الله وجعل له ولغيره من أنبيائه لسان صدق في الآخرين وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ والمحنة في النفس حين جعل في المنجنيق وقذف به في النار. ثمّ المحنة في الولد حين أمر بذبح ابنه إسماعيل. ثمّ المحنة بالأهل حين خلّص الله عزّوجلّ حرمته من عزازة القبطيّ في الخبر المذكور في هذه القصّة.

ثمّ الصبر على سوء خلق سارة. ثمّ استقصار النفس في الطاعة في قوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ثمّ النزاهة في قوله عزّوجلّ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ثمّ الجمع لأشراط الطاعات في قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ فقد جمع في قوله: ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جميع أشراط الطاعات كلّها حتّى لا يعزب عنها عازبة، ولا تغيب عن معانيها منها غائبة. ثمّ استجابة الله عزّوجلّ دعوته حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾؟ وهذه آية متشابهة معناها أنّه سأل عن الكيفية، والكيفيّة من فعل الله عزّوجلّ، متى لم يعلمها العالم لم يلحقه عيبٌ ولا عرض في توحيده نقصٌ فقال الله عزّوجلّ: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾ هذا شرط عامّ من آمن به متى سئل واحدٌ منهم أولم تؤمن؟ وجب أن يقول: بلى كما قال إبراهيم عليه السلام ولمّا قال الله عزّوجلّ لجميع أرواح بني آدم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا﴾ قال: أوّل من قال بلى محمّد صلى الله عليه وآله فصار بسبقه إلى بلى سيّد الأوّلين والآخرين وأفضل النبيّين والمرسلين، فمن لم يجب عن هذه المسألة بجواب إبراهيم فقد رغب عن ملّته، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ ثم اصطفاء الله عزّوجلّ إيّاه في الدنيا ثمّ شهادته في العاقبة أنّه من الصالحين في قوله عزّوجلّ: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والصالحون هم النبيّ والأئمّة صلوات الله عليهم، الآخذون عن الله أمره ونهيه، والملتمسون للصلاح من عنده والمجتنبون للرأي والقياس في دينه في قوله عزّوجلّ: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ثمّ اقتداء من بعده من الأنبياء عليهم السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ وفي قوله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وفي قوله عزّوجلّ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ وأشراط كلمات الإمام مأخوذة من جهته ممّا يحتاج إليه الأمّة من مصالح الدنيا والآخرة وقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ من حرف تبعيض ليعلم أنّ من الذرّية من يستحقّ الإمامة، ومنهم من لا يستحقّ الإمامة هذا من جملة المسلمين وذلك أنّه يستحيل أن يدعو إبراهيم عليه السلام بالامامة للكافر أو للمسلم الّذي ليس بمعصوم، فصحّ أنّ باب التبعيض وقع على خواصّ المؤمنين، والخواصّ إنّما صاروا خواصّاً بالبعد من الكفر، ثمّ من اجتنب الكبائر صار من جملة الخواصّ أخصّ، ثمّ المعصوم هو الخاص الأخص، ولو كان للتخصيص صورة أدنى عليه لجعل ذلك من أوصاف الإمام.

وقد سمّى الله عزّوجلّ عيسى من ذرّيّة إبراهيم وكان ابن ابنته من بعده، ولمّا صح أنّ ابن البنت ذرّيّة ودعا إبراهيم لذرّيّته بالإمامة وجب على محمّد صلى الله عليه وآله الاقتداء به في وضع الإمامة في المعصومين من ذرّيّته حذو النعل بالنعل بعدما أوحى الله عزّوجلّ إليه وحكم عليه بقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ الآية، ولو خالف ذلك لكان داخلاً في قوله عزّوجلّ: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جلّ نبيّ الله عن ذلك، وقال الله عزّوجلّ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ وأمير المؤمنين أبو ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله، ووضع الإمامة فيه وضعها في ذرّيّته المعصومين، وقوله عزّوجلّ: ﴿لَا يَنَالُ

عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عنى به أنّ الإمامة لا تصلح لمن قد عبد صنماً أو وثناً أو أشرك بالله طرفة عين وإن أسلم بعد ذلك، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وأعظم الظلم الشرك قال الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ وكذلك لا يصلح الإمامة لمن قد ارتكب من المحارم شيئاً صغيراً كان أو كبيراً وإن تاب منه بعد ذلك، وكذلك لايقيم الحد من في جنبه حدّ، فإذاً لا يكون الإمام إلاّ معصوماً، ولا تعلم عصمته إلاّ بنصّ الله عليه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله لأنّ العصمة ليست في ظاهر الخلقة فترى كالسواد والبياض وما أشبه ذلك، وهي مغيبة لا تعرف إلاّ بتعريف علاّم الغيوب عزّ وجلّ [1].

مع: الدقّاق، عن العلويّ مثله إلى آخر ما أضاف إليه من كلامه «ص ١٢٦».

بيان: قوله: (ثمّ علمه بأنّ الحكم بالنجوم خطاء) مبني على أنّ نظره عليه السلام إنّما كان موافقة للقوم والحكم بالسقم للتورية كما مرّ.

١٣ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ قال: إنّه كان يقول إذا أصبح وأمسى: «أصبحت وربّي محمود، أصبحت لا أشرك بالله شيئاً، ولا أدعو مع الله إلهاً آخر، ولا أتّخذ من دونه وليّاً فسمّي بذلك عبداً شكوراً[2].

١٤ - **ل، مع:** عليّ بن عبد الله الأسواريّ، عن أحمد بن محمّد بن قيس الشجريّ عن عمرو بن حفص، عن عبد الله بن محمّد بن أسد، عن الحسين بن إبراهيم، عن يحيى بن سعيد البصريّ، عن ابن جريح، عن عطا، عن عتبة بن عمير اللّيثيّ، عن أبي ذرّ رحمه الله عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أنزل الله على إبراهيم عشرين صحيفة، قلت: يا رسول الله ما كانت صحف إبراهيم؟ قال: كانت أمثالاً كلّها، وكان فيها: أيها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ولكن بعثتك لترد عنّي دعوة المظلوم، فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه عزّ وجلّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكّر فيما صنع الله عزّ وجلّ إليه، وساعة يخلو فيها بحظّ نفسه من الحلال، فإنّ هذه الساعة عون لتلك الساعات، واستجمام للقلوب وتوزيع لها، وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه فإنّ من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالباً لثلاث: مرمّة لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو تلذّذ في غير محرّم، قلت: يا رسول الله فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟ قال: كانت عبراً كلّها، وفيها: عجب لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟ ولمن أيقن بالنار لمَ يضحك؟ ولمن يرى الدنيا وتقلّبها بأهلها لمَ يطمئنّ إليها؟ ولمن يؤمن بالقدر كيف ينصب؟ ولمن أيقن بالحساب لمَ لا يعمل؟ قلت: يا رسول الله هل في أيدينا ممّا أنزل

---

(١) الخصال، ص ٣٠٥ باب الخمسة ح ٨٤. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٢ باب ٣٣ ح ١.

الله عليك شيء ممّا كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: يا أبا ذرّ اقرأ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾[(١)].

بيان: ما لم يكن مغلوباً أي بالمرض أو بالعدوّ أو بالمصائب أو على عقله فيكون تأكيداً. وقوله عليه السلام: (وساعة يخلو) معطوف على قوله: (ثلاث ساعات) ولعلّه كان أربع ساعات كما في الأخبار الأخر، وقوله: (ينصب) من النصب بمعنى التعب.

١٥ - **ير:** محمّد عن الجحّال، عن ثعلبة، عن عبد الرحيم، عن أبي جعفر عليه السلام في هذه الآية: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قال: كشط له عن الأرض حتّى رآها ومن فيها، وعن السماء حتّى رآها ومن فيها، والملك الّذي يحملها، والعرش ومن عليه، وكذلك أرى صاحبكم[(٢)].

شي: عن زرارة مثله[(٣)].

١٦ - **شي:** عن زرارة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قول الله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ فقال أبو جعفر: كشط له عن السماوات حتّى نظر إلى العرش وما عليه، قال: والسماوات والأرض والعرش والكرسيّ. وقال أبو عبد الله عليه السلام: كشط له عن الأرض حتّى رآها، وعن السماء وما فيها والملك الّذي يحملها، والكرسيّ وما عليه[(٤)].

١٧ - وفي رواية أخرى عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قال: أعطي بصره من القوّة ما يعدو السماوات فرأى ما فيها، ورأى العرش وما فوقه، ورأى ما في الأرض وما تحتها[(٥)].

١٨ - **ير:** أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن ابن المغيرة، عن ابن مسكان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ قال: كشط لإبراهيم عليه السلام السماوات السبع حتّى نظر إلى ما فوق العرش، وكشط له الأرض حتّى رأى ما في الهواء، وفعل بمحمّد صلى الله عليه وآله مثل ذلك، وإنّي لأرى صاحبكم والأئمّة من بعده قد فعل بهم مثل ذلك[(٦)].

شي: عن عبد الرحيم مثله «ج ١ ص ٣٩٤ ح ٣٤».

أقول: سيأتي بعض الأخبار في أبواب فضائل الأئمّة عليهم السلام.

---

(١) الخصال، ص ٥٢٣ باب العشرون ح ١٣ ومعاني الأخبار، ص ٣٣٤.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١١٢ ج ٢ باب ٢٠ ح ١ وفيه: محمد بن الحجّال...

(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ١ ص ٣٩٣ ح ٣٣ و٣٥ و٣٦ من سورة الأنعام.

(٦) بصائر الدرجات، ص ١١٣ ج ٢ باب ٢٠ ح ٢.

١٩ - **شي**: روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت الجبال عشرة وكانت الطيور الديك والحمامة والطاووس والغراب، وقال: فخذ أربعة من الطير فصرهنّ فقطّعهن بلحمهنّ وعظامهنّ وريشهنّ، ثمّ أمسك رؤوسهنّ، ثمّ فرّقهنّ على عشرة [جبال على كل] جبل منهنّ جزءاً؛ فجعل ما كان في هذا الجبل يذهب إلى هذا الجبل برأسه ولحمه ودمه، ثمّ يأتيه حتّى يضع رأسه في عنقه حتّى فرغ من أربعتهنّ(١).

٢٠ - **شي**: عن معروف بن خرّبوذ قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله لمّا أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن خذ أربعة من الطير عمد إبراهيم فأخذ النعامة والطاووس والوزّة والديك، فنتف ريشهنّ بعد الذبح، ثمّ جعلهنّ في مهراسة فهرسهنّ، ثمّ فرّقهنّ على جبال الأردنّ، وكانت يومئذ عشرة أجبال، فوضع على كلّ جبل منهنّ جزءاً، ثمّ دعاهنّ بأسمائهنّ فأقبلن إليه سعياً - يعني مسرعات - فقال إبراهيم عند ذلك: أعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير(٢).

٢١ - **شي**: عن عليّ بن أسباط، أنّ أبا الحسن الرضا عليه السلام سئل عن قول الله: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أكان في قلبه شكّ، قال: لا ولكنّه أراد من الله الزيادة في يقينه قال: والجزء واحد من عشرة(٣).

٢٢ - **شي**: عن عبد الصمد بن بشير قال: جمع لأبي جعفر جميع القضاة فقال لهم رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء؟ فلم يعلموا كم الجزء واشتكوا إليه فيه، فأبرد بريداً إلى صاحب المدينة أن يسأل جعفر بن محمّد عليه السلام: رجل أوصى بجزء من ماله فكم الجزء فقد أشكل ذلك على القضاة فلم يعلموا كم الجزء؟ فإن هو أخبرك به وإلاّ فاحمله على البريد ووجهه إليّ فأتى صاحب المدينة أبا عبد الله عليه السلام فقال له: إنّ أبا جعفر بعث إليّ أن أسألك عن رجل أوصى بجزء من ماله وسأل من قبله من القضاة فلم يخبروه ما هو، وقد كتب إليّ إن فسّرت ذلك له، وإلاّ حملتك على البريد إليه فقال أبو عبد الله عليه السلام: هذا في كتاب الله بيّن إن الله يقول - لمّا قال إبراهيم ربّ أرني كيف تحيي الموتى -: ﴿عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ فكانت الطير أربعة والجبال عشرة، يخرج الرجل من كلّ عشرة أجزاء جزءاً واحداً؛ وإنّ إبراهيم دعا بمهراس فدقّ فيه الطيور جميعاً وحبس الرؤوس عنده، ثمّ إنّه دعا بالذي أمر به فجعل ينظر إلى الريش كيف يخرج وإلى العروق عرقاً عرقاً حتّى تمّ جناحه مستوياً فأهوى نحو إبراهيم، فقال إبراهيم ببعض الرؤوس فاستقبله به، فلم يكن الرأس الّذي استقبله به لذلك البدن حتّى انتقل إليه غيره فكان موافقاً للرأس فتمّت العدّة وتمت الأبدان(٤).

٢٣ - **شي**: عن حريز بن عبد الله، عمّن ذكره، عن أحدهما عليهما السلام أنّه كان يقرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق(٥).

---

(١) - (٤) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٦٢ ح ٤٧١-٤٧٤ من سورة البقرة.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٤٥ و٤٧ من سورة إبراهيم.

٢٤ - وفي رواية أخرى عمّن ذكره، عن أحدهما أنّه قرأ: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ قال: هذه كلمة صحّفها الكتّاب إنّما كان استغفار إبراهيم لأبيه عن موعدة وعدها إيّاه وإنّما قال: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ﴾ يعني إسماعيل وإسحاق، والحسن والحسين والله ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (١).

٢٥ - **غو:** في الحديث أنّ إبراهيم عليه السلام لقي ملكاً فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، فقال: أتستطيع أن تريني الصورة الّتي تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم اعرض عنّي، فأعرض عنه فإذا هو شاب حسن الصورة، حسن الثياب، حسن الشمائل، طيّب الرائحة، فقال: ياملك الموت لو لم يلق المؤمن إلاّ حسن صورتك لكان حسبه، ثمّ قال له: هل تستطيع أن تريني الصورة الّتي تقبض فيها روح الفاجر؟ فقال: لا تطيق؛ فقال: بلى، قال: فأعرض عنّي، فأعرض عنه ثمّ التفت إليه فإذا هو رجل أسود، قائم الشعر، منتن الرائحة، أسود الثياب، يخرج من فيه ومن مناخره النيران والدخان، فغشي على إبراهيم ثمّ أفاق وقد عاد ملك الموت إلى حالته الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر إلاّ صورتك هذه لكفته(٢).

٢٦ - **كا:** عليّ، عن أبيه ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن عبد الرحمن بن سيّابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ وكانت الجبال يومئذ عشرة(٣).

٢٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه وعدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد جميعاً عن ابن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله(٤).

٢٨ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن حمّاد، عن أبان بن تغلب قال: قال أبو جعفر عليه السلام: الجزء واحد من عشرة لأنّ الجبال كانت عشرة والطيور أربعة(٥).

٢٩ - **كا:** بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: أنزل صحف إبراهيم عليه السلام في أوّل ليلة من شهر رمضان(٦).

٤ - باب جمل أحواله ووفاته عليه السلام

١ - **لي:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن محمّد بن عمران، عن أبيه عمران بن إسماعيل، عن أبي عليّ الأنصاريّ، عن محمّد بن جعفر التميمي قال: قال

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٥٢ ح ٤٥ و٤٧ من سورة إبراهيم.
(٢) غوالي اللئالي، ج ١ ص ٢٧٤ ح ١٠٠.
(٣) الكافي، ج ٧ ص ١٢٢١ باب ٢٤ ح ١
(٤) - (٥) الكافي، ج ٧ ص ١٢٢١ باب ٢٤ ح ٢ و٣.
(٦) أصول الكافي، ج ٢ ص ٦٤٧ باب النوادر ح ٦.

الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: بينا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام في جبل بيت المقدس يطلب مرعى لغنمه إذ سمع صوتاً، فإذا هو برجل قائم يصلّي، طوله اثنا عشر شبراً، فقال له: يا عبد الله لمن تصلّي؟ قال: لإله السماء، فقال له إبراهيم عليه السلام هل بقي أحد من قومك غيرك؟ قال: لا، قال: فمن أين تأكل؟ قال: أجتني من هذا الشجر في الصيف وآكله في الشتاء قال له: فأين منزلك؟ قال: فأومأ بيده إلى جبل، فقال له إبراهيم عليه السلام هل لك أن تذهب بي معك فأبيت عندك اللّيلة؟ فقال: إنّ قدّامي ماء لا يخاض، قال: كيف تصنع؟ قال: أمشي عليه، قال: فاذهب بي معك فلعلّ الله أن يرزقني ما رزقك، قال: فأخذ العابد بيده فمضيا جميعاً حتّى انتهيا إلى الماء فمشى ومشى إبراهيم عليه السلام معه حتّى انتهيا إلى منزله، فقال له إبراهيم عليه السلام: أيُّ الأيّام أعظم؟ فقال له العابد: يوم الدين، يوم يدان الناس بعضهم من بعض، قال: فهل لك أن ترفع يدك وأرفع يدي فندعو الله عزّ وجلّ أن يؤمننا من شرّ ذلك اليوم؟ فقال: وما تصنع بدعوتي فوالله إنّ لي لدعوة منذ ثلاث سنين فما أُجبت فيها بشيء؟ فقال له إبراهيم عليه السلام: أولا أُخبرك لأيّ شيء احتبست دعوتك؟ قال: بلى، قال له: إنّ الله عزّ وجلّ إذا أحبّ عبداً احتبس دعوته ليناجيه ويسأله ويطلب إليه، وإذا أبغض عبداً عجّل له دعوته أو ألقى اليأس في قلبه منها. ثمّ قال له: وما كانت دعوتك؟ قال: مرّ بي غنم ومعه غلام له ذؤابة فقلت: يا غلام لمن هذا الغنم؟ فقال: لإبراهيم خليل الرحمن، فقلت: اللّهمّ إن كان لك في الأرض خليل فأرنيه، فقال له إبراهيم: فقد استجاب الله لك أنا إبراهيم خليل الرحمن، فعانقه، فلمّا بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله جاءت المصافحة[1].

٢ - ع: ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن عثمان بن عيسى، عن أبي الجارود رفعه فيما يروي إلى عليّ عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام مرّ ببانقيا فكان يزلزل بها فبات بها فأصبح القوم ولم يزلزل بهم، فقالوا: ما هذا وليس حدث؟ قالوا: ههنا شيخ ومعه غلام له، قال: فأتوه فقالوا له: يا هذا إنّه كان يزلزل بنا كلّ ليلة ولم يزلزل بنا هذه اللّيلة فبت عندنا، فبات فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نجري عليك ما أحببت، قال: لا ولكن تبيعوني هذا الظهر ولا يزلزل بكم، قالوا: فهو لك، قال: لا آخذه إلاّ بالشرى، قالوا: فخذه بما شئت، فاشتراه بسبع نعاج وأربعة أحمرة، فلذلك سمّي بانقيا لأنّ النعاج بالنبطيّة نقيا، قال: فقال له غلامه. يا خليل الرحمن ما تصنع بهذا الظهر ليس فيه زرع ولا ضرع؟ فقال له: اسكت فإنّ الله عزّ وجلّ يحشر من هذا الظهر سبعين ألفاً يدخلون الجنّة بغير حساب يشفع الرجل منهم لكذا وكذا[2].

بيان: قال الفيروزآباديّ: بانقيا قرية بالكوفة.

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٤٤ مجلس ٤٩ ح ١١.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٩ باب ٣٨٥ ح ٣٠.

أقول: المراد به ظهر الكوفة وهو الغريّ.

٣ - **ع:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن محمّد الواسطيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم عليه السلام أنّ الأرض قد شكت إليّ الحياء من رؤية عورتك، فاجعل بينك وبينها حجاباً، فجعل شيئاً هو أكثر من الثياب ومن دون السراويل، فلبسه فكان إلى ركبتيه[١].

بيان: قوله عليه السلام: (هو أكثر من الثياب) أي زائد على سائر أثوابه، والظاهر. هو أكبر من التبّان؛ قال في النهاية: التبّان: سراويل صغير يستر العورة المغلّظة فقط، ويكثر لبسه الملاّحون.

٤ - **ع:** بإسناد العمريّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل ممّا خلق الله عزّ وجلّ الجزر؟ فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان له يوماً ضيف ولم يكن عنده ما يمون ضيفه، فقال في نفسه: أقوم إلى سقفي فأستخرج من جذوعه فأبيعه من النجّار فيعمل صنماً فلم يفعل، وخرج ومعه إزار إلى موضع وصلّى ركعتين، فجاء ملك وأخذ من ذلك الرمل والحجارة فقبضه في إزار إبراهيم عليه السلام وحمله إلى بيته كهيئة رجل، فقال لأهل إبراهيم عليه السلام: هذا إزار إبراهيم فخذيه، ففتحوا الإزار فإذا الرمل قد صار ذرة، وإذا الحجارة الطوال قد صارت جزراً. وإذا الحجارة المدوّرة قد صارت لفتاً[٢].

٥ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن الأشعريّ، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سليمان، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوّل اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل، استقبله إبراهيم فصافحه، وأوّل شجرة على وجه الأرض النخلة[٣].

٦ - **لي:** سيجيء في أخبار المعراج أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله مرّ على شيخ قاعد تحت شجرة وحوله أطفال فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من هذا الشيخ يا جبرئيل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم قال: فما هؤلاء الاطفال حوله؟ قال: هؤلاء أطفال المؤمنين حوله يغذوهم[٤].

٧ - **ع، لي:** الدقّاق، عن الصوفيّ، عن عبد الله بن موسى الطبريّ، عن محمّد بن الحسين الخشّاب، عن محمّد بن محسن، عن يونس بن ظبيان، عن الصادق، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لمّا أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم عليه السلام أهبط إليه ملك الموت فقال: السلام عليك يا إبراهيم، قال: وعليك السلام يا ملك الموت أداع أم ناع؟

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٠٩ باب ٣٨٥ ح ٢٩.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٩٨ باب ٣٧٦ ح ٣.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٢١٥ مجلس ٨ ح ٣٧٣.
(٤) أمالي الصدوق، ص ٣٦٥ مجلس ٦٩ ح ٢.

قال: بل داع يا إبراهيم فأجب، قال إبراهيم: فهل رأيت خليلاً يميت خليله؟ قال: فرجع ملك الموت حتّى وقف بين يدي الله جلّ جلاله فقال: إلهي قد سمعت بما قال خليلك إبراهيم، فقال الله جلّ جلاله: يا ملك الموت اذهب إليه وقل له: هل رأيت حبيباً يكره لقاء حبيبه، إنّ الحبيب يحبّ لقاء حبيبه(١).

بيان: المراد بالداعي أن يكون طلبه على سبيل التخيير والرضى كما هو المتعارف فيمن يدعو ضيفاً لكرامته، وبالناعي أن يكون قاهراً طالباً على الجزم والحتم، وكان غرض إبراهيم عليه السلام الشفاعة والدعاء لطلب البقاء ليكثر من عبادة ربّه إن علم الله صلاحه في ذلك.

٨ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليهما السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا قضى مناسكه رجع إلى الشام فهلك، وكان سبب هلاكه أنّ ملك الموت أتاه ليقبضه فكره إبراهيم الموت فرجع ملك الموت إلى ربّه عزّ وجلّ فقال: إنّ إبراهيم كره الموت، فقال: دع إبراهيم فإنّه يحبّ أن يعبدني؛ قال: حتّى رأى إبراهيم شيخاً كبيراً يأكل ويخرج منه ما يأكله فكره الحياة وأحبّ الموت فبلغنا أنّ إبراهيم أتى داره فإذا فيها أحسن صورة ما رآها قطّ، قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال: سبحان الله من الّذي يكره قربك وزيارتك وأنت بهذه الصورة؟ فقال: يا خليل الرحمن إنّ الله تبارك وتعالى إذا أراد بعبد خيراً بعثني إليه في هذه الصورة، وإذا أراد بعبد شرّاً بعثني إليه في غير هذه الصورة، فقبض عليه السلام بالشام، وتوفّي بعده إسماعيل وهو ابن ثلاثين ومائة سنة، فدفن في الحجر مع أمّه(٢).

٩ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن محمّد بن القاسم وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لابراهيم عليه السلام : يا إبراهيم قد كبرت فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً تقرّ أعيننا به فإنّ الله قد اتّخذك خليلاً وهو مجيب لدعوتك إن شاء، قال عليه السلام : فسأل إبراهيم ربّه أن يرزقه غلاماً عليماً فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّي واهب لك غلاماً عليماً ثمّ أبلوك بالطاعة لي، قال أبو عبد الله عليه السلام : فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين ثمّ جاءته البشارة من الله عزّ وجلّ وإنّ سارة قد قالت لإبراهيم: إنّك قد كبرت وقرب أجلك، فلو دعوت الله عزّ وجلّ أن ينسيء في أجلك وأن يمدّ لك في العمر فتعيش معنا وتقرّ أعيننا، قال: فسأل إبراهيم ربّه ذلك، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: سل من زيادة العمر ما أحببت تعطه، قال: فأخبر إبراهيم سارة بذلك فقالت له: سل الله أن لا يميتك حتّى تكون أنت الّذي تسأله الموت، قال: فسأل إبراهيم ربّه ذلك، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ذلك لك، قال: فأخبر إبراهيم سارة بما أوحى الله عزّ وجلّ إليه في ذلك فقالت سارة لإبراهيم:

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥١ باب ٣٢ ح ٩، وأمالي الصدوق، ص ١٦٤. مجلس ٣٦ ح ١.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٣ باب ٣٦ ح ١.

اشكر الله واعمل طعاماً وادع عليه الفقراء وأهل الحاجة، قال: ففعل ذلك إبراهيم ودعا إليه الناس، فكان فيمن أتى رجل كبير ضعيف مكفوف معه قائد له فأجلسه على مائدته، قال: فمدّ الأعمى يده فتناول لقمةً وأقبل بها نحو فيه فجعلت تذهب يميناً وشمالاً من ضعفه، ثمّ أهوى بيده إلى جبهته فتناول قائده يده فجاء بها إلى فمه، ثمّ تناول المكفوف لقمة فضرب بها عينه، قال: وإبراهيم عليه السلام ينظر إلى المكفوف وإلى ما يصنع، قال: فتعجّب إبراهيم من ذلك وسأل قائده عن ذلك، فقال له القائد: هذا الّذي ترى من الضعف، فقال إبراهيم في نفسه: أليس إذا كبرت أصير مثل هذا؟ ثمّ إنّ إبراهيم عليه السلام سأل الله عزّ وجلّ حيث رأى من الشيخ ما رأى فقال: اللّهمّ توفّني في الأجل الّذي كتبت لي فلا حاجة لي في الزيادة في العمر بعد الّذي رأيت[1].

١٠ - ك: أبي وابن الوليد معاً، عن سعد والحميريّ معاً، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: خرج إبراهيم ذات يوم يسير في البلاد ليعتبر فمرّ بفلاة من الأرض فإذا هو برجل قائم يصلّي قد قطع إلى السماء صوته ولباسه شعر فوقف عليه إبراهيم وعجب منه وجلس ينتظر فراغه فلمّا طال ذلك عليه حرّكه بيده وقال له: إنّ لي حاجة فخفّف، قال: فخفّف الرجل وجلس إبراهيم، فقال له إبراهيم: لمن تصلّي؟ فقال: لإله إبراهيم، فقال له: ومن إله إبراهيم؟ فقال: الّذي خلقك وخلقني، فقال له إبراهيم: لقد أعجبني نحوك وأنا أحبّ أن أؤاخيك في الله، فأين منزلك إذا أردت زيارتك ولقاءك؟ فقال له الرجل: منزلي خلف النطفة - وأشار بيده إلى البحر - وأمّا مصلاّي فهذا الموضع تصيبني فيه إذا أردتني إن شاء الله. ثمّ قال الرجل لإبراهيم: لك حاجة؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم، قال: وما هي؟ قال له تدعو الله وأؤمن على دعائك، أو أدعو أنا وتؤمن على دعائي، فقال له الرجل: وفيم تدعو الله؟ قال له إبراهيم: للمذنبين المؤمنين، فقال الرجل: لا، فقال إبراهيم: ولمَ؟ فقال: لأنّي دعوت الله منذ ثلاث سنين بدعوة لم أر إجابتها إلى الساعة وأنا أستحيي من الله أن أدعوه بدعوة حتّى أعلم أنّه قد أجابني، فقال إبراهيم: وفيما دعوته؟ فقال له الرجل: إنّي لفي مصلاّي هذا ذات يوم إذ مرّ بي غلام أروع، النور يطلع من جبينه، له ذؤابة من خلفه، معه بقر يسوقها، كأنّما دهنت دهناً، وغنم يسوقها كأنّما دخشت دخشاً. قال: فأعجبني ما رأيت منه، فقلت: يا غلام لمن هذه البقر والغنم، فقال: لي، فقلت: ومن أنت؟ فقال: أنا إسماعيل بن إبراهيم خليل الله. فدعوت الله عند ذلك وسألته أن يريني خليله، فقال له إبراهيم: فأنا إبراهيم خليل الرحمن وذلك الغلام ابني، فقال الرجل عند ذلك: الحمد لله ربّ العالمين، الّذي أجاب دعوتي، قال: ثمّ قبّل الرجل صفحتي وجه إبراهيم وعانقه، ثمّ قال: الآن فنعم فادع حتّى أؤمّن على دعائك، فدعا إبراهيم للمؤمنين والمؤمنات من يومه ذلك إلى يوم القيامة بالمغفرة والرضى عنهم، وأمن الرجل على

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٤ باب ٣٦ ح ٢.

دعائه، فقال أبو جعفر عليه السلام: فدعوة إبراهيم بالغةٌ للمذنبين المؤمنين من شيعتنا إلى يوم القيامة(١).

بيان: نحوك أي طريقتك في العبادة، أو قصدك، أو مثلك. والنطفة بالضمّ: البحر، وقيل: الماء الصافي قلّ أو كثر، والأروع من الرجال الّذي يعجبك حسنه. قوله: (كأنّما دهنت دهناً) كنايةٌ إمّا عن سمنها أي ملئت دهناً أو صفائها أي طليت به، يقال: دهنه أي طلاه بالدهن.

قوله: (كأنّما دخست) في بعض النسخ بالخاء المعجمة والسين المهملة، قال الجوهريّ: الدخيس: اللّحم المكتنز، وكلّ ذي سمن دخيس، وفي بعضها بالحاء المهملة أيضاً، قال الجزريّ: كلّ شيء ملأته فقد دخسته، وفي بعضها بالخاء والشين المعجمتين قال الفيروزآبادي: دخش كفرح: امتلأ لحماً.

١١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن يحيى اللّحّام، عن سماعة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم ناجى ربّه فقال: يا ربّ كيف ذا العيال؟ من قبل أن يجعل له من ولده خلفاً يقوم من بعده في عياله، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم أو تريد لها خلفاً منك يقوم مقامك من بعدك خيراً منّي؟! قال إبرهيم: اللّهم لا، الآن طابت نفسي(٢).

١٢ - **كا:** العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن أحمد بن أبي داود، عن عبد الله بن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من مسجد السهلة سار إبراهيم عليه السلام إلى اليمن بالعمالقة(٣).

٥ - باب أحوال أولاده وأزواجه صلوات الله عليهم وبناء البيت

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

الأنعام «٦»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ «٨٤».

---

(١) كمال الدين، ص ١٤٠.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١١٢.
(٣) الكافي، ج ٣ ص ٢٥٨ باب ٢٧٤ ح ١.

هود: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (٦٩) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ (٧٣) فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ (٧٤) إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ (٧٥) يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ (٧٦)﴾.

إبراهيم «١٤»: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٦) رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧) رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (٤١)﴾.

مريم «١٩»: ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٢) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٣)﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ «٨٥».

الحج «٢٢»: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧)﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٧)﴾.

الذاريات «٥١»: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (٢٤) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٢٥) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٦) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٧) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٢٨) فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٣٠) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣)﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس الله روحه في قوله سبحانه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾: في المقام دلالة ظاهرة على نبوّة إبراهيم عليه السلام فإنّ الله سبحانه جعل الحجر تحت قدمه كالطين

حتّى دخلت قدمه فيه فكان ذلك معجزةً له. وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: نزلت ثلاثة أحجار من الجنّة: مقام إبراهيم، وحجر بني إسرائيل، والحجر الأسود استودعه الله إبراهيم حجراً أبيض وكان أشدّ بياضاً من القراطيس فاسودّ من خطايا بني آدم.

وقال ابن عبّاس: لمّا أتى إبراهيم بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكّة وأتت على ذلك مدّة ونزلها الجرهميّون وتزوّج إسماعيل امرأةً منهم وماتت هاجر استأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر فأذنت له وشرطت عليه أن لا ينزل، فقدم إبراهيم عليه السلام وقد ماتت هاجر فذهب إلى بيت إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ فقالت: ليس هو ههنا ذهب يتصيّد، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيّد ثمّ يرجع، فقال لها إبراهيم: هل عندك ضيافة، قالت: ليس عندي شيء وما عندي أحد، فقال لها إبراهيم: إذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له: فليغيّر عتبة بابه؛ وذهب إبراهيم عليه السلام وجاء إسماعيل عليه السلام ووجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفّة بشأنه، قال: فما قال لك؟ قالت: قال لي: اقرئي زوجك السلام وقولي له: فليغيّر عتبة بابه، فطلّقها وتزوّج أخرى، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ثمّ استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لا ينزل، فجاء إبراهيم حتّى انتهى إلى باب إسماعيل فقال لامرأته: أين صاحبك؟ قالت: يتصيّد وهو يجيء الآن إن شاء الله فانزل يرحمك الله، قال لها: هل عندك ضيافة؟ قالت: نعم، فجاءت باللّبن واللّحم فدعا لها بالبركة، فلو جاءت يومئذ بخبز برّاً وشعيراً وتمراً لكان أكثر أرض الله برّاً وشعيراً وتمراً، فقالت له: انزل حتّى أغسل رأسك، فلم ينزل فجاءت بالمقام فوضعته على شقّة الأيمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شقّ رأسه الأيمن، ثمّ حوّلت المقام إلى شقّ رأسه الأيسر فبقي أثر قدمه عليه، فغسلت شقّ رأسه الأيسر، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام وقولي له: قد استقامت عتبة بابك؛ فلمّا جاء إسماعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته: هل جاءك أحد؟ قالت: نعم شيخ أحسن الناس وجهاً وأطيبهم ريحاً وقال لي كذا وكذا، وغسلت رأسه، وهذا موضع قدميه على المقام، قال لها إسماعيل: ذاك إبراهيم عليه السلام.

وقد روى هذه القصّة عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن الصادق عليه السلام وإن اختلفت بعض ألفاظه، وقال في آخرها: إذا جاء زوجك فقولي له، قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً، قال فأكبّ إسماعيل على المقام يبكي ويقبّله.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام إنّ إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل فأذنت له على أن لا يلبث عنها وأن لا ينزل عن حماره، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: إنّ الأرض طويت له. وعن ابن عمر عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنّة طمس الله نورهما، ولولا أنّ نورهما طمس لأضاء ما بين المشرق والمغرب.

أن ﴿طَهِّرَا﴾ أي قلنا لهما: طهّرا بيتي، أضاف البيت إلى نفسه تفضيلاً له على سائر البقاع. وفي التطهير وجوه:

أحدها: أنّ المراد: طهراه من الفرث والدم الّذي كان المشركون تطرحه عند البيت قبل أن يصير في يد إبراهيم وإسماعيل. وثانيها: طهّراه من الأصنام الّتي كانوا يعلقونها على باب البيت. وثالثها: طهّراه بيناكما له على الطهارة كقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ﴾.

﴿لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾ أكثر المفسّرين على أنّ الطائفين هم الدائرون حول البيت، والعاكفين هم المجاورون للبيت؛ وقيل: الطائفون: الطارئون على مكّة من الآفاق، والعاكفون: المقيمون فيها ﴿وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ هم المصلّون[1].

﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا﴾ أي مكّة ﴿بَلَدًا ءَامِنًا﴾ أي ذا أمن، قال ابن عبّاس: يريد: لا يصاد طيره، ولا يقطع شجره، ولا يختلى خلاه ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ روي عن أبي جعفر عليه السلام أنّ المراد بذلك أنّ الثمرات تحمل إليهم من الآفاق. وروي عن الصادق عليه السلام قال: إنّما هو ثمرات القلوب. أي حبّبهم إلى الناس ليثوبوا إليهم ﴿مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم﴾ إنّما خصّهم لأنّه تعالى كان قد أعلمه أنّه يكون في ذرّيّته الظالمون فخصّ بالدعاء رزق المؤمنين تأدّباً بأدب الله فيهم ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا﴾ أي قال الله قد استجبت دعوتك فيمن آمن منهم ومن كفر فأمتّعه بالرزق الّذي أرزقه إلى وقت مماته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ أي أدفعه إليها في الآخرة..

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ﴾ أي اذكر إذ يرفع ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ أي أصول البيت الّتي كانت قبل ذلك، عن ابن عبّاس وعطا قالا: قد كان آدم بناه ثمّ عفا أثره فجدّده إبراهيم وهو المرويّ عن أئمّتنا صلوات الله عليهم. وفي كتاب العياشيّ بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تعالى أنزل الحجر الأسود من الجنّة لآدم عليه السلام وكان البيت درّة بيضاء فرفعه الله تعالى إلى السماء وبقي أساسه فهو حيال هذا البيت، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً فأمر الله إبراهيم وإسماعيل أنّ يبنيا البيت على القواعد ﴿وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ أي يرفع إبراهيم وإسماعيل أساس الكعبة يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ﴾ فكان إبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة.

وروي عن الباقر عليه السلام أنّ إسماعيل أوّل من شقّ لسانه بالعربية[2]، فكان أبوه يقول له: - وهما يبنيان البيت - يا إسماعيل هابي ابن أي أعطني حجراً، فيقول له إسماعيل: يا أبت هاك حجراً، فإبراهيم يبني وإسماعيل يناوله الحجارة[3].

﴿وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي في بقيّة عمرنا كما جعلتنا مسلمين في ماضي عمرنا وقيل: أي

---

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٨٠.
(٢) أي من ولد إبراهيم عليه السلام.
(٣) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٨٤-٣٩٠.

قائمين بجميع شرائع الإسلام، مطيعين لك، لأنّ الإسلام هو الطاعة والانقياد ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ﴾ أي واجعل من أولادنا ﴿أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ أي جماعةً موحّدة منقادة لك، يعني أمّة محمّد ﷺ، روي عن الصادق عليه السلام أنّ المراد بالأمّة بنو هاشم خاصّة وإنّما خصّا بعضهم لأنّه تعالى أعلم إبراهيم أنّ في ذرّيّته من لا ينال عهده لما يرتكبه من الظلم ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ أي عرّفنا المواضع الّتي تتعلّق النسك بها لنفعله عندها ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ﴾ فيه وجوه:

أحدها: أنّهما قالا هذه الكلمة على وجه التسبيح والتعبّد والانقطاع إلى الله ليقتدي بهما النّاس فيها.

وثانيها: أنّهما سألا التوبة على ظلمة ذرّيّتهما.

وثالثها: أنّ معناه: ارجع علينا بالمغفرة والرحمة.

﴿وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ هو نبيّنا محمّد ﷺ كما قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى.

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ أي لا يترك دين إبراهيم وشريعته إلاّ من أهلك نفسه وأوبقها؛ وقيل: أضلّ نفسه؛ وقيل: جهل قدره. وقيل: جهل نفسه بما فيها من الآيات الدالّة على أنّ لها صانعاً ليس كمثله شيء.

﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي اخترناه بالرسالة ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ أي من الفائزين؛ وقيل: أي لمع الصالحين، أي مع آبائه الأنبياء في الجنّة ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ﴾ أي اصطفيناه حين قال له ربّه ﴿أَسْلِمْ﴾ واختلف في أنّه متى قيل له ذلك، فقال الحسن: كان هذا حين أفلت الشمس ورأى إبراهيم تلك الآيات والادلة وقال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ وقال ابن عبّاس: إنّما قال ذلك إبراهيم حين خرج من السرب، وإنّما قال ذلك بعد النبوة، ومعنى﴿أَسْلِمْ﴾ استقم على الإسلام واثبت على التوحيد؛ وقيل: معنى أسلم أخلص دينك بالتوحيد ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ﴾ أي أخلصت الدين لربّ العالمين ووصّى بها أي بالملّة، أو بالكلمة الّتي هي قوله: ﴿أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ووصّى بها وقيل: بكلمة التوحيد ﴿إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ﴾ إنّما خصّ البنين لأنّ إشفاقه عليهم أكثر. وهم بقبول وصيّته أجدر، وإلاّ فمن المعلوم أنّه كان يدعو جميع الأنام إلى الإسلام ﴿وَيَعْقُوبُ﴾ أي ووصّى يعقوب بنيه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ أي اختار لكم دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ أي فلا تتركوا الإسلام فيصادفكم الموت على تركه[1].

﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ﴾ قيل: كانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، عن ابن عبّاس؛ وقيل: أربعة، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ قيل: والرابع اسمه كروبيل؛ وقيل: تسعة؛ وقيل: أحد عشر وكانوا على صورة الغلمان ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ أي بالبشارة بإسحاق ونبوّته، وأنّه يولد له

(١) مجمع البيان، ج ١ ص ٣٩٢.

يعقوب. وروي عن أبي جعفر عليه السلام أنّ هذه البشارة كانت بإسماعيل من هاجر؛ وقيل: بإهلاك قوم لوط ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أي سلّمنا سلاماً، أو أصبت سلاماً، أي سلامة ﴿فَضَحِكَتْ﴾ أي تعجّباً من غفلة قوم لوط مع قرب نزول العذاب بهم؛ أو من امتناعهم عن الأكل وخدمتها إيّاهم بنفسها. وقيل: ضحكت لأنّها قالت لإبراهيم: اضمم إليك ابن أخيك إنّي أعلم أنّه سينزل بهؤلاء عذاب فضحكت سروراً لمّا أتى الأمر على ما توهّمت؛ وقيل: تعجّباً وسروراً من البشارة بإسحاق لأنّها كانت هرمت وهي بنت ثمان وتسعين أو تسع وتسعين، وقد كان شاخ زوجها، وكان ابن تسع وتسعين سنة أو مائة سنة؛ وقيل: مائة وعشرين سنة، ولم يرزق لهما ولد في حال شبابهما، ففي الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ﴾ أي بعد إسحاق، وعن ابن العبّاس: الوراء ولد الولد؛ وقيل: إنّ ضحكت بمعنى حاضت، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام يقال: ضحكت الأرنب أي حاضت ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ﴾ خبر أو دعاء ﴿يُجَٰدِلُنَا﴾ أي يجادل رسلنا ويسائلهم ﴿فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بما سيأتي في الأخبار، أو يسألهم بمَ يستحقّون العذاب؟ وكيف يقع عليهم؟ وكيف ينجّي الله المؤمنين؟ فسمّي الاستقصاء في السؤال جدالاً، فقالت الملائكة: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ القول ﴿إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ بالعذاب فهو نازلٌ بهم لا محالة[1].

﴿هَٰذَا ٱلْبَلَدَ﴾ يعني مكّة وما حولها من الحرم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ أي ضلّ بعبادتهنّ كثير من الناس ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ أي من تبعني من ذرّيّتي الّتي أسكنتهم هذا البلد على ديني في عبادة الله وحده فإنّه من جملتي وحاله كحالي ﴿فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي ساتر على العباد معاصيهم، رحيمٌ بهم في جميع أحوالهم، منعمٌ عليهم ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى﴾ يريد إسماعيل مع أمّه هاجر وهو أكبر ولده، وروي عن الباقر عليه السلام أنّه قال: نحن بقيّة تلك العترة، وقال: كانت دعوة إبراهيم لنا خاصة ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ﴾ يريد وادي مكّة وهو الأبطح إذ لم يكن بها يومئذ ماء ولا زرع ولا ضرع ﴿عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ أضاف البيت إليه إذ لم يملكه أحد سواه، ووصفه بالمحرّم لأنّه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلاّ بالإحرام، وقيل: لأنّه حرّم فيه ما أُحلّ في غيره من البيوت من الجماع والملابسة بشيء من الأقذار والدماء؛ وقيل: معناه: العظيم الحرمة ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ هذا سؤال من إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله قلوب الخلق تحنّ إلى ذلك الموضع ليكون في ذلك أُنس لذرّيّته، وليدرّ أرزاقهم على مرور الأوقات. وعن الباقر عليه السلام أنّه قال: إنّما أُمر النّاس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثمّ ينفروا إلينا فيعلمونا ولايتهم، ويعرضوا علينا نصرهم، ثمّ قرأ هذه الآية ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ﴾ قال ابن عبّاس: ولد له إسماعيل وهو ابن تسع وتسعين سنة، وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة، وقال ابن جبير: لم يولد لإبراهيم إلاّ بعد مائة وسبع

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٠٦.

عشرة سنة ﴿وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ استدلّ أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أنّ أبوي إبراهيم لم يكونا كافرين، لأنّه إنّما سأل المغفرة لهما يوم القيامة، فلو كانا كافرين لما سأل ذلك[١].

﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ﴾ أي فارقهم وهاجرهم إلى الأرض المقدّسة ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ﴾ ولداً ﴿وَيَعۡقُوبَۖ﴾ ولد ولد ﴿وَكُلًّا﴾ ﴿جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾ يقتدى به في الدين ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا﴾ أي نعمتنا سوى الأولاد والنبوّة من نعم الدين والدنيا ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ﴾ أي ثناءً حسناً في النّاس ﴿عَلِيّٗا﴾ مرتفعاً سائراً في الناس، فكلّ أهل الأديان يتولّون إبراهيم وذرّيّته ويثنون عليهم ويدّعون أنّهم على دينهم؛ وقيل: معناه: وأعلينا ذكرهم بأنّ محمّداً وأمّته يذكرونهم بالجميل إلى قيام القيامة بقولهم: كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم[٢].

﴿وَكُلًّا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ للنبوّة والرسالة، أو حكمنا بكونهم صالحين ﴿وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ أي مخلصين في العبادة[٣].

﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ﴾ أي واذكر يا محمّد إذ وطّأنا لإبراهيم ﴿مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ وعرّفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة، قال السدّيّ: إنّ الله تعالى لمّا أمره ببناء البيت لم يدر أين يبني، فبعث الله ريحاً خجوجاً فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأوّل الّذي كان البيت عليه قبل أن يرفع أيّام الطوفان.

وقال الكلبيّ: بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها رأس تتكلّم فقامت بحيال الكعبة وقالت: يا إبراهيم ابن على قدري؛ وقيل: إنّ المعنى: جعلنا البيت مثواه ومسكنه ﴿أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا﴾ أي أوحينا إليه أن لا تعبد غيري ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ من الشرك وعبادة الأوثان ﴿وَٱلۡقَآئِمِينَ﴾ أي المقيمين بمكّة، أو القائمين في الصلاة ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ﴾ أي أعلمهم بوجوب الحجّ. واختلف في المخاطب به على قولين:

أحدهما: أنّه إبراهيم عليه السلام، عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس، قال: قام في المقام فنادى: يا أيّها الناس إنّ الله دعاكم إلى الحجّ، فأجابوا: لبّيك اللّهمّ لبّيك.

والثاني: أنّ المخاطب به نبيّنا صلى الله عليه وآله، وجمهور المفسّرين على الأوّل، قالوا: أسمع الله صوت إبراهيم كلّ من سبق علمه بأنّه يحجّ إلى يوم القيامة، كما أسمع سليمان مع ارتفاع منزلته وكثرة جنوده حوله صوت النمل مع خفضه وسكونه؛ وفي رواية عطا عن ابن عبّاس قال: لمّا أمر الله إبراهيم أن ينادي في النّاس بالحجّ صعد أبا قبيس ووضع إصبعيه في أذنيه وقال: يا أيّها الناس أجيبوا ربّكم، فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال، وأوّل من أجابه أهل اليمن[٤].

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٨٣.

(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٤٢٦.

(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٠.

(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٤٤.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ وهو الذكر الحسن والولد الصالح؛ أو رضى أهل الأديان به؛ أو أنّه أري مكانه في الجنّة؛ وقيل: بقاء ضيافته عند قبره[١].

﴿ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ عند الله؛ وقيل: أكرمهم إبراهيم فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه، واختلف في عددهم فقيل: كانوا اثني عشر ملكاً؛ وقيل: كان جبرئيل ومعه سبعة أملاك؛ وقيل: كانوا ثلاثة: جبرئيل وميكائيل وملك آخر. ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ أي قال في نفسه: هؤلاء قوم لا نعرفهم ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي ذهب إليهم خفيّاً لئلاّ يمنعوه من تكلّف مأكول ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ وكان مشوياً، قال قتادة: وكان عامة مال إبراهيم البقر ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي فلمّا امتنعوا من الأكل أوجس منهم خيفةً وظنّ أنّهم يريدون به سوءاً ﴿قَالُوا۟﴾ أي الملائكة ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ أي إسماعيل؛ وقيل: هو إسحاق لأنّه من سارة وهذه القصّة لها ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ أي فلمّا سمعت البشارة سارة أقبلت في صيحة، عن ابن عبّاس وغيره؛ وقيل: في جماعة، عن الصادق عليه السلام؛ وقيل: في رنّة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجّباً؛ وقيل: لطمت وجهها ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي أنا عجوز عاقر فكيف ألد؟ ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾ أي كما قلنا لك قال ربّك إنّك ستلدين غلاماً فلا تشكي ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي فما شأنكم؟ ولأيّ أمر جئتم؟ وكأنّه قال: جئتم لأمر عظيم فما هو؟[٢].

١ - فس: قوله: ﴿طَهِّرَا بَيْتِىَ﴾ قال الصادق عليه السلام: يعني نحّ عنه المشركين، وقال: لمّا بنى إبراهيم عليه السلام البيت وحجّ الناس شكت الكعبة إلى الله تبارك وتعالى ما تلقى من أنفاس المشركين، فأوحى الله إليها قرّي كعبة فإنّي أبعث في آخر الزمان قوماً يتنظّفون بقضبان الشجر ويتخلّلون. قوله: ﴿وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ﴾ فإنّه دعا إبراهيم ربّه أن يرزق من آمن به، فقال الله: يا إبراهيم ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ أيضا أرزقه ﴿فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾[٣].

قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ فإنّه يعني من ولد إسماعيل عليه السلام فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا دعوة أبي إبراهيم عليه السلام[٤].

٢ - فس: قوله: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ يعني مكّة ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ﴾ فإنّ الأصنام لم تضلّ، وإنّما ضلّ الناس بها، قوله: ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي من ثمرات القلوب ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ يعني لكي يشكروا. وحدّثني أبي، عن حنان، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ﴾ الآية قال: نحن والله بقية تلك العترة.

قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ﴾ قال: إنّما نزلت: ولولديّ إسماعيل وإسحاق[٥].

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢١.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٢.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٩.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٧١.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٧٣.

بيان: قال في مجمع البيان: قرأ الحسين بن عليّ وأبو جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام والزهريّ وإبراهيم النخعيّ «ولولديّ» وقرأ يحيى بن يعمر «ولوُلدي»[1].

٣ - **فس:** ﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ﴾ يعني إبراهيم ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يعني لإبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام، حدّثني بذلك أبي، عن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام[2].

٤ - **فس:** ﴿نَافِلَةً﴾ قال: ولد ولد، قوله: ﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي في جماعة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي غطّته بما بشّرها جبرئيل عليه السلام بإسحاق ﴿وَقَالَتْ﴾ إنّي ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ أي لا تلد[3].

٥ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عليّ بن منصور، عن كلثوم بن عبد المؤمن الحرّانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم عليه السلام أن يحجّ ويحجّ بإسماعيل معه ويسكنه الحرم، قال: فحجّا على جمل أحمر ما معهما إلاّ جبرئيل، فلمّا بلغا الحرم قال له جبرئيل عليه السلام: يا إبراهيم انزلا فاغتسلا قبل أن تدخلا الحرم، فنزلا واغتسلا، وأراهما كيف يتهيّئا للإحرام ففعلا، ثمّ أمرهما فأهلاّ بالحجّ وأمرهما بالتلبيات الأربع الّتي لبّى بها المرسلون، ثمّ سار بهما حتّى أتى بهما باب الصفا فنزلا عن البعير وقام جبرئيل بينهما فاستقبل البيت فكبّر وكبّرا، وحمد الله وحمدا، ومجد الله ومجدا، وأثنى عليه ففعلا مثل ما فعل، وتقدّم جبرئيل وتقدّما يثنون على الله ويمجّدونه حتّى انتهى بهما إلى موضع الحجر فاستلم جبرئيل عليه السلام (الحجر خ ل) وأمرهما أن يستلما، وطاف بهما أسبوعاً، ثمّ قام بهما في موضع مقام إبراهيم فصلّى ركعتين وصلّيا، ثمّ أراهما المناسك وما يعملانه فلمّا قضيا نسكهما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم بالانصراف، وأقام إسماعيل وحده ما معه أحد غيره، فلمّا كان من قابل أذن الله عزّ وجلّ لإبراهيم في الحجّ وبناءِ الكعبة وكانت العرب تحجّ إليه وكان ردماً إلاّ أنّ قواعده معروفة، فلمّا صدر الناس جمع إسماعيل الحجارة وطرحها في جوف الكعبة، فلمّا أن أذن الله عزّ وجلّ في البناء قدم إبراهيم فقال: يا بنيّ قد أمرنا الله عزّ وجلّ ببناء الكعبة، فكشفا عنها فإذا هو حجر واحد أحمر، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ضع بناءها عليه، وأنزل الله عزّ وجلّ عليه أربعة أملاك يجمعون له الحجارة فصار إبراهيم وإسماعيل يضعان الحجارة والملائكة تناولهما حتّى تمّت اثنا عشر ذراعاً وهيّئا له باباً يدخل منه، وباباً يخرج منه، ووضع عليه عتبة وشريجاً من حديد على أبوابه، وكانت الكعبة عريانة، فلمّا ورد عليه النّاس أتى امرأة من حمير أعجبه جمالها، فسأل الله عزّ وجلّ أن يزوّجها إيّاه وكان لها بعل، فقضى الله عزّ وجلّ على بعلها الموت فأقامت بمكّة حزناً على بعلها فأسلى الله عزّ وجلّ ذلك عنها

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٨٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٥.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٠٦.

وزوجها إسماعيل، وقدم إبراهيم عليه السلام للحج وكانت امرأة موافقة وخرج إسماعيل إلى الطائف يمتار لأهله طعاماً، فنظرت إلى شيخ شعث فسألها عن حالهم فأخبرته بحسن حالهم، وسألها عنه خاصّة فأخبرته بحسن حاله، وسألها ممّن أنت؟ فقال: امرأة من حمير، فسار إبراهيم عليه السلام ولم يلق إسماعيل، وقد كتب إبراهيم كتاباً فقال: ادفعي هذا الكتاب إلى بعلك إذا أتى إن شاء الله، فقدم عليها إسماعيل عليه السلام فدفعت إليه الكتاب فقرأه وقال: أتدرين من ذلك الشيخ؟ فقالت: لقد رأيته جميلاً فيه مشابهة منك، قال: ذاك أبي، فقالت يا سوأتاه منه، قال: ولمَ؟ نظر إلى شيء من محاسنك؟ قالت: لا ولكن خفت أن أكون قد قصّرت. وقالت له امرأته وكانت عاقلة: فهلاّ نعلّق على هذين البابين سترين: ستراً من ههنا وستراً من ههنا، قال: نعم فعملا له سترين طولهما اثنا عشر ذراعاً فعلّقهما على البابين فأعجبها ذلك فقالت: فهلاّ أحوك للكعبة ثياباً ونسترها كلّها فإنّ هذه الأحجار سمجة؟ فقال لها إسماعيل: بلى، فأسرعت في ذلك وبعثت إلى قومها بصوف كثير تستغزل بهنّ، قال أبو عبد الله عليه السلام: وإنّما وقع استغزال النساء بعضهنّ من بعض لذاك، قال: فأسرعت واستعانت في ذلك، فكلّما فرغت من شقّة علّقتها فجاء الموسم وقد بقي وجه من وجوه الكعبة، فقالت لإسماعيل عليه السلام: كيف نصنع بهذا الوجه الّذي لم ندركه بكسوة فنكسوه خصفاً، فجاء الموسم فجاءته العرب على حال ما كانت تأتيه فنظروا إلى أمر فأعجبهم فقالوا: ينبغي لعامر هذا البيت أن يهدى إليه، فمن ثمّ وقع الهدي، فأتى كلّ فخذ من العرب بشيء تحمله من ورق ومن أشياء غير ذلك حتّى اجتمع شيء كثير فنزعوا ذلك الخصف وأتمّوا كسوة البيت، وعلّقوا عليها بابين، وكانت الكعبة ليست بمسقّفة، فوضع إسماعيل عليها أعمدة مثل هذه الأعمدة الّتي ترون من خشب فسقّفها إسماعيل بالجرائد وسوّاها بالطين، فجاءت العرب من الحول فدخلوا الكعبة ورأوا عمارتها فقالوا: ينبغي لعامر هذا البيت أن يزاد، فلمّا كان من قابل جاءه الهدي فلم يدر إسماعيل كيف يصنع به، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن انحره وأطعمه الحاجّ.

قال: وشكا إسماعيل قلّة الماء إلى إبراهيم عليه السلام فأوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم عليه السلام أن احتفر بئراً يكون فيها شرب الحاجّ، فنزل جبرئيل عليه السلام فاحتفر قليبهم يعني زمزم حتّى ظهر ماؤها، ثمّ قال جبرئيل: انزل يا إبراهيم، فنزل بعد جبرئيل عليه السلام، فقال: اضرب يا إبراهيم في أربع زوايا البئر وقل: بسم الله، قال: فضرب إبراهيم عليه السلام في الزاوية الّتي تلي البيت وقال: بسم الله فانفجرت عيناً ثمّ ضرب في الأخرى وقال بسم الله فانفجرت عيناً، ثمّ ضرب في الثالثة وقال بسم الله فانفجرت عيناً، ثمّ ضرب في الرابعة وقال: بسم الله فانفجرت عيناً، فقال جبرئيل عليه السلام: اشرب يا إبراهيم وادع لولدك فيها بالبركة: فخرج إبراهيم عليه السلام وجبرئيل جميعاً من البئر فقال له: افض عليك يا إبراهيم وطف حول البيت فهذه سقيا سقاها الله ولدك إسماعيل، وسار إبراهيم وشيعه إسماعيل حتّى خرج من الحرم، فذهب إبراهيم ورجع إسماعيل إلى الحرم فرزقه الله من الحميريّة ولداً ولم يكن له عقب.

قال: وتزوّج إسماعيل عليه السلام من بعدها أربع نسوة فولد له من كلّ واحدة أربعة غلمان، وقضى الله على إبراهيم الموت فلم يره إسماعيل ولم يخبر بموته حتّى كان أيّام الموسم، وتهيّأ إسماعيل عليه السلام لأبيه إبراهيم فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فعزّاه بإبراهيم عليه السلام فقال له: يا إسماعيل لا تقول في موت أبيك ما يسخط الربّ، وقال: إنّما كان عبداً دعاه الله فأجابه، وأخبره أنّه لاحق بأبيه، وكان لإسماعيل ابن صغير يحبّه وكان هوى إسماعيل فيه فأبى الله عليه ذلك، فقال: يا إسماعيل هو فلان، قال: فلمّا قضى الموت على إسماعيل دعا وصيّه فقال: يابنيّ إذا حضرك الموت فافعل كما فعلت فمن ذلك ليس يموت إمام إلاّ أخبره الله إلى من يوصي[1].

بيان: رواه في الكافي عن محمّد بن يحيى وأحمد بن إدريس، عن عيسى بن محمّد بن أيّوب عن عليّ بن مهزيار، عن الحسين بن سعيد، عن عليّ بن منصور إلى قوله: ورجع إسماعيل إلى الحرم[2].

وشريجاً من حديد في بعض النسخ هنا وفي الكافي: شرجاً. وقال الفيروزآباديُّ: الشرج محرّكة: العرى، أي علّق عليه عرى وحلقاً. والشريج لعلّه مصغّر. وحمير قبيلة من اليمن. والفخذ ككتف حيّ الرجل إذا كان من أقرب عشيرته. فقال: يا إسماعيل هو فلان أي أوحى الله إليه أنّ وصيك وخليفتك فلان مشيراً إلى غير من كان يهواه.

٦ - **فس:** أبي، عن النضر، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام فلمّا ولد له من هاجر إسماعيل عليه السلام اغتمّت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنّه لم يكن له منها ولد، وكانت تؤذي إبراهيم في هاجر فتغمّه فشكا إبراهيم ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء إن تركتها استمتعت بها، وإن أقمتها كسرتها. ثمّ أمره أن يخرج إسماعيل عليه السلام وأمّه عنها، فقال: يا ربّ إلى أي مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني وأوّل بقعة خلقتها من الأرض وهي مكّة، فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل وإبراهيم عليه السلام وكان إبراهيم لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلاّ وقال: يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا، فيقول جبرئيل: لا امض امض، حتّى وافى به مكّة، فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلمّا نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً كان معها فاستظلّوا تحته، فلمّا سرحهم إبراهيم ووضعهم وأراد الانصراف عنهم إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم لمَ تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم: الّذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم، ثمّ انصرف عنهم. فلمّا بلغ كدى وهو جبل بذي طوى التفت إليهم إبراهيم فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٠ باب ٣٨٥ ح ٣٢.
(٢) الكافي ج ٤ باب ١٣٤ ح ٣.

ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ ثمّ مضى وبقيت هاجر، فلمّا ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى فنادت: هل في الوادي من أنيس؟ فغاب إسماعيل عنها فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنّت أنّه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت فلمّا بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل ثمّ لمع لها السراب في ناحية الصفا فهبطت إلى الوادي تطلب الماء فلمّا غاب عنها إسماعيل عادت حتّى بلغت الصفا فنظرت حتّى فعلت ذلك سبع مرّات، فلمّا كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فعدت حتّى جمعت حوله رملاً فإنّه كان سائلاً فزمّته بما جعلته حوله فلذلك سمّيت زمزم، وكانت جرهم نازلة بذي المجاز وعرفات فلمّا ظهر الماء بمكّة عكفت الطير والوحش على الماء، فنظرت جرهم إلى تعكّف الطير على ذلك المكان واتّبعوها حتّى نظروا إلى امرأة وصبيّ نازلين في ذلك الموضع قد استظلاّ بشجرة وقد ظهر الماء لهما، فقالوا لهاجر: من أنت؟ وما شأنك وشأن هذا الصبيّ؟ قالت: أنا أُمّ ولد إبراهيم خليل الرحمن، وهذا ابنه أمره الله أن ينزلنا ههنا، فقالوا لها: فتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم؟ قالت لهم: حتّى يأتي إبراهيم عليه السلام، فلمّا زارهم إبراهيم يوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله إنّ ههنا قوماً من جرهم يسألونك أن تأذن لهم حتّى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم، فأذنت هاجر لجرهم فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم فأنست هاجر وإسماعيل بهم، فلمّا زارهم إبراهيم في المرّة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بذلك سروراً شديداً، فلمّا ترعرع إسماعيل عليه السلام وكانت جرهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاة وشاتين وكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها، فلمّا بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يبني البيت فقال: يا ربّ في أيّة بقعة؟ قال: في البقعة الّتي أُنزلت على آدم القبّة فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبّة الّتي أنزلها الله على آدم قائمة حتّى كان أيّام الطوفان أيّام نوح عليه السلام، فلمّا غرقت الدنيا رفع الله تلك القبّة وغرقت الدنيا إلاّ موضع البيت، فسمّيت البيت العتيق لأنّه أُعتق من الغرق، فلمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم أن يبني البيت لم يدر في أيّ مكان يبنيه، فبعث الله جبرئيل عليه السلام فخطّ له موضع البيت، فأنزل الله عليه القواعد من الجنّة، وكان الحجر الّذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضاً من الثلج، فلمّا مسّته أيدي الكفّار اسودّ، فبنى إبراهيم البيت ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى، فرفعه في السماء تسعة أذرع، ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم ووضعه في موضعه الّذي هو فيه الآن، وجعل له بابين: باباً إلى المشرق، وباباً إلى المغرب، والباب الّذي إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقى عليه الشجر والإذخر، وعلّقت هاجر على بابه كساءاً كان معها، وكانوا يكونون تحته، فلمّا بناه وفرغ منه حجّ إبراهيم وإسماعيل ونزل عليهما جبرئيل يوم التروية لثمان من ذي الحجّة فقال: يا إبراهيم قم فارتو من الماء،

لأنّه لم يكن بمنى وعرفات ماء فسمّيت التروية لذلك، ثمّ أخرجه إلى منى فبات بهافعل به ما فعل بآدم عليه السلام فقال إبراهيم عليه السلام لمّا فرغ من بناء البيت: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ قال: من ثمرات القلوب، أي حبّبهم إلى الناس ليتابوا إليهم ويعودوا إليه[1].

بيان: قوله عليه السلام: (فزمّته) قال الفيروزآباديّ: زمّه فأزمّ: شدّه. والقربة: ملأها. وماءٌ زمزم كجعفر وعلابط: كثيرٌ.

أقول: قوله: (فلذلك سمّيت) يحتمل أن يكون مبنيّاً على أنّ زمزم يكون بمعنى الحبس والمنع، أو الماء الممنوع من الجريان وإن لم يذكره اللّغويّون، ويحتمل أن يكون المراد أنّها لكثرتها وسيلانها قبل الزمّ سميت زمزم، أو أنّها لمّا منعت من السيلان واحتبست كثرت في مكان واحد فلذلك سمّيت به.

وقال الفيروزآباديّ: جرهم كقنفذ: حيّ من اليمن تزوّج فيهم إسماعيل عليه السلام وقال: ترعرع الصبيّ: تحرك ونشأ. والضمير في قوله: (إليه) راجع إلى البيت.

٧ - **ع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى وابن أبي الخطّاب معاً عن ابن محبوب، عن محمّد بن قزعة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ من قبلنا يقولون: إنّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ختن نفسه بقدوم على دنّ، فقال: سبحان الله ليس كما يقولون، كذبوا على إبراهيم عليه السلام، فقلت له: صف لي ذلك، فقال: إنّ الأنبياء عليهم السلام كانت تسقط عنهم غلفهم مع سررهم يوم السابع، فلمّا ولد لإبراهيم إسماعيل من هاجر عيّرتها سارة بما تعيّر به الإماء، قال: فبكت هاجر واشتدّ ذلك عليها، فلمّا رآها إسماعيل تبكي بكي لبكائها، قال: فدخل إبراهيم عليه السلام فقال: ما يبكيك يا إسماعيل؟ فقال: إنّ سارة عيّرت أمّي بكذا وكذا فبكت فبكيت لبكائها، فقام إبراهيم عليه السلام إلى مصلاّه فناجى ربّه عزّ وجلّ فيه، وسأله أن يلقي ذلك عن هاجر، قال: فألقاه الله عزّ وجلّ عنها، فلمّا ولدت سارة إسحاق وكان يوم السابع سقطت من إسحاق سرّته ولم تسقط غلفته، قال: فجزعت من ذلك سارة، فلمّا دخل عليها إبراهيم قالت: يا إبراهيم ما هذا الحادث الّذي قد حدث في آل إبراهيم وأولاد الأنبياء؟! هذا ابنك إسحاق قد سقطت عنه سرّته ولم تسقط عنه غلفته، فقام إبراهيم عليه السلام إلى مصلاّه فناجى فيه ربه عزّ وجلّ وقال: يا ربّ ما هذا الحادث الّذي قد حدث في آل إبراهيم وأولاد الأنبياء؟ هذا إسحاق ابني قد سقطت سرّته ولم تسقط عنه غلفته، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ: أن يا إبراهيم هذا لما عيّرت سارة هاجر، فآليت أن لا أسقط ذلك عن أحد من أولاد الأنبياء بعد تعييرها لهاجر، فاختن إسحاق بالحديد وأذقه حرّ الحديد، قال: فختن إبراهيم عليه السلام إسحاق بحديد فجرت السنّة بالختان في النّاس بعد ذلك[2].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٩.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢١٩ باب ٢٧٤ ح ١.

سن: أبي، عن ابن محبوب، عن محمّد بن قزعة مثله[١].

بيان: قال الجزريّ: إنّ زوج فريعة قتل بطرف القدوم وهو بالتخفيف والتشديد موضع على ستة أميال من المدينة، ومنه الحديث إنّ إبراهيم عليه السلام اختتن بالقدوم، وقيل: هي قرية بالشام، ويروى بغير ألف ولام، وقيل: القدوم بالتخفيف والتشديد: قدوم النجّار. وقال الفيروزآباديّ: الدنّ: الراقود العظيم وأطول من الحبّ أو أصغر منه له عسعس لا يقعد إلاّ أن يحفر له.

أقول: لعلّ المراد بما تعيّر به الإماء سواد لونهنّ فصيّرها الله بيضاء، أو النتن الّذي قد ينسب إلى الاماء فصيّرها الله عطراء، أو المملوكيّة ودناءة النسب فالمراد بإلقاء ذلك عنها صرف همّة سارة عن أذاها أو تكريمها وتشريفها بولدها، أو بالخفض الّتي صنعت بها فجعله الله سنّة وذهب عاره.

٨ - **ب:** أبو البختريّ، عن جعفر، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام إنّ الجمار إنّما رميت أنّ جبرئيل عليه السلام حين أرى إبراهيم عليه السلام المشاعر برز له إبليس فأمره جبرئيل أن يرميه فرماه بسبع حصيات، فدخل عند الجمرة الأولى تحت الأرض فأمسك، ثمّ إنّه برز له عند الثانية فرماه بسبع حصيات أخر فدخل تحت الأرض في موضع الثانية، ثمّ برز له في موضع الثالثة فرماه بسبع حصيات فدخل موضعها[٢].

٩ - **ن:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن إسماعيل بن همّام، عن الرضا عليه السلام أنّه قال لرجل: أيّ شيء السكينة عندكم؟ فلم يدر القوم ما هي، فقالوا: جعلنا الله فداك ما هي؟ قال: ريح تخرج من الجنّة طيّبة، لها صورة كصورة الإنسان، تكون مع الأنبياء عليهم السلام وهي الّتي أنزلت على إبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة فجعلت تأخذ كذا وكذا وبني الأساس عليها[٣].

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عنه عليه السلام مثله[٤].

عليّ، عن أبيه، عن ابن أسباط مثله[٥].

١٠ - **ب:** ابن عيسى، عن ابن أسباط قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أصلحك الله ما السكينة؟ قال: ريح تخرج من الجنّة لها صورة كصورة الإنسان، ورائحة طيّبة، وهي الّتي أنزلت على إبراهيم عليه السلام فأقبلت تدور حول أركان البيت وهو يضع الأساطين. الخبر[٦].

١١ - **مع:** أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجّاج،

---

(١) المحاسن ص ٣٠٠ كتاب العلل ح ٦. (٢) قرب الاسناد، ص ١٤٧ ح ٥٣٢.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٧٨ باب ٢٨ ح ٨٠.
(٤) - (٥) الكافي ج ٤ باب ١٣٤ ح ٥. (٦) قرب الاسناد، ص ٣٧٣ ح ١٣٢٧.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ قال: حاضت[1].

١٢ - **مع:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن عليّ بن مهزيار، عن البزنطيّ، عن يحيى بن عمران، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال. ولد الولد نافلة[2].

بيان: قال الرازيّ: اعلم أنّ النافلة عطيّة خاصّة وكذلك النفل، ويسمّى الرجل الكثير العطاء نوفلاً. ثمّ للمفسّرين ههنا قولان:

الأوّل: أنّه ههنا مصدر من ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ من غير لفظه، ولا فرق بين ذلك وبين قوله: ووهبنا له هبة، أي وهبنا له عطيّةً وفضلاً من غير أن يكون جزاءً مستحقاً، وهذا قول مجاهد وعطا.

والثاني: وهو قول أبي بن كعب وابن عبّاس وقتادة والفرّاء والزجّاج أنّ إبراهيم لمّا سأل الله تعالى ولداً قال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فأجاب دعاءه ووهب له إسحاق، وأعطاه يعقوب من غير دعاء، فكان ذلك نافلةً كالشيء المتطوّع من الآدميّين انتهى[3].

وقال البيضاويّ: ﴿نَافِلَةً﴾ عطيّة فهو حال منهما، أو ولد ولد أو زيادة على ما سأل وهو إسحاق فيختصّ بيعقوب، ولا بأس به للقرينة، وقال الجوهريّ: النافلة ولد الولد[4].

١٣ - **ع:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن عليّ بن النعمان، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل دفن أمّه في الحجر وجعله عليّاً، وجعل عليها حائطاً لئلاّ يوطأ قبرها[5].

ص: بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان مثله، وليس فيه (وجعله عليّاً) «ص ١١١».

كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن النعمان مثله[6].

١٤ - **كا:** الحسين بن محمّد، عن المعلّى، عن الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان، عن الحسن بن نعمان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عمّا زادوا في المسجد الحرام، فقال: إنّ إبراهيم وإسماعيل حدّا المسجد الحرام ما بين الصفا والمروة[7].

١٥ - وفي رواية أخرى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطّ إبراهيم عليه السلام بمكّة ما بين الحزورة إلى المسعى فذلك الّذي خطّ إبراهيم عليه السلام يعني المسجد[8].

١٦ - **ع:** ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عمّن

(١) - (٢) معاني الأخبار، ص ٢٢٤-٢٢٥. (٣) تفسير فخر الرازي، ج ٢٢ المجلد ٨ ص ١٦٠.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢١. (٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٢ باب ٣٤ ح ١.
(٦) - (٨) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٤ باب ١٣٤ ح ١٣ و١١ و١٢.

ذكره، عن مجاهد، عن ابن عبّاس قال: كانت الخيل العراب وحوشاً بأرض العرب، فلمّا رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت قال: إنّي قد أعطيتك كنزاً لم أعطه أحداً كان قبلك قال: فخرج إبراهيم وإسماعيل حتّى صعدا جياداً فقالا: ألا هلا ألا هلمّ، فلم يبق في أرض العرب فرس إلاّ أتاه وتذلّل له وأعطت بنواصيها، وإنّما سمّيت جياداً لهذا، فما زالت الخيل بعد تدعو الله أن يحبّبها إلى أربابها، فلم تزل الخيل حتّى اتّخذها سليمان فلمّا ألهته أمر بها أن يمسح رقابها وسوقها حتّى بقي أربعون فرساً[1].

بيان: قال الجوهريّ: جاد الفرس أي صار رائعاً يجود جودة بالضمّ فهو جواد للذكر والأنثى من خيل جياد وأجياد وأجاويد. والأجياد جبل بمكّة سمّي بذلك لموضع خيل تبّع. وقال: هلا زجر للخيل، وهال مثله أي اقربي.

أقول: لعلّ الجبل كان يسمّى بالجياد أيضاً، أو يكون الألف سقط من النسّاخ كما سيأتي.

١٧ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ببنيان البيت وتمّ بناؤه أمره أن يصعد ركناً ثمّ ينادي في الناس: ألا هلمّ الحجّ، فلو نادى هلمّوا إلى الحجّ لم يحجّ إلاّ من كان يومئذ إنسيّاً مخلوقاً، ولكن نادى هلمّ الحجّ، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبّيك داعي الله لبّيك داعي الله، فمن لبّى عشراً حجّ عشراً، ومن لبّى خمساً حجّ خمساً، ومن لبّى أكثر فبعدد ذلك، ومن لبّى واحداً حجّ واحداً، ومن لم يلبّ لم يحجّ[2].

كا: العدّة، عن ابن عيسى مثله «ج ٤ باب ١٣٤ ح ٦».

إيضاح: الظاهر أنّ الفرق باعتبار أنّ الأصل في الخطاب أن يكون متوجّهاً إلى الموجودين، وأمّا شمول الحكم للمعدومين فيستفاد من دلائل أخر لا من نفس الخطاب إلاّ أن يكون المراد بالخطاب الخطاب العامّ المتوجّه إلى كلّ من يصلح للخطاب فإنّه شامل للواحد والكثير والموجود والمعدوم، والشائع في مثل هذا الخطاب أن يكون بلفظ المفرد، بل صرّح بعض أهل العربيّة بأنّه لا يتأتّى إلا بالمفرد، وعلى ما روينا موافقاً للكافي من سقوط كلمة «إلى» في المفرد ووجودها في الجمع يمكن أن يكون هذا مناط الفرق بأن يكون في المفرد المخاطب الحجّ مجازاً لبيان كونه مطلوباً من غير خصوصيّة شخص أي هلمَّ أيّها الحجّ، وفي الفقيه كلمة «إلى» موجودة في المواضع، وفيه عند ذكر المفرد في الموضعين نادى، وعند ذكر الجمع ناداهم، ولذا قال بعض الأفاضل: ليس المناط الفرق بين إفراد الصيغة وجمعها، بل ما في الحديث بيان للواقعة، والمراد أنّ إبراهيم عليه السلام نادى هلمَّ إلى الحجّ بلا قصد إلى منادى معيّن أي الموجودين فلذا يعمّ الموجودين والمعدومين، فلو ناداهم

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٣ باب ٣٥ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٤ باب ١٥٨ ح ١.

أي الموجودين وقال: هلمّوا إلى الحجّ قاصداً إلى الموجودين لكان الحجّ مخصوصاً بالموجودين، فضمير «هم» في ناداهم راجع إلى الناس الموجودين، فالمناط قصد المنادى المعيّن المشعر إليه بلفظ «هم» في إحدى العبارتين، وعدم القصد في الأُخرى المشعر إليه بذكر «نادى» مطلقاً لا الإفراد والجمع.

١٨ - ع: أبي، عن سعد، عن أحمد وعليّ ابني الحسن بن عليّ بن فضّال، عن أبيهما عن غالب بن عثمان، عن رجل من أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله جلّ جلاله لمّا أمر إبراهيم ينادي في النّاس بالحجّ قام على المقام فارتفع به حتّى صار بإزاء أبي قبيس فنادى في النّاس بالحجّ فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى أن تقوم الساعة[1].

١٩ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا خلّف إسماعيل بمكّة عطش الصبيّ وكان فيما بين الصفا والمروة شجر فخرجت أمّه حتّى قامت على الصفا فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحدٌ، فمضت حتّى انتهت إلى المروة فقالت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحدٌ، ثمّ رجعت إلى الصفا فقالت كذلك حتّى صنعت ذلك سبعاً، فأجرى الله ذلك سنّة، فأتاها جبرئيل عليه السلام فقال لها: من أنت؟ فقالت: أنا أمّ ولد إبراهيم. فقال: إلى من وكلكم؟ فقالت: أما إذا قلت ذلك فقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم إلى من تكلنا؟ فقال: إلى الله عزّ وجلّ، فقال جبرئيل عليه السلام: لقد وكلكم إلى كاف، قال: وكان النّاس يتجنّبون الممرّ بمكّة لمكان الماء، ففحص الصبيّ برجله فنبعت زمزم، ورجعت من المروة إلى الصبي وقد نبع الماء فأقبلت تجمع التراب حوله مخافة أن يسيح الماء ولو تركته لكان سيحاً، قال: فلمّا رأت الطير الماء حلقت عليه، قال: فمرّ ركب من اليمن فلمّا رأوا الطير حلقت عليه قالوا: ما حلقت إلاّ على ماء فأتوهم فسقوهم من الماء وأطعموهم الركب من الطعام وأجرى الله عزّ وجلّ لهم بذلك رزقاً، فكانت الركب تمرّ بمكّة فيطعمونهم من الطعام ويسقونهم من الماء[2].

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير مثله[3].

٢٠ - ع: أبي، عن ابن عامر، عن عمّه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان، عن عبيد الله الحلبيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته لمَ جعلت التلبية؟ فقال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم: وأذّن في النّاس بالحجّ يأتوك رجالاً، فنادى فأُجيب من كلّ فجّ (عميق خ) يلبّون[4].

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٤ باب ١٥٨ ح ٢.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٨ باب ١٦٦ ح ١.
(٣) الكافي ج ٤ باب ١٣٤ ح ٢.
(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٢٠ باب ١٥٧ ح ١.

٢١ - ع: ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن محمّد بن سنان، عن طلحة ابن زيد، عن عبدوس بن أبي عيدة قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: أوّل من ركب الخيل إسماعيل وكانت وحشيّة لا تركب فحشرها الله عزّ وجلّ على إسماعيل من جبل منى، وإنّما سمّيت الخيل العراب لأنّ أوّل من ركبها إسماعيل(١).

٢٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن أبي جميلة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ بنات الأنبياء صلوات الله عليهم لا يطمثن، إنّما الطمث عقوبة وأوّل من طمثت سارة(٢).

٢٣ - ع: أبي، عن سعد، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: صار السعي بين الصفا والمروة لأنّ إبراهيم عليه السلام عرض له إبليس فأمره جبرئيل عليه السلام فشدّ عليه، فهرب منه فجرت به السنّة، يعني به الهرولة(٣).

٢٤ - ع: أبي، عن سعد، عن أحمد وعبد الله ابني محمّد بن عيسى، عن محمّد بن أبي عمير، عن حمّاد، عن الحلبيّ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: لمَ جعل السعي بين الصفا والمروة؟ قال: لأنّ الشيطان تراءى لإبراهيم عليه السلام في الوادي فسعى، وهو منازل الشيطان(٤).

بيان: في الفقيه: منازل الشياطين، ويمكن أن يقرأ منازل بضمّ الميم على صيغة اسم الفاعل من المنازلة بمعنى المحاربة موافقاً لما مرّ في خبر معاوية.

٢٥ - ع: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ جبرئيل عليه السلام أتى إبراهيم عليه السلام فقال: تمنَّ يا إبراهيم، فكانت تسمّى منى فسماها النّاس منى(٥).

بيان: الظاهر أنّ الأوّل بضمّ الميم على صيغة الجمع، والثاني بكسرها.

٢٦ - ع، ن: في علل ابن سنان أنّ الرضا عليه السلام كتب إليه: إنّما سميت منى منى لأنّ جبرئيل عليه السلام قال هناك: ياإبراهيم تمنّ على ربّك ما شئت، فتمنّى إبراهيم في نفسه أن يجعل الله مكان ابنه إسماعيل كبشاً يأمره بذبحه فداءً له، فأُعطي مناه(٦).

٢٧ - ع: حمزة العلويّ، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عرفات لمَ سمّيت عرفات؟ فقال: إنّ جبرئيل عليه السلام خرج

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٩٥ باب ١٣١ ح ٥.
(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٣٧ باب ٢١٥ ح ١.
(٣) - (٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٣٨ باب ١٦٧ ح ١ و٢.
(٥) - (٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٢ باب ١٧٢ ح ١ و٢.

بإبراهيم عليه السلام يوم عرفة، فلمّا زالت الشمس قال له جبرئيل: يا إبراهيم اعترف بذنبك واعرف مناسكك، فسمّيت عرفات لقول جبرئيل عليه السلام له: اعترف، فاعترف[١].

٢٨ - ع: ابن الوليد، عن ابن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن صفوان، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في حديث إبراهيم: إنَّ جبرئيل عليه السلام انتهى به إلى الموقف فأقام به حتّى غربت الشمس، ثمّ أفاض به فقال: يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام، فسمّيت مزدلفة[٢].

بيان: ازدلف: تقدّم.

٢٩ - ع: أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول سارة: اللّهمّ لا تؤاخذني بما صنعت بهاجر إنّها كانت خفضتها فجرت السنّة بذلك[٣].

٣٠ - ع: أبي، عن سعد، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ بإسناده قال: قال أبو الحسن عليه السلام في الطائف: أتدري لمَ سمّي الطائف؟ قلت: لا، فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام دعا ربّه أن يرزق أهله من كلّ الثمرات، فقطع لهم قطعة من الأردّن فأقبلت حتّى طافت بالبيت سبعاً، ثمّ أقرّها الله عزّ وجلّ في موضعها، فإنّما سمّيت الطائف للطواف بالبيت[٤].

٣١ - ع: عليّ بن حاتم، عن محمّد بن جعفر وعليّ بن سليمان معاً، عن البزنطيّ قال: قال الرضا عليه السلام: أتدري لمَ سمّيت الطائف الطائف؟ قلت: لا، قال: لأنّ الله عزّ وجلّ لمّا دعاه إبراهيم عليه السلام أن يرزق أهله من الثمرات أمر بقطعة من الأردّن فسارت بثمارها حتّى طافت بالبيت، ثمّ أمرها أن تنصرف إلى هذا الموضع الّذي سمّي الطائف فلذلك سمّي الطائف[٥].

شي: عن البزنطيّ مثله «ج ٢ ص ٢٥٠ ح ٣٨ من سورة إبراهيم».

بيان: قال الفيروزآباديّ: الأردّن بضمّتين وشدّ الدال: كورة بالشام.

٣٢ - ع: أبي، عن محمّد بن العطّار، عن العمركيّ، عن عليّ بن جعفر، عن أخيه موسى عليه السلام قال: سألته عن رمي الجمار لمَ جعل؟ قال: لأنّ إبليس اللعين كان يتراءى لإبراهيم عليه السلام في موضع الجمار فرجمه إبراهيم فجرت السنّة بذلك[٦].

٣٣ - ع: أبي، عن سعد، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوّل من رمى الجمار آدم عليه السلام، وقال: أتى جبرئيل

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٢ باب ١٧٣ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٣ باب ١٧٥ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٢٠ باب ٢٧٤ ح ٢. (٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٩ باب ١٨٩ ح ١.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٥٠ باب ١٨٩ ح ٢. (٦) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٣ باب ١٧٧ ح ١.

إبراهيم عليه السلام وقال: ارم يا إبراهيم، فرمى جمرة العقبة وذلك أنّ الشيطان تمثّل له عندها[١].

٣٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن إبراهيم الكرخيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثى وكان من أهلها، وكانت أمّ إبراهيم وأمّ لوط عليه السلام أختين، وأنّه تزوّج سارة بنت لاحج وهي بنت خالته، وكانت صاحبة ماشية كثيرة وحال حسنة، فملّكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه فكثرت الماشية والزرع حتّى لم يكن بأرض كوثى رجل أحسن حالاً منه. إلى آخر ما مرّ في رواية الكلينيّ[٢].

٣٥ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير عن هشام ابن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان لإبراهيم عليه السلام ابنان فكان أفضلهما ابن الأمة[٣].

٣٦ - ص: بهذا الإسناد عن ابن أبي عمير، عن عبد الرحمن بن الحجّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ﴾ يعني حاضت وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة وعشرين سنة، قال: وإنّ قوم إبراهيم نظروا إلى إسحاق عليه السلام وقالوا: ما أعجب هذا وهذه! - يعنون إبراهيم وسارة - أخذا صبيّاً، وقالا: هذا ابننا يعنون إسحاق، فلمّا كبر لم يعرف هذا وهذا لتشابههما حتّى صار إبراهيم يعرف بالشيب قال: فثنى إبراهيم لحيته فرأى فيها طاقة بيضاء فقال: اللّهمّ ما هذا؟ فقال: وقار، فقال: اللّهمّ زدني وقاراً[٤].

٣٧ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن عمرو بن عثمان، عن العبقريّ، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن حارثة بن مضرّب، عن عليّ عليه السلام قال: شبّ إسماعيل وإسحاق فتسابقا، فسبق إسماعيل، فأخذه إبراهيم فأجلسه في حجره وأجلس إسحاق إلى جنبه، فغضبت سارة وقالت: أما إنّك قد جعلت أن لا تسوّي بينهما فاعزلها عنّي، فانطلق إبراهيم بإسماعيل وبأمّه هاجر حتّى أنزلهما مكّة فنفد طعامهم، فأراد إبراهيم أن ينطلق فيلتمس لهم طعاماً فقالت هاجر: إلى من تكلنا؟ فقال: أكلكم إلى الله تعالى، وأصابهما جوع شديد فنزل جبرئيل وقال لهاجر: إلى من وكلكما؟ قالت: وكلنا إلى الله، قال: لقد وكلكما إلى كاف، ووضع جبرئيل يده في زمزم ثمّ طواها فإذا الماء قد نبع، فأخذت هاجر قربة مخافة أن يذهب، فقال جبرئيل: إنّها تبقى، فادعي ابنك فأقبل فشربوا وعاشوا حتّى أتاهم إبراهيم فأخبرته الخبر فقال: هو جبرئيل عليه السلام[٥].

٣٨ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن عقبة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل عليه السلام تزوّج امرأة من العمالقة

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٤٣ باب ١٧٧ ح ٢.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٠٦.
(٣) - (٤) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٠٨-١٠٩.
(٥) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١١٠.

يقال لها سامة، وإنّ إبراهيم اشتاق إليه فركب حماراً، فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتّى يرجع، قال: فأتاه وقد هلكت أمّه فلم يوافقه ووافق امرأته فقال لها: أين زوجك؟ فقالت: خرج يتصيّد، فقال: كيف حالكم؟ فقالت: حالنا شديدةٌ وعيشنا شديدٌ، قال: ولم تعرض عليه المنزل فقال: إذا جاء زوجك فقولي له: جاء ههنا شيخ وهو يأمرك أن تغيّر عتبة بابك، فلمّا أقبل إسماعيل وصعد الثنية وجد ريح أبيه فأقبل إليها وقال: أتاك أحد؟ قالت: نعم شيخ قد سألني عنك، فقال لها: هل أمرك بشيء؟ قالت: نعم قال لي: إذا دخل زوجك فقولي له: جاء شيخ وهو يأمرك أن تغيّر عتبة بابك، قال: فخلّى سبيلها. ثمّ إنّ إبراهيم عليه السلام ركب إليه الثانية فأخذت عليه سارة أن لا ينزل حتّى يرجع فلم يوافقه ووافق امرأته فقال: أين زوجك؟ قالت: خرج عافاك الله للصيد، فقال: كيف أنتم؟ فقالت: صالحون، قال: وكيف حالكم؟ قالت: حسنة ونحن بخير انزل يرحمك الله حتّى يأتي، قال: فأبى ولم تزل به تريده على النزول فأبى، قالت: أعطني رأسك حتّى أغسله فإنّي أراه شعثاً، فجعلت له غسولاً ثمّ أدنت منه الحجر فوضع قدمه عليه فغسلت جانب رأسه، ثمّ قلبت قدمه الأخرى فغسلت الشقّ الآخر، ثمّ سلّم عليها وقال: إذا جاء زوجك فقولي له: قد جاء ههنا شيخ وهو يوصيك بعتبة بابك خيراً، ثمّ إنّ إسماعيل عليه السلام أقبل فلمّا انتهى إلى الثنية وجد ريح أبيه فقال لها: هل أتاك أحدٌ؟ قالت: نعم شيخ وهذا أثر قدميه، فأكبّ على المقام وقبّله، وقال: شكا إبراهيم إلى الله تعالى ما يلقى من سوءِ خلق سارة فأوحى الله تعالى إليه إنّ مثل المرأة مثل الضلع الأعوج، إن تركته استمتعت به، وإن أقمته كسرته، وقال: إنّ إبراهيم عليه السلام تزوّج سارة وكانت من أولاد الأنبياء على أن لا يخالفها ولا يعصي لها أمراً فيما وافق الحقّ، وإنّ إبراهيم كان يأتي مكّة من الحيرة في كلّ يوم[1].

٣٩ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن محبوب، عن عبد الرّحمن بن الحجّاج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ إبراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور إسماعيل بمكّة فأذنت له على أن لا يبيت عنها ولا ينزل عن حماره، قلت: كيف كان ذلك؟ قال: طويت له الأرض[2].

٤٠ - ص: لمّا ترعرع إسماعيل عليه السلام وكبر أعطوه سبعة أعنز، فكان ذلك أصل ماله، فنشأ وتكلّم بالعربيّة وتعلم الرمي، وكان إسماعيل عليه السلام بعد موت أمّه تزوّج امرأة من جرهم اسمها زعلة أوعمادة وطلّقها ولم تلد له شيئاً، ثمّ تزوّج السيّدة بنت الحارث بن مضاض فولدت له، وكان عمر إسماعيل عليه السلام مائة وسبعاً وثلاثين، ومات عليه السلام ودفن في الحجر، وفيه قبور الأنبياء عليهم السلام، ومن أراد أن يصلّي فيه فليكن صلاته على ذراعين من طرفه ممّا يلي باب البيت فإنّه موضع شبير وشبر ابني هارون عليه السلام[3].

---

(١) - (٣) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١١٠-١١٢.

٤١ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أحمد ابن محمّد، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إسماعيل عليه السلام توفّي وهو ابن مائة وثلاثين سنة، ودفن بالحجر مع أمّه، فلم يزل بنو إسماعيل ولاة الأمر يقيمون للناس حجّهم وأمر دينهم يتوارثونها كابراً عن كابر حتّى كان زمن عدنان بن أدد[1].

٤٢ - **ك:** أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه عن جدّه عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عاش إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام مائة وعشرين سنة، وعاش إسحاق بن إبراهيم عليه السلام مائة وثمانين سنة[2].

بيان: لعلّ هذا أصح الأخبار في عمره عليه السلام، إذ هو أبعد عن أقوال المخالفين، إذ الأشهر بينهم أنّه عاش مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وقيل: مائة وثلاثين، ولم أر القول بما في هذا الخبر بينهم، فيمكن حمل الخبرين السابقين على التقيّة.

٤٣ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار قال: سألته عن السعي فقال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا خلّف هاجر وإسماعيل بمكّة عطش إسماعيل فبكى فخرجت حتّى علت على الصفا وبالوادي أشجار، فنادت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم يجبها أحدٌ، فانحدرت حتّى علت على المروة فنادت: هل بالوادي من أنيس؟ فلم تزل تفعل ذلك حتّى فعلته سبع مرّات، فلمّا كانت السابعة هبط عليها جبرئيل عليه السلام فقال لها: أيّتها المرأة من أنت؟ فقالت: أنا هاجر أمّ ولد إبراهيم، قال لها: وإلى من خلّفك؟ قالت: أمّا إذا قلت ذلك لقد قلت له: يا إبراهيم إلى من تخلّفني ههنا؟ فقال: إلى الله عزّ وجلّ أخلّفك، فقال لها جبرئيل عليه السلام: نعم ما خلّفك إليه، لقد وكلكم إلى كاف فارجعي إلى ولدك، فرجعت إلى البيت وقد نبعت زمزم والماء ظاهر يجري فجمعت حوله التراب فحبسه، قال أبو عبد الله عليه السلام: لو تركته لكان سيحاً. ثمّ قال: مرّ ركب من اليمن ولم يكونوا يدخلون مكّة فنظروا إلى الطير مقبلة على مكّة من كلّ فجّ فقالوا: ما أقبلت الطير على مكّة إلاّ وقد رأت الماء فمالوا إلى مكّة حتّى أتوا موضع البيت فنزلوا واستقوا من الماءِ وتزوّدوا ما يكفيهم وخلّفوا عندهما من الزاد ما يكفيهما، فأجرى الله لهم بذلك رزقاً[3].

٤٤ - وروى محمّد بن خلف، عن بعض أصحابه قال: فكان الناس يمرّون بمكّة فيطعمونهم من الطّعام ويسقونهم من الماء[4].

٤٥ - **سن:** أبي، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: سألنا عن السّعي بين الصّفا

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١١٢. (٢) كمال الدين، ص ٤٧٤.

(٣) - (٤) المحاسن، ص ٣٣٧.

والمروة، فقال: إنّ هاجر لمّا ولدت بإسماعيل دخلت سارة غيرة شديدة فأمر الله إبراهيم أن يطيعها، فقالت: يا إبراهيم احمل هاجر حتّى تضعها ببلاد ليس فيها زرع ولا ضرع، فأتى بها البيت وليس بمكّة إذ ذاك زرع ولا ضرع ولا ماء ولا أحد، فخلّفها عند البيت وانصرف عنها إبراهيم عليه السلام فبكى[١].

٤٦ - سن: غير واحد من أصحابنا، عن أبان الأحمر رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت الخيل وحوشاً في بلاد العرب فصعد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على أجياد فصاحا: ألا هلا ألا هلمّ، فما فرس إلاّ أعطى بيده وأمكن من ناصيته[٢].

٤٧ - شي: عن الفضل بن موسى الكاتب، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قال: إنّ إبراهيم عليه السلام لمّا أسكن إسماعيل وهاجر مكّة وودعهما لينصرف عنهما بكيا، فقال لهما إبراهيم: ما يبكيكما فقد خلّفتكما في أحبّ الأرض إلى الله وفي حرم الله؟ فقالت له هاجر: يا إبراهيم ما كنت أرى أنّ نبيّاً مثلك يفعل ما فعلت، قال: وما فعلت؟ فقالت: إنّك خلّفت امرأةً ضعيفةً وغلاماً ضعيفاً لا حيلة لهما بلا أنيس من بشر ولا ماء يظهر ولا زرع قد بلغ ولا ضرع يحلب، قال: فرقّ إبراهيم ودمعت عيناه عندما سمع منها فأقبل حتّى انتهى إلى باب بيت الله الحرام فأخذ بعضادتي الكعبة ثمّ قال: اللّهمّ إنّي أسكنت من ذرّيّتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرّم ربّنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلّهم يشكرون.

قال أبو الحسن: فأوحى الله إلى إبراهيم: أن اصعد أبا قبيس فناد في الناس: يا معشر الخلائق إنّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الّذي بمكّة محرماً من استطاع إليه سبيلاً، فريضةً من الله، قال: فصعد إبراهيم أبا قبيس فنادى في الناس بأعلى صوته: يا معشر الخلائق إنّ الله يأمركم بحجّ هذا البيت الّذي بمكّة محرّماً من استطاع إليه سبيلاً فريضةً من الله، قال: فمدّ الله لإبراهيم في صوته حتّى أسمع به أهل المشرق والمغرب وما بينهما من جميع ما قدّر الله وقضى في أصلاب الرجال من النطف، وجميع ما قدّر الله وقضى في أرحام النساء إلى يوم القيامة، فهناك يا فضل وجب الحجّ على جميع الخلائق، فالتلبية من الحاجّ في أيّام الحجّ هي إجابة لنداء إبراهيم عليه السلام يومئذ بالحجّ عن الله[٣].

٤٨ - كا: عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، والحسين بن محمّد بن محمّد، عن عبدويه بن عامر وغيره؛ ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد جميعاً، عن أحمد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن أبي العبّاس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا ولد إسماعيل حمله إبراهيم عليه السلام

---

(١) المحاسن، ص ٣٣٧. (٢) المحاسن، ص ٦٣٠.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٤٩ ح ٣٧ من سورة إبراهيم.

وأمّه على حمار، وأقبل معه جبرئيل عليه السلام حتّى وضعه في موضع الحجر، ومعه شيء من زاد وسقاء فيه شيء من ماء، والبيت يومئذ ربوة حمراء من مدر، فقال إبراهيم لجبرئيل: ههنا أمرت؟ قال: نعم، قال: ومكّة يومئذ سلم وسمر، وحول مكّة يومئذ ناس من العماليق[١].

٤٩ - وفي حديث آخر عنه أيضاً قال: فلمّا ولّى إبراهيم قالت هاجر: يا إبراهيم إلى من تدعنا؟ قال: أدعكما إلى ربّ هذه البنية، قال: فلمّا نفد الماء وعطش الغلام خرجت حتّى صعدت على الصفا فنادت: هل بالبوادي من أنيس؟ ثمّ انحدرت حتّى أتت المروة فنادت مثل ذلك، ثمّ أقبلت راجعة إلى ابنها فإذا عقبه يفحص في ماء فجمعته فساخ، ولو تركته لساح[٢].

٥٠ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبان الأحمر، عن محمّد الواسطيّ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ إبراهيم شكا إلى الله عزّ وجلّ ما يلقى من سوء خلق سارة، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّما مثل المرأة مثل الضلع المعوج، إن أقمته كسرته، وإن تركته استمتعت به اصبر عليها[٣].

٥١ - **فس:** ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي عرفناه، قوله: ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ يقول: الإبل المهزولة، قال: ولمّا فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذن في النّاس بالحجّ، فقال: يا ربّ وما يبلغ صوتي، فقال الله: أذّن عليك الأذان وعليّ البلاغ، وارتفع إلى المقام وهو يومئذ يلصق بالبيت، فارتفع به المقام حتّى كان أطول من الجبال، فنادى وأدخل إصبعه في أذنيه وأقبل بوجهه شرقاً وغرباً يقول: أيّها النّاس كتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق فأجيبوا ربّكم، فأجابوه من تحت البحور السبع، ومن بين المشرق والمغرب إلى منقطع التراب من أطرافها، أي الأرض كلّها، ومن أصلاب الرجال، وأرحام النساء بالتلبية: لبّيك اللّهمّ لبّيك؛ أولا ترونهم يأتون يلبّون؟ فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب لله، وذلك قوله: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ يعني نداء إبراهيم على المقام بالحجّ[٤].

٥٢ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حفص بن البختريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ أصل حمام الحرم بقيّة حمام كانت لإسماعيل بن إبراهيم عليه السلام[٥].

٥٣ - **يب:** أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن الحسن الواسطيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ إبراهيم خليل الرحمن سأل ربّه أن يرزقه ابنة تبكيه بعد موته[٦].

٥٤ - **كا:** بعض أصحابنا، عن ابن جمهور، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٩٩ باب ١٣٤ ح ١. (٣) الكافي، ج ٥ ص ٨٦٤ باب ٣٤٤ ح ١.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٨. (٥) الكافي، ج ٦ ص ١١٩٥ ح ٤١٧ ح ٣.
(٦) تهذيب الأحكام، ج ١ ص ٢٤٦ باب ٢٣ ح ١٦٩.

ابن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجر بيت إسماعيل، وفيه قبر هاجر وقبر إسماعيل عليه السلام (١).

٥٥ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحجر أمن البيت هو أو فيه شيء من البيت؟ فقال: لا ولا قلامة ظفر، ولكن إسماعيل عليه السلام دفن أمّه فيه فكره أن توطأ فحجّر عليه حجراً وفيه قبور أنبياء(٢).

٥٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الوليد شباب الصيرفيّ عن معاوية بن عمّار قال: قال أبو عبد الله عليه السلام دفن في الحجر ممّا يلي الركن الثالث عذارى بنات إسماعيل(٣).

٥٧ - **كا:** عليّ، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن ابن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ما هذه الآيات؟ قال: مقام إبراهيم حيث قام على الحجر فأثّرت فيه قدماه؛ والحجر الأسود؛ ومنزل إسماعيل(٤).

٥٨ - **أقول:** قال السيّد ابن طاوس في كتاب سعد السعود: وجدت في السفر التاسع من التوراة المترجم أنّ سارة امرأة إبراهيم لم يكن يولد لها ولد، وكانت لها أمة اسمها هاجر فقالت سارة لإبراهيم: إنّ الله قد حرمني الولد فادخل على أمتي وابن لها، لعلّي أتعزّى بولد منها، فسمع إبراهيم قول سارة وأطاعها فانطلقت سارة امرأة إبراهيم بهاجر أمتها وذلك بعدما سكن إبراهيم أرض كنعان عشر سنين، فأدخلتها على إبراهيم زوجها، فدخل إبراهيم على هاجر فحبلت، فلمّا رأت هاجر أنّها قد حملت استسفهت هاجر سارة سيّدتها وهانت في عينها، فقالت سارة: يا إبراهيم أنت صاحب ظلامتي، إنّما وضعت أمتي في حضنك فلمّا حبلت هنت عليها، يحكم الربّ بيني وبينك، فقال إبراهيم لسارة امرأته: هذه أمتك مسلّمة في يدك فاصنعي بها ما أحببت، وحسن في عينك وسرّك ووافقك فأهانتها سارة سيّدتها فهربت منها، فلقيها ملاك الربّ على غيرماء في البريّة في طريق حذار، فقال لها: يا هاجر أمة سارة من أين أقبلت وأين تريدين؟ فقالت: أنا هاربة من سارة سيّدتي، فقال لها ملاك الربّ: انطلقي إلى سيّدتك وتعبّدي لها، ثمّ قال لها ملاك الربّ عن قول الربّ: أنا مكثر زرعك ومثمره حتّى لا يُحصوا من كثرتهم، ثمّ قال لها ملاك الربّ: إنّك حبلت وستلدين ابناً وتدعين اسمه إسماعيل، لأنّ الربّ قد عرف ذلك وخضوعك ويكون ابنك هذا وحشيّاً من النّاس، يده على كلّ يد، وسيجلّ على جميع حدود إخوته.

(١) - (٣) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٤ باب ١٣٤ ح ١٤-١٦.

(٤) الكافي، ج ٤ ص ٤١٠ باب ١٣٧ ح ١.

قال: ثمّ قال في السفر العاشر: قال الله لإبراهيم: حقّاً إنّ سارة ستلد لك ابناً وتسمّيه إسحاق. وأثبت العهد بيني وبينه إلى الأبد، ولذرّيّته من بعده، وقد استجبت لك في إسماعيل وبرّكته وكبّرته وأنميته جدًّا جدًّا، يولد له اثنا عشر عظيماً؛ وأجعله رئيساً لشعب عظيم. ثمّ قال بعدما ذكر كراهة سارة لمقام هاجر وإسماعيل عندها: قال: فغدا إبراهيم باكراً فأخذ خبزاً وإداوة من ماء وأعطاه هاجر فحملها والصبيّ والطعام فأرسلها، وانطلقت وتاهت في برّيّة بئر سبع[1]، ونفد الماء من الإداوة فألقت الصبيّ تحت شجرة الشيح، فانطلقت فجلست قباله وتباعدت عنه كرمية السهم ورفعت صوتها، وبكت فسمع الربّ صوت الصبيّ فدعا ملاك الربّ هاجر من السماء فقال لها: ما لك يا هاجر؟ لا تخافي لأنّ الربّ قد سمع صوت الصبيّ حيث هو، قومي فاحملي الصبيّ، وشدّي به يديك، إنّي أجعله رئيساً لشعب عظيم، وأجلى الله عن بصرها فرأت بئر ماء فانطلقت فملأت الإداوة وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام، فشبّ الغلام وسكن برّيّة فاران، وكان يتعلّم الرمي في تلك البرّيّة، وزوّجته أمّه امرأة من أهل مصر[2].

٥٩ - **كنز الفوائد للكراجكيّ:** عن سالم الأعرج مولى بني زريق قال: حفرنا بئراً في دور بني زريق فرأينا أثر حفر قديم فعلمنا أنّه حفر مستأثر، فحفرناه فأفضينا إلى صخرة عظيمة فقلبناها فإذا رجل قاعد كأنّه يتكلّم فإذا هو لا يشبه الأموات، فأصبنا فوق رأسه كتابة فيها: أنا قادم بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن، هربت بدين الحقّ من أشملك الكافر، وأنا أشهد أنّ الله حقّ ووعده حقّ لا أشرك به شيئاً ولا أتّخذ من دونه وليّاً[3].

٦ - باب قصة الذبح وتعيين الذبيح

الآيات: الصافات «٣٧»: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ

---

(١) قال المصنف رحمه الله في حاشية الكتاب: وقال الكفعمي في شرح دعاء السمات: رقمها الشهيد بالشين المعجمة والياء المثناة من تحت، فقيل: هي بئر طمست فأمر اسحاق ملكاً إسمه ابو مالك ان يعيدها كما كانت ويكنسها ويرمي بقمامتها فيكون مأخوذاً من قولك شاعت الناقة: اذا رمت ببولها، ويجوز ان يكون مأخوذاً من الشيع وهي الأصحاب والأعوان لتشايعهم على كنسها ومن قرأ بالسين والباء المفردة فقال: إن اسحاق قال: وعليها ملكاً يقال له أبو مالك وتعاهدا على البئر بسبعة من الكباش فسميت بذلك. انتهى.

(٢) سعد السعود، ص ٤١.

(٣) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٨٢.

عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ أي شبّ حتّى بلغ سعيه سعي إبراهيم، والمعنى: بلغ إلى أن يتصرّف ويمشي معه ويعينه على أموره، قالوا: وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة.

وقيل: يعني بالسعي العمل لله والعبادة ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ﴾ أي أبصرت في المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه من الرأي، والأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه في اليقظة بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه من حيث إنّ منامات الأنبياء لا تكون إلاّ صحيحة ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ أي استسلما لأمر الله ورضيا به ﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾ أي أضجعه على جبينه؛ وقيل: وضع جبينه على الأرض لئلاّ يرى وجهه فتلحقه رقّة الآباء، وروي أنّه قال: اذبحني وأنا ساجد لا تنظر إلى وجهي فعسى أن ترحمني ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ أي فعلت ما أُمرت به في الرؤيا ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ أي الامتحان الظاهر والاختبار الشديد، أو النعمة الظاهرة ﴿وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الذبح هو المذبوح، فقيل: كان كبشاً من الغنم، قال ابن عبّاس: هو الكبش الّذي تقبّل من هابيل حين قرّبه.

وقيل: فدي بوعل أُهبط عليه من ثبير، وسمّي عظيماً لأنّه كان مقبولاً أو لأنّ قدر غيره من الكباش يصغر بالإضافة إليه؛ وقيل: لأنّه رعى في الجنّة أربعين خريفاً؛ وقيل: لأنّه كان من عند الله كونه ولم يكن عن نسل؛ وقيل: لأنّه فداء عبد عظيم ﴿وَبَشَّرْنَـٰهُ بِإِسْحَـٰقَ﴾ من قال: إنّ الذبيح إسحاق قال: يعني: بشّرناه بنبوّة إسحاق بصبره ﴿وَبَـٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَـٰقَ﴾ أي وجعلنا فيما أعطيناهما من الخير البركة والنماء والثبات، ويجوز أن يكون أراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرناً بعد قرن إلى أن تقوم الساعة ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ أي ومن أولاد إبراهيم وإسحاق ﴿مُحْسِنٌ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿مُبِينٌ﴾ بين الظلم[1].

١ - **ن، ل:** القطّان، عن أحمد الهمدانيّ، عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن معنى قول النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا ابن الذبيحين، قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل، وعبد الله بن عبد المطلب أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الّذي بشّر الله به إبراهيم ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ ولم يقل له يا أبت افعل ما رأيت ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فلمّا عزم على ذبحه فداه الله بذبح عظيم بكبش أملح يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد، ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنّة أربعين

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٥١.

عاماً، وما خرج من رحم أنثى، وإنّما قال الله عزّوجلّ له: كن فكان، ليفتدى به إسماعيل، فكلّما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين[1].

أقول: ثمّ ساق الخبر وذكر قصّة عبد الله وسيجيء الخبر بتمامه.

ثم قال الصدوق رحمه الله: قد اختلفت الروايات في الذبيح، فمنها ما ورد بأنّه إسماعيل، ومنها ما ورد بأنّه إسحاق، ولا سبيل إلى رد الأخبار متى صحّ طرقها، وكان الذبيح إسماعيل، لكنّ إسحاق لمّا ولد بعد ذلك تمنّى أن يكون هو الّذي أمر أبوه بذبحه فكان يصبر لأمر الله ويسلم له كصبر أخيه وتسليمه فينال بذلك درجته في الثواب، فعلم الله عزّوجلّ ذلك من قلبه فسمّاه بين ملائكته ذبيحاً لتمنّيه لذلك.

وحدّثنا بذلك محمّد بن عليّ بن بشّار، عن المظفّر بن أحمد القزوينيّ، عن محمّد بن جعفر الكوفيّ الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن عبد الله بن داهر، عن أبي قتادة الحرّاني، عن وكيع بن الجرّاح، عن سليمان بن مهران، عن أبي عبد الله الصادق جعفر ابن محمّد عليه السلام.

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا ابن الذبيحين» يؤيّد ذلك، لأنّ العمّ قد سمّاه الله عزّوجلّ أباً في قوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[2] وكان إسماعيل عمّ يعقوب فسمّاه الله في هذا الموضع أباً، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «العمّ والد» فعلى هذا الأصل أيضاً يطّرد قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا ابن الذبيحين» أحدهما ذبيحٌ بالحقيقة، والآخر ذبيحٌ بالمجاز، واستحقاق الثواب على النيّة والتمنّي، فالنبي صلى الله عليه وآله هو ابن الذبيحين من وجهين على ما ذكرناه.

وللذبح العظيم وجه آخر: حدّثنا ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لمّا أمر الله عزّوجلّ إبراهيم أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الّذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنّه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الّذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده فيستحقّ بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك؟ فقال: يا ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد، فأوحى الله إليه: أفهو أحبّ إليك أم نفسك؟ قال بل هو أحبّ إليّ من نفسي، قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك؟ قال: بل ولده، قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي؟ قال: يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي، قال: يا إبراهيم فإنّ طائفة تزعم أنّها من أمّة

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٨٩ باب ١٨ ح ١، والخصال، ص ٥٦ باب ٢ ح ٧٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

محمّد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي؛ فجزع إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّوجلّ إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

أقول: قد روى هذا الخبر في «ن» أيضاً[2].

٢ - **فس:** أبي، عن فضالة بن أيّوب، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام إنّ إبراهيم أتاه جبرئيل عليه السلام عند زوال الشمس من يوم التروية، فقال: يا إبراهيم ارتو من الماء لك ولأهلك، ولم يكن بين مكّة وعرفات ماء فسمّيت التروية لذلك، فذهب به حتّى انتهى به إلى منى فصلّى به الظهر والعصر والعشائين والفجر حتّى إذا بزغت الشمس خرج إلى عرفات فنزل بنمرة وهي بطن عرنة، فلمّا زالت الشمس خرج وقد اغتسل فصلى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وصلّى في موضع المسجد الّذي بعرفات وقد كانت ثمّ أحجار بيض فأُدخلت في المسجد الّذي بني، ثمّ مضى به إلى الموقف فقال: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك؛ ولذلك سمّيت عرفة، وأقام به حتّى غربت الشمس، ثم أفاض به فقال: يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام فسمّيت المزدلفة، وأتى به المشعر الحرام فصلّى به المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين ثمّ بات بها حتّى إذا صلّى بها صلاة الصبح أراه الموقف، ثمّ أفاض به إلى منى فأمره فرمى جمرة العقبة، وعندها ظهر له إبليس، ثمّ أمره بالذّبح وإنّ إبراهيم عليه السلام حين أفاض من عرفات بات على المشعر الحرام وهو قزح فرأى في النوم أن يذبح ابنه، وقد كان حجّ بوالدته فلمّا انتهى إلى منى رمى الجمرة هو وأهله، وأمر سارة أن زوري البيت، واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشار ابنه وقال كما حكى الله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فقال الغلام كما ذكر الله: امض لما أمرك الله به ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وسلّما لأمر الله وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أُريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين، فقال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك، فقال: ربّك ينهاك عن ذلك، وإنّما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: ويلك إنّ الّذي بلغني هذا المبلغ هو الّذي أمرني به والكلام الّذي وقع في أذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلاّ الشيطان، فقال إبراهيم: لا والله لا أكلّمك، ثمّ عزم على الذّبح فقال: يا إبراهيم إنّك إمام يقتدى بك، وإنّك إن ذبحته ذبح النّاس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبح فلمّا أسلما جميعاً لأمر الله قال الغلام: ياأبتاه خمّر وجهي، وشدّ وثاقي، فقال إبراهيم: يا بنيّ الوثاق

---

(١) الخصال، ص ٥٧ باب ٢ ذيل ح ٧٨ وح ٧٩.

(٢) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٧ باب ١٧ ح ١.

مع الذبح؟ لا والله لا أجمعهما عليك اليوم، فرمى له بقرطان الحمار، ثمّ أضجعه عليه، وأخذ المدية فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السّماء، ثمّ انتحى عليه المدية وقلب جبرئيل المدية على قفاها، واجترّ الكبش من قبل ثبير وأثار الغلام من تحته، ووضع الكبش مكان الغلام، ونودي من ميسرة مسجد الخيف: ﴿أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾﴾ قال: ولحق إبليس بأمّ الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخ رأيته؟ قالت: ذاك بعلي، قال: فوصيف رأيته معه؟ قالت: ذاك ابني، قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، فقالت: كذبت إنّ إبراهيم أرحم النّاس كيف يذبح ابنه؟! قال: فوربّ السّماء والأرض وربّ هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية، فقالت: ولمَ؟ قال: زعم أنّ ربّه أمره بذلك، قالت: فحقّ له أن يطيع ربّه، فوقع في نفسها أنّه قد أمر في ابنها بأمر، فلمّا قضت نسكها أسرعت في الوادي راجعة إلى منى وهي واضعة يدها على رأسها تقول: يا ربّ لا تؤاخذني بما عملت بأمّ إسماعيل. قلت: فأين أراد أن يذبحه؟ قال: عند الجمرة الوسطى. قال: ونزل الكبش على الجبل الّذي عن يمين مسجد منى نزل من السماء وكان يأكل في سواد، ويمشي في سواد، أقرن. قلت: ما كان لونه؟ قال: كان أملح أغبر[1].

٣ - **قال:** وحدّثني أبي، عن صفوان بن يحيى وحمّاد، عن عبد الله بن المغيرة، عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألناه عن صاحب الذبح، فقال: إسماعيل عليه السلام. وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أنا ابن الذبيحين يعني إسماعيل وعبد الله بن عبد المطّلب.

فهذان الخبران عن الخاصّ في الذبيح قد اختلفا في إسحاق وإسماعيل، وقد روت العامّة خبرين مختلفين في إسماعيل وإسحاق[2].

بيان: قوله عليه السلام: (والكلام الّذي وقع في أذني) لعلّه معطوف على الموصول المتقدّم أي الكلام الّذي وقع في أذني أمرني بهذا، فيكون كالتفسير لقوله: الّذي بلغني هذا المبلغ؛ أو المراد بالأوّل الربّ تعالى، وبالثاني وحيه؛ ويحتمل أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف، أي وهو الكلام الّذي وقع في أذني. وفي الكافي: ويلك الكلام الّذي سمعت هو الّذي بلغ بي ما ترى.

وعلى التقادير المراد أنّ هذا الوحي هو الّذي جعلني نبيّاً ولا أشكّ فيه. والقرطان: البرذعة وهي الحلس الّذي يلقى تحت الرحل. وقال الجوهريّ: أنحيت على حلقه السكّين أي عرضت له. وقال الفيروزآباديّ: انتحى: جدّ، وفي الشيء: اعتمد. والوصيف كأمير: الخادم والخادمة، وإنّما عبّر الملعون هكذا تجاهلاً عن أنّه ابنه ليكون أبعد عن التهمة. والملحة: بياض يخالطه سواد. والأعين: عظيم العين. وفي بعض النسخ «أغبر» ولعلّه أظهر.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٩.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٩.

٤ - **كا:** عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، ومحمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد؛ والحسين ابن محمّد، عن عبدويه بن عامر جميعاً، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام مثل ما مرّ في خبر معاوية، وفيه: ثمّ انتحى عليه فقلبها جبرئيل عن حلقه فنظر إبراهيم فإذا هي مقلوبة، فقلبها إبراهيم على حدّها، وقلبها جبرئيل على قفاها، ففعل ذلك مراراً، ثمّ نودي من ميسرة مسجد الخيف: يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا، واجترّ الغلام من تحته. وفي آخره: قال: فلمّا جاءت سارة فأخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فإذا أثر السكين خدوشاً في حلقه، ففزعت واشتكت وكان بدء مرضها الّذي هلكت فذكر أبان، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أراد أن يذبحه في الموضع الّذي حملت أمّ رسول الله عند الجمرة الوسطى، فلم يزل مضربهم يتوارثونه كابراً عن كابر حتّى كان آخر من ارتحل منه عليّ بن الحسين عليه السلام في شيء كان بين بني هاشم وبين بني أميّة فارتحل فضرب بالعرين[1].

٥ - **فس:** الحسين بن عبد الله السكّينيّ، عن أبي سعيد البجليّ، عن عبد الملك بن هارون، عن أبي عبد الله، عن آبائه صلوات الله وسلامه عليهم قال: سأل ملك الروم الحسن ابن عليّ عليه السلام عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم، فقال عليه السلام: أوّل هذا آدم، ثمّ حوّاء، ثمّ كبش إبراهيم، ثمّ ناقة الله، ثمّ إبليس الملعون، ثمّ الحيّة، ثمّ الغراب الّتي ذكرها الله في القرآن[2].

٦ - **ل:** ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن اليشكريّ، عن محمّد بن زياد الأزديّ، عن أبان بن عثمان، عن أبان بن تغلب، عن سفيان بن أبي ليلى، عن الحسن عليه السلام مثله[3].

٧ - **ب:** محمّد بن عبد الحميد، عن الحسن بن عليّ بن فضّال قال: سأل الحسين بن أسباط أبا الحسن الرضا عليه السلام - وأنا أسمع - عن الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ فقال: إسماعيل أما سمعت قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾[4]؟

٨ - **ل، ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن ستّة لم يركضوا في رحم، فقال: آدم وحوّاء، وكبش إبراهيم، وعصا موسى، وناقة صالح، والخفّاش الّذي عمله عيسى ابن مريم فطار بإذن الله عزّ وجلّ[5].

٩ - **ما:** ابن الصلت، عن ابن عقدة، عن جعفر بن عنبسة بن عمرو، عن سليمان بن يزيد، عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: الذبيح إسماعيل[6].

---

(١) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٣ باب ١٣٤ ح ٩.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٤.
(٣) الخصال ص ٣٥٣ باب ٧ ح ٣٤.
(٤) قرب الإسناد، ص ٣٨٩ ح ١٣٦٧.
(٥) الخصال، ص ٣٢٢ باب الستة ح ٨ وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٠ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢١ باب ٢٤ ح ١.
(٦) أمالي الطوسي، ص ٣٣٨ مجلس ١٢ ح ٦٩٠.

١٠ - ع: ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف صار الطحال حراماً وهو من الذبيحة؟ فقال: إن إبراهيم عليه السلام هبط عليه الكبش من ثبير - وهو جبل بمكّة - ليذبحه أتاه إبليس فقال له: أعطني نصيبي من هذا الكبش، قال: وأيّ نصيب لك وهو قربان لربّي وفداء لابني؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّ له فيه نصيباً وهو الطحال، لأنّه مجمع الدم؛ وحرّم الخصيتان لأنّهما موضع للنكاح ومجرى للنطفة، فأعطاه إبراهيم عليه السلام الطحال والأنثيين وهما الخصيتان، قال: فقلت: فكيف حرّم النخاع؟ قال: لأنّه موضع الماء الدافق من كلّ ذكر وأنثى وهو المخّ الطويل الّذي يكون في فقار الظهر[1].

١١ - مع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن داود ابن كثير الرقيّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أيّهما كان أكبر إسماعيل أو إسحاق؟ وأيّهما كان الذبيح؟ فقال: كان إسماعيل أكبر من إسحاق بخمس سنين، وكان الذبيح إسماعيل، وكانت مكّة منزل إسماعيل، وإنّما أراد إبراهيم أن يذبح إسماعيل أيّام الموسم بمنى. قال: وكان بين بشارة الله لإبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق خمس سنين، أما تسمع لقول إبراهيم عليه السلام حيث يقول: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ إنّما سأل الله عزّ وجلّ أن يرزقه غلاماً من الصالحين، وقال في سورة الصافات: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ يعني إسماعيل من هاجر، قال: ففدي إسماعيل بكبش عظيم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ﴾ يعني بذلك إسماعيل قبل البشارة بإسحاق، فمن زعم أنّ إسحاق أكبر من إسماعيل وأن الذبيح إسحاق فقد كذب بما أنزل الله عزّ وجلّ في القرآن من نبأهما[2].

ص: بإسناده إلى الصّدوق مثله[3].

١٢ - كا: محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن خالد، عن سعد بن سعد، عن أبي الحسن عليه السلام قال: لو علم الله عزّ وجلّ شيئاً أكرم من الضأن لفدى به إسماعيل عليه السلام[4].

١٣ - كا: عليّ بن محمّد، عن سهل بن زياد، عن بعض أصحابه أظنّه محمّد بن إسماعيل، عن الرضا عليه السلام قال: لو خلق الله مضغة هي أطيب من الضأن لفدى بها إسماعيل عليه السلام[5].

١٤ - كا: بعض أصحابنا، عن جعفر بن إبراهيم الحضرميّ، عن سعد بن سعد، عن

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٣ باب ٣٥٧ ح ١. (٢) معاني الأخبار، ص ٣٩١.
(٣) قصص الأنبياء للراوندي ص ١٠٨.
(٤) - (٥) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٢ باب ٢٢٨ ح ١-٢.

الرضا عليه السلام قال: لو علم الله خيراً من الضأن لفدى به. قال: يعني إسحاق، هكذا جاء في الحديث[١].

١٥ - **شي**: عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب يعقوب إلى عزيز مصر: نحن أهل بيت نبتلى، فقد ابتلي أبونا إبراهيم بالنار فوقاه الله، وابتلي أبونا إسحاق بالذبح[٢].

١٦ - **شي**: عن محمّد بن القاسم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ سارة قالت لإبراهيم عليه السلام: قد كبرت، فلو دعوت الله أن يرزقك ولداً فيقر أعيننا فإنّ الله قد اتخذك خليلاً وهو مجيب دعوتك إن شاء الله، فسأل إبراهيم ربّه أن يرزقه غلاماً عليماً، فأوحى الله إليه: إنّي واهب لك غلاماً عليماً، ثمّ أبلوك فيه بالطاعة لي؛ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: فمكث إبراهيم بعد البشارة ثلاث سنين، ثمّ جاءته البشارة من الله بإسماعيل مرّة أخرى بعد ثلاث سنين[٣].

١٧ - **كا**: عليّ، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد وابن محبوب، عن العلاء، عن محمّد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام أين أراد إبراهيم عليه السلام أن يذبح ابنه؟ قال: على الجمرة الوسطى، وسألته عن كبش إبراهيم عليه السلام: ما كان لونه؟ وأين نزل؟ فقال: أملح، وكان أقرن، ونزل من السماء على الجبل الايمن من مسجد منى، وكان يمشي في سواد، ويأكل في سواد، وينظر ويبعر ويبول في سواد[٤].

فوائد لا بدّ من التعرُّض لها:

الأولى في تعيين الذبيح، قال الرازيّ في تفسيره: اختلفوا في أنّ هذا الذبيح من هو؟ فقيل: إنّه إسحاق، وقيل: إنّ هذا قول عمر وعليّ والعبّاس بن عبد المطّلب وابن مسعود وكعب الاحبار وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة والزهريّ والسديّ ومقاتل. وقيل: إنّه إسماعيل وهو قول ابن عبّاس وابن عمر وسعيد بن المسيّب والحسن والشعبي ومجاهد والكلبيّ. واحتج القائلون بأنّه إسماعيل بوجوه:

الأوّل: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أنا ابن الذبيحين» وقال له أعرابي: يا ابن الذبيحين فتبسّم فسئل عن ذلك فقال: إنّ عبد المطّلب لمّا حفر بئر زمزم نذر إن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده، فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له: افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل؛ والذبيح الثاني إسماعيل.

الحجّة الثانية: نقل عن الاصمعيّ أنّه قال: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال: أيا

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٦٢ باب ٢٢٨ ح ٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧٨ من سورة يوسف.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦٤ ح ٢٥ من سورة الحجر.

(٤) الكافي، ج ٤ ص ٤٠٤ باب ١٣٤ ح ١٠.

أصمعيّ أين عقلك؟ ومتى كان إسحاق بمكة، وإنّما كان إسماعيل بمكة، وهو الّذي بنى البيت مع أبيه والنحر بمكة.

الحجّة الثالثة: أنّ الله تعالى وصف إسماعيل بالصبر دون إسحاق في قوله: ﴿ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ وهو صبره على الذبح فوفى به.

الحجّة الرابعة: قوله تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ فنقول: لو كان الذبيح إسحاق لكان الامر بذبحه قبل ظهور يعقوب منه أو بعد ذلك، والأوّل باطل لأنّه تعالى لمّا بشره بإسحاق وبشر معه بأنّه يحصل منه يعقوب، فقبل ظهور يعقوب منه لم يجز الامر بذبحه وإلا حصل الخلف في قوله: ﴿ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ والثاني باطل لأنّ قوله: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ يدلّ على أنّ ذلك الابن لمّا قدر على السعي ووصل إلى حدّ القدرة على الفعل أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه، وهذه تنافي وقوع هذه القصّة في زمان آخر، فثبت أنّه لا يجوز أن يكون الذبيح هو إسحاق.

الحجّة الخامسة: حكى الله تعالى عنه أنّه قال: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ ثم طلب من الله تعالى ولداً ليستأنس به في غربته قال: ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وهذا السؤال إنّما يحسن قبل أنّ يحصل له الولد، لأنّه لوحصل له ولد واحد لما طلب الولد الواحد لأنّ طلب الحاصل محال، وقوله: ﴿ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الواحد، وكلمة من للتبعيض، وأقل درجات البعضيّة الواحد، فكان قوله: ﴿ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ لا يفيد إلا طلب الولد الواحد، فثبت أنّ هذا السؤال لا يحسن إلّا عند عدم كلّ الاولاد فثبت أنّ هذا السؤال وقع حال طلب الولد الاوّل، وأجمع النّاس على أنّ إسماعيل متقدّم في الوجود على إسحاق فثبت أنّ المطلوب بهذا الدعاء هو إسماعيل. ثمّ إنّ الله تعالى ذكر عقيبه قصة الذبح، فوجب أن يكون الذبيح هو إسماعيل.

الحجّة السادسة: الأخبار كثيرة في تعليق قرني الكبش بالكعبة وكان الذبح بمكّة ولو كان الذبيح إسحاق لكان الذبح بالشام.

واحتجّ من قال بأنّه إسحاق بأن أوّل الآية وآخرها يدلّ على ذلك، أمّا أوّلها فإنّه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام قبل هذه الآية أنّه قال: ﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ وأجمعوا على أنّ المراد مهاجرته إلى الشام، ثمّ قال: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ فوجب أن يكون هذا الغلام الحليم قد حصل له في الشام، وذلك الغلام ليس إلا إسحاق، ثمّ قال بعده: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ هو ذلك الغلام الّذي حصل في الشام، فثبت أنّ مقدمة هذه الآية تدلّ على أنّ الذبيح هو إسحاق؛ وأمّا مؤخرة الآية فهي أيضاً تدلّ على ذلك لأنّه تعالى لمّا تمم قصة الذبيح قال بعده: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ ومعناه أنّه بشره بكونه نبيّاً من الصالحين، وذكر هذه البشارة عند حكاية تلك القصة يدلّ على أنّه تعالى إنّما بشره بهذه النبوة لاجل أنّه تحمل

الشدائد في قصّة الذبح فثبت لما ذكرنا أنّ أوّل الآية وآخرها يدلّ على أنّ الذبيح هو إسحاق عليه السلام. الحجة الثانية: ما اشتهر من كتاب يعقوب عليه السلام: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله.

فهذا جملة الكلام في هذا الباب، وكان الزجّاج يقول: الله أعلم أيهما الذبيح.

واعلم أنّه يتفرّع على ما ذكرناه اختلافهم في موضع الذبح، فالّذين قالوا: الذبيح هو إسماعيل قالوا: كان المذبح بمنى، والّذين قالوا: إنّه إسحاق قالوا: هو بالشام، وقيل بيت المقدس. والله أعلم انتهى(١).

وقال الشيخ أمين الدين الطبرسيّ قدّس الله روحه بعد ذكر القولين: وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا عليهم السلام إلا أنّ الاظهر في الروايات أنّه إسماعيل. ثمّ ذكر بعض ما مرّ من الوجوه ثمّ قال: وحجة من قال: إنّه إسحاق أنّ أهل الكتابين أجمعوا على ذلك، وجوابه أنّ إجماعهم ليس بحجّة، وقولهم غير مقبول، وروى محمّد بن إسحاق عن محمّد بن كعب القرظي قال: كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح، فقلت: إسماعيل واستدللت بقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فأرسل إلى رجل بالشام كان يهودياً وأسلم وحسن إسلامه وكان يرى أنّه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال: إسماعيل، ثمّ قال: والله يا أمير المؤمنين إنّ اليهود ليعلم ذلك ولكنّهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الّذي كان من أمر الله فيه ماكان، فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنّه إسحاق لأنّ إسحاق أبوهم انتهى(٢).

أقول: لا يخفى ضعف ما احتجّوا به على القول الأخير سوى الأخبار الدالة على ذلك لكن يعارضها ماهو أكثر وأصحّ منها، ويؤيدها ماذكر من الوجوه أوّلاً وإن كان بعضها لا يخلو من وهن، واشتهار هذا القول بين علماء الشيعة ومحدّثيهم في جميع الاعصار.

وأما الجمع بين الأخبار فيمكن حمل الأخبار الدالّة على المذهب الثاني على التقيّة بأن يكون زمان صدور الخبر هذا القول أشهر بين علماء المخالفين، ويمكن حمل بعضها على ما مرّ في الخبر من تمني الذبح، ويمكن الجمع أيضاً بالقول بوقوعهما معاً إن لم ينعقد إجماع على كون الذبيح أحدهما.

وقال الكلينيّ بعد أن أورد رواية عقبة بن بشير عن أحدهما عليهما السلام: إنّ إبراهيم عليه السلام أذن في النّاس بالحجّ، وكان أوّل من أجابه من أهل اليمن، قال: وحجّ إبراهيم عليه السلام هو وأهله وولده؛ وقال: فمن زعم أنّ الذبيح هو إسحاق فمن ههنا كان ذبحه.

وذكر عن أبي بصير أنّه سمع أبا جعفر وأبا عبد الله عليهما السلام يزعمان أنّه إسحاق، وأمّا زرارة فزعم أنّه إسماعيل.

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦ المجلد ٩ ص ٣٤٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٢٢.

وغرضه رحمه الله من هذا الكلام رفع استبعاد عن كون إسحاق ذبيحاً بأن إسحاق كان بالشام، والّذي كان بمكة إسماعيل عليه السلام، فكون إسحاق ذبيحاً مستبعد، فدفع هذا الاستبعاد بأن هذا الخبر يدلّ على أنّ إبراهيم عليه السلام قد حج مع أهله وولده، فيمكن أن يكون الامر بذبح إسحاق في هذا الوقت، ويظهر منه رحمه الله أنّه في ذلك من المتوقّفين.

وقال الطبرسيّ رحمه الله : ومن قال: إنّ الذبيح إسماعيل فمنهم محمّد بن إسحاق بن بشّار[1]، وذكر أنّ إبراهيم كان إذا زار إسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكّة، ويروح من مكّة فيبيت عند أهله بالشام حتّى إذا بلغ السعي أري في المنام أن يذبحه، فقال له: يا بنيّ خذ الحبل والمدية ثمّ انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلمّا خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما قد ذكره الله عنه، فقال: ياأبت اشدد رباطي حتّى لا أضطرب، واكفف عنّي ثيابك حتّى لا ينتضح من دمي شيء فتراه امي، واشحذ شفرتك، واسرع مرّ السكّين على حلقي ليكون أهون عليّ، فإنّ الموت شديدٌ، فقال له إبراهيم: نعم العون أنت يا بني على أمر الله؛ ثمّ ذكر نحواً ممّا تقدّم ذكره.

وروى العيّاشيّ بإسناده عن بريد بن معاوية العجليّ قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام : كم كان بين بشارة إبراهيم بإسماعيل وبين بشارته بإسحاق؟ قال: كان بين البشارتين خمس سنين، قال الله سبحانه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ يعني إسماعيل، وهي أوّل بشارة بشّر الله بها إبراهيم في الولد، ولمّا ولد لإبراهيم إسحاق من سارة وبلغ إسحاق ثلاث سنين أقبل إسماعيل إلى إسحاق وهو في حجر إبراهيم فنحّاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت: يا إبراهيم ينحّي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو مكانه! لا والله لايجاورني هاجر وابنها في بلاد أبداً، فنحّهما عنّي، وكان إبراهيم مكرماً لسارة يعزّها ويعرف حقّها، وذلك أنّها كانت من ولد الأنبياء وبنت خالته، فشقّ ذلك على إبراهيم واغتمّ لفراق إسماعيل، فلمّا كان في اللّيل أتى إبراهيم آتٍ من ربّه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه إسماعيل بموسم مكّة، فأصبح إبراهيم حزيناً للرّؤيا الّتي رآها، فلمّا حضر موسم ذلك العام حمل إبراهيم هاجر وإسماعيل في ذي الحجّة من أرض الشام فانطلق بهما إلى مكّة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام، فلمّا رفع قواعده وخرج إلى منى حاجّاً وقضى نسكه بمنى رجع إلى مكّة فطافا بالبيت اسبوعاً ثمّ انطلق إلى السعي، فلمّا صارا في المسعى قال إبراهيم لاسماعيل: يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك في الموسم عامي هذا، فماذا ترى؟ قال: يا أبت افعل ما تؤمر، فلمّا فرغا من سعيهما انطلق به إبراهيم إلى منى وذلك يوم النحر، فلمّا انتهى به إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الايسر وأخذ السكين ليذبحه نودي: أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره، وفدي إسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدّق بلحمه على المساكين.

---

(١) في المصدر اسحاق بن يسار وهو الصحيح.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن صاحب الذبح، قال: هو إسماعيل. وعن زياد بن سوقة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن صاحب الذبح فقال: إسماعيل عليه السلام انتهى(١).

أقول: هذه الأخبار المعتبرة أيضاً مصرّحة بكون الذبيح إسماعيل، وسيأتي في كتاب الدعاء وكتاب المزار في تضاعيف الدعوات والزيارات ما يدل على ذلك أيضاً.

الثانية: في كيفيّة هذا الامر ورفعه:

قال الرازيّ: اختلف النّاس في أنّ إبراهيم عليه السلام هل كان مأموراً بماذا، وهذا الاختلاف متفرّع على مسألة من مسائل أصول الفقه، وهي أنّه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدّة الامتثال؟ فقال: أكثر أصحابنا أنّه يجوز، وقالت المعتزلة وكثيرٌ من فقهاء الشافعيّة والحنفيّة: إنّه لايجوز، فعلى القول الأوّل إنّ الله تعالى أمره بالذبح، وعلى القول الثاني لم يأمره بالذبح وإنّما أمره بمقدمات الذبح، وهذه مسألة شريفة من مسائل باب النسخ، واحتجّ أصحابنا على أنّه يجوز نسخ الامر قبل مجيء مدّة الامتثال بأنّ الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثمّ إنّه تعالى نسخه عنه قبل إقدامه عليه، وذلك يفيد المطلوب؛ وإنّما قلنا إنّه تعالى أمره بذبح الولد لوجهين:

الأوّل: أنه عليه السلام قال لولده: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ فقال الولد: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام ما كان مأموراً بمقدّمات الذبح بل بنفس الذبح، ثمّ إنّه أتى بمقدّمات الذبح وأدخلها في الوجود، فحينئذ يكون قد أمر بشيء وقد اتى به، وفي هذا الموضع لا يحتاج إلى الفداء، لكنّه احتاج إلى الفداء بدليل قوله تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ فدل هذا على أنّه لمّا أتى بالمأمور به وقد ثبت أنّه أتى بكلّ مقدّمات الذبح، فهذا يدلّ على أنّه تعالى كان قد أمره بنفس الذبح، فإذا ثبت هذا فنقول: إنّه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل إثباته، وذلك يدلّ على المقصود.

وقالت المعتزلة: لا نسلّم أنّ الله تعالى أمره بذبيح الولد، بل نقول: إنّه تعالى أمره بمقدّمات الذبح، ويدلّ عليه وجوه:

الأول: أنّه ما أتى بالذبح وإنّما أتى بمقدمات الذبح، ثمّ إنّ الله تعالى أخبر عنه بأنّه أتى بما امر به بدليل قوله تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ وذلك يدلّ على أنّه تعالى إنّما أمره في المنام بمقدّمات الذبح لا بنفس الذبح، وتلك المقدمات عبارة عن إضجاعه ووضع السكّين على حلقه والعزم الصحيح على الإتيان بذلك الفعل.

الثاني: الذبح عبارةٌ عن قطع الحلقوم، فلعلّ إبراهيم عليه السلام قطع الحلقوم إلاّ أنّه كلّما قطع جزءاً أعاد الله التأليف إليه، فلهذا السبب لم يحصل الموت.

---

(١) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٢٦.

والوجه الثالث: وهو الّذي عليه تعويل القوم أنّه تعالى لو أمر شخصاً معيناً بإيقاع فعل معيّن في وقت معين فهذا يدلّ على أنّ إيقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت حسن، فإذا نهي عنه فذلك النهي يدل على أنّ إيقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح، فلو حصل هذا النهي عقيب ذلك الامر لزم أحد أمرين، لأنّه تعالى إن كان عالماً بحال ذلك الفعل لزم أن يقال: أمر بالقبيح أو نهى عن الحسن، وإن لم يكن عالماً به لزم جهل الله تعالى وإنّه محال فهذا تمام الكلام في هذا الباب.

والجواب عن الأوّل أنّا قد دللنا على أنّه تعالى إنّما أمره بالذبح، أمّا قوله تعالى: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَآ﴾ فهذا يدلّ على أنّه اعترف بكون ذلك الرؤيا واجب العمل به، ولا يدلّ على أنّه أتى بكلّ ما رآه في ذلك المنام.

وأما قوله ثانياً: كلّما قطع إبراهيم عليه السلام جزءاً أعاد الله التأليف إليه فنقول: هذا باطل لأنّ إبراهيم عليه السلام لو أتى بكلّ ما أمر به لمّا احتاج إلى الفداء وحيث احتاج إليه علمنا أنّه لم يأت بما أمر به.

وأمّا قوله ثالثاً: إنّه يلزم إمّا الامر بالقبيح وإمّا الجهل فنقول: هذا بناء على أنّ الله تعالى لا يأمر إلاّ بما يكون حسناً في ذاته، ولا ينهى إلاّ عمّا يكون قبيحاً في ذاته، وهذا قولك بناءً على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل، وأيضاً إنّا نسلّم ذلك إلا أنا نقول: لم لا يجوز أن يقال: إنّه تعالى الأمر بالشيء تارة يأمر لكون المأمور به حسناً، وتارةً يأمر لأجل أنّ ذلك الامر يفعل لمصلحة من المصالح ولو لم يكن المأمور به حسناً، ألا ترى أنّ السيّد إذا أراد أن يروض عبده فإنّه يقول له: إذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني، ويكون ذلك الفعل من الأفعال الشاقّة، ويكون مقصود السيّد من ذلك الامر ليس أن يأتي ذلك العبد بذلك الفعل بل أن يوطّن العبد نفسه على الانقياد والطاعة، ثمّ إنّ السيّد إذا علم منه أنّه وطّن نفسه على الطاعة فقد يزيل عنه ذلك التكليف، فكذا ههنا، فلمّا لم تقيموا الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم. والله أعلم انتهى[1].

أقول: لا ريب في وقوع مثل ذلك الامر الّذي رفع قبل وقت الامتثال، وإنّما الخلاف في توجيهه، فذهبت المعتزلة وأكثر المتكلّمين من الإماميّة إلى أنّ رفع التكليف قبل الامتثال قرينة دالّة على أنّ الامر لم يكن على ظاهره، بل كان المراد به أمراً آخر غير ما كان متبادراً منه كما في قصّة الذبح، فإنّ رفع التكليف به قرينة على أنّ الامر إنّما كان متوجهاً إلى مقدّمات الذبح، وأمّا الآخرون فقالوا: إنّ الامر كان متوجهاً إلى نفس الذبح لكنّه كان مشروطاً بعدم النسخ قبل الفعل، فالفريقان متّفقان في أنّه قد ظهر بعد ذلك أمر كان المتبادر قبل ذلك خلافه، وأن ثمرة هذا التكليف ليس إلا العزم وتوطين النفس على الفعل، وإنّ الفداء كان

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢٦ المجلد ٨ ص ٣٤٨.

لأمر قد ظهر عدم تعلّق التكليف به، إمّا لنسخه وكونه مشروطاً بعدم النسخ، أو لانكشاف أنّ الأمر إنّما كان متوجهاً إلى مقدّمات الفعل، فإذا تأملت فيما ذكرناه يظهر لك أنّ الإشكالات الموردة في هذا المقام مشتركة بين الفريقين، وأن الخلاف في ذلك قليل الجدوى، وتفصيل القول في ذلك يطلب من مظانه.

الثالثة: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾ أي فلمّا وجد وبلغ أن يسعى معه في أعماله، و﴿مَعَهُ﴾ متعلّق بمحذوف دلّ عليه ﴿السَّعْيَ﴾ لا ﴿بِهِ﴾ لان صلة المصدر لا يتقدمه، ولا ببلغ فإنّ بلوغهما لم يكن معاً انتهى[1].

أقول: قد ظهر من بعض الأخبار السالفة أنّه يحتمل أن يكون المراد بالسعي النسك المعروف بين الصفا والمروة، فلا يحتاج إلى ما تكلفه، إذ يحتمل تعلقه ببلغ كما لا يخفى.

٧ - باب قصص لوط عليه السلام وقومه

الآيات، الأعراف: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)﴾.

هود «١١»: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (٧٧) وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (٧٨) قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ (٧٩) قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ (٨٠) قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ (٨١) فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥) قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥) وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٦٥.

الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (٦٦) وجاء أهل المدينة يستبشرون (٦٧) قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون (٦٨) واتقوا الله ولا تخزون (٦٩) قالوا أولم ننهك عن العالمين (٧٠) قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين (٧١) لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون (٧٢) فأخذتهم الصيحة مشرقين (٧٣) فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (٧٤) إن في ذلك لآيات للمتوسمين (٧٥) وإنها لبسبيل مقيم (٧٦) إن في ذلك لآية للمؤمنين (٧٧)﴾.

الأنبياء «٢١»: ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين (٧٤) وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين (٧٥)﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿كذبت قوم لوط المرسلين (١٦٠) إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون (١٦١) إني لكم رسول أمين (١٦٢) فاتقوا الله وأطيعون (١٦٣) وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٦٤) أتأتون الذكران من العالمين (١٦٥) وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون (١٦٦) قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين (١٦٧) قال إني لعملكم من القالين (١٦٨) رب نجني وأهلي مما يعملون (١٦٩) فنجيناه وأهله أجمعين (١٧٠) إلا عجوزا في الغابرين (١٧١) ثم دمرنا الآخرين (١٧٢) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (١٧٣) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين (١٧٤) وإن ربك لهو العزيز الرحيم (١٧٥)﴾.

النمل «٢٧»: ﴿ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون (٥٤) أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (٥٥) فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون (٥٦) فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين (٥٧) وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين (٥٨)﴾.

العنكبوت «٢٩»: ﴿ولوطا إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين (٢٨) أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين (٢٩) قال رب انصرني على القوم المفسدين (٣٠) ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية إن أهلها كانوا ظالمين (٣١) قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين (٣٢) ولما أن جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقالوا لا تخف ولا تحزن إنا منجوك وأهلك إلا امرأتك كانت من الغابرين (٣٣) إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء بما كانوا يفسقون (٣٤) ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون (٣٥)﴾.

الصافات «٣٧»: ﴿وإن لوطا لمن المرسلين (١٣٣) إذ نجيناه وأهله أجمعين (١٣٤) إلا عجوزا في الغابرين (١٣٥) ثم دمرنا الآخرين (١٣٦) وإنكم لتمرون عليهم مصبحين (١٣٧) وبالليل أفلا تعقلون (١٣٨)﴾.

الذاريات «٥١»: ﴿قال فما خطبكم أيها المرسلون (٣١) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين (٣٢) لنرسل عليهم حجارة من طين (٣٣) مسومة عند ربك للمسرفين (٣٤) فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين (٣٥) فما وجدنا فيها

غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٣٧)﴾.

القمر «٥٤»: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ (٣٤) نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ (٣٥) وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٦) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٩) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠)﴾.

التحريم «٦٦»: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ «١٠».

تفسير: قال الطبرسيّ قدّس الله روحه: ﴿وَلُوطًا﴾ أي أرسلنا أو اذكر لوطاً، وهو لوط بن هاران بن تارخ ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل: إنّه كان ابن خالة إبراهيم، وكانت سارة امرأة إبراهيم أخت لوط ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ﴾ أي السيّئة العظيمة القبح يعني إتيان الرّجال في أدبارهم ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا﴾ قيل: ما نرى ذكر على ذكر قبل قوم لوط، قال الحسن: وكانوا يفعلون ذلك بالغرباء[1].

﴿شَهْوَةً﴾ قال البيضاويّ: مفعول له أومصدر في موقع الحال، وفي التقييد بها وصفهم بالبهيميّة الصرفة، وتنبيه على أنّ العاقل ينبغي أن يكون الداعي له إلى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء الوطر[2].

﴿مُّسْرِفُونَ﴾ قال الطبرسيّ: أي متجاوزون عن الحدّ في الظلم والفساد ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ أي يتحرجون عن أدبار الرجال، أو يتنزهون عن أفعالكم وطرائقكم[3].

﴿وَأَهْلَهُ﴾ قال البيضاويّ: أي من آمن به ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ من الّذين بقوا في ديارهم فهلكوا ﴿مَّطَرًا﴾ أي نوعاً من المطر عجيباً، أي حجارةً من سجّيل؛ قيل: خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم[4].

وقال الطبرسي رحمه الله: ﴿سِيءَ بِهِمْ﴾ أي ساءه مجيئهم لأنّه خاف عليهم من قومه ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ أي ضاق بمجيئهم ذرعه، أي قلبه، لما رأى لهم من حسن الصورة وقد دعوه إلى الضيافة، وقومه كانوا يسارعون إلى أمثالهم بالفاحشة؛ وقيل: ضاق بحفظهم من قومه ذرعه حيث لم يجد سبيلاً إلى حفظهم وقد أتوه في صورة الغلمان المرد، وأصله أنّ الشيء إذا ضاق ذرعه لم يتّسع له ما اتسع، فاستعير ضيق الذرع عند تعذّر الامكان ﴿يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي شديد، من عصبه: إذا شدّه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون في المشي لطلب الفاحشة؛ وقيل: أي يساقون وليس هناك سائق غيرهم، فكأنّ بعضهم يسوق بعضاً ﴿وَمِن قَبْلُ﴾ أي قبل إتيان

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩٩.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٩٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٤ ص ٢٩٩.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٩٤.

الملائكة، أو قبل مجيء قوم لوط إلى ضيفانه، أو قبل بعثة لوط إليهم ﴿كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أي الفواحش مع الذكور ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ أي لا تلزموني عاراً وفضيحة ولا تخجلوني بالهجوم على أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ قد أصاب الرشد فيعمل بالمعروف وينهى عن المنكر، أو مرشد يرشدكم إلى الحقّ ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً﴾ أي منعة وقدرة وجماعة أتقوى بهم عليكم ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أي أنضمّ إلى عشيرة منيعة؛ قال قتادة: ذكر لنا أنّ الله تعالى لم يبعث نبيّاً بعد لوط إلّا في عز من عشيرته ومنعة من قومه ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ أي لا ينظر أحد منكم وراءه أو لا يلتفت أحد منكم إلى ماله ولا متاعه بالمدينة، أو لا يتخلّف أحد، وقيل: أمرهم أن لا يلتفتوا إذا سمعوا الرجفة والهدّة. ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قيل: إنّها التفتت حين سمعت الرجفة وقالت: يا قوماه، فأصابها حجر فقتلها؛ وقيل: إلا امرأتك لا تسر بها ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾ أي في علمه أو خزائنه الّتي لا يتصرّف فيها أحد إلا بأمره ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي وما تلك الحجارة من الظالمين من أمّتك يا محمّد ببعيد؛ وقيل: يعني بذلك قوم لوط وذكر أنّ حجراً بقي معلّقاً بين السماء والارض أربعين يوماً يتوقّع به رجل من قوم لوط كان في الحرم حتّى خرج منه فأصابه، قال قتادة: كانوا أربعة آلاف ألف[1].

﴿مِنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ أي الآيسين، فأجابهم إبراهيم عليه السلام بأن قال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ﴾ تنبيهاً على أنّه لم يكن كلامه من جهة القنوط ﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بالعذاب المستيقن به ﴿وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ﴾ أي كن وراءهم لتكون عيناً عليهم فلا يتخلّف أحداً منهم ﴿وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ أي اذهبوا إلى المواضع الّذي أمركم الله بالذهاب إليه وهو الشام ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ أي أعلمنا لوطاً وأوحينا إليه ما ينزل بهم من العذاب ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي يبشر بعضهم بعضاً بأضياف لوط ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي أن تجير أحداً أو تضيف أحداً؛ وهذا الكلام الّذي تقدّم إنّما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم أنّهم ملائكة وإنّما ذكر مؤخراً ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي وحياتك يا محمّد ﴿إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ أي في غفلتهم يتحيّرون ويتردّدون فلا يبصرون طريق الرشد ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾ أي أخذهم الصوت الهائل في حال شروق الشمس ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ لدلالات للمتفكرين المعتبرين[2].

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾ أي نبوّة أو الفصل بين الخصوم بالحقّ ﴿ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ فإنّهم كانوا يأتون الذكران ويتضارطون في أنديتهم وغير ذلك من القبائح[3].

﴿قَوْمٌ عَادُونَ﴾ أي ظالمون متعدّون الحلال إلى الحرام ﴿مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾ أي عن بلدنا ﴿مِّنَ ٱلْقَالِينَ﴾ أي المبغضين ﴿فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ أي بئس مطر الكافرين مطرهم[4].

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣١٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٢٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠١.
(٤) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٤٨.

﴿وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أي تعلمون أنّها فاحشة أو يرى بعضكم ذلك من بعض ﴿تَجْهَلُونَ﴾ أي تفعلون أفعال الجهّال، أو تجهلون القيامة وعاقبة العصيان[١].

﴿وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ أي سبيل الولد باختياركم الرجال، أو تقطعون النّاس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة فإنّهم كانوا يفعلونه بالمجتازين في ديارهم، وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالخذف فأيّهم أصابه كان أولى به، ويأخذون ماله، وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم، وكان لهم قاض يقضي بذلك؛ أو كانوا يقطعون الطريق على النّاس بالسرقة ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قيل: كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء، عن ابن عبّاس؛ وروي ذلك عن الرضا عليه السلام. وقيل: إنّهم كانوا يأتون الرّجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضاً؛ وقيل: كانت مجالسهم تشتمل على أنواع المناكير مثل الشتم والسخف والصفع والقمار وضرب المخراق وخذف الاحجار على من مرّ بهم وضرب المعازف والمزامير، وكشف العورات واللّواط ﴿رِجْزًا﴾ أي عذاباً ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾ قيل: هي الحجارة الّتي أُمطرت عليهم وقيل: هي آثار منازلهم الخربة؛ وقيل: هي الماء الأسود على وجه الأرض[٢].

﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ﴾ أي في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام[٣].

﴿غَيْرَ بَيْتٍ﴾ أي أهل بيت ﴿مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يعني لوطاً وبنتيه[٤].

﴿بِالنُّذُرِ﴾ أي بالإنذار أو بالرسل ﴿حَاصِبًا﴾ أي ريحاً حصبتهم، أي رمتهم بالحجارة والحصباء، قال ابن عبّاس: يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح ﴿نِّعْمَةً﴾ أي إنعاماً مفعول له أو مصدر ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُم﴾ لوط ﴿بَطْشَتَنَا﴾ أي أخذنا إيّاهم بالعذاب ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ أي تدافعوا بالإنذار على وجه الجدال بالباطل؛ وقيل: أي فشكّوا ولم يصدّقوا ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ﴾ أي طلبوا منه أن يسلّم إليهم أضيافه ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أي محونا، والمعنى: عميت أبصارهم ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ أي فقلنا لقوم لوط ذوقوا عذابي ونذري ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي أتاهم صباحاً عذابٌ نازل بهم حتّى هلكوا[٥].

﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عبّاس: كانت امرأة نوح كافرةً تقول للنّاس: إنّه مجنون، وإذا آمن أحد بنوح أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وكانت امرأة لوط تدلّ على أضيافه فكان ذلك خيانتهما لهما، وما بغت امرأة نبيّ قط، وإنّما كانت خيانتهما في الدين

وقال السدّيّ: كانت خيانتهما أنّهما كانتا كافرتين؛ وقيل: كانتا منافقتين؛ وقال

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٩٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٣٢.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٦٣.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٢٠.

الضحّاك: خيانتهما النميمة إذا أوحى الله إليه ما أفشتاه إلى المشركين؛ وقيل: إنّ اسم امرأة نوح واغلة، واسم امرأة لوط واهلة؛ وقال مقاتل: والغة ووالهة[1].

١ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوّذ من البخل؟ فقال: نعم يا أبا محمّد في كلّ صباح ومساء، ونحن نتعوّذ بالله من البخل، الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وسأخبرك عن عاقبة البخل، إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية أشحاء على الطعام، فأعقبهم البخل داءً لا دواء له في فروجهم، فقلت: وما أعقبهم؟ فقال: إنّ قرية قوم لوط كانت على طريق السيّارة إلى الشام ومصر، فكانت السيّارة تنزل بهم فيضيّفونهم، فلمّا كثر ذلك عليهم ضاقوا بذلك ذرعاً بخلاً ولؤماً، فدعاهم البخل إلى أن كانوا إذا نزل بهم الضيف فضحوه من غير شهوة بهم إلى ذلك، وإنّما كانوا يفعلون ذلك بالضيف حتّى ينكل النازل عنهم، فشاع أمرهم في القرى وحذر منهم النازلة فأورثهم البخل بلاءً لا يستطيعون دفعه عن أنفسهم من غير شهوة لهم إلى ذلك، حتّى صاروا يطلبونه من الرجال في البلاد ويعطونهم عليه الجعل. ثمّ قال: فأيّ داء أدوى من البخل ولا أضرّ عاقبة ولا أفحش عند الله عزّ وجلّ؟ قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فهل كان أهل قرية لوط كلّهم هكذا يعملون؟ فقال: نعم إلا أهل بيت من المسلمين أما تسمع لقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ ثمّ قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ لوطاً لبث في قومه ثلاثين سنة يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ ويحذرهم عذابه، وكانوا قوماً لا يتنظفون من الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة، وكان لوط ابن خالة إبراهيم، وكانت امرأة إبراهيم سارة أخت لوط، وكان لوط وإبراهيم نبيّين مرسلين منذرين، وكان لوط رجلاً سخياً كريماً يقري الضيف إذا نزل به، ويحذرهم قومه، قال: فلمّا رأى قوم لوط ذلك منه قالوا له: إنّا ننهاك عن العالمين، لا تقر ضيفاً ينزل بك إن فعلت فضحنا ضيفك الّذي ينزل بك وأخزيناك، فكان لوط إذا نزل به الضيف كتم أمره مخافة أن يفضحه قومه، وذلك أنّه لم يكن للوط عشيرة؛ قال: ولم يزل لوط وإبراهيم يتوقعان نزول العذاب على قومه، فكانت لإبراهيم وللوط منزلة من الله عزّ وجلّ شريفة، وإنّ الله عزّ وجلّ كان إذا أراد عذاب قوم لوط أدركته مودّة إبراهيم وخلّته ومحبّة لوط فيراقبهم فيؤخّر عذابهم. قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا اشتد أسف الله على قوم لوط وقدّر عذابهم وقضى أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم فيسلي به مصابه بهلاك قوم لوط فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسماعيل، فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاقاً، فلمّا رأته الرسل فزعاً مذعوراً قالوا: سلاماً، قال: سلام إنّا منكم وجلون قالوا لا توجل إنّا رسل ربّك نبشّرك بغلام عليم.

قال أبو جعفر عليه السلام: والغلام العليم هو إسماعيل من هاجر، فقال إبراهيم للرسل:

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٤.

أبشّرتموني على أن مسّني الكبر فبم تبشرون؟ قالوا: بشرناك بالحقّ فلا تكن من القانطين، فقال إبراهيم: فما خطبكم بعد البشارة؟ قالوا: إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين قوم لوط إنّهم كانوا قوماً فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين.

قال أبو جعفر عليه السلام: فقال إبراهيم عليه السلام للرسل: إنّ فيها لوطاً! قالوا: نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله أجمعين، إلاّ امرأته قدّرنا إنّها لمن الغابرين.

قال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٦٢) قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ (٦٤) فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ يا لوط إذا مضى لك من يومك هذا سبعة أيّام ولياليها ﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ إذا مضى نصف اللّيل ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ ﴿وَٱمْضُوا۟﴾ في تلك الليلة ﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: فقضوا ذلك الأمر إلى لوط أنّ دابر هؤلاء مقطوع مصبحين.

قال: قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا كان يوم الثامن مع طلوع الفجر قدّم الله عزّ وجلّ رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ يعني زكياً مشوياً نضيجاً ﴿فَلَمَّا رَءَآ﴾ إبراهيم ﴿أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ (٧١)﴾ يعني فتعجّبت من قولهم ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ قال أبو جعفر عليه السلام: فلمّا جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق وذهب عنه الروع أقبل يناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم فقال الله عزّ وجلّ: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس من يومك محتوماً غير مردود[1].

شي: عن أبي بصير مثله[2].

بيان: هذا الخبر يدلّ على تعدّد البشارة، وأنّ الآيات الأول إشارة إلى الأولى والثواني إلى الثانية؛ ولم يذكره المفسّرون، ويؤيّده ما ذكره سبحانه في سورة الصافّات حيث قال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ إلى أن قال: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فظهر أنّ الغلام العليم الحليم المبشّر به هو إسماعيل عليه السلام وهو الذبيح وبشّر إبراهيم عليه السلام بعد ذلك بإسحاق، ومرّ في باب الذبيح قوله تعالى: ﴿سَلَٰمًا﴾ أي نسلّم عليك سلاماً أو سلّمنا سلاماً.

قوله: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ﴾ تعجّب من أن يولد له مع الكبر ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ أي فبأيّ أعجوبة تبشروني، أو أبأمر الله أم من جهة أنفسكم؛ وكان استعجابه عليه السلام باعتبار

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٦٨ باب ٣٤٠ ح ٤. (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٦٤ ح ٢٦

العادة دون القدرة؛ وقيل: كان غرضه أن يعلم أنّه هل يولد له على تلك الحال أو يردّ إلى الشباب. قوله: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي فما شأنكم الّذي أرسلتم لأجله سوى البشارة. قوله تعالى: ﴿لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ أي الباقين مع الكفرة لتهلك معهم. قوله: ﴿مُنكَرُونَ﴾ أي ينكركم نفسي وينفر عنكم مخافة أن تطرقوني، أو لا أعرفكم فعرّفوني أنفسكم. قوله: ﴿بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ أي بالعذاب الّذي كانوا يشكّون فيه إذا وعدتهم ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ أي فاذهب بهم اللّيلة ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ في طائفة من اللّيل؛ وقيل: في آخره، وعلى الأوّل يحمل تفسيره عليه السلام أي المراد بقطع نصف اللّيل. وقوله: ﴿إِلَّا امْرَأَتَكَ﴾ ليس في خلال تلك الآيات، وإنّما ذكره عليه السلام لبيان أنّه كان المراد بالأهل غيرها، أو أنّها هلكت في حال الخروج حيث التفتت فأصابها العذاب كما روي. قوله: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ أي آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، أي إنّهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لايبقى منهم أثرٌ ولا نسلٌ ولا عقبٌ.

وقال الفيروزآباديّ: حنذ الشاة يحنذها حنذاً وتحناذاً: شواها، وجعل فوقها حجارة محماة لينضجها فهي حنيذ، أو هو الحال الّذي يقطر ماؤه انتهى.

والإيجاس: الإدراك أو الإضمار. اختلف في سبب الخوف فقيل: إنّه لمّا رآهم شبّاناً أقوياء وكان ينزل طرفاً من البلد وكانوا يمتنعون من تناول طعامه لم يأمن أن يكون ذلك لبلاء، وذلك أنّ أهل ذلك الزمان إذا أكل بعضهم طعام بعض أمنه صاحب الطعام على نفسه وماله، ولهذا يقال: تحرّم فلان بطعامنا، أي أثبتت الحرمة بيننا بأكله الطعام؛ وقيل: إنّه ظنّهم لصوصاً يريدون به سوءاً؛ وقيل إنّه ظن أنّهم ليسوا من البشر جاؤوا لأمر عظيم؛ وقيل: علم أنّهم ملائكة فخاف أن يكون قومه المقصودين بالعذاب حتّى قالوا له: لا تخف يا إبراهيم إنّا أرسلنا إلى قوم لوط بالعذاب لا إلى قومك؛ وقيل: إنّهم دعوا الله فأحيى العجل الّذي كان ذبحه إبراهيم عليه السلام وشواه، فطفر ورغا فعلم حينئذ أنّهم رسل الله.

٢ - **ل، ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ من هم؟ فقال عليه السلام: قابيل يفرّ من هابيل عليه السلام، والّذي يفرّ من أمّه موسى عليه السلام، والّذي يفرّ من أبيه إبراهيم عليه السلام، والّذي يفرّ من صاحبته لوط عليه السلام. والّذي يفرّ من ابنه نوح عليه السلام يفرّ من ابنه كنعان[1].

٣ - **ل:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن أبي جميلة، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: ستّة في هذه الأمّة من أخلاق قوم لوط؛

(١) الخصال، ص ٣١٨ باب الخمسة ح ١٠٢ وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١.

الجلاهق وهو البندق، والخذف، ومضغ العلك، وإرخاء الإزار خيلاء، وحلّ الأزرار من القباء والقميص[١].

٤ - ع، ل: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عمّن خلق الله من الأنبياء مختوناً، فقال خلق الله آدم مختوناً، وولد شيث مختوناً، وإدريس ونوح وسام بن نوح وإبراهيم وداود وسليمان ولوط وإسماعيل وموسى وعيسى ومحمّد صلوات الله عليه وعليهم. وسأله عليه السلام عن يوم الأربعاء والتطيّر منه، فقال عليه السلام: آخر أربعاء من الشهر إلى أن قال: ويوم الأربعاء جعل الله عزّ وجلّ أرض قوم لوط عاليها سافلها، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارةً من سجّيل[٢].

٥ - فس في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: وأمّا القرية الّتي أُمطرت مطر السوء فهي سدوم قرية قوم لوط، أمطر الله عليهم حجارة من سجّيل يقول: من طين[٣].

٦ - فس: ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ﴾ أي لإبراهيم عليه السلام. قوله: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾ قال: هم قوم لوط يضرط بعضهم على بعض ﴿فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ هم قوم لوط[٤].

٧ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سأل جبرئيل كيف كان مهلك قوم لوط؟ فقال: إنّ قوم لوط كانوا أهل قرية لا يتنظّفون من الغائط، ولا يتطهّرون من الجنابة، بخلاء أشحّاء على الطعام، وإنّ لوطاً لبث فيهم ثلاثين سنة، وإنّما كان نازلاً عليهم ولم يكن منهم ولا عشيرة له فيهم ولا قوم، وإنّه دعاهم إلى الله عزّ وجلّ وإلى الإيمان واتّباعه، ونهاهم عن الفواحش، وحثّهم على طاعة الله فلم يجيبوه ولم يطيعوه، وإنّ الله عزّ وجلّ لمّا أراد عذابهم بعث إليهم رسلاً منذرين عذراً نذراً، فلمّا عتوا عن أمره بعث إليهم ملائكة ليخرجوا من كان في قريتهم من المؤمنين، فما وجدوا فيها غير بيت من المسلمين فأخرجوهم منها؛ وقالوا للوط: أسر بأهلك من هذه القرية اللّيلة بقطع من اللّيل ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون، فلمّا انتصف اللّيل سار لوط ببناته وتولّت امرأته مدبرة فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أنّ لوطاً قد سار ببناته. وإنّي نوديت من تلقاء العرش لمّا طلع الفجر. يا جبرئيل حقّ القول من الله بحتم عذاب قوم لوط فاهبط إلى قرية قوم لوط وما حوت فاقلعها من تحت سبع أرضين ثمّ اعرج بها إلى السماء فأوقفها حتّى يأتيك أمر الجبّار في قلبها. ودع منها آية بيّنة من منزل لوط عبرة للسيّارة فهبطتُ على اهل القرية الظالمين فضربتُ بجناحي الأيمن على ماحوى عليه شرقيّها، وضربتُ بجناحي الأيسر على ماحوى عليه غربيّها فاقتلعتها يا محمّد

---

(١) الخصال، ص ٣٣١ باب الستة ح ٢٩.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٣ باب ٣٨٥ ح ٤٤ وعيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢١٩ باب ٢٤ ح ١.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٩٠. (٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٢٧.

من تحت سبع أرضين إلاّ منزل آل لوط آية للسيّارة، ثمّ عرجت بها في جوافي جناحي حتّى أوقفتها حيث يسمع أهل السماء زقاء ديوكها ونباح كلابها، فلمّا طلعت الشمس نوديت من تلقاء العرش: يا جبرئيل اقلب القرية على القوم، فقلبتها عليهم حتّى صار أسفلها أعلاها، وأمطر الله عليهم حجارة من سجّيل مسوّمة عند ربّك، وما هي يا محمّد عن الظالمين من أُمّتك ببعيد.

قال: فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل وأين كانت قريتهم من البلاد؟ فقال جبرئيل: كان موضع قريتهم في موضع بحيرة طبريّة اليوم وهي في نواحي الشام، قال له رسول الله ﷺ: أرأيتك حين قلبتها عليهم في أيّ موضع من الأرضين وقعت القرية وأهلها؟ فقال: يا محمد وقعت فيما بين بحر الشام إلى مصر فصارت تلولاً في البحر[1].

شي: عن أبي حمزة مثله «ج ٢ ص ١٦٦ ح ٥٧ من سورة هود».

بيان: الجوافي جمع الجوفاء أي الواسعة، أو الجافية من الجفو بمعنى البعد ومنه التجافي، ويحتمل أن يكون في الأصل أجواف فصحّف، والأظهر الخوافي بالخاء المعجمة قال في القاموس: قال الأصمعيّ: الخوافي ما دون الريشات العشر من مقدّم الجناح، وقال: قوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كلّ جناح انتهى. والزقاء: الصياح.

٨ - **فس:** قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ إلى قوله ﴿بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ أي مشويّ نضيج، فإنّه لما ألقى نمرود إبراهيم عليه السلام في النّار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً بقي إبراهيم مع نمرود وخاف نمرود من إبراهيم فقال: يا إبراهيم اخرج عن بلادي ولا تساكنّي فيها، وكان إبراهيم عليه السلام قد تزوّج بسارة وهي بنت خاله[2] وقد كانت آمنت به وآمن به لوط وكان غلاماً، وقد كان إبراهيم عليه السلام عنده غنيمات كان معاشه منها، فخرج إبراهيم عليه السلام من بلاد نمرود ومعه سارة في صندوق، وذلك أنّه كان شديد الغيرة، فلمّا أراد أن يخرج من بلاد نمرود منعوه وأرادوا أن يأخذوا منه غنيماته وقالوا له: هذا كسبته في سلطان الملك وبلاده وأنت مخالف له، فقال لهم إبراهيم: بيني وبينكم قاضي الملك سندوم فصاروا إليه فقالوا: إنّ هذا مخالف لدين الملك، وما معه كسبه في بلاد الملك، ولا ندعه يخرج معه شيئاً، فقال سندوم: صدقوا خلّ عمّا في يديك، فقال إبراهيم له: إنّك إن لم تقض بالحقّ متّ الساعة، قال. وما الحقّ؟ قال: قل لهم: يردّوا عليّ عمري الّذي أفنيته في كسب ما معي حتّى أردّ عليهم، فقال سندوم: يجب أن تردّوا عمره، فخلّوا عنه وعمّا كان في يده، فخرج إبراهيم عليه السلام وكتب نمرود في الدنيا أن لا تدعوه يسكن العمران، فمرّ ببعض عمّال نمرود - وكان كلّ من مرّ به يأخذ عشر ما معه - وكانت سارة مع إبراهيم في الصندوق، فأخذ عشر ما كان مع إبراهيم عليه السلام، ثمّ جاء إلى الصندوق فقال له: لابدّ من أن أفتح، فقال إبراهيم: عده

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٧٠ باب ٣٤٠ ح ٥. (٢) في هامش الكتاب: بنت خالته

ماشئت وخذ عشره، فقال: لابدّ من فتحه، ففتحه فلمّا نظر إلى سارة تعجّب من جمالها، فقال لإبراهيم: ما هذه المرأة الّتي هي معك؟ قال: هي أختي - وإنّما عنى أخته في الدين - قال له العاشر: لست أدعك تبرح حتّى اعلم الملك بحالها وحالك، فبعث رسولاً إلى الملك فأعرضها فحملت إليه فهمّ بها ومدّ يده إليها فقالت له: أعوذ بالله منك، فجفّت يده والتصقت بصدره وأصابته من ذلك شدّة، فقال: يا سارة ما هذا الذي أصابني منك؟ فقالت: لما هممت به فقال: قد هممت لك بالخير، فادعي الله أن يردّني إلى ما كنت، فقالت: اللّهمّ إن كان صادقاً فردّه كما كان، فرجع إلى ما كان، وكانت على رأسه جارية فقال: يا سارة خذي هذه الجارية تخدمك وهي هاجر أمّ إسماعيل عليه السلام.

فحمل إبراهيم سارة وهاجر فنزلوا البادية على ممرّ طريق اليمن والشام وجميع الدنيا، فكان يمرّ به الناس فيدعوهم إلى الإسلام وقد كان شاع خبره في الدنيا أنّ الملك ألقاه في النار فلم يحترق، وكانوا يقولون له: لا تخالف دين الملك فإنّ الملك يقتل من خالفه، وكان إبراهيم كلّ من مرّ به يضيفه، وكان على سبعة فراسخ منه بلاد عامرة كثيرة الشجر والنبات والخير وكان الطريق عليها، وكان كلّ من يمرّ بتلك البلاد يتناول من ثمارهم وزروعهم فجزعوا من ذلك فجاءهم إبليس في صورة شيخ فقال لهم: أدلّكم على ما إن فعلتموه لم يمرّ بكم أحد؟ فقالوا: ما هو؟ فقال: من مرّ بكم فانكحوه في دبره واسلبوه ثيابه، ثمّ تصوّر لهم إبليس في صورة أمرد أحسن ما يكون من الشباب فجاءهم فوثبوا عليه ففجروا به كما أمرهم فاستطابوه فكانوا يفعلونه بالرجال، فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فشكا الناس ذلك إلى إبراهيم عليه السلام فبعث إليهم لوطاً يحذّرهم وينذرهم، فلمّا نظروا إلى لوط قالوا: من أنت؟ قال: أنا ابن خال إبراهيم الّذي ألقاه الملك في النار فلم يحترق وجعلها الله عليه برداً وسلاماً وهو بالقرب منكم فاتّقوا الله ولا تفعلوا هذا فإنّ الله يهلككم فلم يجسروا عليه وخافوه وكفّوا عنه، وكان لوط كلّما مرّ به رجل يريدونه بسوء خلّصه من أيديهم، وتزوّج لوط فيهم وولد له بنات، فلمّا طال ذلك على لوط ولم يقبلوا منه قالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾[1] أي لنرجمنّك ولنخرجنّك، فدعا عليهم لوط فبينا إبراهيم قاعد في موضعه الّذي كان فيه وقد كان أضاف قوماً وخرجوا ولم يكن عنده شيء فنظر إلى أربعة نفر قد وقفوا عليه لا يشبهون الناس، فقالوا سلاماً، فقال إبراهيم: سلام، فجاء إبراهيم عليه السلام إلى سارة فقال لها: قد جاءني أضياف لا يشبهون الناس، فقالت: ما عندنا إلّا هذا العجل فذبحه وشواه وحمله إليهم وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾[2].

وجاءت سارة في جماعة معها فقالت لهم: ما لكم تمتنعون من طعام خليل الله؟ ﴿فَقَالُوا﴾

---

(١) والصحيح كما في المصدر: من المخرجين. (٢) سورة هود، الآيتان: ٦٩-٧٠.

لإبراهيم ﴿لَا تَوْجَلْ﴾ أي لا تخف ﴿إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ ففزعت سارة وضحكت أي حاضت وقد كان ارتفع حيضها منذ دهر طويل فقال الله عزّوجلّ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ فوضعت يدها على وجهها ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ فقال لها جبرئيل: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ﴾ بإسحاق أقبل يجادل كما قال الله: ﴿يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾﴾[(١)] فقال إبراهيم لجبرئيل: بماذا أرسلت؟ قال: بهلاك قوم لوط، فقال إبراهيم: إنّ فيها لوطاً! قال جبرئيل: نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله إلاّ امرأته كانت من الغابرين، قال إبراهيم: يا جبرئيل إن كان في المدينة مائة رجل من المؤمنين يهلكهم الله؟ قال: لا، قال: فإن كان فيهم خمسين؟ قال: لا، قال: فإن كان فيهم عشرة؟ قال: لا، قال: وإن كان فيهم واحد؟ قال: لا، وهو قوله: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

فقال إبراهيم: يا جبرئيل راجع ربّك فيهم، فأوحى الله كلمح البصر: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ فخرجوا من عند إبراهيم عليه السلام فوقفوا على لوط في ذلك الوقت وهو يسقي زرعه فقال لهم لوط: من أنتم؟ قالوا: نحن أبناء السبيل أضفنا اللّيلة، فقال لهم: يا قوم إنّ أهل هذه القرية قوم سوء - لعنهم الله وأهلكهم - ينكحون الرجال ويأخذون الأموال، فقالوا: فقد أبطأنا فأضفنا، فجاء لوط إلى أهله - وكانت منهم - فقال لها: إنّه قد أتاني أضياف في هذه اللّيلة فاكتمي عليهم حتّى أعفو عنك إلى هذا الوقت، قالت: أفعل، وكانت العلامة بينها وبين قومها إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخن فوق السطح وإذا كان باللّيل توقد النار، فلمّا دخل جبرئيل والملائكة معه بيت لوط عليه السلام وثبت امرأته على السطح فأوقدت ناراً فعلم أهل القرية وأقبلوا إليه من كلّ ناحية كما حكى الله عزّوجلّ: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ أي يسرعون ويعدون، فلمّا صاروا إلى باب البيت قالوا: «يا لوط أولم ننهك عن العالمين» فقال لهم كما حكى الله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾.

وحدّثني أبي، عن محمّد بن عمرو رحمه الله في قول لوط: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال: عنى به أزواجهم، وذلك أنّ النبيّ هو أبو أمته فدعاهم إلى الحلال ولم يكن يدعوهم إلى الحرام، فقال: أزواجكم هنّ أطهر لكم ﴿قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ فقال لوط لمّا أيس: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾.

أخبرني الحسن بن عليّ بن مهزيار، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بعث الله نبيّاً بعد لوط إلاّ في عزّ من قومه.

(١) الآيات من سورة هود، ٧١-٧٥.

وحدّثني محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن محمّد بن الحسين، عن موسى بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن صالح، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قوله: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ قال: القوّة القائم عليه السلام، والركن الشديد ثلاث مائة وثلاثة عشر.

قال عليّ بن إبراهيم: فقال جبرئيل: لو علم ما له من القوّة؛ فقال: من أنتم؟ قال جبرئيل: أنا جبرئيل، فقال لوط: بماذا أمرت؟ قال: بهلاكهم، قال: الساعة فقال جبرئيل: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ فكسروا الباب ودخلوا البيت فضرب جبرئيل بجناحه على وجوههم فطمسها وهو قول الله عزّوجلّ: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ فلمّا رأوا ذلك علموا أنّه قد أتاهم العذاب فقال جبرئيل للوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ واخرج من بينهم أنت وولدك ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ﴾ وكان في قوم لوط رجل عالم فقال لهم: يا قوم قد جاءكم العذاب الّذي كان يعدكم لوط فاحرسوه ولا تدعوه يخرج من بينكم فإنّه مادام فيكم لا يأتيكم العذاب، فاجتمعوا حول داره يحرسونه، فقال جبرئيل: يا لوط اخرج من بينهم، فقال: كيف أخرج وقد اجتمعوا حول داري؟ فوضع بين يديه عموداً من نور فقال له: اتبع هذا العمود لا يلتفت منكم أحد، فخرجوا من القرية من تحت الأرض، فالتفتت امرأته فأرسل الله عليها صخرة فقتلتها، فلمّا طلع الفجر سارت الملائكة الأربعة كلّ واحد في طرف من قريتهم فقلعوها من سبع أرضين إلى تخوم الأرض ثمّ رفعوها في الهواء حتّى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصراخ الديكة، ثمّ قلبوها عليهم، وأمطرهم الله حجارة من سجّيل منضود مسوّمة عند ربّك وما هي من الظالمين ببعيد.

قوله: ﴿مَّنضُودٍ﴾ يعني بعضها على بعض منضدة. وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ أي منقوطة[1].

بيان: قوله عليه السلام: (فأعرضها) أي أظهرها لملكه وعرض أمرها عليه، قال في القاموس: أعرض الشيء له: أظهره له.

قوله عليه السلام: (وكانوا يقولون له) الظاهر أنّه من تتمّة الخبر الشائع في النّاس، أي كان قد شاع أنّهم نهوه عن ذلك وتوعّده بالقتل فلم ينته عمّا كان عليه حتّى ألقي في النّار فلم يحترق.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً﴾ أي وأمطرنا على القرية أي على الفاسقين من أهلها حجارة، عن الجبّائيّ؛ وقيل: أمطرت الحجارة على تلك القرية حين رفعها جبرئيل عليه السلام وقيل: إنّما أمطر عليهم الحجارة بعد أن قلبت قريتهم تغليظاً للعقوبة ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ أي (سنگ وگل) عن ابن عبّاس وسعيد بن جبير، بيّن بذلك صلابتها ومباينتها للبرد وأنّها ليست من جنس ما جرت به عادتهم في سقوط البرد من الغيوم؛ وقيل: إن السجّيل: الطين عن قتادة وعكرمة ويؤيّده قوله تعالى: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ﴾ وروي عن

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣٣.

عكرمة أيضاً أنّه بحر معلق في الهواء بين الأرض والسماء منه أنزلت الحجارة، وقال الضحّاك: هو الآجرّ، وقال الفرّاء: هو طين قد طبخ حتّى صار بمنزلة الأرحاء، وقال: كان أصل الحجارة طيناً فشدّدت، عن الحسن؛ وقيل: إنّ السجّيل: السماء الدنيا عن ابن زيد، فكانت تلك الحجارة منزلة من السماء الدنيا[١].

وقال البيضاويّ: أي من طين متحجّر؛ وقيل: إنّه من أسجله: إذا أرسله، أو من السجل، أي ما كتب الله أن يعذّبهم به؛ وقيل: أصله من سجّين، أي من جهنّم، فأبدلت نونه لاماً ﴿مَّنضُودٍ﴾ نضداً: معدًّا لعذابهم، أو نضد في الإرسال يتتابع بعضه بعضاً كقطار الأمطار، أو نضد بعضه على بعض وألصق به ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ معلمة للعذاب؛ وقيل: معلمة ببياض وحمرة، أو بسيماء يتميّز به عن حجارة الأرض، أو باسم من يرمى به[٢].

٩ - فس: أبي، عن سليمان الديلميّ، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً﴾ قال: ما من عبد يخرج من الدنيا يستحلّ عمل قوم لوط إلّا رمى الله كبده من تلك الحجارة يكون منيّته فيها، ولكنّ الخلق لا يرونه[٣].

١٠ - شي: عن ميمون اللّبّان مثله «ج ٢ ص ١٦٨ ح ٥٩ من سورة هود».

١١ - فس: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ﴾ أي أعلمناه ﴿أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ﴾ يعني قوم لوط ﴿لَعَمْرُكَ﴾ أي وحياتك يا محمّد، فهذه فضيلة لرسول الله صلى الله عليه وآله على الأنبياء[٤].

١٢ - ع: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن البزنطيّ، عن أبان، عن أبي بصير وغيره، عن أحدهما قال: إنّ الملائكة لمّا جاءت في هلاك قوم لوط قالوا: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ قالت سارة - وعجبت من قلّتهم وكثرة أهل القرية - فقالت: ومن يطيق قوم لوط؟ فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب فصكّت وجهها وقالت: عجوز عقيم! وهي يومئذ ابنة تسعين سنة، وإبراهيم يومئذ ابن عشرين ومائة سنة، فجادل إبراهيم عنهم وقال: إنّ فيها لوطاً، قال جبرئيل: نحن أعلم بمن فيها، فزاده إبراهيم فقال جبرئيل: يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذاب غير مردود. قال: وإنّ جبرئيل لمّا أتى لوطاً في هلاك قومه فدخلوا عليه وجاؤوا قومه يهرعون إليه قام فوضع يده على الباب ثمّ ناشدهم فقال: اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي قالوا أولم ننهك عن العالمين؟ ثمّ عرض عليهم بناته نكاحاً قالوا: ما لنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد، قال: فما منكم رجل رشيد؟ قال: فأبوا فقال: لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد، قال: وجبرئيل ينظر إليهم قال: لو يعلم أيّ قوّة له، ثمّ دعاه فأتاه ففتحوا الباب ودخلوا فأشار إليهم جبرئيل بيده فرجعوا عمياناً

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣١٧. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٧٦.

(٣) - (٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٨٨-٣٨٩.

يلتمسون الجدار بأيديهم، يعاهدون الله لئن أصبحنا لا نستبقي أحداً من آل لوط، قال: لمّا قال جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ قال له لوط: يا جبرئيل عجّل، قال: نعم، قال: يا جبرئيل عجّل، قال: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ ثمّ قال جبرئيل: يا لوط اخرج منها أنت وولدك حتّى تبلغ موضع كذا وكذا، قال: يا جبرئيل إنّ حمري ضعاف، قال: ارتحل فاخرج منها، فارتحل حتّى إذا كان السحر نزل إليها جبرئيل فأدخل جناحه تحتها حتّى إذا استعلت قلبها عليهم، ورمى جدران المدينة بحجارة من سجّيل، وسمعت امرأة لوط الهدّة فهلكت منها[1].

شي: عن أبي بصير مثله[2].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في ذلك يعني عرض البنات فقيل: أراد بناته لصلبه، عن قتادة؛ وقيل: أراد النساء من أمّته لأنّهن كالبنات له فإنّ كلّ نبيّ أبو أمّته وأزواجه أمّهاتهم، عن مجاهد وسعيد بن جبير. واختلف أيضاً في كيفيّة عرضهن فقيل بالتزويج، وكان يجوز في شرعه تزويج المؤمنة من الكافر، وكذا كان يجوز أيضاً في مبتدأ الإسلام وقد زوّج النبيّ صلى الله عليه وآله بنته من أبي العاص بن الربيع قبل أنّ يسلم. ثمّ نسخ ذلك؛ وقيل: أراد التزويج بشرط الإيمان، عن الزجّاج، وكانوا يخطبون بناته فلا يزوّجهنّ منهم لكفرهم؛ وقيل: إنّه كان لهم سيّدان مطاعان فيهم فأراد أن يزوّجهما بنتيه: زعوراء وريثاء[3].

١٣ - **ع:** ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن محمّد بن الحسين، عن البزنطيّ، عن أبان بن عثمان، عن أبي بصير، عن أحدهما عليهما السلام في قول لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[4] فقال: إنّ إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث عليه ثياب حسنة، فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه ولكن طلب إليهم أن يقعوا به، فلمّا وقعوا به التذّوه، ثمّ ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض[5].

ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال عن عمر الجرجانيّ، عن أبان، عن أبي بصير مثله «ص ١١٩».

كا: عليّ، عن أبيه، عن البزنطيّ مثله[6].

١٤ - **ع:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن جعفر البغداديّ، عن عليّ بن معبد، عن الدهقان، عن درست، عن عطيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال في المنكوح من الرجال: هم بقيّة سدوم، أما إنّي لست أعني بقيّتهم أنّهم ولده ولكن من طينتهم، قلت:

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٧٢ باب ٣٤٠ ح ٦. (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٦٥ ح ٥٤
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣١٤. (٤) سورة الأعراف، الآية: ٨٠.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٦٧ باب ٣٤٠ ح ٣. (٦) الكافي ج ٥ باب ٣٧٧ ح ٤

سدوم الّذي قلبت عليهم؟ قال: هي أربعة مدائن: سدوم، وصديم، ولدنا وعميراء، قال: فأتاهم جبرئيل عليه السلام وهنّ مقلوبات إلى تخوم الأرضين السابعة، فوضع جناحه تحت السفلى منهنّ ورفعهنّ جميعاً حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح كلابهم ثمّ قلبها(١).

كا: عليّ، عن أبيه، عن عليّ بن معبد مثله(٢).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: كانت أربع مدائن وهي المؤتفكات: سدوم، وعامورا، وداذوما، وصبوايم. وأعظمها سدوم، وكان لوط يسكنها(٣).

وقال المسعوديّ: أرسل الله لوطاً إلى المدائن الخمسة وهي: سدوم وعموراء، وأدوما، وصاعورا، وصابورا(٤).

وقال صاحب الكامل: كانت خمسة: سدوم، وصبعة، وعمرة، ودوما، وصعوة.

١٥ - **ع:** أبي، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قيل له: كيف كان يعلم قوم لوط أنّه قد جاء لوطاً رجال؟ قال: كانت امرأته تخرج فتصفّر، فإذا سمعوا التصفير جاؤوا، فلذلك كره التصفير(٥).

١٦ - **ص:** بهذا الإسناد، عن ابن فضّال، عن داود بن يزيد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا جاءت الملائكة في هلاك قوم لوط مضوا حتّى أتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب المدينة، فسلّموا عليه، فلمّا رآهم رأى هيئةً حسنة وعليهم ثياب بيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل؟ قالوا: نعم فتقدّمهم ومشوا خلفه فندم على عرضه عليهم المنزل فالتفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شرار خلق الله. وكان جبرئيل قال الله له: لا تعذّبهم حتّى يشهد عليهم ثلاث شهادات، فقال جبرئيل: هذه واحدة، ثمّ مشى ساعة فقال: إنّكم تأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل: هذه ثنتان، ثمّ مشى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شراراً من خلق الله، فقال جبريل: هذه ثلاث، ثمّ دخل ودخلوا معه منزله فلمّا بصر بهم امرأته أبصرت هيئةً حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا فدخنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إليه حتّى وقفوا بالباب، فقال لوط: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي﴾ ثمّ كابروه حتّى دخلوا عليه، قال: فصاح جبرئيل: يا لوط دعهم يدخلوا، قال: فدخلوا، فأهوى جبرئيل إصبعيه وهو قوله: ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ ثمّ قال جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾(٦).

١٧ - **ثو:** ابن الوليد، عن الحسن بن متّيل، عن البرقيّ، عن محمّد بن سعيد، عن زكريّا

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٧٣ باب ٣٤٠ ح ٧.
(٢) الكافي ج ٥ باب ٣٧٨ ح ٢.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣١٧.
(٤) مروج الذهب، ج ١ ص ٤٥.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٢٨٥ باب ٣٦٠ ح ١.
(٦) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٢٠.

ابن محمّد، عن أبيه، عن عمرو، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان قوم لوط أفضل قوم خلقهم الله عزّ وجلّ، فطلبهم إبليس لعنه الله الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرهم أنّهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم فأتى إبليس عبادتهم وكانوا إذا رجعوا خرّب إبليس ما يعملون، قال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الّذي يخرب متاعنا فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا: أنت الّذي تخرب متاعنا؟ فقال: نعم مرّة بعد مرّة، واجتمع رأيهم على أن يقتلوه فبيّتوه عند رجل فلمّا كان اللّيل صاح، فقال: ما لك؟ فقال: كان أبي ينوّمني على بطنه، فقال: نعم فنم على بطني قال: فلم يزل يدلك الرجل حتّى علمه أن يعمل بنفسه، فأوّلاً علمه إبليس والثانية علّمه هو، ثمّ انسلّ ففرّ منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه شيء لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفى الرجال بعضهم ببعض، ثمّ جعلوا يرصدون مارّ الطريق فيفعلون بهم حتّى ترك مدينتهم الناس، ثمّ تركوا نساءهم فأقبلوا على الغلمان فلمّا رأى إبليس لعنه الله أنّه قد أحكم أمره في الرجال دار إلى النساء فصيّر نفسه امرأةً ثمّ قال: إنّ رجالكم يفعلون بعضهم ببعض، قالوا: نعم قد رأينا ذلك وعلى ذلك يعظهم لوط ويوصيهم حتّى استكفت النساء بالنساء، فلمّا كملت عليهم الحجّة بعث الله عزّ وجلّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في زيّ غلمان عليهم أقبية فمرّوا بلوط عليه السلام وهو يحرث فقال: أين تريدون فما رأيت أجمل منكم قطّ؟ قالوا: أرسلنا سيّدنا إلى ربّ هذه المدينة، قال: ولم يبلغ سيّدكم ما يفعل أهل هذه المدينة، يا بنيّ إنّهم والله يأخذون الرجال فيفعلون بهم حتّى يخرج الدم! فقالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ وسطها، قال: فلي إليكم حاجة، قالوا: وما هي؟ قال: تصبرون ههنا إلى اختلاط الظلام، قال: فجلسوا، قال: فبعث ابنته فقال: جيئيني لهم بخبز وجيئيني لهم بماء في القرعة، وجيئيني لهم بعباءة يتغطّون بها من البرد، فلمّا أن ذهبت إلى البيت أقبل المطر وامتلأ الوادي فقال لوط: الساعة يذهب بالصبيان الوادي، قال: قوموا حتّى نمضي، فجعل لوط عليه السلام يمشي في أصل الحائط وجعل جبرئيل وميكائيل وإسرافيل يمشون وسط الطريق، فقال: يا بنيّ ههنا، قالوا: أمرنا سيّدنا أن نمرّ في وسطها، وكان لوط عليه السلام يستغتم الظلام، ومرّ إبليس لعنه الله فأخذ من حجر امرأته صبيّاً فطرحه في البئر، فتصايح أهل المدينة كلّهم على باب لوط عليه السلام فلمّا نظروا إلى الغلمان في منزل لوط عليه السلام قالوا: يا لوط قد دخلت في عملنا؟ قال: هؤلاء ضيفي فلا تفضحون، قالوا: هم ثلاثة، خذ واحداً وأعطنا اثنين، قال: وأدخلهم الحجرة وقال لوط عليه السلام: لو أنّ لي أهل بيت يمنعونني منكم، قال: وقد تدافعوا على الباب فكسروا باب لوط عليه السلام وطرحوا لوطاً، فقال له جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ فأخذ كفّاً من بطحاء فضرب بها وجوههم وقال: شاهت الوجوه، فعمي أهل المدينة كلّهم، فقال لهم لوط: يا رسل ربّي بما أمركم فيهم؟ قالوا: أمرنا أن نأخذهم بالسحر قال: فلي إليكم حاجة،

قالوا: وما حاجتك؟ قال: تأخذونهم الساعة، قالوا: يا لوط ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾(١) لمن يريد أن يؤخذ؟ فخذ أنت بناتك وامض ودع امرأتك.

قال أبو جعفر عليه السلام: رحم الله لوطاً لو يدري من معه في الحجرة لعلم أنّه منصور حين يقول: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ أيّ ركن أشدّ من جبرئيل معه في الحجرة قال الله عزّ وجلّ لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي من ظالمي أمّتك إن عملوا عمل قوم لوط(٢).

كا: العدّة، عن البرقيّ، عن محمّد بن سعيد مثله. «ج ٥ باب ٣٧٧ ح ٥».

سن: محمّد بن سعيد مثله. «ص ١١٠ كتاب عقاب الأعمال ح ١٠٣».

بيان: قوله: (فأوّلاً علّمه إبليس) هكذا في الكتابين وفي الكافي، ولعلّ الأظهر (عمله) بتقديم الميم في الموضعين، وعلى ما في النسخ لعلّ المراد أنّه كان أوّلاً معلّم هذا الفعل إبليس حيث علمه ذلك الرجل، ثمّ صار ذلك الرجل معلّم الناس. وانسلّ بتشديد اللاّم: انطلق في استخفاء. والقرعة بالفتح: حمل اليقطين. وشاهت الوجوه أي قبحت.

١٨ - فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ألحّ في وطء الرجال لم يمت حتّى يدعو الرجال إلى نفسه(٣).

١٩ - وروي عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل لعب بغلام قال: إذا وقب لن تحلّ له أُخته أبداً(٤).

٢٠ - وقال عليه السلام: لو كان ينبغي لأحد أن يرجم مرّتين لرجم اللوطي مرّتين(٥).

٢١ - وقال أبو عبد الله عليه السلام: قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: اللّواط ما دون الدبر وهو لواط والدبر هو الكفر(٦).

٢٢ - **ثو:** أبي، عن سعد، عن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال، عن سعيد بن غزوان، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا عمل قوم لوط ما عملوا بكت الأرض إلى ربّها حتّى بلغت دموعها السماء وبكت السماء حتّى بلغت دموعها العرش، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى السماء: أن احصبيهم وأوحى إلى الأرض أن اخسفي بهم(٧).

سن: ابن فضّال مثله. «ص ١١٠ كتاب عقاب الأعمال ح ١٠٢».

٢٣ - **شي:** عن يزيد بن ثابت قال: سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام: أيؤتى النساء في أدبارهنّ؟ فقال: سفلت سفل الله بك، ما سمعت الله يقول: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(٨).

---

(١) سورة هود، الآية: ٨١. (٢) ثواب الأعمال للصدوق، ص ٣١٢.
(٣) - (٦) ثواب الأعمال للصدوق، ص ٣١٤. (٧) ثواب الأعمال للصدوق، ص ٣١٢.
(٨) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦ ح ٥٥ من سورة الأعراف.

٢٤ - **شي:** عن عبد الرحمن بن الحجّاج قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام ذكر عنده إتيان النساء في أدبارهنّ، فقال: ما أعلم آية في القرآن أحلّت ذلك إلاّ واحدة ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ الآية(١).

٢٥ - **شي:** عن أبي يزيد الحمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله بعث أربعة أملاك بإهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرّوبيل. فمرّوا بإبراهيم وهم متعمّمون، فسلّموا عليه ولم يعرفهم ورأى هيئة حسنة فقال: لا يخدم هؤلاء إلاّ أنا بنفسي - وكان صاحب أضياف - فشوى لهم عجلاً سميناً حتّى أنضجه ثمّ قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلمّا رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه فعرفه إبراهيم، فقال له: أنت هو؟ قال: نعم، ومرّت امرأته سارة ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قالت ما قال الله وأجابوها بما في الكتاب، فقال إبراهيم: فيما جئتم؟ قالوا: في هلاك قوم لوط، فقال لهم: إنّ كان فيها مائة من المؤمنين أتهلكونهم؟ فقال له جبرئيل: لا، قال: فإن كانوا خمسين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا ثلاثين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا عشرين؟ قال: لا، قال: فإن كانوا عشرة؟ قال: لا، قال: فإن كانوا خمسة؟ قال: لا، قال: فإن كانوا واحداً؟ قال: لا، قال: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ثمّ مضوا. قال: وقال الحسن بن عليّ: لا أعلم هذا القول إلاّ وهو يستبقيهم وهو قول الله: ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾(٢).

٢٦ - **شي:** عن عبد الله بن أبي هلال، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله وزاد فيه: فقال كلوا، فقالوا: لا نأكل حتّى تخبرنا ما ثمنه، فقال: إذا أكلتم فقولوا: باسم الله، وإذا فرغتم فقولوا: الحمد لله، قال: فالتفت جبرئيل إلى أصحابه وكانوا أربعة رئيسهم جبرئيل فقال: حقّ لله أن يتّخذ هذا خليلاً(٣).

بيان: (قال الحسن بن عليّ) أي ابن فضّال كما سيظهر ممّا سنورده من سند الكافي، أي أظنّ أنّ غرض إبراهيم عليه السلام كان استبقاء القوم والشفاعة لهم لا محض إنجاء لوط من بينهم.

٢٧ - **شي:** عن أبي يزيد الحمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وكرّوبيل، فأتوا لوطاً وهو في زراعة قرب القرية، فسلّموا عليه وهم متعمّمون، فلمّا رآهم رأى هيئةً حسنة عليهم ثياب بيض وعمائم بيض، فقال لهم: المنزل؟ فقالوا: نعم، فتقدّمهم ومشوا خلفه فتدم على عرضه المنزل عليهم، فقال: أيّ شيء صنعتُ؟ آتي بهم قومي وأنا أعرفهم! فالتفت إليهم فقال: إنكم لتأتون شراراً من خلق الله فقال جبرئيل: لا تعجل عليهم حتّى يشهد عليهم ثلاث مرّات، فقال

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٦ ح ٥٦ من سورة الأعراف.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٢ ح ٤٦ و٤٧ من سورة هود.

جبرئيل: هذه واحدةٌ، ثمّ مضى ساعة ثمّ التفت إليهم فقال: إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل: هذه اثنتان، ثمّ مشى فلمّا بلغ باب المدينة التفت إليهم فقال: إنّكم لتأتون شراراً من خلق الله، فقال جبرئيل: هذه الثالثة، ثمّ دخل ودخلوا معه حتّى دخل منزله فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة فصعدت فوق السطح فصفقت فلم يسمعوا، فدخنت فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون حتّى جاؤوا إلى الباب فنزلت المرأة فقالت: عنده قوم ما رأيت قوماً قطّ أحسن هيئة منهم، فجاؤوا إلى الباب ليدخلوا، فلمّا رآهم لوط قام إليهم فقال لهم: يا قوم اتّقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد؟ وقال: هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم؛ فدعاهم إلى الحلال فقالوا: ما لنا في بناتك من حقّ وإنّك لتعلم ما نريد، قال لهم: لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد. قال: فقال جبرئيل: لو يعلم أيّ قوّة له. قال: فكاثروه حتّى دخلوا البيت فصاح به جبرئيل فقال: يا لوط دعهم يدخلون، فلمّا دخلوا أهوى جبرئيل بإصبعه نحوهم فذهبت أعينهم وهو قول الله: ﴿فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ﴾ ثمّ ناداه جبرئيل: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ وقال له جبرئيل: إنّا بعثنا في إهلاكهم، فقال: يا جبرئيل عجّل، فقال: إنّ موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب؟ فأمره فتحمّل ومن معه إلاّ امرأته، ثمّ اقتلعها - يعني المدينة - جبرئيل بجناحه من سبع أرضين، ثمّ رفعها حتّى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصراخ الديوك ثمّ قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل[1].

كا: عليّ، عن أبيه، عن ابن فضّال، عن داود بن فرقد، عن أبي يزيد مثل الخبرين معاً.

٢٨ - **شي:** عن عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ قال: مشويّاً نضيجاً[2].

٢٩ - **شي:** قوله تعالى: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ قال أبو عبد الله عليه السلام: عرض عليهم التزويج[3].

٣٠ - **شي:** عن صالح بن سعد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ قال: قوّةً: القائم، والركن الشديد: ثلاث مائة وثلاثة عشر أصحابه[4].

بيان: يحتمل أن يكون المعنى أنّه تمنّى قوّة مثل قوّة القائم وأصحاباً مثل أصحابه، أو مصداقهما في هذه الأمّة: القائم وأصحابه، مع أنّه لا يبعد أن يكون تمنّى إدراك زمان القائم عليه السلام وحضوره وأصحابه عنده إذ لا يلزم في المتمنّي إمكان الحصول.

٣١ - **شي:** عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٥ ح ٥٣ من سورة هود.

(٢) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٣-١٦٨ ح ٤٨ و٥٤ و٥٥ من سورة هود.

يَصِلُوٓاْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : وهكذا قراءة أمير المؤمنين عليه السلام [(١)].

٣٢ - شي، عن أبي حمزة الثماليّ عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا قضى عذاب قوم لوط وقدّره أحبّ أن يعوّض إبراهيم من عذاب قوم لوط بغلام عليم ليسلّي به مصابه بهلاك قوم لوط، قال: فبعث الله رسلاً إلى إبراهيم يبشّرونه بإسماعيل قال: فدخلوا عليه ليلاً ففزع منهم وخاف أن يكونوا سرّاقاً، فلمّا رأته الرسل فزعاً مذعوراً قالوا سلاماً قال: سلام إنّا منكم وجلون قالوا لا توجل إنّا نبشّرك بغلام عليم. قال أبو جعفر عليه السلام : والغلام العليم هو إسماعيل من هاجر، فقال إبراهيم للرسل: أبشّرتموني على أن مسّني الكبر فبمَ تبشّرون؟ قالوا: بشّرناك بالحقّ فلا تكن من القانطين، قال إبراهيم للرسل: فما خطبكم بعد البشارة؟ قالوا: إنّا أرسلنا إلى قوم مجرمين قوم لوط إنّهم كانوا قوماً فاسقين، لننذرهم عذاب ربّ العالمين، قال أبو جعفر: قال إبراهيم: إنّ فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجّينّه وأهله إلاّ امرأته قدّرنا إنّها لمن الغابرين؛ فلمّا عذّبهم الله أرسل الله إلى إبراهيم رسلاً يبشّرونه بإسحاق ويعزّونه بهلاك قوم لوط، وذلك قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ يعني زكيّاً مشويّاً نضيجاً ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ﴾ قال أبو جعفر إنّما عنوا سارة قائمة، فبشّروها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب، فضحكت - يعني فعجبت من قولهم - وفي رواية أبي عبد الله: فضحكت قال: حاضت فعجبت من قولهم وقالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ إلى قوله: ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ فلمّا جاءت إبراهيم البشارة بإسحاق فذهب عنه الروع أقبل يناجي ربّه في قوم لوط ويسأله كشف البلاء عنهم فقال الله يا إبراهيم أعرض عن هذا إنّه قد جاء أمر ربّك وإنّهم آتيهم عذابي بعد طلوع الشمس من يومك محتوماً غير مردود[(٢)].

٣٣ - كا، عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن أبي حمزة، عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول لوط عليه السلام : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْۖ﴾ قال: عرض عليهم التزويج[(٣)].

٣٤ - يب، عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن الصّادق، عن آبائه عليهم السلام إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الخذف في النادي من أخلاق قوم لوط، ثمّ تلا عليه السلام : ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَۖ﴾ قال: هو الخذف[(٤)].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٣-١٦٨ ح ٥٨ من سورة هود.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦١ ح ٤٤ من سورة هود.

(٣) الكافي، ج ٥ ص ٨٨١ باب ٣٧٧ ح ٧. (٤) تهذيب الأحكام، ج ٣ ص ٥٨٠ باب ٢٥ ح ٦١.

٣٥ - فس: ﴿كَانَت تَّعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾قال: كانوا ينكحون الرجال[١].

٨ - باب قصص ذي القرنين

الآيات: الكهف: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾: أي بسطنا يده في الأرض وملّكناه حتّى استولى عليها. وروي عن عليّ عليه السلام أنّه قال: سخّر الله له السحاب فحمله عليها، ومدّ له في الأسباب، وبسط له النور، فكان اللّيل والنهار عليه سواء، فهذا معنى تمكينه في الأرض ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ أي وأعطيناه من كلّ شيء علماً وقدرة وآلة يتسبّب بها إلى إرادته ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي فأتبع طريقاً وأخذ في سلوكه، أو فأتبع سبباً من الأسباب الّتي أوتيها في المسير إلى المغرب ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ أي آخر العمارة من جانب المغرب، وبلغ قوماً لم يكن وراءهم أحدٌ إلى موضع غروب الشمس ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ أي كأنّها تغرب ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وإن كانت تغرب وراءها، لأنّ الشمس لا تزايل الفلك ولا تدخل عين الماء، ولكن لمّا بلغ ذلك الموضع تراءى له كأنّ الشمس تغرب في عين، كما أنّ من كان في البحر يراها كأنّها تغرب في الماء، ومن كان في البرّ يراها كأنّها تغرب في الأرض الملساء، والعين الحمئة: هي ذات الحمأ وهي الطين الأسود المنتن. والحامية: الحارّة، وعن كعب قال: أجدها في التوراة: تغرب في ماء وطين ﴿إِمَّا أَن تُعَذِّبَ﴾ أي بالقتل من أقام منهم على الشرك ﴿وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ أي تأسرهم وتمسكهم بعد الأسر لتعلّمهم الهدى؛ وقيل: معناه: وإمّا أن تعفو عنهم، واستدلّ من ذهب إلى أنّه كان نبيّاً بهذا، وقيل: ألهمه ولم يوح إليه ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي أشرك ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ أي نقتله إذا لم يسلم. ﴿نُّكْرًا﴾ أي منكراً غير معهود في النّار ﴿فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَىٰ﴾ أي له المثوبة الحسنى جزاءً ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾ أي

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٨.

قولاً جميلاً، وسنأمره بما يتيسّر عليه ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي طريقاً آخر من الأرض يوصله إلى مطلع الشمس ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي ابتداء المعمورة من جانب المشرق[1].

كذلك قال البيضاويّ: أي أمر ذي القرنين كما وصفناه في رفعة المكان وبسطة الملك، أو أمره فيهم كأمره في أهل المغرب من التخيير والاختيار ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ من الجنود والآلات والعدد والأسباب ﴿خُبْرًا﴾ أي علماً تعلّق بظواهره وخفاياه، والمراد أنّ كثرة ذلك بلغت مبلغاً لا يحيط به إلا علم اللّطيف الخبير ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يعني طريقاً ثالثاً معترضاً بين المشرق والمغرب آخذاً من الجنوب إلى الشمال ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ بين الجبلين المبنيّ عليهما سدّه، وهما جبلا أرمنيّة وآذربيجان؛ وقيل: جبلان في أواخر الشمال في منقطع أرض الترك، من ورائهما يأجوج ومأجوج ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ لغرابة لغتهم وقلّة فطنتهم ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ أي قال مترجمهم؛ وفي مصحف ابن مسعود: قال الّذين من دونهم ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي جعلاً نخرجه من أموالنا؟ ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ أي ما جعلنا فيه مكيناً من المال والملك خير ممّا تبذلون لي من الخراج، ولا حاجة بي إليه ﴿فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ﴾ أي بفعلة، أو بما أتقوى به من الآلات ﴿رَدْمًا﴾ أي حاجزاً حصيناً، وهو أكبر من السدّ ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ أي قطعه ﴿بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ أي بين جانبي الجبلين بتنضيدها ﴿قَالَ ٱنفُخُواْ﴾ أي قال للعملة: انفخوا في الأكوار والحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ﴾ أي جعل المنفوخ فيه ﴿نَارًا﴾ أي كالنار بالإحماء ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ أي آتوني قطراً، أي نحاساً مذاباً أفرغ عليه قطراً، فحذف الأوّل لدلالة الثاني عليه ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ﴾ بحذف التاء حذراً من تلاقي متقاربين ﴿أَن يَظْهَرُوهُ﴾ أي أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه ﴿وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ لثخنه وصلابته؛ قيل: حفر للأساس حتّى بلغ الماء، وجعله من الصخرة والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتّى ساوى أعلى الجبلين ثمّ وضع المنافخ حتّى صارت كالنار فصبّ النحاس المذاب عليها، فاختلط والتصق بعضها ببعض وصار جبلاً صلداً؛ وقيل: بناه من الصخور مرتبطاً بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب في تجاويفها ﴿قَالَ هَٰذَا﴾ السدّ أو الإقدار على تسويته ﴿رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ على عباده ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج، أو بقيام الساعة بأن شارف يوم القيامة ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ مدكوكاً مسويّاً بالأرض[2].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: إنّ هذا السدّ وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلي مؤخّرهما البحر المحيط، وقيل: إنّه وراء دربند وخزران من ناحية أرمنيّة وآذربيجان، وقيل: إنّ مقدار ارتفاع السدّ مائتا ذراع، وعرض الحائط نحو من خمسين ذراعاً؛ وجاء في الحديث: إنّهم يدأبون في حفره نهارهم حتّى إذا أمسوا وكادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غداً

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٨٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٦.

ونفتحه ولا يستثنون فيعودون من الغد وقد استوى كما كان، حتّى إذا جاء وعد الله قالوا: غداً نفتح ونخرج إن شاء الله فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه بالأمس فيخرقونه فيخرجون على الناس فينشفون المياه، وتتحصّن الناس في حصونهم منهم، فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع وفيها كهيئة الدماء فيقولون: قد قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فتدخل في آذانهم فيهلكون بها، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والّذي نفس محمّد بيده إنّ دوابّ الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكراً.

وفي تفسير الكلبيّ: إنّ الخضر وإلياس يجتمعان كلّ ليلة على ذلك السد يحجبان يأجوج ومأجوج عن الخروج[1].

١ - ص: كان اسم ذي القرنين عيّاشاً، وكان أوّل الملوك بعد نوح عليه السلام ملك ما بين المشرق والمغرب[2].

٢ - ع، لي: محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن معاذ بن المثنّى العنبريّ، عن عبد الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان، عن منصور، عن أبي وائل، عن وهب قال: وجدت في بعض كتب الله عزّ وجلّ أنّ ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينا هو يسير وجنوده إذ مرّ على شيخ يصلّي فوقف عليه بجنوده حتّى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يروّعك ما حضرك من جنودي؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك، وأعزّ سلطاناً، وأشدّ قوّةً ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله، فقال له ذو القرنين: هل لك في أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي، وأستعين بك على بعض أمري؟ قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحّة لا سقم فيها، وشباباً لا هرم فيه، وحياةً لا موت فيها، فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال؟ فقال الشيخ: فإنّي مع من يقدر عليها ويملكها وإيّاك.

ثمّ مرّ برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزّ وجلّ قائمين، وعن شيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين، فقال له ذو القرنين: أمّا الشيئان القائمان فالسماوات والأرض، وأمّا الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأمّا الشيئان المختلفان فاللّيل والنهار، وأمّا الشيئان المتباغضان فالموت والحياة. فقال: انطلق فإنّك عالم، فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتّى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى فوقف عليه بجنوده فقال له: أخبرني أيّها الشيخ لأيّ شيء تقلّب هذه الجماجم؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع، والغنيّ من الفقير فما عرفت وإنّي لأقلّبها منذ عشرين سنة، فانطلق ذو القرنين وتركه، فقال: ما عنيت بهذا أحداً غيري.

فبينا هو يسير إذ وقع إلى الأمّة العالمة من قوم موسى الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون،

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٨٩.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٢٢.

فلمّا رآهم قال لهم: أيّها القوم أخبروني بخبركم، فإنّي قد درت الأرض شرقها وغربها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم ألق مثلكم، فأخبروني ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا لصّ ولا ظنين وليس فينا إلاّ أمين، قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس بينكم حكّام؟ قالوا: لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكاثر، قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل أنّا متواسون متراحمون، قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا، قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتلون؟ قالوا: من قبل أنّا غلبنا طبائعنا بالعزم وسسنا أنفسنا بالحلم، قال: فما بالكم كلمتكم واحدةٌ وطريقتكم مستقيمةٌ؟ قالوا: من قبل أنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً، قال: فأخبروني لمَ ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنّا نقسم بالسويّة، قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذلّ والتواضع، قال: فلمَ جعلكم الله عزّ وجلّ أطول النّاس أعماراً؟ قالوا من قبل أنّا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل، قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل أنّا لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل أنّا وطنّا أنفسنا على البلاء فعزّينا أنفسنا، قال: فما بالكم لا يصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أنا لا نتوكّل على غير الله عزّ وجلّ، ولا نستمطر بالأنواءِ والنجوم، قال: فحدّثوني أيّها القوم هكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويعفون عمّن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم ويصلون أرحامهم، ويؤدّون أمانتهم، ويصدقون ولا يكذبون، فأصلح الله لهم بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذو القرنين حتّى قبض، وكان له خمسمائة عام[١].

٣ - ل: الطالقانيّ، عن عبد العزيز بن يحيى البصريّ، عن محمّد بن عطيّة، عن عبد الله بن عمرو بن سعيد البصريّ، عن هشام بن جعفر، عن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان - وكان قارئاً للكتب - قال: قرأت في بعض كتب الله عزّ وجلّ: إنّ ذا القرنين لمّا فرغ من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينا هو يسير وجنوده إذ مرّ برجل عالم، فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزّ وجلّ قائمين. وساق الحديث إلى قوله: انطلق فإنّك عالم، ثمّ قال: والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة[٢].

بيان: الظنين: المتّهم. وقوله: لا تستبون غير مهموز من السبي يقال: سباه واستباه بمعنى.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ١٨٣ باب ٢٢٢ ح ٣٤، وأمالي الصدوق، ص ١٤٤ مجلس ٣٢ ح ٦.

(٢) الخصال، ص ٦٠ باب الاثنين ح ٨٠.

٤ - فس: جعفر بن أحمد، عن عبد الله بن موسى، عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ قال: إنّ ذا القرنين بعثه الله تعالى إلى قومه فضرب على قرنه الأيمن فأماته الله خمسمائة عام، ثمّ بعثه الله إليهم بعد ذلك فضرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام ثمّ بعثه إليهم بعد ذلك فملّكه مشارق الأرض ومغاربها من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب فهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَابًا نُّكْرًا﴾ قال: في النار، فجعل ذو القرنين بينهم باباً من نحاس وحديد وزفت وقطران فحال بينهم وبين الخروج. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ليس منهم رجل يموت حتّى يولد له من صلبه ألف ذكر. ثمّ قال: هم أكثر خلق خلقوا بعد الملائكة[1].

٥ - وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ فقال: لا نبيّاً ولا ملكاً بل عبداً أحبّ الله فأحبّه، ونصح لله فنصح له، فبعثه إلى قومه فضربوه على قرنه الأيمن فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمّ بعثه الثانية فضربوه على قرنه الأيسر فغاب عنهم ما شاء الله أن يغيب، ثمّ بعثه الله الثالثة فمكّن الله له في الأرض وفيكم مثله - يعني نفسه - فبلغ مغرب الشمس فوجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ قال ذو القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي دليلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: لم يعلموا صنعة ثياب ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ أي دليلاً ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ فقال ذو القرنين: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ فأمرهم أن يأتوه بالحديد فأتوا به فوضعه بين الصدفين يعني بين الجبلين حتّى سوّى بينهما، ثمّ أمرهم أن يأتوا بالنار فأتوا بها فنفخوا تحت الحديد حتّى صار مثل النّار، ثمّ صبّ عليه القطر وهو الصفر حتّى سدّه وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ إلى قوله: ﴿نَقْبًا﴾ فقال ذو القرنين: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾.

قال: إذا كان قبل يوم القيامة في آخر الزمان انهدم ذلك السدّ وخرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا وأكلوا الناس وهو قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ قال: فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب فكان إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فينبعث في القرية ظلمات ورعد وبرق وصواعق يهلك من ناواه وخالفه، فلم يبلغ مغرب الشمس حتّى دان له أهل المشرق والمغرب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ أي دليلاً.

---

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٥.

فقيل له : إنّ لله في أرضه عيناً يقال لها عين الحياة لا يشرب منها ذو روح إلاّ لم يمت حتّى الصيحة، فدعا ذو القرنين الخضر وكان أفضل أصحابه عنده ودعا ثلاث مائة وستّين رجلاً ودفع إلى كلّ واحد منهم سمكة وقال لهم : اذهبوا إلى موضع كذا وكذا فإنّ هناك ثلاث مائة وستّين عيناً، فليغسل كلّ واحد منكم سمكته في عين غير عين صاحبه فذهبوا يغسلون، وقعد الخضر يغسل فانسابت السمكة منه في العين وبقي الخضر متعجّباً ممّا رأى، وقال في نفسه : ما أقول لذي القرنين؟ ثمّ نزع ثيابه يطلب السمكة فشرب من مائها واغتمس فيه ولم يقدر على السمكة، فرجعوا إلى ذي القرنين فأمر ذو القرنين بقبض السمك من أصحابه، فلمّا انتهوا إلى الخضر لم يجدوا معه شيئاً فدعاه وقال له : ما حال السمكة؟ فأخبره الخبر، فقال له : فصنعت ماذا؟ قال: اغتمست فيها فجعلت أغوص وأطلبها فلم أجدها، قال: فشربت من مائها؟ قال: نعم، قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر : كنت أنت صاحبها[1].

بيان: الزأر والزئير صوت الأسد من صدره، يقال: زأر كضرب ومنع وسمع.

٦ - **شي، ج:** عن الأصبغ قال: قام ابن الكوّاء إلى عليّ عليه السلام وهو على المنبر فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين أنبيّاً كان أم ملكاً؟ وأخبرني عن قرنيه أمن ذهب كان أم من فضّة؟ فقال له عليّ عليه السلام : لم يكن نبيّاً ولا ملكاً، ولم يكن قرناه من ذهب ولا من فضّة، ولكنه كان عبداً أحبّ الله فأحبّه، ونصح لله فنصحه الله له، وإنّما سمّي ذو القرنين لأنّه دعا قومه إلى الله عزّ وجلّ فضربوه على قرنه فغاب عنهم حيناً، ثمّ عاد إليهم فضربوه بالسيف على قرنه الآخر، وفيكم مثله[2].

ع: أبي، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن القاسم بن عروة، عن بريد العجليّ، عن الأصبغ مثله[3].

ك: العطّار، عن أبيه[4].

٧ - **فس:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ قال: إذا كان آخر الزمان خرج يأجوج ومأجوج إلى الدنيا ويأكلون الناس[5].

٨ - **لي:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن عيسى بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار، عن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن حمّاد، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لمّا انتهى إلى السدّ جاوزه فدخل في الظلمات فإذا هو بملك قائم على جبل طوله خمسمائة ذراع فقال له الملك يا ذا القرنين أما كان خلفك مسلك؟ فقال

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٦.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٥ ح ٧١ من سورة الكهف، والاحتجاج، ص ٢٢٩.
(٣) علل الشرائع ج ١ ص ٤٦ باب ٣٧ ح ١.
(٤) كمال الدين ص ٣٦٤ باب ٣٨ ح ٣.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٥٠.

له ذو القرنين: من أنت؟ قال: أنا ملك من ملائكة الرحمن موكّل بهذا الجبل فليس من جبل خلقه الله عزّوجلّ إلاّ وله عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عزّوجلّ أن يزلزل مدينة أوحى إليّ فزلزلتها[١].

شي: عن جميل عنه عليه السلام مثله[٢].

يب: محمّد بن عليّ بن محبوب، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسين بن سعيد عن عبد الله بن عمرو، عن حمّاد بن عثمان، عن جميل، عنه عليه السلام مثله. «ج ٤ باب ٢٧ ح ٢١».

٩ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلا أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عيّاش، وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام، فأمّا عيّاش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأمّا داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك ملك سليمان، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[٣].

شي: عن الثماليّ عنه عليه السلام مثله[٤].

قال الصدوق رحمه الله: جاء هذا الخبر هكذا، والصحيح الّذي أعتقده في ذي القرنين أنّه لم يكن نبيّاً، وإنّما كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله. ونصح لله فنصحه الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام: وفيكم مثله. وذو القرنين ملك مبعوث وليس برسول ولا نبيّ كما كان طالوت، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ وقد يجوز أن يذكر في جملة الأنبياء من ليس بنبيّ، كما يجوز أن يذكر في جملة الملائكة من ليس بملك، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[٥].

١٠ - **ل:** ابن البرقيّ، عن أبيه، عن جدّه أحمد، عن أبيه محمّد بن خالد رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ملك الأرض كلّها أربعة: مؤمنان، وكافران، فأمّا المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين، والكافران نمرود وبخت نصّر؛ واسم ذو القرنين عبد الله بن ضحّاك بن معد[٦].

١١ - **ع:**[٧] المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن الأشعريّ، عن محمّد بن الحسين، عن محمّد بن سليمان، عن الثماليّ، عن الباقر عليه السلام قال: أوّل اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين وإبراهيم الخليل، استقبله إبراهيم فصافحه، وأوّل شجرة نبتت على

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٧٥ مجلس ٧١ ح ٢.
(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٢
(٣) الخصال، ص ٢٤٨ باب الأربعة ح ١١٠.
(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٦٦ خ ٧٥
(٥) الخصال، ص ٢٤٨ باب الأربعة ح ١١٠.
(٦) الخصال، ص ٢٥٥ باب الاربعة ح ١٣٠
(٧) هذا سهو ظاهر فكيف يمكن للصدوق، ان ينقل من المفيد، وهو أقدم منه والرواية كاملة في أمالي الطوسي.

وجه الأرض النخلة[(١)].

١٢ - ير: أحمد بن محمّد، عن ابن سنان، عن أبي خالد وأبي سلام، عن سورة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين قد خيّر السحابين واختار الذلول، وذخر لصاحبكم الصعب قال: قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعدٌ وصاعقةٌ أو برقٌ، فصاحبكم يركبه، أما إنّه سيركب السحاب ويرقى في الأسباب أسباب السماوات السبع والأرضين السبع: خمس عوامر، واثنتان خرابان[(٢)].

١٣ - ير: محمّد بن هارون، عن سهل بن زياد أبي يحيى قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله خير ذا القرنين السحابين الذلول والصعب فاختار الذلول وهو ما ليس فيه برق ولا رعد، ولو اختار الصعب لم يكن له ذلك، لأنّ الله ادّخره للقائم عليه السلام[(٣)].

١٤ - سن: ابن يزيد، عن إبراهيم بن أبي سماك، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ قال: لم يعلموا صنعة البناء[(٤)].

١٥ - ك: الطالقانيّ، عن الجلوديّ، عن محمّد بن عطيّة، عن عبد الله بن عمر بن سعيد البصريّ، عن هشام بن جعفر بن حمّاد، عن عبد الله بن سليمان وكان قارئاً للكتب قال: قرأت في بعض كتب الله عزّ وجلّ أنّ ذا القرنين كان رجلاً من أهل الإسكندرية وأمّه عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره يقال له: إسكندروس، وكان له أدب وخلق وعفّة من وقت ما كان فيه غلاماً إلى أن بلغ رجلاً، وكان رأى في المنام كأنّه دنا من الشمس حتّى أخذ بقرنيها شرقها وغربها، فلمّا قص رؤياه على قومه سمّوه ذا القرنين، فلمّا رأى هذه الرؤيا بعدت همّته وعلا صوته وعز في قومه، وكان أوّل ما أجمع عليه أمره أن قال: أسلمت لله عزّ وجلّ، ثمّ دعا قومه إلى الإسلام فأسلموا هيبةً له، ثمّ أمرهم أن يبنوا له مسجداً فأجابوه إلى ذلك، فأمر أن يجعل طوله أربعمائة ذراع، وعرضه مائتي ذراع، وعرض حائطه اثنين وعشرين ذراعاً، وعلوه إلى السماء مائة ذراع، فقالوا له: يا ذا القرنين كيف لك بخشب يبلغ ما بين الحائطين؟ فقال لهم: إذا فرغتم من بنيان الحائطين فاكبسوه بالتراب حتّى يستوي الكبس مع حيطان المسجد، فإذا فرغتم من ذلك فرضتم على كلّ رجل من المؤمنين على قدره من الذهب والفضّة، ثمّ قطعتموه مثل قلامة الظفر وخلطتموه مع ذلك الكبس، وعملتم له خشباً من نحاس وصفائح تذيبون ذلك وأنتم متمكّنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية فإذا فرغتم من ذلك دعوتم المساكين لنقل ذلك التراب فيسارعون فيه من أجل ما فيه من الذهب والفضّة.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٢١٥ مجلس ٨ ح ٣٧٣.

(٢) - (٣) بصائر الدرجات، ص ٣٧٩ ج ٨ باب ١٥ ح ٣ و٤. (٤) المحاسن للبرقي، ص ٦١٠.

فبنوا المسجد، وأخرج المساكين ذلك التراب، وقد استقلّ السقف بما فيه، واستغنى المساكين، فجنّدهم أربعة أجناد في كلّ جند عشرة آلاف، ثمّ نشرهم في البلاد وحدث نفسه بالسير فاجتمع إليه قومه فقالوا له: يا ذا القرنين ننشدك بالله لا تؤثر علينا بنفسك غيرنا فنحن أحقّ برؤيتك، وفينا كان مسقط رأسك، وبيننا نشأت وربّيت، وهذه أموالنا وأنفسنا وأنت الحاكم فيها، وهذه أمك عجوز كبيرة هي أعظم خلق الله عليك حقّاً فليس ينبغي عليك أن تعصيها ولا تخالفها، فقال لهم: والله إنّ القول لقولكم، وإنّ الرأي لرأيكم، ولكنّي بمنزلة المأخوذ بقلبه وسمعه وبصره، يقاد ويدفع من خلفه، لا يدري أين يؤخذ به ولا ما يراد به، ولكن هلمّوا معشر قومي فادخلوا هذا المسجد وأسلموا عن آخركم ولا تخالفوا عليّ فتهلكوا.

ثمّ دعا دهقان الإسكندرية فقال له: اعمر مسجدي، وعزّ عنّي أمي، فلمّا رأى الدهقان جزع أمّه وطول بكائها احتال ليعزّيها بما أصاب النّاس قبلها وبعدها من المصائب والبلاء، فصنع عيداً عظيماً ثمّ أذّن مؤذّنه: أيّها النّاس إنّ الدهقان يؤذنكم أن تحضروا يوم كذا وكذا، فلمّا كان ذلك اليوم أذّن مؤذّنه: اسرعوا واحذروا أن يحضر هذا العيد إلاّ رجل قد عري من البلاء والمصائب، فاحتبس الناس كلّهم وقالوا: ليس فينا أحد عرى من البلاء والمصائب، ما منّا أحد إلاّ وقد أصيب ببلاء أو بموت حميم، فسمعت أمّ ذي القرنين فأعجبها ولم تدر ما أراد الدهقان.

ثمّ إنّ الدهقان بعث منادياً ينادي فقال: أيّها الناس إنّ الدهقان قد أمركم أن تحضروا يوم كذا وكذا ولا يحضر إلاّ رجل قد ابتلي وأصيب وفجع ولا يحضره أحد عري من البلاء، فإنّه لا خير فيمن لا يصيبه البلاء، فلمّا فعل ذلك قال الناس: هذا رجل قد بخل ثمّ ندم واستحيى فتدارك أمره ومحا عيبه، فلمّا اجتمعوا خطبهم ثمّ قال: إنّي لم أجمعكم لما دعوتكم له، ولكنّي جمعتكم لأكلّمكم في ذي القرنين وفيما فجعنا به من فقده وفراقه، فاذكروا آدم إنّ الله عزّوجلّ خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأسكنه جنّته وأكرمه بكرامة لم يكرم بها أحداً ثمّ ابتلاه بأعظم بلية كانت في الدنيا وذلك الخروج من الجنّة، وهي المصيبة الّتي لا جبر لها، ثمّ ابتلي إبراهيم من بعده بالحريق، وابتلي ابنه بالذبح، ويعقوب بالحزن والبكاء، ويوسف بالرقّ، وأيّوب بالسقم، ويحيى بالذبح، وزكريّا بالقتل، وعيسى بالأسر، وخلقاً من خلق الله كثيراً لا يحصيهم إلاّ الله عزّوجلّ.

فلمّا فرغ من هذا الكلام قال لهم: انطلقوا وعزّوا أمّ الإسكندروس لننظر كيف صبرها، فإنّها أعظم مصيبة في ابنها، فلمّا دخلوا عليها قالوا لها: هل حضرت الجمع اليوم؟ وسمعت الكلام؟ قالت لهم: ما غاب عنّي من أمركم شيء، ولا سقط عنّي من كلامكم شيء، وما كان فيكم أحد أعظم مصيبة بالإسكندروس منّي، ولقد صبّرني الله وأرضاني وربط على قلبي، وإنّي لأرجو أن يكون أجري على قدر ذلك وأرجو لكم من الأجر بقدر ما رزيتم به من فقد

أخيكم، وأن تؤجروا على قدر ما نويتم في أمّه، وأرجو أن يغفر الله لي ولكم ويرحمني وإيّاكم؛ فلمّا رأوا حسن عزائها وصبرها انصرفوا عنها وتركوها، وانطلق ذو القرنين يسير على وجهه حتّى أمعن في البلاد يؤمُّ المغرب وجنوده يومئذ المساكين.

فأوحى الله جلّ جلاله إليه: يا ذا القرنين أنت حجّتي على جميع الخلائق ما بين الخافقين من مطلع الشّمس إلى مغربها وحجّتي عليهم، وهذا تأويل رؤياك؛ فقال ذو القرنين: إلهي إنّك ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره غيرك، فأخبرني عن هذه الأمّة بأيّة قوم أكاثرهم وبأيّ عدد أغلبهم؟ وبأيّة حيلة أكيدهم؟ وبأيّ صبر أقاسيهم؟ وبأيّ لسان أكلّمهم؟ وكيف لي بأن أعرف لغاتهم؟ وبأيّ سمع أعي قولهم؟ وبأيّ بصر أنفذهم؟ وبأيّة حجّة أخاصمهم؟ وبأيّ قلب أعقل عنهم؟ وبأيّة حكمة أدبر أمورهم؟ وبأيّ حلم أصابرهم؟ وبأيّ قسط أعدل فيهم؟ وبأيّة معرفة أفصل بينهم؟ وبأي علم أتقن أمورهم؟ وبأيّ عقل أحصيهم؟ وبأيّ جند أقاتلهم؟ فإنّه ليس عندي ممّا ذكرت شيء، يا ربّ فقوّني عليهم فإنّك الربّ الرحيم، لا تكلّف نفساً إلاّ وسعها، ولا تحملها إلاّ طاقتها.

فأوحى الله جلّ جلاله إليه: إنّي سأطوّقك ما حملتك، وأشرح لك صدرك فتسمع كلّ شيء، وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء، وأطلق لسانك بكلّ شيء وأحصي لك فلا يفوتك شيء، وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء، وأشدّ ظهرك فلا يهولك شيء، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء، وأسدّد لك رأيك فتصيب كلّ شيء، وأسخّر لك جسدك فتحسّ كلّ شيء، وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندين من جندك: النور يهديك، والظلمة تحوطك وتحوش عليك الأمم من ورائك.

فانطلق ذو القرنين برسالة ربّه عَزَّوَجَلَّ وأيّده الله بما وعده، فمرّ بمغرب الشمس فلا يمرّ بأمّة من الأمم إلاّ دعاهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فإن أجابوه قبل منهم وإن لم يجيبوه أغشاهم الظلمة، فأظلمت مدائنهم وقراهم وحصونهم وبيوتهم ومنازلهم، وأغشت أبصارهم ودخلت في أفواههم وآنافهم وأجوافهم فلا يزالوا فيها متحيّرين حتّى يستجيب الله عَزَّوَجَلَّ [1] ويعجّوا إليه، حتّى إذا بلغ مغرب الشمس وجد عندها الأمّة الّتي ذكرها الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، ففعل بهم ما كان فعله بمن مرّ به قبلهم، حتّى فرغ ممّا بينه وبين المغرب ووجد جمعاً وعدداً لا يحصيه إلاّ الله عَزَّوَجَلَّ، وقوّة وبأساً لا يطيقه إلاّ الله، وألسنةً مختلفةً، وأهواءً متشتتة، وقلوباً متفرّقة.

ثمّ مشى على الظلمة ثمانية أيّام وثمان ليال وأصحابه ينظرونه حتّى انتهى إلى الجبل الّذي هو محيط بالأرض كلّها، فإذا بملك من الملائكة قابض على الجبل وهو يقول: سبحان ربّي من الآن إلى منتهى الدهر، سبحان ربّي من أوّل الدنيا إلى آخرها، سبحان ربّي من موضع كفّي

---

(١) في المصدر: حتى يستجيبوا لله عز وجل...

إلى عرش ربي، سبحان ربّي من منتهى الظلمة إلى النور، فلمّا سمع ذو القرنين خرّ ساجداً فلم يرفع رأسه حتّى قوّاه الله عَزَّوَجَلَّ وأعانه على النظر إلى ذلك الملك، فقال له الملك: كيف قويت يا ابن آدم على أن تبلغ إلى هذا الموضع ولم يبلغه أحد من ولد آدم قبلك؟ قال ذو القرنين: قوّاني على ذلك الّذي قوّاك على قبض هذا الجبل وهو محيط بالأرض كلّها، قال له الملك: صدقت ولولا هذا البجل لانكفأت الأرض بأهلها، وليس على وجه الأرض جبل أعظم منه، وهو أوّل جبل أسّسه الله عَزَّوَجَلَّ، فرأسه ملصق بالسماءِ الدنيا، وأسفله في الأرض السابعة السفلى، وهو محيط بها كالحلقة، وليس على وجه الأرض مدينة إلاّ ولها عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عَزَّوَجَلَّ أن يزلزل مدينة فأوحي إليّ[1] فحرّكت العرق الّذي يليها فزلزلتها. فلمّا أراد ذو القرنين الرجوع قال للملك: أوصني، قال الملك: لا يهمّنّك رزق غد، ولا تؤخّر عمل اليوم لغد، ولا تحزن على ما فاتك، وعليك بالرفق، ولا تكن جبّاراً متكبّراً.

ثمّ إنّ ذا القرنين رجع إلى أصحابه، ثمّ عطف بهم نحو المشرق يستقري ما بينه وبين المشرق من الأمم فيفعل بهم ما فعل بأمم المغرب قبلهم حتّى إذا فرغ ما بين المشرق والمغرب عطف نحو الروم الّذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه، فإذا هو بأمة لا يكادون يفقهون قولاً، وإذا ما بينه وبين الروم مشحون من أمّة يقال لها يأجوج ومأجوج أشباه البهائم، يأكلون ويشربون ويتوالدون، هم ذكور وإناث، وفيهم مشابه من الناس الوجوه والأجساد والخلقة، ولكنّهم قد نقصوا في الأبدان نقصاً شديداً، وهم في طول الغلمان، ليس منهم أنثى ولا ذكر يجاوز طوله خمسة أشبار، وهم على مقدار واحد في الخلق والصور، عراة حفاة لا يغزلون ولا يلبسون ولا يحتذون، عليهم وبر كوبر الإبل يواريهم ويسترهم من الحرّ والبرد، ولكلّ واحد منهم أذنان: أحدهما ذات شعر، والأخرى ذات وبر ظاهرهما وباطنهما، ولهم مخالب في موضع الأظفار، وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها، وإذا نام أحدهم افترش إحدى أذنيه والتحف الأخرى فتسعه لحافاً، وهم يرزقون تنين البحر، كلّ عام يقذفه عليهم السحاب فيعيشون به عيشاً خصباً، ويصلحون عليه ويستمطرونه في إبّانه، كما يستمطر النّاس المطر في إبّان المطر، فإذا قذفوا به أخصبوا وسمنوا وتوالدوا وكثروا فأكلوا منه حولاً كاملاً إلى مثله من العام المقبل ولا يأكلون معه شيئاً غيره، وهم لا يحصي عددهم إلاّ الله عَزَّوَجَلَّ الّذي خلقهم، وإذا أخطأهم التنّين قحطوا وأجدبوا وجاعوا وانقطع النسل والولد، وهم يتسافدون كما تتسافد البهائم على ظهر الطريق وحيث ما التقوا، فإذا أخطأهم التنّين جاعوا وساحوا في البلاد فلا يدعون شيئاً أتوا عليه إلاّ أفسدوه وأكلوه، فهم أشدّ فساداً فيما أتوا عليه من الأرض من الجراد والبرد والآفات كلها، وإذا أقبلوا من أرض إلى أرض

(١) في المصدر: أوحى إليّ.

جلا أهلها عنها وخلوها، وليس يغلبون ولا يدفعون حتّى لا يجد أحد من خلق الله موضعاً لقدمه، ولا يخلو للإنسان قدر مجلسه، ولا يدري أحد من خلق الله كم من أوّلهم إلى آخرهم، ولا يستطيع شيء من خلق الله أن ينظر إليهم، ولا يدنو منهم نجاسة وقذراً وسوء حلية فبهذا غلبوا، ولهم حسّ وحنين إذا أقبلوا إلى الأرض يسمع حسّهم من مسيرة مائة فرسخ لكثرتهم، كما يسمع حسّ الريح البعيدة أوحسّ المطر البعيد، ولهم همهمة إذا وقعوا في البلاد كهمهمة النحل إلاّ أنه أشدّ وأعلى صوتاً، يملأ الأرض حتّى لا يكاد أحد يسمع من أجل ذلك الهمهمة شيئاً، وإذا أقبلوا إلى الأرض حاشوا وحوشها وسباعها حتّى لا يبقى فيها شيء منها، وذلك لأنهم يملؤون ما بين أقطارها، ولايتخلّف وراءهم من ساكن الأرض شيء فيه روح إلاّ اجتلبوه من قبل أنّهم أكثر من كلّ شيء، وأمرهم عجب من العجب، وليس منهم أحد إلاّ وقد عرف متى يموت، وذلك من قبل أنّه لا يموت منهم ذكر حتّى يولد له ألف ولد، ولا يموت منهم أنثى حتّى تلد ألف ولد، فبذلك عرفوا آجالهم، فإذا ولدوا الألف برزوا للموت وتركوا طلب ما كانوا فيه من المعيشة والحياة، فتلك قصّتهم من يوم خلقهم الله تعالى إلى يوم يفنيهم.

ثمّ إنّهم أجفلوا في زمان ذي القرنين يدورون أرضاً أرضاً من الأرضين، وأمّة أمّة من الأمم وهم إذا توجّهوا الوجه لم يعدلوا عنه أبداً، ولا ينصرفوا يميناً وشمالاً، ولا يلتفتوا فلمّا أحسّت تلك الأمم بهم وسمعوا همهمتهم استغاثوا بذي القرنين وذو القرنين يومئذ نازل في ناحيتهم واجتمعوا إليه فقالوا: يا ذا القرنين إنّه قد بلغنا ما آتاك الله من الملك والسلطان، وما ألبسك الله من الهيبة، وما أيّدك به من جنود أهل الأرض ومن النور والظلمة وإنّا جيران يأجوج ومأجوج وليس بيننا وبينهم سوى هذه الجبال، وليس لهم إلينا طريق إلاّ من هذين الصدفين، لو مالوا علينا أجلونا من بلادنا لكثرتهم حتّى لا يكون لنا فيها قرار، وهم خلق من خلق الله كثير، فيهم مشابه من الإنس وهم أشباه البهائم، يأكلون العشب ويفرسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع، ويأكلون حشرات الأرض كلّها من الحيّات والعقارب وكلّ ذي روح ممّا خلق الله عزّوجلّ، وليس لله عزّوجلّ خلق ينمو نماهم وزيادتهم ولا نشكّ أنّهم يملؤون الأرض ويجلون أهلها منها ويفسدون، ونحن نخشى كلّ وقت أن يطلع علينا أوائلهم من هذين الجبلين، وقد آتاك الله من الحيلة والقوّة ما لم يؤت أحداً من العالمين، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدًّا؟ قال: ما مكّنّي فيه ربّي خير فأعينوني بقوّة أجعل بينكم وبينهم ردماً آتوني زبر الحديد؛ قالوا: ومن أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل الّذي تريد أنْ تعمل؟ قال: إنّي سأدلكم على معدن الحديد والنحاس، فضرب لهم في جبلين حتّى فتقهما واستخرج منهما معدنين من الحديد والنحاس، قالوا: بأيّ قوّة نقطع الحديد والنحاس؟ فاستخرج لهم معدناً آخر من تحت الأرض يقال له السامور وهو أشدّ شيء بياضاً، وليس شيء منه يوضع على شيء إلاّ ذاب تحته، فصنع لهم منه أداة يعملون بها، وبه قطع سليمان بن داود عليه السلام أساطين بيت المقدس، وصخوره جاءت به الشياطين من تلك

المعادن، فجمعوا من ذلك ما اكتفوا به فأوقدوا على الحديد حتّى صنعوا منه زبراً مثل الصخور، فجعل حجارته من حديد ثمّ أذاب النحاس فجعله كالطين لتلك الحجارة، ثمّ بنى وقاس ما بين الصدفين فوجده ثلاثة أميال، فحفر له أساساً حتّى كاد يبلغ الماء وجعل عرضه ميلاً، وجعل حشوه زبر الحديد، وأذاب النحاس فجعله خلال الحديد فجعل طبقة من نحاس وأخرى من حديد حتّى ساوى الردم بطول الصدفين، فصار كأنّه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد، فيأجوج ومأجوج ينتابونه في كلّ سنة مرّة وذلك أنّهم يسيحون في بلادهم حتّى إذا وقعوا إلى الردم حبسهم، فرجعوا يسيحون في بلادهم فلا يزالون كذلك حتّى تقرب الساعة ويجيء أشراطها، فإذا جاء أشراطها وهو قيام القائم عجّل الله فرجه فتحه الله عزّوجلّ لهم، وذلك قوله عزّوجلّ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾.

فلمّا فرغ ذو القرنين من عمل السدّ انطلق على وجهه، فبينا هو يسير وجنوده إذ مرّ على شخص يصلّي فوقف عليه حتّى انصرف من صلاته فقال له ذو القرنين: كيف لم يرعك ما حضرك من الجنود؟ قال: كنت أناجي من هو أكثر جنوداً منك، وأعزّ سلطاناً، وأشدّ قوّة، ولو صرفت وجهي إليك لم أدرك حاجتي قبله، فقال له ذو القرنين: هل لك أن تنطلق معي فأواسيك بنفسي وأستعين بك على بعض أموري؟ قال: نعم إن ضمنت لي أربع خصال: نعيماً لا يزول، وصحّةً لا سقم فيها، وشباباً لا هرم معه، وحياةً لا موت معها؛ فقال له ذو القرنين: وأيّ مخلوق يقدر على هذه الخصال، قال: فإنّي مع من يقدر على هذه الخصال ويملكها وإيّاك.

ثمّ مرّ برجل عالم فقال لذي القرنين: أخبرني عن شيئين منذ خلقهما الله عزّوجلّ قائمين، وعن شيئين جاريين، وشيئين مختلفين، وشيئين متباغضين؛ فقال ذو القرنين: أمّا الشيئان القائمان فالسماء والأرض، وأمّا الشيئان الجاريان فالشمس والقمر، وأمّا الشيئان المختلفان فاللّيل والنهار، وأمّا الشيئان المتباغضان فالموت والحياة؛ فقال: انطلق فإنّك عالم، فانطلق ذو القرنين يسير في البلاد حتّى مرّ بشيخ يقلّب جماجم الموتى، فوقف عليه بجنوده فقال: أخبرني أيّها الشيخ لأيّ شيء تقلّب هذه الجماجم؟ قال: لأعرف الشريف من الوضيع فما عرفت وإنّي لأقلّبها منذ عشرين سنة.

فانطلق ذو القرنين وتركه وقال: ما أراك عنيت بهذا أحداً غيري، فبينا هو يسير إذ وقع إلى الأمّة العالمة الّذين منهم قوم موسى الّذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون، فوجد أمّة مقسطة عادلة يقسمون بالسويّة، ويحكمون بالعدل، ويتواسون ويتراحمون، حالهم واحدة، وكلمتهم واحدة، وقلوبهم مؤتلفة، وطريقتهم مستقيمة، وسيرتهم جميلة، وقبور موتاهم في أفنيتهم وعلى أبواب دورهم، وليس لبيوتهم أبواب، وليس عليهم أمراء، وليس بينهم قضاة وليس فيهم أغنياء ولا ملوك ولا أشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون، ولا يختلفون ولا يتنازعون،

ولا يستبون ولا يقتتلون، ولا تصيبهم الآفات، فلمّا رأى ذلك من أمرهم ملأ منهم عجباً، فقال لهم: أيّها القوم أخبروني خبركم، فإنّي قد درت في الأرض شرقها وغربها وبرّها وبحرها وسهلها وجبلها ونورها وظلمتها فلم أر مثلكم، فأخبروني ما بال قبوركم على أبواب أفنيتكم؟ قالوا: فعلنا ذلك عمداً لئلاّ ننسى الموت ولا يخرج ذكره من قلوبنا، قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا لصّ ولا خائن وليس فينا إلاّ أمين، قال: فما بالكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: إنّا لا نتظالم، قال: فما بالكم ليس عليكم حكّام؟ قالوا: إنّا لا نختصم، قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لأنّا لا نتكاثر، قال: فما بالكم ليس فيكم أشراف؟ قالوا: لأنّا لا نتنافس، قال: فما بالكم لا تتفاضلون ولا تتفاوتون؟ قالوا: من قبل أنّا متواسون متراحمون، قال: فما بالكم لا تنازعون ولا تختصمون؟ قالوا: من قبل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال: فما بالكم لا تستبون ولا تقتتلون؟ قالوا من قبل أنّا غلبنا طبائعنا بالعزم، وسننّا[1] أنفسنا بالحلم، قال: فما بالكم كلمتكم واحدةٌ وطريقتكم مستقيمةٌ؟ قالوا: من قبل أنّا لا نتكاذب ولا نتخادع ولا يغتاب بعضنا بعضاً، قال: فأخبروني لمَ ليس فيكم فقيرٌ ولا مسكينٌ قالوا: من قبل أنّا نقسم بالسويّة، قال: فما بالكم ليس فيكم فظٌّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذلّ والتواضع، قال: فلمَ جعلكم الله أطول الناس أعماراً؟ قالوا: من قبل أنّا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل، قال: فما بالكم لا تقحطون؟ قالوا: من قبل أنّا لا نغفل عن الاستغفار، قال: فما بالكم لا تحزنون؟ قالوا: من قبل أنّا وطّنّا أنفسنا على البلاء وحرصنا عليه فعزّينا أنفسنا، قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات؟ قالوا: من قبل أنّا لا نتوكّل على غير الله، ولا نستمطر بالأنواء والنجوم.

وقال: حدّثوني أيّها القوم أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: وجدنا آباءنا يرحمون مسكينهم، ويواسون فقيرهم، ويعفون عمّن ظلمهم، ويحسنون إلى من أساء إليهم، ويستغفرون لمسيئهم، ويصلون أرحامهم، ويؤدّون أماناتهم، ويصدقون ولا يكذبون، فأصلح الله عزّ وجلّ لهم بذلك أمرهم. فأقام عندهم ذو القرنين حتّى قبض، ولم يكن له فيهم عمر، وكان قد بلغ السنّ فأدركه الكبر، وكان عدّة ما سار في البلاد من يوم بعثه الله عزّ وجلّ إلى يوم قبض خمسمائة عام[2].

بيان: قوله: (ما رزيتم) من الرزيئة بالهمزة بمعنى المصيبة. ويقال: أمعن الفرس أي تباعد. وفي الأمر: أبعد، والضبّ في جحره: غاب في أقصاها؛ ذكره الفيروزآباديّ وقال: طوّقني الله أداء حقّه: قوّاني عليه. وحاش الإبل: جمعها. وقال الجوهريّ: أجفل القوم أي هربوا مسرعين. وأجفلت الريح أي أسرعت. وانجفل القوم أي انقلعوا كلّهم ومضوا انتهى. والتنافس: الرغبة في الشيء والانفراد به.

---

(١) في المصدر: وسننا...

(٢) كمال الدين للصدوق، ص ٣٦٥ باب ٣٨ ح ٥.

١٦ - **ك:** أحمد بن محمّد البزّاز، عن محمّد بن يعقوب بن يوسف، عن أحمد بن عبد الجبّار، عن يونس بن بكير، عن محمّد بن إسحاق، عن بشّار المدينيّ، عن عمرو بن ثابت، عن سماك بن حرب، عن رجل من بني أسد قال: سأل رجل عليّاً عليه السلام: أرأيت ذا القرنين كيف استطاع أن يبلغ المشرق والمغرب؟ قال: سخّر الله له السحاب، ومدّ له في الأسباب وبسط له النور فكان اللّيل والنهار عليه سواء[1].

١٧ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن عليّ بن النعمان، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً لكنّه كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله، وناصح الله فناصحه الله، أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً، ثمّ رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم من هو على سنّته، وإنّه خيّر السحاب الصعب والسحاب الذلول فاختار الذلول فركب الذلول، وكان إذا انتهى إلى قوم كان رسول نفسه إليهم لكيلا يكذّب الرسل[2].

ك: أبي، عن سعد إلى قوله: من هو على سنّته «ص ٣٦٣ باب ٣٨ ح ١».

شي: عن أبي بصير مثله[3].

١٨ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن هاشم، عن عمرو ابن عثمان، عن رجل، عن خلاّد، عن سماك بن حرب بن حبيب قال: أتى رجل عليّاً عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين، فقال له عليّ عليه السلام: سخّرت له السحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له في النور، فقال عليه السلام: كان يبصر باللّيل كما يبصر بالنهار[4].

١٩ - **ك:** عن المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشي، عن أبيه، عن محمّد بن عيسى، عن عمرو بن شمر، عن جابر الجعفيّ، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً جعله الله حجّة على عباده، فدعا قومه إلى الله عزّ وجلّ وأمرهم بتقواه فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً حتّى قيل: مات أو هلك، بأيّ واد سلك؟ ثمّ ظهر ورجع إلى قومه فضربوه على قرنه الآخر، ألا وفيكم من هو على سنّته وإنّ الله عزّ وجلّ مكّن له في الأرض وآتاه من كلّ شيء سبباً، وبلغ المشرق والمغرب، وإنّ الله تبارك وتعالى سيجري سنّته في القائم من ولدي، ويبلّغه شرق الأرض وغربها حتّى لا يبقى سهلٌ ولا موضعٌ من سهل ولا جبل وطئه ذو القرنين إلاّ وطئه، ويظهر الله له كنوز الأرض ومعادنها، وينصره بالرعب، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً[5].

٢٠ - **ص:** بالإسناد عن الصدوق بإسناده إلى محمّد بن أورمة، عن محمّد بن خالد، عمّن

---

(١) كمال الدين، ص ٣٦٤.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٢٠.
(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٣٦٦ ح ٧٢.
(٤) قصص الأنبياء، ص ١٢١.
(٥) كمال الدين، ص ٣٦٤.

ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: حجّ ذو القرنين في ستّمائة ألف فارس، فلمّا دخل الحرم شيّعه بعض أصحابه إلى البيت فلمّا انصرف قال: رأيت رجلاً ما رأيت رجلاً أكثر نوراً ووجهاً منه قالوا: ذاك إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام قال: اسرجوا فتسرّجوا ستّمائة ألف دابّة في مقدار ما يسرج دابّة واحدة، قال: ثمّ قال ذو القرنين: لا بل نمشي إلى خليل الرحمن، فمشى ومشى معه وأصحابه حتّى التقيا، قال إبراهيم عليه السلام: «بِمَ قطعت الدهر، قال: بإحدى عشرة كلمة: سبحان من هو باق لا يفنى * سبحان من هو عالم لا ينسى * سبحان من هو حافظ لا يسقط * سبحان من هو بصير لا يرتاب سبحان من هو قيّوم لا ينام * سبحان من هو ملك لا يرام سبحان من هو عزيز لا يضام * سبحان من هو محتجب لا يرى * سبحان من هو واسع لا يتكلّف * سبحان من هو قائم لا يلهو * سبحان من هو دائم لا يسهو[1].

٢١ - **سن:** اليقطينيّ، عن الدهقان، عن درست، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: ملك ذو القرنين وهو ابن اثني عشر، ومكث في ملكه ثلاثين سنة[2].

بيان: يمكن الجمع بينه وبين ما مرّ بحمله على ملكه قبل غيبته، أو بأن يكون المراد مدّة استيلائه على جميع الأرض واستقرار دولته.

٢٢ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن عمّه، عن الكوفي، عن شريف بن سابق، عن أسود بن رزين القاضي قال: دخلت على أبي الحسن الأوّل عليه السلام ولم يكن رآني قطّ، فقال: من أهل السدّ أنت؟ فقلت: من أهل الباب، فقال الثانية: من أهل السدّ أنت؟ قلت: من أهل الباب، قال: من أهل السدّ؟ قلت نعم، قال: ذاك السدّ الّذي عمله ذو القرنين[3].

أقول: أوردنا بعض أخباره في باب أحوال خضر عليه السلام.

٢٣ - **ص:** الصدوق، عن عبد الله بن حامد، عن محمّد بن جعفر، عن عبد الله بن أحمد ابن إبراهيم، عن عمرو بن حصين الباهليّ، عن عمر بن مسلم، عن عبد الرحمن بن زياد، عن مسلم بن يسار قال: قال أبو عقبة الأنصاريّ: كنت في خدمة رسول الله صلى الله عليه وآله فجاء نفر من اليهود فقالوا لي: استأذن لنا على محمّد صلى الله عليه وآله فأخبرته فدخلوا عليه، فقالوا: أخبرنا عمّا جئنا نسألك عنه، قال: جئتموني تسألونني عن ذي القرنين، قالوا: نعم، فقال: كان غلاماً من أهل الروم، ناصحاً لله عزّ وجلّ فأحبّه الله، وملك الأرض فسار حتّى أتى مغرب الشمس ثمّ سار إلى مطلعها، ثمّ سار إلى خيل يأجوج ومأجوج فبنى فيها السدّ، قالوا: نشهد أنّ هذا شأنه، وإنّه لفي التوراة[4].

٢٤ - **شي:** عن أبي الطفيل قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: إنّ ذا القرنين لم يكن نبيّاً ولا

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٢٢.
(٢) المحاسن، ص ١٩٣ باب العقل.
(٣) قصص الأنبياء، ص ١٢٣.
(٤) قصص الأنبياء، ص ٢٩٣.

رسولاً كان عبداً أحبّ الله فأحبّه، وناصح الله فنصحه؛ دعا قومه فضربوه على أحد قرنيه فقتلوه، ثمّ بعثه الله فضربوه على قرنه الآخر فقتلوه[١].

٢٥ - **شي**: عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام جميعاً قال لهما: ما منزلتكم؟ ومن تشبهون ممّن مضى؟ قالا: صاحب موسى وذو القرنين كانا عالمين ولم يكونا نبيّين[٢].

٢٦ - **شي**: عن ابن الورقاء قال: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن ذي القرنين ما كان قرناه؟ فقال: لعلّك تحسب كان قرنه ذهباً أو فضّة، أو كان نبيّاً؟ بل كان عبداً صالحاً بعثه الله إلى أناس فدعاهم إلى الله وإلى الخير، فقام رجل منهم فضرب قرنه الأيسر فمات، ثمّ بعثه فأحياه وبعثه إلى أناس فقام رجل فضرب قرنه الأيمن، فمات فسمّاه ذا القرنين[٣].

٢٧ - **شي**: عن ابن هشام، عن أبيه، عمّن حدّثه، عن بعض آل محمّد عليهم السلام قال: إنّ ذا القرنين كان عبداً صالحاً طويت له الأسباب، ومكّن له في البلاد، وكان قد وصف له عين الحياة، وقيل له: من يشرب منها شربة لم يمت حتّى يسمع الصوت، وإنّه خرج في طلبها حتّى أتى موضعها، وكان في ذلك الموضع ثلاث مائة وستين عيناً، وكان الخضر على مقدّمته، وكان من أشدّ أصحابه عنده، فدعاه فأعطاه وأعطى قوماً من أصحابه كلّ رجل منهم حوتاً مملّحاً، فقال: انطلقوا إلى هذه المواضع فليغسل كلّ رجل منكم حوته عند عين ولا يغسل معه أحد، فانطلقوا يلزم كلّ رجل منهم عيناً فغسل فيها حوته، وإنّ الخضر انتهى إلى عين من تلك العيون، فلمّا غمس الحوت ووجد الحوت ريح الماء حيي فانساب في الماء، فلمّا رأى ذلك الخضر رمى بثيابه وسقط وجعل يرتمس في الماء ويشرب ويجتهد أن يصيبه، فلمّا رأى ذلك رجع فرجع أصحابه، وأمر ذو القرنين بقبض السمك فقال: انظروا فقد تخلّفت سمكة، فقالوا: الخضر صاحبها، قال: فدعاه فقال: ما خلّف سمكتك؟ قال: فأخبره الخضر، فقال له: فصنعت ماذا؟ قال: سقطت عليها فجعلت أغوص فأطلبها فلم أجدها، فقال: فشربت من الماء؟ قال: نعم، قال: فطلب ذو القرنين العين فلم يجدها، فقال للخضر: أنت صاحبها[٤].

٢٨ - **شي**: عن حارث بن حبيب قال: أتى رجل عليّاً عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن ذي القرنين، فقال له: سخّر له السحاب، وقربت له الأسباب، وبسط له في النور، فقال له الرجل: كيف بسط له في النور؟ فقال عليّ عليه السلام: كان يبصر باللّيل كما يبصر بالنهار، ثمّ قال عليّ عليه السلام للرّجل: أزيدك فيه؟ فسكت[٥].

٢٩ - **شي**: عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال سئل عن ذي القرنين قال:

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٦ ح ٧٣ من سورة الكهف.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٦ ح ٧٤ و٧٦ من سورة الكهف.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٧ ح ٧٧ و٧٨ من سورة الكهف.

كان عبداً صالحاً واسمه عيّاش اختاره الله وابتعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المغرب وذلك بعد طوفان نوح، فضربوه على قرن رأسه الأيمن فمات منها، ثمّ أحياه الله بعد مائة عام، ثمّ بعثه إلى قرن من القرون الأولى في ناحية المشرق، فكذّبوه فضربوه ضربة على قرنه الأيسر فمات منها، ثمّ أحياه الله بعد مائة عام وعوّضه من الضربتين اللّتين على رأسه قرنين في موضع الضربتين أجوفين، وجعل عزّ ملكه وآية نبوّته في قرنيه، ثمّ رفعه الله إلى السماء الدنيا فكشط له عن الأرض كلّها جبالها وسهولها وفجاجها حتّى أبصر ما بين المشرق والمغرب، وآتاه الله من كلّ شيء علماً يعرف به الحقّ والباطل، وأيّده في قرنيه بكسف من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق، ثمّ أهبط إلى الأرض وأوحى إليه: أن سر في ناحية غرب الأرض وشرقها فقد طويت لك البلاد وذلّلت لك العباد فأرهبتهم منك، فسار ذو القرنين إلى ناحية المغرب فكان إذا مرّ بقرية زأر فيها كما يزأر الأسد المغضب، فيبعث من قرنيه ظلمات ورعد وبرق وصواعق تهلك من ناواه وخالفه، فلم يبلغ مغرب الشمس حتّى دان له أهل المشرق والمغرب، قال: وذلك قول الله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا﴾ فسار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ ولم يؤمن بربه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ في الدنيا بعذاب الدنيا ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ في مرجعه ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ إلى قوله: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾﴾ ذو القرنين من الشمس سبباً.

ثم قال أمير المؤمنين إنّ ذا القرنين لمّا انتهى مع الشمس إلى العين الحامية وجد الشمس تغرب فيها ومعها سبعون ألف ملك يجرّونها بسلاسل الحديد والكلاليب، يجرّونها من قعر البحر في قطر الأرض الأيمن كما يجري السفينة على ظهر الماء، فلمّا انتهى معها إلى مطلع الشمس سبباً وجدها تطلع على قوم إلى ﴿بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ ذا القرنين ورد على قوم قد أحرقتهم الشمس وغيّرت أجسادهم وألوانهم حتّى صيّرتهم كالظلمة، ثمّ أتبع ذو القرنين سبباً في ناحية الظلمة حتّى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً قالوا ياذا القرنين إنّ يأجوج ومأجوج خلف هذين الجبلين وهم يفسدون في الأرض إذا كان إبّان زروعنا وثمارنا خرجوا علينا من هذين السدّين، فرعوا في ثمارنا وزروعنا حتّى لا يبقون منها شيئاً، فهل نجعل لك خرجاً نؤدّيه إليك في كلّ عام على أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً إلى قوله: ﴿زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ قال: فاحتفر له جبل حديد فقلعوا له أمثال اللّبن، فطرح بعضه على بعض فيما بين الصدفين، وكان ذو القرنين هو أوّل من بنى ردماً على الأرض، ثمّ جمع عليه الحطب وألهب فيه النار ووضع عليه المنافيخ فنفخوا عليه، فلمّا ذاب قال: آتوني بقطر وهو المسّ الأحمر، قال: فاحتفروا له جبلاً من مسّ فطرحوه على الحديد فذاب معه واختلط به، قال: ﴿فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾ يعني يأجوج ومأجوج ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ إلى ههنا رواية عليّ بن الحسين ورواية محمّد بن نصر.

وزاد جبرئيل بن أحمد في حديثه بأسانيد عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يعني يوم القيامة، وكان ذو القرنين عبداً صالحاً وكان من الله بمكان نصح الله فنصح له، وأحبّ الله فأحبّه، وكان قد سبّب له في البلاد ومكّن له فيها حتّى ملك ما بين المشرق والمغرب، وكان له خليل من الملائكة يقال له. رقائيل ينزل إليه فيحدّثه ويناجيه، فبينا هو ذات يوم عنده إذ قال له ذو القرنين: يا رقائيل كيف عبادة أهل السماء؟ وأين هي من عبادة أهل الأرض؟ قال رقائيل: يا ذا القرنين وما عبادة أهل الأرض، فقال: أمّا عبادة أهل السماء ما في السماوات موضع قدم إلاّ وعليه ملك قائم لا يقعد أبداً، أو راكع لا يسجد أبداً، أو ساجد لا يرفع رأسه أبداً، فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً فقال: يا رقائيل إنّي أحبّ أن أعيش حتّى أبلغ من عبادة ربّي وحقّ طاعته ما هو أهله، قال رقائيل: يا ذا القرنين إنّ لله في الأرض عيناً تدعى عين الحياة فيها عزيمة من الله، أنّه من يشرب منها لم يمت حتّى يكون هو الّذي يسأل الله الموت، فإن ظفرت بها تعش ما شئت، قال: وأين تلك العين؟ وهل تعرفها؟ قال: لا غير أنّا نتحدّث في السماء أن لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ، فقال ذو القرنين: وأين تلك الظلمة؟ قال رقائيل: ما أدري، ثمّ صعد رقائيل فدخل ذا القرنين حزنٌ طويلٌ من قول رقائيل وممّا أخبره عن العين والظلمة ولم يخبره بعلم ينتفع به منهما، فجمع ذو القرنين فقهاء أهل مملكته وعلماءهم وأهل دراسة الكتب وآثار النبوّة فلمّا اجتمعوا عنده قال ذو القرنين: يا معشر الفقهاء وأهل الكتب وآثار النبوّة هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله وفي كتب من كان قبلكم من الملوك أنّ لله عيناً تدعى عين الحياة، فيها من الله عزيمة أنّه من يشرب منها لم يمت حتّى يكون هو الّذي يسأل الله الموت؟ قالوا: لا يا أيّها الملك، قال: فهل وجدتم فيما قرأتم من الكتب أنّ لله في الأرض ظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ؟ قالوا: لا أيّها الملك فحزن عليه ذو القرنين حزناً شديداً وبكى إذ لم يخبر عن العين والظلمة بما يحبُّ، وكان فيمن حضره غلامٌ من الغلمان من أولاد الأوصياء: أوصياء الأنبياء، وكان ساكتاً لا يتكلّم حتّى إذا أيس ذو القرنين منهم قال له الغلام: أيّها الملك إنّك تسأل هؤلاء عن أمر ليس لهم به علم، وعلم ما تريد عندي، ففرح ذو القرنين فرحاً شديداً حتّى نزل عن فراشه وقال له: ادن منّي فدنا منه، فقال: أخبرني، قال: نعم أيّها الملك، إنّي وجدت في كتاب آدم الّذي كتب يوم سمّي له ما في الأرض من عين أو شجر، فوجدت فيه أنّ لله عيناً تدعى عين الحياة، فيها من أمر الله عزيمة، أنّه من يشرب منها لم يمت حتّى يكون هو الّذي يسأل الله الموت بظلمة لم يطأها إنس ولا جانّ، ففرح ذو القرنين وقال: ادن منّي يا أيّها الغلام تدري أين موضعها؟ قال: نعم، وجدت في كتاب آدم أنّها على قرن الشمس - يعني مطلعها - ففرح ذو القرنين وبعث إلى أهل مملكته فجمع أشرافهم وفقهاءهم وعلماءهم وأهل الحكم منهم فاجتمع إليه ألف حكيم وعالم وفقيه، فلمّا اجتمعوا

عليه تهيّأ للمسير وتأهّب له بأعدّ العدّة وأقوى القوّة، فسار بهم يريد مطلع الشمس يخوض البحار ويقطع الجبال والفيافي والأرضين والمفاوز فسار اثني عشر سنة حتّى انتهى إلى طرف الظلمة، فإذا هي ليست بظلمة ليل ولا دخان ولكنّها هواء يفور سد ما بين الأفقين، فنزل بطرفها وعسكر عليها، وجمع علماء أهل عسكره وفقهاءهم وأهل الفضل منهم، فقال: يا معشر الفقهاء والعلماء إنّي أريد أن أسلك هذه الظلمة، فخروا له سجّداً فقالوا: أيها الملك إنّك لتطلب أمراً ما طلبه ولا سلكه أحد كان قبلك من النبيّين والمرسلين ولا من الملوك، قال: إنه لابدّ لي من طلبها، قالوا: أيها الملك إنّا لو نعلم أنّك إذا سلكتها ظفرت بحاجتك منها بغير عنت عليك لأمرنا ولكنّا نخاف أن يعلق بك منها أمر يكون فيه هلاك ملكك، وزوال سلطانك، وفساد من الأرض، فقال: لابدّ من أن أسلكها، فخرّوا سجّداً لله وقالوا: إنّا نتبرّأ إليك ممّا يريد ذو القرنين.

فقال ذو القرنين: يا معشر العلماء أخبروني بأبصر الدوابّ، قالوا: الخيل الإناث البكارة أبصر الدوابّ، فانتخب من عسكره فأصاب ستّة آلاف فرس إناثاً أبكاراً وانتخب من أهل العلم والفضل والحكمة ستّة آلاف رجل، فدفع إلى كلّ رجل فرساً وولى فسحر - وهو الخضر - على ألفي فرس، فجعلهم على مقدّمته، وأمرهم أن يدخلوا الظلمة، وسار ذو القرنين في أربعة آلاف وأمر أهل عسكره أن يلزموا معسكره اثني عشر سنة، فإن رجع هو إليهم إلى ذلك الوقت وإلاّ تفرقوا في البلاد ولحقوا ببلادهم أو حيث شاؤوا، فقال الخضر: أيها الملك إنّا نسلك في الظلمة لا يرى بعضنا بعضاً كيف نصنع بالضلال إذا أصابنا؟ فأعطاه ذو القرنين خرزةً حمراء كأنّها مشعلة لها ضوء، فقال: خذ هذه الخرزة فإذا أصابكم الضلال فارم بها إلى الأرض فإنّها تصيح، فإذا صاحت رجع أهل الضلال إلى صوتها، فأخذها الخضر ومضى في الظلمة، وكان الخضر يرتحل وينزل ذو القرنين، فبينا الخضر يسير ذات يوم إذ عرض له واد في الظلمة فقال لأصحابه: قفوا في هذا الموضع لا يتحرّكنّ أحدٌ منكم عن موضعه، ونزل عن فرسه فتناول الخرزة فرمى بها في الوادي فأبطأت عنه بالإجابة حتّى خاف أن لا تجيبه، ثمّ أجابته فخرج إلى صوتها فإذا هي على جانب العين، وإذا ماؤها أشدّ بياضاً من اللّبن، وأصفى من الياقوت، وأحلى من العسل، فشرب منه ثمّ خلع ثيابه فاغتسل منها، ثمّ لبس ثيابه ثمّ رمى بالخرزة نحو أصحابه فأجابته، فخرج إلى أصحابه وركب وأمرهم بالمسير فساروا، ومرّ ذو القرنين بعده فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة أربعين يوماً وأربعين ليلة، ثمّ خرجوا بضوء ليس بضوء نهار ولا شمس ولا قمر ولكنّه نور، فخرجوا إلى أرض حمراء رملة خشخاشة فركة كأن حصاها اللّؤلؤ، فإذا هو بقصر مبنيّ على طول فرسخ.

فجاء ذو القرنين إلى الباب فعسكر عليه، ثمّ توجّه بوجهه وحده إلى القصر فإذا طائر وإذا حديدة طويلة قد وضع طرفاها على جانبي القصر، والطير أسود معلّق في تلك الحديدة بين

السماء والأرض كأنّه الخطاف أو صورة الخطاف أو شبيه بالخطّاف أو هو خطّاف، فلمّا سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، فقال الطائر: يا ذا القرنين أما كفاك ما وراءك حتّى وصلت إلى حدّ بابي هذا، ففرق ذو القرنين فرقاً شديداً، فقال: يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال: هل كثر في الأرض بنيان الآجرّ والجصّ؟ قال: نعم، قال: فانتفض الطير وامتلأ حتّى ملأ من الحديدة ثلثها، ففرق ذو القرنين فقال: لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال: هل كثرت المعازف؟ قال: نعم، قال: فانتفض الطير وامتلأ حتّى ملأ من الحديدة ثلثيها، ففرق ذو القرنين فقال: لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال: هل ارتكب الناس شهادة الزور في الأرض؟ قال: نعم، فانتفض انتفاضة وانتفخ فسدّ ما بين جداري القصر، قال: فامتلأ ذو القرنين عند ذلك فرقاً منه، فقال له: لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال هل ترك الناس شهادة أن لا إله إلاّ الله؟ قال: لا، فانضمّ ثلثه ثمّ قال: يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال: هل ترك الناس الصلاة المفروضة؟ قال: لا، قال: فانضمّ ثلث آخر، ثمّ قال: يا ذا القرنين لا تخف وأخبرني، قال: سل، قال: هل ترك الناس الغسل من الجنابة؟ قال: لا، قال: فانضمّ حتّى عاد إلى حاله الأوّل، فإذا هو بدرجة مدرجة إلى أعلى القصر.

فقال الطير: ياذا القرنين اسلك هذه الدرجة، فسلكها وهو خائف لا يدري ما يهجم عليه حتّى استوى على ظهرها، فإذا هو بسطح ممدود مدّ البصر، وإذا رجل شابّ أبيض مضيء الوجه عليه ثياب بيض حتّى كأنّه رجل أو في صورة رجل أو شبيه بالرجل أو هو رجل، وإذا هو رافع رأسه إلى السماء ينظر إليها واضع يده على فيه، فلمّا سمع خشخشة ذي القرنين قال: من هذا؟ قال: أنا ذو القرنين، قال: ياذا القرنين أما كفاك ما وراءك حتّى وصلت إليّ؟! قال ذو القرنين: ما لي أراك واضعاً يدك على فيك؟ قال: ياذا القرنين أنا صاحب الصور، وإنّ الساعة قد اقتربت وأنا أنتظر أن أؤمر بالنفخ فأنفخ، ثمّ ضرب بيده فتناول حجراً فرمى به إلى ذي القرنين كأنّه حجر أو شبه حجر أو هو حجر فقال: ياذا القرنين خذها فإن جاع جعت، وإن شبع شبعت فارجع، فرجع ذو القرنين بذلك الحجر حتّى خرج به إلى أصحابه فأخبرهم بالطير وما سأله عنه وما قال له وما كان من أمره، وأخبرهم بصاحب السطح وما قال له وما أعطاه، ثمّ قال لهم: إنّه أعطاني هذا الحجر وقال لي: إن جاع جعت وإن شبع شبعت، قال: أخبروني بأمر هذا الحجر، فوضع في إحدى الكفّين فوضع حجر مثله في الكفّة الأخرى ثمّ رفع الميزان فإذا الحجر الّذي جاء به أرجح بمثل الآخر فوضعوا آخر فمال به حتّى وضعوا ألف حجر كلّها مثله، ثمّ رفعوا الميزان فمال بها ولم يستمل به الألف حجر فقالوا: يا أيّها الملك لا علم لنا بهذا.

فقال له الخضر: أيّها الملك إنّك تسأل هؤلاء عمّا لا علم لهم به، وقد أُوتيت علم هذا

الحجر، فقال ذو القرنين: فأخبرنا به وبيّنه لنا، فتناول الخضر الميزان فوضع الحجر الّذي جاء به ذو القرنين في كفّة الميزان، ثمّ وضع حجراً آخر في كفّة أخرى، ثمّ وضع كفّة تراب على حجر ذي القرنين يزيده ثقلاً ثمّ رفع الميزان فاعتدل، وعجبوا وخرّوا سجّداً لله تعالى وقالوا: أيّها الملك هذا أمر لم يبلغه علمنا وإنّا لنعلم أنّ الخضر ليس بساحر فكيف هذا وقد وضعنا معه ألف حجر كلّها مثله فمال بها وهذا قد اعتدل به وزاده تراباً؟ قال ذو القرنين: بيّن يا خضر لنا أمر هذا الحجر، قال الخضر: أيّها الملك إنّ أمر الله نافذ في عباده، وسلطانه قاهر، وحكمه فاصل وإنّ الله ابتلى عباده بعضهم ببعض، وابتلى العالم بالعالم، والجاهل بالجاهل، والعالم بالجاهل، والجاهل بالعالم، وإنّه ابتلاني بك، وابتلاك بي، فقال ذو القرنين: يرحمك الله يا خضر إنّما تقول: ابتلاني بك حين جعلت أعلم منّي وجعلت تحت يدي أخبرني يرحمك الله عن أمر هذا الحجر، فقال الخضر: أيّها الملك إنّ هذا الحجر مثل ضربه لك صاحب الصور، يقول: إنّ مثل بني آدم مثل هذا الحجر الّذي وضع ووضع معه ألف حجر فمال بها، ثمّ إذا وضع عليه التراب شبع وعاد حجراً مثله، فيقول: كذلك مثلك أعطاك الله من الملك ما أعطاك فلم ترض به حتّى طلبت أمراً لم يطلبه أبداً من كان قبلك، ودخلت مدخلاً لم يدخله إنس ولا جانّ، يقول: كذلك ابن آدم لا يشبع حتّى يحثى عليه التراب، قال: فبكى ذو القرنين بكاءً شديداً وقال: صدقت يا خضر يضرب لي هذا المثل، لا جرم إنّي لا أطلب أثراً في البلاد بعد مسلكي هذا، ثمّ انصرف راجعاً في الظلمة فبينا هم يسيرون إذ سمعوا خشخشة تحت سنابك خيلهم، فقالوا: أيّها الملك ما هذا؟ فقال: خذوا منه، فمن أخذ منه ندم، ومن تركه ندم، فأخذ بعضٌ وترك بعض، فلمّا خرجوا من الظلمة إذا هم بالزبرجد فندم الآخذ والتارك، ورجع ذو القرنين إلى دومة الجندل وكان بها منزله، فلم يزل بها حتّى قبضه الله إليه. قال: وكان ﷺ إذا حدّث بهذا الحديث قال: رحم الله أخي ذا القرنين ما كان مخطئاً إذ سلك ما سلك وطلب ما طلب.

ولو ظفر بوادي الزبرجد في مذهبه لما ترك فيه شيئاً إلاّ أخرجه إلى الناس لأنّه كان راغباً، ولكنّه ظفر به بعدما رجع فقد زهد[1].

٣٠ - جبرئيل بن أحمد، عن موسى بن جعفر رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ ذا القرنين عمل صندوقاً من قوارير ثمّ حمل في مسيره ما شاء الله، ثمّ ركب البحر فلمّا انتهى إلى موضع منه قال لأصحابه: دلّوني، فإذا حرّكت الحبل فأخرجوني، فإنّ لم أحرّك الحبل فأرسلوني إلى آخره، فأرسلوه في البحر وأرسلوا الحبل مسيرة أربعين يوماً، فإذا ضارب يضرب حيث الصندوق ويقول يا ذا القرنين أين تريد؟ قال: أريد أن أنظر إلى ملك ربّي في البحر كما رأيته في البرّ، فقال: يا ذا القرنين إنّ هذا الموضع الّذي أنت فيه مرّ فيه نوح زمان

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٧-٣٧٦ ح ٧٩ من سورة الكهف.

الطوفان فسقط منه قدوم فهو يهوي في قعر البحر إلى الساعة لم يبلغ قعره، فلمّا سمع ذو القرنين ذلك حرّك الحبل وخرج[١].

بيان: قال الفيروزآباديّ: الخشخشة: صوت السلاح، وكلّ شيء يابس إذا حلّ بعضه ببعض، والدخول في الشيء. انتهى.

وقوله عليه السلام: (فركة) أي كانت ليّنة بحيث كان يمكن فركها باليد.

٣١ - **شي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة الّتي ممّا يلي المغرب - يعني جابلقا -[٢].

بيان: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ وأبو بكر (حامية) أيّ حارّة، وقرأ الباقون ﴿حَمِئَةٍ﴾ أي ذات حمأة وطين أسود، وأوّلت بأنّ المراد أنّه بلغ ساحل البحر المحيط فرآها كذلك، إذ لم يكن في مطمح نظره غير الماء، ولذا قال تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ﴾ ولم يقل: كانت تغرب.

٣٢ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ كذلك قال: لم يعلموا صنعة البيوت[٣].

إيضاح: قال الرازيّ: فيه قولان: الأوّل: إنّه شاطئ بحر لا جبل ولا شيء يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم، فلهذا إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب واغلة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس يتعذّر عليهم التصرّف في المعاش، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمّات المعاش، وحالهم بالضدّ من أحوال سائر الخلق.

والقول الثاني: إنّ معناه: لا ثياب لهم، ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً، وفي كتب الهيئة أنّ حال أكثر أهل الزنج كذلك، وحال كلّ من سكن البلاد القريبة من خطّ الاستواء كذلك، وذكر في بعض كتب التفسير أنّ بعضهم قال: سافرت حتّى جاوزت الصين، فسألت عن هؤلاء القوم فقيل: بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلبس الأخرى، فلمّا قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهيئة الصلصلة فغشي عليّ، ثمّ أفقت فلمّا طلعت الشمس إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلوني سرباً لهم، فلمّا ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحون في الشمس فينضج[٤].

٣٣ - **شي:** عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اجعل بيننا وبينهم سدًّا» ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ قال: هو التقيّة[٥].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٦٧-٣٧٦ ح ٨٠ من سورة الكهف.

(٢) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٣ و٨٤ من سورة الكهف.

(٤) تفسير فخر الرازي، ج ٢١ المجلد ٧ ص ٤٩٧.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٥ من سورة الكهف.

٣٤ - **شي:** عن المفضّل قال: سألت الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ قال: التقيّة ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ قال: ما استطاعوا له نقباً إذا عمل بالتقيّة، لم يقدروا في ذلك على حيلة وهو الحصن الحصين، وصار بينك وبين أعداء الله سدًّا لا يستطيعون له نقباً، قال: وسألته عن قوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ قال: رفع التقيّة عند قيام القائم فينتقم من أعداء الله[1].

بيان: كأنّ هذا كلام على سبيل التمثيل والتشبيه، أي جعل الله التقيّة لكم سدًّا لرفع ضرر المخالفين عنكم إلى قيام القائم عليه السلام ورفع التقيّة، كما أنّ ذا القرنين وضع السدّ لرفع فتنة يأجوج ومأجوج إلى أن يأذن الله لرفعها.

تكملة: قال الرازيّ: اختلف النّاس في أنّ ذا القرنين من هو، وذكروا أقوالاً:

الأوّل: أنّه الإسكندر بن فيلقوس اليونانيّ، قالوا: والدليل عليه أنّ القرآن دلّ على أنّ الرجل المسمّى بذي القرنين بلغ ملكه إلى أقصى المغرب بدليل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ وأيضاً بلغ ملكه أقصى المشرق بدليل قوله: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ وأيضاً بلغ ملكه أقصى الشمال بدليل أنّ يأجوج ومأجوج قوم من الترك ويسكنون في أقصى الشمال، وبدليل أنّ السدّ المذكور في القرآن يقال في كتب التواريخ إنّه في أقصى الشمال، فهذا المسمّى بذي القرنين في القرآن قد دلّ القرآن على أنّ ملكه بلغ أقصى المشرق والمغرب والشمال، وهذا هو تمام القدر المعمور من الأرض، ومثل ذلك الملك البسيط لا شكّ أنّه على خلاف العادة، وما كان كذلك وجب أن يبقى ذكره مخلّداً على وجه الدهر، وأن لا يبقى مخفيّاً مستتراً، والملك الّذي اشتهر في كتب التواريخ أنّه بلغ ملكه إلى هذا القدر ليس إلاّ الإسكندر، وذلك لأنّه لمّا مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن كانوا طوائف، ثمّ قصد ملوك المغرب وقهرهم، وأمعن حتّى انتهى إلى البحر الأخضر ثمّ عاد إلى مصر وبنى الاسكندريّة وسمّاها باسم نفسه ثمّ دخل الشام وقصد بني إسرائيل، وورد بيت المقدس وذبح في مذبحه، ثمّ انعطف إلى أرمنيّة وباب الأبواب ودانت له العبرانيّون والقبط والبربر، وتوجّه بعد ذلك إلى دارا بن دارا وهزمه مرّات إلى أن قتله صاحب حرسه، واستولى الإسكندر على ملوك الفرس، وقصد الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ورجع إلى خراسان وبنى المدن الكثيرة، ورجع إلى العراق ومرض بشهر زور ومات بها، فلمّا ثبت بالقرآن أنّ ذا القرنين كان رجلاً ملك الأرض بالكليّة أو ما يقرب منها وثبت بعلم التواريخ أنّ الّذي هذا شأنه ما كان إلاّ الإسكندر وجب القطع بأنّ المراد بذي القرنين هو الإسكندر بن فيلقوس اليونانيّ.

ثمّ ذكروا في تسمية ذي القرنين بهذا الاسم وجوهاً: الأوّل: إنّه لقب بهذا اللّقب لأجل

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٦ من سورة الكهف.

بلوغه قرني الشمس أي مطلعها ومغربها كما لقّب أردشير بطول اليدين لنفوذ أمره حيث أراده. والثاني: إنّ الفرس قالوا: إنّ دارا الأكبر كان تزوج بابنة فيلقوس، فلمّا قرب منها وجد منها رائحة منكرة فردّها إلى أبيها وكانت قد حملت منه بالإسكندر فولدت الإسكندر بعد عودها إلى أبيها فيلقس، فبقي الإسكندر عند فيلقس وأظهر أنّه ابنه وهو في الحقيقة ابن دارا الأكبر، قالوا: والدليل على ذلك أنّ الإسكندر لمّا أدرك دارا بن دارا وبه رمق وضع رأسه في حجره وقال لدارا: يا أخي أخبرني عمّن فعل هذا لأنتقم لك منه؟ فهذا ما قاله الفرس، قالوا: فعلى هذا التقدير فالإسكندر أبوه دارا الأكبر، وأمّه بنت فيلقس، فهذا إنّما تولّد من أصلين مختلفين الفرس والروم، وهذا الّذي قاله الفرس، وإنّما ذكروه لأنّهم أرادوا أن يجعلوه من نسل ملوك العجم حتّى لا يكون ملك مثله من نسب غير نسب ملوك العجم، وهو في الحقيقة كذب، وإنّما قال الإسكندر لدارا «يا أخي» على سبيل التواضع وأكرم دارا بذلك الخطاب.

والقول الثاني: قال أبو الريحان البيرونيّ المنجّم في كتابه الّذي سمّاه بالآثار الباقية من القرون الخالية: قيل: إنّ ذا القرنين هو أبو كرب شمر بن عمير بن أفريقش الحميريّ، وهو الذي بلغ ملكه مشارق الأرض ومغاربها، وهو الّذي افتخر به أحد الشعراء من حمير حيث قال:

قد كان ذو القرنين قبلي مسلماً ملكاً علا في الأرض غير معبّد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي أسباب ملك من كريم سيّد

ثمّ قال أبو الريحان: ويشبه أن يكون هذا القول أقرب لأنّ الأذواء كانوا من اليمن وهم الّذين لا تخلوا أساميهم من ذي كذي المنار وذي نواس وذي النون وذي يزن.

والثالث: أنّه كان عبداً صالحاً ملّكه الله الأرض وأعطاه العلم والحكمة وألبسه الهيبة وإنّ كنا لا نعرف من هو، ثمّ ذكروا في تسميته بذي القرنين وجوهاً:

الأوّل: سأل ابن الكوّاء عليّاً عليه السلام عن ذي القرنين وقال: أملك أو نبيّ؟ قال: لا ملك ولا نبيّ، كان عبداً صالحاً ضرب على قرنه الأيمن، فمات ثمّ بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسمّي ذا القرنين وفيكم مثله. الثاني: سمّي بذي القرنين لأنّه انقرض في وقته قرنان من الناس. الثالث: قيل: كانت صفحتا رأسه من نحاس. الرابع: كان على رأسه ما يشبه القرنين. الخامس: كان لتاجه قرنان. السادس: عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه سمّي ذا القرنين لأنّه طاف قرني الدنيا يعني شرقها وغربها. السابع: كان له قرنان أي ضفيرتان. الثامن: إنّ الله تعالى سخّر له النور والظلمة فإذا سرى يهديه النور من أمامه ويمتدّ الظلمة من ورائه. التاسع: يجوز أن يلقب بذلك لشجاعته كما سمّي الشجاع بالقرن لأنّه يقطع أقرانه. العاشر: أنّه رأى في المنام كأنّه صعد الفلك وتعلّق بطرفي الشمس وقرنيها - أي جانبيها - فسمي لهذا السبب بذي القرنين. الحادي عشر: سمّي بذلك لأنّه دخل النور والظلمة.

والقول الرابع: أنّ ذا القرنين ملك من الملائكة، عن عمر؛ وإنّه سمع رجلاً يقول: يا ذا

القرنين، فقال: اللّهمّ اغفر أما رضيتم أن تسمّوا بأسماء الأنبياء حتّى سمّيتم بأسماء الملائكة؟ فهذا جملة ما قيل في هذا الباب، والقول الأوّل أظهر لأجل الدليل الّذي ذكرناه، وهو أنّ مثل هذا الملك العظيم يجب أن يكون معلوم الحال، وهذا الملك العظيم هو الإسكندر، فوجب أن يكون المراد بذي القرنين هو إلاّ أنّ فيه إشكالاً قويّاً وهو أنّه كان تلميذاً لأرسطاطاليس الحكيم، وكان على مذهبه، فتعظيم الله إيّاه يوجب الحكم بأنّ مذهب أرسطاطاليس حقّ وصدق وذلك ممّا لا سبيل إليه.

المسألة الثانية: اختلفوا في أنّ ذا القرنين هل كان من الأنبياء أم لا، منهم من قال: إنّه كان من الأنبياء، واحتجّوا عليه بوجوه:

الأوّل قوله: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ والأولى حمله على التمكين في الدين، والتمكين الكامل في الدين هو النبوّة.

والثاني قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ ومن جملة الأشياء النبوّة: فمقتضى العموم في قوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ هو أنّه تعالى آتاه من النبوّة سبباً.

والثالث قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ والّذي يتكلّم الله معه لابدّ وأن يكون نبيّاً، ومنهم من قال: إنّه كان عبداً صالحاً وما كان نبيّاً. انتهى[1].

أقول: الظاهر من الأخبار أنّه غير الإسكندر، وأنّه كان في زمن إبراهيم عليه السلام وأنّه أوّل الملوك بعد نوح عليه السلام وأمّا استدلاله فلا يخفى ضعفه بعدما قد عرفت مع أنّ الملوك المتقدّمة لم يضبط أحوالهم بحيث لا يشذّ عنهم أحد، وأيضاً الظاهر من كلام أهل الكتاب الّذين عليهم يعوّلون في التواريخ عدم الاتّحاد، ثمّ الظاهر ممّا ذكرنا من الأخبار وغيرهما ممّا أورده الكلينيّ وغيره أنّه لم يكن نبيّاً ولكنّه كان عبداً صالحاً مؤيّداً من عنده تعالى.

وأمّا يأجوج ومأجوج فقد ذكر الشيخ الطبرسيّ أنّ فسادهم أنّهم كانوا يخرجون فيقتلونهم ويأكلون لحومهم ودوابّهم؛ وقيل: كانوا يخرجون أيّام الربيع فلا يدعون شيئاً أخضر إلاّ أكلوه، ولا يابساً إلاّ احتملوه، عن الكلبيّ؛ وقيل: أرادوا أنّهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم؛ وورد في الخبر عن حذيفة قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن يأجوج ومأجوج فقال: يأجوج أمّة ومأجوج أمة، كلّ أمّة أربعمائة أمّة، لا يموت الرجل منهم حتّى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلّ قد حمل السلاح؛ قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم ثلاثة أصناف: صنف منهم أمثال الأرز، قلت: يا رسول الله وما الأرز؟ قال: شجر بالشام طويل، وصنف منهم طولهم وعرضهم سواء، وهؤلاء الّذين لا يقوم لهم جبلٌ ولا حديدٌ، وصنف منهم يفترش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى ولا يمرّون بفيل ولا وحش ولا جمل ولا

(١) تفسير فخر الرازي، ج ٢١ المجلد ٧ ص ٤٩٣.

خنزير إلاّ أكلوه، ومن مات منهم أكلوه، مقدّمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبريّة. قال وهب ومقاتل: إنّهم من ولد يافث بن نوح أبي الترك؛ وقال السدّيّ: الترك سريّة من يأجوج ومأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السدّ فبقيت خارجه. وقال قتادة: إنّ ذا القرنين بنى السدّ على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت منهم قبيلة دون السدّ فهم الترك؛ وقال كعب هم نادرة من ولد آدم، وذلك أنّ آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء والتراب يأجوج ومأجوج فهم متّصلون بنا من جهة الأب دون الأمّ؛ وهذا بعيد انتهى[1].

أقول: سيأتي بيان أحوالهم في كتاب الغيبة إن شاء الله تعالى. ثمّ اعلم أنّا إنّما أوردنا قصّة ذي القرنين بعد قصص إبراهيم عليه السلام تبعاً للصدوق رحمه الله، ولما مرّ من أنّه كان في زمنه عليه السلام، وذهب بعض المؤرّخين إلى أنّه كان متقدّماً على إبراهيم عليه السلام.

غريبة: قال الثعلبيّ في العرائس: يحكى أنّ الواثق بالله رأى في المنام كأنّ السدّ مفتوح، فوجّه سلاما الترجمان في خمسين رجلاً وأعطاه ديته خمسة آلاف دينار، وأعطى كلّ رجل من الخمسين ألف درهم ورزق سنة، وأعطاه مائتي بغل لحمل الزاد والماء، فتوجّه من سرّمن رأى بكتاب من الواثق إلى إسحاق بن إسماعيل صاحب أرمينيّة وكان بتفليس، وكتب له إسحاق إلى صاحب السرير ملك الأردن، وكتب له ملك الأردن إلى طلخيد فيلاذ شاه ملك الخزر فأقام عنده حتّى وجه خمسين رجلاً أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوماً حتّى انتهوا إلى أرض سوداء منتنة الريح، وكانوا قد حملوا خلاً يشمّونه من الرائحة الكريهة، فساروا فيها سبعة وعشرين يوماً فمات ههنا قوم.

ثمّ ساروا في مدن خربة عشرين يوماً، فسألوا عن تلك المدن فقالوا: إنّها قد ظهرت يأجوج ومأجوج فخرّبوها، ثمّ ساروا إلى حصون بالقرب من الجبل يتكلّمون بالعربيّة والفارسيّة يقرأون القرآن، لهم كتاتيب ومساجد، فقالوا: من القوم؟ قالوا: رسل أمير المؤمنين فقالوا: من أمير المؤمنين؟ قالوا: بالعراق، فتعجّبوا وقالوا: شيخ أو شابّ، وزعموا أنّه لم يبلغهم خبره، ثمّ ساروا إلى جبل أملس ليس عليه خضرة، وإذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعاً، فإذا عضادتان مبنيّتان مقابلتا الجبل من جنبتي الوادي، كلّ عضادة خمسة وعشرون ذراعاً الظاهر من تحتها عشرة أذرع، مبنيّة بلبن من حديد، مركّبة بنحاس في سمك خمسين ذراعاً، وإذا دروند من حديد طرفاه على عضادتين، طوله مائة وعشرون ذراعاً، قد ركبت طرفاه على العضادتين، على كلّ واحدة مقدار عشرة أذرع في عرض خمسة أذرع؛ وفوق ذلك الدروند بني بذلك اللّبن من الحديد المنصبّ في النحاس إلى رأس الجبل، وارتفاعه مدّ البصر، وفوق ذلك شرف من حديد، في طرف كلّ شرفة قرنان

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٨٧.

مبني بعضها إلى بعض كلّ واحد إلى صاحبه، وإذا باب [له] مصراعان منصوبان من حديد عرض كلّ باب خمسون ذراعاً في ارتفاع خمسين ذراعاً، قائمتاهما في دورهما على قدر الدروند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ ذراع، وارتفاع القفل من الأرض خمسة وخمسون ذراعاً، وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق، وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف، وله اثنا عشر دندانجة كلّ واحدة كدسجدة منجل من أعظم ما يكون، ومعلّق في سلسلة طولها ثمانية أذرع في استدارة أربعة أشبار، والحلقة الّتي في السلسلة مثل حلقة المنجنيق؛ وعتبة الباب عشرة أذرع، في وسطه مائة ذراع، سوى ما تحت العضادتين، والظاهر منها خمسة أذرع، هذا كلّه بذراع السواد، ورئيس تلك الحصون يركب في كلّ جمعة في عشرة فوارس، مع كلّ فارس مرزبة من حديد، كلّ واحد منها خمسون منّاً، فيضرب القفل بالمرزبات في كلّ يوم ثلاث ضربات يسمع من وراء الباب الصوت، ويعلمون أنّ هناك حفظة، ويعلم هؤلاءِ أنّ أُولئك لم يحدثوا في الباب حدثاً، وإذا ضربوا أصغوا إليها بآذانهم يسمعون من داخل دويّاً، وبالقرب من هذا الجبل حصنٌ عظيم كبيرٌ عشرة فراسخ في عشرة فراسخ، تكسيرها مائة فرسخ، ومع الباب حصنان يكون كلّ واحد منهما مائتي ذراع في مائتي ذراع، وعلى باب هذين الحصنين صخرتان، وبين الحصنين عين ماء عذب، وفي أحد الحصنين آلة البناء الّتي بني بها السدّ: من قدور الحديد، ومغارف من حديد مثل قدر الصابون، وهناك بعض اللّبن من الحديد قد التصق بعضه ببعض من الصدأ واللّبنة ذراع ونصف في طول شبر، وسألنا هل رأوا هناك أحداً من يأجوج ومأجوج؟ فذكروا أنّهم رأوا عدّة منهم فوق الشرف، فهبت ريح سوداء فألقتهم إلى جانبهم، وكان مقدار الرجل في رأي العين شبراً ونصفاً.

قال: فلمّا انصرفنا أخذتنا الأدلّاء على نواحي خراسان فعدلنا إليها فوقعنا إلى القرب من سمرقند على سبع فراسخ، وكان أصحاب الحصن قد زوّدونا الطعام ثمّ سرنا إلى عبد الله ابن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم، ووصل كلّ رجل كان معي خمسمائة درهم، وأجرى على كلّ فارس خمسة دراهم وعلى كلّ راجل ثلاثة دراهم كلّ يوم حتّى صرنا إلى الري، ورجعنا إلى سرّ من رأى بعد ثمانية وعشرين شهراً[1].

٩ - باب قصص يعقوب ويوسف على نبينا وآله وعليهما الصلاة والسلام

الآيات: البقرة «٢»: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾.

---

(١) عرائس المجالس المسمى قصص الأنبياء للثعلبي، ص ٣٢٨.

آل عمران «٣»: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ «٩٣».

يوسف «١٢»: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ «٣ - ١٠٢».

مريم «١٩»: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ «٤٩».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ﴾ أي يعقوب ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ اختلفوا في ذلك الطعام فقيل: إنّ يعقوب أخذه وجع العرق الّذي يقال له عرق النساء فنذر إن شفاه الله أن يحرّم العروق ولحم الإبل وهو أحبّ الطعام إليه، عن ابن عبّاس وغيره؛ وقيل: حرّم إسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبّداً لله، وسأل الله أن يجيز له فحرّم الله تعالى ذلك على ولده؛ وقيل: حرّم زائدة الكبد والكليتين والشحم إلاّ ما حملته الظهور واختلف في أنّه عليه السلام كيف حرّم على نفسه؟ فقيل: بالاجتهاد وهو باطل؛ وقيل: بالنذر؛ وقيل: بنصّ ورد عليه؛ وقيل: حرّمه كما يحرّم المستظهر في دينه من الزّهاد اللّذة على نفسه ﴿مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾ أي كلّ الطعام كان حلالاً لنبي إسرائيل قبل أن تنزّل التوراة على موسى، فإنّها تضمّنت تحريم ما كانت حلالاً لبني إسرائيل.

واختلفوا فيما حرّم عليهم فقيل: إنّه حرّم عليهم ما كانوا يحرّمونه قبل نزولها اقتداءً بأبيهم يعقوب؛ وقيل: لم يحرّمه الله عليهم في التوراة، وإنّما حرّم عليهم بعد التوراة بظلمهم وكفرهم، وكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا ذنباً عظيماً حرّم الله عليهم طعاماً طيّباً وصبّ عليهم رجزاً وهو الموت، وذلك قوله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ الآية. وقيل لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم في التوراة وإنّما هو شيء حرّموه على أنفسهم اتّباعاً لأبيهم، وأضافوا تحريمه إلى الله فكذّبهم الله تعالى، واحتجّ عليهم بالتوراة، فلم يجسروا على إتيان التوراة لعلمهم بصدق النبيّ صلى الله عليه وآله وكذبهم، وكان ذلك دليلاً ظاهراً على صحّة نبوّة نبيّنا صلى الله عليه وآله [1].

١ - **فس:** محمّد بن جعفر، عن محمّد بن أحمد، عن عليّ بن محمّد، عمّن حدّثه، عن المنقريّ، عن عمرو بن شمر، عن إسماعيل بن السنديّ، عن عبد الرحمن بن أسباط القرشيّ عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ في قول الله: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قال في تسمية النجوم: هو الطارق وحوبان والذيال وذو الكتفين ووثاب وقابس وعمودان وفيلق ومصبح والصرح والفروغ والضياء والنور. يعني الشمس والقمر، وكلّ هذه النجوم محيطة بالسماء.

وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تأويل هذه الرؤيا أنّه سيملك مصر ويدخل عليه أبراه وإخوته، أمّا الشمس فأمّ يوسف راحيل، والقمر يعقوب، وأمّا أحد عشر

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ٣٤٤.

كوكباً فإخوته، فلمّا دخلوا عليه سجدوا شكراً لله وحده حين نظروا إليه وكان ذلك السجود لله.

قال عليّ بن إبراهيم: فحدّثني أبي، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه كان من خبر يوسف أنّه كان له أحد عشر أخاً، وكان له من أمّه أخٌ واحدٌ يسمّى بنيامين، وكان يعقوب إسرائيل الله - ومعنى إسرائيل الله أي خالص الله - ابن إسحاق نبيّ الله ابن إبراهيم خليل الله، فرأى يوسف هذه الرؤيا وله تسع سنين فقصّها على أبيه، فقال يعقوب: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ قوله: ﴿فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ أي يحتالوا عليك، فقال يعقوب ليوسف: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ وكان يوسف من أحسن النّاس وجهاً، وكان يعقوب يحبّه ويؤثره على أولاده، فحسده إخوته على ذلك؛ وقالوا فيما بينهم ما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ أي جماعة ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ فعمدوا على قتل يوسف فقالوا: نقتله حتّى يخلو لنا وجه أبينا فقال لاوي: لا يجوز قتله ولكن نغيبه عن أبينا ونحن نخلو به، فقالوا كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ﴾ أي يرعى الغنم ويلعب ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ فأجرى الله على لسان يعقوب ﴿إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ﴾ فقالوا كما حكى الله: ﴿لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ العصبة، عشرة إلى ثلاثة عشر ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ أي تخبرهم بما همّوا به؛ وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ يقول: لا يشعرون أنّك أنت يوسف، أتاه جبرئيل فأخبره بذلك[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: يعقوب هو إسرائيل الله - ومعناه: عبد الله الخالص - ابن إسحاق نبيّ الله، ابن إبراهيم خليل الله. وفي الحديث أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. وعن ابن عبّاس أنّ يوسف رأى في المنام ليلة الجمعة ليلة القدر أحد عشر كوكباً نزلت من السماء فسجدت له ورأى الشمس والقمر نزلا من السماء فسجدا له، قال: فالشمس والقمر أبواه، والكواكب إخوته الأحد عشر. وقال السدّيّ: الشمس أبوه والقمر خالته، وذلك أنّ أمّه راحيل قد ماتت؛ وقال ابن عبّاس: الشّمس أمّه والقمر أبوه؛ وقال وهب: كان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين أنّ أحد عشر عصاً طوالاً كانت مركوزة في الأرض كهيئة الدائرة، وإذا عصا صغيرة وثبت عليها حتّى اقتلعتها وغلبتها، فوصف ذلك لأبيه فقال له: إيّاك أن تذكر ذلك لإخوتك.

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤١.

ثمّ رأى وهو ابن اثنتي عشرة سنة أنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر سجدن له، فقصّها على أبيه فقال له: ﴿لَا تَقْصُصْ﴾ الآية؛ وقيل: إنّه كان بين رؤياه وبين مصير أبيه وإخوته إلى مصر أربعون سنة؛ وقيل: ثمانون سنة.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾ أي كما أراك هذه الرويا ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ أي يصطفيك ويختارك للنبوّة ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ أي من تعبير الرؤيا؛ قيل: وكان أعبر الناس للرؤيا أو مطلق العلوم والأخبار السالفة والآتية ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ﴾ كان ليعقوب اثنا عشر ولداً، وقيل: أسماؤهم روبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهودا وريالون ويشجر. وأمّهم ليّا بنت ليّان وهي ابنه خالة يعقوب، ثمّ توفّيت ليّا فتزوّج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين وقيل: ابن يامين، وولد له من سرّيّتين له اسم إحداهما زلفة والأخرى بلهة أربعة بنين: دار وتفثالي وحاد وأشر ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ﴾ أي بنيامين ﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ أي جماعة يتعصّب بعضنا لبعض، ويعين بعضنا بعضاً فنحن أنفع لأبينا ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ أي ذهاب عن طريق الصواب الّذي هو التعديل بيننا، أو في خطاء من الرأي في أمور الأولاد والتدبير الدنيويّ، إذ نحن أقوم بأموره؛ وأكثر المفسّرين على أنّ إخوة يوسف كانوا أنبياء، وقال بعضهم: لم يكونوا أنبياء لأنّ الأنبياء لا يقع منهم القبائح. وروى ابن بابويه في كتاب النبوّة بإسناده عن ابن بزيع، عن حنان بن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان أولاد يعقوب أنبياء؟ فقال: لا، ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد الأنبياء، ولم يفارقوا الدنيا إلّا سعداء تابوا وتذكّروا ما صنعوا.

﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ أي تخلص لكم محبته ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ أي روبيل؛ وقيل يهودا؛ وقيل: لاوي ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ أي في قعر البئر، واختلف فيه فقيل: هو بئر بيت المقدس، وقيل بأرض الأردن؛ وقيل: بين مدين ومصر؛ وقيل: على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ قيل: كانت أرضهم مذئبة. وكانت السباع ضارية في ذلك الوقت؛ وقيل: إنّ يعقوب عليه السلام رأى في منامه كأنّ يوسف قد شدّ عليه عشرة أذؤب ليقتلوه، وإذا ذئب منها يحمي عنه، فكأنّ الأرض انشقّت فدخل فيها يوسف فلم يخرج إلّا بعد ثلاثة أيّام، فمن ثمّ قال هذا، فلقّنهم العلّة وكانوا لا يدرون؛ وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا تلقّنوا الكذب فتكذبوا، فإنّ بني يعقوب لم يعلموا أنّ الذئب يأكل الإنسان حتّى لقّنهم أبوهم.

وقيل: كنّى عنهم بالذئب مساترة عنهم؛ وقال الحسن: جعل يوسف في الجبّ وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في البلاء إلى أن وصل إليه أبوه ثمانين سنة، ولبث بعد الاجتماع ثلاثاً وعشرين سنة، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة؛ وقيل: كان له يوم ألقي في الجبّ عشر سنين؛ وقيل: اثنا عشر؛ وقيل: سبع؛ وقيل: تسع، وجمع بينه وبين أبيه وهو ابن أربعين سنة[1].

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٦٣.

٢ -**فس،** قال عليّ بن إبراهيم: فقال لاوي: ألقوه في هذا الجبّ يلتقطه بعض السيّارة إن كنتم فاعلين، فأدنوه من رأس الجبّ فقالوا له: انزع قميصك، فبكى فقال: يا إخوتي تجرّدوني؟! فسلّ واحد منهم عليه السكّين فقال: لئن لم تنزعه لأقتلنّك، فنزعه فدلّوه في اليمّ وتنحّوا عنه، فقال يوسف في الجبّ: «يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ارحم ضعفي وقلّة حيلتي وصغري» فنزلت سيّارة[1] من أهل مصر فبعثوا رجلاً ليستقي لهم الماء من الجبّ، فلمّا أدلى الدلو على يوسف تشبّث بالدلو فجرّوه فنظروا إلى غلام من أحسن النّاس وجهاً فعدوا إلى صاحبهم فقالوا: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فنخرجه ونبيعه ونجعله بضاعة لنا، فبلغ إخوته فجاؤوا فقالوا: هذا عبد لنا أبق، ثمّ قالوا ليوسف: لئن لم تقرّ بالعبوديّة لنقتلنّك، فقالت السيّارة ليوسف: ما تقول؟ قال: أنا عبدهم، فقالت السيّارة: فتبيعوه منّا؟ قالوا: نعم، فباعوه منهم على أن يحملوه إلى مصر ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ قال: الّذي بيع بها يوسف ثمانية عشر درهماً، وكان عندهم كما قال الله: ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾.

---

(١) قال الطبرسي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ أي جماعة مارة قالوا: وإنما جاءت من قبل مدين يريدون مصر فأخطأوا الطريق فانطلقوا يهيمون حتى نزلوا قريباً من الجبّ وكان الجبّ في قفرة بعيدة من العمران وإنما هو للرعاة والمجتاز، وكان ماؤها ملحاً فعذب وقيل: كان الجبّ بظهر الطريق ﴿فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾ أي بعثوا من يطلب لهم الماء قالوا: فكان رجلاً يقال له مالك بن زعر ﴿فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ﴾ أي أرسل دلوه في البئر ليستقي فتعلق يوسف بالحبل فلما خرج إذا هو بغلام أحسن ما يكون من الغلمان، قال النبي صلى الله عليه وآله: أعطي يوسف شطر الحسن والنصف الآخر لسائر الناس، وقال كعب: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العين، مستوي الخلق، أبيض اللون، غليظ الساقين والعضدين خميص البطن صغير السرة وكان إذا تبسم رأيت النور في ضواحكه وإذا تكلم رأيت في كلامه شعاع النور يلتهب عن ثناياه ولا يستطيع أحد وصفه وكان حسنه كضوء النهار في الليل وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وصوّره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية ﴿قَالَ يَٰبُشْرَىٰ﴾ بشر نفسه وقيل: هو اسم رجل من أصحابه ناداه ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ أي وأسروا يوسف الذين وجدوه من رفقائهم من التجار مخافة شركتهم فقالوا: هذه بضاعة لأهل الماء دفعوه إلينا لنبيعه لهم وقيل: وأسرّ اخوته يكتمون أنه أخوهم فقالوا هو عبد لنا قد أبق وقالوا بالعبرانية: «لئن قلت أنا أخوهم قتلناك» فتابعهم على ذلك لئلا يقتلوه عن ابن عباس ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ أي ناقص قليل ﴿دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ أي قليلة وذكر العدد عبارة عن القلة، وقيل: أنهم كانوا لا يزنون الدراهم ما دون الأوقية، وهي الأربعون ويزنون الأوقية فما زاد عليها ﴿وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ قيل يعني إن الذين أشتروه كانوا غير راغبين في شرائه لأنهم وجدوا عليه علامة الأحرار وقيل: يعني الذين باعوه من إخوته كانوا غير راغبين في يوسف ولا في ثمنه ولكنهم باعوه حتى لا يظهر ما فعلوا به، وقيل: كانوا من الزاهدين فيه لم يعرفوا موضعه من الله وكرامته «منه طاب الله ثراه». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٣٧٨].

أخبرنا أحمد بن إدريس، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن الرّضا عليه السلام في قول الله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قال: كانت عشرين درهماً، والبخس: النقص، وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل، كان قيمته عشرين درهماً[1].

ص: بالإسناد عن الصدوق، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن عيسى مثله «ص ١٢٨».

بيان: المشهور بين الأصحاب في كلب الغنم عشرين، وفي كلب الصيد أربعين، أو القيمة فيهما، وسيأتي في كتاب الديات. وقال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: كانت الدراهم عشرين درهماً، عن ابن مسعود وابن عبّاس والسدّيّ، وهو المرويّ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، قالوا: وكانوا عشرة فاقتسموها درهمين درهمين؛ وقيل: كانت اثنين وعشرين درهماً، عن مجاهد؛ وقيل: كانت أربعين درهماً، عن عكرمة؛ وقيل: ثمانية عشر درهماً، عن أبي عبد الله عليه السلام؛ واختلف فيمن باعه فقيل: إنّ إخوة يوسف باعوه، وكان يهودا منتبذاً ينظر إلى يوسف، فلمّا أخرجوه من البئر أخبر إخوته فأتوا مالكاً وباعوه منه، عن ابن عبّاس ومجاهد وأكثر المفسّرين؛ وقيل: باعه الواجدون بمصر، عن قتادة؛ وقيل: إنّ الّذين أخرجوه من الجبّ باعوه من السيّارة، عن الأصمّ؛ والأصحّ الأوّل، وذكر أبو حمزة الثماليّ في تفسيره قال: فلم يزل مالك بن زعر وأصحابه يتعرّفون من الله الخير في سفرهم ذلك حتّى فارقوا يوسف ففقدوا ذلك، قال: وتحرّك قلب مالك ليوسف فأتاه فقال: أخبرني من أنت؟ فانتسب له يوسف ولم يكن مالك يعرفه، فقال: أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فالتزمه مالك وبكى، وكان مالك رجلاً عاقراً لا يولد له، فقال ليوسف: لو دعوت ربّك أن يهب لي ولداً، فدعا يوسف ربّه أن يهب له ولداً ويجعلهم ذكوراً، فولد له اثنا عشر بطناً في كلّ بطن غلامان[2].

وقال السيّد المرتضى رحمه الله في كتاب تنزيه الأنبياء: فإن قال قائل: كيف صبر يوسف عليه السلام على العبوديّة ولم ينكرها؟ وكيف يجوز على نبيّ الصبر على أن يستعبد ويسترقّ؟ الجواب: قيل له: إنّ يوسف عليه السلام لم يكن في تلك الحال نبيّاً على ما قاله كثير من النّاس، ولمّا خاف على نفسه القتل جاز أن يصبر على الاسترقاق، ومن ذهب إلى هذا الوجه يتأوّل قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ على أنّ الوحي لم يكن في تلك الحال، بل كان في غيرها، ويصرف ذلك إلى الحال المستقبلة الّتي كان فيها نبيّاً.

ووجه آخر: وهو أنّ الله لا يمتنع أن يكون أمره بكتمان أمره والصبر على مشقّة العبوديّة امتحاناً وتشديداً في التكليف، كما امتحن أبويه إبراهيم وإسحاق أحدهما بنمرود والآخر بالذبح.

ووجه آخر: وهو أنّه يجوز أن يكون عليه السلام قد خبّرهم بأنّه غير عبد وأنكر عليهم ما فعلوه

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٢. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٧٩.

من استرقاقه إلا أنّهم لم يسمعوا منه ولا أصغوا إلى قوله وإن لم ينقل ذلك، فليس كلّ ما جرى في تلك الأزمان قد اتّصل بنا.

ووجه آخر: وهو أنّ قوماً قالوا: إنّه خاف القتل فكتم أمر نبوّته وصبر على العبوديّة، وهذا جوابٌ فاسدٌ لأنّ النبيّ لا يجوز أن يكتم ما أُرسل به خوفاً من القتل لأنّه يعلم أنّ الله تعالى لم يبعثه للأداء إلاّ وهو عاصم له من القتل حتّى يقع الأداء ويسمع الدعوة، وإلاّ كان نقضاً للغرض. انتهى كلامه رحمة الله عليه[1].

٣ - فس: وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال: إنّهم ذبحوا جدياً على قميصه؛ وقال عليّ بن إبراهيم: ورجع إخوته وقالوا: نعمد إلى قميصه فنلطخه بالدم فنقول لأبينا: إنّ الذئب أكله، فلمّا فعلوا ذلك قال لهم لاوي: ياقوم ألسنا بني يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق نبيّ الله بن إبراهيم خليل الله؟ أفتظنّون أنّ الله يكتم هذا الخبر عن أنبيائه؟ فقالوا: وما الحيلة؟ قال: نقوم ونغتسل ونصلّي جماعةً ونتضرّع إلى الله تبارك وتعالى أن يكتم ذلك عن أبينا فإنّه جوادٌ كريمٌ فقاموا واغتسلوا وكان في سنّة إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنّهم لا يصلّون جماعةً حتّى يبلغوا أحد عشر رجلاً فيكون واحدٌ منهم إمام عشرة يصلّون خلفه، فقالوا: كيف نصنع وليس لنا إمام؟ فقال لاوي: نجعل الله إمامنا، فصلّوا وبكوا وتضرّعوا وقالوا: يا ربّ اكتم علينا هذا، ثمّ جاؤوا إلى أبيهم عشاءً يبكون ومعهم القميص قد لطخوه بالدم ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ أي نعدو وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب إلى قوله: ﴿عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ ثمّ قال يعقوب: ما كان أشدّ غضب ذلك الذئب على يوسف وأشفقه على قميصه حيث أكل يوسف ولم يمزق قميصه؟! قال: فحملوا يوسف إلى مصر وباعوه من عزيز مصر[2]، فقال العزيز: ﴿لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ﴾ أي مكانه ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ ولم يكن له ولدٌ فأكرموه وربّوه، فلمّا بلغ أشدّه هوته امرأة العزيز، وكانت لا تنظر إلى يوسف امرأة إلاّ هوته، ولا رجل إلاّ أحبّه، وكان وجهه مثل القمر ليلة البدر، فراودته امرأة العزيز وهو قوله: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٤٦.

(٢) قال الطبرسي في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾: أي من أهل مصر وكان المشتري خازن فرعون مصر وخليفته واسمه قطفير وقيل: طفير وكان يلقب بالعزيز وباعه مالك بن زعر منه بأربعين ديناراً وزوج نعل، وثوبين أبيضين عن ابن عباس وقيل تزايدوا حتى بلغ وزنه ورقاً ومسكاً وحرايراً واسم امرأة العزيز راعيل ولقبها زليخا والملك كان الريان بن الوليد وقيل: لم يمت حتى آمن بيوسف وملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف إلى الاسلام فأبى، وقال ابن عباس: العزيز ملك مصر «راودته» أي طلبت منه أن يواقعها ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ﴾ قالوا كانت سبعة، ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾ أي أقبل وبادر ﴿إِنَّهُۥ رَبِّىٓ﴾ الضمير عائد إلى زوجها فالرب بمعنى السيد أنه كان مالكه ظاهراً أو إلى الرب تعالى «منه طاب ثراه» [مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٨٠].

ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فما زالت تخدعه حتّى كان كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ﴾ فقامت امرأة العزيز وغلّقت الأبواب فلمّا همّا رأى يوسف صورة يعقوب في ناحية البيت عاضاً على إصبعه يقول: يا يوسف أنت في السماء مكتوب في النبيّين، وتريد أن تكتب في الأرض من الزناة؟! فعلم أنّه قد أخطأ وتعدّى.

وحدّثني أبي، عن بعض رجاله رفعه قال: قال أبو عبد الله: لمّا همّت به وهمّ بها قامت إلى صنم في بيتها فألقت عليه ملاءة لها، فقال لها يوسف: ما تعملين؟ فقالت: ألقي على هذا الصنم ثوباً لا يرانا فإنّي أستحيي منه، فقال يوسف: أنت تستحيين من صنم لا يسمع ولا يبصر ولا أستحيي أنا من ربّي؟! فوثب وعدا وعدت من خلفه وأدركهما العزيز على هذه الحالة وهو قول الله: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ﴾ فبادرت امرأة العزيز فقالت للعزيز: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فقال يوسف للعزيز: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ﴾[1] فألهم الله يوسف أن قال للملك: سل هذا الصبيّ في المهد فإنّه يشهد أنّها راودتني عن نفسي، فقال العزيز للصبيّ فأنطق الله الصبيّ في المهد ليوسف حتّى قال: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ

(١) قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ﴾: قال ابن عباس وابن جبير: انه كان صبي في المهد قيل: وكان الصبي ابن أخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر وقيل: شهد رجل حكيم من أهلها ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ قيل: هن أربع نسوة امرأة صافي الملك وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن، وزاد مقاتل امرأة الحاجب ﴿بِمَكْرِهِنَّ﴾ سماه مكراً لأن قصدهن كان أن تريهن يوسف وقيل: استكتمهن ذلك ما ظهرته ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ أي وسائد تتكين عليها وقيل: أراد به الطعام لأن من دعي إلى طعام يعدّ له المتكأ وقيل: الطعام الزماورد.

وقال عكرمة: هو كل ما يجزّ بسكين لأنه يؤكل في الغالب على متكأ، وقيل أنه طعام وشراب على عمومه، وروى ابن عباس وغيره «متكأ» خفيفة ساكنة التاء وقالوا المتك: الأترج.

أقول: لعل علي بن إبراهيم هكذا رواه فلذا فسره بذلك أو فسرّه بمطلق الطعام ولما كان الواقع ذلك فسره به ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ أعظمته وتحيرن في جماله وقطعن أيديهن بتلك السكاكين عن جهة الخطأ بدل قطع الفواكه فما أحسسن إلا بالدم لم يجدن ألم القطع لإشتغال قلوبهن بيوسف والمعنى جرحن أيديهن وقيل: أبنّها ﴿وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ أي صار يوسف في حشا أي ناحية مما قذف به لخوفه لله ومراقبة أمره أو تنزيهاً له عما رمخته به امرأة العزيز أو تنزيهاً لله من صفات العجز وتعجباً من قدرته على خلق مثله ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ أي هذا الجمال غير معهود من البشر بل ملك كريم لحسنه ولطافته أو لجمعه بين الحسن الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة وروى عن النبي ﷺ أنه قال: رأيت ليلة المعراج يوسف في السماء الثانية وصورته صورة القمر ليلة البدر ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم﴾ إنما لم يقل «لهن» لأنه أراد به الملك أو زليخا بأعوانها فغلب المذكر «منه رفع الله درجاته». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٩١]

ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ فلمّا رأى العزيز قميص يوسف قد تخرّق من دبر قال لامرأته: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ ثمّ قال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ وشاع الخبر بمصر وجعلت النساء يتحدّثن بحديثها ويعذلنها ويذكرنها وهو قوله: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فبلغ ذلك امرأة العزيز فبعثت إلى كلّ امرأة رئيسة فجمعتهنّ في منزلها وهيّأت لهنّ مجلساً، ودفعت إلى كلّ امرأة أترجة وسكّيناً، فقالت: اقطعن، ثمّ قالت ليوسف: اخرج عليهنّ، وكان في بيت فخرج يوسف عليهنّ فلمّا نظرن إليه أقبلن يقطعن أيديهنّ وقلن كما حكى الله عزّ وجلّ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾ اي أترجة ﴿وَءَاتَتْ﴾ وأعطت ﴿كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ فقالت امرأة العزيز: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ في حبّه ﴿وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي دعوته ﴿فَٱسْتَعْصَمَ﴾ أي امتنع، ثمّ قالت: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ فما أمسى يوسف في ذلك البيت حتّى بعثت إليه كلّ امرأة رأته تدعوه إلى نفسها فضجر يوسف في ذلك البيت فقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ أي حيلتهنّ ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ أي أميل إليهنّ، وأمرت امرأة العزيز بحبسه فحبس في السجن[(١)].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: يسأل ويقال: كيف قال يوسف: ﴿ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ ولا يجوز أن يراد السّجن الّذي هو المكان، وإن عنى السجن الّذي هو المصدر فإنّ السجن معصية كما أنّ ما دعونه إليه معصية فلا يجوز أن يريده؟ فالجواب أنّه لم يرد المحبّة الّتي هي الإرادة، وإنّما أراد أنّ ذلك أخفّ عليّ وأسهل. ووجه آخر المعنى: لو كان ممّا أريد لكان إرادتي له أشدّ. وقيل: إنّ معناه: توطيني النفس على السجن أحبّ إليّ من توطيني النفس على الزنا.

ثمّ قال: فإن قيل: ما معنى سؤال يوسف اللّطف من الله وهو عالم بأنّ الله يعلمه لا محالة؟ فالجواب: إنّه يجوز أن تتعلّق المصلحة بالألطاف عند الدعاء المجدّد. ومتى قيل: كيف علم أنّه لولا اللّطف لركب الفاحشة وإذا وجد اللّطف امتنع؟ قلنا: لما وجد في نفسه من الشهوة وعلم أنّه لولا لطف الله ارتكب القبيح، وعلم أنّ الله يعصم أنبياءه بالألطاف وأنّ من لا يكون له لطف لا يبعثه الله نبيّاً[(٢)].

٤ - **فس:** وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فالآيات: شهادة الصبيّ، والقميص المخرق من دبر، واستباقهما الباب حتّى سمع مجاذبتها إيّاه على الباب، فلمّا عصاها لم تزل مولعةً لزوجها

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٤. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٩٩.

حتّى حبسه ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ﴾ يقول: عبدان للملك[١]: أحدهما خبّازه والآخر صاحب الشراب، والّذي كذب ولم ير المنام هو الخبّاز[٢].

إيضاح: قال الطبرسيّ رحمه الله: كان يوسف عليه السلام لمّا دخل السجن قال لأهله: إنّي أعبر الرؤيا، فقال أحد العبدين لصاحبه: هلمَّ فلنجرّبه، فسألاه من غير أن يكون رأيا شيئاً، عن ابن مسعود؛ وقيل: بل رأيا على صحّة وحقيقة ولكنّهما كذبا في الإنكار عن مجاهد والجبّائيّ؛ وقيل: إنَّ المصلوب منهما كان كاذباً والآخر صادقاً، عن أبي مجاز ورواه عليّ بن إبراهيم أيضاً في تفسيره عنهم عليهم السلام والمعنى: قال أحدهما وهو الساقي: رأيت أصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فجنيتها وعصرتها في كأس الملك فسقيته إيّاها وتقديره: أعصر عنب خمر، أي العنب الّذي يكون عصيره خمراً، فحذف المضاف، قال الزجّاج وابن الأنباريّ: والعرب تسمّي الشيء باسم ما يؤول إليه وإذا وضح المعنى ولم يلتبس، يقولون: فلان يطبخ الآجرّ ويطبخ الدبس، وإنّما يطبخ اللّبن والعصير؛ وقال قوم: إنّ بعض العرب يسمّون العنب خمراً حكى الأصمعيّ عن المعتمر بن سليمان أنّه لقي أعرابيّاً ومعه عنب فقال له: ما معك؟ قال: خمر. وهو قول الضحّاك، فيكون معناه إنّي أعصر عنباً وروي في قراءة عبد الله وأبيّ جميعاً: «إني رأيتني أعصر عنباً» وقال صاحب الطعام: إنّي رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها الخبز وأنواع الأطعمة، وسباع الطير تنهش منه وأمّا تعبير رؤيا الساقي فروي أنّه قال: أمّا العناقيد الثلاثة فإنّها ثلاثة أيّام تبقى في السجن ثمّ يخرجك الملك في اليوم الرابع وتعود إلى ما كنت عليه، وأجرى على مالكه صفة الربّ لأنّه عبده فأضافه إليه، كما يقال: ربّ الدار، وربّ الضيعة؛ وأمّا صاحب الطعام فروي أنّه قال له: بئسما رأيت، أمّا السلال الثلاث فإنّها ثلاثة أيّام تبقى في السجن ثمّ يخرجك الملك فيصلبك فتأكل الطير من رأسك. فقال عند ذلك: ما رأيت شيئاً وكنت ألعب، فقال يوسف: ﴿قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ أي فرغ من الأمر الّذي تساءلان وتطلبان معرفته، وما قلته لكما فإنّه نازل بكما وهو كائن لا محالة، وفي هذا دلالة على أنّه كان يقول ذلك على جهة الاخبار عن الغيب بما يوحى إليه لا كما يعبّر أحدنا الرؤيا على جهة التأويل انتهى[٣].

أقول: لا يخفى أنّ ظاهر الآيات هو أنّهما كانا رأيا في المنام ما ذكره عليه السلام على وجه التعبير. فإن كان ما أورده عليّ بن إبراهيم خبراً كما فهمه رحمه الله فلتأويله وجه وإلاّ فلا.

٥ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم: ووكّل الملك بيوسف رجلين يحفظانه، فلمّا دخل السجن قالوا له: ما صناعتك؟ قال: أعبّر الرؤيا، فرأى أحد الموكّلين في نومه كما قال

---

(١) أي للملك الأكبر واسمه الوليد بن ريان، فنمى اليه أن صاحب الطعام يريد أن يسمه والآخر ساعده عليه كذا قيل [منه رحمه الله].

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٥. (٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٠٠.

الله عزّوجلّ : ﴿أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ قال يوسف: تخرج من السجن وتصير على شراب الملك وترتفع منزلتك عنده، وقال الآخر: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ﴾ ولم يكن رأى ذلك، فقال له يوسف: أنت يقتلك الملك ويصلبك وتأكل الطير من دماغك، فجحد الرجل وقال: إنّي لم أرَ ذلك، فقال يوسف كما حكى الله عزّوجلّ : ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا ٱلْأَخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾.

فقال أبو عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: كان يقوم على المريض ويلتمس المحتاج، ويوسع على المحبوس[1]. فلمّا أراد من رأى في نومه أن يعصر خمراً الخروج من الحبس قال له يوسف: ﴿ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فكان كما قال الله عزّوجلّ : ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾[2].

أخبرنا الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن إسماعيل بن عمر، عن شعيب العقرقوفيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف أتاه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ ربّ العالمين يقرؤك السلام ويقول لك: من جعلك أحسن خلقه؟ قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال: أنت يا ربّ، ثمّ قال له: ويقول لك: من حبّبك إلى أبيك دون إخوتك؟ قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض وقال: أنت يا ربّ، قال: ويقول لك: من أخرجك من الجبّ بعد أن طرحت فيها وأيقنت بالهلكة؟ قال: فصاح ووضع خدّه على الأرض ثمّ قال: أنت يا ربّ، قال: فإنّ ربّك قد جعل لك عقوبة في استعانتك بغيره فالبث في السجن بضع سنين، قال: فلمّا انقضت المدّة وأذن الله له في دعاء الفرج وضع خدّه على الأرض ثمّ قال: «اللّهمّ إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإنّي أتوجه إليك بوجه آبائي الصالحين: إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب» ففرّج الله عنه، قلت: جعلت فداك أندعو نحن بهذا الدعاء؟ فقال: ادع بمثله: اللّهمّ إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فإنّي أتوجّه إليك بنبيّك نبيّ الرحمة محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام[3].

شي: عن العقرقوفيّ مثله.

بيان: قال الطبرسيّ (قدّس الله روحه) بعد نقل أمثال هذه الرواية: والقول في ذلك أنّ

---

(١) وقيل، أي ممن يحسن تأويل الرؤيا «منه رحمه الله».

(٢) قوله: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ﴾ أي في المنام. قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ أي أنسى الشيطان الساقي ذكر يوسف عند الملك وقيل: أنسى يوسف ذكر الله في تلك الحال حتى استغاث بمخلوق وهو مخالف للأخبار.

وقال الطبرسي رحمه الله: واختلف في البضع فقال بعضهم: ما بين الثلاث إلى الخمس وقيل إلى السبع، وقيل إلى التسع وأكثر المفسرين على أن البضع في الآية لسبع سنين وقال الكلبي: هذا السبع سوى الخمسة التي كانت قبل ذلك. «منه رحمه الله».

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٦.

الاستعانة بالعباد في دفع المضارّ والتخلّص من المكاره جائز غير منكر ولا قبيح، بل ربّما يجب، وكان نبيّنا يستعين فيما ينوبه بالمهاجرين والأنصار وغيرهم، ولو كان قبيحاً لم يفعله، فلو صحّت هذه الروايات فإنّما عوتب عليه السلام على ترك عادته الجميلة في الصبر والتوكّل على الله سبحانه في كلّ أموره دون غيره وقتاً ما وابتلاءً وتشديداً، وإنّما كان يكون قبيحاً لو ترك التوكّل على الله سبحانه واقتصر على غيره، وفي هذا ترغيب في الاعتصام بالله والاستعانة به دون غيره في الشدائد وإن جاز أيضاً أن يستعان بغيره انتهى[١].

أقول: ما ذكره رحمه الله من كون هذه الاستعانة جائزة غير محرّمة لا ريب فيه؛ وأمّا مقايستها باستعانة الرسول صلى الله عليه وآله بالمهاجرين والأنصار فقياس مع الفارق إذ ما كان بأمر الله لابتلاء الخلق وتكليفهم ليس من هذا الباب.

٦ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم: ثمّ إنّ الملك رأى رؤياً فقال لوزرائه[٢]: إنّي رأيت في نومي سبع بقرات ثمان يأكلهنّ سبع عجاف أي مهازيل[٣] ورأيت سبع سنبلات خضر وأخر

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٠٥.

(٢) قال الكلبي: إن رسول الملك جاءه فقال له: قم فإن الملك يدعوك وألق ثياب السجن عنك والبس ثياباً جدداً فأقبل يوسف وتنظف من درن السجن ولبس ثيابه وأتى الملك وهو يومئذٍ ابن ثلاثين سنة فلما رآه الملك شاباً حدث السن قال: يا غلام هذا تأويل رؤياي ولم تعلم السحرة والكهنة؟ قال: نعم، فأقعده قدامه وقصّ عليه رؤياه ورأى أن يوسف لما خرج من السجن دعا لأهله وقال: اللهم اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عنهم الأخبار فلذلك تكون أصحاب السجن أعرف الناس في الأخبار في كل بلدة، وكتب على باب السجن هذا قبور الأحياء الأحزان ومحزنة الأصدقاء وشماتة الأعداء قال وهب: لما وقف بباب الملك قال: «حسبي ربي من دنياي» إلى آخر ما سيأتي برواية الثعلبي من قوله: فاشتعلت فيهن النار وأحرقتهن وصرن سوداً متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انتبهت من نومك مذعوراً فقال الملك: والله ما شأن هذه الرؤيا بأعجب ما سمعته منك فما ترى في رؤياي أيها الصديق؟ فقال يوسف: أرى أن تجمع الطعام وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المخصبة وتبني الأهراء والخزائن فتجمع الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون قصبه وسنبله علفاً للدواب، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك عن الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي فيمتارون منك بحكمك، ويجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لأحد فقال الملك: ومن لي بهذا ومن يجمعه ويبيعه ويكفي الشغل فيه؟ فعند ذلك قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي أرضك حافظاً ووالياً فإني حفيظ احفظه من الخيانة عليم بمن يستحق ومن لا يستحق وقيل: حفيظ للحساب عالم بالألسن. «منه طاب ثراه».

(٣) قال الطبرسي: أي الوليد والعزيز وزيره ﴿يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ﴾ أي مهازيل فدخلت السمان في بطون المهازيل حتى لم أر منهن شيئاً ﴿وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ﴾ قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ﴾ أي الإشراف. وقيل: جمع السحرة والكهنة وقصّ رؤياه عليهم ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ﴾ أي أباطيل أحلام أو تخاليطها أي منامات كاذبة لا يصح تأويلها ﴿وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ﴾ أي التي هذه صفتها ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾ أي تذكر بعد حين من الدهر وزمان طويل ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ أي أرسلوني إلى من=

يابسات؛ وقرأ أبو عبد الله عليه السلام سبع سنابل خضر، ثمّ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فلم يعرفوا تأويل ذلك، فذكر الّذي كان على رأس الملك رؤياه الّتي رآها وذكر يوسف بعد سبع سنين وهو قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ أي بعد حين ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ فجاء إلى يوسف فقال: ﴿أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ فقال يوسف: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ أي وليّاً ﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ أي لا تدوسوه فإنّه يفسد في طول سبع سنين، فإذا كان في سنبله لا يفسد ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ أي سبع سنين مجاعة شديدة يأكلن ما قدّمتم لهنّ في سبع سنين الماضية. وقال الصادق عليه السلام: إنّما نزل «ما قرّبتم لهن».

﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ أي يمطرون، وقال أبو عبد الله عليه السلام: قرأ رجل على أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿ثُمَّ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ فقال: ويحك أيّ شيء يعصرون؟ أيعصر الخمر؟ قال الرجل يا أمير المؤمنين: كيف أقرؤها؟ فقال: إنّما نزلت: «عام فيه يغاث الناس وفيه يُعْصَرون» أي يمطرون بعد سني المجاعة، والدليل على ذلك قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾[1].

توضيح: قوله تعالى ﴿دَأَبًا﴾ قال البيضاويّ: أي على عادتكم المستمرّة[2].

وقال الطبرسيّ رحمه الله: أي فازرعوا سبع سنين متوالية، عن ابن عبّاس؛ أي زراعة متوالية في هذه السنين على عادتكم في الزراعة سائر السنين؛ وقيل: دأباً أي بجدّ واجتهاد في الزراعة انتهى. وقوله تعالى: ﴿يَأْكُلْنَ﴾ أي يأكل أهلهنّ، والإسناد مجازيّ[3]. قال الطبرسيّ رحمه الله: قرأ جعفر بن محمد عليه السلام «وسبع سنابل» وقرأ أيضاً: «ما قرّبتم لهنّ» وقرأ هو والأعرج وعيسى بن عمر «وفيه يُعْصَرون» بياء مضمومة وصاد مفتوحة، ثمّ قال في بيان هذه القراءة: يجوز أن يكون من العصرة، والعصر: المنجاة، ويجوز أن يكون من عصرت السحابة ماءها عليهم، ثمّ ذكر ما أورده عليّ بن إبراهيم[4].

أقول: لعلّ المعنى الأوّل ذكره مع قطع النظر عن الخبر؛ وقال البيضاويّ: ﴿فِيهِ يُغَاثُ

= عنده علم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي تأويلها أو مكانك وفضلك ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾ أي تحرزون وتدخرون لبذر الزراعة انتهى: [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٠٩].

واعلم أن اسم الملك مختلف في الكتب ففي بعض مواضع تفسيري الطبرسي والثعلبي الوليد بن الريان، وفي بعضها الريان بن الوليد، ولذا اختلف ذكره في كتابنا، والظاهر: الريان بن الوليد لاتفاق ساير الكتب عليه. «منه رحمه الله».

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣١٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤١٠.
(٤) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٠٧.

ٱلنَّاسُ﴾ يمطرون من الغيث، أو يغاثون من القحط من الغوث ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار، وقيل: يحلبون الضروع، وقرئ على بناء المفعول من عصره: إذا أنجاه، ويحتمل أن يكون المبنيّ للفاعل منه، أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضاً، أو من أعصرت السحابة عليهم فعدّي بنزع الخافض، أو بتضمينه معنى المطر[1].

٧ - **فس:** فرجع الرجل إلى الملك فأخبره بما قال يوسف فقال الملك: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يعني إلى الملك ﴿فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾[2] فجمع الملك النسوة فقال لهنّ: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ أي لا أكذب عليه الآن كما كذبت عليه من قبل، ثمّ قالت: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ أي تأمر بالسوء[3] فقال الملك: ﴿ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ فلمّا نظر إلى يوسف قال: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ سل حاجتك ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يعني على الكناديج والأنابير، فجعله عليها وهو قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ فأمر يوسف أن يبنى كناديج من صخر، وطيّنها بالكلس، ثمّ أمر بزروع مصر فحصدت ودفع إلى كلّ إنسان حصّته وترك الباقي في سنبله لم يدسه، فوضعه في الكناديج، ففعل ذلك سبع سنين، فلمّا جاء سني الجدب كان يخرج السنبل فيبيع بما شاء[4].

بيان: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ﴾ أي ما شأنكنّ، والخطب: الأمر الّذي يحقّ أن يخاطب فيه صاحبه ﴿حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهٌ له وتعجّبٌ من قدرته على خلق عفيف مثله ﴿حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي ثبت واستقرّ من حصحص البعير إذا ألقى مباركه ليناخ، أو ظهر من حصّ شعره: إذا استأصله بحيث ظهر بشرة رأسه[5]. قوله: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ هذا من كلام يوسف على قول أكثر

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣١٠.

(٢) أبى يوسف أن يخرج مع الرسول حتى يتبين براءته مما قذف به [منه رحمه الله].

(٣) لم يتعرض عليه السلام لامرأة العزيز مع ما صنعت به كرماً ومراعاة للأدب، وقال الطبرسي: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره - والله يغفر له - حين سأل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه. أخبرتهم حتى اشترط أن يخرجوني، ولقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه - والله يغفر له - حين أتاه الرسول: «فقال أرجع إلى ربك» ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبثت، لأسرعت الإجابة وبادرتهم إلى الباب وما ابتغيت العذر انه كان حليماً ذا أناة. أقول: لو صح الخبر لكان هذا منه صلى الله عليه وآله تواضعاً والمراد غيره. «منه طاب ثراه».

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٧.

(٥) قال الطبرسي: قال الزجاج: حصحص الحق اشتقاقه من الحصة، أي بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل، وقال غيره: هو مكرر من قولهم: حص شعره إذا استأصل قطعه وأزاله عن الرأس =

المفسّرين، وقيل: هو من كلام امرأة العزيز كما ذكره عليّ بن إبراهيم والأوّل أشهر وأظهر.

وقال الفيروزآباديّ: الكندوج: شبه المخزن معرّب الكندو. وقال: الأنبار: بيت التاجر ينضد فيه المتاع، الواحد نبر بالكسر. والكلس بالكسر: الصاروج.

٨ - فس: وكان بينه وبين أبيه ثمانية عشر يوماً، وكان في بادية، وكان الناس من الآفاق يخرجون إلى مصر ليمتاروا طعاماً، وكان يعقوب وولده نزولاً في بادية فيه مقل، فأخذ إخوة يوسف من ذلك المقل وحملوه إلى مصر ليمتاروا به طعاماً، وكان يوسف يتولّى البيع بنفسه، فلمّا دخل إخوته على يوسف عرفهم ولم يعرفوه كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ فلمّا جهّزهم بجهازهم وأعطاهم وأحسن إليهم في الكيل قال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن بنو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله الّذي ألقاه نمرود في النار فلم يحترق فجعلها الله عليه برداً وسلاماً؛ قال: فما فعل أبوكم؟ قالوا: شيخ ضعيف، قال: فلكم أخ غيركم؟ قالوا: لنا أخ من أبينا لا من أمّنا، قال: فإذا رجعتم إليّ فائتوني به وهو قوله: ﴿ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ ثمّ قال يوسف لقومه: ردّوا هذه البضاعة الّتي حملوها إلينا اجعلوها فيما بين رحالهم حتّى إذا رجعوا إلى منازلهم ورأوها رجعوا إلينا، وهو قوله: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1] يعني كي يرجعوا ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ قال يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ في رحالهم الّتي حملوها إلى مصر ﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ أي ما نريد؟ ﴿هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ﴾ يعقوب: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ﴾ يعقوب: ﴿ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ فخرجوا وقال لهم يعقوب: ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا

= فيكون معناه انقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه. وحصحص البعير بثفناته في الأرض اذا حرك حتى تتبين آثارها فيه قال حميد:

وحصحص في صم الحصى ثفناته ... ورام القيام ساعة ثم صمما

منه رحمه الله [مجمع البيان: ج ٥ ص ٤١٢]

(١) اجعلوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم وقيل كانت بضاعتهم النعال والأدم، وقيل كانت الورق كذا ذكره الطبرسي رحمه الله [منه طاب ثراه]

عَلَّمْنَـٰهُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾﴾[١].

بيان: قال البيضاوي: ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾[٢] أي عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم إيّاه في سنّ الحداثة، ونسيانهم إيّاه، وتوهّمهم أنّه هلك، وبعد حاله الّتي رأوه عليها من حاله حين فارقوه، وقلّة تأمّلهم في حلاه من التهيّب والاستعظام. وقال في قوله: ﴿ٱجْعَلُوا بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ إنّما فعل ذلك توسيعاً وتفضّلاً عليهم، وترفّعاً من أن يأخذ ثمن الطعام منهم، وخوفاً من أن لا يكون عند أبيه مايرجعون به. قوله: ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ﴾ أي حكم بمنعه بعد هذا إن لم نذهب ببنيامين. قوله: ﴿مَا نَبْغِى﴾ أي ماذا نطلب؟ هل من مزيد على ذلك؟ أكرمنا وأحسن مثوانا، وباع منّا وردّ علينا متاعنا؛ أو لا نطلب وراء ذلك إحساناً؛ أو لا نبغي في القول ولا نزيد فيما حكينا لك من إحسانه. قوله: ﴿إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ أي إلاّ أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك، أو إلاّ أن تهلكوا جميعاً. قوله: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ المشهور بين المفسّرين أنّه إنّما قال ذلك لما خاف عليهم من العين؛ وقيل: لما اشتهروا بمصر بالحسن والجمال وإكرام الملك لهم خاف عليهم حسد الناس؛ وقيل: لم يأمن عليهم من أن يخافهم الملك فيحبسهم؛ وقيل: إنّه عليه السلام كان عالماً بأنّ ملك مصر ولده يوسف إلاّ أنّ الله تعالى لم يأذن له في إظهار ذلك، فلمّا بعث أبناءه إليه قال: ﴿لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ وكان غرضه أن يصل بنيامين إلى يوسف في وقت الخلوة.

ثمّ إنّ العبد لمّا كان مأموراً بملاحظة الأسباب وعدم الاعتماد عليها والتوكّل على الله قال أوّلاً ما يلزمه من الحزم والتدبير، ثمّ تبرّأ عن الاعتماد على الأسباب بقوله: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ثم إنّه تعالى صدّقه على ما ذكره من عدم الاعتماد على الأسباب بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم﴾ أي من أبواب متفرّقة في البلد ﴿مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم﴾ رأي يعقوب واتّباعهم له ﴿مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ممّا قضاه عليهم كما قال يعقوب، فأخذ بنيامين بوجدان الصواع في رحله، وتضاعفت المصيبة على يعقوب ﴿إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ﴾ استثناء منقطع، أي ولكن حاجة في نفسه، يعني شفقته عليهم وخوفه من أن يعانوا أو غير ذلك ممّا مر ﴿قَضَىٰهَا﴾ أي أظهرها ووصّى بها ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾ بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال: ﴿وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ ولم يغترّ بتدبيره ﴿وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أسرار القدر[٣].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) قال الطبرسي: قال ابن عباس: كان بين أن قذفوه في الجب وبين دخولهم عليه أربعون سنة، فلذلك انكروه لأنهم رأوه ملكاً جالساً على السرير ولم يخطر ببالهم أنه يصير على تلك الحالة (منه طاب ثراه) [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٢٢]

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣١٤.

٩ - **فس:** فخرجوا وخرج معهم بنيامين، وكان لا يؤاكلهم ولا يجالسهم ولا يكلّمهم فلمّا وافوا مصر دخلوا على يوسف وسلّموا فنظر يوسف إلى أخيه فعرفه فجلس منهم بالبعيد، فقال يوسف: أنت أخوهم؟ قال: نعم، قال: فلِمَ لا تجلس معهم؟ قال: لأنّهم أخرجوا أخي من أبي وأمّي ثمّ رجعوا ولم يردّوه وزعموا أنّ الذئب أكله فآليت على نفسي أن لا أجتمع معهم على أمر ما دمت حيّاً، قال: فهل تزوّجت؟ قال: بلى، قال: فولد لك ولدٌ؟ قال: بلى، قال: كم ولد لك؟ قال: ثلاثة بنين، قال: فما سمّيتهم؟ قال: سمّيت واحداً منهم الذئب، وواحداً القميص، وواحداً الدم، قال: وكيف اخترت هذه الأسماء؟ قال: لئلاّ أنسى أخي، كلّما دعوت واحداً من ولدي ذكرت أخي، قال يوسف لهم: اخرجوا وحبس بنيامين، فلمّا خرجوا من عنده قال يوسف لأخيه: ﴿أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ يوسف ﴿فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ ثمّ قال له: أنا أُحبّ أن تكون عندي، فقال: لا يدعوني إخوتي فإنّ أبي قد أخذ عليهم عهد الله وميثاقه أن يردّوني إليه، قال: فأنا أحتال بحيلة فلا تنكر إذا رأيت شيئاً ولا تخبرهم، فقال: لا، فلمّا جهّزهم بجهازهم وأعطاهم وأحسن إليهم قال لبعض قوّامه: اجعلوا هذا الصاع في رحل هذا، وكان الصاع الّذي يكيلون به من ذهب فجعلوه في رحله من حيث لم يقفوا عليه إخوته، فلمّا ارتحلوا بعث إليهم يوسف وحبسهم ثمّ أمر منادياً ينادي: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ فقال إخوة يوسف: ﴿مَّاذَا تَفۡقِدُونَ ٧١ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ أي كفيلٌ، فقال إخوة يوسف ليوسف: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ عَلِمۡتُم مَّا جِئۡنَا لِنُفۡسِدَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ﴾[1] قال يوسف: ﴿فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ﴾ فاحبسه ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ﴾[2] فتشبّثوا بأخيه وحبسوه وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ﴾ أي احتلنا له ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ فسئل الصادق عليه السلام عن قوله: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ قال: ما سرق وما كذب يوسف، فإنّما عنى: سرقتم يوسف عليه السلام من أبيه، وقوله: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ﴾ معناه: يا أهل العير، ومثله قولهم لأبيهم: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلۡعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقۡبَلۡنَا فِيهَاۖ﴾ يعني أهل القرية وأهل العير، فلمّا أُخرج ليوسف الصاع من رحل أخيه قال إخوته: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ يعنون به يوسف فتغافل يوسف عنهم وهو قوله:

---

(١) أي قد ظهر لكم حسن سيرتنا ومعاملتنا معكم مرة بعد أخرى ما تعلمون به أنه ليس من شأننا السرقة وقيل: أنهم قالوا ذلك لأنهم رأوا البضاعة التي وجدوها في رحالهم مخافة أن يكون وضع ذلك بغير إذن يوسف، وقيل: أنهم لما دخلوا مصر وجدوهم قد شدّوا أفواه دوابهم كيلا تتناول الحرث والزرع كذا ذكره الطبرسي. «منه طاب الله ثراه» [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٣٥].

(٢) إنما فعل ذلك لرفع التهمة «منه طاب ثراه».

﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[1] فاجتمعوا إلى يوسف وجلودهم تقطر دماً أصفر فكانوا يجادلونه في حبسه، وكان ولد يعقوب إذا غضبوا خرج من ثيابهم شعر، ويقطر من رؤوسها دم أصفر وهم يقولون له: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا[2] فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فأطلق عن هذا.

فلمّا رأى يوسف ذلك ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ﴾ ولم يقل إلاّ من سرق متاعنا ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾[3] فلمّا أيسوا وأرادوا الانصراف إلى أبيهم قال لهم لاوي بن يعقوب: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ﴾ في هذا ﴿وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ فارجعوا أنتم إلى أبيكم، أمّا أنا فلا أرجع إليه[4] ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ ثمّ قال لهم: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۝٨١ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ أي أهل القرية وأهل العير ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ قال: فرجع إخوة يوسف إلى أبيهم، وتخلّف يهودا فدخل على يوسف وكلّمه حتّى ارتفع الكلام بينه وبين يوسف وغضب، وكانت على كتف يهودا شعرة فقامت الشعرة فأقبلت تقذف بالدم، وكان لا يسكن حتّى يمسّه بعض أولاد يعقوب، قال: فكان بين يدي يوسف ابن له في يده رمّانة من ذهب يلعب بها، فلمّا رأى يوسف أنّ يهودا قد غضب وقامت الشعرة تقذف بالدم أخذ الرمّانة من الصبيّ ثمّ دحرجها نحو يهودا وتبعها الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يد يهودا فذهب غضبه فارتاب يهودا ورجع الصبيّ بالرمّانة إلى يوسف. قال: ثمّ ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا وقامت الشعرة تقذف بالدم فلمّا رأى ذلك يوسف دحرج الرمّانة نحو يهودا وتبعها الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا فسكن غضبه، وقال: إنّ في البيت لمن ولد يعقوب، حتّى صنع ذلك ثلاث مرّات[5].

بيان: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أي لا تحزن، افتعال من البؤس. قال الطبرسيّ رحمه الله: قيل: إنّ السقاية هي المشربة الّتي كان يشرب منها الملك، ثمّ جعل صاعاً في السنين الشداد القحاط يكال به الطعام؛ وقيل: كان من ذهب، عن أبي زيد وروي عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وقيل: كان من فضّة، عن ابن عبّاس والحسن؛ وقيل: كان من فضّة مرصّعة بالجواهر، عن عكرمة انتهى.

---

(١) ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ قال الطبرسي، أي في السرق لأنكم سرقتم أخاكم من أبيكم وأسرّ هذه المقالة في نفسه ثم جهز بقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾. «منه طاب ثراه». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٣٩].

(٢) أي كبيراً في السن أو في القدر والمنزلة (منه طاب ثراه).

(٣) قوله: ﴿إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ أي عندكم هذا ظاهر الكلام وباطنه أنه تعالى أمرني بأخذ بنيامين للمصلحة فلو أخذت غيره كنت ظالماً عاملاً بخلاف ما أمر الله به (منه طاب ثراه).

(٤) فلن أبرح الأرض لا أزول عن أرض مصر (منه طاب ثراه).

(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٠.

وأما قوله: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾ فالظاهر أنّه كان على وجه المصلحة تورية، وكان وجه التورية فيه ما ورد في الأخبار أنّه كان غرضه عليه السلام أنكم سرقتم يوسف من أبيه؛ وقيل: إنّما قال ذلك بعض من فقد الصاع من قوم يوسف من غير أمره؛ وقيل: إنّ الكلام يجوز أن يكون خارجاً مخرج الاستفهام كأنّه قال: أئنكم لسارقون؟ فأسقطت الهمزة، والأوّل هو الموافق لما ورد فيه من الأخبار.

قال الطبرسيّ رحمه الله: ومتى قيل: كيف جاز ليوسف أن يحزّن والده وإخوته بهذا الصنيع ويجعلهم متّهمين بالسرقة؟ فالجواب أنّ الغرض فيه التسبّب إلى احتباس أخيه عنده، ويجوز أن يكون ذلك بأمر من الله، وروي أنّه أعلم أخاه بذلك ليجعله طريقاً إلى التمسّك به، وإذا كان إدخال هذا الحزن سبباً مؤدّياً إلى إزالة غموم كثيرة عن الجميع ولا شكّ أنّه يتعلّق به المصلحة فقد ثبت جوازه، وأمّا التعرّض للتّهمة بالسرقة فغير صحيح فإنّ وجود السقاية في رحله يحتمل أموراً كثيرة غير السرقة، فعلى هذا من حمله على السرقة مع علمه بأنّهم أولاد الأنبياء توجّهت اللائمة عليه انتهى(١).

أقول: العمدة في هذا الباب أنّ بعد ثبوت العصمة بالبراهين القاطعة لا مجال للاعتراض عليهم في أمثال ذلك، ولكلّ منها وجوهٌ ومحامل يمكن حمله عليها بحيث لا ينافي علوّ شأنهم.

قوله: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي قال إخوة يوسف: جزاء السرقة السارق وهو الإنسان الّذي وجد المسروق في رحله، ومعناه أنّ السنّة كانت في آل يعقوب أن يستخدم السارق ويسترقّ على قدر سرقته، وفي دين الملك الضرب والضمان؛ وقيل: كان يسترقّ سنة. وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ تأكيد لبيان اطّراد هذا الحكم عندهم؛ وقيل: إنّ ذلك جواب يوسف عليه السلام(٢).

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ﴾ قال الرازيّ المعنى أنّه كان حكم الملك في السارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق، فما كان يوسف قادراً على حبس أخيه عند نفسه بناءً على دين الملك وحكمه إلاّ أنّ الله تعالى كاد له وأجرى على لسان إخوته أنّ جزاء السارق هو الاسترقاق وهو معنى قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾. ثمّ اعلم أنّهم اختلفوا في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمۡ﴾ فقيل: هو روبيل وكان كبيرهم في السنّ؛ وقيل: شمعون وكان رئيسهم؛ وقيل: يهودا وكان كبيرهم في العقل؛ وقيل: لاوي ولعلّه بني الكلام أوّلاً على أحد القولين وثانياً على القول الآخر، ويحتمل أن يكون تخلّف يهودا ثمّ لحقهم(٣).

١٠ - **فس:** فلمّا رجعوا إخوة يوسف إلى أبيهم وأخبروه بخبر أخيهم قال يعقوب: ﴿بَلۡ

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٣٤. (٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٣٥.
(٣) تفسير فخر الرازي، ج ١٨ المجلد ٦ ص ٤٩٢.

سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ثم ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ يعني عميت من البكاء ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾[1] أي محزون، والأسف: أشدّ الحزن، وسئل أبو عبد الله عليه السلام ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها، وقال: إنّ يعقوب لم يعرف الاسترجاع فمنها قال: وا أسفاه على يوسف، فقالوا له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا تفتأ عن ذكر يوسف ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ أي ميتاً ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[2].

تفسير: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ أي زيّنت وسهّلت لكم ﴿أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ أردتموه وقرّرتموه وإلاّ فما أدرى الملك أنّ السارق يؤخذ بسرقته ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ فأمري صبر جميل، أو فصبر جميل أجمل ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ بيوسف وبنيامين وأخيهما الّذي توقف بمصر ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾ بحالي وحالهم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيرها ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم كراهة لما صادف منهم ﴿وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ أي يا أسف تعال فهذا أوانك، والأسف أشدّ الحزن والحسرة، والألف بدل من ياء المتكلّم. قال البيضاويّ: وفي الحديث[3]: لم تعط أمّة من الأمم ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ عند المصيبة إلاّ أمّة محمّد، الا ترى إلى يعقوب حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال: يا أسفا. انتهى[4].

ثمّ اعلم أنّه اختلف في قوله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ كما أنّ الشيعة اختلفوا في أنّه هل يجوز على الأنبياء مثل هذا النقص في الخلقة، قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله: فقيل: لا يجوز لأنّ ذلك ينفّر؛ وقيل: يجوز أن لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض انتهى. فمن لا يجوّز ذلك يقول: إنّه ما عمي ولكنّه صار بحيث يدرك إدراكاً ضعيفاً، أو يؤوّل بأنّ المراد أنّه غلبه البكاء وعند غلبة البكاء يكثر الماء في العين فتصير العين كأنّها ابيضّت من بياض ذلك الماء، ومن يجوّز ذلك يحملها على ظاهرها، والحقّ أنّه لم يقم دليل على امتناع ذلك حتّى نحتاج إلى تأويل الآيات والأخبار الدالّة على حصوله، على أنّه يحتمل أن يكون على وجه لا يكون نقص فيه وعيب في ظاهر الخلقة، والأنبياء عليهم السلام يبصرون بقلوبهم ما يبصر غيرهم بعينه.

---

(١) أي مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهر [منه طاب ثراه].

(٢) تفسير القمي ج١ ص ٣٥٣.

(٣) قال الطبرسي: روى عن ابن جبير أنه قال: لقد اعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم يعط الأنبياء قبلهم له ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ولو اعطيها الأنبياء لأعطيها يعقوب. إذ يقول يا أسفا على يوسف (منه رحمه الله) [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٤٤].

(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٢٢.

قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ أي لا تفتؤ ولا تزال تذكره تفجّعاً عليه، فحذف (لا) ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشفياً على الهلاك، وقيل: الحرض الّذي أذابه همٌّ أو مرض ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ من الميّتين ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ أي همّي الّذي لا أقدر الصبر عليه، من البثّ بمعنى النشر. انتهى[1].

أقول: على ما فسّر عليّ بن إبراهيم «الحرض» لعلّه حمل الهلاك على الهلاك المعنويّ بترك الصبر.

١١ - **فس:** حدّثني أبي، عن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه عليه من البكاء، قال: نعم علم أنّه حيٌّ حتّى أنّه دعا ربّه في السحر أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه ملك الموت بأطيب رائحة وأحسن صورة، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت، أليس سألت الله أن ينزلني عليك؟ قال: نعم، قال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له: أخبرني عن الأرواح تقبضها جملة أو تفاريقاً؟ قال: تقبضها أعواني متفرّقة وتعرض عليّ مجتمعة، قال يعقوب: فأسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب هل عرض عليك في الأرواح روح يوسف؟ فقال: لا فعند ذلك علم أنّه حيّ، فقال لولده: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ وكتب عزيز مصر إلى يعقوب:

أمّا بعد فهذا ابنك اشتريته بثمن بخس دراهم وهو يوسف واتّخذته عبداً، وهذا ابنك بنيامين قد سرق وأخذته فقد وجدت متاعي عنده واتّخذته عبداً. فما ورد على يعقوب شيء كان أشدّ عليه من ذلك الكتاب، فقال للرسول: مكانك حتّى أجيبه، فكتب إليه يعقوب عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الله، أمّا بعد فقد فهمت كتابك تذكر فيه أنّك اشتريت ابني واتّخذته عبداً، وإنّ البلاء موكّل ببني آدم إنّ جدّي إبراهيم ألقاه نمرود ملك الدنيا في النار فلم يحترق وجعلها الله عليه برداً وسلاماً وإنّ أبي إسحاق أمر الله جدّي أن يذبحه بيده فلمّا أراد أن يذبحه فداه الله بكبش عظيم، وإنّه كان لي ولد لم يكن في الدنيا أحد أحبّ إليّ منه وكان قرّة عيني وثمرة فؤادي فأخرجوه إخوته ثمّ رجعوا إليّ وزعموا أنّ الذئب أكله فاحدودب لذلك ظهري، وذهب من كثرة البكاء عليه بصري، وكان له أخ من أمّه كنت آنس به فخرج مع إخوته إلى ما قبلك ليمتاروا لنا طعاماً فرجعوا إليّ وذكروا أنّه سرق صواع الملك وقد حبسته، وإنّا أهل بيت لا يليق بنا السرق ولا الفاحشة، وأنا أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلاّ مننت عليّ به وتقرّبت إلى الله ورددته إليّ.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٢٢.

فلمّا ورد الكتاب إلى يوسف أخذه ووضعه على وجهه وقبّله وبكى بكاءً شديداً ثمّ نظر إلى إخوته فقال لهم: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾[1] ﴿قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[2] فقالوا له كما حكى الله عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ أي لا تخليط ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال: فلمّا ولّى الرسول إلى الملك بكتاب يعقوب رفع يعقوب يده إلى السماء فقال: «يا حسن الصحبة، يا كريم المعونة، يا خير إله ائتني بروح منك وفرج من عندك» فهبط جبرئيل عليه فقال له: يا يعقوب ألا أعلّمك دعوات يردّ الله عليك بصرك وابنيك؟ قال: نعم، قال: قل: «يا من لم يعلم أحد كيف هو إلاّ هو، يا من سدّ السماء بالهواء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروح منك وفرج من عندك» قال: فما انفجر عمود الصبح حتّى أُتي بالقميص فطرح عليه وردّ الله عليه بصره وولده[3].

بيان: قال الطبرسيّ: التثريب التوبيخ، يقال: ثرّب وأثرب، عن ابن الأعرابيّ. وقيل: التثريب: اللّوم والإفساد والتقرير بالذنب، قال أبو عبيدة: وأصله الإفساد، وقال ثعلب: ثرّب فلان على فلان أي عدّد عليه ذنوبه؛ وقال أبو مسلم: هو مأخوذ من الثرب وهو شحم الجوف فكأنّه موضع للمبالغة في اللّوم والتعنيف والبلوغ بذلك إلى أقصى غاياته. انتهى[4].

أقول: لعلّ مراده بالتخليط ما يرجع إلى الإفساد.

١٢ - **فس:** وقال: ولمّا أمر الملك بحبس يوسف في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا فكان يعبّر لأهل السجن، فلمّا سألاه الفتيان الرؤيا وعبّر لهما وقال للّذي ظنّ أنّه ناج منهما: اذكرني عند ربّك ولم يفزع في تلك الحال إلى الله فأوحى الله إليه: من أراك الرؤيا الّتي رأيتها؟ قال يوسف: أنت يا ربّ، قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربّ، قال: فمن وجّه إليك السيّارة الّتي رأيتها؟ قال: أنت يا ربّ، قال: فمن علّمك الدعاء الّذي دعوت به حتّى جعلت لك من الجبّ فرجاً؟ قال: أنت يا ربّ، قال: فمن أنطق لسان الصبيّ بعذرك؟ قال: أنت يا ربّ، قال: فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا ربّ، قال: فكيف استعنت

---

(١) أي شبان أو صبيان فكان تلقينا لهم كيف يعتذرون. وروي عن الصادق عليه السلام كل ذنب عمله العبد وإن كان عاملاً فهو جاهل حين خاطر بنفسه معصية ربه فقد حكى الله سبحانه قول يوسف لإخوته ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ فنسبهم إلى الجهل لمخاطرتهم بأنفسهم في معصية الله. «منه طاب ثراه».

(٢) وقيل أنه عليه السلام تبسم فلما أبصروا ثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم شبهوه بيوسف عن ابن عباس وقيل: رفع التاج عن رأسه فعرفوه. «منه رحمه الله».

(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٢.

(٤) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٤٨.

بغيري ولم تستعن بي؟ وأمّلت عبداً من عبيدي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي وفي قبضتي ولم تفزع إليّ؟ البث في السجن بضع سنين. فقال يوسف: أسألك بحقّ آبائي عليك إلاّ فرّجت عنّي؟ فأوحى الله إليه: يا يوسف وأيّ حقّ لآبائك عليّ؟ إن كان أبوك آدم خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي وأسكنته جنّتي وأمرته أن لا يقرب شجرةً منها فعصاني وسألني فتبت عليه، وإن كان أبوك نوح انتجبته من بين خلقي وجعلته رسولاً إليهم فلمّا عصوا ودعاني فاستجبت له وغرقتهم وأنجيته ومن معه في الفلك، وإن كان أبوك إبراهيم اتّخذته خليلاً وأنجيته من النار وجعلتها عليه برداً وسلاماً، وإن كان أبوك يعقوب وهبت له اثني عشر ولداً فغيّبت عنه واحداً فما زال يبكي حتّى ذهب بصره وقعد على الطريق يشكوني إلى خلقي، فأيّ حقّ لآبائك عليّ؟ قال: فقال له جبرئيل: قل يا يوسف: «أسألك بمنّك العظيم وإحسانك القديم ولطفك العميم يا رحمن يا رحيم» فقالها فرأى الملك الرؤيا فكان فرجه فيها.

وحدّثني أبي، عن العبّاس بن هلال، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال السجّان ليوسف: إنّي لأحبّك، فقال يوسف: ما أصابني إلاّ من الحبّ إن كانت خالتي[1] أحبّتني فسرّقتني، وإن كان أبي أحبّني فحسدوني إخوتي، وإن كانت امرأة العزيز أحبّتني فحبستني، قال: وشكا يوسف في السجن إلى الله فقال: يا ربّ بماذا استحققت السجن؟ فأوحى الله إليه: أنت اخترته حين قلت: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ هلاّ قلت: العافية أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه؟![2].

شي: عن العبّاس مثله[3].

بيان: سرّقتني بتشديد الراء قال الفيروزآباديّ: التسريق: النسبة إلى السرقة.

١٣ - **فس:** حدّثني أبي، عن الحسن بن محبوب، عن الحسن بن عمّارة، عن أبي سيّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا طرح إخوة يوسف يوسف في الجبّ دخل عليه جبرئيل وهو في الجبّ فقال: يا غلام من طرحك في هذا الجبّ؟ فقال له يوسف: إخوتي لمنزلتي من أبي حسدوني، ولذلك في الجبّ طرحوني، قال: فتحبّ أن تخرج منها؟ فقال له يوسف: ذاك إلى إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب، قال: فإنّ إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب يقول لك: قل «اللّهمّ إنّي أسألك بأنّ (فإنّ خ ل) لك الحمد كلّه، لا إله إلاّ أنت الحنّان المنّان بديع السماوات والأرض ذو الجلال والإكرام، صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب» فدعا ربّه فجعل الله له من الجبّ فرجاً، ومن كيد المرأة مخرجاً، وأعطاه ملك مصر من حيث لم يحتسب[4].

ص: بالإسناد إلى الصدوق بإسناده إلى ابن محبوب مثله. «ص ١٢٨».

---

(١) في المصدر: عمّتي.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٤.
(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٨٦ ح ٢١.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٥.

شي: عن أبي سيّار مثله. «ج ٢ ص ١٨١ ح ٦ من سورة يوسف».

١٤ - **فس:** وأمّا قوله: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] فإنّه حدّثني أبي، عن عليّ بن مهزيار، عن إسماعيل السّراج، عن يونس بن يعقوب، عن مفضّل الجعفيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: أخبرني ما كان قميص يوسف؟ قلت: لا أدري، قال: إنّ إبراهيم لمّا أوقدت له النّار أتاه جبرئيل بثوب من ثياب الجنّة فألبسه إيّاه فلم يضرّه معه حرٌّ ولا بردٌ، فلمّا حضر إبراهيم الموت جعله في تميمة وعلّقه على إسحاق وعلّقه إسحاق على يعقوب، فلمّا ولد ليعقوب يوسف علّقه عليه، فكان في عنقه حتّى كان من أمره ما كان، فلمّا أخرج يوسف القميص من التميمة وجد يعقوب ريحه وهو قوله: ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ وهو ذلك القميص الّذي أنزل من الجنّة، قلت له: جعلت فداك فإلى من صار ذلك القميص؟ فقال: إلى أهله، ثمّ قال: كلّ نبيّ ورث علماً أو غيره فقد انتهى إلى محمّد، وكان يعقوب بفلسطين وفصلت العير من مصر فوجد يعقوب ريحه، وهو من ذلك القميص الّذي أخرج من الجنّة ونحن ورثته[2].

شي: عن المفضّل مثله «ج ٢ ص ٢٠٥ ح ٧١ من سورة يوسف».

ع: المظفّر، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن ابن عيسى، عن ابن معروف، عن ابن مهزيار مثله. «ج ١ ص ٥٨ باب ٤٥ ح ٢».

ك: ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن محمّد بن إسماعيل عن السرّاج مثله. «ص ١٤٣ باب ٥ ح ١٠»

بيان: قصّة القميص على ما ورد في الخبر ذكرها العامّة والخاصّة بطرق كثيرة وقال الطبرسيّ رحمه الله: قوله: ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ معناه: لولا أن تسفّهوني، عن ابن عبّاس ومجاهد؛ وقيل: لولا أن تضعّفوني في الرأي، عن ابن إسحاق؛ وقيل: لولا أن تكذّبوني. والفند: الكذب، عن سعيد بن جبير والسدّيّ والضحّاك، وروي ذلك أيضاً عن ابن عبّاس؛ وقيل: لولا أن تهرّموني، عن الحسن وقتادة[3].

---

(١) قال الطبرسي: قيل أن يوسف قال: إنما يذهب بقميص من ذهب به أولاً، فقال يهودا: أنا ذهبت به وهو ملطخ بالدم، قال: فاذهب بهذا أيضاً واخبره أنه حي وأفرحه كما أحزنته فيحمل القميص وخرج حافياً حاسراً حتى أتاه وكان معه سبعة أرغفة وكانت المسافة ثمانين فرسخاً فلم يتسوق إلا أرغفة في الطريق (منه رحمه الله). [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٢].

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٥ وقال الطبرسي رحمه الله: قال ابن عباس: هاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إلى يعقوب وذكر في القصر أن الصبا استأذنت ربها في أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فأتته بها، وكذلك يستروح كل محزون بريح الصبا، وقد أكثر الشعراء من ذكرها (منه رحمه الله) [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٣].

(٣) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٤.

١٥ - **فس:** أخبرنا الحسن بن عليّ، عن أبيه، عن الحسن ابن بنت إلياس وإسماعيل بن همّام، عن أبي الحسن عليه السلام قال: كانت الحكومة في بني إسرائيل إذا سرق أحد شيئاً استرقّ به، وكان يوسف عند عمّته وهو صغير وكانت تحبّه، وكانت لإسحاق منطقة ألبسها يعقوب وكانت عند أخته، وإنّ يعقوب طلب يوسف ليأخذه من عمّته فاغتمّت لذلك وقالت: دعه حتّى أرسله إليك، وأخذت المنطقة وشدّت بها وسطه تحت الثياب، فلمّا أتى يوسف أباه جاءت وقالت: قد سرقت المنطقة ففتّشته فوجدتها معه في وسطه، فلذلك قالت إخوة يوسف لمّا حبس يوسف أخاه حيث جعل الصاع في وعاء أخيه فقال يوسف: ما جزاء من وجد في رحله؟ قالوا: هو جزاؤه - السنّة الّتي تجري فيهم - فلذلك قال إخوة يوسف: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم[1].

ع، ن: المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن عبد الله بن محمّد بن خالد عن الوشّاء مثله. «العلل ج ١ ص ٥٦ باب ٤٢ ح ٢، عيون أخبار الرضا ج ٢ ص ٨٣ باب ٣٢ ح ٥٦».

شي: عن الوشّاء بسندين مثله[2].

١٦ - **فس:** قال عليّ بن إبراهيم ثمّ رحل يعقوب[3] وأهله من البادية بعدما رجع إليه بنوه بالقميص فألقوه على وجهه فارتدّ بصيراً، فقال لهم: ألم أقل لكم إنّي أعلم من الله ما لا تعلمون؟ قالوا له: يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين، فقال لهم: سوف أستغفر لكم ربّي إنّه هو الغفور الرحيم. قال: أخّرهم إلى السحر لأنّ الدعاء والاستغفار مستجاب فيه[4]، فلمّا وافى يعقوب وأهله وولده مصر قعد يوسف على سريره ووضع تاج الملك على رأسه فأراد أن يراه أبوه على تلك الحالة، فلمّا دخل أبوه لم يقم له فخرّوا كلّهم له سجّداً، فقال يوسف: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[5].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٦. (٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٩٧ ح ٥٤.

(٣) قال الطبرسي رحمه الله: قيل أن يوسف عليه السلام، بعث مع البشير مائتي راحلة ما يحتاج إليه في السفر وسألهم أن يأتوه بأهلهم أجمعين فلما دنى يعقوب من مصر تلقاه يوسف في الجند وأهل مصر فقال يعقوب: يا يهودا هذا فرعون مصر؟ قال: لا، هذا ابنك فتلاقيا، قال الكلبي: على يوم من مصر فلما دنى كل واحد منهما من صاحبه بدأ يعقوب بالسلام فقال: السلام عليك يا مذهب الأحزان، وقال وهب: إنهم دخلوا مصر وهم ثلاثة وسبعون، وخرجوا مع موسى وهم ستماية ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلاً، وكان بين يوسف وموسى أربعمائة سنة. «منه رحمه الله». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٨]

(٤) قال الطبرسي «رحمه الله»: قيل أنه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة، وقيل: أنه كان يقوم ويصف أولاده خلفه عشرين سنة ويدعوا ويؤمنون على دعائه واستغفاره لهم حتى نزل قبول توبتهم. «منه قدس سره». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٩].

(٥) أي من البادية قيل: وإنما لم يذكر الجبّ لاشتماله على تعيير إخوته. «منه رحمه الله».

وحدّثني محمّد بن عيسى عن يحيى بن أكثم سأل موسى بن محمّد بن عليّ بن موسى مسائل فعرضها على أبي الحسن عليه السلام فكان أحدها: أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء؟ فأجاب أبو الحسن عليه السلام: أمّا سجود يعقوب وولده فإنّه لم يكن ليوسف، وإنّما كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله وتحيّة ليوسف، كما كان السجود من الملائكة لآدم ولم يكن لآدم وإنّما كان منهم ذلك طاعةً لله وتحيّة لآدم، فسجد يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله لاجتماع شملهم، ألم تر أنّه يقول في شكره ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1].

ف: عنه عليه السلام مثله[2].

شي: عن محمّد بن سعيد الأزديّ صاحب موسى بن محمّد بن الرضا، عن موسى أنّه قال لأخيه: إنّ يحيى بن أكثم كتب إليه يسأله عن مسائل، فقال: أخبرني عن قول الله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ وذكر نحوه[3].

١٧ - **فس:** فنزل عليه جبرئيل فقال له: يا يوسف أخرج يدك، فأخرجها فخرج من بين أصابعه نور، فقال يوسف: ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذه النبوّة أخرجها الله من صلبك لأنّك لم تقم إلى أبيك، فحطّ الله نوره، ومحا النبوّة من صلبه، وجعلها في ولد لاوي أخي يوسف، وذلك لأنّهم لمّا أرادوا قتل يوسف قال: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ فشكر الله له ذلك، ولمّا أرادوا أن يرجعوا إلى أبيهم من مصر وقد حبس يوسف أخاه قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فشكر الله له ذلك، فكان أنبياء بني إسرائيل من ولد لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وكان موسى من ولده وهو موسى بن عمران بن يهصر بن واهيث بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. فقال يعقوب لابنه: يا بنيّ أخبرني ما فعل بك إخوتك حين أخرجوك من عندي؟[4] قال: يا أبت

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٧. (٢) تحف العقول ص ٣٥٣.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٨٢ من سورة يوسف.

(٤) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال يعقوب ليوسف: يا بني حدثني كيف صنع بك إخوتك؟ قال: يا أبت دعني فقال: أقسمت عليك الا أخبرتني. فقال له: أخذوني وأقعدوني على رأس الجب ثم قالوا لي: إنزع قميصك، فقلت لهم: إني أسألكم بوجه يعقوب أن لا تنزعوا قميصي ولا تبدو عورتي، فرفع فلان السكين عليّ وقال: إنزع، فصاح يعقوب وسقط مغشياً عليه ثم أفاق فقال له: يا بني كيف صنعوا بك؟ فقال له يوسف: إني أسألك بإله إبراهيم واسماعيل وإسحاق إلا أعفيتني. قال: فتركه.

وروي أيضاً أن يوسف قال ليعقوب يا أبت لا تسألني عن صنيع إخوتي بي، واسأل عن صنع الله بي وقال أبو حمزة: بلغنا أن يعقوب عاش مائة وسبعاً وأربعين سنة ودخل مصر على يوسف وهو ابن مائة وثلاثين=

اعفني من ذلك، قال: أخبرني ببعضه، فقال: يا أبت إنّهم لمّا أدنوني من الجبّ قالوا: انزع قميصك، فقلت لهم: يا إخوتي اتّقوا الله ولا تجرّدوني، فسلّوا عليّ السكّين وقالوا: لئن لم تنزع لنذبحنّك، فنزعت القميص، وألقوني في الجبّ عرياناً، قال: فشهق يعقوب شهقة وأغمي عليه، فلمّا أفاق قال: يا بنيّ حدّثني، فقال: يا أبت أسألك بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلاّ أعفيتني فأعفاه، قال: ولمّا مات العزيز وذلك في السنين الجدبة افتقرت امرأة العزيز واحتاجت حتّى سألت الناس، فقالوا لها: ما يضرّك لو قعدت للعزيز - وكان يوسف سمّي العزيز - فقالت: أستحيي منه، فلم يزالوا بها حتّى قعدت له، فأقبل يوسف في موكبه فقامت إليه وقالت: سبحان الّذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً، وجعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فقال لها يوسف: أنت هاتيك؟ فقالت: نعم - وكانت اسمها زليخا - فأمر بها وحوّلت إلى منزله وكانت هرمة فقال لها يوسف: ألست فعلت بي كذا وكذا؟ فقالت: يا نبيّ الله لا تلمني فإنّي بليت بثلاثة لم يبل بها أحدٌ، قال: وما هي؟ قالت: بليت بحبّك ولم يخلق الله في الدنيا لك نظيراً، وبليت بأنّه لم يكن بمصر امرأة أجمل منّي ولا أكثر مالاً منّي نزع عنّي، فقال لها يوسف: فما حاجتك؟ قالت: تسأل الله أن يردّ عليّ شبابي، فسأل الله فردّ عليها شبابها فتزوّجها وهي بكر. وفي رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ يقول: قد حجبها حبّه عن النّاس فلا تعقل غيره. والحجاب: هو الشغاف والشغاف هو حجاب القلب(١).

بيان: المشهور بين المفسّرين واللّغويّين أنّ المراد شقّ شغاف قلبها وهو حجابه حتّى وصل إلى فؤادها.

وقوله: ﴿حُبًّا﴾ نصبه على التميز، وما ورد في الخبر يحتمل أن يكون بياناً لحاصل المعنى، أي لمّا تعلّق حبه بشغاف قلبها فكأنّه حجبها عن أن تعقل وتخيّل غيره؛ ويحتمل أن يكون الشغاف مستعملاً هنا بمعنى مطلق الحجاب مجازاً، ويكون شغفها بمعنى حجبها.

وقال الطبرسيّ: روي عن عليّ وعليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر بن محمد عليهم السلام وغيرهم «قد شعفها» بالعين قال الزجّاج: شعفها: ذهب بها كلّ مذهب من شعفات الجبال

= سنة، وكان عند يوسف بمصر سبع عشرة سنة، وقال ابن إسحاق: أقام يعقوب بمصر أربعاً وعشرين سنة ثم توفي ودفن بالشام وقال ابن جبير: نقل يعقوب إلى بيت المقدس في تابوت من ساج ووافق ذلك يوم مات عيص، فدفنا في قبر واحد فمن ثم ينقل اليهود موتاه إلى بيت المقدس وولد يعقوب وعيص في يوم واحد في بطن واحد، ودفنا في قبر واحد، وكان عمرهما جميعاً مائة وسبع وأربعون سنة، وكان أول رسول في بني إسرائيل، ثم مات وأوصى أن يدفن عند قبور آبائه عليهم السلام، وقيل: دفن بمصر ثم أخرج موسى عظامه فحمله حتى دفنه عند أبيه. «منه رحمه الله». [مجمع البيان ج ٥ ص ٤٥٨].

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٥٧.

أي رؤوسها، يقال: فلان مشعوف بكذا، أي قد ذهب به الحبُّ أقصى المذاهب؛ وقال ابن جنّي: معناه: وصل حبّه إلى قلبها فكان يحرقه بحدّته، وأصله من البعير يهنأ بالقطران فتصل حرارة ذلك إلى قلبه[١].

١٨ - **لي:** محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن معاذ بن المثنّى العنبريّ، عن عبد الله بن أسماء، عن جويرية، عن سفيان الثوريّ، عن منصور، عن أبي وائل، عن وهب بن منبّه قال: وجدت في بعض كتب الله عزّ وجلّ أنّ يوسف عليه السلام مرّ في موكبه على امرأة العزيز وهي جالسة على مزبلة، فقالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً، أصابتنا فاقة فتصدّق علينا، فقال يوسف عليه السلام: غموط النّعم سقم دوامها، فراجعي ما يمحّص عنك دنس الخطيئة، فإنّ محلّ الاستجابة قدس القلوب وطهارة الأعمال، فقالت: ما اشتملت بعدُ على هيئة التأثّم وإنّي لأستحيي أن يرى الله لي موقف استعطاف ولا تهريق العين عبرتها ويؤدّي الحسد ندامة، فقال لها يوسف: فجدّي، فالسبيل هدف الإمكان قبل مزاحمة العدّة ونفاد المدّة، فقالت: هو عقيدتي وسيبلغك إن بقيت بعدي، فأمر لها بقنطار من ذهب فقالت: القوت بتّة، ما كنت لأرجع إلى الخفض وأنا مأسورة في السخط، فقال بعض ولد يوسف ليوسف: يا أبه من هذه الّتي قد تفتّت لها كبدي، ورقّ لها قلبي؟ قال: هذه دابّة الترح في حبال الانتقام، فتزوّجها يوسف عليه السلام فوجدها بكراً فقال: أنّى وقد كان لك بعل؟! فقالت كان محصوراً بفقد الحركة وصرد المجاري[٢].

بيان: غمط النعمة: تحقيرها والبطر بها وترك شكرها، أي لمّا كفرت بأنعم الله وقابلتها بالمعاصي قطعها الله عنك، فارجعي إلى ما يزيل عنك دنس الخطيئة، أي التوبة والندم والاستغفار وتدارك ما قد مضى حتّى يردّ الله نعمه عليك، فإنّه لا يستجاب الدعاء بالمغفرة أو برجوع النعمة إلاّ بعد قدس القلوب من دنس الخطايا وآثارها، وطهارة الأعمال وخلوصها عمّا يشوبها من الأغراض الفاسدة والسيّئات الماحية فأجابته بما يؤيّد ما أفاده عليه السلام حيث قالت: ما اشتملت بعدُ على هيئة التأثّم، أي لمّا لم أقم بعد بما يوجب تدارك ما فات لم أطلب من الله المغفرة حياءً ممّا صنعت.

قال الفيروزآباديّ: يقال: تأثّم فلان: إذا فعل فعلاً خرج به عن الإثم. انتهى.

فأجابها عليه السلام بالأمر بالاجتهاد والسعي في العمل، وبالحثّ على الرجاء من رحمة الله، وعلّل بأنّ سبيل الطّاعة والقرب هدف لسهام إمكان حصول المقاصد (قبل مزاحمة العدّة) بالكسر أي قبل انتهاء الأجل وعدد أيّام العمر وساعاته، ويحتمل الضمّ أيضاً من الاستعداد أي قبل نفاد القوى والجوارح والأدوات الّتي بها يتيسّر العمل.

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٩٢.

(٢) أمالي الصدوق، ص ١٤ المجلس الأول ح ٧.

قولها: «إن بقيت بعدي» بصيغة التكلّم أي إن بقيت أنا بعد زماني هذا، أو بصيغة الخطاب أي إن بقيت أنت بعد هذا الزمان أو بعد وفاتي لتطّلع على جميع أحوال عمري، ثمّ لمّا أمر عليه السلام لها بالقنطار لم تقبل واعتذرت بأنّ الرزق المقدّر على قدر الحاجة لا بدّ منه، والله تعالى يبعثه إليّ، وأمّا التوسع فيه فإنّما هو للخفض والراحة وطيب العيش، وأنا ما أرجع إلى تلك الأحوال ما دمت مأسورة في إسار سخط الله وغضبه. والتفتّت: التكسّر. والترح: ضدّ الفرح والهلاك والانقطاع، أي هذه دابّة قد وقعت في الحزن والهلاك بسبب انتقامه تعالى منها. والصرد: البرد، أي كان عنيناً بسبب البرودة المستولية على مزاجه، وكان لا يتأتّى منه تلك الحركة المعهودة.

١٩ -**لي:** العطّار، عن سعد، عن ابن عبد الجبّار، عن ابن البطائنيّ، عن أبيه، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام: ما كان دعاء يوسف عليه السلام في الجبّ فإنّا قد اختلفنا فيه؟ فقال: إنّ يوسف عليه السلام لمّا صار في الجبّ وأيس من الحياة قال: «اللّهمّ إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً ولن تستجيب لي دعوة فإنّي أسألك بحقّ الشيخ يعقوب فارحم ضعفه واجمع بيني وبينه فقد علمت رقّته عليّ وشوقي إليه» قال: ثمّ بكى أبو عبد الله الصادق عليه السلام ثمّ قال وأنا أقول: «اللّهمّ إن كانت الخطايا والذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً فإنّي أسألك بك فليس كمثلك شيء، وأتوجّه إليك بمحمّد نبيّك نبيّ الرحمة، يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله» ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: قولوا هذا وأكثروا منه فإنّي كثيراً ما أقوله عند الكرب العظام[1].

٢٠ -**لي:** ابن المتوكّل، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن حمّاد بن عثمان عمّن سمع أبا سيّار يقول: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: جاء جبرئيل عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وهو في السجن، فقال: قل في دبر كلّ صلاة مفروضة: «اللّهمّ اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً، وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب» ثلاث مرّات[2].

٢١ - **مصبا:** في اليوم الثالث من محرّم كان خلاص يوسف عليه السلام من الجبّ على ما روي في الأخبار[3].

٢٢ -**ل:** ابن المتوكّل، عن السعدآباديّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان في قميص يوسف ثلاث آيات في قوله تعالى: ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ﴾ الآية، وقوله: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا﴾ الآية[4].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٣٢٩ مجلس ٦٣ ح ٤. (٢) أمالي الصدوق، ص ٤٦٢ مجلس ٨٥ ح ٤.
(٣) مصباح المتهجد، ص ٥٣٥. (٤) الخصال، ص ١١٨ باب الثلاثة ح ١٠٤.

٢٣ - لي: الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن المنذر بن محمّد، عن جعفر بن سليمان، عن عبد الله بن المفضّل، عن أبان بن عثمان، عن ابن تغلب، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس قال: لمّا أصاب آل يعقوب ما أصاب الناس من ضيق الطعام جمع يعقوب بنيه فقال لهم: يا بنيّ إنّه بلغني أنّه يباع بمصر طعام طيّب، وأنّ صاحبه رجل صالح لا يحبس الناس، فاذهبوا إليه واشتروا منه طعاماً فإنّه سيحسن إليكم إن شاء الله، فتجهّزوا وساروا حتّى وردوا مصر فأدخلوا على يوسف عليه السلام فعرفهم وهم له منكرون، فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن أولاد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن، ونحن من جبل كنعان، قال يوسف: ولدكم إذاً ثلاثة أنبياء، وما أنتم بحلماء، ولا فيكم وقارٌ ولا خشوعٌ، فلعلّكم جواسيس لبعض الملوك جئتم إلى بلادي؟! فقالوا: أيّها الملك لسنا بجواسيس ولا أصحاب الحرب، ولو تعلم بأبينا إذاً لكرمنا عليك، فإنّه نبيّ الله وابن أنبيائه، وإنّه لمحزون، قال لهم يوسف: فممّا حزنه وهو نبيّ الله وابن أنبيائه، والجنّة مأواه، وهو ينظر إليكم في مثل عددكم وقوّتكم؟ فلعلّ حزنه إنّما هو من قبل سفهكم وجهلكم وكذبكم وكيدكم ومكركم؟ قالوا: أيّها الملك لسنا بجهّال ولا سفهاء ولا أتاه الحزن من قبلنا، ولكن كان له ابن كان أصغرنا سنّاً يقال له يوسف فخرج معنا إلى الصيد فأكله الذئب، فلم يزل بعده كئيباً حزيناً باكياً، فقال لهم يوسف عليه السلام: كلّكم من أب واحد؟ قالوا: أبونا واحد وأمّهاتنا شتّى، قال: فما حمل أباكم على أن سرّحكم كلّكم ألا حبس منكم واحداً يأنس به ويستريح إليه؟ قالوا: قد فعل، قد حبس منّا واحداً هو أصغرنا سنّاً، قال: ولمَ اختاره لنفسه من بينكم؟ قالوا: لأنّه أحبّ أولاده إليه بعد يوسف.

فقال لهم يوسف عليه السلام: إنّي أحبس منكم واحداً يكون عندي وارجعوا إلى أبيكم واقرؤوه منّي السلام وقولوا له: يرسل إليّ بابنه الّذي زعمتم أنّه حبسه عنده ليخبرني عن حزنه ما الّذي أحزنه؟ وعن سرعة الشيب إليه قبل أوان مشيبه؟ وعن بكائه وذهاب بصره، فلمّا قال هذا اقترعوا بينهم فخرجت القرعة على شمعون[1]، فأمر به فحبس، فلمّا ودّعوا شمعون قال لهم: يا إخوتاه انظروا ماذا وقعت فيه، واقرؤوا والدي منّي السلام؛ فودّعوه وساروا حتّى وردوا الشام ودخلوا على يعقوب عليه السلام وسلّموا عليه سلاماً ضعيفاً، فقال لهم: يا بنيّ ما لكم تسلّمون سلاماً ضعيفاً؟ وما لي لا أسمع فيكم صوت خليلي شمعون؟ قالوا: يا أبانا إنّا جئناك من عند أعظم الناس ملكاً، لم ير الناس مثله حكماً وعلماً وخشوعاً وسكينةً ووقاراً، ولئن كان لك شبيه فإنّه لشبيهك، ولكنّا أهل بيت خلقنا للبلاء اتّهمنا الملك وزعم أنّه لا يصدّقنا حتّى ترسل معنا بابن يامين برسالة منك يخبره عن حزنك وعن سرعة الشيب إليك قبل أوان المشيب، وعن بكائك وذهاب بصرك، فظنّ يعقوب أنّ ذلك مكر منهم فقال لهم: يا بنيّ بئس العادة عادتكم، كلّما خرجتم في وجه نقص منكم واحد، لا أرسله معكم، فلمّا فتحوا

---

(١) وقيل: إن يوسف اختار شمعون لأنه كان أحسنهم رأياً فيه (منه رحمه الله).

متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم من غير علم منهم أقبلوا إلى أبيهم فرحين قالوا: يا أبانا ما رأى النّاس مثل هذا الملك أشدّ اتّقاء للإثم منه، ردّ علينا بضاعتنا مخافة الإثم، وهي بضاعتنا ردّت إلينا، ونمير أهلنا[1]، ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير؛ قال يعقوب: قد علمتم أنّ ابن يامين أحبّكم إليّ بعد أخيكم يوسف وبه أُنسي، وإليه سكوني من بين جماعتكم، فلن أرسله معكم حتّى تؤتوني موثقاً من الله لتأتنّني به إلاّ أن يحاط بكم، فضمنه يهودا فخرجوا حتّى وردوا مصر فدخلوا على يوسف عليه السلام فقال لهم: هل بلّغتم رسالتي؟ قالوا: نعم وقد جئناك بجوابها مع هذا الغلام فسله عمّا بدا لك، قال له يوسف: بما أرسلك أبوك إليّ يا غلام؟ قال: أرسلني إليك يقرؤك السلام ويقول: إنّك أرسلت إليّ تسألني عن حزني، وعن سرعة الشيب إليّ قبل أوان المشيب، وعن بكائي وذهاب بصري، فإنّ أشدّ الناس حزناً وخوفاً أذكرهم للمعاد، وإنّما أسرع الشيب إليّ قبل أوان المشيب لذكر يوم القيامة، وأبكاني وبيّض عيني الحزن على حبيبي يوسف، وقد بلغني حزنك بحزني واهتمامك بأمري، فكان الله لك جازياً ومثيباً؛ وإنّك لن تصلني بشيء أنا أشدّ فرحاً به من أن تعجّل عليّ ولدي ابن يامين، فإنّه أحبّ أولادي إليّ بعد يوسف، فأونس به وحشتي، وأصل به وحدتي، تعجّل عليّ بما أستعين به على عيالي. فلمّا قال هذا خنقت يوسف عليه السلام العبرة ولم يصبر حتّى قام فدخل البيت وبكى ساعة ثمّ خرج إليهم وأمر لهم بطعام، وقال: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة، فجلسوا وبقي ابن يامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لم تجلس؟ فقال له: ليس لي فيهم ابن أمّ، فقال له يوسف: أفما كان لك ابن أمّ؟ فقال له ابن يامين: بلى، فقال له يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي اثنا عشر ابناً كلّهم اشتقّ له اسماً من اسمه، فقال له يوسف عليه السلام: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده؟! فقال له ابن يامين: إنّ لي أباً صالحاً وإنّه قال لي: تزوّج لعلّ الله عزّ وجلّ يخرج منك ذرّيّة يثقل الأرض بالتسبيح، فقال له يوسف: تعال فاجلس على مائدتي، فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته، فأمر يوسف أن يجعل صواع الملك في رحل ابن يامين.

فلما تجهزوا ﴿أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾﴾[2] وكان الرسم فيهم والحكم أنّ السارق يسترقّ ولا يقطع ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ ﴿٧٦﴾﴾ فحبسه، فقال

---

(١) نمير أهلنا: أي تجلب إليه الطعام (منه رحمه الله).

(٢) وأنا به زعيم: أي كفيل أؤديه إلى من ردّه (منه رحمه الله).

إخوته لمّا أصابوا الصواع في وعاء ابن يامين: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فلمّا رجعوا إلى أبيهم قالوا ذلك له قال: إنّ ابني لا يسرق ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

ثمّ أمر بنيه بالتجهيز إلى مصر، فساروا حتّى أتوا مصر فدخلوا على يوسف ودفعوا إليه كتاباً من يعقوب يستعطفه فيه ويسأله ردّ ولده عليه، فلمّا نظر فيه خنقته العبرة ولم يصبر حتّى قام فدخل البيت فبكى ساعة ثمّ خرج إليهم فقالوا له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ فقال لهم يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾.

ثمّ أمرهم بالانصراف إلى يعقوب وقال لهم: ﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فهبط جبرئيل على يعقوب عليه السلام فقال: يا يعقوب ألا أعلّمك دعاء يردّ الله عليك به بصرك، ويردّ عليك ابنيك؟ قال: بلى، قال: قل ما قاله أبوك آدم فتاب الله عليه، وما قاله نوح فاستوت به سفينته على الجوديّ ونجا من الغرق وما قاله أبوك إبراهيم خليل الرّحمن حين ألقي في النّار فجعله الله عليه برداً وسلاماً، فقال يعقوب: وما ذاك يا جبرئيل؟ فقال: قل: «يا ربّ أسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين أن تأتيني بيوسف وابن يامين جميعاً وتردّ عليّ عيني» فما استتمّ يعقوب هذا الدعاء حتّى جاء البشير فألقى قميص يوسف عليه فارتدّ بصيراً، فقال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾﴾ فروي في خبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: أخّرهم إلى السحر، فأقبل يعقوب إلى مصر وخرج يوسف ليستقبله فهمّ بأن يترجّل ليعقوب ثمّ ذكر ما هو فيه من الملك فلم يفعل، فنزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: ما منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح؟ ما كنت فيه؟ ابسط يدك، فبسطها فخرج من بين أصابعه نور، فقال:

ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا إنّه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً عقوبةً بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه فقال يوسف: ﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ۝ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ فقال يوسف ليعقوب: ﴿يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ إلى قوله: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ فروي في خبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: دخل يوسف السجن وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ومكث فيه ثمان عشرة سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة سنة وعشر سنين(١).

توضيح: ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ قال البيضاويّ: أي مكيلٌ قليلٌ لا يكفينا، استقلّوا ما كيل لهم فأرادوا أن يضاعفوه بالرجوع إلى الملك ويزدادوا إليه ما يكال لأخيهم، ويجوز أن يكون الإشارة إلى ﴿كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ أي ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه؛ وقيل: إنّه من كلام يعقوب ومعناه: وإنّ حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد. قوله تعالى: ﴿خَلَصُوا نَجِيًّا﴾ أي تخلّصوا واعتزلوا متناجين انتهى(٢).

وقال السيّد قدّس الله روحه: فإن قيل: ما الوجه في طلب يوسف عليه السلام أخاه من إخوته ثمّ حبسه له عن الرجوع إلى أبيه مع علمه بما يلحقه عليه من الحزن؟ وهل هذا إلاّ إضرار به وبأبيه؟ قلنا: الوجه في ذلك ظاهر، لأنّ يوسف عليه السلام لم يفعل ذلك إلاّ بوحي من الله تعالى إليه، وذلك امتحان منه لنبيّه يعقوب عليه السلام وابتلاء لصبره وتعريض للعالي من منزلة الثواب، ونظير ذلك امتحانه عليه السلام بأن صرف عنه خبر يوسف طول تلك المدّة حتّى ذهب بصره بالبكاء عليه، وإنّما أمرهم يوسف عليه السلام بأن يلطفوا بأبيهم في إرساله من غير أن يكذبوه أو يخدعوه. فإن قيل: أليس قد قالوا له: ﴿سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ والمراودة هي الخداع والمكر؟ قلنا: ليس المراودة على ما ظننتم، بل هي التلطّف والتسبّب والاحتيال، وقد يكون ذلك من جهة الصدق والكذب جميعاً، وإنّما أمرهم بفعله على أحسن الوجوه، فإن خالفوه فلا لوم إلاّ عليهم.

فإن قيل: فما بال يوسف لم يعلم أباه عليه السلام بخبره لتسكن نفسه ويزول وجده مع علمه بشدّة تحرّقه وعظم قلقه؟ قلنا: في ذلك وجهان: أحدهما أنّ ذلك كان له ممكناً وكان عليه قادراً فأوحى الله تعالى إليه بأن يعدل عن اطّلاعه على خبره، تشديداً للمحنة عليه، وتعريضاً للمنزلة الرفيعة في البلوى، وله تعالى أن يصعب التكليف وأن يسهّله. والجواب الآخر أنّه جائز أن يكون عليه السلام لم يتمكّن من ذلك ولا قدر عليه فلذلك عدل عنه(٣).

٢٤ - ع، ن: المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عبيد الله العلويّ عن عليّ بن محمّد العلويّ العمريّ، عن إسماعيل بن همّام قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٠٤ مجلس ٤٣ ح ٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٢٠.
(٣) تنزيه الأنبياء، ص ٥٦.

لَهُمْ﴾ قال: كانت لإسحاق النبيّ عليه السلام منطقة تتوارثها الأنبياء الأكابر، وكانت عند عمّة يوسف، وكان يوسف عندها وكانت تحبّه، فبعث إليها أبوه: ابعثيه إليّ وأردّه إليك، فبعثت إليه: دعه عندي اللّيلة أشمّه ثمّ أرسله إليك غداة، قال: فلمّا أصبحت أخذت المنطقة فشدّتها في وسطه تحت الثياب وبعث به إلى أبيه، فلمّا خرج من عندها طلبت المنطقة فوجدت عليه، وكان إذا سرق أحد في ذلك الزمان دفع إلى صاحب السرقة فكان عبده[1].

شي: عن إسماعيل مثله. «ج ٢ ص ١٩٦ ح ٥٣ من سورة يوسف».

٢٥ - **ل:** أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن عليّ بن محمّد، عن رجل، عن سليمان بن زياد المنقريّ، عن عمرو بن شمر، عن إسماعيل السدّيّ، عن عبد الرحمن بن سابط القرشيّ؟ عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ في قول الله عزّ وجلّ حكاية عن يوسف: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ فقال في تسمية النجوم: هو الطارق وجوبان والذيال وذو الكنفان وقابس ووثاب وعمودان وفيلق ومصبح والصدح وذو الفزع والضياء والنور يعني الشمس والقمر، وكلّ هذه الكواكب محيطة بالسماء[2].

٢٦ - **ل:** عبد الله بن حامد، عن محمّد بن جعفر، عن الحسن بن عرفة، عن الحكم بن ظهير، عن السدّيّ، عن عبد الرحمن بن سابط القرشيّ، عن جابر بن عبد الله قال: أتى النبيّ صلى الله عليه وآله رجل من اليهود يقال له بستان اليهوديّ، فقال: يا محمّد أخبرني عن الكواكب الّتي رآها يوسف أنّها ساجدة له ما أسماؤهما؟ فلم يجبه نبيّ الله يومئذٍ في شيء، ونزل جبرئيل بعد فأخبر النبيّ صلى الله عليه وآله بأسمائها، قال: فبعث نبيّ الله إلى بستان فلمّا أن جاءه قال النبيّ صلى الله عليه وآله: هل أنت مسلم إن أخبرتك بأسمائها؟ قال: فقال له: نعم، فقال له النبيّ صلى الله عليه وآله: جربان والطارق والذيال وذو الكنفان وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح والضروح وذو الفزع والضياء والنور؛ رآها في أفق السماء ساجدة له، فلمّا قصّها يوسف عليه السلام على يعقوب عليه السلام قال يعقوب: هذا أمر متشتّت يجمعه الله عزّ وجلّ بعد، قال: فقال بستان: والله إنّ هذه لأسماؤها[3].

بيان: في البيضاويّ: ذو الكتفين. وفي العرائس: ذو الكنفات. وفي أكثر نسخ البيضاويّ: الفليق. وفي العرائس كما في الخبر.

٢٧ - **ل:** ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن معروف، عن محمّد بن سهل البحرانيّ يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ بن الحسين عليه السلام. فأمّا آدم فبكى على الجنّة حتّى صار في خدّيه أمثال

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٦٧ باب ٤٢ ح ١، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٨٢ باب ٣٢ ح ٥.
(٢) الخصال، ص ٤٥٤ باب الأحد عشر ح ١. (٣) الخصال، ص ٤٥٤ باب الأحد عشر ح ٢.

الأودية؛ وأمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره وحتّى قيل له: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ وأمّا يوسف فبكى على يعقوب حتّى تأذّى به أهل السجن فقالوا له: إمّا أن تبكي اللّيل وتسكت بالنهار، وإمّا أن تبكي النهار وتسكت باللّيل، فصالحهم على واحدة منهما؛ وأمّا فاطمة فبكت على رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى تأذّى به أهل المدينة فقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى المقابر مقابر الشهداء فتبكي حتّى تنقضي حاجتها ثمّ تنصرف؛ وأمّا عليّ بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكى حتّى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي أخاف عليك أن تكون من الجاهلين قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إنّي ما أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني لذلك عبرة[(١)].

٢٨ - سن: عدّة من أصحابنا، عن ابن أسباط، عن عمّه يعقوب بن سالم، عن إسحاق ابن عمّار، عن الكاهليّ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ يعقوب لمّا ذهب منه ابن يامين نادى: يا ربّ أما ترحمني؟ أذهبت عينيّ، وأذهبت ابنيّ، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: لو أمتّهما لأحييتهما حتّى أجمع بينك وبينهما، ولكن أما تذكر الشاة ذبحتها وشويتها وأكلت وفلان إلى جنبك صائم لم تنله منها شيئاً؟ قال ابن أسباط: قال يعقوب: حدّثني الميثميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ يعقوب بعد ذلك كان ينادي مناديه كلّ غداة من منزله على فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت آل يعقوب، وإذا أمسى نادى: ألا من أراد العشاء فليأت آل يعقوب[(٢)].

٢٩ - ل: ابن الوليد، عن الصفّار، عن البرقيّ، عن ابن محبوب، عن هشام بن سالم عمّن ذكره، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لم يبعث أنبياء ملوكاً في الأرض إلاّ أربعة بعد نوح: ذو القرنين واسمه عيّاش، وداود وسليمان ويوسف عليهم السلام فأمّا عيّاش فملك ما بين المشرق والمغرب، وأمّا داود فملك ما بين الشامات إلى بلاد إصطخر، وكذلك ملك سليمان، وأمّا يوسف فملك مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها[(٣)].

٣٠ - ع: القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمارة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يعقوب وعيص توأمين فولد عيص ثمّ ولد يعقوب فسمّي يعقوب لأنّه خرج بعقب أخيه عيص، ويعقوب هو إسرائيل، ومعنى إسرائيل: عبد الله، لأنّ الإسرا هو عبد، وإيل هو الله عزّ وجلّ. وروي في خبر آخر أنّ الإسرا هو القوّة، وإيل هو الله عزّ وجلّ، فمعنى إسرائيل: قوّة الله عزّ وجلّ[(٤)].

---

(١) الخصال، ص ٢٧٢ باب الخمسة ح ١٥. (٢) المحاسن للبرقي، ص ٣٩٩.

(٣) الخصال، ص ٢٤٨ باب الأربعة ح ١١٠.

(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٩ باب ٣٩ ح ١.

٣١ - ع: عبد الله بن حامد، عن خلف بن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن عليّ بن حمزة الأنصاريّ؟ عن عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقيّ، عن بشر بن أبي بكر، عن أبي بكر ابن أبي مريم، عن سعيد بن عمرو الأنصاريّ، عن أبيه، عن كعب الأحبار في حديث طويل يقول فيه: إنّما سمّي إسرائيل إسرائيل الله لأنّ يعقوب كان يخدم بيت المقدس، وكان أوّل من يدخل وآخر من يخرج، وكان يسرج القناديل، وكان إذا كان بالغداة رآها مطفأة، قال: فبات ليلةً في مسجد بيت المقدس فإذا بجنّيّ يطفئها فأخذه فأسره إلى سارية في المسجد، فلمّا أصبحوا رأوه أسيراً، وكان اسم الجنّي إيل، فسمّي إسرائيل لذلك[١].

٣٢ - يه: في رواية عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قال يعقوب لابنه يوسف: يا بنيّ لا تزن فإنّ الطير لو زنا لتناثر ريشه[٢].

٣٣ - كا: عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد وسهل بن زياد جميعاً، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا نبيّ الله إنّ لي ابنة عمّ قد رضيت جمالها وحسنها ودينها ولكنّها عاقر، فقال: لا تتزوّجها، إنّ يوسف بن يعقوب لقي أخاه فقال: يا أخي كيف استطعت أن تتزوّج النساء بعدي؟ فقال: إنّ أبي أمرني وقال: إن استطعت أن تكون لك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح فافعل[٣].

٣٤ - كا: العدّة، عن البرقيّ، عن التفليسيّ، عن السمنديّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير وقت دعوتم الله فيه الأسحار، وتلا هذه الآية في قول يعقوب عليه السلام: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ فقال: أخّرهم إلى السحر[٤].

٣٥ - ن: بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ قال: قامت امرأة العزيز إلى الصنم فألقت عليه ثوباً، فقال لها يوسف: ما هذا؟ فقالت: أستحي من الصنم أن يرانا، فقال لها يوسف: أتستحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا يأكل ولا يشرب ولا أستحي أنا ممّن خلق الإنسان وعلّمه؟ فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾[٥].

صح: عنه عليه السلام مثله. «ص ١٠٢ ح ١٩٨».

٣٦ - ن: بهذا الإسناد عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّه قال: أخذ الناس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيّوب عليه السلام، والشكر عن نوح عليه السلام، والحسد عن بني يعقوب[٦].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٥٩ باب ٣٩ ح ٣.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤ ص ٦٤٠ ح ٤٩٨٢. (٣) الكافي، ج ٥ ص ٧٦٧ باب ٢٠٥ ح ١.
(٤) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٦٨ باب الأوقات والحالات ح ٦.
(٥) - (٦) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٩ باب ٣١ ح ١٦٢ و١٦٤.

صح: عنه عليه السلام مثله. «ص ١٠٣ ح ٢٠٠».

٣٧ - **ع، ن:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن الحسن بن موسى قال: روى أصحابنا عن الرضا عليه السلام أنّه قال له رجل: أصلحك الله كيف صرت إلى ما صرت إليه من المأمون؟ - وكأنّه أنكر ذلك عليه - فقال له أبو الحسن الرضا عليه السلام: يا هذا أيّهما أفضل: النبيّ أو الوصيّ؟ قال: لا بل النبيّ، قال: فأيّهما أفضل: مسلم أو مشرك؟ قال: لا بل مسلم، قال: فإنّ العزيز عزيز مصر كان مشركاً وكان يوسف عليه السلام نبيّاً، وإنّ المأمون مسلماً وأنا وصيّ، ويوسف سأل العزيز أن يولّيه حين قال: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وأنا أجبرت على ذلك. وقال عليه السلام في قوله: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ قال: حافظ لما في يديّ، عالم بكلّ لسان[1].

شي: عن الحسن بن موسى مثله[2].

بيان: قال السيّد قدّس الله روحه: فإن قيل: ما معنى قول يوسف عليه السلام للعزيز: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وكيف يجوز أن يطلب الولاية من قبل الظالم؟ قلنا: إنّما التمس تمكينه من خزائن الأرض ليحكم فيها بالعدل وليصرفها إلى مستحقّيها، وكان ذلك له من غير ولاية، وإنّما سأل الولاية ليتمكّن من الحقّ الّذي له أن يفعله، ولمن لم يتمكّن من إقامة الحقّ والأمر بالمعروف أن يتسبّب إليه ويتوصّل إلى فعله، فلا لوم في ذلك على يوسف عليه السلام ولا حرج[3].

٣٨ - **ما:** الفحّام، عن المنصوريّ، عن موسى بن عيسى بن أحمد، عن عليّ بن محمّد العسكريّ، عن آبائه، عن الصادق عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ في قول يعقوب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ قال: بلا شكوى[4].

٣٩ - **ما:** المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ عن ابن أبي عمير، عن البطائنيّ، عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن دعاء يوسف عليه السلام ما كان؟ فقال: إنّ دعاء يوسف عليه السلام كان كثيراً لكنّه لمّا اشتدّ عليه الحبس خرّ لله ساجداً وقال: «اللّهمّ إن كانت الذنوب قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً فأنا أتوجّه إليك بوجه الشيخ يعقوب» قال: ثمّ بكى أبو عبد الله عليه السلام وقال: صلّى الله على يعقوب وعلى يوسف، وأنا أقول: اللّهمّ بالله وبرسوله صلى الله عليه وآله[5].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٧٩ باب ١٧٣ ح ٢، وعيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٥٠ باب ٤٠ ح ١.
(٢) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٩١ ح ٣٨ - ٣٩. (٣) تنزيه الأنبياء، ص ٥٩.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٢٩٤ مجلس ١١ ح ٥٧٣.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٤١٤ مجلس ١٤ ح ٩٣٠.

٤٠ - كا: محمّد بن يحيى، عن موسى بن الحسن، عن محمّد بن أحمد بن أبي محمود، عن أبيه رفعه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف عليه السلام لمّا أن كان في السجن شكا إلى ربّه عزّ وجلّ أكل الخبز وحده، وسأل إداماً يأتدم به، وقد كان كثر عنده قطع الخبز اليابس فأمره أن يأخذ الخبز ويجعله في إجانة ويصبّ عليه الماء والملح فصار مرّيّاً وجعل يأتدم به عليه السلام [1].

بيان: قال الفيروزآباديّ المرّيّ كدرّيّ: إدام كالكامخ.

أقول: هو الّذي يقال له بالفارسيّة: آب كامه.

٤١ - قل: عن المفيد في كتاب حدائق الرياض: في اليوم الثالث من المحرّم كان خلاص يوسف عليه السلام من الجبّ [2].

٤٢ - ما: جماعة عن أبي المفضّل، عن محمّد بن جعفر بن رباح الأشجعيّ، عن عبّاد بن يعقوب الأسديّ، عن أرطاة بن جندب، عن زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: لمّا أصابت امرأة العزيز الحاجة قيل لها: لو أتيت يوسف بن يعقوب فشاورت في ذلك، فقيل لها: إنّا نخافه عليك، قالت: كلاّ إنّي لا أخاف من يخاف الله، فلمّا دخلت عليه فرأته في ملكه قالت: الحمد لله الّذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بالمعصية، فتزوّجها فوجدها بكراً فقال لها: أليس هذا أحسن؟ أليس هذا أجمل؟ فقالت: إنّي كنت بليت منك بأربع خلال: كنت أجمل أهل زماني، وكنت أجمل أهل زمانك، وكنت بكراً، وكان زوجي عنيناً، فلمّا كان من أمر إخوة يوسف ما كان كتب يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وهو لا يعلم أنّه يوسف:

بسم الله الرحمن الرحيم: من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله عزّ وجلّ إلى عزيز آل فرعون، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك الله الّذي لا إله إلاّ هو، أمّا بعد فإنّا أهل بيت مولعة بنا أسباب البلاء، كان جدّي إبراهيم أُلقي في النّار في طاعة ربّه فجعلها الله عزّ وجلّ عليه برداً وسلاماً، وأمر الله جدّي أن يذبح أبي ففداه بما فداه به، وكان لي ابن وكان من أعزّ الناس عليّ ففقدته فأذهب حزني عليه نور بصري، وكان له أخ من أمّه فكنت إذا ذكرت المفقود ضممت أخاه هذا إلى صدري فأذهب عنّي بعض وجدي وهو المحبوس عندك في السرقة، وإنّي أُشهدك أنّي لم أسرق ولم ألد سارقاً.

فلمّا قرأ يوسف الكتاب بكى وصاح وقال: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [3].

(١) الكافي، ج ٦ ص ١٠٧٤ باب ٢٥٠ ح ١. (٢) اقبال الأعمال ص ٢٨.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٤٥٦ مجلس ١٦ ح ١٠٢٠.

٤٣ - **دعوات الراوندي:** عن أبي عبد الله بن موسى قال: لمّا كان من أمر إخوة يوسف ما كان - وساق الحديث إلى قوله -: من يعقوب إسرائيل الله بن إسحاق ذبيح الله - إلى قوله -: وكان لي ابن وكان من أحبّ النّاس إليّ - إلى قوله -: وهو من المحبوسين عندك، إنّي أخبرك أنّي لم أسرق ولم ألد سارقاً. فلمّا قرأ يوسف كتابه بكى وكتب إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم: اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا.

فلمّا انتهى الكتاب إلى يعقوب قال: والله ما هذا بكلام الملوك والفراعنة، بل هو كلام الأنبياء وأولاد الأنبياء، فحينئذٍ قال: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾[1].

٤٤ - ومنه قال: سأل بعضهم فقيل: إنّ إخوة يوسف عليه السلام ألقوه في الجبّ وباعوه ولم يصبهم شيء من البلاء، وأصاب البلاء كلّه يوسف، وحبس في السجن، وابتلي بسائر البلاء فما الحكمة في ذلك؟ فقال: لأنّهم لم يكونوا أهلاً له، لا كلّ بدن يصلح لبليّته[2].

٤٥ - وعن ابن عبّاس قال: مكث يوسف عليه السلام في منزل الملك وزليخا ثلاث سنين، ثمّ أحبّته فراودته، فبلغنا - والله أعلم - أنّها مكثت سبع سنين على صدر قدميها وهو مطرق إلى الأرض، لا يرفع طرفه إليها مخافة من ربّه، فقالت يوماً: ارفع طرفك وانظر إليّ، قال: أخشى العمى في بصري، قالت: ما أحسن عينيك! قال: هما أوّل ساقط على خدّي في قبري، قالت: ما أطيب ريحك! قال: لو شممت رائحتي بعد ثلاث من موتي لهربت منّي، قالت: لِمَ لا تقرب منّي؟ قال: أرجو بذلك القرب من ربّي، قالت فرشي الحرير فقم واقض حاجتي، قال: أخشى أن يذهب من الجنّة نصيبي؟ قالت: أسلّمك إلى المعذّبين قال: إذاً يكفيني ربّي[3].

٤٦ - **ما:** جماعة، عن أبي المفضّل، عن أحمد بن محمّد بن عبد الخالق، عن الوليد بن شجاع، عن محمّد بن حسين، عن موسى بن سعيد الرقاشيّ قال: لمّا قدم يعقوب عليه السلام خرج يوسف عليه السلام فاستقبله في موكبه، فمرّ بامرأة العزيز وهي تعبد في غرفة لها، فلمّا رأته عرفته فنادته بصوت حزين: أيّها الذاهب طال ما أحزنتني، ما أحسن التقوى! كيف حرّر العبيد؟! وأقبح الخطيئة؟! كيف عبّدت الأحرار؟[4]!

٤٧ - **كا:** العدّة، عن البرقيّ، عن عبد الرحمن بن حمّاد، عن يونس بن يعقوب، عن سهل، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صارت الأشياء ليوسف بن يعقوب عليه السلام جعل الطعام في بيوت وأمر بعض وكلائه يبيع، فكان يقول: بع بكذا وكذا والسعر قائم، فلمّا علم أنّه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه، فقال له: اذهب فبع، ولم يسمّ له

---

(١) دعوات الراوندي، ص ٥٣.
(٢) دعوات الراوندي، ص ١٢٣.
(٣) دعوات الراوندي، ص ١٢٤.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٤٥٧ مجلس ١٦ ح ١٠٢١.

سعراً، فذهب الوكيل غير بعيد ثمّ رجع إليه فقال له: اذهب وبع، وكره أن يجري الغلاء على لسانه، فذهب الوكيل فجاء أوّل من اكتال فلمّا بلغ دون ما كال بالأمس بمكيال قال المشتري: حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال، ثمّ جاءه آخر فقال له: كل لي فكال، فلمّا بلغ دون الّذي كال للأوّل بمكيال قال له المشتري: حسبك إنّما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال حتّى صار إلى واحد بواحد(١).

٤٨ - ع: ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن ابن عيسى، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن الثماليّ قال: صلّيت مع عليّ بن الحسين عليه السلام الفجر بالمدينة يوم جمعة، فلمّا فرغ من صلاته وسبحته نهض إلى منزله وأنا معه، فدعا مولاة له تسمّى سكينة فقال لها: لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه، فإنّ اليوم يوم الجمعة، قلت له: ليس كلّ من يسأل مستحقّاً، فقال: ياثابت أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقّاً فلا نطعمه ونردّه فينزل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله، أطعموهم أطعموهم، إنّ يعقوب كان يذبح كلّ يوم كبشاً فيتصدّق منه، ويأكل هو وعياله منه، وإنّ سائلاً مؤمناً صوّاماً مستحقّاً له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً اعترّ على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه: أطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعونه قد جهلوا حقّه ولم يصدّقوا قوله، فلمّا يئس أن يطعموه وغشيه اللّيل استرجع واستعبر وشكا جوعه إلى الله عزّ وجلّ وبات طاوياً، وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله تعالى، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً وأصبحوا وعندهم فضلة من طعامهم.

قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يعقوب في صبيحة تلك اللّيلة: لقد أذللت يا يعقوب عبدي ذلّة استجررت بها غضبي، واستوجبت بها أدبي ونزول عقوبتي وبلواي عليك وعلى ولدك، يا يعقوب إنّ أحبّ أنبيائي إليّ وأكرمهم عليّ من رحم مساكين عبادي وقرّبهم إليه وأطعمهم وكان لهم مأوى وملجأ، يا يعقوب أما رحمت ذميال عبدي، المجتهد في عبادته القانع باليسير من ظاهر الدنيا عشاء أمس لمّا اعترّ ببابك عند أوان إفطاره؟ وهتف بكم: أطعموا السائل الغريب المجتاز القانع، فلم تطعموه شيئاً، فاسترجع واستعبر وشكا ما به إليّ، وبات طاوياً حامداً لي، وأصبح لي صائماً، وأنت يا يعقوب وولدك شباع، وأصبحت عندكم فضلة من طعامكم؟ أوما علمت يا يعقوب أنّ العقوبة والبلوى إلى أوليائي أسرع منها إلى أعدائي؟ وذلك حسن النظر منّي لأوليائي، واستدراج منّي لأعدائي، أما وعزّتي لأنزلنّ بك بلواي، ولأجعلنّك وولدك غرضاً لمصائبي، ولأوذينّك بعقوبتي، فاستعدّوا لبلواي وارضوا بقضائي واصبروا للمصائب؛ فقلت لعليّ بن الحسين عليه السلام جعلت فداك متى رأى يوسف الرؤيا؟ فقال: في تلك اللّيلة الّتي بات فيها يعقوب وآل يعقوب شباعاً، وبات فيها ذميال طاوياً

(١) الكافي، ج ٥ ص ٦٧٦ باب ٩٥ ح ٥.

جائعاً، فلمّا رأى يوسف الرؤيا وأصبح يقصّها على أبيه يعقوب فاغتمّ يعقوب لمّا سمع من يوسف مع ما أوحى الله عزّ وجلّ إليه: أن استعدّ للبلاء، فقال يعقوب ليوسف: لا تقصص رؤياك هذه على إخوتك فإنّي أخاف أن يكيدوا لك كيداً، فلم يكتم يوسف رؤياه وقصّها على إخوته؛ قال عليّ بن الحسين عليه السلام وكانت أوّل بلوى نزلت بيعقوب وآل يعقوب الحسد ليوسف لمّا سمعوا منه الرؤيا.

قال: فاشتدّت رقّة يعقوب على يوسف وخاف أن يكون ما أوحى الله عزّ وجلّ إليه من الاستعداد للبلاء هو في يوسف خاصّة، فاشتدّت رقّته عليه من بين ولده، فلمّا رأى إخوة يوسف ما يصنع يعقوب بيوسف وتكرمته إيّاه وإيثاره إيّاه عليهم اشتدّ ذلك عليهم، وبدا البلاء فيهم، فتآمروا فيما بينهم وقالوا: إنّ يوسف وأخاه أحبّ إلى أبينا منّا ونحن عصبة إنّ أبانا لفي ضلال مبين، اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين، أي تتوبون. فعند ذلك قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ﴾ فقال يعقوب: ﴿إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فانتزعه حذراً عليه منه من أن تكون البلوى من الله على يعقوب في يوسف خاصّة لموقعه من قلبه وحبّه له، قال: فغلبت قدرة الله وقضاؤه ونافذ أمره في يعقوب ويوسف وإخوته، فلم يقدر يعقوب على دفع البلاء عن نفسه ولا عن يوسف وولده فدفعه إليهم وهو لذلك كاره، متوقّع للبلوى من الله في يوسف، فلمّا خرجوا من منزلهم لحقهم مسرعاً فانتزعه من أيديهم فضمّه إليه واعتنقه وبكى ودفعه إليهم، فانطلقوا به مسرعين مخافة أن يأخذه منهم ولا يدفعه إليهم، فلمّا أمعنوا به أتوا به غيضة أشجار فقالوا: نذبحه ونلقيه تحت هذه الشجرة فيأكله الذئب الليلة.

فقال كبيرهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ﴾ ولكن ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ فانطلقوا به إلى الجبّ فألقوه وهم يظنّون أنّه يغرق فيه، فلمّا صار في قعر الجبّ ناداهم: يا ولد رومين اقرؤوا يعقوب عنّي السلام، فلمّا سمعوا كلامه قال بعضهم لبعض: لا تزالوا من ههنا حتّى تعلموا أنّه قد مات، فلم يزالوا بحضرته حتّى أمسوا ورجعوا إلى أبيهم عشاءً يبكون ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ فلمّا سمع مقالتهم استرجع واستعبر وذكر ما أوحى الله عزّ وجلّ إليه من الاستعداد للبلاء، فصبر وأذعن للبلوى وقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ وما كان الله ليطعم لحم يوسف الذئب من قبل أن أرى تأويل رؤياه الصادقة(١).

---

(١) قال الطبرسي «رحمه الله»: قيل: إن يعقوب لما أرسله معهم أخرجوه مكرماً فلما وصلوا إلى الصحراء أظهروا له العداوة وجعلوا يضربونه وهو يستغيث بواحد واحد منهم فلا يغيثه، وكان يقول: يا أبتاه فهمّوا بقتله فمنعهم يهودا عنه، وقيل: لاوي؛ كما رواه بعض اصحابنا، وانطلقوا به إلى الجب فجعلوا يدلونه في البئر وهو يتعلق بشفيرها ثم نزعوا قميصه عنه وهو يقول: لا تفعلوا ردوا عليّ قميصي أتوارى=

قال أبوحمزة: ثمّ انقطع حديث عليّ بن الحسين عليه السلام عند هذا، فلمّا كان من الغد غدوت عليه فقلت له: جعلت فداك إنّك حدّثتني أمس بحديث ليعقوب وولده ثمّ قطعته، ما كان من قصّة إخوة يوسف وقصّة يوسف بعد ذلك؟ فقال: إنّهم لمّا أصبحوا قالوا: انطلقوا بنا حتّى ننظر ما حال يوسف، أمات أم هو حيّ؟ فلمّا انتهوا إلى الجبّ وجدوا بحضرة الجبّ سيّارة وقد أرسلوا واردهم فأدلى دلوه، فلمّا جذب دلوه إذا هو بغلام متعلّق بدلوه فقال لأصحابه: ﴿يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ﴾ فلمّا أخرجوه أقبلوا إليهم إخوة يوسف، فقالوا: هذا عبدنا سقط منّا أمس في هذا الجبّ، وجئنا اليوم لنخرجه، فانتزعوه من أيديهم وتنحّوا به ناحية فقالوا: إمّا أن تقرّ لنا أنّك عبد لنا فنبيعك بعض هذه السيّارة أو نقتلك، فقال لهم يوسف عليه السلام: لا تقتلوني واصنعوا ما شئتم، فأقبلوا به إلى السيّارة فقالوا: منكم من يشتري منّا هذا العبد؟ فاشتراه رجل منهم بعشرين درهماً، وكان إخوته فيه من الزاهدين، وسار به الّذي اشتراه من البدو حتّى أدخله مصر فباعه الّذي اشتراه من البدو من ملك مصر وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾.

قال أبو حمزة: فقلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: ابن كم كان يوسف يوم ألقوه في الجبّ، فقال: كان ابن تسع سنين، فقلت: كم كان بين منزل يعقوب يومئذٍ وبين مصر؟ فقال: مسيرة اثني عشر يوماً، قال: وكان يوسف من أجمل أهل زمانه، فلمّا راهق يوسف راودته امرأة الملك عن نفسه، فقال لها: معاذ الله أنا من أهل بيت لا يزنون، فغلّقت الأبواب عليها وعليه وقالت: لا تخف وألقت نفسها عليه، فأفلت منها هارباً إلى الباب ففتحه فلحقته فجذبت قميصه من خلفه فأخرجته منه، فأفلت يوسف منها في ثيابه ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قال: فهمّ الملك بيوسف ليعذّبه فقال له يوسف: وإله يعقوب ما أردت بأهلك سوءاً، بل هي راودتني عن نفسي، فاسأل هذا الصبيّ

= به فيقولون: أدع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك فدلوه إلى البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادة أن يموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وكان يهودا يأتيه بالطعام. عن السدي وقيل: أن الجب أضاء له وعذب ماؤه حتى أغناه عن الطعام ومن الشراب وقيل. كان الماء كدراً مصفا وعذب ووكل الله به ملكاً يحرسه ويطعمه عن مقاتل، وقيل ان جبرئيل كان يؤنسه وقيل: ان الله تعالى أمر الصخرة حتى ارتفعت من أسفل البئر فوقف يوسف عليها وهو عريان وكان إبراهيم الخليل حين ألقي في النار جرد من ثيابه وقذف في النار عرياناً، فأتاه جبرئيل بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه وكان ذلك عند إبراهيم فلما مات ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب، فلما شب يوسف جعل ذلك القميص في تعويذة وعلّقه في عنقه وكان لا يفارقه، فلما ألقي في البئر عرياناً جاءه جبرئيل وكان عليه ذلك التعويذ فأخرج منه القميص وألبسه إياه وروى ذلك المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام قال: وهو القميص الذي وجد يعقوب ريحه لما فصلت العير من مصر وكان يعقوب بفلسطين فقال: أني لأجد ريح يوسف. «منه طاب ثراه» [مجمع البيان، ج ٥ ص ٢٢٣].

أيّنا راود صاحبه عن نفسه، قال: وكان عندها من أهلها صبيّ زائر لها، فأنطق الله الصبيّ لفصل القضاء فقال: أيّها الملك انظر إلى قميص يوسف فإن كان مقدوداً من قدامه فهو الّذي راودها، وإن كان مقدوداً من خلفه فهي الّتي راودته، فلمّا سمع الملك كلام الصبيّ وما اقتصّ أفزعه ذلك فزعاً شديداً فجيء بالقميص فنظر إليه فلمّا رآه مقدوداً من خلفه قال لها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ وقال ليوسف: ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ ولا يسمعه منك أحد واكتمه، قال: فلم يكتمه يوسف وأذاعه في المدينة حتّى قلن نسوة منهنّ: امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه، فبلغها ذلك فأرسلت إليهنّ وهيّأت لهنّ طعاماً ومجلساً ثمّ أتتهنّ بأترج وآتت كلّ واحدة منهنّ سكّيناً، ثمّ قالت ليوسف: ﴿اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ﴾ ما قلن، فقالت لهنّ هذا الّذي لمتنّني فيه - يعني في حبّه - وخرجن النسوة من عندها فأرسلت كلّ واحدة منهنّ إلى يوسف سرّاً من صاحبتها تسأله الزيارة[١] فأبى عليهنّ، وقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ﴾ فصرف الله عنه كيدهنّ، فلمّا شاع أمر يوسف وأمر امرأة العزيز والنسوة في مصر بدا للملك بعدما سمع قول الصبيّ ليسجننّ يوسف، فسجنه في السجن، ودخل السجن مع يوسف فتيان، وكان من قصّتهما وقصّة يوسف ما قصّه الله في الكتاب. قال أبو حمزة: ثمّ انقطع حديث عليّ بن الحسين عليه السلام[٢].

شي: عن الثماليّ مثله.

بيان: السبحة بالضمّ: الدعاء والصلاة النافلة. ذكره الفيروزآباديّ. ويقال: عرّه واعترّه وعراه واعتراه: إذا أتاه متعرّضاً لفوائده.

والطوى الجوع، يقال: هو طاو وطيّان. والاسترجاع قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ وبطن - بالكسر - يبطن بطناً: عظم بطنه من الشبع. ويقال: أمعن الفرس: إذا تباعد في عدوه. والغيضة بالفتح: الأجمة ومجتمع الشجر. وراهق الغلام أي قارب الاحتلام.

٤٩ - **ع:** سمعت محمّد بن عبد الله بن طيفور يقول في قول يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ السِّجْنُ

---

(١) قال الطبرسي، بعد نقل هذه الرواية: وقيل: انهن قلن له: اطع مولاتك واقض حاجاتها فانها المظلومة وأنت الظالم وقيل: انهن لما رأين يوسف استأذن إمرأة العزيز بأن تخلوا كل واحدة منهن به، وتدعوه إلى ما أرادته منه، فلما خلون به دعته كل واحدة منهن إلى نفسها فلذلك قال: ﴿مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ والمراد بالآيات العلامات الدالة على براءة يوسف، وقيل العلامات الدالة على الإياس منه وقال السدي: سبب السجن أن المرأة قالت لزوجها: إن هذا العبد قد فضحني بين الناس ولست أطيق أن اعتذر بعذري فإما أن تأذن بي فأخرج وأعتذر، وأما أن تحبسه كما حبستني فحبسه بعد علمه ببراءته وقيل: إن الغرض من الحبس أن يظهر للناس أن الذنب كان له، وقيل: كان الحبس قريباً منها، فأرادت أن يكون بقربها حتى إذا أشرفت عليه رأته وقوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾: قيل إلى سبع سنين وقيل إلى خمس سنين وقيل إلى وقت ينسى حديث المرأة معه. «منه رحمه الله». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٩٩].

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٦١ باب ٤١ ح ١.

أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ﴾: إنّ يوسف رجع إلى اختيار نفسه فاختار السجن فوكل إلى اختياره، والتجأ نبيّ الله محمّد ﷺ إلى الخيار فتبرّأ من الاختيار ودعا دعاء الافتقار فقال على رؤية الاضطرار: «يا مقلّب القلوب والأبصار ثبّت قلبي على طاعتك» فعوفي من العلّة وعصم، فاستجاب الله له وأحسن إجابته، وهو أنّ الله عصمه ظاهراً وباطناً.

وسمعته يقول في قول يعقوب: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُۖ﴾ إنّ هذا مثل قول النبيّ ﷺ: «لا يلسع المؤمن من جحر مرّتين» فهذا معناه وذلك أنّه سلّم يوسف إليهم فغشّوه حين اعتمد على حفظهم له، وانقطع في رعايته إليهم، فألقوه في غيابة الجبّ وباعوه، ولمّا انقطع إلى الله عزّ وجلّ في الابن الثاني وسلّمه واعتمد في حفظه عليه وقال: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًاۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ أقعده على سرير المملكة، وردّ يوسف إليه وخرج القوم من المحنة، واستقامت أسبابهم.

وسمعته يقول في قول يعقوب: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ إنّه عرض في التأسّف بيوسف، وقد رأى في مفارقته فراقاً آخر، وفي قطيعته قطيعة أخرى، فتلهّب عليها وتأسّف من أجلها، كقول الصادق عليه السلام في معنى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾: إنّ هذا فراق الأحبّة في دار الدنيا ليستدلّوا به على فراق المولى، فلذلك يعقوب تأسّف على يوسف من خوف فراق غيره، فذكر يوسف لذلك[1].

٥٠ - ع: المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن أحمد ابن محمّد، عن ابن معروف، عن عليّ بن مهزيار، عن محمّد بن إسماعيل، عن حنان بن سدير، عن أبيه قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب حين قال لولده: ﴿فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ أكان علم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة وذهبت عيناه من الحزن؟ قال: نعم علم أنّه حيّ، قلت: وكيف علم؟ قال: إنّه دعا في السحر أن يهبط عليه ملك الموت فهبط عليه تريال فهو ملك الموت فقال له تريال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال: أخبرني عن الأرواح تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ فقال: بل متفرّقة وروحاً روحاً، قال: فمرّ بك روح يوسف؟ قال: لا[2]، قال: فعند ذلك علم أنّه حي، فقال لولده: ﴿ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[3].

شي: عن سدير مثله. «ج ٢ ص ٢٠١ ح ٦٤ من سورة يوسف».

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٦١ باب ٤١ ح ١.

(٢) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة باسناده إلى سدير الصيرفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن يعقوب دعا الله سبحانه أن يهبط عليه ملك الموت عليه السلام فاجابه فقال: ما حاجتك؟ قال: أخبرني هل مر بك روح يوسف في الأرواح؟ فقال: لا، فعلم انه حي فقال: يا بنيّ اذهبوا فتحسوا من يوسف. «منه طاب ثراه». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٤٥].

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٦٩ باب ٤٤ ح ١.

بيان: لعلّ السؤال لأنّه لو كان يقبضها مجتمعة بعد زمان لا يعلم من عدم قبضه عدم موته عليه السلام إذ يمكن حينئذٍ أن يكون قد قبضته الملائكة القابضون ولم يصل إليه بعد.

٥١ - **ع:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن إبراهيم بن عليّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن يونس، عن البطائنيّ، عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا خير فيمن لا تقيّة له، ولقد قال يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ وما سرقوا[(١)].

٥٢ - **ع:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن ابن عيسى، عن الأهوازيّ، عن عثمان بن عيسى، عن سماعة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: التقيّة دين الله عزّ وجلّ، قلت: من دين الله؟ قال: فقال: إي والله من دين الله، لقد قال يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ والله ما كانوا سرقوا شيئاً[(٢)].

شي: عن أبي بصير مثله. «ج ٢ ص ١٩٥ ح ٤٨ من سورة يوسف».

٥٣ - **ع:** بالإسناد إلى العيّاشيّ، عن محمّد بن أحمد، عن النهاونديّ، عن صالح بن سعيد، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألت عن قول الله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ قال: إنّهم سرقوا يوسف من أبيه، ألا ترى أنّه قال لهم حين قالوا: ﴿مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ ولم يقولوا: سرقتم صواع الملك، إنّما عنى أنكم سرقتم يوسف من أبيه[(٣)].

مع: أبي، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن إبراهيم بن هاشم، عن صالح بن سعيد مثله[(٤)].

شي: عن رجل من أصحابنا مثله. «ج ٢ ص ١٩٦ ح ٥٠ من سورة يوسف».

٥٤ - **ع:** أبي، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ قال: ما سرقوا وما كذب[(٥)].

٥٥ - **ع:** بالإسناد عن ابن أبي عمير، عن أخي مرازم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ قال: وجد يعقوب ريح قميص إبراهيم حين فصلت العير من مصر وهو بفلسطين[(٦)].

شي: عن أخي مرازم مثله. «ج ٢ ص ٢٠٥ ح ٧٠ من سورة يوسف».

بيان: فلسطين بكسر الفاء وقد تفتح كورة بالشام.

٥٦ - **ع:** المظفّر العلويّ، عن ابن العيّاشيّ، عن أبيه، عن محمّد بن نصير، عن ابن عيسى،

---

(١) - (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٦٨ باب ٤٣ ح ١ و٢ و٤. (٤) معاني الأخبار ص ٢١٠

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٦٨ باب ٤٣ ح ٣.

(٦) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٠ باب ٤٥ ح ٣.

عن ابن معروف، عن ابن مهزيار، عن الحسن بن سعيد، عن ابن أبي البلاد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان القميص الّذي نزل به على إبراهيم من الجنّة في قصبة من فضّة، وكان إذا لبس كان واسعاً كبيراً، فلمّا فصلوا ويعقوب بالرملة ويوسف بمصر قال يعقوب: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ عنى ريح الجنّة حين فصلوا بالقميص لأنّه كان من الجنّة[1].

شي: عن ابن أبي البلاد مثله. «ج ٢ ص ٢٠٥ ح ٧٢ من سورة يوسف».

٥٧ - **ع:** الطالقانيّ، عن أحمد الهمدانيّ، عن المنذر بن محمّد، عن إسماعيل بن إبراهيم الخزّاز، عن إسماعيل بن الفضل الهاشميّ قال: قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام لمّا قال له بنوه: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ فأخّر الاستغفار لهم، ويوسف عليه السلام لمّا قالوا له: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ قال: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ قال: لأنّ قلب الشابّ أرقّ من قلب الشيخ، وكانت جناية ولد يعقوب على يوسف، وجنايتهم على يعقوب إنّما كانت بجنايتهم على يوسف، فبادر يوسف إلى العفو عن حقّه، وأخّر يعقوب العفو، لأنّ عفوه إنّما كان عن حقّ غيره، فأخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة.

وأمّا العلّة الّتي كانت من أجلها عرف يوسف إخوته ولم يعرفوه لمّا دخلوا عليه فإنّي سمعت محمّد بن عبد الله بن محمّد بن طيفور يقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾: إنّ ذلك لتركهم حرمة يوسف، وقد يمتحن الله المرء بتركه الحرمة، ألا ترى يعقوب عليه السلام حين ترك حرمة يوسف غيّبوه عن عينه، فامتحن من حيث ترك الحرمة بغيبته عن عينه لا عن قلبه عشرين سنة، وترك إخوة يوسف حرمته في قلوبهم حيث عادوه وأرادوا القطيعة للحسد الّذي في قلوبهم فامتحنوا في قلوبكم كأنّهم يرونه ولا يعرفونه، ولم يكن لأخيه من أمّه حسد مثل ما كان لإخوته، فلمّا دخل قال: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ على يقين عرفه فسلم من المحن فيه حين لم يترك حرمته وهكذا العباد[2].

٥٨ - **ع:** أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن ابن يزيد، عن غير واحد رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا تلقّى يوسف يعقوب ترجّل له يعقوب ولم يترجّل له يوسف، فلم ينفصلا من العناق حتّى أتاه جبرئيل فقال له: يا يوسف ترجّل لك الصدّيق ولم تترجّل له؟! ابسط يدك، فبسطها فخرج نور من راحته، فقال له يوسف: ما هذا؟ قال: لا يخرج من عقبك نبيّ عقوبة[3].

بيان: العناق: المعانقة.

٥٩ - **ع:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن ابن أبي عمير،

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٦٩ باب ٤٥ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٧١ باب ٤٦ ح ١.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٢ باب ٤٧ ح ١.

عن هشام بن سالم[١]، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أقبل يعقوب عليه السلام إلى مصر خرج يوسف عليه السلام ليستقبله، فلمّا رآه يوسف همّ بأن يترجّل ليعقوب ثمّ نظر إلى ما هو فيه من الملك فلم يفعل، فلمّا سلّم على يعقوب نزل عليه جبرئيل عليه السلام فقال له: يا يوسف إنّ الله تبارك وتعالى يقول لك: ما منعك أن تنزل إلى عبدي الصالح؟ ما أنت فيه؟ ابسط يدك، فبسطها فخرج من بين أصابعه نور، فقال: ما هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا إنّه لا يخرج من صلبك نبيّ أبداً عقوبةً لك بما صنعت بيعقوب إذ لم تنزل إليه[٢].

بيان: (ما أنت) استفهام، أي أمنعك ما أنت فيه من الملك؟ ثمّ إنّه عليه السلام لعلّه راعى بعض مصالح الملك في ترك الترجّل، وكان الأولى والأفضل ترك تلك المصلحة وتقديم تكريم الوالد عليه، لا أنّه ترك واجباً أو فعل محرّماً لما قد ثبت من عصمتهم عليهم السلام.

٦٠ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن هاشم، عن ابن المغيرة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذنت زليخا على يوسف فقيل لها: يا زليخا إنّا نكره أن نقدم بك عليه لما كان منك إليه؛ قالت: إنّي لا أخاف من يخاف الله، فلمّا دخلت قال لها: يا زليخا ما لي أراك قد تغيّر لونك؟ قالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بمعصيتهم عبيداً، وجعل العبيد بطاعتهم ملوكاً، قال لها: يا زليخا ما الّذي دعاك إلى ما كان منك؟ قالت: حسن وجهك يا يوسف، فقال: كيف لو رأيت نبيّاً يقال له محمّد يكون في آخر الزمان أحسن منّي وجهاً، وأحسن منّي خلقاً، وأسمح منّي كفّاً؟ قالت: صدقت، قال: وكيف علمت أنّي صدقت؟ قالت: لأنّك حين ذكرته وقع حبّه في قلبي، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى يوسف: إنّها قد صدقت، وإنّي قد أحببتها لحبّها محمّداً صلى الله عليه وآله، فأمره الله تبارك وتعالى أن يتزوّجها[٣].

ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المغيرة، عن جدّه، عن جدّه، عمّن ذكره، عنه عليه السلام مثله[٤].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله قيل: إنّ الملك الأكبر فوّض إلى يوسف أمر مصر ودخل بيته وعزل قطفير وجعل يوسف مكانه؛ وقيل: إنّ قطفير هلك في تلك اللّيالي فزوّج الملك يوسف راعيل امرأة قطفير العزيز فدخل بها يوسف فوجدها عذراء، ولمّا دخل عليها قال: أليس هذا خيراً ممّا كنت تريدين؟ وولدت له إفرائيم وميشا، واستوثق ليوسف ملك مصر؛ وقيل: إنّه لم يتزوّجها يوسف، وإنّه لمّا رأته في موكبه بكت وقالت: الحمد لله الّذي جعل الملوك بالمعصية عبيداً، والعبيد بالطاعة ملوكاً، فضمّها إليه وكانت من عياله حتّى ماتت ولم يتزوّجها. انتهى[٥].

---

(١) روى الطبرسي من كتاب النبوة باسناده عن ابن ابي عمير مثله (منه رحمه الله).

(٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٢ باب ٤٧ ح ٢. (٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٣ باب ٤٨ ح ١.

(٤) قصص الأنبياء ص ١٣٦. (٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤١٨.

أقول: يدلّ هذا الخبر وغيره ممّا أوردناه في هذا الباب على أنّه كان قد تزوّجها.

٦١ - **ك، ع:** أبي، عن الحميريّ، عن أحمد بن هلال، عن ابن أبي نجران، عن فضالة، عن سدير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ في القائم سنّة من يوسف، قلت كأنّك تذكر حيرةً أو غيبةً؟ قال لي: وما تنكر من هذا هذه الأمّة أشباه الخنازير، إنّ إخوة يوسف كانوا أسباطاً أولاد أنبياء، تاجروا يوسف وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته وهو أخوهم فلم يعرفوه حتّى قال لهم يوسف: أنا يوسف، فما تنكر هذه الأمّة الملعونة أن يكون الله عزّ وجلّ في وقت من الأوقات يريد أن يستر حجّته؟ لقد كان يوسف إليه ملك مصر وكان بينه وبين والده مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد الله عزّ وجلّ أن يعرف مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه حتّى يأذن الله عزّ وجلّ له أن يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حين قال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾[1].

٦٢ - **ع:** أحمد بن محمّد، عن أبيه، عن محمّد بن أحمد، عن سهل بن زياد، عن محمّد ابن أحمد عن الحسن بن عليّ، عن يونس، عن الحسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ بني يعقوب لمّا سألوا أباهم يعقوب أن يأذن ليوسف في الخروج معهم قال لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: قرّب يعقوب لهم العلّة اعتلّوا بها في يوسف عليه السلام[2].

٦٣ - **ع:** ابن الوليد، عن سعد، عن ابن أبي الخطّاب، عن التفليسيّ، عن السمنديّ عن أبي عبد الله عليه السلام في قول يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ قال حفيظ بما تحت يدي عليم بكلّ لسان[3].

ير: ابن أبي الخطّاب مثله. «ج ٥ باب ٤ ح ٣».

٦٤ - **ع، ن:** سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن أكرم الناس نسباً، فقال: صدّيق الله يوسف بن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله[4].

٦٥ - **مع:** معنى يعقوب أنّه كان وعيص توأمين فولد عيص ثمّ ولد يعقوب يعقب أخاه عيص، ومعنى إسرائيل عبد الله لأنّ إسرا هو عبد، وإيل هو الله عزّ وجلّ. وروى في خبر آخر.

---

(١) كمال الدين، ص ٣٢١ وعلل الشرائع، ج ١ ص ٢٨٥ باب ١٧٩ ح ٣.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٦ باب ٣٨٥ ح ٥٦.

(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ١٥٢ باب ١٠٥ ح ٤.

(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٢ باب ٢٤ ح ١.

إنّ إسرا هو القوّة، وإيل هو الله، فمعنى إسرائيل قوّة الله، ومعنى يوسف مأخوذ من آسف يؤسف، أي أغضب يغضب إخوته، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ والمراد بتسمية يوسف أنّه يغضب إخوته ما يظهر من فضله عليهم[1].

٦٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عن يعقوب بن سالم، عن الميثميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن يعقوب عليه السلام كان له منادٍ ينادي كلّ غداة من منزله إلى فرسخ: ألا من أراد الغداء فليأت إلى منزل يعقوب عليه السلام، وإذا أمسى ينادي: ألا من أراد العشاء فليأت إلى منزل يعقوب عليه السلام[2].

٦٧ - **مع:** أبي، عن أحمد بن إدريس، عن ابن عيسى، عن عليّ بن مهزيار، عن البزنطيّ، عن يحيى بن عمران، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ قال: ولد الولد نافلة[3].

٦٨ - **مع:** أبي، عن محمّد بن العطّار، عن الأشعريّ، عن أحمد بن هلال، عن محمّد بن سنان، عن محمّد بن عبد الله بن رباط، عن محمّد بن النعمان الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ قال: أشدّه ثمانية عشر سنة، واستوى: التحى[4].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿أَشُدَّهُۥٓ﴾ أي منتهى شبابه وقوّته وكمال عقله؛ وقيل: الأشدّ من ثماني عشر إلى ثلاثين سنة، عن ابن عبّاس؛ وقيل: إنّ أقصى الأشدّ أربعون سنة؛ وقيل: ستّون سنة، وهو قول الأكثرين ويؤيّده الحديث: «من عمّره الله ستّين سنة فقد أعذر إليه» وقيل: إنّ ابتداء الأشدّ من ثلاث وثلاثين، عن مجاهد وكثير من المفسّرين؛ وقيل: من عشرين سنة عن الضحّاك. انتهى[5].

أقول: هذه الآية وردت في قصّة موسى عليه السلام، وإنّما أوردنا تفسيرها هنا لاشتراك لفظ الأشدّ.

٦٩ - **ك:** ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن أحمد بن محسن، عن الحسن الواسطيّ، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قدم أعرابيّ على يوسف ليشتري منه طعاماً فباعه، فلمّا فرغ قال له يوسف: أين منزلك؟ قال له: بموضع كذا وكذا، قال: فقال له: إذا مررت بوادي كذا وكذا فقف فناد: يا يعقوب يا يعقوب، فإنّه سيخرج إليك رجلٌ عظيمٌ جميلٌ وسيمٌ، فقل له: لقيت رجلاً بمصر وهو يقرؤك السلام ويقول لك: إنّ وديعتك عند الله عزّ وجلّ لن تضيع، قال: فمضى الأعرابيّ حتّى انتهى إلى الموضع

---

(١) معاني الأخبار، ص ٤٩.
(٢) الكافي، ج ٦ ص ١٠٤٩ باب ٢١٣ ح ١.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٢٦.
(٤) معاني الأخبار، ص ٣٣٩.
(٥) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٨١.

فقال لغلمانه: احفظوا عليّ الإبل، ثمّ نادى: يا يعقوب يا يعقوب، فخرج إليه رجل أعمى طويلٌ جسيمٌ جميلٌ يتقي الحائط بيده حتّى أقبل، فقال له الرجل: أنت يعقوب؟ قال: نعم، فأبلغه ما قال له يوسف، فسقط مغشيّاً عليه ثمّ أفاق، وقال للأعرابيّ: يا أعرابيّ ألك حاجة إلى الله تعالى؟ فقال له: نعم إنّي رجل كثير المال ولي ابنة عمّ لم يولد لي منها، وأحبّ أن تدعو الله أن يرزقني ولداً، فتوضّأ يعقوب وصلّى ركعتين ثمّ دعا الله عزّ وجلّ فرزق أربعة بطون - أو قال: ستّة بطون - في كلّ بطن اثنان، فكان يعقوب عليه السلام يعلم أنّ يوسف حيّ لم يمت، وأنّ الله تعالى ذكره سيظهره له بعد غيبة، وكان يقول لبنيه: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وكان بنوه يفنّدونه على ذكره ليوسف حتّى أنّه لمّا وجد ريح يوسف قال: ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ﴾ وهو يهودا ابنه ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾ فلمّا أن جاء البشير فألقى قميص يوسف على وجهه فارتدّ بصيراً ﴿قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1].

بيان: الوسامة: أثر الحسن، ويظهر من هذا الخبر أنّ يهودا لم يذهب مع إخوته في المرّة الأخيرة، وهو خلاف المشهور كما عرفت، وذكر المفسّرون أنّ قائل هذا القول كان أولاد أولاده.

٧٠ - **ك:** والدليل على أنّ يعقوب عليه السلام علم بحياة يوسف وأنّه إنّما غيّب عنه لبلوى واختبار أنّه لمّا رجع إليه بنوه يبكون قال لهم: يا بنيّ ما لكم تبكون وتدعون بالويل؟ وما لي لا أرى فيكم حبيبي يوسف؟ قالوا: ﴿يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ وهذا قميصه قد أتيناك به، قال: ألقوه إليّ، فألقوه إليه، وألقاه على وجهه وخرّ مغشيّاً عليه، فلمّا أفاق قال لهم: يا بنيّ ألستم تزعمون أنّ الذئب أكل حبيبي يوسف؟ قالوا: نعم، قال: ما لي لا أشمّ ريح لحمه؟ وما لي أرى قميصه صحيحاً؟ هبوا أنّ القميص انكشف من أسفله، أرأيتم ما كان في منكبيه وعنقه كيف يخلص إليه الذئب من غير أن يخرقه؟ إنّ هذا الذئب لمكذوب عليه، وإنّ ابني لمظلوم ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ وتولّى عنهم ليلتهم تلك، وأقبل يرثي يوسف ويقول: حبيبي يوسف الّذي كنت أوثره على جميع أولادي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أرجوه من بين أولادي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أوسّده يميني وأدثره بشمالي فاختلس منّي، حبيبي يوسف الّذي كنت أؤنس به وحشتي وأصل به وحدتي فاختلس منّي، حبيبي يوسف ليت شعري في أيّ الجبال طرحوك، أم في أيّ البحار غرقوك؟ حبيبي يوسف ليتني كنت معك فيصيبني الّذي أصابك.

ومن الدليل على أنّ يعقوب عليه السلام علم بحياة يوسف عليه السلام وأنّه في الغيبة قوله: ﴿عَسَى

(١) كمال الدين، ص ١٤٢.

اللَّهِ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ وقوله لبنيه: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[1].

٧١ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عليّ بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا فقد يعقوب يوسف عليه السلام اشتدّ حزنه، وتغيّر حاله، وكان يمتار القمح من مصر لعياله في السنة مرّتين: في الشتاء والصيف، فإنّه بعث عدّة من ولده ببضاعة يسيرة مع رفقة خرجت، فلمّا دخلوا على يوسف عليه السلام عرفهم ولم يعرفوه، فقال: هلمّوا بضاعتكم حتّى أبدأ بكم قبل الرفاق، وقال لفتيانه: عجّلوا لهؤلاء بالكيل، واقروهم واجعلوا بضاعتهم في رحالهم إذا فرغتم، وقال يوسف لهم: كان أخوان من أبيكم فما فعلا؟ قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، وأمّا الأصغر فخلّفناه عند أبيه وهو به ضنين، وعليه شفيق، قال: إنّي أحبّ أن تأتوني به معكم إذا جئتم لتمتاروا، ولمّا فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم فيها: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

فلمّا احتاجوا إلى الميرة بعد ستّة أشهر بعثهم وبعث معهم ابن يامين ببضاعة يسيرة، فأخذ عليهم موثقاً من الله لتأتنّني به، فانطلقوا مع الرفاق حتّى دخلوا على يوسف فهيّأ لهم طعاماً، وقال: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة، فجلسوا وبقي ابن يامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لم تجلس؟ فقال: ليس لي فيهم ابن أمّ، فقال يوسف: فما لك ابن أمّ؟ قال: بلى زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابناً لكلّهم اشتقّ اسماً من اسمه، قال: أراك قد عانقت النساء فشممت الولد من بعده، فقال: إنّ لي أباً صالحاً قال لي: تزوّج لعلّ الله أن يخرج منك ذرّيّة يثقل الأرض بالتسبيح، قال يوسف تعال فاجلس معي على مائدتي، فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته، وقال يوسف لابن يامين ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ بما تراني أفعل، واكتم ما أخبرتك ولا تحزن ولا تخف، ثمّ أخرجه إليهم وأمر فتيته أن يأخذوا بضاعتهم ويعجّلوا لهم الكيل، وإذا فرغوا فاجعلوا المكيال في رحل أخيه ابن يامين، ففعلوا ذلك وارتحل القوم مع الرفقة فمضوا ولحقهم فتية يوسف فنادوا: أيّتها العير إنّكم لسارقون، قالوا: ماذا تفقدون؟ قالوا: نفقد صواع الملك، قالوا: ما كنّا سارقين قالوا: فما جزاؤه إن كنتم كاذبين؟ قالوا: جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثمّ استخرجها من وعاء أخيه، قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل، ثمّ قالوا: يا أيّها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه، قال: معاذ الله أن نأخذ إلاّ من وجدنا متاعنا عنده، قال كبيرهم: إنّي لست أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي.

---

(١) كمال الدين، ص ١٤٤.

فمضى إخوة يوسف حتّى دخلوا على يعقوب صلوات الله عليهما فقال لهم: أين ابن يامين؟ فقالوا: سرق مكيال الملك فحبسه عنده، فاسأل أهل القرية والعير حتّى يخبروك بذلك، فاسترجع يعقوب واستعبر حتّى تقوّس ظهره، فقال يعقوب: يا بنيّ اذهبوا فتحسّسوا من يوسف وأخيه فخرج منهم نفرٌ وبعث معهم ببضاعة وكتب معم كتاباً إلى عزيز مصر يعطفه على نفسه وولده، فدخلوا على يوسف بكتاب أبيهم فأخذه وقبّله وبكى، ثمّ أقبل عليهم فقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه قالوا: ءأنت يوسف؟ قال أنا يوسف وهذا أخي وقال يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم اذهبوا بقميصي هذا بلّته دموعي فألقوه على وجه أبي وأتوني بأهلكم أجمعين فأقبل ولد يعقوب يحثّون السير بالقميص: فلمّا دخلوا عليه قال لهم: ما فعل ابن يامين؟ قالوا: خلّفناه عند أخيه صالحاً، فحمد الله عند ذلك يعقوب وسجد لربّه سجدة الشكر واعتدل ظهره، وقال لولده: تحمّلوا إلى يوسف من يومكم، فساروا في تسعة أيّام إلى مصر، فلمّا دخلوا اعتنق يوسف أباه، ورفع خالته، ثمّ دخل منزله وادهن ولبس ثياب الملك، فلمّا رأوه سجدوا شكراً لله، وما تطيّب يوسف في تلك المدّة ولا مسّ النساء[١] حتّى جمع الله ليعقوب شمله[٢].

بيان: اختلفت الأخبار في عدد أولاد بنيامين ويشكل الجمع بينها، قال الثعلبيّ في كتاب عرائس المجالس: لمّا خلا يوسف بأخيه قال له: ما اسمك؟ قال: ابن يامين قال: وما ابن يامين؟ قال: ابن المثكل - وذلك أنّه لمّا ولد هلكت أمّه - قال: وما اسم أمك؟ قال: راحيل بنت ليّان بن ناحور، قال: فهل لك من ولد؟ قال: نعم عشرة بنين، قال: فما أسماؤهم؟ قال: لقد اشتققت أسماءهم من اسم أخ لي من أمّي هلك، فقال يوسف: لقد اضطرّك إلى ذلك حزن شديد فما سميتهم؟ قال: بالعا وأخيرا وأشكل وأحيا وخير ونعمان وأدر وأرس وحييم وميتم. قال: فما هذه؟ قال أمّا بالعا فإنّ أخي ابتلعته الأرض؛ وأمّا أخيرا فإنّه كان بكر ولد أمّي؛ وأمّا أشكل فإنّه كان أخي لأبي وأمّي وسنّي، وأمّا خير فإنّه خير حيث كان؛ وأمّا نعمان فإنّه ناعم بين أبويه؛ وأمّا أدر فإنّه كان بمنزلة الورد في الحسن؛ وأمّا أرس فإنّه كان بمنزلة الرأس من الجسد؛ وأمّا حييم فأعلمني أبي أنّه حي؛ وأمّا ميتم فلو رأيته لقرّت عيني وتمّ سروري؛ فقال يوسف: أحبّ أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ فقال ابن يامين. أيّها الملك ومن يجد أخاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، فبكى يوسف عليه السلام وقام إليه وعانقه وقال: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ ولا تعلمهم بشيء من هذا. قال كعب: لمّا قال له: ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ﴾ قال ابن يامين: فأنا لا أفارقك، قال يوسف: قد علمت اغتمام الوالد بي فإذا

---

(١) لعل المراد من عدم مس النساء على وجه اللذة فلا ينافي مسهن لاتباع السنة وحصول الولد كما مر أنه قد حصل له أولاد (منه طاب ثراه).

(٢) قصص الأنبياء، ص ١٢٩.

حبستك ازداد غمّه ولا يمكنني حبسك إلاّ بعد أن أشهرك بأمر فظيع، قال: لا أبالي فافعل ما بدا لك فإنّي لا أفارقك قال: فإنّي أدسّ صاعي هذا في رحلك، ثمّ أنادي عليك بالسرقة ليتهيّأ لي ردّك بعد تسريحك، قال: فافعل انتهى[١].

ثمّ اعلم أنّ هذا الخبر يدلّ على أنّ المراد بأبويه في الآية أبوه وخالته تجوّزاً كما ذهب إليه الأكثر. قال الطبرسيّ رحمه الله: قال أكثر المفسّرين: إنّه يعني بأبويه أباه وخالته، فسمّى الخالة أمّاً كما سمّى العمّ أباً في قوله: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ وذلك أنّ أمّه كانت قد ماتت في نفاسها بابن يامين فتزوّجها أبوه؛ وقيل: يريد أباه وأمّه وكانا حيّين، عن ابن إسحاق والجبّائيّ؛ وقيل: إنّ راحيل أمّه نشرت من قبرها حتّى سجدت له تحقيقاً للرؤيا، عن الحسن[٢].

٧٢ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى ابن محبوب، عن أبي إسماعيل الفرّاء، عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الملك بحبس يوسف عليه السلام في السجن ألهمه الله تأويل الرؤيا فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم[٣].

٧٣ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى البزنطيّ، عن أبي جميلة، عن عبد الله ابن سليمان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان يوسف عليه السلام بين أبويه مكرماً، ثمّ صار عبداً فصار ملكاً[٤].

٧٤ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، بإسناده عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الوشّاء، عن حمّاد بن عثمان، عن جميل، عن سليمان بن عبد الله الطّلحي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حال بني يعقوب؟ هل خرجوا من الإيمان؟ فقال: نعم، قلت: فما تقول في آدم عليه السلام؟ قال: دع آدم[٥].

شي: عن الطلحيّ مثله. «ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧٥ من سورة يوسف».

٧٥ - ص: بهذا الإسناد عن ابن عيسى، عن ابن بزيع، عن حنّان بن سدير قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أكان أولاد يعقوب أنبياء؟ قال: لا ولكنّهم كانوا أسباطاً أولاد أنبياء ولم يفارقوا إلا سعداء تابوا وتذكّروا ممّا صنعوا[٦].

شي: عن حنان، عن أبيه مثله[٧].

٧٦ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن الصفّار، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى، قال: ولمّا كان يوسف عليه السلام في السجن دخل عليه

---

(١) عرائس المجالس للثعلبي، ص ١١٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٧.
(٣) - (٦) قصص الأنبياء، ص ١٢٩.
(٧) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٠٧ ح ٨٣.

جبرئيل فقال: إنّ الله ابتلاك وابتلى أباك، وإنّ الله ينجّيك من هذا السجن فاسأل الله بحق محمّد وأهل بيته أن يخلّصك ممّا أنت فيه، فقال يوسف: «اللهم إنّي أسألك بحق محمّد وأهل بيته إلا عجّلت فرجي وأرحتني ممّا أنا فيه» قال جبرئيل عليه السلام: فأبشر أيّها الصدّيق فإنّ الله تعالى أرسلني إليك بالبشارة بأنّه يخرجك من السجن إلى ثلاثة أيّام، ويملّكك مصر وأهلها، يخدمك أشرافها، ويجمع إليك إخوتك وأباك، فأبشر أيّها الصدّيق إنّك صفيّ الله وابن صفيّه، فلم يلبث يوسف عليه السلام إلا تلك اللّيلة حتّى رأى الملك رؤيا أفزعته فقصّها على أعوانه فلم يدروا ما تأويلها، فذكر الغلام الّذي نجا من السجن يوسف فقال له: أيّها الملك أرسلني إلى السجن فإنّ فيه رجلاً لم ير مثله حلماً وعلماً وتفسيراً، وقد كنت أنا وفلان غضبت علينا وأمرت بحبسنا رأينا رؤياً فعبّرها لنا وكان كما قال، ففلان صلب، وأمّا أنا فنجوت.
فقال له الملك: انطلق إليه، فدخل وقال: يوسف! أفتنا في سبع بقرات، فلمّا بلغ رسالة يوسف الملك قال: ﴿ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ فلما بلغ يوسف رسالة الملك قال: كيف أرجو كرامته وقد عرف براءتي وحبسني سنين؟! فلمّا سمع الملك أرسل إلى النسوة فقال: ماخطبكنّ؟ فقلن: حاش لله ما علمنا عليه من سوء، فأرسل إليه وأخرجه من السجن، فلمّا كلّمه أعجبه كماله وعقله، فقال له: اقصص رؤياي فإنّي أريد أن أسمعها منك، فذكره يوسف كما رأى وفسّره، قال الملك: صدقت، فمن لي بجمع ذلك وحفظه؟ فقال يوسف: إنّ الله تعالى أوحى إليّ أنّي مدبّره والقيّم به في تلك السنين، فقال له الملك: صدقت دونك خاتمي وسريري وتاجي، فأقبل يوسف على جمع الطعام في السنين السبع الخصيبة يكبسه في الخزائن في سنبله، ثمّ أقبلت السنون الجدبة فأقبل يوسف عليه السلام على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتّى لم يبق بمصر وما حولها دينارٌ ولا درهمٌ إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وباعهم في السنة الثانية بالحليّ والجواهر حتّى لم يبق بمصر وما حولها حليٌّ ولا جواهرٌ إلا صار في مملكته، وباعهم في السنة الثالثة بالدوابّ والمواشي حتّى لم يبق بمصر وما حولها دابّة ولا ماشية إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا أمةٌ إلا صارت في مملكة يوسف، وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتّى لم يبق بمصر وما حولها دارٌ ولا عقار إلا صار في مملكة يوسف، وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والأنهار حتّى لم يبق بمصر وماحولها نهر ولا مزرعة إلا صار في مملكة يوسف عليه السلام وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتّى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حرٌّ إلا صار في مملكة يوسف وصاروا عبيداً له، فقال يوسف للملك: ما ترى فيما خوّلني ربّي؟ قال: الرأي رأيك. قال: إنّي أشهد الله وأشهدك أيّها الملك أنّي أعتقت أهل مصر كلّهم، ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم، ورددت عليك خاتمك وسريرك وتاجك على أن لا تسير إلا بسيرتي، ولا تحكم إلا بحكمي، فالله أنجاهم عليّ،

فقال الملك: إنّ ذلك لديني وفخري، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّك رسوله(١)؛ وكان من إخوة يوسف وأبيه عليه السلام ما ذكرته(٢).

تتميم: قال في العرائس: فلمّا تبيّن للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وعلمه وعقله قال: ائتوني به استخلصه لنفسي، فلمّا جاءه الرسول قال له: أجب الملك الآن، فخرج يوسف ودعا لأهل السجن بدعاء يعرف إلى اليوم وذلك أنّه قال: «اللهمّ اعطف عليهم بقلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار» فهم أعلم النّاس بالأخبار إلى اليوم في كلّ بلدة، فلمّا خرج من السجن كتب على بابه: «هذا قبور الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء» ثمّ اغتسل عليه السلام وتنظّف من درن السجن، ولبس ثياباً جدداً حساناً وقصد الملك، قال وهب: فلمّا وقف بباب الملك قال عليه السلام: «حسبي ربّي من دنياي، وحسبي ربّي من

---

(١) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة بالاسناد عن ابن عيسى عن الوشاء عن الرضا عليه السلام قال: وأقبل يوسف على جمع الطعام فجمع في السنين السبع المخصبة فكبسه في الخزائن فلما انقضت تلك السنون وأقبلت السنون المجدبة أقبل يوسف على بيع الطعام فباعهم في السنة الأولى بالدراهم والدنانير حتى لم يبق بمصر وحولها دينار ولا درهم، إلّا صار في مملكة يوسف. ثم باعهم في السنة الثانية بالحلي والجواهر حتى لم يبق بمصر وما حولها حلي ولا جواهر إلا صارت في مملكته وباعهم في السنة الثالثة بالدواب والمواشي، حتى لم يبق بمصر وحولها دابة ولا ماشية إلّا صارت في مملكته، وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق بمصر عبد ولا أمة إلا صارت في مملكته. وباعهم في السنة الخامسة بالدور والعقار حتى لم يبقى بمصر وما حولها دار ولا عقار إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السادسة بالمزارع والانهار حتى لم يبق بمصر وما حولها نهر أو مزرعة إلا صار في مملكته وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر وما حولها عبد ولا حر إلا صاروا عبيداً ليوسف فملك أحرارهم وعبيدهم وأموالهم وقال الناس: ما رأينا ولا سمعنا بملك أعطاه الله من الملك ما أعطى هذا الملك حكماً وعلماً وتدبيراً، ثم قال يوسف للملك: أيها الملك ما ترى فيما خولني ربي من ملك مصر وأهلها. أشر علينا برأيك فإني لم أصلحهم لأفسدهم ولم انجهم من البلاء ليكون بلاء عليهم ولكن الله سبحانه انجاهم على يدي. قال الملك: الرأي رأيك قال: إني اشهد الله واشهدك أيها الملك اني قد اعتقت أهل مصر كلهم ورددت عليهم أموالهم وعبيدهم ورددت عليك أيها الملك خاتمك وسريرك وتاجك، على ان لا تسير إلا بسيرتي ولا تحكم إلا بحكمي، قال الملك: إن ذلك لزيني وفخري أن لا أسير إلا بسيرتك ولا أحكم إلا بحكمك، ولولاك ما قويت عليه ولا اهتديت إليه، وقد جعلت سلطاني عزيزاً ما يرام وأنا اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنك رسوله فاقم على ما وليتك فانك لدينا مكين أمين. [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٢٠].

أقول: وإنما أوردت هذا الخبر لما بينه وبين ما رواه الراوندي من الاختلاف في السند والمتن ثم قال الطبرسي وقيل: أن يوسف عليه السلام كان لا يمتلىء شبعاً من الطعام في تلك الأيام المجدبة فقيل له: تجوع وبيدك خزائن الأرض فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجياع. (منه رحمه الله).

(٢) قصص الأنبياء، ص ١٣٢.

خلقه، عزّ جاره وجلّ ثناؤه ولا إله غيره» فلمّا دخل على الملك قال: «اللّهمّ إنّي أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شرّه وشرّ غيره» فلمّا أن نظر إليه الملك سلّم عليه يوسف بالعربيّة، فقال له الملك: ما هذا اللّسان؟ قال: لسان عمّي إسماعيل عليه السلام، ثمّ دعا بالعبرانيّة فقال له الملك: ما هذا اللّسان؟ قال: لسان آبائي. قال وهب: وكان الملك يتكلّم بسبعين لساناً، فكلّما كلّم الملك يوسف بلسان أجابه يوسف بذلك اللّسان، فأعجب الملك بما رأى منه، وكان يوسف يومئذ ابن ثلاثين سنة، فلمّا رأى الملك حداثة سنّه وغزارة علمه قال لمن عنده: إنّ هذا علم تأويل رؤياي ولم يعلمه السحرة والكهنة، ثمّ أجلسه وقال له: إنّي أحبّ أن أسمع رؤياي منك شفاهاً، فقال يوسف: نعم أيّها الملك، رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غرّ كشف لك عنهنّ النيل فطلعن عليك من شاطئه، تشخب أخلافهنّ لبناً فبينا أنت تنظر إليهنّ، ويعجبك حسنهنّ إذا نضب النيل وغار ماؤه وبدا قعره فخرج من حمأته ووحله سبع بقرات عجاف، شعث غبر، مقلّصات البطون، ليس لهنّ ضروع وأخلاف، ولهنّ أنياب وأضراس، وأكفّ كأكفّ الكلاب، وخراطيم كخراطيم السباع، فاختلطن بالسمان فافترسنهنّ افتراس السبع، وأكلن لحومهنّ ومزّقن جلودهنّ وحطمن عظامهنّ وتمشّشن مخّهنّ، فبينا أنت تنظر وتتعجّب إذا سبع سنابل خضر وسبع سنابل أخر سود في منبت واحد عروقهنّ في الثرى والماء، فبينا أنت تقول: أنّى هذا، وهؤلاء خضر مثمرات، وهؤلاء سود يابسات، والمنبت واحد، وأصولهنّ في الماء؟! إذ هبّت ريح فذرّت الأزقان من السود اليابسات على الخضر المثمرات، فأشعلت فيهنّ النّار فأحرقتهنّ فصرن سوداً متغيّرات، فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا[١].

٧٧ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق عن ابن المتوكّل، عن الحميريّ، عن أحمد بن محمّد عن ابن محبوب، عن علاء عن محمّد قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أخبرني عن يعقوب عليه السلام كم عاش مع يوسف بمصر بعدما جمع الله ليعقوب شمله، وأراه تأويل رؤيا يوسف الصادقة، قال: عاش حولين، قلت: فمن كان الحجّة في الأرض يعقوب أم يوسف؟ قال: كان يعقوب الحجّة، وكان الملك ليوسف، فلمّا مات يعقوب عليه السلام حمله يوسف في تابوت إلى أرض الشام فدفنه في بيت المقدس، فكان يوسف بعد يعقوب الحجّة، قلت: فكان يوسف رسولاً نبيّاً؟ قال: نعم أما تسمع قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ﴾[٢].

شي: عن محمّد بن مسلم مثله[٣].

بيان: لعلّ موضع الاستشهاد قوله تعالى: ﴿قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا﴾.

٧٨ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده عن محمّد بن أورمة، عن بعض أصحابنا، عن

---

(١) عرائس المجالس للثعلبي، ص ١١١. (٢) قصص الأنبياء، ص ١٣٥.
(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢١٠ ح ٨٧.

أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا صار يوسف إلى ما صار إليه تعرّضت له امرأة العزيز، قال لها: من أنت؟ فقالت: أنا تيكم فقال لها: انصرفي فإنّي سأغنيك، قال: فبعث إليها بمائة ألف درهم[١].

٧٩ - **ص**: بهذا الإسناد عن بعض أصحابنا، عن زرارة، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ يوسف لمّا تزوّج امرأة العزيز وجدها عذراء، فقال لها: ما حملك على الّذي صنعت؟ قالت: ثلاث خصال: الشباب، والمال، وأنّي كنت لا زوج لي - يعني كان الملك عنيناً -[٢].

٨٠ - **ص**: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا يرفعه قالت: إنّ امرأة العزيز احتاجت فقيل لها: لو تعرّضت ليوسف عليه السلام فقعدت على الطريق، فلمّا مرّ بها قالت: الحمد لله الّذي جعل العبيد بطاعتهم لربّهم ملوكاً، والحمد لله الّذي جعل بمعصيته الملوك عبيداً، قال: من أنت؟ قالت: أنا زليخا. فتزوّجها[٣].

٨١ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده عن ابن عيسى، عن ابن فضّال، عن يونس ابن يعقوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا دخل يوسف عليه السلام على الملك - يعني نمرود - قال: كيف أنت يا إبراهيم؟ قال: إنّي لست بإبراهيم، أنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. قال: وهو صاحب إبراهيم الّذي حاجّ إبراهيم في ربّه، قال: وكان أربعمائة سنة شاباً[٤].

٨٢ - **ص**: بالإسناد عن الصدوق، عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن موسى بن جعفر، عن ابن معبد، عن الدهقان، عن درست، عن أبي خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل يوسف عليه السلام السجن وهو ابن اثني عشرة سنة، ومكث فيه ثماني عشر سنة، وبقي بعد خروجه ثمانين سنة، فذلك مائة وعشر سنين[٥].

٨٣ - **كا**: سهل بن زياد، عن محمّد بن عيسى، عن العبّاس بن هلال الشاميّ مولى أبي الحسن عليه السلام عنه قال: قلت له: جعلت فداك ما أعجب إلى النّاس من يأكل الجشب ويلبس الخشن ويتخشّع، فقال: أما علمت أنّ يوسف عليه السلام نبيّ وابن نبيّ، كان يلبس أقبية الديباج مزرورة بالذهب، ويجلس في مجالس آل فرعون يحكم، فلم يحتج النّاس إلى لباسه، وإنّما احتاجوا إلى قسطه[٦].

٨٤ - **ص**: بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى ابن أورمة، عن يزيد بن إسحاق، عن يحيى الأزرق عن رجل، عن الصادق عليه السلام قال: كان رجل من بقيّة قوم عاد قد أدرك فرعون يوسف، وكان أهل ذلك الزمان قد ولعوا بالعاديّ يرمونه بالحجارة، وإنّه أتى فرعون يوسف

---

(١) - (٥) قصص الأنبياء، ص ١٣٦-١٣٨.
(٦) الكافي، ج ٦ ص ١١٤٢ باب ٣٥٢ ح ٥.

فقال: أجرني عن الناس وأحدّثك بأعاجيب رأيتها ولا أحدّثك إلا بالحقّ فأجاره فرعون يوسف ومنعه وجالسه وحدّثه فوقع منه كلّ موقع ورأى منه أمراً جميلاً، قال: وكان فرعون لم يتعلّق على يوسف بكذبة ولا على العاديّ، فقال فرعون ليوسف: هل تعلم أحداً خيراً منك؟ قال: نعم أبي يعقوب، قال: فلمّا قدم يعقوب عليه السلام على فرعون حيّاه بتحيّة الملوك فأكرمه وقرّبه وزاده إكراماً ليوسف، فقال فرعون ليعقوب عليه السلام: يا شيخ كم أتى عليك؟ قال: مائة وعشرون سنة، قال العاديّ: كذب، فسكت يعقوب، وشقّ ذلك على فرعون حين كذّبه، فقال فرعون ليعقوب: كم أتى عليك؟ قال: مائة وعشرون سنة، قال العاديّ: كذب، فقال يعقوب عليه السلام: اللّهمّ إن كان كذب فاطرح لحيته على صدره، فسقطت لحيته على صدره، فهال ذلك فرعون، وقال ليعقوب: عمدت إلى رجل أجرته فدعوت إليه، أحبّ أن تدعو إلهك يردّه، فدعا له فردّ الله إليه، فقال العاديّ: إنّي رأيت هذا مع إبراهيم خليل الرحمن في زمن كذا وكذا، قال يعقوب: ليس أنا الّذي رأيته، إنّما رأيت إسحاق، فقال له: فمن أنت؟ قال: أنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فقال العاديّ: صدقت ذلك الّذي رأيته، فقال: صدق وصدقت[1].

٨٥ - ك: أبي، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى، عن الأشعريّ، عن محمّد بن يوسف التميميّ، عن الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبيّ صلوات الله عليه قال: عاش يعقوب مائة وعشرين سنة، وعاش يوسف مائة وعشرين سنة[2].

٨٦ - يج: روى سعد بن عبد الله، عن محمّد بن الحسن بن شمّون، عن داود بن القاسم الجعفريّ قال: سئل أبو محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ والسائل رجل من قم وأنا حاضر، فقال عليه السلام: ما سرق يوسف، إنّما كان ليعقوب منطقة ورثها من إبراهيم وكانت تلك المنطقة لا يسرقها أحد إلا استعبد، فكان إذا سرقها إنسان نزل جبرائيل فأخبره بذلك فأخذ منه وأخذ عبداً، وإنّ المنطقة كانت عند سارة بنت إسحاق بن إبراهيم، وكانت سميت أمّ إسحاق، وإنّ سارة أحبّت يوسف وأرادت أن تتّخذه ولداً لها، وإنّها أخذت المنطقة فربطتها على وسطه، ثمّ سدلت عليه سرباله، وقالت ليعقوب: إنّ المنطقة سرقت، فأتاه جبرائيل فقال: يا يعقوب إنّ المنطقة مع يوسف، ولم يخبره بخبر ما صنعت سارة لما أراد الله، فقام يعقوب إلى يوسف ففتّشه وهو يومئذ غلام يافع واستخرج المنطقة، فقالت سارة بنت إسحاق: متى سرقها يوسف فأنا أحقّ به، فقال لها يعقوب: فإنّه عبدك على أن لا تبيعيه ولا تهبيه، قالت: فأنا أقبله على أن لا تأخذه منّي وأنا أعتقه الساعة فأعطاها فأعتقته، فلذلك قال إخوة يوسف: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾ قال أبو هاشم: فجعلت أجيل هذا في نفسي أفكّر وأتعجّب من هذا الأمر مع قرب

(١) قصص الأنبياء، ص ١٣٧.

(٢) كمال الدين، ص ٤٧٤.

يعقوب من يوسف وحزن يعقوب عليه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن وهو كظيم والمسافة قريبة، فأقبل عليّ أبو محمّد فقال: يا أبا هاشم نعوذ بالله ممّا جرى في نفسك من ذلك، فإنّ الله لو شاء أن يرفع السنام الأعلى بين يعقوب ويوسف حتّى كانا يتراءان فعل، ولكن له أجل هو بالغه، ومعلوم ينتهي إليه ما كان من ذلك، فالخيار من الله لأوليائه[(١)].

٨٧ - شي: عن عبد الله بن أبي يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ قال: إنّ إسرائيل كان إذا أكل لحوم الإبل هيّج عليه وجع الخاصرة، فحرّم على نفسه لحم الإبل، وذلك من قبل أن تنزل التوراة، فلمّا أنزلت التوراة لم يحرّمه ولم يأكله[(٢)].

٨٨ - شي: عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[(٣)] قال: كان ابن سبع سنين[(٤)].

٨٩ - شي: عن أبي جميلة، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أوتي بقميص يوسف إلى يعقوب قال: اللّهمّ لقد كان ذئباً رفيقاً حين لم يشقّ القميص، قال: وكان به نضح من دم[(٥)].

٩٠ - شي: عن الحسن، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ قال: كانت عشرين درهماً[(٦)].

٩١ - شي: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام مثله وزاد فيه: البخس: النقص، وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل كانت ديته عشرين درهماً[(٧)].

٩٢ - شي: عن عبد الله بن سليمان، عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: قد كان يوسف بين أبويه مكرماً، ثمّ صار عبداً حتّى بيع بأخسّ وأوكس الثمن، ثمّ لم يمنع الله أن بلغ به حتّى صار ملكاً[(٨)].

٩٣ - شي: عن ابن حصين، عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٧٣٨ ح ٥٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٨٦ من سورة يوسف. أقول: سيأتي شرح هذا الخبر في باب ما ناجى به موسى عليه السلام «منه طاب ثراه».

(٣) قال الطبرسي ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ قال الحسن اعطاه الله النبوة وهو في الجب والبشارة بالنجاة والملك ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا﴾ أي لتخبرنهم بقبيح فعلهم بعد هذا الوقت يريد ما ذكره سبحانه في آخر السورة من قوله ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ وأخيه وهم لا يشعرون إنك لانت يوسف وقيل يريدوهم لا يشعروه بأنه أوحي إليه. «منه رحمه الله». [مجمع البيان ج ٥ ص ٣٧٢].

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨١-١٨٢ ح ٧ و٩ من سورة يوسف.

(٦) - (٨) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٣ ح ١١-١٣ من سورة يوسف.

دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ قال: كانت الدراهم ثمانية دراهم[١].

٩٤ - وبهذا الإسناد عن الرضا عليه السلام قال: كانت الدراهم عشرين درهماً وهي قيمة كلب الصيد إذا قتل، والبخس: النقص[٢].

٩٥ - شي: عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا همّت به وهمّ بها قالت: كما أنت قال: ولم؟ قالت: حتّى أغطّي وجه الصنم لا يرانا، فذكر الله عند ذلك وقد علم أنّ الله يراه ففرّ منها[٣].

٩٦ - شي: عن محمّد بن قيس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ يوسف لمّا حلّ سراويله رأى مثال يعقوب عاضّاً على إصبعه وهو يقول له: يوسف! قال: فهرب. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: لكنّي والله ما رأيت عورة أبي قطّ، ولا رأى أبي عورة جدي قطّ، ولا رأى جدّي عورة أبيه قطّ، قال: وهو عاضّ على إصبعه فوثب فخرج الماء من إبهام رجله[٤].

٩٧ - شي: عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أيّ شيء يقول النّاس في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾؟ قلت: يقولون: رأى يعقوب عاضّاً على إصبعه، فقال: لا، ليس كما يقولون، فقلت: فأيّ شيء رأى؟ قال: لمّا همّت به وهمّ بها قامت إلى صنم معها في البيت فألقت عليه ثوباً، فقال لها يوسف: ما صنعت؟ قالت: طرحت عليه ثوباً أستحي أن يرانا، قال: فقال يوسف: فأنت تستحين من صنمك وهو لا يسمع ولا يبصر ولا أستحي أنا من ربّي؟[٥]

٩٨ - شي: عن محمّد بن مروان، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يوسف خطب امرأة جميلةً كانت في زمانه فردّت عليه أنّ عبد الملك إيّاي يطلب! قال: فطلبها إلى أبيها، فقال له أبوها: إنّ الأمر أمرها، قال: فطلبها إلى ربّه وبكى، فأوحى الله إليه إنّي قد زوّجتكها؛ ثمّ أرسل إليها إنّي أريد أنّ أزوركم، فأرسلت إليه أن تعال، فلمّا دخل عليها أضاء البيت لنوره، فقالت: ما هذا إلا ملكٌ كريمٌ، فاستسقى فقامت إلى الطاس لتسقيه. فجعلت تتناول الطاس من يده فتناوله فاها؛ فجعل يقول لها: انتظري ولا تعجلي، قال: فتزوّجها[٦].

٩٩ - شي: عن ابن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء جبرئيل إلى يوسف في السجن، قال: قل في دبر كلّ صلاة فريضة: «اللهم اجعل لي فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب»[٧].

---

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٣ ح ١٤-١٥ من سورة يوسف.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٤ ح ١٧ من سورة يوسف.

(٤) - (٦) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٤-١٨٦ ح ١٨-٢١ من سورة يوسف.

(٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٧ ح ٢٢ من سورة يوسف.

١٠٠ - شي: عن طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أمر الملك فحبس يوسف في السجن ألهمه الله علم تأويل الرؤيا، فكان يعبّر لأهل السجن رؤياهم، وإنّ فتيين أدخلا معه السجن يوم حبسه، فلمّا باتا أصبحا فقالا له: إنّا رأينا رؤياً فعبّرها لنا، فقال: وما رأيتما؟ فقال أحدهما: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ﴾ وقال الآخر: رأيت أنّي أسقي الملك خمراً، ففسّر لهما رؤياهما على ما في الكتاب، ثمّ قال للّذي ظنّ أنّه ناج منهما: اذكرني عند ربّك، قال: ولم يفزع يوسف في حاله إلى الله فيدعوه فلذلك قال الله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ﴾ قال: فأوحى الله إلى يوسف في ساعته تلك: يا يوسف من أراك الرؤيا الّتي رأيتها؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن حبّبك إلى أبيك؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن وجّه السيارة إليك؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن علّمك الدعاء الّذي دعوت به حتّى جعل لك من الجبّ فرجاً؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن جعل لك من كيد المرأة مخرجاً؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن أنطق لسان الصبيّ بعذرك؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فمن صرف عنك كيد امرأة العزيز والنسوة؟ قال: أنت يا ربّي، قال فمن ألهمك تأويل الرؤيا؟ قال: أنت يا ربّي، قال: فكيف استغثت بغيري ولم تستغث بي وتسألني أن أخرجك من السجن، واستغثت وأمّلت عبداً من عبادي ليذكرك إلى مخلوق من خلقي في قبضتي، ولم تفزع إليّ؟ البث في السجن بذنبك بضع سنين بإرسالك عبداً إلى عبد، قال ابن أبي عمير: قال ابن أبي حمزة: فمكث في السجن عشرين سنة[١].

سماعة[٢] عن قول الله: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ قال: هو العزيز[٣].

١٠١ - شي: عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا﴾ قال: أحمل فوق رأسي جفنة فيها خبز تأكل الطير منه[٤].

١٠٢ - شي: عن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله عليه السلام: قال الله ليوسف: ألست الذي حبّبتك إلى أبيك وفضّلتك على النّاس بالحسن؟ أولست الّذي سقت إليك السيّارة وأنقذتك وأخرجتك من الجبّ؟ أولست الّذي صرفت عنك كيد النسوة؟ فما حملك على أن ترفع رغبتك وتدعو مخلوقاً دوني؟! فالبث لما قلت في السجن بضع سنين[٥].

١٠٣ - شي: عن عبد الله بن عبد الرحمن، عمّن ذكره عنه قال: لمّا قال للفتى: ﴿ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ أتاه جبرئيل فضربه برجله حتّى كشط له عن الأرض السّابعة، فقال له: يا يوسف انظر ماذا ترى، قال: أرى حجراً صغيراً، ففلق الحجر فقال: ماذا ترى؟ قال:

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٧ ح ٢٣ من سورة يوسف.
(٢) هكذا في جميع النسخ والظاهر أنه: قال سماعة عن قول الله.
(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٨ ح ٢٤-٢٦ من سورة يوسف.

أرى دودة صغيرة، قال: فمن رازقها؟ قال: الله، قال: فإنّ ربّك يقول: لم أنس هذه الدودة في ذلك الحجر في قعر الأرض السّابعة، أظننت أنّي أنساك حتّى تقول للفتى: اذكرني عند ربّك؟ لتلبثنّ في السجن بمقالتك هذه بضع سنين، قال: فبكى يوسف عند ذلك حتّى بكى لبكائه الحيطان، قال: فتأذّى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً، وكان في اليوم الّذي يسكت أسوأ حالاً[١].

١٠٤ - شي: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما بكى أحد بكاء ثلاثة: آدم ويوسف وداود، فقلت: ما بلغ من بكائهم؟ قال: أمّا آدم فبكى حين أخرج من الجنّة، وكان رأسه في باب من أبواب السّماء، فبكى حتّى تأذّى به أهل السماء فشكوا ذلك إلى الله فحطّ من قامته؛ وأمّا داود فإنّه بكى حتّى هاج العشب من دموعه، وإن كان ليزفر الزفرة فيحرق ما نبت من دموعه؛ وأمّا يوسف فإنّه كان يبكي على أبيه يعقوب وهو في السجن فتأذّى به أهل السجن فصالحهم على أن يبكي يوماً ويسكت يوماً[٢].

١٠٥ - شي: عن يعقوب بن يزيد رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال في قول الله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ قال: سبع سنين[٣].

١٠٦ - شي: عن أبان، عن محمّد بن مسلم، عنهما قالا: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لو كنت بمنزلة يوسف حين أرسل إليه الملك يسأله عن رؤياه ما حدّثته حتّى أشترط عليه أن يخرجني من السجن، وعجبت لصبره عن شأن امرأة الملك حتّى أظهر الله عذره[٤].

١٠٧ - شي: عن ابن أبي يعفور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ «سبع سنابل خضر»[٥].

١٠٨ - شي: عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان سبق يوسف الغلاء الّذي أصاب النّاس ولم يتمنّ الغلاء لأحد قطّ، قال: فأتاه التجّار فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا، فقالوا: نأخذ كذا بكذا، قال: خذوا، وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتّى دخلوا المدينة فلقاهم قوم تجّار فقالوا لهم: كيف أخذتم؟ قالوا: كذا بكذا، وأضعفوا الثمن، قال: وقدموا أُولئك على يوسف فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا كيف تأخذون، قالوا: بعنا كما بعت كذا بكذا، فقال: ما هو كما يقولون ولكن خذوا، فأخذوا، ثمّ مضوا حتّى دخلوا المدينة فلقاهم آخرون فقالوا: كيف أخذتم؟ فقالوا: كذا بكذا وأضعفوا الثمن، قال: فعظّم النّاس ذلك الغلاء وقالوا: اذهبوا بنا حتّى نشتري، قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا، فقالوا: بعنا كما بعت، فقال: وكيف بعت؟ قالوا: كذا بكذا، فقال: ما هو كذلك ولكن خذوا؛ قال: فأخذوا ورجعوا إلى المدينة فأخبروا النّاس فقالوا فيما بينهم: تعالوا

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٨ ح ٢٧ من سورة يوسف.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٨ ح ٢٨ من سورة يوسف.
(٣) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٨٩-١٩٠ ح ٣٠ و٣٢ و٣٣ من سورة يوسف.

حتّى نكذب في الرخص كما كذبنا في الغلاء، قال: فذهبوا إلى يوسف فقالوا له: بعنا، فقال: اشتروا، فقالوا: بعنا كما بعت، قال: وكيف بعت؟ قالوا: كذا بكذا بالحطّ من السعر الأوّل، فقال: ما هو هكذا ولكن خذوا، قال: فأخذوا وذهبوا إلى المدينة فلقاهم النّاس فسألوهم: بكم اشتريتم؟ فقالوا: كذا بكذا بنصف الحطّ الأوّل، فقال آخرون: اذهبوا بنا حتّى نشتري فذهبوا إلى يوسف فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا، فقالوا: بعنا كما بعت، فقال: وكيف بعت؟ قالوا: بكذا وكذا بالحطّ من النصف، فقال: ما هو كما يقولون ولكن خذوا؛ فلم يزالوا يتكاذبون حتّى رجع السعر إلى الامر الأوّل كما أراد الله(١).

١٠٩ - شي: عن محمّد بن عليّ الصيرفيّ، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام «عام فيه يغاث النّاس وفيه يعصرون» بضم الياء: يمطرون، ثمّ قال أما سمعت قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾(٢).

١١٠ - شي: عن عليّ بن معمّر، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: «عام فيه يغاث النّاس وفيه يُعْصَرون» مضمومة، ثمّ قال: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾(٣).

١١١ - شي: عن سماعة قال: سألته عن قول الله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾ قال: يعني العزيز(٤).

١١٢ - شي: قال سليمان: قال سفيان: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يجوز أن يزكّي الرجل نفسه؟ قال: نعم إذا اضطرّ إليه، أمّا سمعت قول يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(٥) وقول العبد الصالح: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾(٦).

١١٣ - شي: عن الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: ملك يوسف مصر وبراريها لم يجاوزها إلى غيرها(٧).

١١٤ - شي: عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدّث قال: لمّا فقد يعقوب يوسف اشتدّ حزنه عليه وبكاؤه حتّى ابيضّت عيناه من الحزن واحتاج حاجة شديدة وتغيّرت

---

(١) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٠ ح ٣٤-٣٧ من سورة يوسف.

(٥) قال الطبرسي ره: قال المفسرون: لما قال يوسف ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال الملك: ومن أحقّ به منك؟ فولاه ذلك. وروى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: رحم الله أخي يوسف لو لم يقل «اجعلني على خزائن الأرض» لولاّه من ساعته، ولكنه أخر ذلك سنة.

قال ابن عباس: فأقام في بيت الملك سنة، فلما انصرمت السنة من يوم سأل الإمارة دعاه الأمير فتوجه ورداه بسيفه وأمر أن يوضع له سرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ويضرب عليه كلة من استبرق ثم أمره أن يخرج متوّجاً لونه كالثلج ووجهه كالقمر، يرى الناظر فيه وجهه، فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك فعدل بين الناس فأحبه الرجال والنساء. «منه طاب الله ثراه». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤١٩].

(٦) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٢ ح ٤٠ و٤١ من سورة يوسف.

حاله، قال: وكان يمتار القمح من مصر لعياله في السنة مرّتين: للشتاء والصيف وإنّه بعث عدّةً من ولده ببضاعة يسيرة إلى مصر مع رفقة خرجت، فلمّا دخلوا على يوسف وذلك بعدما ولاّه العزيز مصر فعرفهم يوسف ولم يعرفه إخوته لهيبة الملك وعزّه، فقال لهم: هلمّوا بضاعتكم قبل الرفاق، وقال لفتيانه: عجّلوا لهؤلاء الكيل وأوفوهم فإذا فرغتم فاجعلوا بضاعتهم هذه في رحالهم ولا تعلموهم بذلك، ففعلوا، ثمّ قال لهم يوسف: قد بلغني أنّه كان لكم أخوان لأبيكم فما فعلا؟ قالوا: أمّا الكبير منهما فإنّ الذئب أكله، وأمّا الصغير فخلّفناه عند أبيه وهو به ضنين، وعليه شفيق، قال: فإنّي أحبّ أن تأتوني به معكم إذا جئتم لتمتاروا، فإنّ لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون، قالوا سنراود عنه أباه وإنّا لفاعلون.

فلما رجعوا إلى أبيهم فتحوا متاعهم فوجدوا بضاعتهم فيه قالوا: يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا قد ردّت إلينا وكيل لنا كيل قد زاد حمل بعير، فأرسل معنا أخانا نكتل وإنّا له لحافظون، قال: هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل، فلمّا احتاجوا إلى الميرة بعد ستّة أشهر بعثهم يعقوب وبعث معهم بضاعة يسيرة وبعث معهم ابن ياميل وأخذ عليهم بذلك موثقاً من الله لتأتنّني به إلا أن يحاط بكم أجمعين، فانطلقوا مع الرفاق حتّى دخلوا على يوسف، فقال لهم: معكم ابن ياميل؟ قالوا: نعم هو في الرحل، قال لهم: فأتوني به، فأتوه به وهو في دار الملك، فقال: أدخلوه وحده، فأدخلوه عليه فضمّه يوسف إليه وبكى وقال له: أنا أخوك يوسف فلا تبتئس بما تراني أعمل، واكتم ما أخبرتك به ولا تحزن ولا تخف، ثمّ أخرجه إليهم وأمر فتيته أن يأخذوا بضاعتهم ويعجّلوا لهم الكيل، فإذا فرغوا جعلوا المكيال في رحل ابن ياميل ففعلوا به ذلك، وارتحل القوم مع الرفقة فمضوا فلحقهم يوسف وفتيته فنادوا فيهم: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ﴾ قال: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ قالوا: إنّ يسرق فقد سرق أخٌ له من قبل، فقال لهم يوسف: ارتحلوا عن بلادنا، قالوا: يا أيّها العزيز إنّ له أباً شيخاً كبيراً وقد أخذ علينا موثقاً من الله لنردّ به إليه فخذ أحدنا مكانه إنّا نراك من المحسنين إن فعلت، قال: معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده، فقال كبيرهم: إنّي لست أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي، ومضى إخوة يوسف حتّى دخلوا على يعقوب فقال لهم: فأين ابن ياميل؟ قالوا: ابن ياميل سرق مكيال الملك فأخذ الملك سرقته فحبس عنده، فاسأل أهل القرية والعير حتّى يخبروك بذلك، فاسترجع واستعبر واشتدّ حزنه حتّى تقوّس ظهره[1].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٢ ح ٤٢ من سورة يوسف.

شي: أبو حمزة، عن أبي بصير عنه ذكر فيه ابن يامين ولم يذكر ابن ياميل(١).

١١٥ - **شي:** عن أبان الأحمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا دخل إخوة يوسف عليه السلام وقد جاؤوا بأخيهم معهم وضع لهم الموائد، قال: يمتار كلّ واحد منكم مع أخيه لأمّه على الخوان، فجلسوا وبقي أخوه قائماً، فقال له: ما لك لا تجلس مع إخوتك؟ قال: ليس لي منهم أخ من أمّي، قال: فلك أخ من أمّك زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله؟ قال: نعم، قال: فاقعد وكل معي، قال: فترك إخوته الأكل قالوا إنّا نريد أمراً ويأبى الله إلا أن يرفع ولد يامين علينا، ثمّ قال حين فرغوا من جهازهم أمر أن يضع الصاع في رحل أخيه، فلمّا فصلوا نادى منّاد: أيّتها العير إنكم لسارقون، قال: فرجعوا فقالوا: ماذا تفقدون ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ إلى قوله: ﴿جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ يعنون السنّة الّتي تجري فيهم أن يحبسه، فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثمّ استخرجها من وعاء أخيه، فقالوا: إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل.

قال الحسن بن عليّ الوشّاء فسمعت الرضا عليه السلام يقول: يعنون المنطقة، فلمّا فرغ من غدائه قال: ما بلغ من حزنك على أخيك؟ قال: ولد لي عشرة أولاد فكلهم شققت لهم من اسمه قال: فقال له: ما أراك حزنت عليه حيث اتّخذت النساء من بعده؟ قال: أيّها العزيز إنّ لي أباً شيخاً كبيراً صالحاً فقال: يا بنيّ تزوج لعلّك أن تصيب ولداً يثقل الأرض بشهادة أن لا إله إلا الله، قال أبو محمّد عبد الله بن محمّد: هذا من رواية الرضا عليه السلام (٢).

١١٦ - **شي:** عن عليّ بن مهزيار، عن بعض أصحابنا، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وقد كان هيّأ لهم طعاماً فلمّا دخلوا إليه قال: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة قال: فجلسوا وبقي ابن يامين قائماً، فقال له يوسف: ما لك لا تجلس؟ قال له: إنّك قلت: ليجلس كلّ بني أمّ على مائدة وليس لي منهم ابن أمّ، فقال يوسف: أما كان لك ابن أمّ؟ قال له ابن يامين: بلى، قال يوسف: فما فعل؟ قال: زعم هؤلاء أنّ الذئب أكله، قال: فما بلغ من حزنك عليه؟ قال: ولد لي أحد عشر ابناً كلّهم اشتقّ له اسماً من اسمه، فقال له يوسف: أراك قد عانقت النساء وشممت الولد من بعده! قال له ابن يامين، إنّ لي أباً صالحاً وإنّه قال: تزوّج لعلّ الله أن يخرج منك ذرّيّة تثقل الأرض بالتسبيح، فقال له: تعال فاجلس معي على مائدتي، فقال إخوة يوسف: لقد فضّل الله يوسف وأخاه حتّى أنّ الملك قد أجلسه معه على مائدته(٣).

١١٧ - **شي:** عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لا خير فيمن لا تقيّة له، ولقد قال يوسف: أيّتها العير إنكم لسارقون وما سرقوا(٤).

١١٨ - **شي:** وفي رواية أخرى، عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قيل له وأنا

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٢ ح ٤٣ من سورة يوسف.

(٢) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٤ ح ٤٤ و٤٥ و٤٧ من سورة يوسف.

عنده: إنّ سالم بن أبي حفصة يروي عنك أنّك تكلّم على سبعين وجهاً لك منها المخرج، فقال: ما يريد سالم منّي؟ أيريد أن أجيء بالملائكة؟! فوالله ما جاء بهم النبيّون، ولقد قال إبراهيم: إنّي سقيم والله ماكان سقيماً وما كذب، ولقد قال إبراهيم: بل فعله كبيرهم وما فعله كبيرهم وما كذب، ولقد قال يوسف: أيّتها العير إنّكم لسارقون والله ما كانوا سرقوا وما كذب[١].

١١٩ - شي: عن أبي حمزة الثماليّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: صواع الملك طاسه الّذي يشرب فيه[٢].

١٢٠ - شي: عن محمّد بن أبي حمزة، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: صواع الملك، قال: كان قدحاً من ذهب، وقال: كان صواع يوسف إذ كيل به[٣].

١٢١ - شي: عن الحسين بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر بني يعقوب قال: كانوا إذا غضبوا اشتدّ غضبهم حتّى تقطر جلودهم دماً أصفر وهم يقولون: خذ أحدنا مكانه، يعني جزاؤه، فأخذ الّذي وجد الصاع عنده[٤].

١٢٢ - شي: عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا استيأس إخوة يوسف من أخيهم قال لهم يهودا، وكان أكبرهم: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ قال: ورجع إلى يوسف يكلّمه في أخيه فكلّمه حتّى ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا، وكان إذا غضب قامت شعرة في كتفه وخرج منها الدم، قال: وكان بين يدي يوسف ابن له صغير معه رمّانة من ذهب وكان الصبيّ يلعب بها، قال: فأخذها يوسف من الصبيّ فدحرجها نحو يهودا، قال: وحبا الصبيّ ليأخذها فمسّ يهودا فسكن يهودا، ثمّ عاد إلى يوسف فكلّمه في أخيه حتّى ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب يهودا وقامت الشعرة وسال منها الدم، فأخذ يوسف الرمّانة من الصبيّ فدحرجها نحو يهودا، وحبا الصبيّ نحو يهودا فسكن يهودا، فقال يهودا: إنّ في البيت معنا لبعض ولد يعقوب، قال: فعند ذلك قال لهم يوسف: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ﴾.

وفي رواية هشام بن سالم عنه عليه السلام قال: لمّا أخذ يوسف أخاه اجتمع عليه إخوته فقالوا له: خذ أحدنا مكانه وجلودهم تقطر دماً أصفر، وهم يقولون: خذ أحدنا مكانه، قال: فلمّا أن أبى عليهم وأخرجوا من عنده قال لهم يهودا: قد علمتم ما فعلتم بيوسف، فلن أبرح الأرض حتّى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين، قال: فرجعوا إلى أبيهم وتخلّف يهودا، قال: فدخل على يوسف فكلّمه في أخيه حتّى ارتفع الكلام بينه وبينه وغضب، وكان على كتفه شعرة إذا غضب قامت الشعرة فلا تزال تقذف بالدم حتّى يمسّه بعض ولد يعقوب، قال: فكان بين يدي يوسف ابن له صغير في يده رمّانة من ذهب يلعب بها،

(١) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٥-١٩٦ ح ٤٩ و٥١ و٥٢ و٥٥ من سورة يوسف.

فلمّا رآه يوسف قد غضب وقامت الشعرة تقذف بالدم أخذ الرمّانة من يدي الصبيّ ثمّ دحرجها نحو يهودا وابتغى الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا، قال: فذهب غضبه، قال: فارتاب يهودا ورجع الصبيّ بالرمّانة إلى يوسف، ثمّ ارتفع الكلام بينهما حتّى غضب وقامت الشعرة فجعلت تقذف بالدم، فلمّا رأى يوسف دحرج الرمّانة نحو يهودا واتّبعها الصبيّ ليأخذها فوقعت يده على يهودا فسكن غضبه قال: فقال يهودا: إنّ في البيت لمن ولد يعقوب حتّى صنع ذلك ثلاث مرّات[1].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي لا أزال بهذه الأرض ولا أزول عنها وهي أرض مصر ﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ في البراح والرجوع إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِي﴾ بالخروج وترك أخي هنا؛ وقيل: بالموت؛ وقيل: بما يكون عذراً لنا عند أبينا، عن أبي مسلم؛ وقيل: بالسيف حتّى أُحارب من حبس أخي، عن الجبائيّ انتهى[2].

وقال الفيروز آبادي: حبا الرجل: مشى على يديه وبطنه، والصبيّ حبواً كسهواً: مشى على إسته انتهى. ويظهر من الخبر الأوّل أنه عليه السلام أظهر الأمر ليهودا قبل رجوع إخوته وفيه مخالفة ما لسائر الأخبار.

١٢٣ - **شي:** عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: رحمك الله ما الصبر الجميل؟ فقال: كان صبر ليس فيه شكوى إلى النّاس إنّ إبراهيم بعث يعقوب إلى راهب من الرهبان عابد من العبّاد في حاجة، فلمّا رآه الراهب حسبه إبراهيم فوثب إليه فاعتنقه، ثمّ قال: مرحباً بخليل الرحمن، قال يعقوب: إنّي لست بإبراهيم، ولكنّي يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، فقال له الراهب: فما بلغ بك ما أرى من الكبر؟ قال: الهمّ والحزن، فما جاوز صغير الباب حتّى أوحى الله إليه: أن يا يعقوب شكوتني إلى العباد؟ فخرّ ساجداً عند عتبة الباب يقول: ربّ لا أعود، فأوحى الله إليه إنّي قد غفرتها لك فلا تعودنّ إلى مثلها، فما شكا شيئاً ممّا أصابه من نوائب الدنيا إلا أنّه قال يوماً: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3].

أقول: رواه السيّد ابن طاوس في كتاب سعد السعود من تفسير ابن عقدة الحافظ، عن عثمان بن عيسى، عن المفضّل، عن جابر مثله. «ص ١٢٠».

بيان: بعث إبراهيم يعقوب عليه السلام بعد كبر يعقوب غريب، ولعلّه كان بعد فوت إبراهيم وكان البعث على سبيل الوصيّة، وفي بعض النسخ: «إن الله بعث» وهو الصواب.

وقوله: (صغير الباب) لعلّه من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الباب الصغير، أي باب البيت دون باب الدار. ورواه في كتاب التمحيص عن جابر، وفيه: فما جاز عتبة الباب.

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٨ ح ٥٦ من سورة يوسف. (٢) مجمع البيان، ح ٥ ص ٤٤٠.
(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٩ ح ٥٧ من سورة يوسف.

١٢٤ - **شي:** عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال له بعض أصحابنا: ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف؟ قال: حزن سبعين ثكلى حرى[١].

١٢٥ - وبهذا الإسناد عنه قال: قيل له: كيف يحزن يعقوب على يوسف وقد أخبره جبرئيل أنّه لم يمت وأنّه سيرجع إليه؟ فقال: إنّه نسي ذلك[٢].

بيان: لعلّ المراد أنّه لشدّة حبّه له كان محزوناً على مفارقته حتّى كأنّه نسي ذلك.

١٢٦ - **شي:** عن محمّد بن سهل البحرانيّ، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: البكّاؤون خمسة: آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمّد وعليّ بن الحسين صلوات الله عليهم أمّا يعقوب فبكى على يوسف حتّى ذهب بصره وحتّى قيل له: تفتؤ تذكر يوسف حتّى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين[٣].

١٢٧ - **شي:** عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ يعقوب أتى ملكاً بناحيتكم يسأله الحاجة، فقال له الملك: أنت إبراهيم؟ قال: لا، قال: وأنت إسحاق بن إبراهيم؟ قال: لا، قال: فمن أنت، قال: أنا يعقوب بن إسحاق، قال: فما بلغ بك ما أرى مع حداثة السنّ؟ قال: الحزن على يوسف، قال: لقد بلغ بك الحزن يايعقوب كلّ مبلغ، فقال: إنّا معشر الأنبياء أسرع شيء البلاء إلينا، ثمّ الأمثل فالأمثل من النّاس، فقضى حاجته فلمّا جاوز بابه هبط عليه جبرئيل فقال له: يا يعقوب ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: شكوتني إلى الناس؟! فعفّر وجهه في التراب، وقال: يا ربّ زلّة أقلنيها فلا أعود بعد هذا أبداً، ثمّ عاد إليه جبرئيل فقال: يا يعقوب ارفع رأسك، ربّك يقرؤك السلام ويقول لك: قد أقلتك فلا تعود تشكوني إلى خلقي، فما رئي ناطقاً بكلمة ممّا كان فيه حتّى أتاه بنوه فصرف وجهه إلى الحائط وقال: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[٤].

١٢٨ - وفي حديث آخر عنه: جاء يعقوب إلى نمرود في حاجة فلمّا دخل عليه وكان أشبه النّاس بإبراهيم قال له: أنت إبراهيم خليل الرحمن؟ قال. لا الحديث[٥].

١٢٩ - **شي:** عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام عاد إلى الحديث الأوّل قال: واشتدّ حزنه - يعني يعقوب - حتّى تقوّس ظهره، وأدبرت الدنيا عن يعقوب وولده حتّى احتاجوا حاجة شديدة وفنيت ميرهم، فعند ذلك قال يعقوب لولده: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ فخرج منهم نفر وبعث معهم بضاعة يسيرة وكتب معهم كتاباً إلى عزيز مصر يعطفه على نفسه وولده، وأوصى ولده أن يبدأوا بدفع كتابه قبل البضاعة فكتب[٦]:

---

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٩٩-٢٠٠ ح ٥٨-٦٠ من سورة يوسف.

(٤) - (٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٠ ح ٦١ و٦٢ من سورة يوسف.

(٦) روى الطبرسي رحمه الله من كتاب النبوة بإسناده عن الحسن بن محبوب، عن أبي إسماعيل الفراء، عن=

بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر ومظهر العدل وموفي الكيل من يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صاحب نمرود الّذي جمع لإبراهيم الحطب والنّار ليحرقه بها فجعلها الله عليه برداً وسلاماً وأنجاه منها، أُخبرك أيّها العزيز إنّا أهل بيت قديم لم يزل البلاء إلينا سريعاً من الله ليبلونا بذلك عند السرّاء والضرّاء، وإنّ مصائب تتابعت عليّ منذ عشرين سنة، أوّلها أنّه كان لي ابن سمّيته يوسف، وكان سروري من بين ولدي، وقرّة عيني، وثمرة فؤادي، وإنّ إخوته من غير أمّه سألوني أن أبعثه معهم يرتع ويلعب فبعثته معهم بكرةً، وإنّهم جاؤوني عشاءً يبكون وجاؤوني على قميصه بدم كذب فزعموا أنّ الذئب أكله، فاشتدّ لفقده حزني، وكثر على فراقه بكائي حتّى ابيضّت عيناي من الحزن، وإنّه كان له أخ من خالته وكنت به معجباً وعليه رفيقاً، وكان لي أنيساً، وكنت إذا ذكرت يوسف ضممته إلى صدري فيسكن بعض ما أجد في صدري، وإنّ إخوته ذكروا لي أنّك أيّها العزيز سألتهم عنه وأمرتهم أن يأتوك به وإن لم يأتوك به منعتهم الميرة لنا من القمح من مصر فبعثته معهم ليمتاروا لنا قمحاً فرجعوا إليّ فليس هو معهم، وذكروا أنّه سرق مكيال الملك، ونحن أهل بيت لا نسرق، وقد حبسته وفجعتني به، وقد اشتدّ لفراقه حزني حتّى تقوّس لذلك ظهري، وعظمت به مصيبتي مع مصائب متتابعات عليّ، فمنَّ عليّ بتخلية سبيله وإطلاقه من محبسه وطيّب لنا القمح، واسمح لنا في السعر، وعجّل سراح آل يعقوب.

فلمّا مضى ولد يعقوب من عنده نحو مصر بكتابه نزل جبرئيل على يعقوب فقال له: يا يعقوب إنّ ربّك يقول لك: من ابتلاك بمصائبك الّتي كتبت بها إلى عزيز مصر؟ قال يعقوب: أنت بلوتني بها عقوبةً منك وأدباً لي، قال الله: فهل كان يقدر على صرفها عنك أحد غيري؟ قال يعقوب: اللّهمّ لا، قال: أفما استحييت منّي حين شكوت مصائبك إلى غيري ولم تستغث بي وتشكو ما بك إليّ؟! فقال يعقوب: أستغفرك يا إلهي وأتوب إليك وأشكو بثّي وحزني إليك، فقال لله تبارك وتعالى: قد بلغت بك يا يعقوب وبولدك الخاطئين الغاية في أدبي، ولو كنت يا يعقوب شكوت مصائبك إليّ عند نزولها بك واستغفرت وتبت إليّ من ذنبك لصرفتها عنك بعد تقديري إيّاها عليك، ولكنّ الشيطان أنساك ذكري فصرت إلى القنوط من

= طربال، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر طويل أن يعقوب كتب إلى يوسف: بسم الله الرحمن الرحيم إلى عزيز مصر، وذكر الكتاب مثل ما في رواية أبي بصير إلى قوله واسمح لنا في السعر وأوف لنا الكيل وعجل سراح آل إبراهيم قال: فمضوا بكتابه حتى دخلوا على يوسف في دار الملك وقالوا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ إلى آخر الآية وتصدق علينا بأخينا ابن يامين وهذا كتاب يعقوب أبينا إليك في أمره يسألك تخلية سبيله فمنّ به علينا. فأخذ يوسف الكتاب فقبّله ووضعه على عينه وبكى وانتحب حتى بل دموعه القميص الذي عليه ثم أقبل عليهم فقال: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ﴾. الآية «منه رحمه الله».
[مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٠].

رحمتي، وأنا الله الجواد الكريم، أحبّ عبادي المستغفرين التائبين الراغبين إليّ فيما عندي؛ يا يعقوب أنا رادّ إليك يوسف وأخاه، ومعيد إليك ما ذهب من مالك ولحمك ودمك، ورادّ إليك بصرك، ويقوم لك ظهرك، فطب نفساً، وقرّ عيناً، وإنّ الّذي فعلته بك كان أدباً منّي لك فاقبل أدبي.

ومضى ولد يعقوب بكتابه نحو مصر حتّى دخلوا على يوسف في دار المملكة فقالوا: يا أيّها العزيز مسّنا وأهلنا الضرّ وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدّق علينا بأخينا ابن يامين، وهذا كتاب أبينا يعقوب إليك في أمره يسألك أن تمنّ به عليه، قال: فأخذ يوسف كتاب يعقوب فقبّله ووضعه على عينيه وبكى وانتحب حتّى بلّت دموعه القميص الّذي عليه، ثمّ أقبل عليهم فقال: هل علمتم ما فعلتم بيوسف من قبل وأخيه من بعد؟ قالوا: «إنك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا، وقالوا: تالله لقد آثرك الله علينا فلا تفضحنا ولا تعاقبنا اليوم واغفر لنا، قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم.

وفي رواية أخرى عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه‌السلام نحوه[1].

١٣٠ - شي: عن عمرو بن عثمان، عن بعض أصحابنا قال: لمّا قال إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ قال: قال يوسف: لا صبر على ضرّ آل يعقوب، فقال عند ذلك: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ الآية[2].

١٣١ - شي: عن أحمد بن محمّد، عن أبي الحسن الرضا عليه‌السلام قال: سألته عن قوله: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ قال: المقل. وفي هذه الرواية: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ قال: كانت المقل، وكانت بلادهم بلاد المقل وهي البضاعة[3].

بيان: قال البيضاويّ: مزجاة: رديئة، أو قليلة تردّ وتدفع رغبة عنها، من أزجيته: إذا دفعته؛ وقيل: كانت دراهم زيوفاً؛ وقيل: صوفاً وسمناً؛ وقيل: صنوبر وحبّة الخضراء؛ وقيل الاقط وسويق المقل؛ انتهى[4]. وفي رواية أخرى لعله عليه‌السلام قرأ (مزجّاة) بتشديد الجيم، أو مزجيّة بكسر الجيم وتشديد الياء، ولم ينقل في القراءة الشاذّة غير القراءة المشهورة.

١٣٢ - شي: عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا رفعه قال: كتب يعقوب النبيّ إلى يوسف: من يعقوب بن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله الرحمن إلى عزيز مصر: أمّا بعد فإنّا أهل بيت لم يزل البلاء سريعاً إلينا، ابتلي إبراهيم جدّي فألقي في النّار، ثمّ ابتلي أبي إسحاق بالذبح، فكان لي ابن وكان قرّة عيني وكنت أسرّ به فابتليت بأن أكله الذئب فذهب بصري حزناً عليه من البكاء، وكان له أخ وكنت أسرّ به بعده فأخذته في سرق، وإنّا أهل بيت لم نسرق قطّ ولا نعرف بالسرق، فإن رأيت أن تمنّ عليّ به فعلت، قال: فلمّا أتى يوسف

---

(١) - (٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠١-٢٠٤ ح ٦٥-٦٧ من سورة يوسف.

(٤) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٢٣.

بالكتاب فتحه وقرأه فصاح ثمّ قام فدخل منزله فقرأ وبكى ثمّ غسل وجهه ثمّ خرج إلى إخوته ثمّ عاد فقرأه فصاح وبكى، ثمّ قام فدخل منزله فقرأه وبكى ثمّ غسل وجهه وعاد إلى إخوته، فقال: ﴿هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ وأعطاهم قميصه وهو قميص إبراهيم، وكان يعقوب بالرملة، فلمّا فصلوا بالقميص من مصر قال يعقوب: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ (٩٤) قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ (٩٥)﴾ [١].

١٣٣ - **شي:** عن مفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليس رجل من ولد فاطمة يموت ولا يخرج من الدنيا حتّى يقر للإمام بإمامته كما أقرّ ولد يعقوب ليوسف حين قالوا: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [٢].

١٣٤ - **ل، ع، ن:** في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه عليه السلام قال: يوم الأربعاء أدخل يوسف السجن [٣].

١٣٥ - **شي:** عن محمّد بن إسماعيل رفعه بإسناد له قال: إنّ يعقوب وجد ريح قميص يوسف من مسيرة عشرة ليال، وكان يعقوب ببيت المقدس ويوسف بمصر، وهو القميص الّذي نزل على إبراهيم من الجنّة، فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب، ودفعه يعقوب إلى يوسف عليهما السلام [٤].

١٣٦ - **شي:** عن نشيط بن صالح البجليّ قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أكان إخوة يوسف أنبياء؟ قال: لا ولا بررة أتقياء، وكيف وهم يقولون لابيهم يعقوب: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ [٥]؟

شي: عن نشيط، عن رجل مثله [٦].

١٣٧ - **شي:** عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ بني يعقوب بعد ما صنعوا بيوسف أذنبوا فكانوا أنبياء؟ [٧]!

بيان: استفهام على الإنكار.

١٣٨ - **شي:** عن مقرن، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كتب عزيز مصر إلى يعقوب: أمّا بعد فهذا ابنك يوسف اشتريته بثمن بخس دراهم معدودة واتّخذته عبداً، وهذا ابنك ابن يامين أخذته قد سرق واتّخذته عبداً، قال: فما ورد على يعقوب شيء أشدّ عليه من ذلك الكتاب فقال للرسول: مكانك حتّى أجيبه. فكتب إليه يعقوب: أمّا بعد فقد فهمت كتابك أنّك أخذت

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٤ ح ٦٨-٦٩ من سورة يوسف.

(٣) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢. باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٤ ح ١.

(٤) - (٧) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧٣ و٧٤ و٧٧ و٧٦ من سورة يوسف.

ابني بثمن بخس واتّخذته عبداً، وأنّك اتّخذت ابني ابن يامين وقد سرق فاتّخذته عبداً، فإنّا أهل بيت لا نسرق، ولكنّا أهل بيت نبتلى، وقد ابتلي أبونا إبراهيم بالنار فوقاه الله، وابتلي أبونا إسحاق بالذبح فوقاه الله، وإنّي قد ابتليت بذهاب بصري وذهاب ابني وعسى الله أن يأتيني بهم جميعاً.

قال: فلمّا ولّى الرسول عنه رفع يده إلى السماء ثمّ قال: «يا حسن الصحبة ياكريم المعونة يا خيراً كلّه ائتني بروح منك وفرج من عندك» قال: فهبط عليه جبرئيل فقال: يا يعقوب ألا أعلّمك دعوات يردّ الله عليك بها بصرك ويردّ عليك ابنيك؟ فقال: بلى، فقال: قل: «يا من لا يعلم أحد كيف هو وحيث هو وقدرته إلا هو، يامن سدّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء ائتني بروح منك وفرج من عندك» فما انفجر عمود الصبح حتّى أُتي بالقميص فطرح على وجهه فردّ الله عليه بصره وردّ عليه ولده[1].

١٣٩ - **دعوات الراونديّ**: عن أبي جعفر عليه السلام أنّ يعقوب عليه السلام كان اشتدّ به الحزن ورفع يده إلى السماء وقال: يا حسن الصحبة إلى آخر الخبر[2].

١٤٠ - **شي**: عن أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام عاد إلى الحديث الأوّل الّذي قطعناه قال: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، اذهبوا بقميصي هذا الّذي بلّته دموع عيني فألقوه على وجه أبي يرتدّ بصيراً لو قد شمّ بريحي، وأتوني بأهلكم أجمعين، وردّهم إلى يعقوب في ذلك اليوم وجهّزهم بجميع ما يحتاجون إليه، فلمّا فصلت عيرهم من مصر وجد يعقوب ريح يوسف، فقال لمن بحضرته من ولده: إنّي لأجد ريح يوسف لولا أن تفنّدون، قال: وأقبل ولده يحثّون السير بالقميص فرحاً وسروراً بما رأوا من حال يوسف والملك الّذي أعطاه الله والعزّ الّذي صاروا إليه في سلطان يوسف، وكان مسيرهم من مصر إلى بدو يعقوب تسعة أيّام، فلمّا أن جاء البشير ألقى القميص على وجهه فارتدّ بصيراً وقال لهم: ما فعل ابن ياميل؟ قالوا: خلّفناه عند أخيه صالحاً، قال: فحمد الله يعقوب عند ذلك وسجد لربّه سجدة الشكر ورجع إليه بصره وتقوّم له ظهره، وقال لولده: تحمّلوا إلى يوسف في يومكم هذا بأجمعكم، فساروا إلى يوسف ومعهم يعقوب وخالة يوسف ياميل، فأحثّوا السير فرحاً وسروراً فساروا تسعة أيّام إلى مصر[3].

١٤١ - **شي**: عن محمّد بن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ فقال: أخّرهم إلى السحر، قال: يا ربّ إنّما ذنبهم فيما بيني وبينهم، فأوحى الله إليه: إنّي قد غفرت لهم[4].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٦ ح ٧٨ من سورة يوسف. (٢) دعوات الراوندي، ص ٥٢.

(٣) - (٤) - تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٧ ح ٧٩-٨١ من سورة يوسف.

١٤٢ - شي: عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ قال: أخّرهم إلى السحر ليلة الجمعة(١).

١٤٣ - شي: عن أبي بصير في تتمّة الخبر الأوّل عن أبي جعفر عليه السلام قال: فصاروا تسعة أيّام إلى مصر، فلمّا دخلوا على يوسف في دار الملك اعتنق أباه فقبّله وبكى ورفعه ورفع خالته على سرير الملك، ثمّ دخل منزله فادّهن واكتحل ولبس ثياب العزّ والملك، ثمّ خرج إليهم فلمّا رأوه سجدوا جميعاً له إعظاماً له وشكراً لله، فعند ذلك قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ﴾ إلى قوله: ﴿بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ قال: ولم يكن يوسف في تلك العشرين السنّة يدّهن ولا يكتحل ولا يتطيّب ولا يضحك ولا يمسّ النساء حتّى جمع الله ليعقوب عليه السلام شمله وجمع بينه وبين يعقوب وإخوته(٢).

بيان: قال الرازيّ: اختلفوا في مقدار المدّة بين هذا الوقت وبين وقت الرؤيا، فقيل: ثمانون سنة؛ وقيل: سبعون؛ وقيل: أربعون سنة، وهو قول الأكثرين، ولذلك يقولون: إن تأويل الرؤيا ربّما صحّت بعد أربعين سنة؛ وقيل: ثمانية عشر سنة؛ وعن الحسن أنّه ألقي في الجبّ ابن سبع عشرة سنة وبقي في العبوديّة والسجن والملك ثمانين سنة، ثمّ وصل إلى أبيه وأقاربه وعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة، فكان عمره مائة وعشرين سنة والله أعلم بالحقائق(٣).

١٤٤ - شي: عن الحسن بن أسباط قال: سألت أبا الحسن عليه السلام في كم دخل يعقوب من ولده على يوسف؟ قال: في أحد عشر ابناً له، فقيل له: أسباط؟ قال: نعم. وسألته عن يوسف وأخيه أكان أخاه لأمّه أم ابن خالته؟ فقال: ابن خالته(٤).

بيان: هذا الخبر يدلّ على أنّ بنيامن لم يكن من أمّ يوسف بل من خالته، وإنّما دعاه أخاً من أمّه مجازاً كما تجوز في قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ وهو قول جماعة من المفسّرين والمؤرّخين.

١٤٥ - شي: عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قال: العرش: السرير، وفي قوله: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ قال: كان سجودهم ذلك عبادة لله(٥).

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٧ ح ٧٩-٨١ من سورة يوسف.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٨ ح ٨٣ من سورة يوسف.
(٣) تفسير فخر الرازي، ج ١٨ المجلد ٦ ص ٥١٢.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٨٤ من سورة يوسف.
(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٨٥ من سورة يوسف.

١٤٦ - شي: عن محمّد بن بهروز، عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إنّ يعقوب قال ليوسف حيث التقيا: أخبرني يا بنيّ كيف صنع بك؟ فقال له يوسف: انطلق بي فأُقعدت على رأس الجبّ فقيل لي: انزع القميص، فقلت لهم: إنّي أسألكم بوجه أبي الصدّيق يعقوب أن لا تبدوا عورتي ولا تسلبوني قميصي، قال: فأخرج عليّ فلان السكّين؛ فغشي على يعقوب، فلمّا أفاق قال له يعقوب: حدّثني كيف صنع بك؟ فقال له يوسف: إنّي أطالب يا أبتاه لمّا كففت، فكفّ[1].

١٤٧ - شي: عن إسحاق بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ الله بعث إلى يوسف وهو في السجن: يا ابن يعقوب ما أسكنك مع الخطّائين؟ قال: جرمي، قال: فاعترف بجرمه فأُخرج، فاعترف بمجلسه منها مجلس الرجل من أهله، فقال له: ادع بهذا الدعاء: «يا كبير كلّ كبير يا من لا شريك له ولا وزير، يا خالق الشمس والقمر المنير يا عصمة المضطرّ الضرير، يا قاصم كلّ جبّار عنيد، يا مغني البائس الفقير، يا جابر العظم الكسير، يامطلق المكبّل الأسير، أسألك بحقّ محمّد وآل محمّد أن تجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً وترزقني من حيث أحتسب ومن حيث لا أحتسب» قال: فلمّا أصبح دعاه الملك فخلّى سبيله وذلك قوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[2].

١٤٨ - شي: عن عبّاس بن يزيد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في أهل بيته إذ قال: أحبّ يوسف أن يستوثق لنفسه، قال: فقيل: بماذا يا رسول الله؟ قال: لمّا عزل له عزيز مصر عن مصر لبس ثوبين جديدين - أو قال: لطيفين - وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى ركعات، فلمّا فرغ رفع يده إلى السماء فقال: «ربّ قد آتيتني من الملك وعلّمتني من تأويل الأحاديث فاطر السماوات والأرض أنت وليّي في الدنيا والآخرة» قال: فهبط إليه جبرئيل فقال له: يا يوسف ما حاجتك؟ فقال: «ربّ توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين» فقال أبو عبد الله عليه السلام: خشي الفتن[3].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٠٩ ح ٨٦ من سورة يوسف.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٠ ح ٨٨ من سورة يوسف.

وقال المصنف: قال الطبرسي رحمه الله: قال المفسرون: لما جمع الله سبحانه ليوسف شمله واقر له عينه وأتم له رؤياه ووسع عليه في ملك الدنيا ونعيمها علم ان ذلك لا يبقى له ولا يدوم فطلب من الله عز وجل نعيماً لا يفنى وتاقت نفسه إلى الجنة فتمنى الموت ودعى به، ولم يتمن ذلك قبله ولا بعده احد، قيل: فتوفاه الله بمصر وهو نبي فدفن في النيل في صندوق من رخام، وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحبّ أن يدفن في محلته لما كانوا يرجون من بركته فرأوا ان يدفنوه في النيل فيمر عليه الماء ثم يصل إلى جميع مصر فيكون كلهم فيه شركاء وفي بركته شرعاً سواء فكان قبره في النيل إلى ان حمله موسى حين خرج من مصر. «منه رحمه الله». [مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٥٩].

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١٠ ح ٨٩ من سورة يوسف.

أقول: ذكر السيّد في سعد السعود نقلاً عن ترجمة التوراة أنّ إخوة يوسف باعوه بعشرين مثقالاً من فضّة، وأنّ عمره كان عشرين سنة، وأنّ عمر يعقوب كان مائة وسبعاً وأربعين سنة، وأنّ يوسف بكى على أبيه سبعة أيّام، وناح المقرّبون عليه سبعين يوماً، وأنّ عمر يوسف كان مائة وعشرين سنة، ثمّ قال: وذكر محمّد بن خالد البرقيّ في كتاب المبتدأ أنّ عمره يوم باعوه كان ثلاثة عشر سنة[1].

أقول: وجدت في كتاب الفهرست لأبي غالب الزراريّ ماهذا لفظه: أبوحمزة البطائنيّ اسمه سالم روي عنه أنّ صاع يوسف كان يصوت بصوت حسن: واحد واثنان.

تذنيب: في حلّ ما يورد من الاشكال على ما مرّ من الآيات والأخبار وفيه فصول:

الأول: فيما يتعلّق بأحوال يعقوب ولنذكر هنا بعض ما أورده السيّد قدّس الله روحه في كتاب تنزيه الأنبياء.

قال: فإن قيل: فما معنى تفضيل يعقوب ليوسف عليه السلام على إخوته في البرّ والتقريب والمحبّة حتّى أوقع ذلك التحاسد بينهم وبينه وأفضى إلى الحال المكروهة الّتي نطق بها القرآن حتّى قالوا على ما حكاه الله تعالى عنهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فنسبوه إلى الضلال والخطاء؟ وليس لكم أن تقولوا: إنّ يعقوب عليه السلام لم يعلم بذلك من حالهم قبل أنّ يكون منه التفضيل ليوسف عليه السلام لأنّ ذلك لا بدّ من أن يكون معلوماً من حيث كان في طباع البشر التنافس والتحاسد.

الجواب: قيل له: ليس فيما نطق به القرآن مايدلّ على أنّ يعقوب فضّله بشيء من فعله، لأنّ المحبّة الّتي هي ميل الطباع ليست ممّا يكتسبه الإنسان ويختاره، وإنّما ذلك موقوف على فعل الله تعالى فيه، ولهذا يكون للرجل عدّة أولاد فيحب أحدهم دون غيره، وربما كان المحبوب أدونهم في الجمال والكمال، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ وإنّما أراد ما بيّناه من ميل النفس الّذي لا يمكن الإنسان أن يعدل فيه بين نسائه، لأنّ ما عدا ذلك من البرّ والعطاء والتقريب وما أشبهه يستطيع الإنسان أن يعدل فيه بين النساء.

فإن قيل: فكأنكم نفيتم عن يعقوب عليه السلام القبيح والاستفساد وأضفتموها إلى الله فما الجواب عن المسألة على هذا الوجه؟ قلنا عنها جوابان: أحدها أنّه لا يمتنع أن يكون الله تعالى علم أنّ إخوة يوسف سيكون بينهم ذلك التحاسد والفعل القبيح على كلّ حال وإن لم يفضّل يوسف في محبّة أبيه له.

والجواب الآخر أن يكون ذلك جارياً مجرى التمكين والتكليف الشاقّ، لأنّ هؤلاء الاخوة متى امتنعوا من حسد أخيهم والبغي عليه والإضرار به وهو غير مفضّل عليهم ولا مقدم

---

(١) سعد السعود ص ٤٣.

لا يستحقون من الثواب ما يستحقّونه إذا امتنعوا من ذلك مع التقديم والتفضيل فأراد الله تعالى منهم أن يمتنعوا على هذا الوجه الشاقّ، وإذا كان مكلّفاً على هذا الوجه فلا استفساد في تمييله طباع أبيهم إلى محبّة يوسف عليه السلام لأنّ بذلك ينتظم هذا التكليف ويجري هذا الباب مجرى خلق إبليس مع علمه تعالى بضلال من ضلّ عند خلقه ممّن لو لم يخلقه لم يكن ضالاً، ومجرى زيادة الشهوة فيمن يعلم تعالى أنّه عند هذه الزيادة يفعل قبيحاً لولاها لم يفعله.

ووجه آخر في الجواب عن أصل المسألة وهو أنّه يجوز أن يكون يعقوب عليه السلام كان مفضّلاً ليوسف عليه السلام في العطاء والتقريب والترحيب والبرّ الّذي وصل إليه من جهته، وليس ذلك بقبيح لأنّه لا يمتنع أن يكون يعقوب عليه السلام لم يعلم أنّ ذلك يؤدّي إلى ما أدى إليه، ويجوز أن يكون رأى من سيرة إخوته وسدادهم وجميل ظاهرهم ما غلب على ظنّه أنّهم لا يحسدونه وإن فضله عليهم، فإنّ الحسد وإن كان كثيراً ما يكون في الطباع فإنّ كثيراً من النّاس يتنزّهون عنه ويتجنّبونه، ويظهر من أحوالهم أمارات يظنّ معها بهم ما ذكرناه، وليس التفضيل لبعض الأولاد على بعض في العطاء محاباة، لأنّ المحاباة هي مفاعلة من الحباء، ومعناها أن تحبو غيرك ليحبوك، وهذا خارج عن معنى التفضيل بالبرّ الّذي لا يقصد به إلى ما ذكرناه، فأمّا قولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ فلم يريدوا به الضلال عن الدين، وإنّما أرادوا الذهاب عن التسوية بينهم في العطيّة، لأنّهم رأوا أنّ ذلك أصوب في تدبيرهم، وأصل الضلال هو العدول، وكلّ من عدل عن شيء وذهب عنه فقد ضلّ، ويجوز أيضاً أن يريدوا بذلك الضلال عن الدين، لأنّهم خبّروا عن اعتقادهم، وقد يجوز أن يعتقدوا في الصواب الخطاء.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقع من إخوة يوسف هذا الخطاء العظيم والفعل القبيح وقد كانوا أنبياء؟ فإن قلتم: لم يكونوا أنبياء في الحال قيل لكم: وأيّ منفعة في ذلك لكم وأنتم تذهبون إلى أنّ الأنبياء لا يواقعون القبائح قبل النبوّة ولا بعدها؟ قلنا: لم يقم الحجّة بأن إخوة يوسف الّذين فعلوا به ما فعلوه كانوا أنبياء في حال من الاحوال، وإذا لم يقم بذلك الحجّة جاز على هؤلاء الاخوة من فعل القبيح ما يجوز على كلّ مكلّف لم تقم حجّة بعصمته، وليس لأحد أن يقول: كيف تدفعون نبوّتهم والظاهر أنّ الأسباط من بني يعقوب كانوا أنبياء؟ لأنّه لا يمتنع أن يكون الاسباط الّذين كانوا أنبياء غير هؤلاء الاخوة الّذين فعلوا بيوسف ما قصه الله تعالى عنهم، وليس في ظاهر الكتاب أنّ جميع إخوة يوسف وسائر أسباط يعقوب كادوا يوسف عليه السلام بما حكاه الله تعالى من الكيد، وقد قيل: إنّ هؤلاء الاخوة في تلك الحال لم يكونوا بلغوا الحلم ولا توجه إليهم التكليف، وقد يقع ممّن قارب البلوغ من الغلمان مثل هذه الأفعال، وقد يلزمهم بعض العتاب واللّوم، فإن ثبت هذا الوجه سقطت المسألة أيضاً مع تسليم أنّ هؤلاء الإخوة كانوا أنبياء في المستقبل انتهى كلامه رحمه الله [١].

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٤٣.

أقول: الأظهر في الجواب هو ما أومئ إليه من أنّ التفضيل بين الاولاد في العطاء والمحبّة والإكرام إذا كان لامر دينيّ ولفضيلة واقعيّة لم يدلّ دليل على كونه مرجوحاً، بل دلّت الأخبار المعتبرة على رجحانه كما سيأتي في بابه، فعلى هذا لاحرج في تفضيل يعقوب يوسف مع علمه بأنّه سيكون من الأنبياء والصدّيقين عليهم، ولا يوجب العلم بحسد الاخوة ترك أمر راجح دينيّ يقتضيه العقل والشرع، وأمّا خطاء الاخوة فقد عرفت بما مرّ من الأخبار أنّهم لم يكونوا من الأنبياء، وذهب كثير من العامّة أيضاً إلى ذلك، فلا يستبعد منهم صدور الذنب، ولكن دلّت الآية ظاهراً والأخبار صريحاً على أنّهم فارقوا الدنيا تائبين مغفورين كما عرفت.

ثمّ قال قدّس الله روحه: مسألة: فإن قال: فلم أرسل يعقوب عليه السلام يوسف مع إخوته مع خوفه عليه منهم، وقوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ وهل هذا إلا تغرير به ومخاطرة؟

الجواب: قيل له: ليس يمتنع أن يكون يعقوب لمّا رأى من بنيه ما رأى من الإيمان والعهود والاجتهاد في الحفظ والرعاية لأخيهم ظنّ مع ذلك السّلامة، وغلّب النجاة بعد أنّ كان خائفاً مغلباً لغير السّلامة، وقوي في نفسه أن يرسله معهم إشفاقه من إيقاع الوحشة والعداوة بينهم، لأنّه إذا لم يرسله مع الطلب منهم والحرص علموا أنّ سبب ذلك هو التهمة لهم والخوف من ناحيتهم واستوحشوا منه ومن يوسف عليه السلام وانضاف هذا الداعي إلى ما ظنه من السلامة والنجاة فأرسله.

مسألة: فإن قال: فما معنى قولهم ليعقوب عليه السلام: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ وكيف يجوز أنّ ينسبوه إلى أنّه لا يصدق الصادق ويكذّبه؟

الجواب: إنّهم لمّا علموا على مرور الايّام شدّة تهمة أبيهم لهم وخوفه على أخيهم منهم لمّا كان يظهر منهم من أمارات الحسد والنفاسة أيقنوا بأنّه يكذّبهم فيما أخبروا به من أكل الذئب أخاهم فقالوا له: إنّك لا تصدّقنا في هذا الخبر لماسبق إلى قلبك من تهمتنا وإن كنّا صادقين، وقد يفعل مثل ذلك المخادع المماكر إذا أراد أن يوقع في قلب من يخبره بالشيء ليصدّقه فيقول له: أنا أعلم أنّك لا تصدّقني في كذا وكذا وإن كنت صادقاً، وهذا بيّن.

مسألة: فإن قال: فلمَ أسرف يعقوب عليه السلام في الحزن والتهلك وترك التماسك حتّى ابيضّت عيناه من البكاء؟ ومن شأن الأنبياء التجلّد والتصبّر وتحمّل الاثقال ولهذه الحالة ما عظمت منازلهم وارتفعت درجاتهم.

الجواب: قيل له: إنّ يعقوب عليه السلام بلي وامتحن في ابنه بما لم يمتحن به أحد قبله، لأنّ الله تعالى رزقه من يوسف أحسن النّاس وأجملهم وأكملهم علماً وفضلاً وأدباً وعفافاً، ثمّ أصيب به أعجب مصيبة وأطرفها، لأنّه لم يمرض بين يديه مرضاً يؤول إلى الموت فيسليه عنه تمريضه له ثمّ ييئس منه بالموت، بل فقده فقداً لا يقطع معه على الهلاك فيأس ولا يجد أمارة

على حياته وسلامته فيرجو ويطمع، فكان متردّد الفكر بين يأس وطمع وهذا أغلظ ما يكون على الإنسان وأنكى لقلبه، وقد يرد على الإنسان من الحزن ما لايملك رده ولا يقوى على دفعه، ولهذا لم يكن أحد منهيّاً عن مجرّد الحزن والبكاء، وإنّما نهي عن اللّطم والنوح وأن يطلق لسانه بما يسخط ربّه، وقد بكى نبيّنا ﷺ على ابنه إبراهيم عند وفاته وقال: «العين تدمع، والقلب يخشع، ولا نقول ما يسخط الربّ» وهو عليه الصلاة والسلام القدوة في جميع الآداب والفضائل؛ على أنّ يعقوب عليه السلام إنّما أبدى من حزنه يسيراً من كثير، وكان ما يخبه ويتصبر عليه ويغالبه أكثر وأوسع ممّا أظهره، وبعد فإن التجلد على المصائب وكظم الحزن من المندوب إليه، وليس بواجب لازم، وقد يعدل الأنبياء عليهم السلام عن كثير من المندوبات. انتهى كلامه رفع الله مقامه[1].

أقول: قد حققنا في بعض كتبنا أنّ محبّة المقرّبين لاولادهم وأقربائهم وأحبّائهم ليست من جهة الدواعي النفسانيّة والشهوات البشريّة، بل تجرّدوا عن جميع ذلك، وأخلصوا حبّهم وودّهم وإرادتهم لله، فهم ما يحبّون سوى الله تعالى، وحبّهم لغيره تعالى إنّما يرجع إلى حبّهم له، ولذا لم يحبّ يعقوب عليه السلام من سائر أولاده مثل ما أحبّ يوسف عليه السلام وهم لجهلهم بسبب حبه له نسبوه إلى الضلال وقالوا: نحن عصبة ونحن أحقّ بأن نكون محبوبين له، لأنّا أقوياء على تمشية ما يريده من أمور الدنيا، فقرط حبّه ليوسف إنّما كان لحبّ الله تعالى له واصطفائه إيّاه، ومحبوب المحبوب محبوب، فإفراطه في حبّ يوسف لا ينافي خلوص حبه لربّه، ولا يخلُّ بعلوّ قدره ومنزلته عند سيّده، وسيأتي الكلام في ذلك على وجه أبسط في محلّه، وفيما أوردته كفاية لأولي الألباب.

ثمّ قال رحمه الله: **مسألة:** فإن قال: كيف لم يتسلّ يعقوب عليه السلام ويخفّف عنه الحزن ما تحقّقه من رؤيا ابنه يوسف ورؤيا الأنبياء لا تكون إلّا صادقة؟

الجواب: قيل له: عن ذلك جوابان: أحدهما أنّ يوسف عليه السلام رأى تلك الرؤيا وهو صبيّ غير نبيّ ولا موحى إليه، فلا وجه في تلك الحال للقطع على صدقها وصحّتها. والآخر: إنّ أكثر ما في هذا الباب أن يكون يعقوب عليه السلام قاطعاً على بقاء ابنه وأنّ الأمر سيؤول فيه إلى ما تضمّنته الرؤيا، وهذا لا يوجب نفي الحزن والجزع، لأنّا نعلم أنّ طول المفارقة واستمرار الغيبة تقتضيان الحزن مع القطع على أنّ المفارق باق يجوز أن يؤول حاله إلى القدوم، وقد جزع الأنبياء عليهم السلام ومن جرى مجراهم من المؤمنين المطهّرين من مفارقة أولادهم وأحبّائهم مع ثقتهم بالالتقاء بهم في الآخرة والحصول معهم في الجنّة، والوجه في ذلك ما ذكرناه. انتهى كلامه رحمه الله[2].

الفصل الثاني: في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾

---

(١) - (٢) تنزيه الأنبياء، ص ٤٥.

ولنذكر هنا ما أورده الرازيّ في تفسيره في هذا المقام فإن اعتراف الخصم أجدى لاتمام المرام:

قال: اعلم أنّ هذه الآية من المهمّات الّتي يجب الاعتناء بالبحث عنها، وفي هذه الآية مسائل.

المسألة الاولى: في أنّه عليه السلام هل صدر عنه ذنب أم لا؟ وفي هذه المسألة قولان:

أحدهما أنّ يوسف عليه السلام همّ بالفاحشة، قال الواحديّ في كتاب البسيط: قال المفسّرون الموثوق بعلمهم المرجوع إلى روايتهم: همّ يوسف أيضاً بهذه المرأة همّاً صحيحاً، وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلمّا رأى البرهان من ربّه زالت كلّ شهوة عنه. قال أبو جعفر الباقر بإسناده عن عليّ أنّه قال: طمعت فيه وطمع فيها، وكان طمعه فيها أنّه هم أن يحل التكّة. وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: حلّ الهميان وجلس منها مجلس الخائن، وعنه أيضاً أنّها استلقت له وقعد هو بين رجليها ينزع ثيابه. ثم إنّ الواحديّ طول في كلمات عديمة الفائدة في هذا الباب، وما ذكر آية يحتجّ بها، أو حديثاً صحيحاً يعوّل عليه في تصحيح هذه المقالة، ولمّا أمعن في الكلمات العارية عن الفائدة روى أنّ يوسف لمّا قال: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ قال له جبرئيل: ولا حين هممت يا يوسف؟ فقال يوسف عند ذلك: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي﴾ ثمّ قال: والّذين أثبتوا هذا العمل ليوسف كانوا أعرف بحقوق الأنبياء وارتفاع منازلهم عند الله من الّذين نفوا لهم عنه! فهذا خلاصة كلامه في هذا الباب.

والقول الثاني أنّ يوسف عليه السلام كان بريئاً من العمل الباطل والهمّ المحرّم، وهذا قول المحقّقين من المفسّرين والمتكلّمين وبه نقول وعنه نذب.

واعلم أنّ الدلائل الدالّة على وجوب عصمة الأنبياء عليهم السلام كثيرة استقصيناها في سورة البقرة في قصّة آدم عليه السلام فلا نعيدها إلاّ أنّا نزيد ههنا وجوهاً:

فالحجة الاولى: إنّ الزنا من منكرات الكبائر، والخيانة من معرض الأمانة من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم الدائم بالإساءة الموجبة للفضيحة الباقية والعار الشديد من منكرات الذنوب، وأيضاً الصبيّ إذا تربّى في حجر إنسان وبقي مكفيّ المؤونة مصون العرض من أوّل صباه إلى زمان شبابه وكمال قوّته فإقدام هذا الصبيّ على إيصال أقبح أنواع الاساءة إلى ذلك المنعم من منكرات الأعمال.

إذا ثبت هذا فنقول: إنّ هذه المعصية الّتي نسبوها إلى يوسف كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربعة، ومثل هذه المعصية لو نسبت إلى أفسق خلق الله وأبعدهم عن كلّ خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسناده إلى الرسول المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة؟

الثاني: أنّه تعالى قال في عين هذه الواقعة: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وذلك يدلّ على أنّ ماهيّة السوء وماهيه الفحشاء مصروفة عنه، ولا شكّ أنّ المعصية الّتي

نسبوها إليه أعظم أنواع السوء وأفحش أقسام الفحشاء، فكيف يليق بربّ العالمين أن يشهد في عين هذه الواقعة بكونه بريئاً من السوء والفحشاء مع أنّه كان قد أتى بأعظم أنواع السوء والفحشاء؟! وأيضاً فالآية تدلّ على قولنا من وجه آخر: وذلك لأنّا نقول: هب أنّ هذه الآية لا تدلّ على نفي هذه المعصية عنه إلا أنّه لاشك أنّها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ ولا يليق بحكمة الله تعالى أن يحكي عن إنسان إقدامه على معصية عظيمة ثمّ إنّه يمدحه ويثني عليه بأعظم المدائح والاثنية عقيب أن يحكي عنه ذلك الذنب العظيم، فإنّ مثاله ما إذا حكى السلطان عن بعض عبيده أقبح الذنوب وأفحش الأعمال ثمّ يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه، فإنّ ذلك يستنكر جدّاً فكذا ههنا.

الثالث: أنّ الأنبياء متى صدرت عنهم زلة أوهفوة استعظموا ذلك وأتبعوها بإظهار الندامة والتوبة والتواضع، ولو كان يوسف أقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال أن لا يتبعها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع، وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا أنّه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنبٌ ولا معصيةٌ.

الرابع: أنّ كلّ من كان له تعلّق بتلك الواقعة فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام عن المعصية.

واعلم أنّ الّذين لهم تعلّق بهذه الواقعة: يوسف، وتلك المرأة، وزوجها، والنسوة، والشهود، وربّ العالمين شهد ببراءته عن الذنب، وإبليس أيضاً أقرّ ببراءته عن المعصية، وإذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقّف في هذا الباب. أمّا بيان أنّ يوسف عليه السلام ادعى البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام: ﴿هِيَ رَٰوَدَتۡنِي عَن نَّفۡسِيۚ﴾ وقوله عليه السلام ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ وأمّا بيان أنّ المرأة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة: ﴿وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ وأيضاً قالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ وأمّا بيان أنّ زوج المرأة أقرّ بذلك فهو قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ۝٢٨ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ﴾ وأمّا النسوة فلقولهن: ﴿ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وقولهن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ﴾ وأمّا الشهود فقوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ﴾ إلى آخر الآية؛ وأمّا شهادة الله بذلك فقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ فقد شهد الله تعالى في هذه الآية على طهارته أربع مرات: أوّلها قوله: ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ واللام للتأكيد والمبالغة والثاني قوله: ﴿وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ﴾ أي كذلك لنصرف عنه الفحشاء، والثالث قوله: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ مع أنّه تعالى قال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ۝٦٣﴾ الرابع قوله: ﴿ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ وفيه قراءتان: تارة باسم الفاعل، وتارة باسم المفعول، فوروده باسم الفاعل دلّ على كونه آتياً بالطاعات والقربات مع صفة الاخلاص، ووروده باسم المفعول يدلّ على أنّ الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه

لحضرته، وعلى كلا الوجهين فإنّه من أدل الالفاظ على كونه منزّهاً ممّا أضافوه إليه، وأمّا بيان أنّ إبليس أقر بطهارته فلانه قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ فأقر بأنّه لا يمكنه إغواء المخلصين ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ وكان هذا إقراراً من إبليس بأنّه ما أغواه وما أضله عن طريق الهدى، وعند هذا نقول: هؤلاء الجهال الّذين نسبوا إلى يوسف عليه السلام هذه الفضيحة إن كانوا من أتباع دين الله فليقبلوا شهادة الله على طهارته، وإن كانوا من أتباع إبليس وجنوده فليقبلوا شهادة إبليس على طهارته، ولعلّهم يقولون: كنا في أوّل الامر تلامذة إبليس إلا أنا تخرجنا وزدنا عليه في السفاهة كما قال الحروريّ:

وكنت فتى من جند إبليس فارتقى ... بي الامر حتى صار إبليس من جندي
فلو مات قبلي كنت أحسن بعده ... طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فثبت بهذه الدلائل أنّ يوسف عليه السلام بريء عمّا يقوله هؤلاء الجهّال.

وإذا عرفت هذا فنقول: الكلام على ظاهر هذه الآية يقع في مقامين: المقام الأوّل أن نقول: لا نسلّم أنّ يوسف عليه السلام همّ بها، والدليل عليه أنّه تعالى قال: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ وجواب لولا ههنا مقدم وهو كما يقال: قد كنت من الهالكين لولا اخلصك، وطعن الزجّاج في هذا الجواب من وجهين:

الأوّل: أنّ تقدّم جواب لولا شاذّ وغير موجود في الكلام الفصيح. الثاني: أنّ لولا يجاب باللّام فلو كان الامر على ما ذكرتم لقال: ولقد همّت به ولهمّ بها، وذكر غير الزجّاج سؤالا ثالثاً وهو أنّه لو لم يوجد الهم لما بقي لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة.

واعلم أنّ ما ذكره الزجّاج بعيد لأنّا نسلّم أنّ تأخير جواب لولا حسن جائز إلاّ أنّ جوازه لا يمنع من جواز تقديم هذا الجواب، وكيف ونقل عن سيبويه أنّه قال: إنهم يقدّمون الاهمّ، والّذي همّ بشأنه أعنى، فكان الامر في جواز التقديم والتأخير مربوطاً بشدة الاهتمام، فأمّا تعيين بعض الألفاظ بالمنع فذلك ما لا يليق بالحكمة، وأيضاً ذكر جواب لولا باللاّم جائز، أمّا هذا لا يدلّ على أنّ ذكره بغير اللاّم لايجوز، لأنّا نذكر آية أخرى تدلّ على فساد قول الزجّاج في هذين السؤالين وهو قوله تعالى: ﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

وأما السؤال الثالث وهو أنّه لو لم يوجد الهم لم يبق لقوله: ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ فائدة، فنقول: بل فيه أعظم الفوائد وهو بيان أنّ ترك الهم بها ما كان لعدم رغبته في النساء وعدم قدرته عليهن، بل لاجل أنّ دلائل دين الله منعته عن ذلك العمل، ثمّ نقول: الّذي يدلّ على أنّ جواب لولا ما ذكرناه أنّ لولا يستدعي جواباً وهذ المذكور يصلح جواباً له فوجب الحكم بكونه جواباً له.

لا يقال: إنّا نضمر له جواباً وترك الجواب كثير في القرآن، فنقول: لا نزاع أنّه كثير في

القرآن إلاّ أنّ الاصل أنّ لا يكون محذوفاً، وأيضاً فالجواب إنّما يحسن تركه وحذفه إذا حصل في الملفوظ ما يدلّ على تعيّنه، فههنا بتقدير أن يكون الجواب محذوفاً فليس في اللّفظ ما يدلّ على تعيين ذلك الجواب، فإنّ ههنا أنواعاً من الاضمارات يحسن إضمار كلّ واحد منها، وليس إضمار بعضها أولى من إضمار الباقي فظهر الفرق.

المقام الثاني في الكلام على هذه الآية أن نقول: سلّمنا أنّ الهمّ قد حصل، إلاّ أنا نقول: إنّ قوله: ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ لا يمكن حمله على ظاهره، لأنّ تعليق الهمّ بذات المرأة محال، لأنّ الهمّ من جنس القصد، والقصد لا يتعلّق بالذوات الباقية، فثبت أنّه لا بدّ من إضمار فعل مخصوص يجعل متعلّق ذلك الهم، وذلك الفعل غير مذكور، فهم زعموا أنّ ذلك المضمر هو إيقاع الفاحشة، ونحن نضمر شيئاً آخر يغاير ما ذكروه، وبيانه من وجوه:

الأوّل: المراد أنّه عليه السلام همّ بدفعها عن نفسه ومنعها من ذلك القبيح لأنّ الهمّ هو القصد فوجب أن يحمل في حقّ كلّ واحد على القصد الّذي يليق به، فاللائق بالمرأة القصد إلى تحصيل اللّذّة والتنعم والتمتع، واللائق بالرسول المبعوث إلى الخلق القصد إلى زجر العاصي عن معصيته وإلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقال: هممت بفلان أي بضربه ودفعه.

فإن قالوا: فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فائدة قلنا: بل فيه أعظم الفوائد وبيانه من وجهين: الأوّل أنّه تعالى أعلم يوسف عليه السلام أنّه لوهمّ بدفعها لقتلته، أو لكانت تأمر الحاضرين بقتله، فأعلمه تعالى أنّ الامتناع من ضربها أولى صوناً للنفس عن الهلاك. والثاني أنه عليه السلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به فكان يتمزّق ثوبه من قدّام، وكان في علم الله تعالى أنّ الشاهد يشهد بأن ثوبه لو تمزق من قدام لكان يوسف هو الجاني، ولو كان ثوبه متمزقاً من خلف لكانت المرأة هي الجانية، فالله تعالى أعلمه هذا المعنى فلا جرم لم يشتغل بدفعها عن نفسه، بل ولّى هارباً عنها حتّى صارت شهادة الشاهد حجّة له على براءته عن المعصية.

الوجه الثاني في الجواب: أن نفسّر الهم بالشهوة، وهذا مستعمل في اللّغة الشائعة يقول القائل فيما لا يشتهيه: ما يهمّني هذا؛ وفيما يشتهيه: هذا أهمّ الأشياء إليّ، فسمّى الله تعالى شهوة يوسف همّاً، فمعنى الآية: ولقد اشتهته واشتهاها ولولا أن رأى برهان ربّه لدخل ذلك العمل في الوجود.

الثالث: أن نفسر الهمّ بحديث النفس، وذلك لأنّ المرأة الفائقة في الحسن والجمال إذا تزيّنت وتهيأت للرجل الشابّ القوي فلا بدّ وأن يقع هناك بين الشهوة والحكمة وبيّن النفس والعقل مجاذبات ومنازعات، فتارةً تقوى داعية الطبيعة والشهوة، وتارة تقوى داعية العقل والحكمة، فالهمّ عبارة عن جواذب الطبيعة، ورؤية البرهان عبارة عن جواذب العبوديّة، ومثاله

أنّ الرجل الصالح الصائم في الصيف الصائف إذا رأى الجلّاب المبرّد بالثلج فإنّ طبيعته تحمله على شربه إلاّ أنّ دينه وهداه يمنعه منه، فهذا لا يدلّ على حصول الذنب، بل كلّما كانت هذه الحالة أشدّ كانت القوّة في القيام بلوازم العبوديّة أكمل، فقد ظهر بحمد الله صحة القول الّذي ذهبنا إليه، ولم يبق في يد الواحديّ إلاّ مجرد التصلّف وتعديد أسماء المفسّرين، ولو كان قد ذكر في تقرير ذلك شبهة لاجبنا عنها إلاّ أنّه مازاد على الرواية عن بعض المفسّرين.

واعلم أنّ بعض الحشويّة روى عن النبيّ صلّى الله عليه أنّه قال: ماكذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، فقلت: الأولى أنّ لا يقبل مثل هذه الاخبار، فقال - على طريق الاستكار -: فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواة، فقلت له: يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم، وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواة، ولا شكّ أنّ صون إبراهيم عليه السلام عن الكذب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب، إذا عرفت هذا الاصل فنقول للواحديّ: ومن الّذين يضمن لنا أنّ الّذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسّرين كانوا صادقين أم كاذبين؟!

المسألة الثانية: في أنّ المراد بذلك البرهان ما هو؟ أمّا المحقّقون المثبتون للعصمة فقد فسّروا رؤية البرهان بوجوه:

الأوّل: أنّه حجّة الله تعالى في تحريم الزنا، والعلم بما على الزاني من العقاب.

والثاني: أنّ الله تعالى طهّر نفوس الأنبياء عن الاخلاق الذميمة، بل نقول: إنّه تعالى طهّر نفوس المتّصلين بهم عنها، كما قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فالمراد برؤية البرهان هو حصول تلك الأخلاق وتذكير الأحوال الرادعة لهم عن الإقدام على المنكرات.

الثالث: أنّه رأى مكتوباً في سقف البيت: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾.

الرابع: أنّه النبوّة المانعة من ارتكاب الفواحش، والدليل عليه أنّ الأنبياء بعثوا لمنع الخلق عن القبائح والفضائح، فلو أنّهم منعوا النّاس عنها ثمّ أقدموا على أقبح أنواعها وأفحش أقسامها لدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ وأيضاً إنّ الله تعالى عيّر اليهود بقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ وما يكون عيباً في حقّ اليهود كيف ينسب إلى الرسول المؤيّد بالمعجزات؟!

وأما الّذين نسبوا المعصية إلى يوسف عليه السلام فقد ذكروا في تفسير ذلك البرهان أموراً:

الأول: قالوا: إنّ المرأة قامت إلى صنم مكلّل بالدرّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال يوسف: ولِمَ؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني على المعصية، فقال يوسف: تستحي من صنم لا يعقل ولا يسمع، ولا أستحي من إلهي القائم على كلّ نفس بما كسبت؟! فوالله لا أفعل ذلك أبداً، قالوا: فهذا هو البرهان.

الثاني: نقلوا عن ابن عبّاس أنّه مثّل له يعقوب فرآه عاضّاً على أصابعه ويقول له: أتعمل عمل الفجّار وأنت مكتوب في زمرة الأنبياء؟ فاستحيى منه، قالوا: هو قول عكرمة ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والضحّاك ومقاتل وابن سيرين، قال سعيد بن جبير: تمثّل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت شهوته من أنامله.

الثالث: قالوا: إنّه سمع في الهواء قائلاً يقول: يا ابن يعقوب لا تكن كالطير يكون له ريش فإذا زنى ذهب ريشه.

والرابع: نقلوا عن ابن عبّاس أنّ يوسف لم يزدجر برؤية صورة يعقوب حتّى ركضه جبرئيل عليه السلام فلم يبق فيه شيء من الشهوة إلاّ خرج.

ولما نقل الواحديّ هذه الروايات تصلّف وقال: هذا الّذي ذكرناه قول أئمّة التفسير الّذين أخذوا التأويل عمّن شاهد التنزيل، فيقال له: إنّك لا تأتينا البتّة إلاّ بهذه التصلّفات الّتي لا فائدة فيها، فأين الحجّة والدليل؟ وأيضاً فإنّ ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز، وإنّه عليه السلام كان ممتنعاً عن الزنا بحسب الدلائل الأصليّة، فلمّا انضاف إليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز، والعجب أنّهم نقلوا أنّ جرواً دخل تحت حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وبقي هناك بغير علمه، قالوا: فامتنع جبرئيل من الدخول عليه أربعين يوماً، وههنا زعموا أنّ يوسف حال اشتغاله بالفاحشة ذهب إليه جبرئيل، والعجب أيضاً أنّهم زعموا أنّه لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب حضور جبرئيل! ولو أنّ أفسق الخلق وأكفرهم كان مشغولاً بفاحشة فإذا دخل عليه رجل صالح على زيّ الصالحين استحيى منه وفرّ وترك ذلك العمل، وههنا رأى يعقوب عضّ على أنامله ولم يلتفت! ثمّ إنّ جبرئيل على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع أيضاً عن ذلك القبيح بسبب حضوره حتّى احتاج جبرئيل إلى أن ركضه على ظهره! نسأل الله تعالى أن يصوننا عن العمى في الدين والخذلان في طلب اليقين، فهذا هو الكلام الملخص في هذه المسألة. انتهى[١].

أقول: قد عرفت أنّ الوجهين اللّذين اختارهما أومأ الرضا عليه السلام إلى أحدهما في خبر أبي الصلت حيث قال: وأمّا قوله عزّ وجلّ في يوسف: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾ فإنها همّت بالمعصية وهمّ يوسف بقتلها إن أجبرته لعظم ما داخله فصرف الله عنه قتلها والفاحشة، وهو قوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ﴾ يعني القتل ﴿وَٱلْفَحْشَآءَ﴾ يعني الزنا، وأشار إليهما معاً في خبر ابن الجهم حيث قال: لقد همّت به، ولولا أن رأى برهان ربّه لهمّ بها كما همّت، لكنّه كان معصوماً والمعصوم لا يهمّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدّثني أبي، عن أبيه الصادق عليه السلام أنّه قال: همّت بأن تفعل وهمّ بأن لا يفعل.

أقول: لا يتوهّم خطاء في قصده القتل، إذ الدفع عن العرض والاحتراز عن المعصية لازم

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٨ المجلد ٦ ص ٤٣٩.

وإن انجرّ إلى القتل، ولكنّ الله تعالى نهاه عند ذلك لمصلحة: إمّا لئلا يقتل قوداً، أو لئلا يتّهم بسوء كما يومئ إليهما: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ﴾ أو لغير ذلك من المصالح ويمكن أن يكون في شرعه عليه السلام قتل مريد مثل هذا الأمر مجوّزاً، وعلى الخبر الأخير يمكن أن يكون المراد برؤية برهان ربّه نزول جبرئيل عليه تعبيراً عن النبوّة بما يلزمه.

ثم اعلم أنّ الأخبار الأخر الموافقة لجماعة كثيرة من المخالفين فظاهر أنّها محمولةٌ على التقية، وقد اتّضح ذلك من الأخبار أيضاً، وأمّا أخبار إلقاء الثوب فإذا لم نحملها على التقيّة فليس فيها تصريح بأنّ ذلك وقع بعد قصد الفاحشة أو رضاه عليه السلام بما همّت به، ولعلّه تعالى سبّب ذلك تأييداً للعصمة وإلقاءً للحجّة الّتي يحتجّ بها يوسف عليه السلام عليها كما أومأ إليه الرازيّ أيضاً.

الفصل الثالث: في معنى سجودهم له عليه السلام.

أقول: قد ذكرنا بعض ما يناسب هذا المقام في باب سجود الملائكة لآدم عليه السلام وقد أوردنا في هذا الباب الّذي نحن فيه الأخبار الواردة في توجيه ذلك، ولنذكر هنا ما ذكره الرازيّ في هذا المقام لكمال الإيضاح، قال: وأمّا قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا﴾ ففيه إشكال، وذلك لأنّ يعقوب كان أبا يوسف وحق الأبوّة حقّ عظيم، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ فقرن حقّ الوالدين بحقّ نفسه، وأيضاً أنّه كان شيخاً والشابّ يجب عليه تعظيم الشيخ. والثالث: أنّه كان من أكابر الأنبياء، ويوسف وإن كان نبيّاً إلاّ أنّ يعقوب كان أعلى حالاً منه. والرابع: أنّ جدّه واجتهاده في تكثير الطاعات أكثر من جدّ يوسف، ولمّا اجتمعت هذه الجهات الكثيرة فهذا يوجب أن يبالغ يوسف في خدمة يعقوب، فكيف استجاز يوسف أن يسجد له يعقوب؟ هذا تقرير السؤال. والجواب عنه من وجوه:

الأوّل: وهو قول ابن عبّاس في رواية عطا: أنّ المراد بهذه الآية أنّهم خرّوا له، أي لأجل وجدانه سجّداً لله، وحاصله أنّه كان ذلك سجود الشكر، فالمسجود له هو الله إلاّ أنّ ذلك السجود إنّما كان لأجله، والدليل على صحّة هذا التأويل أنّ قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا﴾ مشعر بأنّهم صعدوا ذلك السرير ثمّ سجدوا، ولو أنّهم سجدوا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على السرير، لأنّ ذلك أدخل في التواضع.

فإن قالوا: هذا التأويل لا يطابق قوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ والمراد منه قوله: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ قلنا: بل هذا مطابق له، ويكون المراد من قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ أي رأيتهم ساجدين لأجلي، أي أنّها سجدت لله لطلب مصلحتي والسعي في إعلاء منصبي، وإذا كان هذا محتملاً سقط السؤال، وعندي أنّ هذا التأويل متعيّن لأنّه يبعد من عقل يوسف ودينه أن يرضى بأن يسجد له أبوه مع سابقته في حقوق الولادة والشيخوخة والعلم والدين وكمال النبوة.

والوجه الثاني: في الجواب أن يقال: إنّهم جعلوا يوسف كالقبلة وسجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه، وهذا أيضاً تأويل حسن فإنّه يقال: صلّيت للكعبة كما يقال: صلّيت إلى الكعبة. قال حسان:

ما كنت أعرف أنّ الامر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم وأعرف النّاس بالآثار والسنن

وهذا يدلّ على أنّه يجوز أن يقال: فلان صلّي للقبلة، فكذلك يجوز أن يقال: سجد للقبلة، فقوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ أي جعلوه كالقبلة، ثمّ سجدوا لله شكراً لنعمة وجدانه.

الوجه الثالث: في الجواب أنّ التواضع قد يسمّى سجوداً كقوله: ترى الأكم فيها سجداً للحوافر. فكان المراد ههنا التواضع إلاّ أنّ هذا مشكل لأنّه تعالى قال: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ والخرور إلى السجدة مشعرٌ بالإتيان بالسجدة على أكمل الوجوه، وأُجيب عنه بأنّ الخرور يعني به المرور فقط، قال تعالى: ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ يعني لم يمرّوا.

الوجه الرابع: في الجواب: أن نقول: الضمير في قوله: ﴿وَخَرُّوا لَهُ﴾ غير عائد إلى الأبوين لا محالة، وإلا لقال: وخرّا له ساجدين، بل الضمير عائد إلى إخوته وإلى سائر من كان يدخل عليه لأجل التهنئة، فالتقدير: ورفع أبويه على العرش، مبالغة في تعظيمهما وأمّا الإخوة وسائر الداخلين فخرّوا له ساجدين، فإن قالوا: فهذا لا يلائم قوله: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ﴾ قلنا: إنّ تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كلّ الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر تعبيره تعظيم الأكابر من النّاس له، ولاشكّ أنّ ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجل نهاية التعظيم له، فيكفي هذا القدر في صحّة الرؤيا فأمّا أن يكون التعبير مساوياً لأصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يقل بوجوبه أحد من العقلاء.

الوجه الخامس في الجواب: لعلّ الفعل الدالّ على التحيّة والإكرام في ذلك الوقت هو السجود، فكان مقصودهم من السجود تعظيمه وهو في غاية البعد لأنّ المبالغة في التعظيم كانت أليق بيوسف منها بيعقوب، فلو كان الأمر كما قلتم لكان من الواجب أن يسجد يوسف ليعقوب.

الوجه السادس فيه أن يقال: لعلّ إخوته حملتهم الأنفة والاستعلاء على أن لا يسجدوا له على سبيل التواضع، وعلم يعقوب أنّهم لو لم يفعلوا ذلك لصار ذلك سبباً لثوران الفتن وظهور الأحقاد القديمة بعد كمونها، فهو مع جلالة قدره وعظيم حقّه بسبب الأبوّة والشيخوخة والتقدّم في الدين والعلم والنبوّة فعل ذلك السجود حتّى يصير مشاهدتهم لذلك سبباً لزوال تلك الأنفة والنفرة عن قلوبهم.

ألا ترى أنّ السلطان الكبير إذا نصب محتسباً فإذا أراد تربيته مكّنه من إقامة الحسبة عليه ليصير

ذلك سبباً في أن لا يبقى في قلب أحد منازعة ذلك المحتسب في إقامة الحسبة فكذا ههنا.

الوجه السابع: لعلّ الله تعالى أمر يعقوب بتلك السجدة لحكمة خفيّة لا يعرفها إلاّ هو، كما أنّه أمر الملائكة بسجودهم لآدم لحكمة لا يعرفها إلاّ هو، ويوسف ما كان راضياً بذلك في قلبه إلاّ أنّه لمّا علم أنّ الله أمره بذلك سكت.

ثمّ حكى تعالى أنّ يوسف لمّا رأى هذه الحالة قال: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا﴾ وفيه بحثان:

الأوّل: قال ابن عبّاس: لمّا رأى سجود أبويه وإخوته له هاله ذلك واقشعرّ جلده منه وقال ليعقوب: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ وأقول: هذا يقوّي الجواب السابع كأنه يقول: يا أبت لا يليق بمثلك على جلالتك من العلم والدين والنبوّة أن تسجد لولدك إلاّ أنّ هذا أمر أُمرت به وتكليف كلّفت به فإنّ رؤيا الأنبياء حقّ، فكما أنّ رؤيا إبراهيم عليه السلام ذبح ولده صار سبباً لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة فكذلك صارت هذه الرؤيا الّتي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سبباً لوجوب ذلك السجود عليه، فلهذا السبب حكى ابن عبّاس أنّ يوسف لمّا رأى ذلك هاله واقشعر منه جلده، ولكنه لم يقل شيئاً.

وأقول: لا يبعد أن يكون ذلك من تمام تشديد الله تعالى على يعقوب، كأنّه قيل له: أنت كنت دائم الرغبة في وصاله، دائم الحزن بسبب فراقه، فإذا وجدته فاسجد له، فكان الأمر بتلك السجدة من تمام التشديد والله العالم بحقائق الأمور(١).

انتهى ما أردنا إيراده من كلامه، ولا نشتغل بردّ ما حقّقه وقبوله لئلا يطول الكلام وإنّما أوردنا كلامه بطوله ليتّضح لك ما صدر عنهم عليهم السلام في الأخبار السالفة لتوجيه ذلك، ولعلّك لا تحتاج بعد ذلك إلى مزيد إيضاح وبيان؛ ومن الله التوفيق وعليه التكلان.

١٠ - باب قصص أيوب عليه السلام

الآيات: الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾

ص «٣٨»: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أي واذكر أيّوب حين دعا ربّه لمّا اشتدّت المحنة به ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ أي نالني الضرّ وأصابني الجهد ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ وهذا تعريض

---

(١) تفسير فخر الرازي، ج ١٨ المجلد السادس ص ٤٣٦.

منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء[1].

﴿بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ أي بتعب ومكروه ومشقّة؛ وقيل: بوسوسة فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربّك؛ وقيل: بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى وكيف زال ذلك كلّه طمعاً أن يزله بذلك فوجده صابراً مسلماً لأمر الله؛ وقيل: إنّه اشتدّ مرضه حتّى تجنّبه النّاس فوسوس الشيطان إلى النّاس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته الّتي تخدمه أن تدخل عليهم، فكان أيّوب يتأذّى بذلك ويتألّم منه، ولم يشك الألم الّذي كان من أمر الله؛ قال قتادة: دام ذلك سبع سنين، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ أي ادفع برجلك الأرض ﴿هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ وفي الكلام حذف أي فركض برجله فنبعت بركضته عين ماء؛ وقيل: نبعت عينان فاغتسل من إحداهما فبرئ، وشرب من الأُخرى فروي؛ والمغتسل: الموضع الّذي يغتسل فيه؛ وقيل: هو اسم للماء الّذي يغتسل به ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ وهو ملء الكّف من الشماريخ وما أشبه ذلك، أي وقلنا له ذلك، وذلك أنّه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها إن عوفي ليضربنّها مائة جلدة، فقيل له: خذ ضغثاً بعدد ما حلفت ﴿فَاضْرِب بِهِ﴾ أي واضربها به دفعة واحدة، فإنّك إذا فعلت ذلك برّت يمينك ﴿وَلَا تَحْنَثْ﴾ في يمينك.

وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان السبب في ذلك أنّ إبليس لقيها في صورة طبيب فدعته إلى مداواة أيّوب، فقال: أداويه على أنّه إذا برئ قال: أنت شفيتني، لا أريد جزاءً سواه، قالت: نعم، فأشارت إلى أيّوب بذلك، فحلف ليضربنّها؛ وقيل: إنّها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ أي رجاع إلى الله، منقطع إليه.

وروى العياشيّ بإسناده أنّ عبّاد المكّي قال: قال لي سفيان الثوريّ: إنّي أرى لك من أبي عبد الله منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن أُقيم عليه الحدّ خافوا أن يموت ما يقول فيه، فسألته فقال لي: هذه المسألة من تلقاء نفسك أو أمرك بها إنسان؟ فقلت: إنّ سفيان الثوريّ أمرني أن أسألك عنها، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي برجل أحبن قد استسقى بطنه، وبدت عروق فخذيه، وقد زنى بامرأة مريضة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فأُتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وخلّى سبيلهما، وذلك قوله: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ انتهى[2].

أقول: روى الصّدوق في الفقيه بسنده الصحيح عن الحسن بن محبوب، عن حنّان بن سدير، عن عبّاد المكيّ مثله[3]. والحبن محرّكة: داء في البطن يعظم منه ويرم.

١ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن سنان، عن عثمان النوا، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: إنّ الله عزّ وجلّ يبتلي المؤمن بكلّ بليّة ويميته بكلّ

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ١٠٦. (٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٦٤.
(٣) من لا يحضر الفقيه ج ٤ ح ٥٠٠٩.

ميتة، ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله وعلى كلّ شيء منه ولم يسلّط على عقله، ترك له ليوحّد الله به[١].

عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان مثله[٢].

٢ - **كا**، حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد الكنديّ، عن أحمد بن الحسن الميثميّ عن أبان بن عثمان، عن عبد الأعلى مولى آل سام قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: يؤتى بالمرأة الحسناء يوم القيامة الّتي قد افتتنت في حسنها، فتقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت مالقيت، فيجاء بمريم عليها السلام فيقال: أنت أحسن أو هذه؟ قد حسّناها فلم تفتتن، ويجاء بالرجل الحسن الّذي قد افتتن في حسنه، فيقول: يا ربّ حسّنت خلقي حتّى لقيت من النساء ما لقيت؛ فيجاء بيوسف ويقال: أنت أحسن أو هذا؟ قد حسّناه فلم يفتتن، ويجاء بصاحب البلاء الّذي قد أصابته الفتنة في بلائه فيقول: يا ربّ شدّدت عليّ البلاء حتّى افتتنت فيؤتى بأيّوب فيقال: أبليّتك أشدّ أو بليّة هذا؟ فقد ابتلي فلم يفتتن[٣].

٣ - **فس**، أبي، عن ابن فضّال، عن عبد الله بن بحر، عن ابن مسكان، عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن بليّة أيّوب عليه السلام الّتي ابتلي بها في الدنيا لأيّ علّة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا وأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس عن دون العرش، فلمّا صعد ورأى شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً، فسلّطني على دنياه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي إليك شكر نعمة أبداً، فقيل له: قد سلّطتك على ماله وولده، قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلاّ أعطبه، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال: فسلّطني على زرعه يا ربّ، قال: قد فعلت، فجاء مع شياطينه فنفخ فيه فاحترق، فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ سلّطني على غنمه، فسلّطه على غنمه فأهلكها فازداد أيّوب لله شكراً وحمداً، فقال: يا ربّ سلّطني على بدنه، فسلّطه على بدنه ما خلا عقله وعينيه فنفخ فيه إبليس فصار قرحةً واحدة من قرنه إلى قدمه، فبقي في ذلك دهراً طويلاً يحمد الله ويشكره حتّى وقع في بدنه الدود، وكانت تخرج من بدنه فيردّها ويقول لها: ارجعي إلى موضعك الّذي خلقك الله منه، ونتن حتّى أخرجه أهل القرية من القرية وألقوه على المزبلة خارج القرية، وكانت امرأته رحمة بنت يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله صلّى الله عليهم وعليها تتصدّق من النّاس وتأتيه بما تجده.

قال: فلمّا طال عليه البلاء ورأى إبليس صبره أتى أصحاباً له كانوا رهباناً في الجبال وقال لهم: مرّوا بنا إلى هذا العبد المبتلى فنسأله عن بليّته، فركبوا بغالاً شهباً وجاؤوا، فلمّا دنوا

---

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ٦٠ باب ٧٢ ح ٩ و١٠.

(٣) روضة الكافي الموجود مع الأصول ص ٧٨٠ ح ٢٩١.

منه نفرت بغالهم من نتن ريحه، فقرنوا بعضاً إلى بعض ثمّ مشوا إليه، وكان فيهم شابّ حدث السنّ فقعدوا إليه فقالوا: يا أيّوب لو أخبرتنا بذنبك لعلّ الله كان يهلكنا إذا سألناه وما نرى ابتلاءك بهذا البلاء الّذي لم يبتل به أحد إلاّ من أمر كنت تستره، فقال أيّوب: وعزّة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً إلاّ ويتيم أوضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة لله إلاّ أخذت بأشدّهما على بدني، فقال الشابّ: سوأة لكم عمدتم إلى نبيّ الله فعيّرتموه حتّى أظهر من عبادة ربّه ما كان يسترها؟ فقال أيّوب: يا ربّ لو جلست مجلس الحكم منك لأدليت بحجّتي، فبعث الله إليه غمامة فقال: يا أيّوب أدلني بحجّتك فقد أقعدتك مقعد الحكم وها أناذا قريب ولم أزل، فقال: يا ربّ إنّك لتعلم أنّه لم يعرض لي أمران قطّ كلاهما لك طاعة إلاّ أخذت بأشدّهما على نفسي، ألم أحمدك؟ ألم أشكرك؟ ألم أسبّحك؟ قال: فنودي من الغمامة بعشرة آلاف لسان: يا أيّوب من صيّرك تعبد الله والنّاس عنه غافلون؟ وتحمده وتسبّحه وتكبره والنّاس عنه غافلون؟ أتمنّ على الله بما لله المنّ فيه عليك؟.

قال: فأخذ أيّوب التراب فوضعه في فيه، ثمّ قال: لك العتبى يا ربّ أنت الّذي فعلت ذلك بي، قال: فأنزل الله عليه ملكاً فركض برجله فخرج الماء فغسله بذلك الماء، فعاد أحسن ما كان وأطرأ، وأنبت الله عليه روضة خضراء، وردّ عليه أهله وماله وولده وزرعه، وقعد معه الملك يحدّثه ويؤنسه، فأقبلت امرأته ومعها الكسر فلمّا انتهت إلى الموضع إذا الموضع متغيّر وإذا رجلان جالسان، فبكت وصاحت وقالت: يا أيّوب ما دهاك؟ فناداها أيّوب فأقبلت فلمّا رأته وقد ردّ الله عليه بدنه ونعمته سجدت لله شكراً، فرأى ذوائبها مقطوعة، وذلك أنّها سألت قوماً أن يعطوها ما تحمله إلى أيّوب من الطعام وكانت حسنة الذؤابة فقالوا لها: تبيعينا ذؤابتك هذه حتّى نعطيك، فقطعتها ودفعتها إليهم، وأخذت منهم طعاماً لأيّوب، فلمّا رآها مقطوعة الشعر غضب وحلف عليها أن يضربها مائة، فأخبرته أنّه كان سببه كيت وكيت فاغتمّ أيّوب من ذلك، فأوحى الله إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فأخذ مائة شمراخ فضربها ضربة واحدة، فخرج من يمينه.

ثم قال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ قال: فردّ الله عليه أهله الّذين ماتوا قبل البليّة، وردّ عليه أهله الّذين ماتوا بعدما أصابهم البلاء كلّهم أحياهم الله تعالى له فعاشوا معه. وسئل أيّوب بعدما عافاه الله: أي شيء كان أشدّ عليك ممّا مرّ عليك؟ قال: شماتة الأعداء، قال فأمطر الله عليه في داره فراش الذهب وكان يجمعه فإذا ذهب الريح منه بشيء عدا خلفه فردّه، فقال له جبرئيل: ما تشبع يا أيّوب؟ قال: ومن يشبع من رزق ربّه؟[1].

بيان: قوله: (لعل الله يهلكنا) أي لا يمكننا أن نسأل الله تعالى عن ذنبك لعلوّ قدرك عنده

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١٢. وروى البحراني في البرهان في تفسيره لسورة ص رواية مفصلة في أحوال أيوب عليه السلام لم يذكرها المجلسي في البحار. [النمازي].

تعالى، واستعلامهم منه تعالى إمّا بتوسّط نبيّ آخر أو بأنفسهم إذ كان في تلك الأزمنة يتأتى مثل ذلك لغير الأنبياء أيضاً كما نقل، ويحتمل أن يكون سؤال العفو عن ذنبه والاستغفار له. وأدلى بحجّته أي احتجّ بها. والعتبى بالضمّ: الرجوع عن الذنب والإساءة. والركض: تحريك الرجل. قولها: (مادهاك) أي ما أصابك من الداهية والبلاء. والضغث بالكسر: الحزمة الصغيرة من الحشيش وغيره.

٤ - ع: ماجيلويه، عن عمّه، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما كانت بليّة أيّوب الّتي ابتلي بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه فأدّى شكرها، وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش فلمّا صعد عمل أيّوب بأداء شكر النعمة حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، فلو حلت بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة، فسلّطني على دنياه تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة، فقال: قد سلّطتك على دنياه فلم يدع له دنياً ولا ولداً إلاّ أهلك كلّ ذلك وهو يحمد الله عزّ وجلّ، ثمّ رجع إليه فقال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك سترد إليه دنياه الّتي أخذتها منه، فسلّطني على بدنه حتّى تعلم أنّه لا يؤدّي شكر نعمة، قال عزّ وجلّ: قد سلّطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه، فقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فانقضّ مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله عزّ وجلّ فيحول بينه وبينه فنفخ في منخريه من نار السموم فصار جسده نقطاً نقطاً[1].

بيان: انقضّ الطائر: هوى ليقع.

٥ - ع: أبي، عن سعد، عن البرقيّ، عن أبيه، عن عبد الله بن يحيى البصريّ، عن عبد الله ابن مسكان، عن أبي بصير قال: سألت أبا الحسن الماضي عليه السلام عن بلية أيّوب الّتي ابتلي بها في الدنيا لأيّة علّة كانت؟ قال: لنعمة أنعم الله عليه بها في الدنيا فأدّى شكرها، وكان في ذلك الزمان لا يحجب إبليس دون العرش فلمّا صعد أداء شكر نعمة أيّوب حسده إبليس فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ إليك شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، ولو حرمته دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة أبداً، قال: فقيل له: إنّي قد سلّطتك على ماله وولده، قال: فانحدر إبليس فلم يبق له مالاً ولا ولداً إلاّ أعطبه، فلمّا رأى إبليس أنّه لا يصل إلى شيء من أمره قال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك سترد عليه دنياه الّتي أخذتها منه فسلّطني على بدنه، قال: فقيل له: إنّي قد سلّطتك على بدنه ما خلا قلبه ولسانه وعينيه وسمعه، قال: فانحدر إبليس متعجلاً مخافة أن تدركه رحمة الربّ عزّ وجلّ فتحول بينه وبين أيّوب، فلمّا اشتد به البلاء وكان في آخر بلية جاءه أصحابه فقالوا له: يا أيّوب ما نعلم أحداً ابتلي بمثل هذه البليّة إلاّ لسريرة سوء، فعلّك أسررت سوءاً في الّذي تبدي لنا، قال: فعند ذلك ناجى أيّوب ربّه عزّ وجلّ فقال: ربّ

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٥ باب ٦٥ ح ١.

ابتليتني بهذه البليّة وأنت أعلم أنّه لم يعرض لي أمران قطّ إلاّ ألزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أكلة قطّ إلاّ وعلى خواني يتيم، فلو أنّ لي منك مقعد الخصم لأدليت بحجّتي، قال فعرضت له سحابة فنطق فيها ناطق فقال: يا أيّوب أدل بحجّتك، قال: فشدّ عليه مئزره وجثا على ركبتيه فقال: ابتليتني بهذه البليّة وأنت تعلم أنّه لم يعرض لي امران قطّ إلاّ ألزمت أخشنهما على بدني، ولم آكل أكلة من طعام إلاّ وعلى خواني يتيم، قال: فقيل له: يا أيّوب من حبّب إليك الطاعة؟ قال: فأخذ كفّاً من تراب فوضعه في فيه ثمّ قال: أنت يا ربّ[١].

بيان: علّ ولعلّ لغتان بمعنى.

٦ - **فس:** محمّد بن جعفر، عن محمّد بن عيسى بن زياد، عن ابن فضّال، عن ابن بكير وغيره، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قال أحيى الله له أهله الّذين كانوا قبل البليّة، وأحيى له أهله الّذين ماتوا وهو في بليّة[٢].

بيان: قال الشيخ الطبرسيّ: قال ابن عبّاس وابن مسعود: ردّ الله سبحانه عليه أهله الّذين هلكوا بأعيانهم، وأعطاه مثلهم معهم، وكذلك ردّ الله عليه أمواله ومواشيه بأعيانها، وأعطاه مثلها معها، وبه قال الحسن وقتادة وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام؛ وقيل: إنّه خير أيّوب فاختار إحياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأُوتي على ما اختار، عن عكرمة ومجاهد.

وقال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين؛ وقال ابن يسار: سبعة بنين وسبع بنات انتهى. وقال البيضاويّ: بأن ولد له ضعف ما كان، أو أُحيي ولده وولد له منهم نوافل انتهى[٣]. وروى بعض المفسّرين عن ابن عبّاس أنّ الله تعالى ردّ على المرأة شبابها فولدت له ستّة وعشرين ذكراً، وكان له سبعة بنين وسبع بنات أحياهم الله له بأعيانهم.

٧ - **كا:** محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن محمّد بن خالد والحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبيّ، عن هارون بن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ قلت: ولده كيف أُوتي مثلهم معهم؟ قال: أُحيي له من ولده الّذين كانوا ماتوا قبل ذلك بآجالهم مثل الّذين هلكوا يومئذ[٤].

٨ - **ع:** أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء، عن درست قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أيّوب ابتلي من غير ذنب[٥].

٩ - **ع:** بهذا الإسناد عن الوشّاء، عن فضل الأشعريّ، عن الحسين بن مختار، عن أبي

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٦ باب ٦٥ ح ٥. (٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٩.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٢٤.

(٤) روضة الكافي الموجود مع الأصول ص ٧٩١ ح ٣٥٤.

(٥) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٥ باب ٦٥ ح ٢.

بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابتلي أيّوب سبع سنين بلا ذنب[١].

ل: أبي، عن سعد، عن ابن عيسى، عن الوشّاء مثله. «ص ٣٩٩ باب ٧ ح ١٠٧».

بيان: ما دلّت عليه الرواية من كون مدّة ابتلائه عليه السلام سبع سنين هو المعتمد، وقال البيضاويّ: ثماني عشرة سنة أو ثلاث عشرة سنة أوسبعاً وسبعة أشهر وسبع ساعات

١٠ - **ع:** بهذا الإسناد عن فضل الأشعريّ، عن الحسن بن الربيع، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى ابتلى أيوب عليه السلام بلا ذنب، فصبر حتّى عيّر وإنّ الأنبياء لا يصبرون على التعيير[٢].

١١ - **دعوات الراوندي:** قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوحى الله إلى أيّوب عليه السلام: هل تدري ما ذنبك إليّ حين أصابك البلاء؟ قال: لا، قال: إنّك دخلت على فرعون فداهنت في كلمتين[٣].

١٢ - وعن ابن عبّاس أنّ امرأة أيّوب قالت له يوماً: لو دعوت الله أن يشفيك، فقال: ويحك كنّا في النعماء سبعين عاماً فهلمّ نصبر في الضرّاء مثلها، قال: فلم يمكث بعد ذلك إلاّ يسيراً حتّى عوفي[٤].

١٣ - **ل:** القطّان، عن السكّريّ، عن الجوهريّ، عن ابن عمّارة، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: إنّ أيّوب ابتلي سبع سنين من غير ذنب، وإنّ الأنبياء لا يذنبون، لأنّهم معصومون مطهّرون لا يذنبون ولا يزيغون ولا يرتكبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً. وقال عليه السلام: إنّ أيّوب من جميع ما ابتلي به لم تنتن له رائحة، ولا قبحت له صورة، ولا خرجت منه مدة من دم ولا قيح، ولا استقذره أحد رآه، ولا استوحش منه أحد شاهده، ولا تدوّد شيء من جسده، وهكذا يصنع الله عزّ وجلّ بجميع من يبتليه من أنبيائه وأوليائه المكرّمين عليه، وإنّما اجتنبه النّاس لفقره وضعفه في ظاهر أمره لجهلهم بما له عند ربّه تعالى ذكره من التأييد والفرج، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أعظم النّاس بلاءً الأنبياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وإنّما ابتلاه الله عزّ وجلّ بالبلاء العظيم الّذي يهون معه على جميع النّاس لئلا يدّعوا له الربوبيّة إذا شاهدوا ما أراد الله أن يوصله إليه من عظائم نعمه تعالى متى شاهدوه، وليستدلّوا بذلك على أنّ الثواب من الله تعالى ذكره على ضربين: استحقاق واختصاص، ولئلا يحتقروا ضعيفاً لضعفه، ولا فقيراً لفقره، ولا مريضاً لمرضه، وليعلموا أنّه يسقم من يشاء، ويشفي من يشاء متى شاء كيف شاء بأيّ سبب شاء، ويجعل ذلك عبرة لمن شاء، وشقاوةً لمن شاء، وسعادة لمن شاء، وهو عزّ وجلّ في جميع ذلك عدل في قضائه وحكيم في أفعاله، لا يفعل بعباده إلاّ الأصلح لهم، ولا قوّة لهم إلاّ به[٥].

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ١ ص ٩٥ باب ٦٥ ح ٤.

(٣) دعوات الراوندي، ص ١٢٣.

(٤) دعوات الراوندي، ص ١٦٥.

(٥) الخصال، ص ٣٩٩ باب السبعة ح ١٠٨.

بيان: هذا الخبر أوفق بأصول متكلّمي الإماميّة من كونهم عليهم السلام منزّهين عمّا يوجب تنفّر الطباع عنهم، فيكون الأخبار الأخر محمولة على التقيّة، موافقة للعامّة فيما رووه، لكنّ إقامة الدليل على نفي ذلك عنهم مطلقاً ولو بعد ثبوت نبوّتهم وحجّيّتهم لا يخلو من إشكال، مع أنّ الأخبار الدالة على ثبوتها أكثر وأصحّ وبالجملة للتوقّف فيه مجال.

قال السيّد المرتضى قدّس الله روحه في كتاب تنزيه الأنبياء: فان قيل: أفتصحّحون ما روي من أنّ الجذام أصابه حتّى تساقطت أعضاؤه؟ قلنا: أمّا العلل المستقذرة الّتي تنفر من رآها وتوحشه كالبرص والجذام فلا يجوز شيء منها على الأنبياء عليهم السلام لما تقدّم ذكره، لأنّ النفور ليس بواقف على الأمور القبيحة، بل قد يكون من الحسن والقبيح معاً، وليس ينكر أن يكون أمراض أيّوب عليه السلام وأوجاعه ومحنته في جسمه ثمّ في أهله وماله بلغت مبلغاً عظيماً تزيد في الغمّ والألم على ما ينال المجذوم، وليس ينكر تزايد الألم فيه، وإنّما ينكر ما اقتضى التنفير[1].

١٤ - **ن:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا، عن آبائه، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: أخذ النّاس ثلاثة من ثلاثة: أخذوا الصبر عن أيّوب، والشكر عن نوح، والحسد عن بني يعقوب[2].

١٥ - **ما:** الحسين بن إبراهيم القزوينيّ، عن محمّد بن وهبان، عن أحمد بن إبراهيم، عن الحسن بن عليّ الزعفرانيّ، عن البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أيّوب النبيّ عليه السلام حين دعا ربّه: يا ربّ كيف ابتليتني بهذا البلاء الّذي لم تبتل به أحداً؟ فوعزّتك إنّك تعلم أنّه ما عرض لي أمران قطّ كلاهما لك طاعة إلاّ عملت بأشدّهما على بدني، قال: فنودي: ومن فعل ذلك بك يا أيّوب؟ قال فأخذ التراب فوضعه على رأسه ثمّ قال: أنت يا ربّ[3].

١٦ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن أبيه، عن فضالة، عن رفاعة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الله عزّ وجلّ لمّا عافى أيّوب عليه السلام نظر إلى بني إسرائيل قد ازدرعت، فرفع طرفه إلى السماء فقال: إلهي وسيّدي عبدك أيّوب المبتلى عافيته ولم يزدرع شيئاً، وهذا لبني إسرائيل زرع، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا أيّوب خذ من سبحتك كفّاً فابذره، وكانت سبحته فيها ملح، فأخذ أيوب عليه السلام كفاً منها فبذره فخرج هذا العدس، وأنتم تسمّونه الحمص ونحن نسمّيه العدس[4].

بيان: (من سبحتك) في أكثر النسخ بالحاء المهملة، وفيه بعد إلاّ أن يقرأ الملح بضمّ الميم جمع الأملح وهو بياض يخالطه سواد، وفي بعضها بالخاء المعجمة وهو أظهر.

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٦١.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٩ باب ٣١ ح ١٦٤.
(٣) أمالي الطوسي، ص ٦٦٢ مجلس ٣٥ ح ١٣٨٠.
(٤) الكافي، ج ٦ ص ١٠٨٠ باب ٢٦٤ ح ٣.

١٧ - مع: معنى أيّوب من آب يؤوب وهو أنّه يرجع إلى العافية والنعمة والأهل والمال والولد بعد البلاء[١].

١٨ - ص: قال الصادق عليه السلام: ما سأل أيّوب العافية في شيء من بلائه[٢].

١٩ - ص: بالإسناد إلى الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن يزيد، عن الحسن بن عليّ، عن داود بن سرحان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ذكر أيّوب عليه السلام فقال: قال الله جلّ جلاله: إنّ عبدي أيّوب ما أُنعم عليه بنعمة إلاّ ازداد شكراً، فقال الشيطان لو نصبت عليه البلاء فابتليته كيف صبره؟ فسلّطه على إبله ورقيقه فلم يترك له شيئاً غير غلام واحد، فأتاه الغلام فقال: يا أيّوب ما بقي من إبلك ولا من رقيقك أحد إلاّ وقد مات، فقال أيّوب: الحمدلله الّذي أعطاه، والحمدلله الّذي أخذه؛ فقال الشيطان: إنّ خيله أعجب إليه فسلّط عليها فلم يبق منها شيء إلاّ هلك، فقال أيّوب: الحمد لله الّذي أعطى والحمد لله الّذي أخذ، وكذلك ببقره وغنمه ومزارعه وأرضه وأهله وولده حتّى مرض مرضاً شديداً فأتاه أصحاب له فقالوا يا أيّوب ما كان أحد من النّاس في أنفسنا ولا خير علانية خيراً عندنا منك، فلعلّ هذا الشيء كنت أسررته فيما بينك وبين ربّك لم تطلع عليه أحداً فابتلاك الله من أجله؟ فجزع جزعاً شديداً ودعا ربّه فشفاه الله تعالى وردّ عليه ما كان له من قليل أو كثير في الدنيا. قال: وسألته عن قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾ فقال: الّذين كانوا ماتوا[٣].

٢٠ - ل، ع، ن: في أسئلة الشاميّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال يوم الأربعاء يعني آخر الشهر ابتلى الله أيّوب بذهاب ماله وولده[٤].

٢١ - ص: بالإسناد إلى الصّدوق عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا طال بلاء أيّوب ورأى إبليس صبره أتى إلى أصحاب له كانوا رهباناً في الجبال، فقال لهم: مروا بنا إلى هذا العبد المبتلى نسأله عن بليّته، قال: فركبوا وجاؤوه فلمّا قربوا منه نفرت بغالهم فقرّبوها بعضاً إلى بعض ثمّ مشوا إليه، وكان فيهم شابّ حدث فسلموا على أيّوب وقعدوا وقالوا: يا أيّوب لو أخبرتنا بذنبك فلا نرى تبتلي بهذا البلاء إلاّ لأمر كنت تسرّه، قال أيّوب عليه السلام: وعزة ربّي إنّه ليعلم أنّي ما أكلت طعاماً قط إلاّ ومعي يتيم أو ضعيف يأكل معي، وما عرض لي أمران كلاهما طاعة إلاّ أخذت بأشدّهما على بدني، فقال الشابّ: سوءة لكم عمدتم إلى نبيّ الله فعنفتموه حتّى أظهر من عبادة ربّه ما كان يستره؛ فعند ذلك دعا ربّه وقال: ربّ ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ وقال: قيل لأيّوب عليه السلام بعدما عافاه الله تعالى: أيّ شيء أشدّ ما مرّ عليك؟ قال:

---

(١) معاني الأخبار، ص ٥٠. (٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ١٣٩.

(٤) الخصال، ص ٣٨٨ باب السبعة ح ٧٨، وعلل الشرائع، ج ٢ ص ٣٢٢ باب ٣٨٥ ح ٤٤، وعيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٤ ح ١.

شماتة الأعداء[١].

٢٢ - **ص** - بهذا الإسناد عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أمطر الله على أيّوب من السماء فراشاً من ذهب، فجعل أيّوب يأخذ ما كان خارجاً من داره فيدخله داره، فقال جبرئيل عليه السلام: أما تشبع يا أيّوب؟ قال: ومن يشبع من فضل ربّه[٢].

٢٣ - **ص**: بالإسناد عن الصدوق، بإسناده عن وهب بن منبّه إنّ أيّوب كان في زمن يعقوب بن إسحاق صلوات الله عليهم وكان صهراً له تحته ابنة يعقوب يقال لها إليا، وكان أبوه ممّن آمن بإبراهيم عليه السلام، وكانت أمّ أيّوب ابنة لوط، وكان لوط جدّ أيّوب صلوات الله عليهما أبا أمّه، ولمّا استحكم البلاء على أيّوب من كلّ وجه صبرت عليه امرأته، فحسدها إبليس على ملازمتها بالخدمة، وكانت بنت يعقوب، فقال لها: ألست أخت يوسف الصديق عليه السلام قالت: بلى، قال: فما هذا الجهد؟ وما هذه البلية الّتي أراكم فيها؟ قالت: هو الّذي فعل بنا ليؤجرنا بفضله علينا، لأنّه أعطاه بفضله منعماً، ثمّ أخذه ليبتلينا، فهل رأيت منعماً أفضل منه؟ فعلى إعطائه نشكره، وعلى ابتلائه نحمده، فقد جعل لنا الحسنيين كلتيهما، فابتلاه ليرى صبرنا، ولا نجد على الصبر قوّة إلاّ بمعونته وتوفيقه، فله الحمد والمنّة ما أولانا وأبلانا، فقال لها: أخطأت خطاءً عظيماً ليس من ههنا ألحّ عليكم البلاء، وأدخل عليها شبهاً دفعتها كلّها، وانصرفت إلى أيّوب عليه السلام مسرعة وحكت له ما قال اللّعين، فقال أيّوب: القائل إبليس، لقد حرص على قتلي إنّي لأقسم بالله لأجلدنّك مائة - لمَ أصغيت إليه - إن شفاني الله. قال وهب: قال ابن عبّاس: فأحيى الله لهما أولادهما وأموالهما وردّ عليه كلّ شيء لهما بعينه، وأوحى الله تعالى إليه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ فأخذ ضغثاً من قضبان دقاق من شجرة يقال لها الثمام فبرّ به يمينه وضربها ضربةً واحدةً، وقيل: أخذ عشرةً منها فضربها بها عشر مرّات، وكان عمر أيّوب ثلاثاً وسبعين قبل أن يصيبها البلاء فزادها الله مثلها ثلاثاً وسبعين سنة أخرى[٣].

بيان: قال البيضاويّ: روي أنّ امرأته ماخير بنت ميشا بن يوسف، أو رحمة بنت إفرائيم ابن يوسف[٤].

٢٤ - **ضا**: روي أنّ أيّوب عليه السلام لمّا جهده البلاء قال: لأقعدنّ مقعد الخصم، فأوحى الله إليه: تكلّم، فجثا على الرماد فقال: يا ربّ إنّك تعلم أنّه ما عرض لي أمران قطّ كلاهما لك رضى إلاّ اخترت أشدّهما على بدني، فنودي من غمامة بيضاء بستّة آلاف ألف لغة: فلمن المن؟ فوضع الرماد على رأسه وخرّ ساجداً ينادي: لك المن سيّدي ومولاي، فكشف الله ضرّه[٥].

---

(١) قصص الأنبياء، ص ١٤٠.
(٢) - (٣) قصص الأنبياء، ص ١٤١.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨.
(٥) فقه الرضا، ص ٣٧٢.

٢٥ - ين: الحسن بن عليّ الخزّاز، عن أبي الحسن عليه السلام قال: سمعته يقول: إن أيّوب النبيّ عليه السلام قال: يا ربّ ما سألتك شيئاً من الدنيا قط - وداخله شيء - فأقبلت إليه سحابة حتّى نادته: يا أيّوب من وفقك لذلك؟ قال: أنت يا ربّ[1].

تذييل: قال السيّد قدّس سرّه في كتاب تنزيه الأنبياء - فإن قيل - فما قولكم في الأمراض والمحن الّتي لحقت نبيّ الله أيّوب عليه السلام أوليس قد نطق القرآن بأنّها كانت جزاءً على ذنب في قوله: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ والعذاب لا يكون إلاّ جزاءً كالعقاب، والآلام الواقعة على سبيل الامتحان لا تسمّى عذاباً ولا عقاباً أوليس قد روى جميع المفسّرين أنّ الله تعالى إنّما عاقبه بذلك البلاء لتركه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقصّته مشهورة يطول شرحها:

الجواب: قلنا: أمّا ظاهر القرآن فليس يدلّ على أنّ أيّوب عليه السلام عوقب بما نزل به من المضارّ، وليس في ظاهره شيء ممّا ظنّه السائل لأنّه تعالى قال: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ والنصب هو التعب، وفيه لغتان: فتح النون والصّاد، وضمّ النون وتسكين الصّاد، والتعب هو المضرّة الّتي لا تختصّ بها العقاب، وقد تكون على سبيل الاختبار والامتحان، فأمّا العذاب فهو أيضاً يجري مجرى المضارّ الّتي لا يختص إطلاق ذكرها بجهة دون جهة، ولهذا يقال للظالم المبتدي بالظلم: إنّه معذّب ومضرّ ومؤلم، وربّما قيل: معاقب على سبيل المجاز، وليس لفظة العذاب بجارية مجرى لفظة العقاب، لأنّ لفظة العقاب يقتضي بظاهرها الجزاء، لأنّها من التعقيب والمعاقبة، ولفظة العذاب ليست كذلك، فأمّا إضافته ذلك إلى الشيطان وإنّما ابتلاه الله تعالى به فله وجه صحيح، لأنّه لم يضف المرض والسقم إلى الشيطان وإنّما أضاف إليه ماكان يستضرّ من وسوسته ويتعب به من تذكيره له ما كان فيه من النّعم والعافية والرخاء، ودعائه له إلى التضجّر والتبرّم بما هو عليه، ولأنّه كان أيضاً يوسوس إلى قومه بأن يستقذروه ويتجنّبوه لما كان عليه من الأمراض البشعة المنظر ويخرجوه من بينهم، وكلّ هذا ضرر من جهة اللّعين إبليس.

وقد روي أنّ زوجته عليها السلام كانت تخدم النّاس في منازلهم وتصير إليه بما يأكله ويشربه وكان الشيطان يلقي إليهم أنّ داءه يعدي، ويحسّن إليهم تجنّب خدمة زوجته من حيث كانت تباشر قروحه وتمس جسده، وهذه مضارّ لاشبهة فيها، فأمّا قوله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ فلا ظاهر لها أيضاً يقتضي ما ذكروه، لأنّ الضرّ هو الضرر الّذي قد يكون محنة كما يكون عقوبة فأمّا ما روي في هذا الباب عن جملة المفسّرين فممّا لا يلتفت إلى مثله، لأنّ هؤلاء لا يزالون يضيفون إلى

---

(١) كتاب الزهد ص ١٣٨ باب ١١ ح ١٩.

ربّهم تعالى وإلى رسله عليهم السلام كلّ قبيح، ويقرفونهم بكلّ عظيم، وفي روايتهم هذه السخيفة ما إذا تأمّله المتأمّل علم أنّه موضوع باطل مصنوع، لأنّهم رووا أنّ الله تعالى سلّط إبليس على مال أيّوب عليه السلام وغنمه وأهله، فلمّا أهلكهم ودمّر عليهم ورأى صبره وتماسكه قال إبليس لربّه: يا ربّ إنّ أيّوب قد علم أنّه ستخلف له ماله وولده فسلّطني على جسده، فقال: قد سلّطتك على جسده إلاّ قلبه وبصره، قال: فأتاه فنفخه من لدن قرنه إلى قدمه فصار قرحة واحدة، فقذف على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً يختلف الدوابّ في جسده إلى شرح طويل نصون كتابنا عن ذكر تفصيله، فمن يقبل عقله هذا الجهل والكفر كيف يوثق بروايته؟ ومن لا يعلم أنّ الله تعالى لايسلّط إبليس على خلقه وأنّ إبليس لا يقدر على أن يقرح الأجساد ولا أن يفعل الأمراض كيف يعتمد روايته؟ فأمّا هذه الأمراض النازلة بأيّوب عليه السلام فلم يكن إلاّ اختباراً وامتحاناً وتعريضاً للثواب بالصبر عليها والعوض العظيم النفيس في مقابلتها، وهذه سنّة الله تعالى في أصفيائه وأوليائه، فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله أنّه قال - وقد سئل أيّ النّاس أشدّ بلاءً؟ - فقال: «الأنبياء ثمّ الصالحون ثمّ الأمثل فالأمثل من الناس. فظهر من صبره على محنته وتماسكه ما صار إلى الآن مثلاً حتّى روي أنّه كان في خلال ذلك كلّه شاكراً محتسباً ناطقاً بما له فيه من المنفعة والفائدة، وأنّه ما سمعت له شكوى ولا تفوّه بتضجّر ولا تبرّم، فعوّضه الله تعالى مع نعيم الآخرة العظيم الدائم أن ردّ عليه ماله وأهله وضاعف عددهم في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ وفي سورة ص: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ ثمّ مسح ما به وشفاه وعافاه، وأمره على ما وردت به الرواية يركض رجله الأرض فظهرت عين اغتسل منها فتساقط ما كان على جسده من الداء، قال الله: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ والركض هو التحريك، ومنه ركضت الدابّة. انتهى كلامه أعلى الله مقامه(١).

أقول: لا أعرف وجهاً لهذا الإنكار الفظيع والتشنيع على تلك الرواية، ولا أعرف فرقاً بين ما صدر من أشقياء الإنس بالنسبة إلى الأنبياء حيث خلاهم الله مع إرادتهم بمقتضى حكمته الكاملة ولم يمنعهم عنها وبين ما نقل من تسليط إبليس في تلك الواقعة، والجواب مشترك، نعم لا يجوز أن يتسلّط الشيطان على أديانهم كما دلّت عليه الآيات، وأمّا الأبدان فلم يقم دليل على نفي تسلّطه عليها أحياناً لضرب من المصلحة، وكيف لا وهو الّذي يغري جميع الأشرار في قتل الأخيار وإضرارهم، وأيضاً أيّ دليل قام على امتناع قدرة إبليس على فعل يوجب تقريح الأجساد وحدوث الأمراض، وأيّ فرق بين الشياطين والإنس في ذلك؟ نعم لو قيل بعدم ثبوت بعض الخصوصيّات من جهة الأخبار لأمكن ذلك لكنّ الحكم بنفيها بمجرد الاستبعاد غير موجّه والله يعلم.

---

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٦١.

تكملة: قال الثعلبيّ في العرائس: قال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب: كان أيّوب النبيّ عليه السلام رجلاً من الروم، وكان رجلاً طويلاً عظيم الرأس، جعد الشعر، حسن العينين والخلق، قصير العنق، غليظ الساقين والساعدين، وكان مكتوباً على جبهته: المبتلى الصابر، وهو أيّوب بن أموص بن رازخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم؛ وكانت اُمّه من ولد لوط بن هاران عليه السلام، وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبّأه وبسط عليه الدنيا، وكانت له البثنة من أرض الشام كلّها سهلها وجبلها بما فيها، وكان له فيها من أصناف المال كلّه من الإبل والبقر والخيل والغنم والحمر ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدّة والكثرة، وكان له بها خمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد، لكلّ عبد امرأة وولد ومال، وتحمل آلة كلّ فدّان أتان، لكلّ أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك، وكان الله تعالى أعطاه أهلاً وولداً من رجال ونساء وكان برّاً تقياً رحيماً بالمساكين، يكفل الأرامل والأيتام، ويكرم الضيف، ويبلّغ ابن السبيل، وكان شاكراً لأنعم الله تعالى، مؤدّياً لحقّ الله تعالى، قد امتنع من عدوّ الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرّة والغفلة والسهو والتشاغل من أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدّقوه وعرفوا فضله: رجل من أهل اليمن يقال له اليفن، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما بلدد، ولآخر صافن، وكانوا كهولاً.

قال وهب: إنّ لجبرئيل عليه السلام بين يدي الله تعالى مقاماً ليس لأحد من الملائكة في القربة والفضيلة، وإنّ جبرئيل هو الّذي يتلقّى الكلام، فإذا ذكر الله تعالى عبداً بخير تلقّاه جبرئيل، ثمّ لقّاه ميكائيل وحوله الملائكة المقرّبون حافّين من حول العرش، فإذا شاع ذلك في الملائكة المقرّبين شاعت الصلوات على ذلك العبد من أهل السماوات، فإذا صلّت عليه ملائكة السماوات هبطت عليه بالصلوات إلى ملائكة الأرض وكان إبليس لعنه الله لا يحجب عن شيء من السماوات، وكان يقف فيهنّ حيثما أراد، ومن هناك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنّة، فلم يزل على ذلك يصعد في السماوات حتّى رفع الله تعالى عيسى بن مريم عليه السلام فحجب من أربع، وكان يصعد في ثلاث فلمّا بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله حجب من الثلاث الباقية فهو وجنوده محجوبون من جميع السماوات إلى يوم القيامة إلاّ من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب، قال: فلمّا سمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلوات على أيّوب عليه السلام وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعاً حتّى وقف من السماء موقفاً كان يقفه، فقال: يا إلهي نظرت في أمر عبدك أيّوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك، وعافيته فحمدك، ثمّ لم تجرّبه بشدة وبلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرنّ بك ولينسينّك، فقال الله تعالى: انطلق فقد سلّطتك على ماله، فانقضّ عليه عدوّ الله حتّى وقع إلى الأرض، ثمّ جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة والمعرفة فإنّي قد سلّطت على مال أيّوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة الّتي لا يصبر عليها الرجال؟ قال عفريت من الشياطين: أعطيت من القوّة ما إذا شئت تحوّلت إعصاراً من نار وأحرقت كلّ

شيء آتي عليه، فقال له إبليس فأت الإبل ورعاءها، فانطلق يؤمّ الإبل وذلك حين وضعت رؤوسها وثبتت في مراعيها فلم يشعر النّاس حتّى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تنفح منها أرواح السموم لا يدنو منها أحد إلاّ احترق، فلم يزل يحرقها ورعاءها حتّى أتى على آخرها، فلمّا فرغ منها تمثّل إبليس براعيها ثمّ انطلق يؤمّ أيّوب حتّى وجده قائماً يصلي، فقال: يا أيّوب، قال: لبّيك، قال: هل تدري ما الّذي صنع ربّك الّذي اخترته وعبدته بإبلك ورعائها؟ قال أيّوب: أيهاً إنّها ماله أعارنيه وهو أولى به إذا شاء تركه، وإن شاء نزعه، وقديماً ما وطنت نفسي ومالي على الفناء.

فقال إبليس: فإنّ ربّك أرسل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلّها فترك النّاس مبهوتين وقوفاً عليها يتعجّبون منها، منهم من يقول: ما كان أيّوب يعبد شيئاً وما كان إلاّ في غرور، ومنهم من يقول: لوكان إله أيّوب يقدر على أن يصنع شيئاً لمنع وليه؛ ومنهم من يقول: بل هو الّذي فعل ما فعل يشمت به عدوّه ويفجع به صديقه. قال أيوب: الحمد لله حين أعطاني وحين نزع منّي، عرياناً خرجت من بطن أمّي، وعرياناً أعود في التراب، وعرياناً أحشر إلى الله تعالى، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته، الله أولى بك وبما أعطاك، ولو علم الله فيك أيّها العبد خيراً لقبل روحك مع تلك الأرواح، فآجرني فيك وصرت شهيداً، ولكنّه علم منك شرّاً فأخرك الله وخلّصك من البلاء كما يخلص الزؤان من القمح الخالص؛ فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خاسئاً ذليلاً فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة فإنّي لم أكلم قلبه؟ قال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة ما إذا شئت صحت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلاّ خرجت مهجة نفسه، قال له إبليس فأت الغنم ورعاءها، فانطلق يؤمّ الغنم ورعاءها حتّى إذا توسّطها صاح صوتاً تجثّمت أمواتاً من عند آخرها ومات رعاؤها، ثمّ خرج إبليس متمثّلاً بقهرمان الرعاء حتّى جاء أيّوب وهو قائم يصلّي فقال له القول الأوّل وردّ عليه أيّوب الرد الاوّل.

ثم إنّ إبليس رجع إلى أصحابه فقال لهم: ماذا عندكم من القوّة فإنّي لم أكلم قلب أيّوب؟ فقال عفريت من عظمائهم: عندي من القوّة ما إذا شئت تحوّلت ريحاً عاصفاً تنسف كلّ شيء فآتي عليه حتّى لا أبقي منها شيئاً، قال له إبليس: فأت الفدادين والحرث، فانطلق يؤمّهم وذلك حين قرنوا الفدادين وأنشؤوا في الحرث وأولادها رتوع فلم يشعروا حتّى هبت ريح عاصف فنسفت كلّ شيء من ذلك حتّى كأنّه لم يكن، ثمّ خرج إبليس متمثّلاً بقهرمان الحرث حتّى جاء أيّوب وهو قائم يصلّي فقال له مثل قوله الأوّل، وردّ عليه أيّوب مثل ردّه الأوّل. فجعل إبليس يصيب ماله مالاً مالاً حتّى مرّ على آخره، كلّما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضي بالقضاء ووطّن نفسه للصّبر على البلاء حتّى لم يبق له مال، فلمّا رأى إبليس أنّه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعاً حتّى وقف الموقف الّذي كان يقفه فقال: إلهي إنّ أيّوب يرى أنّك ما متّعته بنفسه وولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلّطي

على ولده فإنّها الفتنة المضلّة والمصيبة الّتي لا يقوم لها قلوب الرجال، ولا يقوى عليها صبرهم؟ فقال الله تعالى: انطلق فقد سلّطتك على ولده.

فانقضّ عدوّ الله حتّى جاء بني أيّوب عليه السلام وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتّى تداعى من قواعده، ثمّ جعل يناطح جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والجندل حتى إذا مثل بهم كلّ مثلة رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكّبين وانطلق إلى أيّوب متمثّلاً بالمعلّم الّذي كان يعلّمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه ودماغه وأخبره بذلك، وقال: يا أيّوب لو رأيت بنيك كيف عذّبوا وكيف قلبوا؟ فكانوا منكّسين على رؤوسهم يسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأشفارهم وأجوافهم ولو رأيت كيف شقّت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطّع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه ويرقّقه حتّى رقّ أيّوب عليه السلام فبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه، فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعاً بالذي كان من جزع أيّوب مسروراً به، ثمّ لم يلبث أيّوب أنّ فاء وأبصر فاستغفر وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته، فبدروا إبليس إلى الله تعالى - وهو أعلم - فوقف إبليس خاسئاً ذليلاً فقال: يا إلهي إنّما هوّن على أيّوب خطر المال والولد أنّه يرى أنّك ما متّعته بنفسه فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلّطي على جسده فإنّي لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينّك وليكفرنّ بك وليجحدنّ نعمتك، فقال الله عزّ وجلّ: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه ولا على عقله، وكان الله هو أعلم به لم يسلّطه عليه إلاّ رحمة ليعظّم له الثواب وجعله عبرةً للصابرين، وذكرى للعابدين، في كلّ بلاء نزل ليأنسوا به بالصبر ورجاء الثواب.

فانقضّ عدوّ الله تعالى سريعاً فوجد أيّوب عليه السلام ساجداً فعجّل قبل أن يرفع رأسه فأتاه من قبل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فرهل وخرج به من فرقه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم، ووقعت فيه حكّة لا يملكها، فحكّ بأظفاره حتّى سقطت كلّها، ثمّ حكها بالمسوح الخشنة حتّى قطعها، ثمّ حكّها بالفخّار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكّها حتّى نغل لحمه وتقطّع وتغيّر وأنتن، فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشاً، ورفضه خلق الله كلّهم غير امرأته وهي رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه على نبيّنا وعليهم، وكانت تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه، فلمّا رأت الثلاثة من أصحابه وهم يفن وبلدد وصافن ما ابتلاه الله تعالى به اتّهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه، فلمّا طال به البلاء انطلقوا إليه وهو في بلائه فبكّتوه ولاموه وقالوا له: تب إلى الله عزّ وجلّ من الذنب الّذي عوقبت به.

قالا: وحضره معهم فتى حديث السنّ وكان قد آمن به وصدّقه فقال لهم: إنكم تكلّمتم أيّها الكهول وكنتم أحقّ بالكلام لأسنانكم، ولكن قد تركتم من القول أحسن من الّذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الّذي رأيتم، ومن الأمر أجمل من الّذي أتيتم، وقد كان لأيّوب عليه السلام

عليكم من الحقّ والذمام أفضل من الّذي وصفتم، فهل تدرون أيّها الكهول حقّ من انتقصتم؟ وحرمة من انتهكتم؟ ومن الرجل الّذي عبتم واتّهمتم؟ ألم تعلموا أنّ أيّوب نبيّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا؟ ثمّ لم تعلموا ولم يطلعكم الله تعالى على أنّه سخط شيئاً من أمره منذ أتاه ما أتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنّه نزع منه شيئاً من الكرامة التي أكرمه بها، ولا أنّ أيّوب فعل غير الحقّ في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإنّ كان البلاء هو الّذي أزرى عندكم ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أنّ الله تعالى يبتلي النبيّين والشهداء والصالحين، ثمّ ليس بلاؤه لأُولئك بدليل على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم، ولكنّها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيّوب ليس من الله تعالى بهذه المنزلة إلاّ أنّه أخ آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذل أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة، ولايعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكنّه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه، ويدلّ على مراشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيّها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم، ألم تعلموا أنّ لله تعالى عباداً أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولا بكم، وإنّهم لهم الفصحاء والبلغاء والأولياء النبلاء الألبّاء العالمون بالله وبآياته، ولكنّهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم، واقشعرّت جلودهم، وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً لله وإعزازاً وإجلالاً فإذا استفاقوا استبقوا إلى الله تعالى بالأعمال الزاكية يعدّون أنفسهم مع الخاطئين والظالمين وإنهم لأبرار، ومع المقصّرين المفرطين وإنّهم لأكياس أقوياء ولكنّهم لا يستكثرون لله الكثير، ولا يرضون له بالقليل، ولا يدلون عليه بالأعمال، فهم مروّعون خاشعون مستكينون. فقال أيّوب عليه السلام: إنّ الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير، فمتى تنبت في القلب يظهر الله تعالى على اللّسان، وليست تكون الحكمة من قبل السنّ والشيبة ولا طول التجربة، وإذا جعل الله تعالى العبد حكيماً في الصغر لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة.

ثم أقبل أيّوب عليه السلام على الثلاثة فقال: أتيتموني غضاباً، رهبتم قبل أن تسترهبوا، وبكيتم قبل أن تضربوا، كيف بي لو قلت لكم: تصدّقوا عنّي بأموالكم لعلّ الله تعالى أن يخلّصني؟ وقرّبوا عنّي قرباناً لعلّ الله تعالى يتقبّله ويرضى عنّي؟ وإنّكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم بإحسانكم فهنالك بغيتم وتعزّزتم، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربّكم ثمّ صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله تعالى بالعافية الّتي ألبسكم، وقد كنت فيما خلا والرجال يوقّرونني وأنا مسموع كلامي، معروف حقّي، منتقم من خصمي، فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم، فإنّكم كنتم أشدّ عليّ من مصيبتي.

ثمّ أعرض عنهم وأقبل على ربّه تعالى مستغيثاً به متضرعاً إليه فقال: ربّ لأيّ شيء خلقتني؟ ليتني إذ كرهتني لم تخلقني، ياليتني كنت حيضة ألقتني أمّي، وياليتني عرفت الذنب

الّذي أذنبت والعمل الّذي عملت فصرفت وجهك الكريم عنّي، لو كنت أمتّني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل إليّ، ألم أكن للغريب داراً؟ وللمسكين قراراً؟ ولليتيم وليّاً؟ وللأرملة قيّماً؟ إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنتُ فالمن لك، وإن أسأتُ فبيدك عقوبتي، جعلتني للبلاء غرضاً، وللفتنة نصباً، وقد وقع عليّ بلاء لو سلّطته على جبل ضعف عن حمله، فكيف يحمله ضعفي؟ إلهي تقطعت أصابعي فإنّي لأرفع الأكلة من الطعام بيديّ جميعاً فما تبلغان فمي إلاّ على الجهد منّي، تساقطت لهواتي ولحم رأسي، فما بين أذنيّ من سداد حتّى أنّ أحدهما يرى من الآخر، وإنّ دماغي ليسيل من فمي، تساقط شعر عيني، فكأنّما حرّق بالنار وجهي، وحدقتاي متدلّيتان على خدّي، وورم لساني حتّى ملأ فمي، فما أدخل منه طعاماً إلاّ غصّني، وورمت شفتاي حتّى غطّت العليا أنفي والسفلى ذقني، وتقطّعت أمعائي في بطني، فإنّي لأدخله الطعام فيخرج كما دخل ما أحسّه ولا ينفعني، ذهبت قوّة رجلي فكأنّهما قربتا ماء لا أطيق حملهما، ذهب المال فصرت أسأل بكفّي فيطعمني من كنت أعوله اللّقمة الواحدة فيمنّها عليّ ويعيّرني، هلك أولادي ولو بقي أحد منهم أعانني على بلائي ونفعني، وقد ملّني أهلي، وعقّني أرحامي، وتنكّرت معارفي، ورغب عنّي صديقي، وقطعني أصحابي، وجحدت حقوقي، ونسيت صنائعي، أصرخ فلا يصرخونني، وأعتذر فلا يعذرونني، دعوت غلامي فلم يجبني، وتضرّعت لأمتي فلم ترحمني، وإنّ قضاءك هو الّذي أذلّني وأقمأني، وإنّ سلطانك هو الّذي أسقمني وأنحل جسمي، ولو أنّ ربّي نزع الهيبة الّتي في صدري وأطلق لساني حتّى أتكلّم بملء فمي بمكان ينبغي للعبد أن يحاجّ عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك ممّا بي، ولكنه ألقاني وتعالى عنّي فهو يراني ولا أراه، ويسمعني ولا أسمعه، لا نظر إليّ فرحمني، ولا دنا منّي ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي.

فلما قال ذلك أيّوب عليه السلام وأصحابه عنده أظلّه غمام حتّى ظنّ أصحابه أنّه عذاب ثمّ نودي: يا أيّوب إنّ الله عزّ وجلّ يقول لك: ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً فقم فأدل بعذرك، وتكلّم ببراءتك، وخاصم عن نفسك، واشدد إزارك، وقم مقام جبّار فإنّه لا ينبغي أن يخاصمني إلاّ جبّار مثلي، ولا ينبغي أن يخاصمني إلاّ من يجعل الزيار في فم الأسد، والسحال في فم العنقاء، واللّجام في فم التنّين، ويكيل مكيالاً من النور، ويزن مثقالاً من الريح، ويصرّ صرّةً من الشمس، ويردّ أمس، لقد منّتك نفسك أمراً ما تبلغ بمثل قوتك، ولو كنت إذ منتك ذلك ودعتك إليه تذكرت أي مرام رام بك أردت أن تخاصمني بعيك؟ أو أردت أنّ تحاجني بخطابك؟ أم أردت أن تكابرني بضعفك؟ أين أنت منّي يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها؟ هل علمت بأيّ مقدار قدرتها؟ أم كنت معي تمدّ بأطرافها؟ أم تعلم مابعد زواياها؟ أم على أي شيء وضعت أكتافها؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء أين كنت منّي يوم رفعت السماء سقفاً في الهواء؟ لا بعلائق سببت، ولا تحملها دعم من تحتها، هل يبلغ من حكمتك أن تجري نورها؟ أو تسير نجومها؟ أو

تختلف بأمرك ليلها ونهارها؟ أين أنت منّي يوم سجّرت البحار، وأنبعت الأنهار؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها؟ أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها؟ أين أنت منّي يوم صببت الماء على التراب؟ ونصبت شوامخ الجبال؟ هل لك من ذراع تطيق حملها؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها؟ أم أين الماء الّذي أنزلت من السماء؟ هل تدري أمّ تلد أو أب يولّده؟ أحكمتك أحصت القطر، وقسّمت الأرزاق؟ أم قدرتك تثير السحاب وتجري الماء؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أيّ شيء لهب البرق؟ وهل رأيت عمق البحر؟ هل تدري ما بعد الهواء؟ أم هل خزنت أرواح الأموات؟ أم هل تدري أين خزانة الثلج؟ وأين خزانة البرد؟ أم أين جبال البرد؟ أم هل تدري أين خزانة اللّيل والنهار؟ وأين طريق النور؟ وبأيّ لغة تتكلّم الأشجار؟ وأين خزانة الريح؟ وكيف تحبسه؟ ومن جعل العقول في أجواف الرجال؟ ومن شقّ الأسماع والأبصار؟ ومن ذلّت الملائكة لملكه وقهر الجبّارين بجبروته؟ وقسّم أرزاق الدوابّ بحكمته؟ من قسّم للأسد أرزاقها؟ وعرّف الطير معائشها؟ وعطفها على أفراخها؟ من أعتق الوحش من الخدمة؟ وجعل مساكنها البرّيّة؟ لا تستأنس بالأصوات، ولا تهاب المسلّطين! أم من حكمتك عطفت أمّهاتها عليها حتّى أخرجت لها الطعام من بطونها، وآثرتها بالعيش على نفوسها؟ أم من حكمتك تبصر العقاب الصيد البعيد، وأصبح في أماكن القتلى؟

فقال أيّوب عليه السلام: قصرت عن هذا الأمر الّذي تعرض عليّ، ليت الأرض انشقّت لي فذهبت فيها ولم أتكلّم بشيء يسخط ربّي اجتمع عليّ البلاء إلهي قد جعلتني لك مثل العدوّ، وقد كنت تكرمني، وتعرف نصحي، وقد علمت أنّ كلّ الّذي ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك، وأعظم من هذا لو شئت عملت، لا يعجزك شيء، ولا يخفى عليك خافية، ولا يغيب عنك غائبة، من هذا الّذي يظن أن يسرّ عنك سراً وأنت تعلم ما تخطر على القلوب؟ وإنّما تكلّمت لتعذرني، وسكتّ حين سكتّ لترحمني، كلمة زلّت عن لساني فلن أعود، وقد وضعت يدي على فمي، وعضضت على لساني، وألصقت بالتراب خدّي ودمست فيه وجهي لصغاري، وسكتّ كما أسكتتني خطيئتي، فاغفر لي ما قلت فلن أعود لشيء تكرهه منّي.

فقال الله تعالى: يا أيّوب نفذ فيك علمي، وسبقت رحمتي غضبي، إذا خطئت فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آيةً، وتكون عبرةً لأهل البلاء، وعزاً للصابرين، اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فيه شفاء، وقرّب عن صحابتك قرباناً، واستغفر لهم فإنّهم قد عصوني فيك. فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله تعالى عنه كلّ ما كان به من البلاء، ثمّ خرج فجلس وأقبلت امرأته فقامت تلتمسه في مضجعه فلم تجده، فقامت متردّدة كالواله ثمّ قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرّجل المبتلى الّذي كان ههنا؟ فقال لها: فهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: نعم، وما لي لا أعرفه، فتبسّم وقال: أنا هو، فعرفته بمضحكه فاعتنقته. وقال ابن عبّاس: فوالذي نفس

عبد الله بيده مافارقته من عناقه حتّى مرّ بهما كلُّ مال لهماوولد فذلك قوله: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾.

واختلف العلماء في وقت ندائه ومدّة بلائه والسبب الّذي قال لأجله ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾ فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أيّوب نبيّ الله لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد إلاّ رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: والله لقد أذنب أيّوب ذنباً ما أذنبه أحد من العالمين، فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمانية عشر سنة لم يرحمه الله عزّ وجلّ فيكشف ما به، فلمّا راحا إلى أيّوب لم يصبر الرجل حتّى ذكر ذلك، فقال أيّوب: ما أدري ما تقولان غير أنّ الله تعالى يعلم أنّي كنت أمرّ بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتي فأُكفّر عنهما، كراهية أن يذكر الله تعالى إلاّ في حقّ، قال: وكان يخرج لحاجته، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتّى يبلغ. فلمّا كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى إلى أيّوب في مكانه: أن اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فاستبطأته فتلقّته تنظر وأقبل عليها وقد أذهب الله عزّ وجلّ ما به من البلاء وهو أحسن ما كان، فلمّا رأته قالت: هل رأيت نبيّ الله هذا المبتلى؟ قال: إنّي أنا هو، وكان له أندران: أندر للقمح وأندر للشعير، فبعث الله تعالى سحابتين فلمّا كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتّى فاض، وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتّى فاض. ويروى أنّ الله تعالى أمطر عليه جراداً من ذهب فجعل يحثي منها في ثوبه، فناداه ربّه: ألم أغنك عمّا أرى؟ قال: بلى يا ربّ ولكن لا غنى بي عن فضلك ورحمتك، ومن يشبع من نعمك؟

وقال الحسن: مكث أيّوب مطروحاً على كناسة في مزبلة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً يختلف فيه الدوابّ؛ وقال وهب: لم يكن بأيّوب أكلة إنّما يخرج منه مثل ثدي النساء ثمّ تتفقّأ؛ قال الحسن: ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة صبرت معه تصدق وتأتيه بطعام وتحمد الله تعالى معه إذا حمد، وأيّوب على ذلك لا يفتر من ذكر الله والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه، فصرخ عدوّ الله إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض جزعاً من صبر أيّوب، فلمّا اجتمعوا إليه قالوا: ما أحزنك؟ قال: أعياني هذا العبد الّذي سألت الله أن يسلّطني على ماله وولده، فلم أدع له مالاً ولا ولداً فلم يزد بذلك إلاّ صبراً وثناء على الله تعالى، ثمّ سلّطت على جسده وتركته قرحة ملقاة على كناسة بني إسرائيل لا يقربه إلاّ امرأته فقد افتضحت بربّي فاستغثت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له: أين مكرك؟ أين علمك الّذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كلّه في أمر أيّوب فأشيروا عليّ، قالوا: نشير عليك، أرأيت آدم حين أخرجته من الجنّة من أين أتيته؟ قال: من قبل امرأته، قالوا: فأته من قبل امرأته فإنّه لا يستطيع أن يعصيها وليس أحد يقربه غيرها، قال: أصبتم، فانطلق حتّى أتى امرأته وهي تصدّق، فتمثّل لها في صورة رجل فقال: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت: هو ذلك

يحكُّ قروحه ويتردّد الدوابّ في جسده، فلمّا سمعها طمع أن يكون كلمة جزع فوسوس إليها فذكرها ما كانت فيه من النّعيم والمال، وذكرها جمال أيّوب وشبابه وما هو فيه من الضرّ وأنّ ذلك لاينقطع عنهم أبداً.

قال الحسن: فصرخت فلمّا صرخت علم أن قد جزعت فأتاه بسخلة فقال: ليذبح هذا لي أيّوب ولا يذكر عليه اسم الله عزّوجلّ فإنّه يبرأ، قال: فجاءت تصرخ: يا أيّوب حتّى متى يعذّبك ربّك؟ ألا يرحمك؟ أين المال؟ أين الماشية؟ أين الولد؟ أين الصديق أين لونك الحسن قد تغيّر وصار مثل الرماد؟ أين جسمك الحسن الّذي قد بلي وتردّد فيه الدوابّ؟ اذبح هذه السخلة واسترح، قال أيّوب: أتاك عدوّ الله فنفخ فيك وأجبته، ويلك أرأيت ما كنّا فيه من المال والولد والصحّة؟ من أعطانيه؟ قالت: الله، قال: فكم متّعنا به؟ قالت: ثمانين سنة، قال: فمذ كم ابتلاني الله تعالى بهذا البلاء؟ قالت: منذ سبع سنين وأشهر، قال: ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربّك، ألا صبرت في البلاء الّذي ابتلانا الله به ثمانين سنة كما كنّا في الرخاء ثمانين سنة؟ والله لئن شفاني الله عزّوجلّ لأجلدنك مائة جلدة حين أمرتني أن أذبح لغير الله، طعامك وشرابك الّذي أتيتني به عليّ حرام أن أذوق ممّا تأتيني بعد إذ قلت لي هذا، فاعزبي عنّي فلا أراك: فطردها فذهبت، فلمّا نظر أيّوب إلى امرأته قد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرّ ساجداً فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ثمّ ردّ ذلك إلى ربّه فقال: ﴿وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ فقيل له: ارفع رأسك فقد استجيب لك، اركض برجلك، فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط، فأذهب الله تعالى عنه كلّ ألم وكلّ سقم وعاد إليه شبابه وجماله أحسن ما كان وأفضل ما كان، ثمّ ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داءٌ إلاّ خرج فقام صحيحاً وكسي حلّة، قال: فجعل يلتفت فلا يرى شيئاً ممّا كان له من أهل ومال إلاّ وقد أضعفه الله تعالى له فخرج حتّى جلس على مكان مشرف.

ثمّ إنّ امرأته قالت: أرأيت إن كان طردني إلى من أكله؟ أدعه يموت جوعاً ويضيع فتأكله السباع؟! لأرجعن إليه، فرجعت فلا كناسة ترى ولا تلك الحال الّتي كانت، وإذا الأمور تغيّرت، فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي على أيّوب، قال: وهابت صاحب الحلّة أن تأتيه فتسأله عنه، فأرسل إليها أيّوب فدعاها فقال: ما تريدين يا أمة الله؟ فبكت وقالت. أردت ذلك المبتلى الّذي كان منبوذاً على الكناسة، لا أدري أضاع أم ما فعل، قال لها أيّوب: ما كان منك؟ فبكت فقالت: بعلي فهل رأيته؟ قال: وهل تعرفينه إذا رأيته؟ قالت: وهل يخفى على أحد ربّه؟ ثمّ جعلت تنظر إليه وهي تهابه، ثمّ قالت: أما إنّه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحاً، قال: فإنّي أنا أيّوب الّذي أمرتني أن أذبح لإبليس، وإنّي أطعت الله تعالى وعصيت الشيطان ودعوت الله تعالى فرد عليّ ما ترين.

وقال كعب: كان أيّوب في بلائه سبع سنين؛ وقال وهب: لبث أيّوب في ذلك البلاء ثلاث

سنين لم يزد يوماً واحداً، فلمّا غلب أيّوب إبليس ولم يستطع منه شيئاً اعترض امرأته في هيئة ليست كهيئة بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب النّاس له عظم وبهاء وجمال، فقال: أنت صاحبة أيّوب هذا الرجل المبتلى؟ قالت: نعم، قال: فهل تعرفيني؟ قالت: لا، قال: فأنا إله الأرض، وأنا الّذي صنعت بصاحبك ما صنعت وذلك أنّه عبد إله السماء وتركني فأغضبني، ولو سجد لي واحدة رددت عليه وعليك كلّ ماكان لكما من مال وولد فإنّه عندي، ثمّ أراها إيّاهم فيما ترى ببطن الوادي الّذي لقيها فيه؛ قال وهب: وقد سمعت أنّه قال: لو أنّ صاحبك أكل طعاماً ولم يسمّ عليه لعوفي ممّا به من البلاء، والله أعلم، وأراد عدوّ الله أن يأتيه من قبلها.

ورأيت في بعض الكتب أنّ إبليس لعنه الله قال لرحمة: وإن شئت فاسجدي لي سجدة واحدة حتّى أرد عليك المال والاولاد وأعافي زوجك، فرجعت إلى أيّوب عليه الصلاة والسلام فأخبرته بما قال لها وما أراها، قال: لقد أتاك عدوّ الله ليفتنك عن دينك، ثمّ أقسم إن عافاه الله تعالى ليضربنّها مائة جلدة، وقال عند ذلك: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ في طمع إبليس في سجود رحمة له ودعائه إيّاها وإيّاي إلى الكفر، قالوا: ثمّ إنّ الله تعالى رحم رحمة امرأة أيّوب بصبرها معه على البلاء وخفّف عنها، وأراد أن يبرّ يمين أيّوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجرة يبلغ مائة قضيب خفافاً لطافاً فيضربها بها ضربةً واحدة، كما قال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ وقال: كانت امرأة أيّوب تكتسب له وتعمل للناس وتجيئه بقوته، فلمّا طال عليها البلاء وسئمها النّاس فلم يستعملها التمست له يوماً من الأيام ماتطعمه فما وجدت شيئاً، فجزت قرناً من رأسها فباعته برغيف فأتته به، فقال لها: أين قرنك؟ فأخبرته فقال عند ذلك: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾.

وقيل: إنّما قال ذلك حين قصدت الدود قلبه ولسانه فخشي أن يبقى خالياً عن الذكر والفكر؛ وقيل: إنّما قال ذلك حين وقعت دودة من فخذه فرفعها وردها إلى موضعها فقال لها: قد جعلني الله طعامك، فعضّته عضّة زاد ألمها على جميع ما قاسى من عضّ الديدان.

وقال عبد الله بن عبيد الله بن عمير: كان لأيّوب عليه السلام أخوان فأتياه فقاما من بعيد لا يقدران الدنوّ منه من ريحه، فقال أحدهما لصاحبه: لو كان الله تعالى علم في أيّوب خيراً ما ابتلاه بما نرى، قال: فلم يسمع أيّوب شيئاً كان أشدّ عليه من هذه الكلمة، وما جزع من شيء أصابه جزعه من تلك الكلمة، فعند ذلك قال: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ ثمّ قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أبت ليلة شبعان قط وأنا أعلم مكان جائع، فصدّقني، فصدّق وهما يسمعان، ثمّ قال: اللّهمّ إن كنت تعلم أنّي لم أتخذ قميصي قط وأنا أعلم مكان عارٍ فصدّقني، فصدّق وهما يسمعان، فخر ساجداً. وقيل: معناه: مسّني الضرّ من شماتة الأعداء، يدلّ عليه ما روي أنّه قيل بعدما عوفي: ما كان أشدّ عليك في بلائك؟ قال: شماتة الأعداء.

قوله تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً﴾ اختلف العلماء في كيفيّة ذلك، فقال: إنّما آتى الله أيّوب في الدنيا مثل أهله الّذين هلكوا، فأمّا الّذين هلكوا فإنّهم لم يردّوا عليه في الدنيا، وإنّما وعدالله تعالى أيّوب أن يؤتيه إيّاهم في الآخرة. قال وهب: كان له سبع بنات وثلاثة بنين؛ وقال آخرون: بل ردّهم الله تعالى إليه بأعيانهم وأعطاه مثلهم معهم، وهو قول ابن مسعود وابن عبّاس وقتادة وكعب، قال: أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم، وهذا القول أشبه بظاهر الآية، وذكر أنّ عمر أيّوب عليه السلام كان ثلاثاً وتسعين سنة، وأنّه أوصى عند موته إلى ابنه حومل، وأن الله تعالى بعث بعده ابنه بشر بن أيّوب نبيّاً وسماه ذا الكفل، وأمره بالدعاء إلى توحيده، وإنّه كان مقيماً بالشام عمره حتّى مات، وكان مبلغ عمره خمساً وتسعين سنة، وإنّ بشراً أوصى إلى ابنه عبدان، وإنّ الله تعالى بعث بعده شعيباً نبيّاً[1].

بيان: البثنية بضمّ الباء وفتح الثاء: اسم موضع. والفدادين بالتخفيف: البقر الّتي تحرث، والواحد الفدّان بالتشديد. والإعصار ريح تثير الغبار ويرتفع إلى السماء كأنّه عمود. وتنفح بالحاء المهملة: تشمُّ. وأيهاً بالفتح والنصب أمر بالسكوت. والزؤان بالضمّ والكسر: حبّ يخالط البرّ. والكلم: الجرح. وجثم الإنسان والطائر: لزم مكانه فلم يبرح، أو وقع على صدره. وتداعت الحيطان للخراب أي تهادمت. قوله: (يناطح جدره) أي يقع بعضها على بعض ويضرب بعضها بعضاً مأخوذ من نطح البهائم. والجندل: الحجارة. ورهل لحمه بالكسر: اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم من غير داء. ونغل بالغين المعجمة المكسورة أي فسد. والتبكيت: التقريع والتعنيف. والسداد بالضمّ داء في الأنف، وبالكسر ما يسدّ به القارورة وغيرها، وهو المراد هنا، وأقمأه صغّره وأذلّه. والزيار بالكسر: ما يزيّر به البيطار الدابّة، أي يلوي جحفلته. والسحال ككتاب: اللّجام، أو الحديدة الّتي منه تجعل في فم الدابّة. ودمست الشيء: دفنته وخبأته. والأندر: البيدر، أو كدس القمح.

أقول: إنّما أوردت هذه القصّة بطولها مع عدم اعتمادي عليها لكونها كالشرح والتفصيل لبعض ما أوردته بالأسانيد المعتبرة، فما وافقها فهو المعتمد وما خالفها فلا يعوّل عليه. والله الموفّق لكلّ خير.

١١ - باب قصص شعيب

الآيات: الأعراف: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ إلى قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ

(١) عرائس المجالس، ص ١٣٥.

وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ (٩٣)﴾.

هود «١١»: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤) وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٨٥) بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ (٨٦) قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ (٨٧) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ (٩٠) قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩١) قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩٢) وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ (٩٥)﴾.

الحجر «١٥»: ﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ (٧٨) فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩)﴾.

الشعراء «٢٦»: ﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨) فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٧٩) وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (١٨٠) أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨١) وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ (١٨٢) وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٣) وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٨٤) قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٥) وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ (١٨٦) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (١٨٧) قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٨) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٨٩) إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٩٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (١٩١)﴾.

القصص «٢٨»: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ «٤٥».

العنكبوت: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱرْجُوا۟ ٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٦) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ (٣٧)﴾.

ق «٥٠»: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ (١٤)﴾ «١٤».

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ﴾ أي أهل مدين، أو هو اسم القبيلة، قيل: إنّ مدين ابن إبراهيم الخليل فنسبت القبيلة إليه، قال عطا: هو شعيب بن توبة بن

مدين بن إبراهيم؛ وقال قتادة: هو شعيب بن نويب، وقال ابن إسحاق: هو شعيب بن ميكيل ابن يشجب بن مدين بن إبراهيم، وأمّ ميكيل بنت لوط، وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، وهم أصحاب الأيكة؛ وقال قتادة: أرسل شعيب مرّتين: إلى مدين مرّة، وإلى أصحاب الأيكة مرّة ﴿فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ﴾ أي أدّوا حقوق النّاس على التمام في المعاملات ﴿وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ﴾ أي لا تنقصوهم حقوقهم ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ أي لا تعملوا في الأرض بالمعاصي واستحلال المحارم بعد أن أصلحها الله بالأمر والنهي وبعثة الأنبياء؛ وقيل: لا تفسدوا بأن لا تؤمنوا فيهلك الله الحرث والنسل ﴿وَلَا تَقْعُدُواْ﴾ فيه أقوال: أحدها أنّهم كانوا يقعدون على طريق من قصد شعيباً للإيمان به فيخوّفونه بالقتل. وثانيها: أنّهم كانوا يقطعون الطريق فنهاهم عنه.

وثالثها: أنّ المراد: لا تقعدوا بكلّ طريق من طرق الدين فتطلبون له العوج بإيراد الشبهة ﴿وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي تمنعون عن دين الله ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ﴾ أي من أراد الإيمان ﴿وَتَبْغُونَهَا﴾ أي السبيل ﴿عِوَجًا﴾ بأن تقولوا: هو باطل ﴿فَكَثَّرَكُمْ﴾ أي كثّر عددكم، قال ابن عبّاس: وذلك أنّ مدين بن إبراهيم تزوّج بنت لوط فولدت حتّى كثر أولادها؛ وقيل: جعلكم أغنياء بعد أن كنتم فقراء ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ أي فكروا في عواقب أمر عاد وثمود وقوم لوط ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ لأنه كان عندهم أنّه كان قبل ذلك على دينهم، فلذلك أطلقوا لفظ العود، وقد كان يخفي دينه فيهم، ويحتمل أنّهم أرادوا به قومه فأدخلوه معهم في الخطاب أو يراد بالعود الابتداء مجازاً ﴿قَالَ﴾ أي شعيب ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ﴾ أي أيعبدوننا في مثلكم ولو كنّا كارهين للدخول فيها؟ ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا﴾ أي إن عدنا في ملّتكم بأن نحلّ ما تحلّونه ونحرّم ما تحرّمونه وننسبه إلى الله تعالى بعد إذ نجّانا الله منها بأن أقام الدليل وأوضح الحقّ لنا فقد اختلقنا على الله كذباً فيما دعوناكم إليه.

﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا﴾ فيه وجوه: أحدها: أنّ المراد بالملّة الشريعة لا ما يرجع إلى الاعتقاد في الله سبحانه وصفاته، وفي شريعتهم أشياء يجوز أن يتعبّد الله بها، فكأنّه قال: ليس لنا أنّ نعود في ملّتكم إلاّ أن يشاء الله أن يتعبّدنا بها وينسخ ما نحن فيه من الشريعة.

وثانيها: أنه علّق ما لا يكون بما علم أنّه لا يكون على وجه التبعيد كما قال: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾.

وثالثها: إلاّ أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا، ويخلّي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين.

ورابعها: أن تعود الهاء إلى القرية، أي سنخرج من قريتكم ولا نعود فيها إلاّ أن يشاء الله بما ينجزه لنا من الوعد في الإظهار عليكم والظفر بكم فنعود فيها.

وخامسها: أنّ يكون المعنى: إلاّ أن يشاء الله أن يردّكم إلى الحقّ فنكون جميعاً على ملة

واحدة، لأنّه لمّا قال حاكياً عنهم: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ كان معناه: أو لنكوننّ على ملّة واحدة، فحسن أن يقول من بعد: إلاّ أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملّة واحدة ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في الانتصار منكم وفي كلّ أمورنا ﴿رَبَّنَا افْتَحْ﴾ سؤال من شعيب ورغبة منه إلى الله تعالى في أنّ يحكم بينه وبين قومه بالحقّ على سبيل الانقطاع إليه، وإن كان من المعلوم أنّ الله سيفعله لا محالة؛ وقيل: أي اكشف بيننا وبين قومنا وبيّن أنّا على حقّ وهذه استعجال منه للنصر ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ أي الحاكمين والفاصلين ﴿إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ أي بمنزلة من ذهب رأس ماله؛ وقيل: مغبونون؛ وقيل: هالكون ﴿جَاثِمِينَ﴾ أي ميّتين ملقين على وجوههم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ أي كأن لم يقيموا بها قطّ، لأنّ المهلك يصير كأن لم يكن ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم لمّا رأى إقبال العذاب عليهم إعراض الآيس منهم ﴿فَكَيْفَ آسَىٰ﴾ أي أحزن ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ حل العذاب بهم مع استحقاقهم له(١).

﴿إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ﴾ أي برخص السعر والخصب؛ وقيل: أراد بالخير المال وزينة الدنيا فحذّرهم الغلاء وزيادة السعر وزوال النعمة؛ أو المعنى: أراكم في كثرة الأموال وسعة الرزق فلا حاجة لكم إلى نقصان الكيل والوزن ﴿يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ أي يوم القيامة يحيط عذابه بجميع الكفّار ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ أي ما أبقى الله لكم من الحلال بعد إتمام الكيل والوزن خير من البخس والتطفيف، وشرط الإيمان لأنّهم إن كانوا مؤمنين بالله عرفوا صحّة هذا القول؛ وقيل: معناه: إبقاء الله النّعيم عليكم خير لكم ممّا يحصل من النفع بالتطفيف؛ وقيل: طاعة الله؛ وقيل: رزق الله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ أي وما أنا بحافظ نعم الله عليكم إن أراد أن يزيلها عنكم، أو ما أنا بحافظ لأعمالكم إن عليّ إلاّ البلاغ ﴿أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ إنّما قالوا ذلك لأنّ شعيباً كان كثير الصّلاة، وكان يقول إذا صلّى: إنّ الصلاة رادعة عن الشرّ، ناهية عن الفحشاء والمنكر، فقالوا: أصلاتك الّتي تزعم أنّها تأمر بالخير وتنهى عن الشرّ أمرتك بهذا؟! عن ابن عبّاس وقيل: معناه: أدينك يأمرك بترك دين السلف؟ كنّي عن الدين بالصلاة لأنّها من أجلّ أمور الدين وإنّما قالوا ذلك على وجه الاستهزاء(٢).

﴿أَوْ أَن نَّفْعَلَ﴾ قال البيضاويّ عطف على (ما) أي وأن نترك فعلنا ما نشاء في أموالنا، وهو جواب النهي عن التطفيف والأمر بالإيفاء؛ وقيل: كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك ﴿عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من العلم والنبوة ﴿وَرَزَقَنِي﴾ إشارة إلى ما آتاه الله من المال الحلال، وجواب الشرط محذوف، تقديره: فهل يسع لي مع هذا الإنعام أن أخون في وحيه وأخالفه في أمره ونهيه ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ﴾ أي وما أريد أن آتي ما أنهاكم عنه لأستبدّ به. فلو كان صواباً لآثرته ولم أعرض عنه فضلاً أن أنهاكم عنه، يقال: خالفت زيداً إلى

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٠٢.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٢٠.

كذا: إذا قصدته وهو مولّ عنه، وخالفته عنه إذا كان الأمر بالعكس ﴿إِنْ أُرِيدُ﴾ أي ما أريد إلاّ أن أصلحكم بأمري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما دمت أستطيع الإصلاح، فلو وجدت الإصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ﴾ لإصابة الحقّ والرشاد إلاّ بهدايته ومعونته(١).

﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ قال الطبرسيّ: أي إليه أرجع في المعاد، أو إليه أرجع بعملي ونيّتي أي أعمالي كلّها لوجه الله ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيٓ﴾ أي لا يكسبنكم خلافي ومعاداتي ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ من عذاب العاجلة ﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ أي هم قريب منكم في الزمان، أو دارهم قريبة من داركم فيجب أن تتّعظوا بهم ﴿اسْتَغْفِرُوا﴾ أي اطلبوا المغفرة من الله ثمّ توصّلوا إليها بالتوبة، أو استغفروا للماضي واعزموا في المستقبل، أو استغفروا ثمّ دوموا على التوبة، أو استغفروا علانية وأضمروا الندامة في القلب ﴿وَدُودٌ﴾ أي محبّ لهم، مريد لمنافعهم، أو متودّد إليهم بكثرة إنعامه عليهم ﴿مَا نَفْقَهُ﴾ أي ما نفهم عنك معنى كثير من كلامك، أو لا نقبل كثيراً منه ولا نعمل به ﴿ضَعِيفًا﴾ أي ضعيف البدن أو ضعيف البصر أو مهيناً، وقيل: كان عليه السلام أعمى.

واختلف في أنّ النبيّ هل يجوز أن يكون أعمى؟ فقيل: لا يجوز لأنّ ذلك ينفّر؛ وقيل: يجوز أن لا يكون فيه تنفير ويكون بمنزلة سائر العلل والأمراض.

﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ أي ولولا حرمة عشيرتك لقتلناك بالحجارة؛ وقيل: معناه: لشتمناك وسببناك ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ أي لم ندع قتلك لعزّتك علينا ولكن لأجل قومك ﴿ظِهْرِيًّا﴾ أي اتّخذتم الله وراء ظهوركم، يعني نسيتموه، وقيل: الهاء عائدة إلى ما جاء به شعيب ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ أي على حالتكم هذه، وهذا تهديد في صورة الأمر ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على ما أمرني ربّي؛ وقيل: إنّي عامل على ما أنا عليه من الإنذار ﴿وَارْتَقِبُوٓا﴾ أي انتظروا ما وعدكم ربّكم من العذاب، إنّي معكم منتظر لذلك، أو انتظروا مواعيد الشيطان وأنا أنتظر مواعيد الرحمن. وروي عن الرضا عليه السلام أنّه قال: ما أحسن الصبر وانتظار الفرج! أما سمعت قول العبد الصالح: وارتقبوا إنّي معكم رقيب.

﴿الصَّيْحَةُ﴾ صاح بهم جبرئيل صيحة فماتوا، قال البلخيّ: يجوز أن تكون الصيحة صيحة على الحقيقة كما روي، ويجوز أن يكون ضرباً من العذاب تقول العرب: صاح الزمان بهم: إذا هلكوا ﴿أَلَا بُعْدًا﴾ أي بعدوا من رحمة الله بعداً؛ وقيل: أي هلاكاً لهم كما هلكت ثمود(٢).

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ هم أهل الشجر الّذين ارسل إليهم شعيب، وأرسل إلى أهل مدين فأُهلكوا بالصيحة، وأمّا أصحاب الأيكة فأُهلكوا بالظلّة الّتي احترقوا بنارها، وكانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله بالحرّ سبعة أيّام، ثمّ أنشأ سحابة فاستظلّوا بها يلتمسون الروح

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٧٨.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٣٢٢.

فيها، فلمّا اجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقة فاحترقوا جميعاً ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ﴾ أي من قوم شعيب وقوم لوط ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي إنّ مدينتي قوم لوط وأصحاب الأيكة بطريق يؤمّ ويتبع ويهتدى به، أو إنّ حديث مدينتهما لمكتوب في اللّوح المحفوظ[١].

﴿مِنَ ٱلۡمُخۡسِرِينَ﴾ أي من الناقصين للكيل والوزن ﴿بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِ﴾ أي بالميزان السويّ، والجبلّة: الخليقة ﴿كِسَفًا﴾ أي قطعاً، والظلّة: السحابة الّتي أظلّتهم[٢].

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي مقيماً في قوم شعيب فتقرأ على أهل مكّة خبرهم، ولكنّا أرسلنا وأنزلنا عليك هذه الاخبار، ولولا ذلك لما علمتها؛ أو أنّك لم تشاهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنّا أوحيناها إليك فيدلّ ذلك على صحّة نبوّتك[٣].

١ - **ع:** الطالقانيّ، عن عمر بن يوسف بن سليمان، عن القاسم بن إبراهيم الرقّيّ عن محمّد بن أحمد بن مهديّ الرقّيّ، عن عبد الرزّاق، عن معمّر، عن الزهريّ، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: بكى شعيب عليه السلام من حبّ الله عزّ وجلّ حتّى عمي، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، ثمّ بكى حتّى عمي فردّ الله عليه بصره، فلمّا كانت الرابعة أوحى الله إليه: يا شعيب إلى متى يكون هذا أبداً منك؟ إن يكن هذا خوفاً من النّار فقد أجرتك، وإن يكن شوقاً إلى الجنّة فقد أبحتك؛ فقال: إلهي وسيّدي أنت تعلم أنّي ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً إلى جنّتك، ولكن عقد حبّك على قلبي فلست أصبر أو أراك، فأوحى الله جلّ جلاله إليه: أمّا إذا كان هذا هكذا فمن أجل هذا سأخدمك كليمي موسى بن عمران.

قال الصّدوق رحمه الله: يعني بذلك: لا أزال أبكي أو أراك قد قبلتني حبيباً[٤].

بيان: كلمة (أو) بمعنى «إلى أن» أو (إلا أن) أي إلى أن يحصل لي غاية العرفان والإيقان المعبر عنها بالرؤية، وهي رؤية القلب لا البصر، والحاصل طلب كمال المعرفة بحسب الاستعداد والقابليّة والوسع والطاقة، وقد مضى توضيح ذلك في كتاب التوحيد.

٢ - **فس:** بعث الله شعيباً إلى مدين وهي قرية على طريق الشام فلم يؤمنوا به، وحكى الله قولهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ قال: قالوا: إنّك لأنت السفيه الجاهل، فحكى الله عزّ وجلّ قولهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ وإنّما أهلكهم الله تعالى بنقص المكيال والميزان[٥].

بيان: قال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ تحكّموا به وقصدوا

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٢٧.
(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٥٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٤٤٣.
(٤) علل الشرائع، ج ١ ص ٧٤ باب ٥١ ح ١.
(٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣٨.

وصفه بضدّ ذلك، أو علّلوا إنكار ماسمعوا منه واستبعادهم بأنّه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة إلى أمثال ذلك. انتهى(١).

أقول: ما ذكر في تفسير عليّ بن إبراهيم غير الوجهين، وحاصله أنّه تعالى عبّر عمّا قالوه بضد قولهم إيماء إلى أنّ ما قالوه ممّا لا يمكن ذكره لاستهجانه وركاكته.

٣ - **فس:** ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ وقد كان ضعف بصره ﴿وَٱرْتَقِبُوٓا۟﴾ أي انتظروا فبعث الله عليهم صيحة فماتوا ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ أي باقياً(٢).

٤ - **فس:** ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ قال: قوم شعيب ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ قال: يوم حرّ وسمائم(٣). قوله: ﴿أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ الأيكة: الغيضة من الشجر(٤).

بيان: قال البيضاويّ: أصحاب الأيكة هم قوم شعيب، كانوا يسكنون الغيضة، فبعثه الله إليهم فكذّبوه فأهلكوا بالظلة، والأيكة: الشّجر المتكاثفة(٥).

٥ - **مع:** أبي، عن سعد، عن سلمة بن الخطّاب، عن إبراهيم بن محمّد الثقفيّ، عن إبراهيم بن ميمون، عن مصعب بن سعد، عن الأصبغ، عن عليّ عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: نصيبهم من العذاب(٦).

إيضاح: قال البيضاويّ: أي قسطنا من العذاب الّذي توعدنا به، أو الجنّة الّتي تعد المؤمنين، وهو من قطّه: إذا قطعه، ويقال للصحيفة الجائزة قطّ لأنّها قطعة من القرطاس، وقد فسّر بها، أي عجّل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها(٧).

٦ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ابن المتوكّل، عن السعد آباديّ، عن البرقيّ عن ابن محبوب، عن هشام، عن سعد الإسكاف، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ أوّل من عمل المكيال والميزان شعيب النبيّ عليه السلام: عمله بيده، فكانوا يكيلون ويوفون، ثمّ إنّهم بعد طفّفوا في المكيال وبخسوا في الميزان فأخذتهم الرجفة فعذّبوا بها فأصبحوا في دارهم جاثمين(٨).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ أي فأخذ قوم شعيب الزلزلة، عن الكلبيّ؛ وقيل: أرسل الله عليهم ومدة وحرّاً شديداً، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت فدخل عليهم البيوت، فلم ينفعهم ظلّ ولا ماء، وأنضجهم الحرّ، فبعث الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فوجدوا برد الريح وطيبها وظلّ السحابة فتنادوا: عليكم بها، فخرجوا إلى البرّيّة، فلمّا اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم ناراً ورجفت بهم الأرض

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢٧٩.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٣٨.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١١٨.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٠١.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٨٦.
(٦) معاني الأخبار، ص ٢٢٥.
(٧) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٩.
(٨) قصص الأنبياء، ص ١٤٢.

فاحترقوا كما يحترق الجراد المقليّ، وصاروا رماداً، وهو عذاب يوم الظلّة، عن ابن عبّاس وغيره من المفسّرين.

وقيل: بعث الله عليهم صيحة واحدة فماتوا بها، عن أبي عبد الله عليه السلام. وقيل: إنّه كان لشعيب قومان: قوم أُهلكوا بالرجفة، وقوم هم أصحاب الظلّة[1].

٧ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن محبوب، عن يحيى بن زكريّا، عن سهل بن سعيد قال: بعثني هشام بن عبد الملك أستخرج له بئراً في رصافة عبد الملك، فحفرنا منها مائتي قامة ثمّ بدت لنا جمجمة رجل طويل فحفرنا ماحولها فإذا رجل قائم على صخرة عليه ثياب بيض، وإذا كفّه اليمنى على رأسه على موضع ضربة برأسه فكنّا إذا نحّينا يده عن رأسه سالت الدماء، وإذا تركناها عادت فسدّت الجرح، وإذا في ثوبه مكتوب: أنا شعيب بن صالح رسول رسول الله إلى قومه فضربوني وأضرّوا بي وطرحوني في هذا الجبّ وهالوا إليّ التراب. فكتبنا إلى هشام بما رأيناه، فكتب: أعيدوا عليه التراب كما كان واحتفروا في مكان آخر[2].

يج: ذكر ابن بابويه في كتاب النبوّة بإسناده عن سهل بن سعيد وذكر مثله[3].

٨ - **كنز الفوائد للكراجكي:** عن عبد الرحمن بن زياد الإفريقيّ قال: خرجت بإفريقيّة مع عمّ لي إلى مزروع لنا، قال: فحفرنا موضعاً فأصبنا تراباً هشاً، فحفرنا عامّة يومنا حتّى انتهينا إلى بيت كهيئة الأزج، فإذا فيه شيخ مسجّى، وإذا عند رأسه كتابة فقرأتها فإذا: أنا حسّان بن سنان الأوزاعيّ رسول شعيب النبيّ عليه السلام إلى أهل هذه البلاد، دعوتهم إلى الإيمان بالله فكذّبوني وحبسوني في هذا الحفير إلى أن يبعثني الله واخاصمهم يوم القيامة.

وذكروا أنّ سليمان بن عبد الملك مرّ بوادي القرى فأمر ببئر يحفر فيه ففعلوا فانتهى إلى صخرة فاستخرجت فإذا تحتها رجل عليه قميصان، واضع يده على رأسه، فجذبت يده فمجّ مكانها بدم، ثمّ تركت فرجعت إلى مكانها فرقأ الدم، فإذا معه كتاب فيه: أنا الحارث بن شعيب الغسّانيّ رسول شعيب إلى أهل مدين فكذّبوني وقتلوني[4].

٩ - **ص:** بالإسناد إلى الصّدوق بإسناده إلى وهب قال: إنّ شعيباً النبيّ وأيّوب صلوات الله عليهما وبلعم بن باعوراء كانوا من ولد رهط، آمنوا لإبراهيم يوم أُحرق فنجا وهاجروا معه إلى الشام، فزوّجهم بنات لوط، فكلّ نبيّ كان قبل بني إسرائيل وبعد إبراهيم عليه السلام من نسل أُولئك الرهط، فبعث الله شعيباً إلى أهل مدين ولم يكونوا فصيلة شعيب ولا قبيلته الّتي كان منها، ولكنّهم كانوا أُمّة من الأمم بعث إليهم شعيب، وكان عليهم ملك جبّار، ولا يطيقه أحدٌ من ملوك عصره، وكانوا ينقصون المكيال والميزان، ويبخسون النّاس أشياءهم مع كفرهم

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ٣٠٩.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٤٢.
(٣) الخرائج والجرائح ج ٣ ص ١١٦٧.
(٤) كنز الفوائد، ج ١ ص ٣٨٢.

بالله، وتكذيبهم لنبيّه وعترّهم، وكانوا يستوفون إذا اكتالوا لأنفسهم أو وزنوا له، فكانوا في سعة من العيش، فأمرهم الملك باحتكار الطعام ونقص مكاييلهم وموازينهم، ووعظهم شعيب فأرسل إليه الملك: ما تقول فيما صنعت؟ أراض أنت أم ساخطٌ؟ فقال شعيب: أوحى الله تعالى إليّ أنّ الملك إذا صنع مثل ما صنعت يقال له: ملك فاجر، فكذبه الملك وأخرجه وقومه من مدينته، قال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ﴾ فزادهم شعيب في الوعظ، فقالوا: ﴿يَـٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُا﴾ فآذوه بالنفي من بلادهم، فسلّط الله عليهم الحرّ والغيم حتّى أنضجهم الله، فلبثوا فيه تسعة أيّام، وصار ماؤهم حميماً لا يستطيعون شربه، فانطلقوا إلى غيضة لهم وهو قوله تعالى: ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ فرفع الله لهم سحابة سوداء فاجتمعوا في ظلّها، فأرسل الله عليهم ناراً منها فأحرقتهم فلم ينج منهم أحداً، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ وإنّ رسول الله ﷺ إذا ذكر عنده شعيب قال: «ذلك خطيب الأنبياء يوم القيامة» فلما أصاب قومه ما أصابهم لحق شعيب والذين آمنوا معه بمكّة، فلم يزالوا بها حتّى ماتوا.

والرواية الصحيحة أنّ شعيباً عليه السلام صار منها إلى مدين فأقام بها وبها لقيه موسى بن عمران صلوات الله عليهما[١].

توضيح: فصيلة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون.

١٠ - **ص:** بالإسناد إلى الصدوق، عن ماجيلويه، عن محمّد العطّار، عن ابن أبان، عن ابن أورمة، عن بعض أصحابنا، عن سعيد بن جناح، عن أيّوب بن راشد رفعه إلى عليّ عليه السلام قال: قيل: يا أمير المؤمنين حدّثنا، قال: إنّ شعيباً النبيّ عليه السلام دعا قومه إلى الله حتّى كبر سنّه، ودقّ عظمه، ثمّ غاب عنهم ما شاء الله، ثمّ عاد إليهم شاباً، فدعاهم إلى الله تعالى فقالوا: ما صدّقناك شيخاً فكيف نصدقك شابّاً؟ وكان عليّ عليه السلام يكرّر عليهم الحديث مراراً كثيرة[٢].

١١ - **ص:** بهذا الإسناد عن ابن أورمة، عمّن ذكره، عن العلاء، عن الفضيل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لم يبعث الله عزّ وجلّ من العرب إلاّ خمسة: هوداً وصالحاً وإسماعيل وشعيباً ومحمداً خاتم النبيّين صلوات الله عليهم، وكان شعيب بكّاءً[٣].

١٢ - **كا:** عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن بعض أصحابنا، عن بشير ابن عبد الله، عن أبي عصمة قاضي مرو، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: أوحى الله إلى شعيب النبيّ: إنّي معذّب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٤].

(١) قصص الأنبياء، ص ١٤٦.
(٢) قصص الأنبياء، ص ١٤٥.
(٣) قصص الأنبياء، ص ١٤٥.
(٤) الكافي، ج ٥ ص ٦٢٠ باب ٢٨ ح ١.

١٣ - ص: بالإسناد عن الصدوق، عن الطالقانيّ، عن أحمد بن عمران، عن يحيى ابن عبد الحميد، عن عيسى بن راشد، عن عليّ بن خزيمة، عن عكرمة، عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: إنّ الله تعالى بعث شعيباً إلى قومه وكان لهم ملك فأصابه منهم بلاء، فلمّا رأى الملك أنّ القوم قد خصبوا أرسل إلى عمّاله فحبسوا على النّاس الطعام، وأغلوا أسعارهم، ونقصوا مكاييلهم وموازينهم، وبخسوا النّاس أشياءهم، وعتوا عن أمر ربّهم، فكانوا مفسدين في الأرض، فلمّا رأى ذلك شعيب عليه السلام قال لهم: ﴿وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ مُّحِيطٖ﴾ فأرسل الملك إليه بالإنكار، فقال شعيب: إنّه منهيّ في كتاب الله تعالى والوحي الّذي أوحى الله إليّ به، أنّ الملك إذا كان بمنزلتك الّتي نزلتها ينزل الله بساحته نقمته، فلمّا سمع الملك ذلك أخرجه من القرية، فأرسل الله إليهم سحابة فأظلّتهم، فأرسل عليهم في بيوتهم السموم، وفي طريقهم الشمس الحارّة وفي القرية، فجعلوا يخرجون من بيوتهم وينظرون إلى السحابة الّتي قد أظلّتهم من أسفلها، فانطلقوا سريعاً كلّهم إلى أهل بيت كانوا يوفون المكيال والميزان ولا يبخسون النّاس أشياءهم، فنصحهم الله وأخرجهم من بين العصاة، ثمّ أرسل على أهل القرية من تلك السحابة عذاباً وناراً فأهلكتهم، وعاش شعيب عليه السلام مائتين واثنين وأربعين سنة[1].

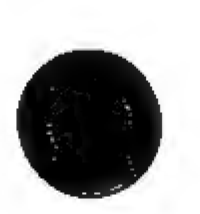
١٤ - شي: عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٖ﴾ قال: كان سعرهم رخيصاً[2].

تتميم: قال صاحب الكامل: قيل: إنّ اسم شعيب يثرون بن صيفون بن عنقا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم؛ وقيل: هو شعيب بن ميكيل من ولد مدين؛ وقيل: لم يكن شعيب من ولد إبراهيم وإنّما هو من ولد بعض من آمن بإبراهيم وهاجر معه إلى الشام، ولكنه ابن بنت لوط، فجدة شعيب ابنة لوط، وكان ضرير البصر، وهو معنى قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗا﴾ أي ضرير البصر، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا ذكره قال: «ذاك خطيب الأنبياء» بحسن مراجعته قومه، وإنّ الله عزّ وجلّ أرسله إلى أهل مدين وهم أصحاب الايكة، والأيكة: الشّجر الملتف، وكانوا أهل كفر بالله تعالى، وبخس للناس في المكاييل والموازين، وإفساد لأموالهم، وكان الله وسع عليهم في الرزق، وبسط لهم في العيش استدراجاً لهم منه مع كفرهم بالله، فقال لهم شعيب: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ وَلَا تَنقُصُواْ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَۚ إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٖ مُّحِيطٖ﴾ فلمّا طال تماديهم في غيّهم وضلالتهم لم يزدهم تذكير شعيب إيّاهم وتحذيره عذاب الله إيّاهم إلاّ تمادياً، ولمّا أراد الله إهلاكهم سلّط عليهم عذاب يوم الظلة، وهو ما ذكره ابن عبّاس رضي الله عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ

(١) قصص الأنبياء، ص ١٤٥.
(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٦٨.

ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾ فقال: بعث الله عليهم وقدة وحراً شديداً فأخذ بأنفاسهم فخرجوا من البيوت هراباً إلى البرّيّة، فبعث الله سبحانه عليهم سحاباً فأظلّتهم من الشمس فوجدوا لها برداً ولذة، فنادى بعضهم بعضاً حتّى اجتمعوا تحتها فأرسل الله عليهم ناراً، قال عبد الله بن عبّاس: فذاك عذاب يوم الظلّة؛ وقال قتادة: بعث الله شعيباً إلى أمّتين: إلى قومه أهل مدين، وإلى أصحاب الأيكة، وكانت الأيكة من شجر ملتف؛ فلمّا أراد الله أن يعذّبهم بعث عليهم حرّاً شديداً، ورفع لهم العذاب كأنّه سحابة، فلمّا دنت منهم خرجوا إليها وجاؤوها، فلمّا كانوا تحتها أمطرت عليهم ناراً، قال فكذلك قوله: ﴿فَأَخَذَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمِ ٱلظُّلَّةِ﴾ وأمّا أهل مدين فهم من ولد مدين بن إبراهيم الخليل، فعذّبهم الله بالرجفة وهي الزلزلة فأهلكوا.

قال بعض العلماء: كانت قوم شعيب عطّلوا حداً فوسّع الله عليهم في الرزق، حتّى إذا أراد إهلاكهم سلّط عليهم حراً لا يستطيعون أن يتقارّوا، ولا ينفعهم ظلّ ولا ماء حتّى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجد روحاً، فنادى أصحابه: هلمّوا إلى الروح فذهبوا إليه سراعاً حتّى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً، فذلك عذاب يوم الظلّة. وقد روى عامر، عن ابن عبّاس أنّه قال: من حدّثك ما عذاب يوم الظلّة فكذّبه؛ وقال مجاهد: عذاب يوم الظلّة هو إظلال العذاب على قوم شعيب؛ وقال يريد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْ﴾ قال: ممّا كان نهاهم عنه قطع الدراهم(١).



(١) الكامل في التاريخ، ج ١ ص ١٣٥. وفي كتاب الصدف ص ٨٤: إنّ شعيباً عاش أربعمائة سنة، فلمّا حضرته الوفاة سأله ملك الموت كيف رأيت الدنيا؟ قال: كدار لها بابان، دخلت من واحد وخرجت من واحد. وعن الأنوار النعمانيّة: إنّ مدفنه قرب بلد شوشتر مزار معروف. وعن الدر المسلوك: إنّه عاش أربعمائة سنة. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «شعب»].

فهرس الجزء الحادي عشر

الموضوع | الصفحة

كتاب النبوة

فهرس الجزء الثاني عشر